سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٣١)

الوقف الحسن والتام وغير التام في القران

من خلال مصنفات التفسير والقراءات

د/ يوسف بن محمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"من أرض العرب لم يمهلوا، وهو معنى قوله: (وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا)، وقرا عطاء ابن أَبِي رَبَاحٍ" لَا يُلَبَّثُونَ" الْبَاءُ مُشَدَّدَةٌ،" خَلْفَكَ" نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو بَكْرٍ وَأَبُو عَمْرٍو، وَمَعْنَاهُ بَعْدَكَ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ" خِلافَكَ" وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِمٍ، اعْتِبَارًا بِقَوْلِهِ:" فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ «١» رَسُولِ اللَّهِ" وَمَعْنَاهُ أَيْضًا بَعْدَكَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا ... بَسَطُ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا

بَسَطَ الْبَوَاسِطُ، فِي الْمَاوَرْدِيِّ، يُقَالُ: شَطَبَتِ الْمَرْأَةُ الْجَرِيدَ إِذَا شفقة لِتَعْمَلَ مِنْهُ الْحُصْرَ- قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: ثُمَّ تُلْقِيهِ الشَّاطِبَةُ إِلَى الْمُنَقِّيَةِ. وَقِيلَ:" خَلْفَكَ" بِمَعْنَى بعدك و" خِلافَكَ" بِمَعْنَى مُخَالَفَتِكَ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ،" إِلَّا قَلِيلًا" فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا- أَنَّ الْمُدَّةَ الَّتِي لَبِثُوهَا بَعْدَهُ مَا بَيْنَ إِخْرَاجِهِمْ لَهُ إِلَى قَتْلِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهَذَا قَوْلُ مَنْ ذَكَرَ أَنَّهُمْ قُرَيْشٌ الثَّانِي- مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَقَتْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَجَلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ، وَهَذَا قَوْلُ مَنْ ذكر أنهم اليهود

[سورة الإسراء (١٧): آية ٧٧]

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً (٧٧)

قَوْلُهُ تَعَالَى: (سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا) أَيْ يُعَذَّبُونَ كَسُنَّةِ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا، فَهُوَ نُصِبَ بِإِضْمَارِ يُعَذَّبُونَ، فَلَمَّا سَقَطَ الْخَافِضُ عَمِلَ الْفِعْلُ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ، وَقِيلَ: انْتَصَبَ عَلَى مَعْنَى سَنَنَّا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا، وَقِيلَ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْكَافِ، التَّقْدِيرُ لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا كَسُنَّةِ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا، فَلَا يُوقَفُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ عَلَى قَوْلِهِ:" إِلَّا قَلِيلًا" ويقف عَلَى الْأَوَّلِ وَالثَّانِي." قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا" وَقْفٌ حَسَنٌ، (وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا) أَيْ لَا خلف في وعدها.

[سورة الإسراء (١٧): آية ٧٨]

أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (٧٨)

---

(١). راجع ج ٨ ص ٢١٦." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٠٢/١٠>

"وَلَا تُصِيبُهَا إِذَا غَرَبَتْ لِأَنَّ لَهَا سِتْرًا. والغربية عكسها، أو أَنَّهَا شَجَرَةٌ فِي صَحْرَاءَ وَمُنْكَشِفٍ مِنَ الْأَرْضِ لا يواريها عن الشمس شي وَهُوَ أَجْوَدُ لِزَيْتِهَا، فَلَيْسَتْ خَالِصَةً لِلشَّرْقِ فَتُسَمَّى شَرْقِيَّةً وَلَا لِلْغَرْبِ فَتُسَمَّى غَرْبِيَّةً، بَلْ هِيَ شرقيا غَرْبِيَّةٌ. وَقَالَ الطَّبَرِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّهَا شَجَرَةٌ فِي دَوْحَةٍ قَدْ أَحَاطَتْ بِهَا، فَهِيَ غَيْرُ مُنْكَشِفَةٍ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا قَوْلٌ لَا يَصِحُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِأَنَّ الثَّمَرَةَ

الَّتِي بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَفْسُدُ جَنَاهَا وَذَلِكَ مُشَاهَدٌ فِي الْوُجُودِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: لَيْسَتْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ مِنْ شَجَرِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنُورِهِ، وَلَوْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا لَكَانَتْ إِمَّا شَرْقِيَّةً وَإِمَّا غَرْبِيَّةً. الثَّعْلَبِيُّ: وَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ بِأَنَّهَا مِنْ شَجَرِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهَا بَدَلٌ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ" زَيْتُونَةٍ". وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّهَا مِنْ شَجَرِ الشَّأْمِ، فَإِنَّ شَجَرَ الشَّأْمِ لَا شَرْقِيٌّ وَلَا غَرْبِيٌّ، وَشَجَرُ الشَّأْمِ هُوَ أَفْضَلُ الشَّجَرِ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُبَارَكَةُ. وَ" شَرْقِيَّةٍ" نَعْتٌ لِ"- زَيْتُونَةٍ" وَ" لَا" لَيْسَتْ تَحُولُ بَيْنَ النَّعْتِ وَالْمَنْعُوتِ،" وَلا غَرْبِيَّةٍ" عَطْفٌ عليه. قوله تعالى: (يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ) مُبَالَغَةٌ فِي حُسْنِهِ وَصَفَائِهِ وَجَوْدَتِهِ. (نُورٌ عَلى نُورٍ) أَيِ اجْتَمَعَ فِي الْمِشْكَاةِ ضَوْءُ الْمِصْبَاحِ إِلَى ضَوْءِ الزُّجَاجَةِ وَإِلَى ضَوْءِ الزَّيْتِ فَصَارَ لِذَلِكَ نُورٌ عَلَى نُورٍ. وَاعْتُقِلَتْ هَذِهِ الْأَنْوَارُ فِي الْمِشْكَاةِ فَصَارَتْ كَأَنْوَرِ مَا يَكُونُ، فَكَذَلِكَ بَرَاهِينُ اللَّهِ تَعَالَى وَاضِحَةٌ، وَهِيَ بُرْهَانٌ بَعْدَ بُرْهَانٍ، وَتَنْبِيهٌ بَعْدَ تَنْبِيهٍ، كَإِرْسَالِهِ الرُّسُلَ وَإِنْزَالِهِ الْكُتُبَ، وَمَوَاعِظُ تَتَكَرَّرُ فِيهَا لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ مُعْتَبِرٌ. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى هُدَاهُ لِنُورِهِ مَنْ شَاءَ وَأَسْعَدَ مِنْ عِبَادِهِ، وَذَكَرَ تَفَضُّلَهُ لِلْعِبَادِ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ لِتَقَعَ لَهُمُ الْعِبْرَةُ وَالنَّظَرُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْإِيمَانِ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ" اللَّهُ نُورُ" بِفَتْحِ النُّونِ وَالْوَاوِ الْمُشَدَّدَةِ. وَاخْتَلَفَ الْمُتَأَوِّلُونَ فِي عَوْدِ الضَّمِيرِ فِي" نُورِهِ" عَلَى مَنْ يَعُودُ، فَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَابْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ عَائِدٌ على محمد صلى اله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ مَثَلُ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيّ:" اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ" **وَقْفٌ حَسَنٌ**، ثُمَّ تَبْتَدِئُ" مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ" عَلَى مَعْنَى نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَابْنُ جُبَيْرٍ." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٢٥٩>

"(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ) يَعْنِي فِي الدُّنْيَا وَالْمُرَادُ أَهْلُ مَكَّةَ فِي قَوْلِ الضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِ. (ثُمَّ جاءَهُمْ مَا كانُوا يُوعَدُونَ) مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ (مَا أَغْنى عَنْهُمْ مَا كانُوا يُمَتَّعُونَ)." مَا" الْأُولَى اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِ" أَغْنى " وَ" مَا" الثَّانِيَةُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ نَفْيًا لَا مَوْضِعَ لَهَا. وَقِيلَ:" مَا" الْأُولَى حَرْفُ نَفْيٍ، وَ" مَا" الثَّانِيَةُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِ" أَغْنى " وَالْهَاءُ الْعَائِدَةُ مَحْذُوفَةٌ. وَالتَّقْدِيرُ: مَا أَغْنَى عَنْهُمُ الزَّمَانُ الَّذِي كَانُوا يُمَتَّعُونَهُ. وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ أَمْسَكَ بِلِحْيَتِهِ ثُمَّ قَرَأَ" أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ. ثُمَّ جاءَهُمْ مَا كانُوا يُوعَدُونَ. مَا أَغْنى عَنْهُمْ مَا كانُوا يُمَتَّعُونَ" ثُمَّ يَبْكِي وَيَقُولُ:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ

فَلَا أَنْتَ فِي الْأَيْقَاظِ يَقْظَانُ حَازِمُ ... وَلَا أَنْتَ فِي النُّوَّامِ نَاجٍ فَسَالِمُ

تُسَرُّ بِمَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالْمُنَى ... كَمَا سُرَّ بِاللَّذَّاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ

وَتَسْعَى إِلَى مَا سَوْفَ تَكْرَهُ غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قوله تعالى: (وما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ) " مِنْ" صِلَةٌ، الْمَعْنَى: وَمَا أَهْلَكْنَا قَرْيَةً. (إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ) أَيْ رُسُلٌ. (ذِكْرى) قَالَ الْكِسَائِيُّ:" ذِكْرى " فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ. النَّحَّاسُ: وَهَذَا لَا يَحْصُلُ، وَالْقَوْلُ فِيهِ قَوْلُ الْفَرَّاءِ وَأَبِي إِسْحَاقَ أَنَّهَا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْمَصْدَرِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ يَذْكُرُونَ ذِكْرَى، وَهَذَا قَوْلٌ صَحِيحٌ، لِأَنَّ مَعْنَى" إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ" إِلَّا لَهَا مُذَكِّرُونَ. وَ" ذِكْرى " لَا يَتَبَيَّنُ فِيهِ الْإِعْرَابُ، لِأَنَّ فِيهَا أَلِفًا مَقْصُورَةً. وَيَجُوزُ" ذِكْرًى" بِالتَّنْوِينِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ" ذِكْرى " فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَيْ إِنْذَارُنَا ذِكْرَى. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ ذَلِكَ ذِكْرَى، وَتِلْكَ ذِكْرَى. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: لَيْسَ فِي" الشُّعَرَاءِ" **وَقْفٌ تَامٌّ** إِلَّا قَوْلُهُ" إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ" وَهَذَا عِنْدَنَا **وَقْفٌ حَسَنٌ**، ثُمَّ يَبْتَدِئُ" ذِكْرَى" عَلَى مَعْنَى هِيَ ذِكْرَى أَيْ يُذَكِّرُهُمْ ذِكْرَى، وَالْوَقْفُ عَلَى" ذِكْرى " أَجْوَدُ. (وَما كُنَّا ظالِمِينَ) فِي تَعْذِيبِهِمْ حَيْثُ قَدَّمْنَا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٤١>

"فعظيم عَلَى هَذَا مُتَعَلِّقٌ بِمَا بَعْدَهُ، وَكَانَ يَنْبَغِي عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ عَظِيمٌ أَنْ وَجَدْتُهَا، أَيْ وُجُودِي إِيَّاهَا كَافِرَةً. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" وَلَها عَرْشٌ عَظِيمٌ"" **وَقْفٌ حَسَنٌ**، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقِفَ عَلَى" عَرْشٌ" وَيَبْتَدِئَ" عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا" إِلَّا عَلَى مَنْ فَتَحَ، لِأَنَّ عَظِيمًا نَعْتٌ لعرش فلو كان متعلقا بوجدتها لَقُلْتَ عَظِيمَةً وَجَدْتُهَا، وَهَذَا مُحَالٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. وَقَدْ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بن شَهْرَيَارَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْعِجْلِيُّ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ قَالَ: الْوَقْفُ عَلَى" عَرْشٌ" وَالِابْتِدَاءُ" عَظِيمٌ" عَلَى مَعْنَى عَظِيمٌ عِبَادَتُهُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ. قَالَ: وَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يُؤَيِّدُ هَذَا الْمَذْهَبَ، وَيَحْتَجُّ بِأَنَّ عَرْشَهَا أَحْقَرُ وَأَدَقُّ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَصِفَهُ اللَّهُ بِالْعَظِيمِ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَالِاخْتِيَارُ عِنْدِي مَا ذَكَرْتُهُ أَوَّلًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى إِضْمَارِ عِبَادَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ دَلِيلٌ. وَغَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يَصِفَ الْهُدْهُدَ عَرْشَهَا بِالْعَظِيمِ إِذَا رَآهُ مُتَنَاهِيَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، وَجَرْيُهُ عَلَى إِعْرَابِ" عَرْشٌ" دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ نَعْتُهُ. (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ) أَيْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ." (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) " أَيْ عَنْ طَرِيقِ التَّوْحِيدِ. وَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ مَا لَيْسَ بِسَبِيلِ التَّوْحِيدِ فَلَيْسَ بِسَبِيلٍ يُنْتَفَعُ بِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ. (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) إِلَى اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ. الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَنَافِعٌ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ" أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ" بِتَشْدِيدِ" أَلَّا" قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" **غَيْرُ تَامٍّ** لِمَنْ شَدَّدَ" أَلَّا" لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَلَّا يَسْجُدُوا. قَالَ النَّحَّاسُ: هِيَ" أَنْ" دَخَلَتْ عَلَيْهَا" لَا" وَ" أَنْ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، قَالَ الْأَخْفَشُ: بِ" زَيَّنَ" أَيْ وَزَيَّنَ لَهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: بِ" فَصَدَّهُمْ" أَيْ فَصَدَّهُمْ أَلَّا يَسْجُدُوا.

وَهُوَ فِي الْوَجْهَيْنِ مَفْعُولٌ لَهُ. وَقَالَ الْيَزِيدِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ:" أَنْ" بَدَلٌ مِنْ" أَعْمالَهُمْ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ. وَقَالَ أبو عمرو: و" أن" في موضع حفض عَلَى الْبَدَلِ مِنَ السَّبِيلِ وَقِيلَ: الْعَامِلُ فِيهَا" لَا يَهْتَدُونَ" أَيْ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَنْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ، أَيْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ" لَا" زَائِدَةٌ، كَقَوْلِهِ:" مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ" أَيْ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ. وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٨٥>

"الْآيَاتُ اعْتِرَاضٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَذْكِيرًا وَتَحْذِيرًا لِأَهْلِ مَكَّةَ. ثُمَّ عَادَ الْخِطَابُ إِلَى قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: (فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ) حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيقِهِ (فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) أَيْ مِنْ إِذَايَتِهَا (إِنَّ فِي ذلِكَ) أَيْ فِي إِنْجَائِهِ مِنَ النَّارِ الْعَظِيمَةِ حَتَّى لَمْ تُحْرِقْهُ بَعْدَ مَا أُلْقِيَ فِيهَا (لَآياتٍ). وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ" جَوابَ" بِنَصْبِ الْبَاءِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ وَ" أَنْ قالُوا" فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ اسْمُ كَانَ. وَقَرَأَ سالم الأفطس وعمرو ابن دِينَارٍ:" جَوَابُ" بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ" كانَ" وَ" إِنَّ" فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ نَصْبًا. (وَقالَ) إِبْرَاهِيمُ (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا) وَقَرَأَ حَفْصٌ وَحَمْزَةُ:" مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ". وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ:" مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ". وَالْأَعْشَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ وَابْنِ وَثَّابٍ وَالْأَعْمَشِ" مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ". الْبَاقُونَ" مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ" فَأَمَّا قِرَاءَةُ ابْنُ كَثِيرٍ فَفِيهَا ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ، ذَكَرَ الزَّجَّاجُ مِنْهَا وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا- أَنَّ الْمَوَدَّةَ ارْتَفَعَتْ عَلَى خَبَرِ إِنَّ وَتَكُونُ" مَا" بِمَعْنَى الَّذِي. وَالتَّقْدِيرُ إِنَّ الَّذِي اتَّخَذْتُمُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنْ يَكُونَ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَإٍ أَيْ وَهِيَ مَوَدَّةٌ أَوْ تِلْكَ مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ. وَالْمَعْنَى آلِهَتُكُمْ أَوْ جَمَاعَتُكُمْ مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" أَوْثاناً" **وَقْفٌ حَسَنٌ** لِمَنْ رَفَعَ الْمَوَدَّةَ بِإِضْمَارِ ذَلِكَ مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ، وَمَنْ رَفَعَ الْمَوَدَّةَ عَلَى أَنَّهَا خَبَرُ إِنَّ لَمْ يَقِفْ. وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ الَّذِي لَمْ يَذْكُرْهُ أَنْ يَكُونَ" مَوَدَّةُ" رَفْعًا بِالِابْتِدَاءِ وَ" فِي الْحَياةِ الدُّنْيا" خَبَرُهُ، فَأَمَّا إِضَافَةُ" مَوَدَّةَ" إِلَى" بَيْنِكُمْ" فَإِنَّهُ جَعَلَ" بَيْنِكُمْ" اسْمًا غَيْرَ ظَرْفٍ، وَالنَّحْوِيُّونَ يَقُولُونَ جَعَلَهُ مَفْعُولًا عَلَى السَّعَةِ. وَحَكَى سِيبَوَيْهِ: يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ وَهُوَ ظَرْفٌ، لِعِلَّةٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهَا. وَمَنْ رَفَعَ" مَوَدَّةٌ" وَنَوَّنَهَا فَعَلَى مَعْنَى مَا ذُكِرَ، وَ" بَيْنِكُمْ" بِالنَّصْبِ ظَرْفًا. وَمَنْ نَصَبَ" مَوَدَّةَ" وَلَمْ يُنَوِّنْهَا جَعَلَهَا مَفْعُولَةً بِوُقُوعِ الِاتِّخَاذِ عَلَيْهَا وَجَعَلَ" إِنَّمَا" حَرْفًا وَاحِدًا وَلَمْ يَجْعَلْهَا بِمَعْنَى الَّذِي. وَيَجُوزُ نَصْبُ الْمَوَدَّةِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ كَمَا تَقُولُ

: جِئْتُكَ ابْتِغَاءَ الْخَيْرِ، وَقَصَدْتُ فُلَانًا مَوَدَّةً لَهُ" بَيْنِكُمْ" بِالْخَفْضِ. وَمَنْ نَوَّنَ" مَوَدَّةً" وَنَصَبَهَا فَعَلَى مَا ذُكِرَ" بَيْنَكُمْ" بِالنَّصْبِ مِنْ غَيْرِ إِضَافَةٍ، قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَمَنْ قَرَأَ" مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ"." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٣٣٨>

"وَقِيلَ: أَشِحَّةً بِالْغَنَائِمِ إِذَا أَصَابُوهَا، قَالَهُ السُّدِّيُّ. وَانْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَنَصْبُهُ عِنْدَ الْفَرَّاءِ مِنْ أَرْبَعِ جِهَاتٍ: إِحْدَاهَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى الذَّمِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ نَصْبًا بِمَعْنَى يُعَوِّقُونَ أَشِحَّةً. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: وَالْقَائِلِينَ أَشِحَّةً. وَيَجُوزُ عِنْدَهُ [" وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا" أَشِحَّةً، أَيْ أَنَّهُمْ يَأْتُونَهُ أَشِحَّةً عَلَى الْفُقَرَاءِ بِالْغَنِيمَةِ «١»]. النَّحَّاسُ: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ" الْمُعَوِّقِينَ" وَلَا" الْقائِلِينَ"، لِئَلَّا يُفَرَّقَ بَيْنَ الصِّلَةِ وَالْمَوْصُولِ. ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" إِلَّا قَلِيلًا" غَيْرَ تَامٍّ، لِأَنَّ" أَشِحَّةً" مُتَعَلِّقٌ بِالْأَوَّلِ، فَهُوَ يَنْتَصِبُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: أَنْ تَنْصِبَهُ عَلَى الْقَطْعِ مِنَ" الْمُعَوِّقِينَ" كَأَنَّهُ قَالَ: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يُعَوِّقُونَ عَنِ الْقِتَالِ وَيَشِحُّونَ عَنِ الْإِنْفَاقِ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الْقَطْعِ مِنَ" الْقائِلِينَ" أَيْ وَهُمْ أَشِحَّةً. وَيَجُوزُ أَنْ تَنْصِبَهُ عَلَى الْقَطْعِ مِمَّا فِي" يَأْتُونَ"، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا جُبَنَاءَ بُخَلَاءَ. وَيَجُوزُ أَنْ تَنْصِبَ" أَشِحَّةً" عَلَى الذَّمِّ. فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ الرَّابِعِ يَحْسُنُ أَنْ تَقِفَ عَلَى قَوْلِهِ:" إِلَّا قَلِيلًا"." أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ" وَقْفٌ حَسَنٌ. وَمِثْلُهُ" أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ" حَالٌ مِنَ الْمُضْمَرِ فِي" سَلَقُوكُمْ" وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهِ. (فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) وَصَفَهُمْ بِالْجُبْنِ، وَكَذَا سَبِيلُ الْجَبَانِ يَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا مُحَدِّدًا بَصَرَهُ، وَرُبَّمَا غُشِيَ عَلَيْهِ. وَفِي" الْخَوْفُ" وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: مِنْ قِتَالِ الْعَدُوِّ إِذَا أَقْبَلَ، قَالَهُ السُّدِّيُّ. الثَّانِي: الْخَوْفُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَلَبَ، قَالَهُ ابْنُ شَجَرَةَ." رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ" خَوْفًا مِنَ الْقِتَالِ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ. وَمِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الثَّانِي." تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ" لِذَهَابِ عُقُولِهِمْ حَتَّى لَا يَصِحَّ مِنْهُمُ النَّظَرُ إِلَى جِهَةٍ. وَقِيلَ: لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ حَذَرًا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْقَتْلُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. (فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ) وَحَكَى الْفَرَّاءُ" صَلَقُوكُمْ" بِالصَّادِ. وَخَطِيبٌ مِسْلَاقٌ وَمِصْلَاقٌ إِذَا كَانَ بَلِيغًا. وَأَصْلُ الصَّلْقِ الصَّوْتُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَعَنَ اللَّهُ الصالقة والحالقة والشاقة). قال الأعشى:

---

(١). ما بين المربعين من كتاب النحاس وهو واضح. وعبارة الأصول: (وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا يأتونه أشحة أي أشحة على الفقراء بالغنيمة جبناء).." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/١٥٣>

"بِقَتْلِهِمْ وَأَخْذِهِمْ، أَيْ هَذَا حُكْمُهُمْ إِذَا كَانُوا مُقِيمِينَ عَلَى النِّفَاقِ وَالْإِرْجَافِ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَمْسٌ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ). فَهَذَا فِيهِ مَعْنَى الْأَمْرِ كَالْآيَةِ سَوَاءٌ. النَّحَّاسُ: وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الْآيَةِ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ قَدِ انْتَهَوْا عَنِ الْإِرْجَافِ فَلَمْ يُغْرَ بِهِمْ. وَلَامُ" لَنُغْرِيَنَّكَ" لَامُ الْقَسَمِ، وَالْيَمِينُ وَاقِعَةٌ عَلَيْهَا، وَأُدْخِلَتِ اللَّامُ فِي" إِنْ" تَوْطِئَةً لَهَا. الثَّالِثَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (ثُمَّ لَا يُجاوِرُونَكَ فِيها) أَيْ فِي الْمَدِينَةِ." إِلَّا قَلِيلًا" نُصِبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي" يُجاوِرُونَكَ"، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا

إِلَّا أَقِلَّاءَ. فَهَذَا أَحَدُ جَوَابَيِ الْفَرَّاءِ، وَهُوَ الْأَوْلَى عِنْدَهُ، أَيْ لَا يُجَاوِرُونَكَ إِلَّا فِي حَالِ قِلَّتِهِمْ. وَالْجَوَابُ الْآخَرُ- أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى إِلَّا وَقْتًا قَلِيلًا، أَيْ لَا يَبْقَوْنَ مَعَكَ إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً، أَيْ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا جِوَارًا قَلِيلًا حَتَّى يَهْلِكُوا، فَيَكُونُ نَعْتًا لِمَصْدَرٍ أَوْ ظَرْفٍ مَحْذُوفٍ. وَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ سَاكِنًا بِالْمَدِينَةِ فَهُوَ جَارٌ. وَقَدْ مَضَى فِي" النِّسَاءِ" «١». الرَّابِعَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (مَلْعُونِينَ) هَذَا تَمَامُ الْكَلَامِ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" قَلِيلًا مَلْعُونِينَ" وَقْفٌ حَسَنٌ. النَّحَّاسُ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّمَامُ" إِلَّا قَلِيلًا" وَتُنْصَبُ" مَلْعُونِينَ" عَلَى الشَّتْمِ. كَمَا قَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ:" وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ". وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ النَّحْوِيِّينَ أَنَّهُ قَالَ: يَكُونُ الْمَعْنَى أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا مَلْعُونِينَ. وَهَذَا خَطَأٌ لَا يَعْمَلُ مَا [كَانَ «٢»] مَعَ الْمُجَازَاةِ فِيمَا قَبْلَهُ وَقِيلَ: مَعْنَى الْآيَةِ إِنْ أَصَرُّوا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينة إِلَّا وَهُمْ مَطْرُودُونَ مَلْعُونُونَ. وَقَدْ فُعِلَ بِهِمْ هَذَا، فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ" بَرَاءَةَ" جُمِعُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا فُلَانُ قُمْ فَاخْرُجْ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ وَيَا فُلَانُ قُمْ) فَقَامَ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَوَلَّوْا إِخْرَاجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ. الْخَامِسَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (سُنَّةَ اللَّهِ) نصب على المصدر، أي سن الله عز وجل فِيمَنْ أَرْجَفَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَأَظْهَرَ نِفَاقَهُ أَنْ يُؤْخَذَ وَيُقْتَلَ. (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) أَيْ تَحْوِيلًا وَتَغْيِيرًا، حَكَاهُ النَّقَّاشُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي أَنَّ مَنْ قُتِلَ بِحَقٍّ فَلَا دِيَةَ عَلَى قاتله.

---

(١). راجع ج ٥ ص ١٨٣ فما بعد.

(٢). زيادة عن النحاس.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٢٤٧>

"يَا رَجُلُ فَالْأَوْلَى بِهَا الضَّمُّ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ"" يس" وَقْفٌ حَسَنٌ لِمَنْ قَالَ هُوَ افْتِتَاحٌ لِلسُّورَةِ. وَمَنْ قَالَ: مَعْنَى" يس" يَا رَجُلُ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عباس مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ مَعْنَاهُ يَا إِنْسَانُ، وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:" سَلامٌ عَلى إِلْ ياسِينَ" [الصافات: ١٣٠] أَيْ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَلِيلُهُ" إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ". قَالَ السَّيِّدُ الْحِمْيَرِيُّ:

يَا نَفْسُ لَا تَمْحَضِي بالنصح جاهدة ... وعلى الْمَوَدَّةِ إِلَّا آلَ يَاسِينَ

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: مَعْنَاهُ يَا سَيِّدَ الْبَشَرِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، قَالَ مَالِكٌ. رَوَى عَنْهُ أَشْهَبُ قَالَ: سَأَلْتُهُ هَلْ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَسَمَّى بِيَاسِينَ؟ قَالَ: مَا أُرَاهُ يَنْبَغِي لِقَوْلِ اللَّهِ:" يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ" يَقُولُ هَذَا اسْمِي يس. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ هَذَا كَلَامٌ بَدِيعٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَسَمَّى بِاسْمِ الرَّبِّ إِذَا كَانَ فِيهِ مَعْنًى مِنْهُ، كَقَوْلِهِ: عَالِمٌ وَقَادِرٌ وَمُرِيدٌ وَمُتَكَلِّمٌ. وَإِنَّمَا منع مالك من بالتسمية" يسئن"، لِأَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ لَا يُدْرَى

مَعْنَاهُ، فَرُبَّمَا كَانَ مَعْنَاهُ يَنْفَرِدُ بِهِ الرَّبُّ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ. فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:" سَلامٌ عَلى إِلْ ياسِينَ" [الصافات: ١٣٠] «١» قُلْنَا: ذَلِكَ مَكْتُوبٌ بِهِجَاءٍ فَتَجُوزُ التَّسْمِيَةُ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي لَيْسَ بِمُتَهَجًّى هُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ مَالِكٌ عَلَيْهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِشْكَالِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: افْتَتَحَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ بِالْيَاءِ وَالسِّينِ وَفِيهِمَا مَجْمَعُ الْخَيْرِ: وَدَلَّ الْمُفْتَتَحُ عَلَى أَنَّهُ قَلْبٌ، وَالْقَلْبُ أَمِيرٌ عَلَى الْجَسَدِ، وَكَذَلِكَ" يس" أَمِيرٌ عَلَى سَائِرِ السُّوَرِ، مُشْتَمِلٌ عَلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ. ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيهِ أَيْضًا، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ: هُوَ بِلُغَةِ الْحَبَشَةِ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ بِلُغَةِ طَيٍّ. الْحَسَنُ: بِلُغَةِ كَلْبٍ. الْكَلْبِيُّ: هُوَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ فَتَكَلَّمَتْ بِهِ الْعَرَبُ فَصَارَ مِنْ لُغَتِهِمْ. وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي [طه] وَفِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ مُسْتَوْفًى. وَقَدْ سَرَدَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَقْوَالَ الْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْنَى" يس" فَحَكَى أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِي عِنْدَ رَبِّي عَشَرَةُ أَسْمَاءٍ" ذَكَرَ أَنَّ مِنْهَا طه وَيس اسْمَانِ لَهُ.

---

(١). راجع ج ١١ ص ١٦٥ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية. وج ١ ص ٦٧ وما بعدها طبعه ثانية.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/١٥>

"" مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ" [لقمان: ٢٨]، وَقَالَ:" يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ" [القمر: ٧]، وفي" سائل سائل": [المعارج: ١] " يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ" [المعارج: ٤٣] أَيْ يُسْرِعُونَ. وَفِي الْخَبَرِ: شَكَوْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَّعْفَ فَقَالَ:" عَلَيْكُمْ بِالنَّسْلِ" أَيْ بِالْإِسْرَاعِ فِي الْمَشْيِ فَإِنَّهُ يُنَشِّطُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (قالُوا يا وَيْلَنا) قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" يَا وَيْلَنَا" وَقْفٌ حَسَنٌ ثُمَّ تَبْتَدِئُ" مَنْ بَعَثَنَا" وروي عن بعض القراء" يَا وَيْلَنَا مِنْ بَعْثِنَا" بِكَسْرِ مِنْ وَالثَّاءِ مِنَ الْبَعْثِ. رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ:" يَا وَيْلَنَا" حَتَّى يَقُولَ:" مِنْ مَرْقَدِنا". وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ" مَنْ هَبَّنَا" بِالْوَصْلِ" مِنْ مَرْقَدِنا" فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ الْعَامَّةِ. قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: قَرَأَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى:" قَالُوا يَا وَيْلَتَنَا" بِزِيَادَةِ تاء وهو تأنيث الوصل، ومثله:" يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ" [هود: ٧٢]. وَقَرَأَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" يَا وَيْلَتَا مِنْ بَعْثِنَا" فَ" مِنْ" مُتَعَلِّقَةٌ بِالْوَيْلِ أَوْ حال من" وَيْلَتى " فَتَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: يَا وَيْلَتَا كَائِنًا مِنْ بَعْثِنَا، وَكَمَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْهُ كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْهُ. و" الرَّحْمنِ" مِنْ قَوْلِهِ:" مِنْ مَرْقَدِنا" مُتَعَلِّقَةٌ بِنَفْسِ الْبَعْثِ. ثُمَّ قِيلَ: كَيْفَ قَالُوا هَذَا وَهُمْ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ فِي قُبُورِهِمْ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قَالَ: يَنَامُونَ نَوْمَةً. وَفِي رِوَايَةٍ فَيَقُولُونَ: يا ويلنا مَنْ أَهَبَّنَا مِنْ مَرْقَدِنَا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ: لَا يُحْمَلُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ" أهبنا" من لفظ القرآن كما قال مَنْ طَعَنَ فِي الْقُرْآنِ،

وَلَكِنَّهُ تَفْسِيرُ" بَعَثَنا" أَوْ مُعَبِّرٌ عَنْ بَعْضِ مَعَانِيهِ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَكَذَا حَفِظْتُهُ" مَنْ هَبَّنَا" بِغَيْرِ أَلِفٍ فِي أَهَبَّنَا مَعَ تَسْكِينِ نُونِ مَنْ. وَالصَّوَابُ فِيهِ عَلَى طَرِيقِ اللُّغَةِ" مَنَ اهَبَّنَا" بِفَتْحِ النُّونِ عَلَى أَنَّ فَتْحَةَ هَمْزَةِ أَهَبَّ أُلْقِيَتْ عَلَى نُونِ" مَنْ" وَأُسْقِطَتِ الْهَمْزَةُ، كَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ: مَنَ اخْبَرَكَ مَنَ اعْلَمَكَ؟ وَهُمْ يُرِيدُونَ مَنْ أَخْبَرَكَ. وَيُقَالُ: أَهْبَبْتُ النَّائِمَ فَهَبَّ النَّائِمُ. أَنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النَّحْوِيُّ:

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وَلَمْ يَعْتَمِرْنِي قَبْلَ ذَاكَ عَذُولُ

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: إِذَا نُفِخَ النَّفْخَةُ الْأُولَى رُفِعَ الْعَذَابُ عَنْ أَهْلِ الْقُبُورِ وَهَجَعُوا هَجْعَةً إِلَى النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً، فَذَلِكَ قولهم:" من بعثنا من مرقدنا" وقال ابن." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٤١>

"عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ. وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: إِنَّ الْكُفَّارَ إِذَا عَايَنُوا جَهَنَّمَ وَمَا فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ صَارَ مَا عُذِّبُوا بِهِ فِي قُبُورِهِمْ إِلَى جَنْبِ عَذَابِهَا كَالنَّوْمِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: فَقَالَ لَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ" هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ". قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ لَهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ:" هَذَا ما وعد الرحمن". وقال الفراء: فقال لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ:" هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ". النَّحَّاسُ: وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَّفِقَةٌ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمِمَّنْ هَدَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَعَلَى هَذَا يُتَأَوَّلُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ" [البينة: ٧] وَكَذَا الْحَدِيثُ: (الْمُؤْمِنُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ). وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَلَائِكَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا لَهُمْ:" هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ". وَقِيلَ: إِنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:" مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا" صَدَّقُوا الرُّسُلَ لَمَّا عَايَنُوا مَا أَخْبَرُوهُمْ بِهِ، ثُمَّ قَالُوا" هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ" فَكَذَّبْنَا بِهِ، أَقَرُّوا حِينَ لَمْ يَنْفَعْهُمُ الْإِقْرَارُ. وَكَانَ حَفْصٌ يَقِفُ عَلَى" مِنْ مَرْقَدِنا" ثُمَّ يَبْتَدِئُ فَيَقُولُ:" هَذَا". قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا" وَقْفٌ حَسَنٌ، ثُمَّ تَبْتَدِئُ:" هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ" وَيَجُوزُ أَنْ تَقِفَ عَلَى مَرْقَدِنَا هَذَا" فَتَخْفِضَ هَذَا عَلَى الْإِتْبَاعِ لِلْمَرْقَدِ، وَتَبْتَدِئَ:" مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ" عَلَى مَعْنَى بَعَثَكُمْ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ، أَيْ بَعَثَكُمْ وَعْدُ الرَّحْمَنِ. النَّحَّاسُ: التَّمَامُ عَلَى" مِنْ مَرْقَدِنا" وَ" هَذَا" فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ وَخَبَرُهُ" مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ". وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عَلَى النَّعْتِ لِ" مَرْقَدِنا" فَيَكُونُ التَّمَامُ" مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا"." مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ" فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ. ذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ قَالَ: يَكُونُ بِإِضْمَارِ هَذَا. وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى حَقٌّ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ بَعْثُكُمْ. وَالْجِهَةُ الثَّالِثَةُ أن يكون بمعنى مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ." إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً" يَعْنِي إِنَّ بَعْثَهُمْ وَإِحْيَاءَهُمْ كَانَ بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ قَوْلُ إِسْرَافِيلَ: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، والأوصال المقتطعة وَالشُّعُورُ الْمُتَمَزِّقَةُ! إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لفصل القضاء. وهذا معنى قول الْحَقِّ:" يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ." [ق:

٤٢]. وقال:" مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ" [القمر: ٨] عَلَى مَا يَأْتِي. وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِنْ صَحَّ عَنْهُ" إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٢/١٥>

"وَفِي الْخَبَرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عُدْنَ أَبْكَارًا." وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعَانِقُ الْحَوْرَاءَ سَبْعِينَ سَنَةً، لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ، كُلَّمَا أَتَاهَا وَجَدَهَا بِكْرًا، وَكُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهَا عَادَتْ إِلَيْهِ شَهْوَتُهُ، فَيُجَامِعُهَا بِقُوَّةِ سَبْعِينَ رَجُلًا، لَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَنِيٌّ، يَأْتِي مِنْ غَيْرِ مَنِيٍّ مِنْهُ وَلَا مِنْهَا." لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ" ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ." وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ" الدَّالُ الثَّانِيَةُ مُبْدَلَةٌ مِنْ تَاءٍ، لِأَنَّهُ يَفْتَعِلُونَ مِنْ دَعَا أَيْ مَنْ دَعَا بِشَيْءٍ أُعْطِيهِ. قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَمَعْنَى" يَدَّعُونَ" يَتَمَنَّوْنَ مِنَ الدُّعَاءِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَنَّ مَنِ ادَّعَى مِنْهُمْ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ طَبَعَهُمْ عَلَى أَلَّا يَدَّعِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا مَا يَجْمُلُ وَيَحْسُنُ أَنْ يَدَّعِيَهُ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ:" يَدَّعُونَ" يَشْتَهُونَ. ابْنُ عَبَّاسٍ. يَسْأَلُونَ. وَالْمَعْنَى متقارب. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ" وَقْفٌ حَسَنٌ، ثُمَّ تَبْتَدِئُ:" سَلامٌ" عَلَى مَعْنَى ذَلِكَ لَهُمْ سَلَامٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرْفَعَ السَّلَامُ عَلَى مَعْنَى وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ مُسَلَّمٌ خَالِصٌ. فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَى" مَا يَدَّعُونَ". وَقَالَ الزَّجَّاجُ:" سَلامٌ" مَرْفُوعٌ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ" مَا" أَيْ وَلَهُمْ أَنْ يُسَلِّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مُنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لهم نور فرفعوا رؤوسهم فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالَى قَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ:" سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ". فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شي مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ فَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ" ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ وَالْقُشَيْرِيُّ. وَمَعْنَاهُ ثَابِتٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي" يُونُسَ" «١» عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:" لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ" [يونس: ٢٦]. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ" مَا" نَكِرَةً، وَ" سَلامٌ" نَعْتًا لَهَا، أَيْ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ مُسَلَّمٌ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ" مَا" رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَ" سَلامٌ" خَبَرٌ عَنْهَا. وَعَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ لَا يُوقَفُ عَلَى" وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ". وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ" سَلَامًا" يَكُونُ مَصْدَرًا، وَإِنْ شِئْتَ فِي موضع الحال، أي ولهم

---

(١). راجع ج ص ٢٣٠ طبعه أولى أو ثانيه.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٥/١٥>

"وَنَزَلَتِ الْآيَةُ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيُّ: وَهُوَ وَقْفٌ حسن، ثم تبتدى" رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ" عَلَى مَعْنَى هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ. النَّحَّاسُ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ" رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ"
خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ" وَاحِدٍ". قُلْتُ: وَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ لَا يُوقَفُ عَلَى" لواحد".

وحكى الأخفش:" رب السموات وَرَبَّ الْمَشَارِقِ" بِالنَّصْبِ عَلَى النَّعْتِ لِاسْمِ إِنَّ. بَيَّنَ سُبْحَانَهُ مَعْنَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهُ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ بِأَنَّهُ" رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ" أَيْ خَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا" وما بَيْنَهُما وَرَبُّ الْمَشارِقِ" أَيْ مَالِكُ مَطَالِعِ الشَّمْسِ. ابْنُ عَبَّاسٍ: لِلشَّمْسِ كُلُّ يَوْمٍ مَشْرِقٌ وَمَغْرِبٌ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ لِلشَّمْسِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسَةً وَسِتِّينَ كُوَّةً فِي مَطْلِعِهَا، وَمِثْلَهَا فِي مَغْرِبِهَا عَلَى عَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، تَطْلُعُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي كُوَّةٍ مِنْهَا، وَتَغِيبُ فِي كُوَّةٍ، لَا تَطْلُعُ فِي تِلْكَ الْكُوَّةِ إِلَّا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ. وَلَا تَطْلُعُ إِلَّا وَهِيَ كَارِهَةٌ فَتَقُولُ: رَبِّ لَا تُطْلِعْنِي عَلَى عِبَادِكَ فَإِنِّي أَرَاهُمْ يَعْصُونَكَ. ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ التَّمْهِيدِ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي كتاب الر د عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ" آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ" قَالَ: هُوَ حَقٌّ فَمَا أنكرتم من ذلك؟ قلت: أنكرنا قول:

والشمس تطلع كل آخر ليلة ... وحمراء يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ لَهُمْ فِي رسلها ... وإلا مُعَذَّبَةً وَإِلَّا تُجْلَدُ

مَا بَالُ الشَّمْسِ تُجْلَدُ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ حَتَّى يَنْخُسَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، فَيَقُولُونَ لَهَا اطْلُعِي اطْلُعِي، فَتَقُولُ لَا أَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ يَعْبُدُونَنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَأْتِيهَا مَلَكٌ فَيَسْتَقِلُّ لِضِيَاءِ بَنِي آدَمَ، فَيَأْتِيهَا شَيْطَانٌ يُرِيدُ أن يصدها عن الطلوع فتطلع بَيْنَ قَرْنَيْهِ فَيُحْرِقُهُ اللَّهُ تَعَالَى تَحْتَهَا، فَذَلِكَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَا طَلَعَتْ إِلَّا بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَلَا غَرَبَتْ إِلَّا بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَمَا غَرَبَتْ قَطُّ إِلَّا خَرَّتْ لِلَّهِ سَاجِدَةً فَيَأْتِيهَا شَيْطَانٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّهَا عَنِ السُّجُودِ فَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ فَيُحْرِقُهُ اللَّهُ تَعَالَى تَحْتَهَا" لَفْظُ ابْنِ الأنباري. وذكر." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٦٣>

"تَسَاوَيْنَ فِي الْحُسْنِ وَالشَّبَابِ، بَنَاتُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الْآدَمِيَّاتِ. وَ" أَتْرابٌ" جَمْعُ تِرْبٍ وَهُوَ نَعْتٌ لِقَاصِرَاتٍ، لِأَنَّ" قاصِراتُ" نَكِرَةٌ وَإِنْ كَانَ مُضَافًا إِلَى الْمَعْرِفَةِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ يَدْخُلَانِهِ كما قال:

من القاصرات الطرف لو دب محول ... ومن الذَّرِّ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لَأَثَّرَا «١»

قَوْلُهُ تَعَالَى:" هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسابِ" أَيْ هَذَا الْجَزَاءُ الَّذِي وُعِدْتُمْ بِهِ. وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالتَّاءِ أَيْ مَا تُوعَدُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ بِالْيَاءِ عَلَى الْخَبَرِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ السُّلَمِيِّ وَاخْتِيَارِ أَبِي عُبَيْدٍ وَأَبِي حَاتِمٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:" وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ" فَهُوَ خَبَرٌ." لِيَوْمِ الْحِسابِ" أَيْ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ، قَالَ الْأَعْشَى:

الْمُهِينِينَ مَا لهم لزمان ... والسوء حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا

أَيْ فِي زَمَانِ السُّوءِ. قَوْلُهُ تَعَالَى:" إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنا مَا لَهُ مِنْ نَفادٍ" دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، كَمَا قَالَ:" عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ" [هود: ١٠٨] وقال:" فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ." [التين: ٦].

[سورة ص (٣٨): الآيات ٥٥ الى ٦١]

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ (٥٩)

قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ (٦٠) قالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هَذَا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ (٦١)

قَوْلُهُ تَعَالَى:" هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ" لَمَّا ذَكَرَ مَا لِلْمُتَّقِينَ ذَكَرَ مَا لِلطَّاغِينَ. قَالَ الزَّجَّاجُ:" هَذَا" خَبَرُ ابْتِدَاءٍ مَحْذُوفٌ أَيِ الْأَمْرُ هَذَا فَيُوقَفُ عَلَى" هَذَا" قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" هَذَا" وَقْفٌ حَسَنٌ. ثُمَّ تَبْتَدِئُ" وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ" وهم الذين كذبوا الرسل.

---

(١). قائله امرؤ القيس. المحول: الصغير. والإتب: درع المرأة. وبرده تشق فتلبس من غير كمين ولا جبب. [.....]." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٢٢٠>

"إِلَّا وَهُوَ يُعَاتِبُ نَفْسَهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمْ. قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ وَاللَّهِ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ، مَا يُرَى الْمُؤْمِنُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ: مَا أَرَدْتُ بِكَلَامِي؟ مَا أَرَدْتُ بِأَكْلِي؟ مَا أَرَدْتُ بِحَدِيثِ نَفْسِي؟ وَالْفَاجِرُ لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ الَّتِي تَلُومُ عَلَى مَا فَاتَ وَتَنْدَمُ، فَتَلُومُ نَفْسَهَا عَلَى الشَّرِّ لِمَ فَعَلَتْهُ، وَعَلَى الْخَيْرِ لِمَ لَا تَسْتَكْثِرُ مِنْهُ. وَقِيلَ: إِنَّهَا ذَاتُ اللَّوْمِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا تَلُومُ نَفْسَهَا بِمَا تَلُومُ عَلَيْهِ غَيْرَهَا، فَعَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ تَكُونُ اللَّوَّامَةُ بِمَعْنَى اللَّائِمَةِ، وَهُوَ صفة مدح، وعلى هذا يجئ الْقَسَمُ بِهَا سَائِغًا حَسَنًا. وَفِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ: إِنَّهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَزَلْ لَائِمًا لِنَفْسِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ الَّتِي أُخْرِجَ بِهَا مِنَ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: اللَّوَّامَةُ بِمَعْنَى الْمَلُومَةِ الْمَذْمُومَةِ- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا- فَهِيَ صِفَةُ ذَمٍّ وَهُوَ قَوْلُ مَنْ نَفَى أَنْ يَكُونَ قَسَمًا، إِذْ لَيْسَ لِلْعَاصِي خَطَرٌ يُقْسَمُ بِهِ، فَهِيَ كَثِيرَةُ اللَّوْمِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ نَفْسُ الْكَافِرِ يَلُومُ نَفْسَهُ، وَيَتَحَسَّرُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ مُحْسِنَةٍ أَوْ مُسِيئَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَلُومُ نَفْسَهَا، فَالْمُحْسِنُ يَلُومُ نَفْسَهُ أَنْ لَوْ كَانَ ازْدَادَ إِحْسَانًا، وَالْمُسِيءُ يَلُومُ نَفْسَهُ أَلَّا يَكُونَ ارْعَوَى عَنْ إِسَاءَتِهِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) فَنُعِيدَهَا خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ أَنْ صَارَتْ رُفَاتًا. قَالَ الزَّجَّاجُ: أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ: لَيُجْمَعَنَّ الْعِظَامَ لِلْبَعْثِ، فَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ. وَقَالَ النَّحَّاسُ: جَوَابُ الْقَسَمِ مَحْذُوفٌ أَيْ لَتُبْعَثُنَّ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: أَيَحْسَبُ

الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ لِلْإِحْيَاءِ وَالْبَعْثِ. وَالْإِنْسَانُ هُنَا الْكَافِرُ الْمُكَذِّبُ لِلْبَعْثِ. الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي عَدِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَدِّثْنِي عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَتَى تَكُونُ، وَكَيْفَ أَمْرُهَا وَحَالُهَا؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: لَوْ عَايَنْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَمْ أُصَدِّقْكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَمْ أؤمن به، أو يجمع اللَّهُ الْعِظَامَ؟! وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ اكْفِنِي جَارَيِ السُّوءِ عَدِيَّ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ). وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ حِينَ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَذَكَرَ الْعِظَامَ وَالْمُرَادُ نَفْسُهُ كُلُّهَا، لِأَنَّ الْعِظَامَ قَالَبُ الْخَلْقِ. بَلى **وَقْفٌ حَسَنٌ** ثُمَّ تَبْتَدِئُ قادِرِينَ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: عَلَى مَعْنَى نَجْمَعُهَا قَادِرِينَ، فَ- قادِرِينَ حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ الْمُضْمَرِ فِي الْفِعْلِ الْمَحْذُوفِ عَلَى ما ذكرناه." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩/٩٣<

"ومُؤْمِنِينَ البقرة: [٩٣] أكفى منه.

وقد يكون الوقف كافيا على تفسير أو إعراب غير كاف على غيره؛ نحو: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ [البقرة: ١٠٢] كاف على أن ما نافية، حسن على أنها موصولة، ونحو وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ [البقرة: ٤] كاف على أن أُولئِكَ [البقرة: ٥] مبتدأ، حسن على أنها] (١) خبر الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [٣].

وقد يكون كافيا على قراء غير كاف على غيرها، نحو: يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ [البقرة: ٢٨٤]، كاف على رفع فَيَغْفِرُ [٢٨٤] حسن على جزمه.

ثم كمل فقال:

ص:

قف وابتدئ وإن بلفظ فحسن ... فقف ولا تبدأ سوى الآى يسن

ش: (قف) طلبية، و (ابتدئ) معطوفة عليها، والمفعول محذوف، أى: قف على التام والكافى وابتدئ بما بعدهما، و (إن) شرط، وفعله (٢) تعلق (٣) ب (لفظ)، وجوابه (فحسن)، وفاء (فقف) سببية، وهى طلبية، و (لا تبدا (٤)) معطوفة عليها، أى: قف عليه ولا تبدأ بما بعده، و (سوى الآى) مستثنى من الابتداء، و (يسن) (٥) خبر [لمبتدإ محذوف] (٦)، أى: هو يسن.

أى: قف على **الوقف التام** والكافى وابتدئ بما بعدهما.

والوقف الحسن: هو الذى يتعلق ما بعده بما قبله فى اللفظ؛ فيجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظى، إلا أن يكون رأس آية فإنه يجوز فى اختيار أكثر أهل الأداء؛ لمجيئه (٧) عن النبى صلى الله عليه وسلم، ففي حديث أم سلمة «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان [إذا قرأ آية آية] (٨) يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة: ١] ثم [يقف] (٩)، ثم يقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ [الفاتحة: ٢] ثم يقف، ثم يقول: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة: ٣] ثم يقف».

رواه أبو داود ساكتا عليه والترمذى وأحمد (١٠)، وأبو عبيد وغيرهم، وسنده صحيح، لذلك عد بعضهم (١١) الوقف على رءوس الآى [فى ذلك سنة (١٢)، وتبعه المصنف، وقال أبو عمرو: وهو أحب [إلى] (١٣)، واختاره البيهقى (١٤) وغيره وقالوا: الأفضل الوقف على رءوس

---

(١) سقط فى م.

(٢) فى م: وفعلية.

(٣) فى د: معلق، وفى ص: يتعلق.

(٤) فى م: والابتداء.

(٥) فى ز: وليس.

(٦) فى د، ز، ص: لمحذوف.

(٧) فى ز: المجيبة.

(٨) فى ص: إذا قرأ آية.

(٩) سقط فى م.

(١٠) تقدم.

(١١) فى ز: بعض.

(١٢) فى ص: **الوقف التام** الوقف عليه سنة.

(١٣) سقط فى ز، م.

(١٤) فى د، ص: أيضا.." <شرح طيبة النشر للنويري، النويري، محب الدين ١/٢٦٤>

"مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ [النحل: ٦٠]، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ [الماعون: ٤] فالوقف على ذلك كله لا يجوز إلا اضطرارا؛ لانقطاع النفس [ونحو ذلك] (١) من عارض لا يمكنه الوصل معه.

تتمة: الابتداء لا يكون إلا اختياريّا؛ لأنه ليس كالوقف تدعو إليه الضرورة (٢)؛ فلا يجوز إلا بمستقل بالمعنى موف بالمقصود، وهو فى أقسامه كالوقف، ويتفاوت تماما، وكفاية، وحسنا، وقبحا (٣)؛ بحسب التمام وعدمه، وفساد المعنى وإحالته، نحو الوقف على: وَمِنَ النَّاسِ [البقرة: ٨] فإن الابتداء بالناس قبيح، فلو وقف

على مَنْ يَقُولُ

[البقرة: ٨] كان الابتداء ب يَقُولُ أحسن من الابتداء ب مِنَ، وكذا الوقف على خَتَمَ اللَّهُ [البقرة: ٧] قبيح، والابتداء ب اللَّهُ أشد منعا، وب خَتَمَ أقبح منهما. والوقف على بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ [البقرة: ١٢٠] ضرورة، والابتداء بما بعده (٤) قبيح وكذا بما قبله، بل من أول الكلام.

[و] قد يكون **الوقف حسنا** والابتداء به قبيحا، نحو: يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ [الممتحنة: ١] الوقف عليه (٥) حسن لتمام الكلام، والابتداء ب وَإِيَّاكُمْ قبيح لفساد المعنى، وقد يكون الوقف قبيحا والابتداء به جيد، نحو: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا [يس: ٥٢] للفصل (٦) فى الوقف بين (٧) المبتدأ وخبره والابتداء بها (٨) كاف أو تام؛ لأنه وما بعده جملة مستأنفة [رد] (٩) بها قولهم. والله أعلم.

ص:

وليس فى القرآن من وقف يجب ... ولا حرام غير ما له سبب

ش: (فى القرآن) (١٠) خبر مقدم، و (وقف) اسم (ليس) و (من) زائدة للتوكيد و (يجب) صفة (وقف)، و (لا حرام) بالجر عطفا (١١) على محل (يجب) (١٢)؛ لأنه فى تقدير: ليس فى القرآن من وقف واجب ولا حرام، مثل قوله تعالى: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ [الأنعام: ٩٥]، و (غير) يجوز نصب رائها على الاستثناء وجرها على الإتباع، و (ما) يجوز أن تكون نكرة موصوفة و (له سبب) صفتها، و [يجوز أن تكون] موصولة فصلتها.

أى: ليس فى القرآن وقف واجب ولا حرام إلا ما حصل فيه سبب يوجب تحريمه كما

---

(١) سقط من ز.

(٢) فى د: ضرورة.

(٣) فى ز: وقبيحا.

(٤) فى م: بعدهما.

(٥) فى م: على وإياكم.

(٦) فى ز: الفصل.

(٧) فى ز، م: على.

(٨) فى م، د: به.

(٩) سقط فى م.

(١٠) فى م: الوقف.

(١١) فى ص: عطف.

(١٢) فى م، ص: وجب.." <شرح طيبة النشر للنويري، النويري، محب الدين ١/٢٦٦>

"كمالك يوم الدين، وفي البحر أن في قوله وعبد الطاغوت اثنتين وعشرين قراءة، وفي أف* لغات أوصلها الرماني إلى سبعة وثلاثين لغة.

قال في فتح الباري: قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وقال مكي ابن أبي طالب، وأما من ظن أن قراءة هؤلاء القراء السبعة، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطا عظيما. قال: ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة ووافق خط المصحف العثماني لا يكون قرآنا وهذا غلط عظيم (١)، إذ لا شك أن هذه القراءات السبع مقطوع بها من عند

بعده كما تقرر كقوله تعالى محمد رسول الله فإنه مبتدأ وخبر، فهو مستغن عن غيره وإن كانت الآيات إلى آخر السورة قصة واحدة. وبذلك علم أن **الوقف الحسن** هو التام، لكن له تعلق ما بما بعده، وقيل الحسن ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كما تقرر لتعلقه به لفظا ومعنى كقوله تعالى الحمد لله رب العالمين والرحمن الرحيم ومالك يوم الدين لأن المراد مفهوم، والابتداء برب العالمين وبالرحمن الرحيم وبملك يوم الدين قبيح، لأنها مجرورة تابعة لما قبلها. والكافي ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده إلا أن له به تعلقا معنويا كالوقف على حرمت

---

١ – موافقتها لرسم المصحف ولو احتمالا.

٢ – موافقتها لوجه من وجوه اللغة.

٣ – صحة إسنادها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد جمع الإمام ابن الجزري هذه الشروط الثلاثة فقال في طيبته:

فكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالا يحوي

وصح إسنادا هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

وللاستزادة راجع «الإرشادات الجلية» (١٦، ١٧).

(١) هذا كلام صحيح، لأن قراءات الأئمة الثلاثة المتممة للعشرة هي قراءات متواترة أيضا عن النبي."

<منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٢٠>

"في نفسه مفيد يحسن الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظي، وإن رفع رب على إضمار مبتدأ أو نصب على المدح وبه قرئ، وحكى سيبويه الحمد لله أهل الحمد برفع اللام ونصبها، فلا يقبح الابتداء به كأن يكون رأس آية نحو رب العالمين* يجوز الوقف عليه، لأنه رأس آية، وهو سنة، وإن تعلق ما بعده بما قبله لما ثبت متصل الإسناد إلى أم سلمة رضي الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف، ثم يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف، ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف» (١) وهذا أصل معتمد في الوقف على رءوس الآي، وإن كان ما بعد كل مرتبطا بما قبله ارتباطا معنويا، ويجوز الابتداء بما بعده لمجيئه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون **الوقف حسنا** على قراءة، غير حسن على أخرى، نحو الوقف على مترفيها (٢) فمن قرأ أمرنا بالقصر والتخفيف وهي قراءة العامة من الأمر: أي أمرناهم بالطاعة فخالفوا فلا يقف على مترفيها، ومن قرأ آمرنا (٣) بالمد والتخفيف بمعنى كثرنا، أو قرأ أمرنا بالقصر والتشديد من الإمارة بمعنى

ذكر ياءات حذفت خطأ لسقوطها درجا والعربية توجب إثباتها وهي الياءات التي هي لامات الفعل، وكلها في محل الرفع نحو: وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما، ويقص الحق، حقا علينا ننج المؤمنين، لهاد الذين آمنوا، فيوقف عليها بالحذف تبعا للخط ويعقوب يثبتها وقفا، وحذفت من: إن يردن الرحمن في يس، وليست من الياءات، لأنها ليست من نفس الكلمة، وحذفت من الواد، ووقف عليها الكسائي بالياء حيث جاء وخالف أصله في اتباع الكتابة.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٦)، والترمذي (٢٩٢٤)، والنسائي (٣/ ٢١٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٢٩٤).

(٢) الإسراء: ١٦.

(٣) قراءة المد والتخفيف قراءة يعقوب، وأما قراءة أمرنا بالقصر والتشديد فشاذة.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٣٣>

"سلطنا حسن الوقف على مترفيها، وهما شاذان لا تجوز القراءة بهما، وقد يكون **الوقف حسنا** والابتداء قبيحا نحو يخرجون الرسول وإياكم (١) **الوقف حسن**، والابتداء بإياكم قبيح لفساد المعنى، إذ يصير تحذيرا عن الإيمان بالله تعالى. ولا يكون الابتداء إلا بكلام موف للمقصود. والجائز هو ما يجوز الوقف عليه وتركه، نحو وما أنزل من قبلك (٢) فإن واو العطف تقتضي عدم الوقف، وتقديم المفعول على الفعل يقتضي الوقف، فإن التقدير ويوقنون بالآخرة، لأن الوقف عليه يفيد معنى وعلامته أن يكون فاصلا بين كلامين من متكلمين، وقد يكون الفصل من متكلم واحد كقوله لمن الملك اليوم (٣) الوقف جائز فلما لم يجبه أحد أجاب نفسه بقوله: لله الواحد القهار (٤) وكقوله: وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم (٥) هنا الوقف. ثم يبتدئ رسول الله على أنه منصوب بفعل مقدر، لأن اليهود لم يقروا بأن عيسى رسول الله، فلو وصلنا عيسى ابن مريم برسول الله لذهب فهم من

ذكر ياءات مقرونة بنون الجمع حال النصب والجر، والنون محذوفة للإضافة، والياء ثابتة خطا فتثبت لفظا في الوقف نحو: حاضري المسجد الحرام، ومحلى الصيد، والمقيمي الصلاة، ولا ترد وقفا إذ لم تثبت خطا، ولأن حكم الإضافة لم يزل بالوقف، وإلا لوجب أن لا يجر ما بعد الياء، لأن الجر إنما كان بالإضافة وقد زالت، فمن زعم رد النون فقد أخطأ وخرق الإجماع وزاد في القرآن ما ليس منه.

---

(١) الممتحنة: ١.

(٢) البقرة: ٤.

(٣) غافر: ١٦.

(٤) غافر: ١٦.

(٥) النساء: ١٥٧.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٣٤>

"من كل سورة إلا الشافعي، وقد أثبتها نصف القراء السبعة ونصفهم لم يثبتها، والمصحح للقسمة أن لنافع راويين أثبتها أحدهما والآخر لم يثبتها، وقوة الشبهة بين الفريقين منعت التكفير من الجانبين اه، وفيها

ثلاثة وعشرون وقفا، أربعة تامة وستة جائزة يحسن الوقف عليها ولا يحسن الابتداء بما بعدها، لأن التعلق فيها من جهة اللفظ **والوقف حسن**، إذ الابتداء لا يكون إلا مستقلا بالمعنى المقصود، وثلاثة عشر يقبح الوقف عليها والابتداء بما بعدها، فالتامة أربعة: البسملة، والدين، ونستعين. والضالين على عد أهل الكوفة، وثلاثة على عد أهل المدينة والبصرة، وهو الدين، ونستعين والضالين، ومن قوله اهدنا إلى آخرها سؤال من العبد لمولاه متصل بعضه ببعض فلا يقطع لشدة تعلق بعضه ببعض. والجائزة الحمد لله، والعالمين، والرحيم، وإياك نعبد، والمستقيم، وأنعمت عليهم، لكونه رأس آية، وإنما جاز الوقف عليها على

وجه التسامح، ولا ينبغي الوقف على الأخير سواء نصب غير بدلا أو نعتا أو حالا، أو على الاستثناء. قال أبو العلاء الهمداني: ومن قرأ غير بالرفع خبر مبتدإ محذوف حسن الابتداء به، وهي قراءة شاذة (١). والثلاثة عشر التي يقبح الوقف عليها والابتداء بما بعدها: الحمد، ومالك، ورب، ويوم، وإياك فيهما، واهدنا،

يكن من القرآن، لأنا مأمورون به عند القراءة، وعلى البسملة تام بل أتم، وتقديره ابتدائي بسم الله. أو أبتدئ بسم الله، وعلى (الحمد) غير جائز، لأنه لا يفيد، وقس به ما يشبهه، وعلى (لله) قبيح للفصل بين النعت والمنعوت، وعلى (رب) غير جائز لما مر، وللفصل بين المتضايفين اللذين هم كشيء واحد (العالمين) صالح، لأنه رأس آية، وليس تاما للزوم الابتداء بعده بالمجرور بغير جار (الرحيم) كاف وليس تاما، كذلك (الدين) تام و (نعبد) جائز وليس حسنا للفصل بين المتعاطفين (نستعين) تام

---

(١) قراءة شاذة لا تصح الصلاة بها ولا تعتبر قرآنا لأن ما يعتبر قرآنا هو ما اجتمعت فيه ثلاثة شروط كما أسلفنا وهي موافقة وجه من وجوه النحو ولو احتمالا، ٢ - أن يحتملها، الرسم، ٣ - أن يصح إسنادها.."

<منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٧٢>

"أخذها عن سليمان بن مهران الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد الصادق، وعرض القرآن على جماعة، منهم سفيان الثوري والحسن بن صالح، ومنهم إمام الكوفة في القراءات والعربية أبو الحسن الكسائي، ولم يقرأ حرفا من كتاب الله إلا بأثر صحيح، وكان حمزة إماما ضابطا صالحا جليلا ورعا مثبتا ثقة في الحديث وغيره وهو من الطبقة الثالثة، ولد سنة ثمانين وأحكم القرآن، وله خمس عشرة سنة، وأم الناس سنة مائة، وعرض عليه القرآن من نظرائه جماعة، وما قرأ به حمزة مخالف لأهل البصرة، فإنهم لا يعطفون على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض، وكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب

لم ينقله البصريون، ومن ذلك قول الشاعر: [الطويل]

إذا أوقدوا نارا لحرب عدوهم ... فقد خاب من يصلى بها وحميمها

بجر حميمها عطفا على الضمير المخفوض في بها، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، ولا التفات لمن طعن في هذه القراءة كالزجاج وابن عطية، وما ذهب إليه البصريون، وتبعهم الزمخشري من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار غير صحيح، بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك، وعلى هاتين القراءتين، أعني نصبه وجره كاف. وقرئ والأرحام بالرفع على أنه مبتدأ حذف خبره كأنه قيل والأرحام محترمة: أي واجب حرمتها فلا تقطعوها، حثهم الشارع على صلة الأرحام، ونبههم على أنه كان من حرمتها عندهم أنهم يتساءلون: أي يحلفون بها، فنهاهم عن ذلك، وحرمتها باقية وصلتها مطلوبة وقطعها محرم إجماعا، وعلى هذا يكون **الوقف حسنا** وليس

. . . .

الأرحام، ووجه جره عطفه على الضمير على مذهب الكوفيين، وقيل الوقف على أما به على النصب فبالإغراء، وأما على الجر فبالقسم: أي ورب الأرحام رقيبا حسن." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٢٠٣>

"مبينا كاف على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن جعل ما بعده في موضع الحال من الضمير المستتر في: خسر، والعامل في الحال خسر، لأنه لا يجوز الفصل بين الحال والعامل فيها والاستئناف في ذلك أظهر. قاله النكزاوي ويمنيهم حسن إلا غرورا كاف، ومثله: محيطا أبدا ليس بوقف، لأن وعد منصوب بما قبله فهو مصدر مؤكد لنفسه، وحقا مصدر مؤكد لغيره فوعد مؤكد لقوله: سندخلهم، وحقا مؤكد لقوله: وعد الله، وقيل تمييز حقا حسن قيلا تام: إن جعل ليس بأمانيكم مخاطبة للمسلمين مقطوعا عما قبله مستأنفا، وإن جعل مخاطبة للكفار الذين تقدم ذكرهم كان **الوقف حسنا**، وبكلا القولين قال أهل التفسير، فمن قال إنه مخاطبة للمسلمين مسروق، قال احتج المسلمون وأهل الكتاب. فقال المسلمون نحن أهدى منكم. فقال تعالى: ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ومن قال إنه مخاطبة للكفار وأنه متصل بما قبله مجاهد. قال مشركو العرب لن نعذب ولن نبعث. وقال أهل الكتاب:

نحن أبناء الله وأحباؤه، ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة وديننا قبل دينكم ونبينا قبل نبيكم، واختار هذا القول

محمد بن جرير ليكون الكلام متصلا بعضه ببعض، ولا يقطع ما بعده عما قبله إلا بحجة قاطعة. قاله النكزاوي أهل الكتاب كاف. وقال ابن الأنباري تام: لأنه آخر القصة على قول من جعل قوله: من يعمل سوءا يجز به عاما للمسلمين وأهل الكتاب، ومن جعله خاصا للمشركين جعل الوقف على ما قبله كافيا، فمن قال إنه عام لجميع الناس، وإن كل من عمل سيئة جوزي بها أبي بن كعب وعائشة، فمجازاة الكافر النار، ومجازاة المؤمن نكبات الدنيا، ومن قاله إنه

. . . .

منهما: تام، وفي البقية كاف مبينا كاف ويمنيهم حسن. وقال أبو عمرو:

كاف إلا غرورا كاف محيصا تام حقا حسن، وكذا: قبلا، وأهل." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٢٢٦>

"واحدا حسن يشركون كاف، على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن جعل ما بعده جملة في موضع الحال، ومن حيث كونه رأس آية يجوز الكافرون تام، على استئناف ما بعده وإن جعل ما بعده متعلقا بما قبله لم يتم: إلا أن يتم نوره، وكذا: الدين كله ليس بوقف، لأن لو قد اكتفى عن جوابها بما قبلها المشركون تام عن سبيل الله حسن، وقال أبو عمرو:

تام إن جعل والذين يكنزون في محل رفع بالابتداء وخبره فبشرهم، وليس بوقف إن جعل في محل نصب عطفا على إن كثيرا، وكأنه قال: إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون، والذين يكنزون يأكلون أيضا في سبيل الله الثاني ليس بوقف لمكان الفاء بعذاب أليم كاف، إن نصب يوم بمحذوف يدل عليه عذاب، أي: يعذبون يوم يحمى أو نصب باذكر مقدرا، وليس بوقف إن نصب يوم بقوله: أليم، أو بعذاب، ولكن نصبه بعذاب لا يجوز لأنه مصدر قد وصف قبل أخذ متعلقاته، فلا يجوز إعماله. وهذا الشرط في عمله النصب للمفعول به لا في عمله في الظرف والجار والمجرور، لأن الجوامد قد تعمل فيه مع عمله في المتعلق، ولو أعمل وصفه وهو أليم لجاز، أي: أليم عظيم قدره يوم يحمى عليها وظهورهم كاف، على استئناف ما بعده، لأن بعده قولا محذوفا تقديره، فيقال هذا الكي جزاء ما كنزتم لأنفسكم ولأنفسكم جائز تكنزون تام والأرض جائز حرم حسن

. . . .

يشركون حسن الكافرون تام، وكذا: المشركون عن سبيل الله حسن.

وقال أبو عمرو: تام، هذا إن جعل والذين يكنزون في محل رفع بالابتداء وخبره: فبشرهم. فإن جعل في محل نصب عطفا على كثيرا وكأنه قال: إن كثيرا منهم ليأكلون، والذين يكنزون يأكلون أيضا، لكن لم يكن **الوقف حسنا** ولا تاما بعذاب أليم كاف، وكذا: وظهورهم تكنزون تام أربعة حرم كاف ذلك الدين." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٣٣٥>

"الصدق، وكذا كاف إن رفع قول على قراءة من قرأه برفع اللام على أنه خبر مبتدإ محذوف، أي: ذلك قول الحق أو ذلك الكلام قول الحق، أو هو قول الحق يراد به عيسى ابن مريم لا ما تدعونه عليه، فليس هو بابن لله تعالى كما تزعم النصارى ولا لغير رشدة كما تزعم اليهود، وليس بوقف إن رفع قول بدلا من عيسى، لأنه لا يفصل بين البدل والمبدل منه بالوقف يمترون تام سبحانه حسن، والوقف على من ولد، وابتدئ بسبحانه كان **الوقف حسنا** أيضا كن جائز فيكون تام، لمن قرأ: وإن الله بكسر الهمزة على الابتداء أو خبر مبتدإ محذوف، أي: والأمر إن الله، قاله الكسائي: وليس بوقف لمن قرأ بفتحها عطفا على الصلاة فتكون إن في موضع خفض بإضمار الجار، أي: وأوصاني بالصلاة وبالزكاة، وبأن الله ربي فعلى هذا لا يوقف على فيكون، ولا على ما بين أول القصة إلى هنا إلا على سبيل التسامح لطول الكلام، وقياس سيبويه أن هذه الآية تكون من المقدم والمؤخر فتكون أن منصوبة بقوله: فاعبدوه فكأنه قال فاعبدوا الله لأنه ربي وربكم، أو نصب إن عطفا على قوله: إذا قضى أمرا، أي: وقضى بأن الله ربي وربكم فتكون أن في محل نصب فاعبدوه تام، ومثله: مستقيم من بينهم حسن، لأن ما بعده مبتدأ عظيم كاف، وقيل: تام يوم يأتوننا تجاوزه أجود للاستدراك بعده، ولجواز الوقف مدخل لقوم مبين كاف إذ قضي

. . . .

نصب قول الحق، وليس بوقف إن رفع يمترون تام سبحانه كاف، ولو وقف على من ولد وابتدأ بسبحانه كان كافيا أيضا كن صالح أو كاف فيكون تام لمن قرأ: وإن الله بكسر الهمزة، وليس بوقف لمن قرأه بفتحها عطفا

على بالصلاة أو بتقدير، وقضى بأن الله ربي ردا على قوله: إذا قضى أمرا، وإن علق بقوله: فاعبدوه أو بما يفسره، أي: فاعبدوه لأنه ربي وربكم حسن الوقف على فيكون فاعبدوه تام مستقيم حسن، وكذا: من بينهم عظيم تام يوم يأتوننا كاف." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٤٧٩>

"يتعلق بيكتم. قال إن الرجل لم يكن من آل فرعون وكان وقفه على مؤمن، ومن قال يتعلق برجل مؤمن: أي رجل مؤمن من آل فرعون كان نعتا له وكان الوقف على فرعون، وعلى كلا القولين ففيه الفصل بين القول ومقوله، **والوقف الحسن** الذي لا غبار عليه من ربكم لانتهاء الحكاية والابتداء بالشرط، وفي الحديث «الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس، ومؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب» رضي الله عنهم فعليه كذبه حسن، ومثله: يعدكم كذاب كاف ظاهرين في الأرض حسن، ومثله: إن جاءنا، وكذا: إلا ما أرى الرشاد تام الأحزاب ليس بوقف، لأن قوله مثل منصوب على البدل من مثل الأول، ومثله: في عدم الوقف عاد وثمود للعطف من بعدهم كاف، ومثله: للعباد التناد ليس بوقف، لأن قوله: يوم تولون مدبرين منصوب على البدل مما قبله ومدبرين حال مما قبله، وقرأ ابن عباس التناد بتشديد الدال مصدر تناد القوم، أي: ند بعضهم من بعض، من ند البعير إذا هرب ونفر، وابن كثير يقف عليها بالياء. قال الضحاك: إذا كان يوم القيامة يكشف للكفار عن جهنم فيندون كما يند البعير. قال أمية بن أبي الصلت:

وبث الخلق فيها إذ دحاها ... فهم سكانها حتى التنادي

من عاصم تام، للابتداء بالشرط، ومثله: من هاد، وجميع القراء

. . . .

وعلى الثاني يتعلق برجل مؤمن لأنه نعت له اه. ولا أحب الوقف عليهما لما فيه من الفصل بين القول ومقوله، لأن المقول لم يأت بعد، وهو: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله من ربكم صالح الذي يعدكم حسن، وكذا: كذاب، و: إن جاءنا الرشاد تام من بعدهم كاف، وكذا: للعباد، وقال أبو عمرو كأبي حاتم في الأول: تام من عاصم تام، وكذا: من هاد جاءكم به صالح من بعده رسولا كاف مرتاب صالح بغير سلطان أتاهم كاف، ومحلهما إذا نصب." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٦٧٦>

"جعل متصلا بما قبله أن أسلموا كاف، ومثله: إسلامكم للإيمان ليس بوقف، لأن الشرط الذي بعده جوابه ما قبله صادقين تام والأرض كاف، آخر السورة تام.

سورة ق مكية (١)

إلا قوله: ولقد خلقنا السموات والأرض الآية فمدني، آيها خمس وأربعون آية اتفاقا، وكلمها ثلاثمائة وثلاث وسبعون كلمة، وحروفها ألف وأربعمائة وسبعون حرفا.

والقرآن المجيد (٢) حسن، إن جعل جواب القسم ق أو محذوفا، أي: والله لتبعثن، وليس بوقف إن جعل ق قسما والقرآن قسما آخر، وفي جوابهما خلاف، فقيل: قد علمنا، أو هو ما يبدل، أو هو ما يلفظ، أو هو إن في ذلك لذكرى، أو هو بل عجبوا بمعنى لقد عجبوا، سواء جعل القسم والقرآن

صادقين تام والأرض كاف، آخر السورة تام.

سورة ق مكية إلا قوله: ولقد خلقنا السماوات الآية، فمدني.

وقد علم حكم ق والقرآن المجيد حسن، إن جعل جواب القسم ق أو محذوفا، أي: لتبعثن، وليس بوقف إن جعل جواب القسم: بل عجبوا بمعنى لقد عجبوا سواء

---

(١) وهي أربعون وخمس ومكية بالاتفاق، إلا قوله تعالى: ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب [٣٨] فمدني.

(٢) **وقف حسن**: إن كانت جملة والقرآن المجيد جواب القسم، وأما إذا كان هو قسما مستقلا بذاته فليس بوقف حينئذ لأن المعنى لا يتم إلا بعد ذكر جواب القسم، والذي يظهر أنه حتى لو جعلنا والقرآن المجيد قسما مستقلا بذاته فلا مانع من الوقف عليها وذلك اتباعا لسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالاتباع أولى.."

<منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٧٣٣>

"سورتا الفلق والناس (١)

ليس فيهما وقف دون آخرهما، وإن وقفت على رأس كل آية فحسن لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقف على رأس كل آية منهما، وسبب نزول السورتين أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل به اليهود حتى أخذ مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسنان مشطه فأعطاه لليهود فسحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي تولى ذلك لبيد بن الأعصم اليهودي ثم دسها في بئر

بني زريق يقال لها ذروان فمرض رسول الله وانتثر شعر رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يرى أنه يأتي النساء وما يأتيهن، ويخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، فبينما هو نائم ذات ليلة أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال أحدهما لصاحبه ما بال الرجل؟ قال طب، قال وما طب؟ قال سحر، وروي ما وجع الرجل؟ فقال مطبوب، فقال ومن سحره قال لبيد بن الأعصم، قال فيما ذا؟ قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. جف الطلعة: وعاؤها، قال وأين هو؟ قال في ذروان تحت راعوفة البئر: والراعوفة صخرة تترك في أسفل

سورة الفلق ليس فيها وقف كاف ولا تام، إلا آخرها فتام.

سورة الناس الخناس كاف، لمن رفع ما بعده خبرا لمبتدإ محذوف، أو نصبه على الذم بتقدير أعني، وليس بوقف لمن جره نعتا لما قبله، آخر السورة: تام، قاله أبو عمر، ولم يزد الأصل في سورتي الفلق والناس على قوله، وليس في الفلق والناس **وقف حسن** يعتمد، الله تعالى أعلم. تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه.

---

(١) سورة الناس وهي مدنية باتفاق وهي سبع في المكي والشامي وست في الباقي، والخلاف في آية من شر الوسواس [٤] مكي، شامي.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٨٦٩>

"(قالوا) عند بعثهم من القبور بالنفخة.

(يا ويلنا) نادوا ويلهم كأنهم قالوا له: احضر فهذا أوان حضورك، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، بل من معناه وهو هلك، وهؤلاء القائلون هم الكفار. قال ابن الأنباري: الوقف على يا ويلنا **وقف حسن**، ثم يبتدىء الكلام بقوله:

(من بعثنا من مرقدنا) أي مضجعنا ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم من الفزع أنهم كانوا نياماً. قرىء: من بعثنا على الاستفهام وبكسر الميم على أنها حرف جر وفي قراءة أبيّ: من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه، وقيل: إنهم يقولون ذلك إذا عاينوا جهنم.

وقال أبو صالح: إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية وعن أبيّ بن كعب في الآية قال: " ينامون." <فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٥/١١>

"(لهم فيها فاكهة) مبينة لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ونحوها ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الأنس ومحافل القدس. أي ولهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه.

(ولهم ما يدعون) ما هذه هي الموصولة، والعائد محذوف أو موصوفة أو مصدرية، ويدعون مضارع ادعى. قال أبو عبيد: يدعون يتمنون والعرب تقول ادع على ما شئت أي تمن وفلان في خير ما يدعى أي يتمنى. قال الزجاج: هو من الدعاء أي ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل، والارتحال بمعنى الرحل. قيل: افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه كقولهم: ارتموا وتراموا. وقيل: المعنى أن من ادعى منهم شيئاًَ فهو له لأن الله قد طبعهم على أن لا يدعي أحد منهم شيئاًَ إلا وهو يحسن ويجمل به أن يدعيه، وقرىء يدعون بالتخفيف ومعناه واضح، قال ابن الأنباري: والوقف على (يدعون) **وقف حسن**، ثم يبتدىء.." <فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١/٣٠٩>

"(إن إلهكم لواحد) جواب القسم أي: أقسم الله بهذه الأقسام أنه واحد ليس له شريك وأجاز الكسائي: فتح إن الواقعة في جواب القسم وإنما أقسم بهذه الأشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها، والرد على عبدة الأصنام في قولهم، وللتأكيد لما تقدم لا سيما والقرآن أنزل بلغة العرب، وإثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عندهم، قال ابن الأنباري: الوقف على (لواحد) **وقف حسن** ثم يبتدىء.." <فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١/٣٦٨>

"(هذا) أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر فيوقف على هذا، قال ابن الأنباري: وهذا **وقف حسن**، قال ابن الأثير هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو خير من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام إلى كلام آخر، أي خذ هذا كيت وكيت، وفيه بحث إذ يلزم حينئذ عطف الإخبار على الإنشاء، ولذا لم يذكر الزمخشري هذا التقدير ثم ذكر سبحانه ما لأهل الشر بعد أن ذكر ما لأهل الخير فقال:
(وإن للطاغين) الذين طغوا على الله وكذبوا رسله (لشر مآب) أي لشر منقلب ينقلبون إليه ثم بين ذلك فقال:." <فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٢/٥٨>

"(بلى قادرين على أن نسوي بنانه) بلى إيجاب لما بعد النفي المنسحب إليه الاستفهام والوقف على هذا اللفظ **وقف حسن**، ثم يبتدىء الكلام بقوله (قادرين) وانتصابه على الحال أي بلى نجمعها قادرين، فالحال من ضمير الفعل المقدر، وقيل المعنى بل نجمعها نقدر قادرين، قال الفراء أي نقدر ونقوي قادرين على أكثر من ذلك، وقال أيضاً إنه يصلح نصبه على التكرير أي بلى فليحسبنا قادرين، وقيل التقدير بلى كنا

قادرين وهذا ليس بواضح.

وقرأ ابن أبي عبله وابن السميفع (بلى قادرون) على تقدير مبتدأ أي بلى نحن قادرون، ومعنى تسوية البنان نقدر على أن نجمع بعضها إلى بعض فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار الأعضاء، فنبه سبحانه بالبنان، وهي الأصابع على بقية الأعضاء وأن الاقتدار على بعثها وإرجاعها كما كانت أولى في القدرة من إرجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظفار والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر، وبهذا قال الزجاج وابن قتيبة.

وقال جمهور المفسرين إن معنى الآية أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار صفحة واحدة لا شقوق فيها فلا يقدر على أن ينتفع بها في الأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما، ولكنا فرقنا أصابعه لينتفع بها، وقيل المعنى بل نقدر على أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها والأول أولى.

قال ابن عباس لو شاء لجعله خفاً أو حافراً، وبنان جمع أو اسم جمع لبنانة قولان. وفي المختار البنانة واحد البنان وهي أطراف الأصابع، ويقال بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء فإنه يؤنث ويذكر.." <فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤/٤٣٦>

"ويدل على أن هذا العرض يكون في الدنيا قوله بعد ذلك : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة أدخلوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العذاب ﴾.

فمن وصل الألف نصب " آل فرعون " على النداء المضاف.

ومن قطعها نصبهم " بأدخلوا ".

وقوله : ﴿ سواء العذاب ﴾ **وقف حسن** إن رفعت " النار " على إضمار مبتدأ أو على الابتداء.

وأجاز أبو حاتم الوقف على " وعشياً " ، وهو بعيد ، لأن " ويوم تقوم الساعة " منصوب بيعرضون ، أي : يعرضون على النار في الدنيا ، يوم تقوم الساعة . ومن نصبه " بأدخلوا " حسن أن يقف على " وعشياً "."

<الهداية الى بلوغ النهاية، ١٠/٦٤٤٢>

"**والوقف الحسن** المختار : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ لأن الضميرين . في ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ ﴿ وأملى لَهُمْ ﴾ مختلفان . الأول للشيطان والثاني لله ، فتفرق بينهما بالوقف ، وهو قبول الكسائي والفراء وأبي حاتم.

قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ الله سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمر ﴾.

أي : ذلك الإضلال من الله لهم بأنهم قالوا لليهود سنطيعكم في التظافر والمعونة على عداوة محمد.

قال قتادة وغيره : المنافقون ظاهروا اليهود على عداوة النبي A فاليهود هم الذين كرهوا ما نزل الله لأنهم حسدوا محمداً A إذ بعث الله نبياً من غير ولد يعقوب ، وقد أعلمهم الله في التوراة أنه يبعث نبياً من ولد أبيهم – يعني إبراهيم – فتأولوا أن الأب يعقوب فكفروا على تأويل منهم وحسد وبغي ، وكرهوا نزول القرآن بنبوءة محمد A ، فالمنافقون هم القائلون لليهود : ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمر ﴾ أي : في النصر على محمد.
ثم قال : ﴿ والله يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ أي : يعلم ما يُسر الفريقان من عداوة المؤمنين لا." <الهداية الى بلوغ النهاية، ١١/٦٩١٤<

"وقوله : ﴿ ثُمَّ قضى أَجَلاً ﴾ **وقف حسن** عند نافع وغيره من النحويين.
فسوف يأتيهم (أخبار) تكذيبهم ، وهي ما حل عليهم من الأسر والسيف يوم بدر ، وفتح (مكة) وغير ذلك ، ومعناه : سوف يعلمون ما تؤول إليه أمورهم.
قوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ الآية.
والمعنى : ألم ير هؤلاء المكذبون بمحمد ، كم أهلكنا من قبلهم من القرون ، وهي الأمم الخالية ، مُكّنوا في الأرض ما لم يمكن لهؤلاء ، وأرسلت السماء عليهم مدراراً ، وفجرت العيون من تحتهم . ومعنى مدراراً (أي) (غزيراً دائمة) ، فأعطت الأرض ثمارها ، فعصوا ، فأهلكوا بعصيانهم . وهذا وعظ وتخويف من الله." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٣/١٩٦١<

"البدل أن اللام بمعنى " أن " ، فالمعنى : الرحمة : أن يجمعكم ، أي : كتب ربكم على نفسه أن يجمعكم . ومثله على مذهب سيبويه : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّن بَعْدِ (مَا) رَأَوُاْ الآيات لَيَسْجُنُنَّه ﴾ [يوسف : ٣٥] المعنى : أن يسجنوه ، ف " أن " الفاعلة ، ومثله : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرحمة أَنَّهُ ﴾ [الأنعام : ٥٤] في قراءة من فتح (أن).
قال نافع : ﴿ قُل لِلَّهِ ﴾ تمام . ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ : **وقف حسن** عند نافع وغيره.
قوله : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الليل والنهار ﴾ الآية.
المعنى : وقل لهم – يا محمد – : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الليل والنهار ﴾ أي : ما استقر ، فكيف تعدلون به وتشركون بمن له الخلق والأمر .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٣/١٩٧١<

"صورة / ما شاء الله فيُذْبَح بِمَرأَىً من الجميع ، ويقال : يا أهل الجنة خلودٌ لا موت ، ويا أهل النار خُلودٌ لا موت " هذا معنى الحديث لا لفظه . فهو الذي قال النبي لهم : ﴿ لَقُضِيَ الأمر ﴾ ، وهو التفسير في قوله ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسرة ﴾ [مريم : ٣٨].

﴿ وَبَيْنَكُمْ ﴾ **وقف حسن.**

قوله : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغيب ﴾ الآية.

واحد المفاتح : مِفَتح ، بكسر الميم وفتحها ، والمعنى : وعند الله خزائن الغيب.

قال ابن عباس : مفاتح الغيب خمس في آخر " لقمان " : ﴿ إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة ﴾ [لقمان : ٣٤]."

<الهداية الى بلوغ النهاية، ٢٠٤٣/٣>

"وفي الكلام حذف والمعنى : وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، فرفعنا درجته عليهم : ﴿ نَرْفَعُ درجات مَّن نَّشَآءُ ﴾ ، وهذا كله تنبيه لمحمد في الحجة على أمته ، وتنبيه له على التأسي بمن قبله من الأنبياء . ﴿ على قَوْمِهِ ﴾ : **وقف حسن.**

قوله : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ الآية.

قوله : ﴿ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ عطف على "كل " ، أي : وهدينا داوود . وقيل : هو عطف ﴿ إِسْحَاقَ ﴾ أي : وهبنا له داوود . وقيل : هو عطف على ﴿ وَنُوحاً ﴾ . والهاء في ﴿ [ذُرِّيَّتِهِ] ﴾ : تعود على (إبراهيم). وقيل : على " نوح " ، وهو قول الطبري ، قال : لأن في سياق الكلام المعطوف ﴿ لُوطاً ﴾ ، ولوط لم يكن من ذرية إبراهيم ، إنما هو من ذرية نوح ، فالمعنى : وهدينا نوحاً من قبل إبراهيم ، وهدينا من ذرية نوح داود ومن بعده .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٢٠٩٠/٣>

"﴿ كُلاًّ هَدَيْنَا ﴾ : **وقف حسن** ، ﴿ وَإِلْيَاسَ ﴾ : أيضاً وقف عند أبي حاتم ، ولا يحسن عند غيره ، لأن بعده ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ معطوف عليه.

واختلف " الناس " في ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ : فقيل : " هو " من ذرية هارون أخي موسى ، بينهما ثلاثة آباء . وقال ابن مسعود : إلياس هو إدريس.

وإدريس جد نوح ، بينهما أربعة آباء . فمحال أن يُنْسَب إلى نوح وهو جده الأعلى ، والذي عليه " أهل الأنساب : أن إلياس غير إدريس.

و ﴿ اليسع ﴾ : اسم أعجمي ، جرى على غير قياس . وقد قال أبو عمرو : ." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٢٠٩١/٣>

"قال أبو أمامة : يقبضون [روح الكافر] ويعدونه بالنار ويشدد عليه وإن رأيتم أنه (يُهّون عليه ، ويقبضون روح المؤمن ويعدونه بالجنة ويهون عليه وإن رأيتم) " أنه " يُشَّدد عليه.

قوله : ﴿ فِي غَمَرَاتِ الموت ﴾ ليس يوقف ، لأن ما بعده في موضع الحال . و ﴿ مِثْلَ مَآ أَنَزلَ الله ﴾ : **وقف**

حسن . ﴿ أَيْدِيهِمْ ﴾ : وقف ، ﴿ غَيْرَ الحق ﴾ وقف عند نافع ، ﴿ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تمام حسن ، لأنه آخر قول الملائكة.

قوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فرادى ﴾ الآية.

قرأ أبو حَيْوَةَ ﴿ فرادى ﴾ بالتنوين ، وهي لغة تميم ، ويقولون في الرفع " فُرادٌ " وحكى أحمد بن يحيى " فُرادُ " بغير تنوين مثل " رُباع " .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٣/٢١٠٧>

"بالرفع على إضمار " هو " والمعنى : تماما على الذي هو أحسن الأشياء.

قوله : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مُبَارَكٌ ﴾ الآية.

المعنى : وهذا القرآن – الذي أنزلناه إليك – كتاب منزل لنا مبارك ، ﴿ فاتبعوه ﴾ أي : اجعلوه (إماماً) تعملون بما فيه ، ﴿ واتقوا ﴾ أي : احذروا أن تضيعوا العمل (بما) فيه وتتعدوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . (فاتبعوه) **وقف حسن.**

والتقوى : الحذر من مخالفة ما أمر الله في السر والعلانية ، وحقيقة ذلك القيام بما أوجب الله ، وترك ما نهى الله عنه (لله).

قوله : ﴿ أن تقولوا إِنَّمَآ أُنزِلَ الكتاب ﴾ الآية .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٣/٢٢٤٨>

"وقال مجاهد ، " الميزان " : هنا : الحسنات والسيئات نفسها.

وقيل : " الميزان " : الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.

والذي جاءت به الآثار أنه " الميزان " المعروف.

﴿ يَوْمَئِذٍ الحق ﴾ ، **وقف حسن.**

قوله : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأرض ﴾.

لام ﴿ لَقَدْ ﴾ لام توكيد.

روى خارجة عن نافع أنه قرأ : ﴿ مَعَايِشَ ﴾ ، بالمد والهمز ، ." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٤/٢٢٨٨>

"أي : ينذركم عقاب الله ، (D) ، على كفركم.

﴿ مُّبِينٌ ﴾.

أي : قد أبانَ لكم إنذارهُ.

و : ﴿ مِّن جِنَّةٍ ﴾.

أي : من جنون . ومثلهُ في سورة " سبأ ".

﴿ مِّن جِنَّةٍ ﴾ ، وقف.

﴿ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ ، **وقف حسن** ، ومثله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [الروم : ٨] ، ومثله : ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ : ٤٦] في " سبأ " . ثم يتبدئ بـ : ﴿ مَا ﴾ ، وهي : للنَّفِيْ في الثلاثة المواضع .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٤/٢٦٥٦>

"أي : مؤلم ، أي : أعلمهم ، يا محمد بذلك.

﴿ برياء مِّنَ المشركين ﴾ ، وقف ، إن جعلت ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ : ابتداء أضمر خبره ، أي : وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ منهم. وإن جعلته معطوفاً وقفت ﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ ، وكذلك من نصب ، وهي قراءة ابن أبي إسحاق.

﴿ غَيْرُ مُعْجِزِي الله ﴾ ، **وقف حسن**.

﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، ليس **بوقف حسن** ؛ لأن بعده الاستثناء .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٤/٢٩٢٦>

"الإيمان ، فإن لم يفعلوا ذلك فاتخاذهم حسن ، والوقف عليه يوجب ألا يتخذوا أولياء على كل حال كاليهود والنصارى.

﴿ عَلَى الإيمان ﴾ ، **الوقف الحسن**.

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ ، الآية.

والمعنى : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ، للمتخلفين على الهجرة ، المقيمين بدار الشرك ، مع أهليهم وأموالهم ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ ، أي : المقام مع هؤلاء بمكة ، ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ الله ﴾ ، أي : من الهجرة إلى دار الإسلام ، ومن الجهاد في سبيل الله ، ﴿ فَتَرَبَّصُواْ حتى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ ﴾ ، أي : بفتح مكة . قاله مجاهد.

والثاني : ﴿ حتى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ ﴾ : من عقوبة عاجلة أو آجلة . قاله ابن زيد.

﴿ والله لاَ يَهْدِي القوم الفاسقين ﴾ .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٤/٢٩٥٦>

"ومثل : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأرض زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة : ١] ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة : ٢].

﴿ والله عَزِيزٌ ﴾.

أي : عزيز في انتقامه من أهل الكفر ، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ، في تدبيره.

قال نافع : ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ الله ﴾ ، وقف ، وهو بعيد ، لأن ﴿ إِذْ ﴾ ، قد عمل فيها : ﴿ نَصَرَهُ ﴾.

﴿ السفلى ﴾ ، **وقف حسن** إن رفعت ﴿ وَكَلِمَةُ الله ﴾ ، وإن نصبت ، كان الوقف : ﴿ العليا ﴾.

﴿ وَجَعَلَ ﴾ في هذا الموضع بمعنى : " صيَّر " ويلزم المعتزلة أن يجعلوها بمعنى " خَلقَ " وهم لا يفعلون ذلك . لأنهم يقولون : كفر الكافر ليس بخلق الله D ، ثم." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٤/٣٠٠٥>

"أي : مُحدقةٌ بهم ، جامعةٌ لهم يوم القيامة.

﴿ وَلاَ تَفْتِنِّي ﴾ : **وقف حسن.**

قوله : ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ ﴾.

والمعنى : إن يصبك يا محمد ، سرورٌ وفتح ، ساء المنافقين ذلك ، وإن يصبك نقص في جيشك أو ضر ، أو هزيمة ، يقول المنافقون : ﴿ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا [مِن قَبْلُ] ﴾ ، أي : أخذنا الحذر بتخلفنا ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي : من قبل أن تصيبهم هذه المصيبة ، ﴿ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ [فَرِحُونَ] ﴾ ، أي : يُدْبروا عن محمد A ، [وهم] : فرحون بما أصابه.

ثم قال : ﴿ قُل ﴾ ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين : ليس ﴿ يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا ﴾ ، أي : في اللوح المحفوظ ، وقضاه علينا : ﴿ هُوَ مَوْلاَنَا ﴾ أي ناصرنا ، ﴿ وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون ﴾ .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٤/٣٠٢٣>

"وفي هذا الحديث اختلاف روايات بألفاظ مختلفة ، لكنا (قد) فسرنا موضع الإشكال منه ..

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ : **وقف حسن** عند أبي حاتم والأخفش . وقال : تفسيرهما ليس بتمام حسن ؛ لأن ﴿ قَالَ الكافرون ﴾ جواب لما قبله.

ومن قرأ " لساحر " فمعناه : هذا النذير لساحر . يعنون النبي A.

ومن قرأ " لسحر " فمعناه : هذا الذي

انذرنا به سحر ، يعنون القرآن .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٥/٣٢١٤>

"ثم قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ ﴾ : يعني : الوعيد الذي توعدوا له لم يروه بعد ، ولم يحيطوا بعلمه فكذبوا به (ولما يأتهم تأويله) أي : لم يأتهم بعدما يؤول إليه أمرهم . فالمعنى : إنهم يا محمد إنما كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، وليس بهم التكذيب لمحمد.

﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ ﴾ : أي : كذا كانت سبيلهم وقيل : المعنى : كما كذب هؤلاء يا محمد كذبت الأمم التي من قبلهم ﴿ فانظر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظالمين ﴾ : أي : اعتبر كيف أهلك بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالغرق ، وبعضهم بالريح ، وبعضهم بالخسف ، فإن عاقبة هؤلاء الذين كذبوك كعاقبة من تقدم من الأمم.

﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ : **وقف حسن.**

قوله : ﴿ وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ يَظْلِمُونَ ﴾

أخبر الله D نبيه في هذه الآية : أن من قريش من يؤمن بالقرآن فيما." <الهداية الى بلوغ النهاية، <٣٢٧٠/٥

"وقيل : كانوا عشرة سوى نسائهم : ستة ممن آمن ، وثلاثة بنين ، ونوح.

وعن ابن عباس : أنهم كانوا ثمانين رجلاً ، غير النساء من غير أهله وروي أن الله جل ذكره ، كان قد أعقم أرحام النساء ، وأصلاب الرجال ، قبل الغرق بأربعين سنة / ، فلم يولد فيهم مولود ، ولم يغرق إلا ابن أربعين ، فما فوق ذلك.

قوله : ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ : وقف عند أبي حاتم ، وليس يوقف عند غيره ، لأن بعده استثناء.

﴿ وَمَنْ آمَنَ ﴾ : وقف عند نافع وغيره ، ﴿ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ : **وقف حسن** .." <الهداية الى بلوغ النهاية، <٣٣٩٥/٥

"والاختيار : ان يكون عاصم على بابه و"من" في موضع رفع على البدل من عاصم.

والتقدير : لا يعصم اليوم من امر الله الا الله.

ثم قال تعالى : ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الموج ﴾ : أي : بين نوح ، وابنه ، فكان ابنه من المغرقين.

﴿ مِنْ أَمْرِ الله ﴾ : **وقف حسن** ، إن جعلت إلا من رحم الله استثناء ، ليس من الأول ، وليس من الأول ، وليس بالبين لأنه لا بد للثاني أن يكون فيه سبب من الأول.

﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ . وقف.

قوله : ﴿ وَقِيلَ يا أرض ابلعي مَآءَكِ ﴾ إلى قوله ﴿ أَكُن مِّنَ الخاسرين ﴾.

المعنى : يا أرض اشربي ما عليك من الماء.

﴿ وياسمآء أَقْلِعِي ﴾ : لا تمطري . ﴿ وَغِيضَ المآء ﴾ : أي : نَقُص جعل." <الهداية الى بلوغ النهاية، <٣٤٠١/٥

"قال ابن زيد : كانت في الدنيا على أبصارهم غشاوة ، وفي آذانهم وقر ، فلما كان يوم القيامة ، أبصروا ، وسمعوا فلم ينتفعوا ، وقرأ ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فارجعنا نَعْمَلْ صَالِحاً ﴾ [السجدة : ١٢].

ثم قال تعالى ذكره : ﴿ لكن الظالمون اليوم فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي : لكن الكافرون في الدنيا في ذهاب مبين عن سبيل الحق.

و ﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ **وقف حسن** . والعامل فيه " أسمع بهم وأبصر " أي : ما أبصرهم وأسمعهم في هذا اليوم ، أي : هم ممن يقال ذلك فيهم ، ففيه معنى التعجب ، ولفظه ، لفظ الأمر ، ولا ضمير في الفعلين ، إذ ليس

بأمر للمأمور ، إنما هو لفظ وافق لفظ الأمر ، وليس به.

ثم قال : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسرة إِذْ قُضِيَ الأمر ﴾ أي : أنذر هؤلاء المشركين يوم حسرتهم على ما فرطوا في جنب الله إذا رأوا مساكنهم في الجنة قد أورثها الله أهل الإيمان به ، وعوضوا منها منازل في النار ، وأيقن الفريقان في الخلود.

قال ابن مسعود : ليسي نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، وهو يوم الحسرة ، فيرى أهل النالا البيت الذي في الجنة فيقال : / لو آمنتم ، فتأخذهم الحسرة ، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار ، فيقال لهم : لولا ما منّ به الله." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٧/٤٥٤٢>

"والاختيار لمن قرأ " الظنونا " و " الرسولا " و " السبيلا " بألف أن يقف عليها لأنها إنما جيئ بالألف في هذا على التشبيه بالقوافي والفواصل التي يوقف عليها بالألف فيجب أن تجرى مجرى ما شبهت به . وهي مع ذلك تمام ووقف حسن.

وقيل : إن هذه الألِفَات إنما جيئ بها لبيان حركة ما قبلها كهاء السكت ، فهذا مؤكد الوقف عليها لمن أثبتها في الوصل والوقف . ويدل على قوة الوقف عليها لمن أثبتها ، قراءة الكسائي وابن كثير وحفص بألف فيهن في الوقف دون الوصل.

ومعنى الآية : واذكروا إذ جاءتكم جنود الأحزاب من فوقكم ومن أسفل منكم .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٩/٥٧٩٦>

"" " صفحة رقم ٥٤٦ " "

والعامَّة : على " نَجْمَعَ " بنون العظمة ، و " عِظامهُ " نصب مفعولاً به .

وقتادة : " تُجْمع " بتاءٍ من فوقُ مضومةٍ على ما لم يسم فاعله ؛ " عظامه " رفع لقيامه مقام الفاعل .

فصل في جواب هذا القسم

قال الزجاج : أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجمعنَّ العظام للبعث ، فهذا جواب [القسم .

وقال النحاس : جواب] القسم محذوف ، أي : لنبعثن .

والمراد بالإنسان : الكافر المكذب بالبعث .

قيل : " نزلت في عدي بن ربيعة قال للبني (صلى الله عليه وسلم) حَدِّثنِي عن يَومِ القِيامةِ مَتَى تكُونُ ، وكَيْفَ أمْرهَا وحَالُهَا ؟ فأخْبرَهُ النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : لَوْ عَايَنْتَ ذلكَ اليَوْمَ لَمْ أصَدِّقكَ يا مُحَمَّدُ ولَمْ أومِنْ بِه ، أو يَجْمَعُ اللَّهُ العِظامَ ؟ ولهذا كان النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) يقول : " اللَّهُمَّ اكفِنِي

جَارَي السُّوءِ عدَيَّ بن ربيعَة ، والأخنس بنَ شَرِيقٍ " وقيل : نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت ، وذكر العظام ، والمراد نفسه كلها ؛ لأن العظام قالب الخلق .

وقيل : المراد بالإنسا ، ك كل من أنكر البعث مطلقاً .

قوله : (بَلَى (إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام ، وهو **وقف حسن** ، ثم يبتدىء " قَادِرِين " ، ف " قَادِرِين " حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرنا من التقدير .

وقيل : المعنى بل نجمعها نقدر قادرين .

قال الفراء : " قادرين " نصب على الخروج من " نَجْمعَ " أي نقدر ونقوى " قادرين " على أكثر من ذلك .

وقال أيضاً : يَصْلُح نصبُه على التكرير ، أي : بلى فليحسبنا قادرين .

وقيل : المضمر " كنا " أي : كنا قادرين في الابتداء ، وقد اعترف به المشركون .

وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع : " قادرون " رفعاً على خبر ابتداء مضمر ، أي." <اللباب في علوم الكتاب، ١٩/٥٤٦>

"كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾[(٢٠٨) سورة الشعراء] (من): صلة، المعنى: وما أهلكنا قرية، ﴿إلا لها منذرون﴾ أي رسل.

وكون الكلام يستقيم بدونها لا يعني أنها لا فائدة لها، وإنما فائدتها: تأكيد النفي.

﴿ذكرى﴾[(٢٠٩) سورة الشعراء] قال الكسائي: ﴿ذكرى﴾ في موضع نصب على الحال، قال النحاس وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحاق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح؛ لأن معنى ﴿إلا لها منذرون﴾ إلا لها مذكرون، و﴿ذكرى﴾ لا يتبين فيه الإعراب؛ لأن فيها ألفا مقصورة.

يتعذر ظهور حركة الإعراب، يعني يمتنع.

ويجوز ﴿ذكرى﴾ بالتنوين، ويجوز أن يكون ﴿ذكرى﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ، قال أبو إسحاق: أي إنذارنا ذكرى، وقال الفراء: أي ذلك ذكرى وتلك ذكرى، وقال ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: ليس في (الشعراء) **وقف تام** إلا قوله: ﴿إلا لها منذرون﴾ وهذا عندنا **وقف حسن**، ثم يبتدئ ﴿ذكرى﴾ على معنى: هي ذكرى: أي يذكرهم ذكرى، والوقف على ﴿ذكرى﴾ أجود، ﴿وما كنا ظالمين﴾ في تعذيبهم حيث

قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.
قوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾[(٢١٠) سورة الشعراء] يعني القرآن، بل ينزل به الروح الأمين، ﴿وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾[(٢١١-٢١٢) سورة الشعراء] أي برمي الشهب كما مضى في سورة (الحجر) بيانه، وقرأ الحسن ومحمد بن السميقع: (وما تنزلت به الشياطون)، قال المهدوي: وهو غير جائز في العربية ومخالف للخط، وقال النحاس: وهذا غلط عند جميع النحويين، وسمعت علي ين سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: هذا غلط عند العلماء، إنما يكون بدخول شبهة، لما رأى الحسن في آخره ياء ونونا وهو في موضع رفع اشتبه عليه بالجمع المسلم فغلط.." <التعليق على تفسير القرطبي، ص/٢٣>

"وفتنت الذهب احرقته ولما كان لا يحرق الا لمعنى الاختبار قيل لكل اختبار فتنة واستعملوا فتن بمعنى اختبر وعلى هنا موصلة الى معنى في وفي قوله تعالى " ذوقوا فتنتكم " معناه يقال لهم ذوقوا حرقكم وعذابكم قاله قتادة وغيره والذوق هنا استعارة وهذا اشارة الى حرقهم واستعجالهم هو قولهم " أيان يوم الدين " وغير ذلك من الآيات التي تقتضي استعجالهم على جهة التكذيب منهم
ولما ذكر تعالى حالة الكفرة وما يلقون من عذاب الله عقب ذلك بذكر المتقين وما يلقون من النعيم ليبين الفرق ويتبع الناس طريق الهدى والجنات والعيون معروف والمتقي في الاية مطلق في اتقاء الكفر والمعاصي
وقوله تعالى " آخذين " نصب على الحال وقرأ ابن أبي عبلة (آخذون) بواو
وقال ابن عباس المعنى " آخذين " في دنياهم " ما آتاهم ربهم " من اوامره ونواهيه وفرائضه وشرعه فالحال على هذا محكية وهي متقدمة في الزمان على كذبهم في جنات وعيون
وقال جماعة من المفسرين معنى قوله " آخذين ما آتاهم ربهم " أي محصلين لنعم الله التي أعطاهم من جنته ورضوانه وهذه حال متصلة في المعنى بكونهم في الجنات
وهذا التأويل أرجح عندي لاستقامة الكلام به وقوله " قبل ذلك " يريد في الدنيا محسنين بالطاعة والعمل الصالح
قوله عز وجل
سورة الذاريات ١٧ - ٢٧
معنى قوله عز وجل "كانوا قليلا من الليل ما يهجعون " أن نومهم كان قليلا لاشتغالهم بالصلاة والعبادة فالمراد من كل ليلة والهجوع النوم

وقال الأحنف بن قيس لست من اهل هذه الآية وهذا إنصاف منه

وقيل لبعض التابعين مدح الله قوما "كانوا قليلا من الليل ما يهجعون " ونحن قليل من الليل ما نقوم فقال رحم الله عبدا رقد إذا نعس واطاع ربه إذا استيقظ

وفسر انس بن مالك هذه الآية بانهم كانوا ينتقلون بين المغرب والعشاء وقال الربيع بن خيثم المعنى كانوا يصيبون من الليل حظا

وقال مطرف بن عبدالله المعنى قل ليلة أتت عليهم هجوعها

كله وقاله ابن أبي نجيح ومجاهد فالمراد عند هؤلاء بقوله " من الليل " أي من الليالي وظاهر الآية عندي أنهم كانوا يقومون الأكثر من ليلهم أي من كل ليلة وقد قال الحسن في تفسير هذه الاية كابدوا قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا

واما إعراب الآية فقال الضحاك في كتاب الطبري ما يقتضي ان المعنى "كانوا قليلا " في عددهم

١٧٥

وتم خبر كان ثم ابتدأ " من الليل ما يهجعون " ف " ما " نافية

و " قليلا " **وقف حسن**

وقال بعض النحاة " ما " زائدة و " قليلا " مفعول مقدم ب " يهجعون "

وقال جمهور النحويين (ما) مصدريةو " قليلا " خبر (كان) والمعنى كانوا قليلا من الليل هجوعهم

". <المحرر الوجيز . ، ٥/١٥٦>

"القرآت : ﴿ اقرأ ﴾ بالألف : الأوقية والأعشى وحمزة في الوقف ﴿ رآه ﴾ ممالة مكسورة الراء : حمزة وعلي وخلف ويحي وعباس والخزار وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل والنقاش عن ابن ذكوان . وقرأ أبو عمرو غير عباس والنجاري عن ورش بفتح الراء وكسر الهمزة . روى ابن مجاهد وأبو عون غير قنبل مفتوحة الراء مقصورة على وزن « رعه » .

الوقوف : ﴿ الذي خلق ﴾ ه ج لاتباع صلة بلا عطف فإن الجملة الثانية مفسرة للأولى المبهمة ، ولو جعل المعنى الذي خلق كل شيء ثم خص خلق الإنسان ازداد **الوقف حسناً** ﴿ علق ﴾ ه ج لأن ﴿ اقرأ ﴾ يصلح مستأنفاً وتكراراً للأول ﴿ الأكرم ﴾ ه لا ﴿ بالقلم ﴾ ه لا ﴿ يعلم ﴾ ه لا ﴿ ليطغى ﴾ ه لا ﴿ استغنى ﴾ ه ط ﴿ الرجعى ﴾ ه ط ﴿ ينهى ﴾ ه لا ﴿ صلى ﴾ ه ط ﴿ الهدى ﴾ ه لا ﴿ بالتقوى ﴾ ه ط ﴿ وتولى ﴾ ه ط ﴿ يرى ﴾ ه لا ﴿ خاطئة ﴾ ه لا ﴿ ناديه ﴾ ه لا ﴿ الزبانية ﴾ ه لا ﴿ كلا ﴾ ط على

الردع ﴿ واقترب ﴾ هـ .
التفسير : وقد مر في أوائل الكتاب أن أكثر المفسرين زعموا أن هذه السورة أول ما نزل من السماء . وفي الباء وجهان : الأول إنها زائدة وزيف بأنه خلاف الأصل وبأن معناه حينئذ : اذكر اسم ربك فلا يحسن من النبي A أن يقول : ما أنا بقارىء كما جاء في الحديث ، وبأنه كتحصيل الحاصل لأنه لم يكن له شغل سوى ذكر الله . والثاني وهو الأصح أنه نصب على الحال أي اقرأ القرآن مفتتحاً أو متلبساً باسم ربك وهو لغو . والباء للآلة وقد مر وجهه في تفسير البسملة . وكذا وجه من جعله متعلقاً ب ﴿ قرأ ﴾ الثانية أي استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك . وقيل : هي بمعنى اللام أي اجعل هذا الفعل واقعاً لله كقولك « بنيت الدار باسم الأمير » . « وصنفت الكتاب باسم الوزير » . فالعبادة صارت لله تعالى لم يكن للشيطان فيها نصيب . وفي تخصيص الرب بالذكر في هذا الموضع معنيان : أحدهما ربيتك فلزمك القضاء والشكر فلا تتكاسل . والثاني أن الشروع ملزم للإتمام وقد ربيتك منذ كذا فكيف أضيعك بعد هذا فلا تفزع . ثم دل على كونه رباً بقوله ﴿ الذي خلق ﴾ أطلق الخلق أولاً ليتناول كل المخلوقات ، ثم خص الإنسان بالذكر لشرفه أو لعجيب فطرته ، أو لأن سوق الآية لأجله . ويجوز أن يكون الأول متروك المفعول إشارة إلى أنه لا خالق سواه ولا يتصف بهذا الاسم غيره ، وحينئذ يستدل به على إبطال مذهب المعتزلة في أن العبد خالق أفعال نفسه . قال أهل العلم : إن الحكيم إذا أراد أمر استعمل فيه التدريج كما يحكى أن زفر حين بعثه أبو حنيفة إلى البصرة لتقرير مذهبه لم يلتفتوا إلى قوله وأبو عن قبوله ، فرجع إلى أبي حنيفة وأخبره بذلك فقال : إنك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع إليهم واذكر في المسألة أقاويل المتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر واذكر قولي وحجتي ، فإذا تمكن ذلك في قلبهم قل هذا قول أبي حنيفة فإنهم يقبلونه حينئذ .." <تفسير النيسابوري، ٧/٣٦٤>

"الثالث : أنها لام الابتداء ، وليست بلام القسم.

قال أبو البقاء : كقوله : ﴿وإن ربك ليحكم﴾ [النحل : ١٦٤].

والمعروف أن لام الابتداء لا تدخل على المضارع إلا في خبر " إن " نحو : ﴿وإن ربك ليحكم﴾ [النحل : ١٦٤] وهذه الآية نظير الآية التي في سورة يونس : ﴿ولا أدراكم به﴾ [يونس : ١٦] فإنهما قرآها بغير الألف. والكلام فيها قد تقدم.

ولم يختلف في قوله : " ولا أقسم " أنه بالألف بعد " لا " ؛ لأنه لم يرسم إلا كذا بخلاف الأول ، فإنه رسم بدون ألف بعد " لا " ، وكذلك في قوله تعالى ﴿لا أقسم بهاذا البلد﴾ [البلد : ١] لم يختلف فيه أنه بألف

بعد " لا " ، وجواب القسم محذوف ، تقديره : لتبعثن ، دل عليه قوله ﴿أيحسب الإنسان﴾ [القيامة : ٣].
وقيل : الجواب : " أيحسب ".
وقيل : هو ﴿بلى قادرين﴾ [القيامة : ٤] ، ويروى عن الحسن البصري.
وقيل : المعنى على نفي القسم ، والمعنى : إني لا أقسم على شيء ، ولكن أسألك أيحسب الإنسان.
وهذه الأقوال شاذة منكرة ، ولا تصح عن قائلها لخروجها عن لسان العرب ، وإنما ذكرناها تنبيها على ضعفها.
فصل في معنى الآية قال ابن عباس وابن جبير : معنى الكلام : أقسم بيوم القيامة ، وهو قول أبي عبيدة ، ومثله قوله : [الطويل]
٥٤٤
٤٩٨٤ - تذكرت ليلى فاعترتني صبابة
فكاد صميم القلب لا يتقطع
قوله : ﴿بيوم القيامة﴾ ، أي : بيوم يقوم الناس فيه لربهم ، والله - عز وجل - أن يقسم بما شاء ، ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ ، لا خلاف في هذا بين القراء ، وأنه سبحانه - جل ذكره - إنما أقسم بيوم القيامة تعظيما لشأنه ، وعلى قراءة ابن كثير أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية.
وقيل : ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ رد آخر وابتداء قسم بالنفس اللوامة.
قال الثعلبي : والصحيح أنه أقسم بهما جميعا ، ومعنى " بالنفس اللوامة " : أي : نفس المؤمن الذي لا تراه يلوم إلا نفسه ، يقول : [ما أردت بكذا ؟ ولا تراه إلا وهو يعاتب نفسه قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم.
قال الحسن : هي والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه] ، ما أردت بكلامي هذا ؟ ما أردت بأكلي ما أردت بحديثي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه.
وقال مجاهد : هي التي تلوم على ما فات وتندم ، فتلوم نفسها على الشر لم فعلته ، وعلى الخير لم لم تستكثر منه.
وقيل : تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها.
وقيلك المراد آدم - صلوات الله وسلامه عليه - لم يزل لائما لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة.
وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أنها الملومة ، فتكون صفة ذم ، وهو قول من نفى أن يكون قسما وعلى

الأول : صفة مدح فيكون القسم بها سائغا.

وقال مقاتل : هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله تعالى.

قوله : ﴿لأيحسب الإنسان ألن﴾.

هذه " أن " المخففة وتقدم حكمها في " المائدة " و " أن " وما في حيزها في موضع الجر ، والفاصل هنا حرف النفي ، وهي وما في حيزها سادة مسد مفعولي " حسب " أو مفعوله على الخلاف.

٥٤٥

والعامة : على " نجمع " بنون العظمة ، و " عظامه " نصب مفعولا به.

وقتادة : " تجمع " بتاء من فوق مضمومة على ما لم يسم فاعله ؛ " عظامه " رفع لقيامه مقام الفاعل.

فصل في جواب هذا القسم قال الزجاج : أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث ، فهذا جواب [القسم.

وقال النحاس : جواب] القسم محذوف ، أي : لنبعثن.

والمراد بالإنسان : الكافر المكذب بالبعث.

قيل : " نزلت في عدي بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني عن يوم القيامة متى تكون ، وكيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به ، أو يجمع الله العظام ؟ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة ، والأخنس بن شريق " وقيل : نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت ، وذكر العظام ، والمراد نفسه كلها ؛ لأن العظام قالب الخلق.

وقيل : المراد بالإنسا ، ك كل من أنكر البعث مطلقا.

قوله : ﴿بلى ﴾ إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام ، وهو **وقف حسن** ، ثم يبتدىء " قادرين " ، ف " قادرين " حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرنا من التقدير.

وقيل : المعنى بل نجمعها نقدر قادرين.

قال الفراء : " قادرين " نصب على الخروج من " نجمع " أي نقدر ونقوى " قادرين " على أكثر من ذلك.

وقال أيضا : يصلح نصبه على التكرير ، أي : بلى فليحسبنا قادرين.

وقيل : المضمر "كنا " أي : كنا قادرين في الابتداء ، وقد اعترف به المشركون.

وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع : " قادرون " رفعا على خبر ابتداء مضمر ، أي "

." <تفسير اللباب لابن عادل .   ،   ص/٥١٢١>
"قوله تعالى : ﴿ وأقسَموا بالله جَهْدَ أَيْمانهم ﴾ يعني كفار مكة ، حلفوا بالله قبل إرسال محمد A ﴿ لَئِن جاءهم نذير ﴾ أي : رسول ﴿ لَيَكُونُنَّ أَهدى ﴾ أي : أَصْوَبَ دِيناً ﴿ مِنْ إِحدى الأُمم ﴾ يعني : اليهود والنصارى الصابئين ﴿ فلمَّا جاءهم نذير ﴾ وهو محمد A ﴿ ما زادهم ﴾ مجيئُه ﴿ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ أي : تباعُداً عن الهُدى ، ﴿ استكباراً في الأرض ﴾ أي : عتوّاً على الله وتكبُّراً عن الإيمان به . قال الاخفش : نصب ﴿ استكباراً ﴾ على البدل من النفور . قال الفراء : المعنى : فعلوا ذلك استكباراً ﴿ ومَكْرَ السَّيِّءِ ﴾ ، فأضيف المكر إلى السَّيِّءِ ، كقوله : ﴿ وإِنَّه لَحَقُّ اليَقين ﴾ [الحاقة : ٥١] ، وتصديقه في قراءة عبد الله : ﴿ ومَكْراً سَيِّئاً ﴾ ، والهمزة في ﴿ السَّيِّءِ ﴾ مخفوضة ، وقد جزمها الأعمش وحمزة ، لكثرة الحركات؛ قال الزجّاج : وهذا عند النحويّين الحُذَّاق لَحْن ، إِنّما يجوز في الشِّعر اضطراراً . وقال أبو جعفر النحاس : كان الأعمش يقف على ﴿ مَكْرَ السَّيّ ﴾ فيترك الحركة ، وهو **وقف حَسَنٌ** تامّ ، فغَلِط الراوي؛ فروى أنه كان يَحْذِفُ الإعراب في الوصل ، فتابع حمزة الغالط ، فقرأ في الإدراج بترك الحركة .
وللمفسرين في المراد ب ﴿ مكر السَّيِّءِ ﴾ قولان .
أحدهما : أنه الشِّرك . قال ابن عباس : عاقبة الشِّرك لا تَحُلُّ إلا بمن أشرك .
والثاني : أنه المَكْر برسول الله A ، حكاه الماوردي .
قوله تعالى : ﴿ فهل ينظُرون ﴾ أي : ينتظِرون ﴿ إِلاَّ سُنَّةَ الأوَّلِين ﴾ أي : إِلاَّ أن يَنْزِل العذاب بهم كما نَزَل بالأمم المكذِّبة قبلهم ﴿ فلن تَجِد لِسُنَّةِ الله ﴾ في العذاب ﴿ تبديلاً ﴾ وإِن تأخَّر ﴿ ولن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تحويلاً ﴾ أي : لا يَقْدِر أحدٌ أن يحوِّل العذاب عنهم إِلى غيرهم .." <زاد المسير في علم التفسير،   ٥/١٨٤>
"قوله تعالى : ﴿ لا أقسم ﴾ اتفقوا على أن المعنى «أقسم» واختلفوا في «لا» فجعلها بعضهم زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ لئلا يعلمَ أهلُ الكتاب ﴾ [الحديد : ٢٩] وجعلها بعضهم رداً على منكري البعث . ويدل عليه أنه «أقسم» على كون البعث . قال ابن قتيبة : زيدت «لا» على نية الرد على المكذبين ، كما تقول : لا والله ما ذاك ، ولو حذفت جاز ، ولكنه أبلغ في الرد . وقرأ ابن كثير إلا ابن فليح «لأقسم» بغير ألف بعد اللام ، فجعلت لاما دخلت على «أقسم» ، وهي قراءة ابن عباس ، وأبي عبد الرحمن ، والحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن محيصن ، قال الزجاج : من قرأ «لأقسم» فاللام لام القسم والتوكيد . وهذه القراءة بعيدة في العربية ، لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون ، تقول : لأَضربنَّ زيداً . ولا

يجوز : لأَضْرِبُ زيداً .

قوله تعالى : ﴿ ولا أُقْسِمُ بالنَّفْس اللَّوامة ﴾ قال الحسن : أَقسمَ بالأولى ولم يقسم بالثانية . وقال قتادة : حكمها حكم الأولى .

وفي «النفس اللّوامة» ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها المذمومة ، قاله ابن عباس . فعلى هذا : هي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم .

والثاني : أنها النفس المؤمنة ، قاله الحسن . قال : لا يُرى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال .

والثالث : أنها جميع النفوس . قال الفراء : ليس من نفس بَرَّةٍ ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها ، إن كانت عملت خيراً . قال : هلا زِدْت . وإن كانت عملت سوءاً قال : ليتني لم أفعل .

قوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾ المراد بالإنسان هاهنا : الكافر . وقال ابن عباس : يريد أبا جهل . وقال مقاتل : عدي بن ربيعة ، وذلك أنه قال : أيجمع الله هذه العظام؟ فقال النبي A له : «نعم» ، فاستهزأَ مِنْه فنزلت هذه الآية . قال ابن الأنباري : وجواب القسم محذوف ، كأنه : لَتُبْعَثُنَّ ، لَتُحَاسَبُنَّ ، فدل قوله تعالى : «أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه» على الجواب ، فحذف .

قوله تعالى : ﴿ بلى ﴾ **وقف حسن** . ثم يُبتدأ «قادرين» على معنى : بلى نجمعها قادرين . ويصلح نصب «قادرين» على التكرير بل فَلْيَحْسَبْنَا قادرين ﴿ على أن نُسَوِيَّ بَنَانَهُ ﴾ وفيه قولان .

أحدهما : أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخُفّ البعير ، وحافر الحمار ، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة ، كالكتابة والخياطة ، هذا قول الجمهور .

والثاني : نقدر على أن نسوي بنانه كما كانت ، وإن صغرت عظامها ، ومن قدر على جمع صغار العظام ، كان على جمع كبارها أقدر ، هذا قول ابن قتيبة ، والزجاج . وقد بينا معنى البنان في [الأنفال : ١٢] .

قوله تعالى : ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ فيه قولان .

أحدهما : يكذب بما أمامه من البعث والحساب ، قاله ابن عباس .

والثاني : يقدِّم الذنب ويؤخِّر التوبة ، ويقول : سوف أتوب ، قاله سعيد بن جبير . فعلى هذا : يكون المراد بالإنسان : المسلم .." <زاد المسير في علم التفسير، ٦/٩٧>

" تعالى عليه وسلم يقول أن للوسواس خطما كخطم الطائر فاذا غفل ابن آدم وضع ذلك المنقار فى أذن القلب يوسوس فإن ذكر الله تعال نكص وخنس فلذلك سمى الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس قيل أريد قلوبهم مجازا وقال بعضهم ان الشيطان يدخل الصدر الذى هو بمنزلة الدهليز فليقى مايريد

ألقاءه الى القلب ويوصله اليه ولامانع عقلا من دخوله فى جوف الانسان وقد ورد السمع كما سمعت فوجب قبوله والايمان به ومن ذلك ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ومن الناس من حمله على التمثيل وقال فى الآية انها لاتقتضى الدخول كما ينادى عليه البيان الآتى وقال ابن سينا الوسواس القوة التى توقع الوسوسة وهى القوة المتخيلةبحسب صيرورتها مستعملة للنفس الحيوانية ثم أن حركتها تكون بالعكس فان النفس وجهتها الى المبادى المفارقة فالقوة المتخيلة اذا أخذتها الا الاشتغال بالمادة وعلائقها فتلك القوة تخنس خناسا ونحوه ماقيل انه القوة الوهمية فهى تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر اللى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ولايخفى ان تفسير الكلام الله تعالى بامثال ذلك من شر الوسواس الخناس والقاضى ذكر الاخير عن سبيل التنظير لا على وجه التمثيل والتفسير بناء على حسن الظن به ومحل الوصول اما الجر على الوصف واما الرفع والنصب على الذم والشتم ويحسن أن يقف القارىء على أحد هذين الوجهين على الخناس وأما على الاول ففى الكواشى أنه لايجوز الوقف وتعقبه الطيبى بان فى عدم الجواز نظر للفاصلة وفى الكشف انه اذا كان صفة فالحسن غير مسلم اللهم الا على وجه وهو أن **الوقف الحسن** شامل لمثله فى فاصلة خاصة من الجنة والناس بيان للذى يوسوس على أنه ضربان جنى وأنسى كما قال تعالى شياطين الآنس والجن أو متعلق بيوسوس ومن لابتداء الغاية أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن مثل أن يلقى فى قلب المرء من جهتهم انهم ينفعون ويضرون ومن جهة الناس مثل ان يلقى فى من جهة المنجمين والكهان انهم يعلمون الغيب وجوز فيه الحالية من ضمير يوسوس والبدلية من قوله تعالى من شر باعادة الجار وتقدير المضاف والبدلية من الوسواس على أن من تبضيعية وقال الفراء وجماعة انه بيان للناس بناء على أيه يطلق على الجن أيضا فيقال كما نقل عن الكلبى ناس من الجن كما يقال نفر ورجال منهم وفيه أن المعروف عند الناس خلافه مع فى ذلك من شبه جعل قسم الشيء قسيما له ومثله لايناسب بلاغة القرآن وان سلم صحته وتعقب أيضا بانه يلزم عليه القول بان الشيطان يوسوس فى صدور الانس ولم يقم دليل عليه ولايجوز جعل الآية دليلا لما يخفى وأقرب منه على ماقيل أن يراد بالناس الناسى بالياء مثله فى قراءة بعضهم من حيث أفاض الناس بالكسر ويجعل سقوط الياء كسقوطها فى قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته جعلنا الله ممن نال عصمته احظ والاوفى وكال له مولاه من رحمته فأوفى ثم أنه قيل أن حروف هذه السورة غير المكرر اثنان وعشرون حرفا وكذا حروف الفاتحة وذالك بعدد السنين التى أنزل فيها القرآن فليراجع وبعد أن يوجد الأمر كما ذكر لايخفى كون سنى النزول اثنتى وعشرين سنة قول لبعضهم والمشهور انها ثلاث وعشرون اه ومثل هذا الرمز ماقيل أن أول حروفه الباء

وآخرها السين فكأنه قيل بس أى حسب ففيه اشارة الى أنه كاف عما سواه ورمزالى قوله تعالى مافرطنا فى الكتاب من شيء وقد نظم ذلك بعض الفرس فقال ." <روح المعاني، ٣٠/٢٨٧>

" فعلوا ذلك استكبارا ومكر السيئ فأضيف المكر إلى السيئ كقوله وإنه لحق اليقين الحاقة وتصديقه في قراءة عبد الله ومكرا سيئا والهمزة في السيئ مخفوضة وقد جزمها الأعمش وحمزة لكثرة الحركات قال الزجاج وهذا عند النحويين الحذاق لحن إنما يجوز في الشعر اضطرارا وقال أبو جعفر النحاس كان الأعمش يقف على مكر السيئ فيترك الحركة وهو **وقف حسن** تام فغلط الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الوصل فتابع حمزة الغالط فقرأ في الإدراج بترك الحركة

وللمفسرين في المراد ب مكر السيئ قولان

أحدهما أنه الشرك قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك

والثاني أنه المكر برسول الله صلى الله عليه و سلم حكاه الماوردي

قوله تعالى فهل ينظرون أي ينتظرون إلا سنة الأولين أي إلا أن ينزل العذاب بهم كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم فلن تجد لسنة الله في العذاب تبديلا وإن تأخر ولن تجد لسنة الله تحويلا أي لا يقدر احد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ ." <زاد المسير، ٦/٤٩٨>

" منه فنزلت هذه الآية قال ابن الأنباري وجواب القسم محذوف كأنه لتبعثن لتحاسبن فدل قوله تعالى أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه على الجواب فحذف

قوله تعالى بلى **وقف حسن** ثم يبتدأ قادرين على معنى بلى نجمعها قادرين ويصلح نصب قادرين على التكرير بل فليحسبنا قادرين على أن نسوي بنانه وفيه قولان

أحدهما أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار فيعدم الاتفاق بالأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة هذا قول الجمهور ." <زاد المسير، ٨/٤١٧>

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٥٤] .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي : إن سيدكم ومالككم ومدبركم الذي يجب أن تعبدوه أيها الناس ، الذي أنشأ أعيان السموات والأرض في مقدار ستة أيام .

وفي هذه الآية مسائل :

الأولى : قال الشهاب : اليوم في اللغة مطلق الوقت ، فإن أريد هذا ، فالمعنى في ستة أوقات ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَه ﴾ .

وإن أريد المتعارف ، وهو زمان طلوع الشمس إلى غروبها ، فالمعنى في مقدار ستة أيام ، لأن اليوم إنما كان بعد خلق الشمس والسموات ، فيقدر فيه مضاف . انتهى .

وفي شرح القاموس : إن اليوم من طلوع الشمس إلى غروبها ، أو من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ، وإن الثاني تعريف شرعي عند الأكثر .

ونقل عن الفاسي شارحه : أن اليوم عند المنجمين من الطلوع إلى الطلوع ، أو من الغروب إلى الغروب .

ثم قال الزبيدي : ويستعمل بمعنى مطلق الزمان ، نقله عن ابن هشام ، وحكاه عن سيبويه في قولهم : أنا ، اليوم ، أفعل كذا ، فإنهم لا يريدون يوماً بعينه ، ولكنهم يريدون الوقت الحاضر .

قال : وبه فسروا قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ .

ثم قال : وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً ، ومنه والحديث : تلك أيام الهرج ، أي : وقته ولا يختص بالنهار دون الليل . انتهى .

وإرادة الوقت مطلقاً منه ، عين إرادة مطلق الزمان قبله ، كما يتبادر .

والظاهر أن إطلاقه على المتعارف والوقت مطلقاً ، لغوي فيهما – كما نقلهما شارح القاموس – خلافاً لظاهر كلام الشهاب السابق ، فتثبتْ هذا .

الثانية : قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه خلق العالم ، سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام ، كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن ، والستة الأيام : الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، وفيه اجتمع الخلق كله ، وفيه خلق آدم عليه السلام .

واختلفوا في هذه الأيام : هل كل يوم منها كهذه الأيام ، كما هو المتبادر إلى الأذهان ، أو كل يوم كألف سنة ، كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل ؟ ويروى من رواية الضحاك عن ابن عباس .

فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق ، لأنه اليوم السابع ، ومنه سمي السبت ، وهو القطع ، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال : < أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجلال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر يوم

الجمعة ، آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل > فقد رواه مسلم بن الحجاج في

" صحيحه " والنسائي ، من غير وجه ، وفيه استيعاب الأيام

السبعة ، والله تعالى قد قال : في ستة أيام ، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث ، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار،

ليس مرفوعاً - والله أعلم - انتهى .

وقد بسطت الكلام فيه في شرحي على " الأربعين العجلونية " .

الثالثة : قال القاضي : في خلق الأشياء مدرجاً ، مع القدرة على إيجادها دفعة دليل للإختيار ، أي : لأنه لو كان بالإيجاب ، لصدر دفعة واحدة ، وفيه حث على التأني في الأمور .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ اعلم أن الاستواء ورد على معان اشترك لفظه فيها ، فجاء بمعنى الإستقرار ومنه : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ ، وبمعنى القصد ومنه :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ، وكل من فرغ من أمر وقصد لغيره فقد استوى له ، وإليه قال الفراء : تقول العرب : استوى إليّ يخاصمني ، أي : أقبل عليّ ، ويأتي بمعنى الاستيلاء ، قال الشاعر :

ﷺقد استوى بشر على العراق

وقال آخر :

ﷺفلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

ويأتي بمعنى العلو ، ومنه آية : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ ومنه هذه الآية .

قال البخاري في آخر " صحيحه " ، في كتاب الرد على الجهمية ، في باب قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ قال مجاهد : استوى ، علا على العرش . انتهى .

وفي كتاب " العلو " للحافظ الذهبي قال إسحاق بن راهويه : سمعت غير واحد من المفسرين يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ أي : ارتفع .

ونقل ابن جرير عن الربيع بن أنس أنه بمعنى ارتفع ، وقال : إنه في كل مواضعه بمعنى علا وارتفع ، وأقول : لا حجة إلى الإستكثار من ذلك ، فإن الاستواء غير مجهول ، وإن كان الكيف مجهولاً .

روى الإمام أحمد بن حنبل في كتابه " الرد على الجهمية " عن شريح بن النعمان ، عن عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء .

وروى البيهقي عن ابن وهب قال : كنت عند مالك ، فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله ! : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك ، وأخذته

الرُّحَضَاء ، ثم رفع رأسه فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف و كيف عنه مرفوع ، وأنت صاحب بدعة .

وفي رواية قال : الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

قال الحافظ الذهبي في كتاب " العلو " - بعدما ساق هذا - ما نصه :

وهو قول أهل السنة قاطبة ، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم ، كما أخبر في كتابه ، وأنه كما يليق به ، لا نتعمق ولا نتحذلق ، لا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ونقف ، كما وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل ، لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون ، ولما وسعهم إقراره وإمراره ، والسكوت عنه ، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله ، لا مثل له في صفاته ، ولا في استوائه ، ولا في نزوله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ثم قال الذهبي : قال الإمام العلَم ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب التصانيف الشهيرة ، في كتابه

" مختلف الحديث " : نحن نقول في قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم ﴾ ، أنه معهم ، يعلم ما هم عليه ، كما تقول للرجل وجهته إلى بلد شاسع : احذر التقصير فإني معك ، يريد أنه لا يخفى علي تقصيرك .

وكيف يسوغ لأحد أن يقول : إن الله سبحانه بكل مكان ، على الحلول فيه ، مع قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ومع قوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّب ﴾ ، كيف يصعد إليه شيء هو معه ؟ وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهي معه ؟ قال : ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم ، وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق ، لعلموا أن الله عز وجل هو العلي وهو الأعلى ، وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه ، والأمم كلها عجميُّها وعربيها يقول : إن الله في السماء ، ما تُركت على فِطَرِها . انتهى .

ثم قال الذهبي أيضاً : عن يزيد بن هارون شيخ الإسلام ، أنه قيل له : من الجهمية ؟ قال : من زعم أن : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ على خلاف ما يقر في قلوب العامة ، فهو جهمي .

قال الذهبي والعامة ، مراده بهم ، جمهور الأمة وأهل العلم ، والذي وقر في قلوبهم من الآية ، وهو ما دل عليه الخطاب ، مع يقينهم بأن المستوي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، هذا هو الذي وقر في فطرهم السليمة ،

وأذهانهم الصحيحة ، ولو كان له معنى وراء ذلك ، لتفوهوا به ، ولما أهملوه ، ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله ، ولو نقل لاشتهر . فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الإستواء ما يوجب نقصا أو قياساً للشاهد على الغائب ، وللمخلوق على الخالق ، فهذا نادر . فمن نطق بذلك زُجر وعُلم ، وما أظن أحداً من العامة يقر في نفسه ذلك – والله أعلم – انتهى .

وقال الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين ، الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله روحه في كتابه " تحفة المتقين وسبيل العارفين " في باب اختلاف المذاهب في صفات الله عز وجل ، وفي ذكر اختلاف الناس في الوقف عند قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ قال إسحاق : في العلم ، إلى أن قال : والله تعالى بذاته على العرش ، علمه محيط بكل مكان والوقف عند أهل الحق على قوله : ﴿ إِلاَّ اللّهُ ﴾ .

وقد روي ذلك عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا **الوقف حسن** لمن اعتقد أن الله بذاته على العرش ، ويعلم ما في السموات والأرض ، إلى أن قال : ووقف جماعة من منكري استواء الرب عز وجل على قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وابتدؤوا بقوله : ﴿ استوى له ما في السموات وما في الأرض ﴾ يريدون بذلك نفي الاستواء الذي وصف به نفسه ، وهذا خطأ منهم ، لأن الله تعالى استوى على العرش بذاته .

وقال في كتابه " الغنية " : أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الإختصار ، فهو أن تعرف وتتيقن أن الله واحد أحد .

إلى أن قال : لا يخلو من علمه مكان ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال إنه في السماء على العرش ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ، والنبي صلى الله عليه وسلم حكم بإسلام الأَمَة لما قال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله

عنه : < لما خلق الله الخلق ، كتب كتاباً على نفسه ، وهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي غلبت غضبي > .

وفي لفظ آخر : < لما قضى الله سبحانه الخلق ، كتب على نفسه في كتاب ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي > .

وينبغي إطلاق صفة الإستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش ، لا على معنى القعود والمماسّة ، كما قالت المجسمة والكرامية ، ولا على معنى العلو والرفعة ، كما قالت الأشعرية ، ولا على الإستيلاء والغلبة ، كما قالت المعتزلة ، لأن الشرع لم يرد بذلك ، ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح

من أصحاب الحديث ، ذلك ، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق .

وقد روي عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ : < الكيف غير معقول ، والإستواء غير مجهول ، والإقرار به واجب ، والجحود به كفر > .

وقد أسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في " صحيحه " ، وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله قبل موته بقريب : أخبار الصفات تُمر كما جاءت ، بلا تشبيه ولا تعطيل ، وقال أيضاً في رواية بعضهم : لست بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذه الأماكن ، وفي كتاب الله عز وجل ، أو حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أصحابه رضي الله عنهم ، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك ، فإن الكلام فيه غير محمود ، فلا يقال في صفات الرب عز وجل كيف ؟ و لِمَ ؟ لا يقول ذلك إلا شكاك .

وقال أحمد رضي الله عنه في رواية عنه ، في موضع آخر : نحن نؤمن بأن الله عز وجل على العرش كيف شاء ، وكما شاء ، بلا حد ولا صفة يبلغها واصف ويحدها حاد ، لما روي عن سعيد بن المسيب ، عن كعب الأحبار ، قال ، قال الله تعالى في " التوراة " : أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق جميع خلقي ، وأنا على عرشي ، عليه أدبر عبادي ، ولا يخفى عليّ شيء من عبادي .

وكونه عز وجل على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، بلا كيف ، ولأن الله تعالى – فيما لم يزل – موصوف بالعلو والقدرة والإستيلاء والغلبة على جميع خلقه ، من العرش وغيره .

فلا يحمل الإستواء على ذلك ، فالإستواء من صفات الذات ، بعد ما أخبرنا به ، ونص عليه وأكده في سبع آيات من كتابه ، والسنة المأثورة به ، وهو صفة لازمة له ، ولائقة به ، كاليد والوجه والعين والسمع والبصر ، والحياة والقدرة ، وكونه خالقاً ورازقاً ومحيياً ومميتاً ، موصوف بها ، ولا نخرج من الكتاب والسنة ، نقرأ الآية والخبر ، ونؤمن بما فيهما ، ونَكِل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل ، كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله ، كما وصف الله تعالى نفسه في كتابه ، فتفسيره قراءته .

لا تفسير له غيرها ، ولم نتكلف غير ذلك ، فإنه غيب لا مجال للعقل في إدراكه ، ونسأل الله تعالى العفو والعافية ، ونعوذ به من أن نقول فيه وفي صفاته ما لم يخبرنا به هو أو رسوله عليه السلام . انتهى كلام الكيلاني قدس سره .

وروى أبو إسماعيل الأنصاري في " ذم الكلام وأهله " عن أبي زرعة الرازي ، أنه سئل عن تفسير : ﴿ الرَّحْمَنُ

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فغضب وقال : تفسيره كما تقرأ ، هو على عرشه ، وعلمه في كل مكان ، من قال غير هذا فعليه لعنة الله .

وأسند عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ؟ فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار ، حجازاً وعراقاً ، ومصراً وشاماً ويمناً ، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، كما وصف نفسه ، بلا كيف ، أحاط بكل شيء علماً .

تنبيهات :

الأول : في بطلان تأويل استوى باستَوْلَى :

قال الإمام عبد العزيز بن يحيى الكِنَانِي ، صاحب الشافعي رحمهما الله تعالى ، في كتاب " الرد على الجهمية " :

زعمت الجهمية أن معنى استوى استولى من قول العرب : استوى فلان على مصر ، يريدون استولى عليها . قال : فيقال له : هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول عليه ؟ فإذا قال لا ، قيل له : فمن زعم ذلك فهو كافر ، فيقال له : يلزمك أن تقول : إن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه ، وذلك لأنه أخبر أنه سبحانه خلق العرش قبل خلق السموات والأرض ، ثم استولى عليه بعد خلقهن ، فيلزمك أن تقول : المدة التي كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس بمستول عليه فيها ، ثم ذكر كلاماً طويلاً في تقرير العلو والاحتجاج عليه .

وقال ابن عرفة في كتاب " الرد على الجهمية " : حدثنا داود بن علي قال : كنا عند ابن الأعرابي ، فأتاه رجل فقال : ما معنى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ؟ قال : هو على عرشه كما أخبر ، فقال : يا أبا عبد الله ! إنما معناه استولى .

فقال : اسكت ، لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما غلب

قيل : استولى ، والله تعالى لا مضاد له ، وهو على عرشه كما أخبر . ثم قال الاستيلاء بعد المغالبة ، كما قال النابغة :

رضي الله عنهإلا لمثلك أو من أنت سابقه سَبْق الجواد إذا استولى على الأمد

وروى الخطيب البغدادي عن محمد بن أحمد بن النضر قال : كان ابن الأعرابي جارنا ، وكان ليله أحسن ليل ، وذكر لنا أن ابن أبي دؤاد سأله : أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال لا أعرفه !

وفي رواية : أرادني ابن أبي دؤاد أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ استوى بمعنى استولى ، فقلت له : والله ما يكون هذا ، ولا وجدته . وابن الأعرابي أبو عبد الله كان لغوي زمانه – كما قال الذهبي – .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه " الإبانة في أصول الديانة " ، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون في الذبّ عنه ، عند من يطعن عليه ، فقال :

فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون .

قيل له : قولنا نقول به التمسك بكتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الإمام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أَبَان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين .

ثم قال في باب الاستواء على العرش : إن قال قائل : ما تقولون في الإستواء ؟ قيل له : نقول : إن الله مستو على عرشه كما قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقد قال الله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ، وقال : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه ﴾ ، وقال : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ ، وقال حكاية عن فرعون : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾

كذّب موسى في قوله : إن الله فوق السموات ، وقال : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ ، فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات قال : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ ، لأنه مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلى السموات ، وليس إذا قال : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ ، يعني جميع السماء ، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات .

ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً ﴾ ، فلم يرد أن القمر يملؤهن ، وأنه فيهن جميعاً .

ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم ، إذا دعوا ، نحوالسماء لأن الله على العرش الذي هو فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها ، إذا دعوا ، إلى الأرض .

ثم قال :

فصل : وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ أنه استولى وملك وقهر ، وأن الله عز وجل في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله على عرشه ، كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، فلو كان هذا كما ذكروه ، كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ، لأن الله قادر على كل شيء ، فالله قادر على الأرض ، وعلى الحشوش ، وعلى كل ما في العالم .

فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الإستيلاء ، وهو

عز وجل مستول على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش ، وعلى الأرض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على كل الأشياء ، مستول عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستو على الحشوش والأخلية ، لم يجز أن يكون الإستواء على العرش الإستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، وجب أن يكون معنى الإستواء يختص العرش دون الأشياء كلها .

وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل . انتهى .

قلت : وكلام أبي الحسن الأشعري الأخير مأخوذ من كتاب رد الإمام أحمد على الجهمية ، حيث قال في كتابه المذكور :

ومما أنكرت الجهمية الضُّلال أن يكون الله سبحانه على العرش ، فقلنا لِمَ

أنكرتم ذلك ؟ إن الله سبحانه على العرش ، وقد قال سبحانه

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، وقال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ ، قالوا : هو تحت الأرضين السابعة كما هو على العرش ، فهو على العرش ، وفي السموات ، وفي الأرض ، وفي كل مكان ، لا يخلو منه مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان .

وتلَوا آيات من القرآن : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾

فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ، وليس فيها من عظمة الله شيء فقالوا : أي : مكان ؟ فقلنا : أحشاؤكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب سبحانه شيء ، وقد أخبرنا أنه في السماء ، فقال سبحانه : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ وقال : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيّ ﴾ وقال : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه ﴾ وقال : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِم ﴾ ، وقال : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْه ﴾ ، وقال : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ فهذا أخبر الله أنه في السماء ، ووجدنا كل شيء أسفل مذموماً .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّار ﴾ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ ، وقلنا لهم : أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه ، والشياطين مكانهم ؟ فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس ، ولكن إنما معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : هو إله من في السموات ، وإله من في الأرض ، وهو على العرش ! وقد أحاط بعلمه ما دون العرش ، لا يخلو من علم الله مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان ، وذلك قوله : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ .

قال : ومن الاعتبار في ذلك : لو أن رجلاً كان في يده قدح من قوارير صاف ، وفيه شيء ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح ، فالله سبحانه – وله المثل الأعلى – قد أحاط بجميع خلقه ، من غير أن يكون في شيء من خلقه . وخصلة أخرى : لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها ، ثم أغلق بابها وخرج منها ، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيتاً في داره ، وكم سعة كل بيت ، من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار . فالله سبحانه – وله المثل الأعلى – قد أحاط

بجميع ما خلق ، وقد علم كيف هو ، وما هو ، من غير أن يكون في شيء مما خلق .

قال أحمد رضي الله عنه : ومما تأول الجهمية من قول الله سبحانه : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُم ﴾ إلى أن قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ قالوا : إن الله عز وجل معنا وفينا . فقلنا : لم قطعتم الخبر من أوله ؟ إن الله يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم ﴾ يعني أن الله بعلمه رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم بعلمه فيهم ، يفتح الخبر بعلمه ، ويختمه بعلمه . انتهى .

ثم قال الإمام أحمد في آخر كتابه المذكور : وقلنا للجهمية : زعمتم أن الله في كل مكان ، لا يخلو منه مكان ، فقلنا لهم : أخبرونا عن قوله الله جل ثناؤه : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً ﴾ .

لِمَ تجلى ، إذا كان فيه بزعمكم ؟ ولو كان فيه كما تزعمون ، لم يكن يتجلى لشيء ، لكن الله تعالى على العرش ، وتجلى لشيء لم يكن فيه ، ورأى الجبل شيئاً لم يكن يراه قط قبل ذلك .

وقلنا للجهمية : الله نور ؟ فقالوا : نور كله . فقلنا : قال الله عز وجل : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ . فقد أخبر جل ثناؤه أن له نوراً ، قلنا : أخبرونا ، حين زعمتم أن الله في كل مكان ، وهو نور ، فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إذا زعمتم أن الله في كل مكان ؟ وما بال السراج إذا أدخل البيت المظلم يضيء ؟ فعند ذلك تبين كذبهم على الله .

فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة ، وقال بقول العلماء ، وهو قول المهاجرين والأنصار ، وترك دين الشيطان ، ودين جهم وشيعته . انتهى .

وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر في كتاب " التمهيد " في شرح حديث : < ينزل ربنا كل ليلة > الحديث ، ما نصه : هذا الحديث ثابت من جهة النقل ، صحيح الإسناد ، لا يختلف أهل الحديث في صحته ، وفيه دليل على أن الله تعالى

في السماء ، على العرش من فوق سبع سموات ، كما قالت الجماعة ، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم : إن الله في كل مكان ، وليس على العرش .

والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قوله تعالى :

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ثم ساق عدة آيات في ذلك ، وقال : هذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة .

وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء ، وقولهم في تأويل : ﴿ اسْتَوَى ﴾ استولى ، فلا معنى له ، لأنه غير ظاهر في اللغة . ومعنى الإستيلاء في اللغة المغالبة ، والله تعالى لا يغالبه أحد ، وهو الواحد الصمد .

ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته ، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز ، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك ، وإنما يوجه كلام الله عز وجل على الأشهر والأظهر من وجوه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم .

ولو ساغ ادّعاء المجاز لكل مدع ، ما ثبت شيء من العبادات . وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب ، من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين ، والإستواء معلوم في اللغة مفهوم ، وهو العلو والإرتفاع على الشيء ، والإستقرار والتمكن فيه .

قال أبو عبيدة في قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ قال : علا ، قال : تقول العرب : استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت .

وقال غيره : استوى أي : استقر ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ﴾ انتهى شبابه واستقر ، فلم يكن في شبابه مزيد .

قال ابن عبد البر : الاستواء : الإستقرار في العلو ، وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَىْ الْفُلْكِ ﴾ وقال الشاعر :

﵁فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى ، لأن النجم لا يستولي .

وقد ذكر النضر بن شميل – وكان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة – قال : حدثني الخليل – وحسبك بالخليل – قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي ، وكان من أعلم ما رأيت ، فإذا هو على سطح ، فسلمنا ، فرد علينا السلام ، وقال : استووا ، فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال ، فقال لنا أعرابي إلى جانبه : إنه أمركم أن ترفعوا ، فقال الخليل : هو من قول الله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ، فصعدنا إليه ، قال : وأما من نزع منهم

بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي ، عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ قال : استولى على جميع بريته ، فلا يخلو منه مكان .

فالجواب : أن هذا حديث منكر على ابن عباس رضي الله عنهما ، ونقلَتُه مجهولة وضعفاء ، فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان .

وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يُعرف ، وهم لا يقبلون بأخبار الآحاد ، فكيف يسوغ لهم الإحتجاج بمثل هذا الحديث ، لو عقلوا وأنصفوا ؟ أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾ ؟ فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول : إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذباً . قال الشاعر :

﵁فسبحان من لا يقدرالخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد مُوحد

﵁مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت . وفيه يقول في وصف الملائكة :

﵁وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه يعظم رباً فوقه ويُمجد

قال : فإن احتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ ، وبقوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُم ﴾ ، وزعموا أن الله سبحانه في كل مكان بنفسه وذاته – تبارك وتعالى جده – قيل : لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته ، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه ، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء ، وفي الأرض إله معبود من أهل

الأرض ، وكذا قال أهل العلم بالتفسير .
وظاهر هذا التنزيل يشهد أنه على العرش ، فالإختلاف في ذلك ساقط ، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر ، وأما قوله في الآية الأخرى : ﴿ وفِي الأَرْضِ إِلهٌ ﴾ فالإجماع والإتفاق قد بين أن المراد أنه معبود من أهل الأرض . فتدبر هذا فإنه قاطع .
ومن الحجة أيضاً في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع ، أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم ، إذا كربهم أمر ، أو نزلت بهم شدة ، رفعوا
وجوههم إلى السماء ، ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء ، يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة ، من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته .
لأنه اضطراري لم يخالفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم للأمة التي أراد مولاها عتقها ، إن كانت مؤمنة ، فاختبرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن قال لها : < أين الله ؟ > فأشارت إلى السماء . ثم قال لها : < من أنا ؟ > قالت أنت رسول الله . قال : < أعتقها فإنها مؤمنة > . فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها برفع رأسها إلى السماء ، واستغنى بذلك عما سواه .
قال : وأما احتجاجهم بقوله : تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية : هو على العرش ، وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله .
وذكر سُنَيْد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مُزَاحم في قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قال : هو على عرشه ، وعلمه معهم أينما كانوا .
قال : وبلغني عن سفيان الثوري مثله . قال سُنَيْد : حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بَهْدَلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : الله فوق العرش ، وعلمه في كل مكان ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .
ثم ساق من طريق يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بَهْدَلة عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ما بين السماء و الأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كل سماء إلى الأخرى خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله على العرش ، ويعلم أعمالكم . وذكر هذا الكلام أو قريباً منه في كتاب " الإستذكار " .
وقال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في " الرسالة المدنية " : إذا وصف الله بصفة أو وصفه

بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو وصفه بها المؤمنون

الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلاله سبحانه ، وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ، ومجاز يخالف الحقيقة ، لا بد فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي ، لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاءوا باللسان العربي ، لا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب ، أو خلاف الألسنة كلها ، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي مما يراد به اللفظ ، وإلا فيمكن كل مُبطل أن يفسر أي : لفظ بأي معنى ناسخ له ، وإن لم يكن له أصل في اللغة .

الثاني : أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة ، وفي معنى بطريق المجاز ، لم يجز حمله على المجازي بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء ، ثم ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة ، فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز .

الثالث : أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض ، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة ، امتنع تركها .

ثم إن كان هذا الدليل لم يلتفت إلى نقيضه وإن كان ظاهراً فلا بد من الترجيح .

الرابع : أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم وأراد به خلاف ظاهره ، وضد حقيقته فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه ، سواء عينه أو لم يعينه ، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الإعتقاد والعلم ، دون عمل الجوارح ، فإنه سبحانه جعل القرآن نوراً وهدىً وبياناً للناس وشفاء لما في الصدور ، وأرسل الرسول ليبين للناس ما نُزّل إليهم ، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، و : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ .

ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات ، وأبين الألسنة والعبارات .

ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علماً ، وأنصحهم للأمة ، وأبينهم للسنة ، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره ، إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره ، إما بأن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها .

وكذلك قوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعلم المستمع أن المراد أن الخالق لا يدخل في هذا العموم ، أو سمعياً ظاهراً مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعضها الظواهر .

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي لا يستنبطه إلا أفراد الناس ، سواء كان سمعياً أو عقلياً ، لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى ، وأعاده مرات كثيرة ، وخاطب به الخلق كلهم ، وفيهم الذكي والبليد ، والفقيه وغير الفقيه ، وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب شيئاً من ظاهره ، لأن هناك دليلاً خفياً يستنبطه أفراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره كان تدليساً أو تلبيساً ، وكان نقيض البيان ، وضد الهدى ، وهو بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان ، فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره ، أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد ، كيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة ؟ انتهى .

الثاني : يتوهم كثير أن القول بالعلو والإستواء يلزم منهما القول بالتجسيم ، وقد رمى بذلك كثيرة من المحدثين ، وممن رماهم بذلك الجلال الدواني في " شرح العقائد العضدية " حيث قال ـ عفا الله عنه ـ : وأكثر المجسمة هم الظاهريون المتبعون لظاهر الكتاب والسنة ، وأكثرهم المحدثون ، ولابن تيمية أبي العباس وأصحابه ميل عظيم إلى إثبات الجهة ، ومبالغة في القدح في نفيها .

ورأيت في بعض تصانيفه أنه لا فرق عند بديهة العقل بين أن يقال : هو معدوم ، أو يقال : طلبته في جميع الأمكنة فلم أجده ، ونسب النافين إلى التعطيل ، هذا مع علو كعبه في العلوم العقلية والنقلية ، كما يشهد به من تتبع تصانيفه .

ومحصل كلام بعضهم في بعض المواضع ، أن الشرع ورد بتخصيصه تعالى بجهة الفوق ، كما خصص الكعبة بكونها بيت الله تعالى ، ولذلك يتوجه إليها في الدعاء .

ولا يخفى أنه ليس في هذا القدر غائلة أصلاً ، لكن بعض أصحاب الحديث من المتأخرين لم يرض بهذا القول ، وأنكر كون الفوق قبلة الدعاء ، بل قال : قبلة الدعاء هو نفسه ، كما أن نفس الكعبة قبلة الصلاة ، وقد صرح بكونه جهة الله تعالى حقيقة من غير تجوز . انتهى كلام الدواني .

وتعقبه غير واحد :

منهم : الشيخ إبراهيم الكوراني في حاشيته عليه المسماة " مجلى المعاني " قال : إن ابن تيمية ليس قائلاً بالتجسيم ، فقد صرح بأن الله تعالى ليس جسماً ، في رسالة تكلم فيها على حديث النزول .

وقال في رسالة أخرى : من قال إن الله تعالى مثل بدن الْإِنْسَاْن ، أو إن الله يماثل شيئاً من المخلوقات فهو مفتر على الله سبحانه

بل هو على مذهب السلف قائل بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة ، مع نفي اللوازم ، ونقل عليه إجماع

السلف ، صرح به في الرسالة القدرية . انتهى .
ومنهم : ولي الله الدهلوي قدس سره ، قال في كتابه " حجة الله البالغة " : واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث ، وسموهم مجسمة ومشبهة ، وقالوا : هم المتسترون بالبلكفة ، وقد وضح علي وضوحاً بيناً أن استطالتهم هذه ليست بشيء ، وأنهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية ، وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى . انتهى .
ومنهم : الشهاب الألوسي المفسر ، فإنه كتب على كلام الدواني ما نصه : حاشا لله تعالى أن يكون – يعني ابن تيمية – من المجسمة ، بل هو أبرأ الناس منهم .
نعم يقول بالفوقية ، وذلك مذهب السلف ، وهو بمعزل عن التجسيم .
وجلال الدين وأضرابه أجهل الناس بالأحاديث ، وكلام السلف الصالح ، كما لا يخفى على العارف المنصف ، نقله عنه ابنه في " محاكمة الأحمدين " .
وأقول . إن كل من رمى مثل هذا الإمام بالتجسيم فقد افترى وما درى ، إلا أن عذره أنه لم ينقب عن غرر كلامه ، في فتاويه التي أوضح فيها الحق وأنار بها مذهب السلف قاطبة .
وهاك شذرة من درره . قال رحمه الله في بعض فتاويه :
والأصل في هذا الباب أن كل ما ثبت في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجب التصديق به ، مثل علو الرب ، واستوائه على عرشه ، ونحو ذلك ، وأما الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات ، مثل قول القائل : هو جهة أو ليس في جهة ، وهو متحيز أو ليس بمتحيز ، ونحو ذلك من الألفاظ التي تنازع فيها الناس ، وليس مع أحدهم نص ، لا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، ولا أئمة المسلمين ، هؤلاء لم يقل أحد منهم إن الله تعالى في جهة ، ولا قال ليس هو في جهة ، ولا قال هو متحيز ، ولا قال ليس بمتحيز ، بل ولا قال هو جسم أو جوهر ، ولا قال ليس بجسم ولا بجوهر . فهذه الألفاظ ليست منصوصة في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع ، والناطقون بها قد يريدون معنى صحيحاً .
فإن يريدوا معنى صحيحاً يوافق الكتاب والسنة كان ذلك مقبولاً منهم ، وإن أرادوا معنى فاسداً يخالف الكتاب والسنة كان ذلك المعنى مردوداً عليهم .
فإذا قال القائل : إن الله تعالى في جهة ، قيل : ما تريد بذلك ؟ أتريد بذلك أنه سبحانه في جهة موجودة تحصره وتحيط به ، مثل أن يكون في جوف السموات ، أم تريد بالجهة أمراً عدمياً ، وهو

ما فوق العالم شيء من المخلوقات .

فإن أردت الجهة الوجودية ، وجعلت الله تعالى محصوراً في المخلوقات ، فهذا باطل ، وإن أردت بالجهة العدمية وأردت الله تعالى وحده فوق المخلوقات بائن عنها ، فهذا حق ، وليس في ذلك أن شيئاً من المخلوقات حصره ، ولا أحاط به ، ولا علا عليه ، بل هو العالي عليها ، المحيط بها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ الآية .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : < أن الله عز وجل يقبض الأرض يوم القيامة ، ويطوي السموات بيمينه ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض > ؟ وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما السموات السبع ، والأرضون السبع ، وما فيهن ، وما بينهن ، في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

وفي حديث آخر أنه يرميها كما يرمي الصبيان الكرة .

فمن يكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى ، وإلى هذا الحقر والصغار ، كيف تحيط به وتحصره ؟

ومن قال إن الله تعالى ليس في جهة ، قيل له : ما تريد بذلك ؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السموات رب يعبد ، ولا على عرش إله ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يعرج به إلى الله تعالى ، والأيدي لا ترفع إلى الله تعالى في الدعاء ، ولا تتوجه القلوب إليه فهذا فرعوني معطل ، جاحد لرب العالمين . وإن كان يعتقد أنه مقر به فهو جاهل متناقض في كلامه . ومن هنا دخل أهل الحلول والإتحاد وقالوا : إن الله تعالى بذاته في كل مكان ، وإن وجود المخلوقات هو وجود الخالق .

وإن قال : مرادي بقولي ليس في جهة ، أن لا تحيط بها
المخلوقات فقد أصاب في هذا المعنى .

وكذلك من قال إن الله تعالى متحيز أو قال ليس بمتحيز : إن أرد بقوله متحيز أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ وإن أراد به منحاز عن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب ، وإن أراد ليس ببائن عنها ، بل هو لا داخل فيها ، ولا خارج عنها ، فقد أخطأ .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : أهل الحلول والاتحاد ، وأهل النفي والجحود ، وأهل الإيمان والتوحيد والسنة .

فأهل الحلول يقولون : إنه بذاته في كل مكان ، وقد يقولون بالإتحاد والوحدة ، فيقولون : وجود المخلوقات وجود الخالق .

وأما أهل النفي والجحود فيقولون : لا هو داخل العالم ، ولا خارج ، ولا مباين له ، وهذا قول متكلمة الجهمية المعطلة ، كما أن الأول عَبَّاد الجهمية . فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء ، وكلامهم يرجع إلى التعطيل والجحود ، الذي هو قول فرعون .

وقد علم أن الله تعالى كان قبل أن يخلق السموات والأرض ، ثم خلقها ، فإما أن يكون دخل فيهما ، وهذا حلول باطل ، وإما أن يكونا دخلا فيه ، وهو أبطل وأبطل ، وإما أن يكون الله سبحانه بائناً عنهما ، لم يدخل فيهما ، ولم يدخل فيه ، وهذا قول أهل الحق والتوحيد والسنة .

ولأهل الجحود والتعطيل في هذا الباب شبهات يعارضون بها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، وما فطر الله تعالى عليه عباده ، وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة ، فإن هذه الأدلة كلها متفقة على أن الله تعالى فوق مخلوقاته ، عال عليها ، قد فطر الله تعالى على ذلك العجائز والأعراب والصبيان في الكتاب ، كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :

< كل مولود يولد على الفطرة ، فأبوه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ > ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه : إقرؤوا إن شئتم : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ وهذا معنى قول عُمَر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عليه ، فإن الله سبحانه فطر عباده على الحق ، والرسل بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها ، لا بتحويل الفطرة وتغييرها .

وأما أعداء الرسل كالجهمية الفرعونية و نحوهم ، فيريدون أن يغيروا فطرة الله تعالى ، ودينه عز وجل ، ويوردون على الناس شبهات بكلمات مشتبهات ، لا

يفهم كثير من الناس مقصودهم بها ، ولا يحسن أن يجيبهم . وقد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع ، وأصل ضلالهم تكلمهم بكلمات مجملة لا أصل لها في كتاب الله تعالى ، ولا سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولا قالها أحد من أئمة المسلمين .

كلفظ : المتحيز والجسم والجهة ونحو ذلك ، فمن كان عارفاً بحال شبهاتهم بينها ، ومن لم يكن عارفاً بذلك فليعرض عن كلامهم ، ولا يقبل إلا ما جاء به الكتاب والسنة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ .

ومن تكلم في الله تعالى وأسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة ، فهو من الخائضين في آيات الله تعالى بالباطل ، وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة المسلمين ما لم يقولوه .

وكثير منهم قرؤوا كتباً من كتب الكلام ، فيها شبهات أضلتهم ، ولم يهتدوا لجوابهم ، فإنهم يجدون في تلك الكتب أنه لو كان الله تعالى فوق الخلق للزم التجسيم والتحيز والجهة ، وهم لا يعرفون حقائق هذه الألفاظ ، ولا ما أراد بها أصحابها ، فإن ذكر لفظ الجسم في أسماء الله تعالى وصفاته ، بدعة لم ينطق كتاب ولا سنة ، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ولم يقل أحد منهم : إن الله تعالى جسم ولا أن الله تعالى ليس بجسم ، ولا أن الله تعالى جوهر ، ولا أن الله تعالى ليس بجوهر .

ولفظ الجسم لفظ مجمل ، فمعناه في اللغة هو البدن ، ومن قال إن الله تعالى مثل بدن الْإِنْسَاْن فهو مفتر على الله عز وجل ، بل من قال إن الله تعالى يماثل شيئاً من مخلوقاته فهو مفتر على الله ضال ، ومن قال إن تعالى ليس بجسم ، وأراد بذلك أنه لا يُرى في الآخرة ، وأنه لم يتكلم بالقرآن العربي ، بل القرآن العربي مخلوق أو هو تصنيف جبريل عليه السلام ، أو نحو ذلك ، فهو مفتر على الله تعالى فيما نفاه عنه .

وهذا أصل ضلال الجهمية من المعتزلة ، ومن وافقهم على مذهبهم ، فإنهم يظهرون للناس التنزيه ، وحقيقة كلامهم التعطيل ، فيقولون : نحن لا نجسم ، بل نقول : الله ليس بجسم ، ومرادهم بذلك نفي حقيقة أسمائه وصفاته .

إلى أن قال : فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال ، منزه عن كل نقص وعيب ، ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، فيثبتون ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ، وينزهونه عما نزه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات ، إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل . قال عز شأنه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

فقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد على الممثلة ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ رد على المعطلة . انتهى ملخصاً .

قال رضي الله عنه في جواب على سؤال رفع إليه نصه : الإستواء هل هو حقيقة أو مجاز ؟ : ما نصه ملخصاً :

القول في الإستواء والنزول كالقول في سائر الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تعالى سمى نفسه بأسماء ، ووصف بصفات ، فالقول في بعض هذه الصفات ، كالقول في بعض ، ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، فلا يجوز نفي صفات الله تعالى

التي وصف بها نفسه ، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين .
ومعلوم بالإضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز نفي صفات الله تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات ، بل هذه جحد للخالق ، وتمثيل له بالمعدومات . وقد قال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، لأنهم لا ينفون شيئاً من ذلك ، ولا يجدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج ، فينكرونها ولا يحملونها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أقرَّ بها ، نافون للمعبود ، لا مثبتون ، والحق فيما قاله القائلون ، مما نطق به الكتاب والسنة ، وهم أئمة الجماعة . هذا الذي حكاه ابن عبد البر .
ومن أنكر أن يكون شيء من هذه الأسماء والصفات حقيقة ، فإنما أنكر لجهله لمسمى الحقيقة ، أو لكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين ، وذلك أنه قد نظن أن إطلاق ذلك يقتضي أن يكون المخلوق مماثلاً للخالق ، فيقال له : هذا باطل ، فإن الله موجود حقيقة ، والعبد موجود حقيقة ، وله تعالى ذات حقيقة ، والعبد له ذات حقيقة ، وليس ذاته تعالى كذات المخلوقات ، وكذلك له علم وسمع وبصر حقيقة ، وللعبد سمع وبصر ، وعلم حقيقة ، وليس علمه وسمعه وبصره مثل علم العبد وسمعه وبصره .
ولله كلام حقيقة ، وليس كلام الخالق مثل كلام المخلوقين .
والله استوى على عرشه حقيقة ، وللعبد استواء على الفلك حقيقة ، وليس استواء الخالق كاستواء المخلوق ، فإن الله لا يفتقر إلى شيء ، ولا يحتاج إلى شيء ، بل هو الغني عن كل شيء ، والله تعالى يحمل العرش وحملته ، بقدرته و
﴿ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا ﴾ .
فمن ظن أن معنى قول الأئمة : الله مستو على عرشه حقيقة ، يقتضي أن يكون استواؤه مثل استواء العبد على الفلك والأنعام ، لزمه أن يكون قولهم : إن الله له علم حقيقة ، وسمع وبصر حقيقة ، و كلام حقيقة ، يقتضي أن يكون علمه وسمعه وبصره وكلامه مثل علم المخلوقين وسمعهم وبصرهم وكلامهم .
فمن ظن أن الحقيقة إنما تتناول صفة العبد المخلوقة دون صفة الخالق ، كان في غاية الجهل ، فإن صفة الله أكمل وأتم وأحق بهذه الأسماء الحسنى ، فلا نسبة بين صفة العبد وصفة الرب ، كما لا نسبة بين ذاته وذاته .
فكيف يكون العبد مستحقاً للأسماء الحسنى حقيقة ، والرب لا يستحق ذلك إلا مجازاً ؟ ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الخالق سبحانه وتعالى ، فله المثل الأعلى .

فكل كمال حصل للمخلوق ، فالخالق أحق به ، وكل نقص ينزه عنه مخلوق ، فالحق أحق أن ينزه عنه ولهذا كان لله المثل الأعلى ، فإنه لا يقاس بخلقه ولا يمثل بهم ولا تضرب به الأمثال ، فلا يشترك هو والمخلوق بمثل ولا في قياس .

ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات الصفات لله تبارك وتعالى ، بل صفات الكمال لازمة لذاته ، يمتنع ثبوت ذاته بدون صفات الكمال اللازمة له ، بل يمتنع تحقق ذات من الذات عريّةً عن جميع الصفات ، وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع .

فإذا قال : وجود الله ، وذات الله ، وعلم الله ، وقدرة الله ، وسمع الله ، وبصر الله ، وكلام الله ، ورحمة الله ، وغضب الله ، واستواء الله ، ونزول الله ، ومحبة الله ، ونحو ذلك ، كانت هذه الأسماء كلها حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شيء من المخلوقات ، ومن غير أن يماثله فيها شيء من المخلوقات .

وإذا قال : وجود العبد وذاته ، وماهيته وعلمه ، وقدرته وسمعه وبصره ، وكلامه واستواؤه ونزوله ، كان هذا حقيقة للعبد مختصة به ، من غير أن تماثل صفاته صفات الله تعالى .

بل أبلغ من ذلك ، أن الله أخبر أن في الجنة من المطاعم والمشارب ، والملابس والمناكح والمساكن ، ما ذكره في كتابه ، كما ذكر أن فيها لبناً وعسلاً وخمراً ولحماً وحريراً وذهباً وفضة وحوراً وقصوراً وغير ذلك .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء .

فتلك الحقائق التي في الجنة ليست مماثلة لهذه الحقائق التي في الدنيا ، وإن كانت مشابهة لها من بعض الوجوه ، والإسم يتناولهما حقيقة ، ومعلوم أن الخالق أبعد عن مشابهة المخلوق ، والمخلوق عن مشابهة الخالق ، فكيف يجوز أن يظن أن فيما أثبته الله تعالى من أسمائه وصفاته مماثلاً لمخلوقاته ، وأن يقال ليس ذلك بحقيقة ! وهل يكون أحق بهذا الأسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات والأرض ، مع أن

مباينتهما للمخلوقات أعظم مباينة كل مخلوق لكل مخلوق ؟ والجاهل يضل بأن يقول : العرب إنما وضعوا لفظ الإستواء لاستواء الْإِنْسَاْن على السرير أو الفلك ، أو استواء السفينة على الجودي ولنحو ذلك من استواء بعض المخلوقات ، فهو كما يقول القائل : إنما وضعوا لفظ السمع والبصر والكلام لما يكون محله حدقة وأجفاناً ، وأصمخة وآذاناً ، وشفتين ولساناً ، وإنما وضعوا لفظ العلم والرحمة والإرادة لما يكون محله مضغة لحم وفؤاء ، وهذا كله جهل منه . فإن العرب إنما وضعت للإنسان ما أضافت إليه ، فإذا قالت سمع العبد وبصره وكلامه ، وعلمه وإرادته ورحمته ، مما يختص به ، يتناول ذلك خصائص العبد .

وإذا قيل سمع الله وبصره وكلامه وعلمه وإرادته ورحمته ، كان هذا متناولاً لما يختص به الرب ، لا يدخل في

ذلك شيء من خصائص المخلوقين ، وكذلك إذا قيل استواء الرب ، فهذا الإستواء المضاف إلى الله كالعلم والسمع و البصر ، المضاف إلى الله لا يجوز أن يتناول ذلك شيئاً من خصائص المخلوقين .

وهؤلاء الجهال يمثلون في ابتداء فهمهم صفات الخالق بصفات المخلوق ، ثم ينفون ذلك ويعطلونه ، فلا يفهمون من ذلك إلا ما يختص بالمخلوق ، وينفون مضمون ذلك ، فيكونون قد جحدوا ما يستحقه الرب من خصائصه وصفاته ، وألحدوا في أسماء الله تعالى وآياته ، وخرجوا عن القياس العقلي والنص الشرعي ، فلا يبقى بأيديهم لا معقول صريح ، ولا منقول صحيح .

ثم لا بد لهم من إثبات بعض ما يثبته أهل الإثبات من الأسماء والصفات : فإذا أثبتوا البعض ونفوا البعض ، قيل لهم ما الفرق بين ما أثبتموه وما نفيتموه ؟ ولم كان هذا حقيقة ، ولم يكن هذا حقيقة ؟ لم يكن لهم جواب أصلاً ، وظهر بذلك جهلهم وضلالهم شرعاً وعقلاً .

ونظائر هذا كثيرة ، فمن ظن أن أسماء الله تعالى وأسماء صفاته ، وإذا كانت حقيقة لزم أن يكون مماثلاً للمخلوقين ، وأن تكون صفاته مماثلة لصفاتهم ، كان من أجهل الناس ، وكان أول كلامه سفسطة ، وآخره زندقة لأنه يقتضي نفي جميع أسماء الله وصفاته وهذا هو غاية الزندقة والإلحاد .

وإن فرق بين صفة وصفة ، مع تساويهما في أسباب الحقيقة والمجاز ، كان متناقضاً في قوله ، متهافتاً في مذهبه مشابهاً لمن آمن ببعض الكتاب ، وكفر ببعض .

وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور ، تبين له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة والسداد والصحة والاطراد ، وأنه مقتضى المعقول الصريح ، والمنقول الصحيح ، وأن من خالفه ، كان مع تناقض قوله المختلف الذي يؤفك عنه من أفك خارجاً عن موجب العقل والسمع ، مخالفاً للفطرة والشرع ، والله يتم نعمته علينا وعلى سائر إخواننا المسلمين المؤمنين ، ويجمع لنا ولهم خير الدنيا والآخرة . انتهى .

فائدة : في منشأ هذا التعطيل

وبين رضي الله عنه ، في فتوى أخرى له في الصفات ، مورد هذا التعطيل .

حيث قال رضي الله عنه :

ثم أصل هذه المقالة إنما هو مأخود عن تلامذة اليهود والمشركين ، وضلال الصابئين ، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة – أعني أن الله ليس على العرش حقيقة وإنما

﴿ استوى ﴾ استولى ونحو ذلك – أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفون وأظهرها ، فتنسب مقالة الجهمية إليه ، والجعد أخذ مقالته عن أَبَان بن سمعان ، وأخذها أَبَان من طالوت

ابن أخت لَبِيد بن أعصم ، وأخذها طالوت من لَبِيد بن أصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان الجعد هذا – فيما قيل – من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة ، والفلاسفة ، بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين ، الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم ، وكانوا يعبدون الكواكب ، ويبنون لها الهياكل ، ومذهبهم في الرب أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية ، أو مركبة منهما ، وهم الذين بُعث إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم إليهم ، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة ، وأخذها الجهم أيضاً – فيما ذكره الإمام أحمد وغيره – من السمنية بعض فلاسفة الهند ، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ، فهذه أسانيد الجهم ترجع إلى اليهود والصائبين والمشركين .

والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين ، وإما من المشركين . ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المئة الثانية ، زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ، ابتداء من جنس ما ألقاه في قولب أشباههم .

ولما كان في حدود المئة الثانية ، انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية ، بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته ، وكلام الأئمة – مثل مالك رضي الله عنه وسفيان بن عيينة ، وأبي يوسف والشافعي ، وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم – في بشر المريسي هذا كثير في ذمة وتضليله .

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس ، مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب " التأويلات " ، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عُمَر الرازي في كتابه الذي سماه " تأسيس التقديس " ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء ، مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني ، وأبي الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد

الغزالي وغيرهم ، وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه ، وإن كان قد يوجد في كلام هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضاً ، ولهم كلام حسن في أشياء ، فإنما بيَّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي . وعلمنا ذلك بكتاب " الرد " الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري ، صنف كتاباً سماه " نقض عثمان بن سعيد ، على الكاذب العنيد ، فيما افترى على الله في التوحيد " حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ، بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها ، وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذي اتصلت إليهم من جهته ، ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكيّ ، علم حقيقة ما كان عليه السلف فتبين له ظهور الحجة لطريقهم ، وضعف حجة من خالفهم .

ثم إذا رأى الأئمة – أئمة الهدى – قد أجمعوا على ذم المريسية ، وأكثرهم كفّروهم ، أو ضللوهم ، وعلم أن

هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين ، هو مذهب المريسي تبين له الهدى لمن يريد الله هدايته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم قال رضي الله عنه :

مذهب السلف بين التعطيل وبين يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، فيعطلون أسماءه الحسنى ، وصفاته العليا ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويلحدون في أسماء الله وآياته .

وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل ، فهو جامع بين التعطيل والتمثيل ، أما المعطلون ، فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق . ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات ، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل ، مثلوا أولاً ، وعطلوا آخراً ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته ، بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم ، تعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى .

فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً ، وكل ذلك محال ، ونحو ذلك من الكلام ، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان ، على أي : جسم كان ، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم ، أما استواء يليق بجلال الله ، ويختص به ، فلا يلزمه شيء من اللوازم الثلاثة ، كما يلزم سائر الأجسام . وصار هذا مثل قول الممثل : إذا كان للعالم صانع ، فإما أن يكون جوهراً أو عرضاً ، إذا لا يعقل موجود إلا هذان ، أو قوله : إذا كان مستوياً على العرش ، فهو مماثل لاستواء الْإِنْسَاْن على السرير أو الفُلك ، إذا لا يعلم الاستواء إلا هكذا ، فإن كليهما مثّل ، كلاهما عطّل حقيقة ما وصف الله به نفسه ، وامتاز الأول بتعطيل كل مسمى للإستواء الحقيقي ، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين ، والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط ، من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به ، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه سميع بصير ، ونحو ذلك ، ولا يجوز أن نثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقُدرهم ، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ، ولا نثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها .

واعلم أنه ليس في العقل الصحيح ، ولا في النقل الصريح ، ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً ، لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة عن الحق ، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها ، فذلك سهل يسير . انتهى كلامه .

ومن أحاط عقله بهذه الغرر ، علم براءة ساحة السلف مما رموا به من التجسيم .

وفي هذه النفائس من الفوائد ما يشفع لدى الواقف بطوله .

الثالث : يطلق العرش على معان : السرير ، ومنه آية : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ والملك ، يقال : ثل عرشهم . وسقف البيت ، ومنه آية : ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ ، وحديث < كالقنديل المعلق بالعرش > أو البناء ، ومنه : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ أي : يبنون ومنه : العريش ، وهو ما يستظل به . والعرش المضاف إلى الله تعالى لا يحد .

قال في القاموس : العرش ، عرش الله تعالى ، ولا يحدّ . انتهى .

وقال الراغب : عرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر إلا بالإسم على الحقيقة ، ولذا لم يصح في صفته حديث ، وكل ما روي في ذلك فليس من مرويات الصحاح .

قال البيهقي في كتاب " الأسماء والصفات " : وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم مجسم ، خلقه الله تعالى ، وأمر ملائكته بحمله ، وتعبدهم بتعظيمه والطواف به ، كما خلق في الأرض بيتاً ، وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة ، وفي أكثر الآيات دلالة على صحة ما ذهبوا إليه ، وفي الأخبار والآثار الواردة في معناه دليل على صحة ذلك . انتهى .

وقال الحافظ الذهبي في كتاب " العلو " : اعلم أن الله عز وجل ، قد أخبرنا ، وهو أصدق القائلين ، بأن عرش بلقيس عرش عظيم : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾

ثم ختم الآية بقوله : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، فكان عرشها عظيماً بالنسبة إليها ، وما نحيط الآن علماً بتفاصيل عرشها ولا بمقداره ولا بماهيته .

ثم قال : فما الظن بما أعد الله تعالى من السُّرر والقصور في الجنة لعباده ، فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته ، وقوائمه وماهيته وحملته الحافين من حوله ، وحسنه ورونقه وقيمته ؟ اسمع وتعقل ما يقال ، والجأ إلى الإيمان بالغيب ، فليس الخبر كالمعاينة ، فالقرآن مشحون بذكر العرش ، وكذلك الآثار ، بما يمتنع أن يكون المراد به الملك . فدع المكابرة والمراء ، فإن المراء في القرآن كفر .

آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم ، الحمد لله رب العالمين . انتهى كلام الذهبي . رحمه الله تعالى – .

الرابع : سئل الشيخ تقي الدين بن تيمية ، عليه الرحمة والرضوان ، عن العرش : هل هو كري أم لا ، فإذا كان كرياً والله من ورائه محيط به بائن عنه ، فما فائدة توجه العبد إلى الله سبحانه حين الدعاء والعبادة ، فيقصد العلو دون غيره ، إذا لا فرق حينئذ بين الجهات التي تحيط بالداعي ، ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً

يطلب العلو ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة . فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها .
فأجاب رحمه الله بقوله :
إن لقائل أن يقول : لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن العرش فلك من الأفلاك المستديرة الكرّية ، وإنما ذكره طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة ، فرأوا أن الأفلاك تسعة ، وأن التاسع ، وهو الأطلس ، محيط بها ، وهو الذي يحركها الحركة الشرقية ، وإن كان لكل فلك حركة تخصه ، ثم سمعوا في أخبار الأنبياء ذكر عرش الله سبحانه وكرسيه والسموات السبع ، فقالوا بطريق الظن : إن العرش هو الفلك التاسع ، لاعتقادهم أنه ليس وراء ذلك شيء ، إما مطلقاً وإما أنه ليس وراءه مخلوق .
ثم إن منهم من رأى أنه هو الذي يحرك الأفلاك كلها ، فجعلوه مبدأ الحوادث ، وربما سماه بعضهم الروح أو النفس . وجعله بعضهم هو اللوح المحفوظ ، وبعض الناس ادعى أنه علم ذلك بطريق الكشف ، وذلك غير صحيح ، بل أخذه من هؤلاء المتفلسفة ، كما فعل أصحاب " رسائل إخوان الصفاء " .
والأخبار تدل أن العرش مباين لغيره من المخلوقات ، وأنه قبل السموات والأرض . فقد ثبت في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال : < كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض ، وأن له قوائم > كما في حديث أبي سعيد : < فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش > .
وقد استدل من قال إنه مقبب ، بما رواه أبو داود من قوله عليه الصلاة والسلام < وإن الله تعالى على عرشه ، وإن عرشه على سمواته ، وسمواته فوق أرضه هكذا ، وقال بأصابعه مثل القبة > .
وهذا لا يدل على أنه فلك من الأفلاك ، ولا مستدير مثل ذلك ، لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو ، لا من جميع الجوانب ، إلا بدليل منفصل ، ولفظ الفلك يستدل به على الإستدارة مطلقاً ، كما قال ابن عباس في : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾ : في فلكة مثل فلكة المغزل ، وأما لفظ القبة فإنه لا يتعرض لهذا المعنى ، لا بنفي ولا إثبات ، لكن يدل على الإستدارة من العلو .
واعلم أن العرش ، وسواء كان هذا الفلك التاسع ، أو جسماً محيطاً به أو كان فوقه من جهة وجه الأرض ، محيط به ، أو قيل فيه غير ذلك ، فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر ، كما قال تعالى :
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : < يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ > ، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عُمَر ، عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :

< يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ > .

وفي لفظ : ويتميل رسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله شيء .

وفي رواية أخرى قال : قرأ على المنبر : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَة ﴾ الآية ، قال : مطويّة في كفه ، يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة ، ففي هذه الأحاديث وغيرها ، المتفق على صحتها ، ما يبين أن السماوات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى عظمته عز وجل ، أصغر من أن تكون مع قبضه لها ، إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا ، حتى يدحوها كما تدحى الكرة .

ثم قال في الجواب : فما وصف الله تعالى من نفسه وأسمائه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه ، ولم نتكلف علم ما سواه ، فلا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف ، وإذا كان كذلك ، فهو قادر على أن يقضها ويدحوها كالكرة ، في ذلك من الإحاطة بها ما لا يخفى ، وإن شاء لم يفعل .

وبكل حال فهو مباين لها ، ليس بمجانب لها ، ومن المعلوم أن الواحد منا – ولله المثل الأعلى – إذا كان عنده خردلة ، إن شاء قبضها ، فأحاطت بها قبضته ، وإن شاء لم يقبضها ، بل جعلها تحته ، فهو في الحالين مباين لها ، وسواء قدر أن العرش هو محيط بالمخلوقات ، كإحاطة الكرة بما فيها ، أم قيل إنه فوقها وليس محيطاً بها كوجه الأرض الذي نحن عليها بالنسبة إلى جوفها ، وكالقبة بالنسبة إلى ما تحتها ، أو غير ذلك ، فعلى التقدير يكون العرش فوق المخلوقات ، والخالق سبحانه فوقه ، والعبد في توجهه إليه عز وجل ، يقصد العلو ، دون التحت .

وتمام هذا البحث بأن يقال : لا يخلو إما أن يكون العرش كرياً كالأفلاك

ويكون محيطاً بها ، وإما أن يكون فوقها ، وليس بكري .

فإن كان الأول ، فمن المعلوم – باتفاق من يعلم هذا – أن الأفلاك مستديرة كرية ، وأن الجهة العليا هي جهة المحيط ، وهو المحدود ، وأن الجهة السفلى هي المركز ، وليس للأفلاك إلا جهتان : العلو والسفل فقط ، وأما الجهات الست فهي للحيوان ، فإن له ست جوانب : يؤم جهة فتكون أمامه ، ويخلف أخرى فتكون خلفه

، وجهة تحاذي شماله ، وجهة تحاذي يمينه ، وجهة تحاذي رأسه ، وجهة تحاذي رجليه . وليس لهذه الجهات في نفسها صفة لازمة ، بل هي بحسب النسبة والإضافة ، فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا ، ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا ، لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا تتغير ، فالمحيط هو للعلو ، والمركز هو السفل ، مع أن وجه الأرض التي وضعها الله تعالى للأنام ، وأرساها بالجبال ، هو الذي عليه الناس والبهائم وغيرهما .

فأما الناحية الأخرى منها فالبحر محيط بها ، وليس هناك شيء من الآدميين وما يتبعهم ، ولو قدر أن هناك أحداً ، لكان على ظهر الأرض ، ولم يكن مَن في هذه الجهة تحت مَن في هذه الجهة ، ولا مَن في هذه تحت مَن في هذه . كما أن الأفلاك محيطة بالمركز ، وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر ، ولا القطب الشمالي تحت الجنوبي ، ولا بالعكس ، وإن كان الشمالي هو الظاهر لنا بحسب بعد الناس عن خط الإستواء ، فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلاً ، كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة ، وهوالذي يسمى عرض البلد ، فكما أن جوانب الأرض المحيطة بها ، وجوانب الفلك المستدير ليس بعضها فوق بعض ولا تحته ، فكذلك من يكون على الأرض لا يقال إنه تحت أولئك ، وإنما هذا جبال يتخيله الْإِنْسَاْن ، وهو تحت إضافي .

كما لو كانت نملة تمشي تحت سقف ، فالسقف فوقها ، وإن كانت رجلاه تلي السماء ، وكذلك قد يتوهم الْإِنْسَاْن إذا كان في أحد جانبي الأرض أو الفلك ، أن الجانب الآخر تحته ، وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول إن الأفلاك مستديرة ، وهذا كما أنه قول أهل الهيئة والحساب ، فهو الذي عليه علماء المسلمين ، كما ذكره أبو الحسن المناوي وأبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهم ، وهو المأخوذ من قول ابن عباس وغيره .

ومن ظن أن من يكون في الفلك من ناحية يكون تحته من في الفلك من الناحية الأخرى في نفس الأمر ، فهو متوهم عندهم .

فإذا كان الأمر كذلك ، فإذا قدر أن العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها ، وسقفها وهو فوقها مطلقاً ، فلا يتوجه إليه وإلى ما فوقه الْإِنْسَاْن إلا من العلو .

ومن توجه إلى الفلك الثامن أو التاسع مثلاً من غير جهة العلوّ،

كان جاهلاً باتفاق العقلاء ، فكيف بالتوجه إلى العرش أو إلى ما فوقه ! وغاية ما يقدر أن يكون كريّ الشكل ، والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها إحاطة تليق بجلاله ، فإن السماوات السبع والأرض في يده أصغر

من الحمصة في يد أحدنا .

وأما قول القائل : إذا كان كريّاً ، الله من ورائه محيط بائن عنه ، فما الفائدة في التوجه إلى العلو دون التحت ، ومع هذا نجد في قلوبنا قصد العلو ؟ فيقال : هذا إنما ورد لتوهم أن نصف الفلك يكون تحت الأرض ، وتحت ما على وجه الأرض ، من الآدميين والبهائم ، وهذا غلط .

فلو كان الفلك تحت الأرض من جهة ، لكان تحتها من كل جهة ، فكان يلزم أن يكون الفلك تحت الأرض مطلقاً ، وهذا قلب للحقائق إذ الفلك هو فوق الأرض مطلقاً ، وأهل الهيئة يقولون : لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا ، وألقي في الخرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه ، لكان ينتهي إلى المركز ، حتى لو ألقي من تلك الناحية حجر آخر ، لالتقيا جمعياً في المركز ، الذي هو النقطة المتوسطة في كرة الأرض ، ولو قدر أن إنسانين التقيا في المركز بدل الحجر ، لالتقت رجلاهما ، ولم يكن أحدهما تحت الآخر ، بل كلاهما فوق المركز ، وكلاهما تحت الفلك .

وإذا كان مطلوب أحد ما فوق الفلك لم يطلبه إلا من الجهة العليا ، لأن مطلوبه من تلك الجهة أقرب ، لأنه لو قدر أن رجلاً أو ملكاً يصعد إلى السماء ، كان صعوده مما يلي رأسه ، ولا يقول عاقل إنه يخرق الأرض ثم يصعد من تلك الناحية ، أو يذهب يميناً أو شمالاً ثم يصعد .

ولو أن رجلاً أراد مخاطبة القمر ، فإنه لا يخاطبه إلا من الجهة العليا ، مع أنه قد يشرق ويغرب ، فكيف بما هو فوق كل شيء لا يأفل ولا يغيب سبحانه وتعالى .

وكما أن حركة الحجر تطلب مركزها بأقصر طريق ، وهو الخط المستقيم ، فالطلب الإرادي الذي يقوم بقلوب العباد ، كيف يعدل عن الصراط المستقيم ؟ مطلب في حديث الإدلاء

إلى أن قال :

وحدث الإدلاء ، الذي رواه أبو هريرة وأبو ذر ، قد رواه الترمذي وغيره من

حديث الحسن عن أبي هريرة ، وهو منقطع ، فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، ولكن يقويه حديث أبي ذر المرفوع . فإن كان ثابتاً ، فمعناه موافق لهذا ، فإن قوله صلى الله عليه وسلم : < لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله > ، إنما هو تقدير مفروض ، أي : لو وقع الإدلاء لوقع عليه ، لكن لا يمكن أن يدلي أحد على الله عز وجل شيئاً ، لأنه عال بالذات ، وإذا أُهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ، والمقصود بيان إحاطة الخالق سبحانه ، كما بين أنه يقبض السموات ، ويطوي الأرض ، ونحو ذلك مما فيه بيان إحاطته تعالى ، ولهذا قرأ في تمام الحديث :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وهذا كله على تقدير صحته ، فإن الترمذي لما رواه قال : وفسره بعض أهل العلم بأنه هبط على علم الله .

وبعض الحلولية والإتحادية يظن أن فيه ما يدل على زعمه الباطل من أنه سبحانه حال بذاته في كل مكان ، أو أن وجوده وجود الأمكنة ونحو ذلك .

وكذلك تأويله بالعلم غير مستقيم ، بل على تقدير ثبوته ، فالمراد به الإحاطة ، ونحن لا نتكلم إلا بما نعلم ، وما لم نعلمه أمسكنا عنه ، وقد فطر الله تعالى الناس على التوجه في الدعاء إلى جهة العلو ، وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾ فجاءت الشريعة بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة .

وقد ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال : < إذ قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قِبل وجهه ، فإن الله تعالى قبل وجهه ، ولا عن يمينه فإن يمينه ملكاً ، وليبصق عن يساره أو تحت رجله > .

وفي رواية : إنه أذن أن يبصق في ثوبه ، وفي حديث أبي رَزين المشهور : لما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه ما من أحد إلا سيخلو به ربه ، فقال له أبو رَزين : كيف يسعنا يا رسول الله وهو واحد ونحن جمع ؟ فقال : < سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله تعالى : هذا القمر آية من آيات الله تعالى كلكم يراه مخلياً به ، فالله أكبر > .

وفي الصحيحين : < لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم في الصلاة ، أو لا ترجع إليهم أبصارهم > .

واتفق العلماء على أن رفع المصلي بصره إلى السماء منهي عنه ، وروى محمد بن سيرين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع بصره في الصلاة إلى السماء ، حتى نزل : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ فكان بصره لا يجاوز موضع سجوده .

فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلاً للفطرة ، لأن الداعي المأمور بالذل ، لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه ، خلافاً للجهمية الذين لا يفرقون بين العرش وقعر البحر ، وقد قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية ، ثم بين تأويل : الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله تعالى وقبل يمينه ، وقال : قد ظنوا أن هذا وأمثاله محتاج إلى التأويل ، وهذا وهم ، لأنه لو كان هذا اللفظ ثابتاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه صريح في أن الحجر ليس هو من صفاته تعالى ، وتقييده بالأرض يدل على أنه ليس هو يده على الإطلاق ، فلا تكون اليد حقيقة . وقوله : فكأنما صافح الله تعالى

. . . الخ ، صريح في أن المصافح ليس مصافحاً له تعالى ، لأن المشبه ليس هو المشبه به .
إلى أن قال : فهذا كله بتقدير كرّية العرش ، وأما إذا قدر لأنه ليس بكري الشكل ، بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجه الأرض ، وأنه فوق الأفلاك الكرية ، كما أن وجه الأرض الموضع للأنام ، فوق نصف الأرض الكريّ ، أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق ما سواه ، فعلى كل تقدير لا يتوجه إلى الله تعالى إلا
إلى العلو ، مع كونه على عرشه مبايناً لخلقه .
وعلى ما ذكرناه لا يلزم شيء من المحذور والتناقض ، وهذا يزيل كل شبهة تنشأ من اعتقاد فاسد ، وهو أن يظن أن العرش إذا كان كريّاً ، والله تعالى فوقه كما تقتضيه ذاته . سبحانه عن مشابهة المخلوقين – وجب فيما عند الزاعم أن يكون سبحانه كرياً ، ثم يعتقد أنه إذا كان كريّاً فيصح التوجه إلى ما هو كري كالفلك التاسع من جميع الجهات ، وهذا خطأ ، فإن القول بأن العرش كري لا يجوز أن يظن أنه مشابه للأفلاك في أشكالها وأقدارها أو في صفاتها ، بل قد تبين أن سبحانه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده أصغر من الحمصة في يد أحدنا ، فإذا كانت الحمصة مثلاً في يد الْإِنْسَاْن أو تحته أو نحو ذلك ، هل يتصور عاقل ، إذا استشعر علو الْإِنْسَاْن على ذلك وإحاطته ، بأن يكون الْإِنْسَاْن كالفلك ؟ فالله تعالى – وله المثل الأعلى – أعظم من أن يظن به ذلك .
وإنما يظنه الذين لم يقدروا الله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .
وإذا لم يكن كريّاً ، فالأمر ظاهر مما تقدم ، وبهذا يظهر الجواب عن السؤال من وجوه متعددة ، والله تعالى أعلم .
وإنما أشبعنا الكلام في هذا المقام ، لأنه من أصول العقائد الدينية ، ومهمات المسائل التوحيدية ، وقد كثر فيه تعارك الآراء ، وتصادم الأهواء ، ولم يأت جمهور المتكلمين المؤولين بشيء يعلق بقلب الأذكياء ، بل اجتهدوا في إيراد التمحلات التي تأتي تأباها فطرة الله أشد الغباء ، فبقيت نفوس أنصار السنة المحققين ، مائلة إلى مذهب السلف الصالحين ، فإن الأئمة منهم ، كان عقدهم ما بيناه فلا تكن من الممترين ، والحمد لله رب العالمين .
وقوله تعالى : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ أي : يغطيه به ، يعني أنه تعالى يأتي بالليل على النهار ، فيغطيه ويلبسه ، حتى يذهب بنوره ، ويصير الجو مظلماً ، بعد ما كان مضيئاً .

قال الشهاب : وجوز جعل الليل والنهار مغشى على الإستعارة ، بأن يجعل غشيان مكان النهار وإظلامه بمنزلة غشيانه للنهار نفسه ، فكأنه لف عليه لف الغشاة ، أو شبه تغييب كل منهما ، بطريانه عليه ، بستر اللباس للابسه . انتهى .

ولم يذكر العكس للعلم به ، أو لأن اللفظ يحتملها ، ولذلك قرئ : ﴿ يَغْشى اللَّيْلَ النَّهارُ ﴾ بنصب الليل ، ورفع النهار : ﴿ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ﴾ أي : يعقبه سريعاً ، كالطالب له ، لا يفصل بينهما شيء .

قال الرازي : وإنما وصف سبحانه هذه الحركة السرعة،

لأن تعاقب الليل والنهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم ، وتلك الحركة أشد الحركات سرعة ، وأكملها شدة ، حتى إن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا : الْإِنْسَاْن إذا كان في العدو الشديد الكامل ، فإلى أن يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل ، وإذا كان الأمر كذلك ، كانت تلك الحركة في غاية الشدة والسرعة ، فلهذا السبب قال تعالى : ﴿ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ أي : مذللات لما يراد منها من طلوع وغروب وسير ورجوع بقضائه وتصريفه .

قال الشهاب : وسماه أمرا على التشبيه ، إذ جعل هذه الأشياء لكونها تابعة لتدبيره وتصريفه كما يشاء كأنهم مأمورات منقادة لأمره ، ويصح حمله على ظاهره . انتهى .

أي : وهو الكلام ، فيكون تعالى أمره هذه الأجرام بالسير الدائم ، والحركة المستمرة إلى انقضاء الدنيا ، وخراب هذا العالم . وقد قرئ : ﴿ وَالشَّمْسَ ﴾ وما بعده بالنصب ، عطفاً على

﴿ السَّمَوَات ﴾ ونصب : ﴿ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ على الحال . وقرأها ابن عامر كلها بالرفع على الإبتداء ، والخبر : ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ أي : هو الذي خلق الأشياء كلها ، وهو الذي صرفها على حسن إرادته ، وفسر الأمر بالقضاء والحكم .

تنبيهان :

الأول : استخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ، أن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق ، فقال : إن الله تعالى فرق بين الخلق والأمر ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، يعني أن من جعل الأمر الذي هو كلامه تعالى ، من جملة ما خلقه فقد كفر ، لأن المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله . كذا في " اللباب " .

قال في " الإكليل " : استدل به ابن عيينة على أن القرآن غير مخلوق ، أخرجه ابن أبي حاتم . لأن الأمر هو الكلام ، وقد عطفه على الخلق ، فاقتضى أن يكون غيره ، لأن العطف يقتضي المغايرة ، وسبقه إلى هذا الاستنباط محمد بن كعب القرظي . انتهى .

الثاني : قال في " اللباب " : في الآية دليل على أنه لا خالق إلا الله عز وجل ، أي : للحصر المستفاد من تقديم الظرف ، ففيه رد على من يقول : إن للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم .

﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي : تقدس وتنزه وتعالى وتعاظم . قال في " التاج " : سئل أبو العباس عن تفسير : ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ ﴾ فقال : ارتفع . انتهى .

ولما ذكر تعالى الدلائل على كما القدرة والحكمة ، ليفردوه بالألوهية ، أمرهم بأن يدعوه وحده متذللين مخلصين ، فقال سبحانه :." <محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، />

" وفتنت الذهب احرقته وذوقوا فتنتكم أي حرقكم وعذابكم قاله قتادة وغيره ان المتقين في جنات وعيون الآية روى الترمذي عن النبي ص – قال لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا لما به الباس قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وقوله سبحانه في المتقين آخذين ما آتاهم ربهم أي محصلين ما اعطاهم ربهم سبحانه من جناته ورضوانه وانواع كراماته انهم كانوا قبل ذلك يريد في الدنيا محسنين بالطاعات والعمل الصالح ت وروى الترمذي عن سعد بن ابي وقاص عن النبي ص – قال لو ان ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والارض ولو ان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدا اساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم انتهى ومعنى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ان نومهم كان قليلا لاشتغالهم بالصلاة والعبادة والهجوع النوم وقد قال الحسن في تفسير هذه الآية كابدوا قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا واما اعراب الآية فقال الضحاك في كتاب الطبري ما يقتضي ان المعنى كانوا قليلا في عددهم وتم خبر كان ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون فما نافية وقليلا **وقف حسن** وقال جمهور النحويين ما مصدرية وقليلا خبر كان والمعنى كانوا قليلا من الليل هجوعهم وعلى هذا الاعراب يجيء قول الحسن وغيره وهو الظاهر عندي ان المراد كان هجوعهم من الليل قليلا قيل لبعض التابعين مدح الله قوما كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ونحن قليلا من الليل ما نقوم فقال رحم الله امرأ رقد اذا نعس واطاع ربه اذا استيقظ وقوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قال الحسن معناه يدعون في طلب المغفرة ويروى ان ابواب الجنة تفتح سحر كل ليلة قال ابن زيد السحر السدس الاخر من الليل والباء في قوله بالاسحار بمعنى في قاله ابو البقاء انتهى ومن كلام الجوزي في المنتخب يا ." <تفسير الثعالبي، ٤/٢٠٦>

"من أرض العرب لم يمهلوا، وهو معنى قوله: (وإذا لا يلبثون خلاف إلا قليلا)، وقرأ عطاء ابن أبي رباح " لا يلبثون " الباء مشددة، " خلفك " نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو، ومعناه بعدك، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي " خلافك " واختاره أبو حاتم، اعتبارا بقوله: " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول

(١) رسول الله " ومعناه أيضا بعدك، قال الشاعر: عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا بسط البواسط، في الماوردى، يقال: شطبت المرأة الجريد إذا شفقه لتعمل منه الحصر - قال أبو عبيد: ثم تلقيه الشاطبة إلى المنقية.

وقيل: " خلفك " بمعنى بعدك " وخلافك " بمعنى مخالفتك، ذكره ابن الانباري، إلا قليلا " فيه وجهان: أحدهما - أن المدة التى لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر، وهذا قول من ذكر أنهم قريش الثاني - ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء بنى النضير، وهذا قول من ذكر أنهم اليهود قوله تعالى: سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧) قوله تعالى: (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أي يعذبون كسنة من قد أرسلنا،

فهو نصب بإظمار يعذبون، فلما سقط الخافض عمل الفعل، قاله الفراء، وقيل: آنتهصب على معنى سننا سنة من قد أرسلنا، وقيل: هو منصوب على تقدير حذف الكاف، التقدير لا يلبثون خلفك إلا قليلا كسنة من قد إرسلنا، فلا يوقف علىي هذا التقدير على قوله: " إلا قليلا " ويقف على الاول والثاني.

" قبلك من رسلنا " **وقف حسن**، (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أي لا خلف فى وعدها.

قوله تعالى: أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى عسق اليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهودا (٧٨)

راجع ج ٨ ص ٢١٦ (*)." <تفسير القرطبي، ١٠/٣٠٢>

"أفصح القرآن بأنها من شجر الدنيا، لانها بدل من الشجرة، فقال " زيتونة ".

وقال ابن زيد: إنها من شجر الشأم، فإن شجر الشأم لا شرقي ولا غربي، وشجر الشأم هو أفضل الشجر، وهى الارض المباركة.

و " شرقية " نعت ل " - زيتونة " و " لا " ليست تحول بين النعت والمنعوت، " ولا غربية " عطف عليه.

قوله تعالى: (يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار) مبالغة في حسنه وصفائه وجودته.

(نور على نور) أي اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة وإلى ضوء الزيت فصار لذلك نور على نور.

واعتقلت هذه الانوار في المشكاة فصارت كأنور ما يكون، فكذلك براهين الله تعالى واضحة، وهى برهان بعد برهان، وتنبيه بعد تنبيه، كإرساله الرسل وإنزاله الكتب، ومواعظ تتكرر فيها لمن له عقل معتبر.

ثم ذكر تعالى هداه لنوره من شاء وأسعد من عباده، وذكر تفضله للعباد في ضرب الامثال لتقع لهم العبرة

والنظر المؤدي إلى الايمان.

وقرأ عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وأبو عبد الرحمن السلمى " الله نور " بفتح النون والواو المشددة.

واختلف المتأولون في عود الضمير في " نوره " على من يعود، فقال كعب الاحبار وابن جبير: هو عائد على محمد صلى اله عليه وسلم، أي مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم.

قال ابن الانباري: " الله نور السموات والارض " **وقف حسن**، ثم تبتدئ " مثل نوره كمشكاة فيها مصباح " على معنى نور محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال أبي بن كعب وابن جبير." <تفسير القرطبي، ١٢/٢٥٩>

"إن متعناهم سنين) يعني في الدنيا والمراد أهل مكة في قول الضحاك وغيره.

(ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب والهلاك (ما أ غنى عنهم ما كانوا يمتعون).

" ما " الاولى أستفهام معناه التقرير، وهو في موضع نصب ب " أغنى " و " ما " الثانية في موضع رفع، ويجوز أن تكون الثانية نفيا لا موضع لها.

وقيل: " ما " الاولى حرف نفي، و " ما " الثانية في موضع رفع ب " أغنى " والهاء العائدة محذوفة.

والتقدير: ما أغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه.

وعن الزهري: إن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ " أفرأيت إن متعناهم سنين.

ثم جاءهم ما كانوا يوعدون.

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون " ثم يبكي ويقول: نهارك يا مغرور سهو وغفلة * * وليلك نوم والردى لك لازم فلا أنت في الايقاظ يقظان حازم * * ولا أنت في النوام ناج فسالم تسر بما يفنى وتفرح بالمنى * *كما سر باللذات في النوم حالم

وتسعى إلى ما سوف تكره غبه * *كذلك في الدنيا تعيش البهائم قوله تعالى: (وما أهلكنا من قرية) " من " صلة، المعنى: وما أهلكنا قرية.

(إلا لها منذرون) أي رسل.

(ذكرى) قال الكسائي: " ذكرى " في موضع نصب على الحال.

النحاس: وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح، لان معنى " إلا لها منذرون " إلا لها مذكرون.

و " ذكرى " لا يتبين فيه الاعراب، لان فيها ألفا مقصورة.

ويجوز " ذكرى " بالتنوين، ويجوز أن يكون " ذكرى " في موضع رفع على إضمار مبتدأ.

قال أبو إسحق: أي إنذارنا ذكرى.

وقال الفراء: أي ذلك ذكرى، وتلك ذكرى.

وقال ابن الانباري قال بعض المفسرين: ليس في " الشعراء " **وقف تام** إلا قوله " إلا لها منذرون " وهذا عندنا **وقف حسن**، ثم يبتدئ " ذكرى " على معنى هي ذكرى أي يذكرهم ذكرى، والوقف على " ذكرى " أجود. (وما كنا ظالمين) في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم:." <تفسير القرطبي، ١٤١/١٣>

"فعظيم على هذا متعلق بما بعده، وكان ينبغي على هذا أن يكون عظيم أن وجدتها، أي وجودي إياها كافرة.

وقال ابن الانباري: " ولها عرش عظيم " **وقف حسن**، ولا يجوز أن يقف على " عرش " ويبتدئ " عظيم وجدتها " إلا على من فتح، لان عظيما نعت لعرش فلو كان متعلقا بوجدتها لقلت عظيمة وجدتها، وهذا محال من كل وجه.

وقد حدثني أبو بكر محمد بن الحسين بن شهريار، قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن الاسود العجلى، عن بعض أهل العلم أنه قال: الوقف على " عرش " والابتداء " عظيم " على معنى عظيم عبادتهم الشمس والقمر.

قال: وقد سمعت من يؤيد هذا المذهب، ويحتج بأن عرشها أحقر وأدق شأنا من أن يصفه الله بالعظيم.

قال ابن الانباري: والاختيار عندي ما ذكرته أولا، لانه ليس على إضمار عبادة الشمس والقمر دليل.

وغير منكر أن يصف الهدهد عرشها بالعظيم إذا رآه متناهى الطول والعرض، وجريه على إعراب " عرش " دليل على أنه نعته.

(وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي ما هم فيه من الكفر.

(فصدهم عن السبيل) أي عن طريق التوحيد.

وبين بهذا أن ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق.

(فهم لا يهتدون) إلى الله وتوحيده.

الثالثة عشرة - قوله تعالى: (ألا يسجدوا لله) قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم وحمزة " ألا يسجدوا لله " بتشديد " ألا " قال ابن الانباري: " فهم لا يهتدون " **غير تام** لمن شدد " ألا " لان المعنى: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا.

قال النحاس: هي " أن " دخلت عليها " لا " و " أن " في موضع نصب، قال الاخفش: ب " زين " أي وزين لهم لئلا يسجدوا لله.

وقال الكسائي: ب " فصدهم " أي فصدهم ألا يسجدوا.

وهو في الوجهين مفعول له.

وقال اليزيدى وعلى بن سليمان: " أن " بدل من " أعمالهم " في موضع نصب.

وقال أبو عمرو: و " أن " في موضع حفض على البدل من السبيل وقيل: العامل فيها " لا يهتدون " أي فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله، أي لا يعلمون أن ذلك واجب عليهم.

وعلى هذا القول " لا " زائدة، كقوله: " ما منعك ألا تسجد " أي ما منعك أن تسجد.

وعلى هذه القراءة." <تفسير القرطبي، ١٣/١٨٥>

"الآيات أعتراض من الله تعالى تذكيرا وتحذيرا لاهل مكة.

ثم عاد الخطاب إلى قصة ابراهيم فقال: (فما كان جواب قومه) حين دعاهم إلى الله تعالى (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوهه) ثم اتفقوا على تحريقه (فأنجاه الله من النار) أي من إذايتها (إن في ذلك) أي في إنجائه من النار العظيمة حتى لم تحرقه بعد ما ألقى فيها (لآيات).

وقراءة العامة " جواب " بنصب الباء على أنه خبر كان و " أن قالوا " في محل الرفع اسم كان.

وقرأ سالم الافطس وعمرو ابن دينار: " جواب " بالرفع على أنه اسم "كان " و " أن " في موضع الخبر نصبا.

(وقال) إبراهيم (إنما أتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) وقرأ حفص وحمزة: " مودة بينكم ".

وابن كثير وأبو عمرو والكسائي: " مودة بينكم ".

والاعشى عن أبي بكر عن عاصم وابن وثاب والاعمش " مودة بيكم ".

الباقون " مودة بيكم " فأما قراءة ابن كثير ففيها ثلاثة أوجه، ذكر الزجاج منها وجهين: أحدهما - أن المودة أرتفعت على خبر إن وتكون " ما " بمعنى الذى.

والتقدير إن الذى أتخذتموه من دون الله أوثانا مودة بينكم.

والوجه الآخر أن يكون على إضمار مبتدإ أي وهى مودة أو تلك مودة بينكم.

والمعنى آلهتكم أو جماعتكم مودة بينكم.

قال ابن الانباري: " أوثانا " **وقف حسن** لمن رفع المودة بإضمار ذلك مودة بينكم، ومن رفع المودة على أنها

خبر إن لم يقف.

والوجه الثالث الذى لم يذكره أن يكون " مودة " رفعا بالابتداء و " في الحياة الدنيا " خبره، فأما إضافة " مودة " إلى " بينكم " فإنه جعل " بينكم " اسما غير ظرف، والنحويون يقولون جعله مفعولا على السعة.

وحكى سيبويه: يا سارق الليلة أهل الدار.

ولا يجوز أن يضاف إليه وهو ظرف، لعلة ليس هذا موضع

ذكرها.

ومن رفع " مودة " ونونها فعلى معنى ما ذكر، و " بينكم " بالنصب ظرفا.

ومن نصب " مودة " ولم ينونها جعلها مفعولة بوقوع الاتخاذ عليها وجعل " إنما " حرفا واحدا ولم يجعلها بمعنى الذى.

ويجوز نصب المودة على أنه مفعول من أجله كما تقول: جئتك ابتغاء الخير، وقصدت فلانا مودة له " بينكم " بالخفض.

ومن نون " مودة " ونصبها فعلى ما ذكر " بينكم " بالنصب من غير إضافة، قال ابن الانباري: ومن قرأ " مودة بينكم "." <تفسير القرطبي، ١٣/٣٣٨>

"وقيل: أشحة بالغنائم إذا أصابوها، قاله السدي.

وانتصب على الحال.

قال الزجاج: ونصبه عند الفراء من أربع جهات: إحداها: أن يكون على الذم، ويجوز أن يكون عنده نصبا بمعنى يعوقون أشحة.

ويجوز أن يكون التقدير: والقائلين أشحة.

ويجوز عنده [" ولا يأتون البأس إلا قليلا " أشحة، أي أنهم يأتونه أشحة على الفقراء بالغنيمة] (١).

النحاس: ولا يجوز أن يكون العامل فيه " المعوقين " ولا " القائلين "، لئلا يفرق بين الصلة والموصول.

ابن الانباري: " إلا قليلا " **غير تام**، لان " أشحة " متعلق بالاول، فهو ينتصب من أربعة أوجه: أحدها: أن تنصبه على القطع من " المعوقين " كأنه قال: قد يعلم الله الذين يعوقون عن القتال ويشحون عن الانفاق على فقراء المسلمين.

ويجوز أن

يكون منصوبا على القطع من " القائلين " أي وهم أشحة.

ويجوز أن تنصبه على القطع مما في " يأتون "، كأنه قال: ولا يأتون البأس إلا جبناء بخلاء.

ويجوز أن تنصب " أشحة " على الذم.

فمن هذا الوجه الرابع يحسن أن تقف على قوله: " إلا قليلا ".

" أشحة عليكم " **وقف حسن.**

ومثله " أشحة على الخير " حال من المضمر في " سلقوكم " وهو العامل فيه.

(فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) وصفهم بالجبن، وكذا سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محددا بصره، وربما غشي عليه.

وفي " الخوف " وجهان: أحدهما: من قتال العدو إذا أقبل، قاله السدي.

الثاني: الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم إذا غلب، قاله ابن شجرة.

" رأيتهم ينظرون إليك " خوفا من القتال على القول الاول.

ومن النبي صلى الله عليه وسلم على الثاني.

" تدور أعينهم " لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة.

وقيل: لشدة خوفهم حذرا أن يأتيهم القتل من كل جهة.

(فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) وحكى الفراء " صلقوكم " بالصاد.

وخطيب مسلاق ومصلاق إذا كان بليغا.

وأصل الصلق الصوت، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة).

قال الاعشى:

---

(١) ما بين المربعين من كتاب النحاس وهو واضح.

وعبارة الاصول: (ولا يأتون البأس إلا قليلا يأتونه أشحة أي أشحة على الفقراء بالغنيمة جبناء).

(*)." <تفسير القرطبي، ١٤/١٥٣>

"بقتلهم وأخذهم، أي هذا حكمهم إذا كانوا مقيمين على النفاق والارجاف.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (خمس يقتلن في الحل والحرم).

فهذا فيه معنى الامر كالآية

سواء.

النحاس: وهذا من أحسن ما قيل في الآية.

وقيل: إنهم قد انتهوا عن الارجاف فلم يغر بهم.

ولام " لنغرينك " لام القسم، واليمين واقعة عليها، وأدخلت اللام في " إن " توطئة لها.

الثالثة - قوله تعالى: (ثم لا يجاورونك فيها) أي في المدينة.

" إلا قليلا " نصب على الحال من الضمير في " يجاورونك "، فكان الامر كما قال تبارك وتعالى، لانهم لم يكونوا إلا أقلاء.

فهذا أحد جوابي الفراء، وهو الاولى عنده، أي لا يجاورونك إلا في حال قلتهم.

والجواب الآخر - أن يكون المعنى إلا وقتا قليلا، أي لا يبقون معك إلا مدة يسيرة، أي لا يجاورونك فيها إلا جوارا قليلا حتى يهلكوا، فيكون نعتا لمصدر أو ظرف محذوف.

ودل على أن من كان معك ساكنا بالمدينة فهو جار.

وقد مضى في " النساء ".

(١) الرابعة - قوله تعالى: (ملعونين) هذا تمام الكلام عند محمد بن يزيد، وهو منصوب على الحال.

وقال ابن الانباري: " قليلا ملعونين " **وقف حسن.**

النحاس: ويجوز أن يكون التمام " إلا قليلا " وتنصب " ملعونين " على الشتم.

كما قرأ عيسى بن عمر: " وأمرأته حمالة الحطب ".

وقد حكي عن بعض النحويين أنه قال: يكون المعنى أينما ثقفوا أخذوا ملعونين.

وهذا خطأ لا يعمل ما [كان] (٢) مع المجازاة فيما قبله وقيل: معنى الآية إن أصروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدنية إلا وهم مطرودون ملعونون.

وقد فعل بهم هذا، فإنه لما نزلت سورة " براءة " جمعوا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا فلان قم فاخرج فإنك منافق ويا فلان قم) فقام إخوانهم من المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد.

الخامسة - قوله تعالى: (سنة الله) نصب على المصدر، أي سن الله عزوجل فيمن أرجف بالانبياء وأظهر نفاقه أن يؤخذ ويقتل.

(ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي تحويلا وتغييرا، حكاه النقاش.

وقال السدي: يعني أن من قتل بحق فلا دية على قاتله.

---

(١) راجع ج ٥ ص ١٨٣ فما بعد.

(٢) زيادة عن النحاس.

(*)." <تفسير القرطبي، ١٤/٢٤٧>

"يا رجل فالأولى بها الضم.

قال ابن الأنباري " يس " **وقف حسن** لمن قال هو افتتاح للسورة.

ومن قال: معنى " يس " يا رجل لم يقف عليه.

وروي عن ابن عباس مسعود وغيرهما أن معناه يا إنسان، وقالوا في قوله تعالى: " سلام على آل ياسين " [الصافات: ١٣٠] أي على آل محمد.

وقال سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم، ودليله " إنك لمن المرسلين ".

قال السيد الحميري: / ش يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة / وعلى المودة إلا آل ياسين / ش وقال أبو بكر الوراق: معناه يا سيد البشر.

وقيل: إنه اسم من أسماء الله، قال مالك.

روى عنه أشهب قال: سألته هل ينبغي لأحد أن يتسمى بياسين ؟ قال: ما أراه ينبغي لقول الله: " يس والقرآن الحكيم " يقول هذا اسمي يس.

قال ابن العربي هذا كلام بديع، وذلك أن العبد يجوز له أن يتسمى باسم الرب إذا كان فيه معنى منه، كقوله: عالم وقادر ومريد ومتكلم.

وإنما منع مالك من التسمية ب " يسين "، لأنه اسم من أسماء الله لا يدرى معناه، فربما كان معناه ينفرد به الرب فلا يجوز أن يقدم عليه العبد.

فإن قيل فقد قال الله تعالى: " سلام على إل ياسين " [الصافات: ١٣٠] قلنا: ذلك مكتوب بهجاء فتجوز التسمية به، وهذا الذي ليس بمتهجى هو الذي تكلم مالك عليه، لما فيه من الإشكال، والله أعلم.

وقال بعض

العلماء: افتتح الله هذه السورة بالياء والسين وفيهما مجمع الخير: ودل المفتتح على أنه قلب، والقلب أمير على الجسد، وكذلك " يس " أمير على سائر السور، مشتمل على جميع القرآن.

ثم اختلفوا فيه أيضا، فقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو بلغة الحبشة.

وقال الشعبي: هو بلغة طي.

الحسن: بلغة كلب.

الكلبي: هو بالسريانية فتكلمت به العرب فصار من لغتهم.

وقد مضى هذا المعنى في [طه] وفي مقدمة الكتاب مستوفى.

وقد سرد القاضي عياض أقوال المفسرين في معنى " يس " فحكى أبو محمد مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لي عند ربي عشرة أسماء " ذكر أن منها طه ويس اسمان له.

---

(١) راجع ج ١١ ص ١٦٥ وما بعدها طبعة أولى أو ثانية.

وج ١ ص ٦٧ وما بعدها طبعة ثانية.

(*)." <تفسير القرطبي، ١٥/٤>

"إلا كنفس واحدة " [لقمان: ٢٨]، وقال: " يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر " [القمر: ٧]، وفي " سائل سائل ":

[المعارج: ١] " يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون " [المعارج: ٤٣] أي يسرعون.

وفى الخبر: شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الضعف فقال: " عليكم بالنسل " أي بالإسراع في المشى فإنه ينشط.

قوله تعالى: (قالوا يا ويلنا) قال ابن الأنباري: " يا ويلنا " **وقف حسن** ثم تبتدئ " من بعثنا " وروي عن بعض القراء " يا ويلنا من بعثنا " بكسر من والثاء من البعث.

روي ذلك عن علي رضي الله عنه، فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على قوله: " يا ويلنا " حتى يقول: " من مرقدنا ".

وفي قراءة أبي بن كعب " من هبنا " بالوصل " من مرقدنا " فهذا دليل على صحة مذهب العامة.

قال المهدوي: قرأ ابن أبي ليلى: " قالوا يا ويلتنا " بز يادة تاء وهو تأنيث الوصل، ومثله: " يا ويلتا أألد وأنا عجوز " [هود: ٧٢].

وقرأ علي رضي الله عنه " يا ويلتا من بعثنا " ف " من " متعلقة بالويل أو حال من " ويلتا " فتتعلق بمحذوف، كأنه قال: يا ويلتا كائنا من بعثنا، وكما يجوز أن يكون خبرا عنه كذلك يجوز أن يكون حالا منه.

و " من " من قوله: " من مرقدنا " متعلقة بنفس البعث.

ثم قيل: كيف قالوا هذا وهم من المعذبين في قبورهم ؟ فالجواب أن أبي بن كعب قال: ينامون نومة.

وفي رواية فيقولون: يا ويلنا من أهبنا من مرقدنا.

قال أبو بكر الأنباري: لا يحمل هذا الحديث على أن " أهبنا " من لفظ القرآن كما قال من طعن في القرآن، ولكنه تفسير " بعثنا " أو معبر عن بعض معانيه.

قال أبو بكر: وكذا حفظته " من هبنا " بغير ألف في أهبنا مع تسكين نون من.

والصواب فيه على طريق اللغة " من أهبنا " بفتح النون على أن فتحة همزة أهب ألقيت على نون " من " وأسقطت الهمزة، كما قالت العرب: من أخبرك من أعلمك ؟ وهم يريدون من أخبرك.

ويقال: أهببت النائم فهب النائم.

أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي: / ش وعاذلة هبت بليل تلومني / وولم يعتمرني قبل ذاك عذول / ش وقال أبو صالح: إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة، فذلك قولهم: " من بعثنا من مرقدنا " وقال ابن." <تفسير القرطبي، ١٥/٤١>
"عباس وقتادة.

وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم.

قال مجاهد: فقال لهم المؤمنون " هذا ما وعد الرحمن ".

قال قتادة: فقال لهم من هدى الله: " هذا ما وعد الرحمن ".

وقال الفراء: فقال لهم الملائكة: " هذا ما وعد الرحمن ".

النحاس: وهذه الأقوال متفقة، لأن الملائكة من المؤمنين وممن هدى الله عز وجل.

وعلى هذا يتأول قول الله عز وجل: " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية " [البينة: ٧] وكذا الحديث: (المؤمن عند الله خير من كل ما خلق).

ويجوز أن تكون الملائكة وغيرهم من المؤمنين قالوا لهم: " هذا ما وعد الرحمن ".

وقيل: إن الكفار لما قال بعضهم لبعض: " من بعثنا من مرقدنا " صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به، ثم قالوا " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " فكذبنا به، أقروا حين لم ينفعهم الإقرار.

وكا ن حفص يقف على " من مرقدنا " ثم يبتدئ فيقول: " هذا ".

قال أبو بكر بن الأنباري: " من بعثنا من مرقدنا " **وقف حسن**، ثم تبتدئ: " هذا ما وعد الرحمن " ويجوز أن تقف على مرقدنا هذا " فتخفض هذا على الإتباع للمرقد، وتبتدئ: " ما وعد الرحمن " على معنى بعثكم

ما وعد الرحمن، أي بعثكم وعد الرحمن.

النحاس: التمام على " من مرقدنا " و " هذا " في موضع رفع بالابتداء وخبره " ما وعد الرحمن ".

ويجوز أن يكون في موضع خفض على النعت ل " مرقدنا " فيكون التمام " من مرقدنا هذا ".

" ما وعد الرحمن " في موضع رفع من ثلاث جهات.

ذكر أبو إسحاق منها اثنتين قال: يكون بإضمار هذا.

والجهة الثانية أن يكون بمعنى حق ما وعد الرحمن بعثكم.

والجهة الثالثة أن يكون بمعنى ما وعد الرحمن.

" ان كانت الا صيحة واحدة " يعني إن بعثهم وإحياءهم كان بصيحة واحدة وهي قول إسرافيل: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة والشعور المتمزقة ! إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

وهذا معنى قول الحق: " يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج.

" [ق: ٤٢].

وقال: " مهطعين إلى الداعي " [القمر: ٨] على ما يأتي.

وفي قراءة ابن مسعود إن صح عنه " إن كانت إلا زقية." <تفسير القرطبي، ١٥/٤٢>

"وفي الخبر عن أبي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن أهل الجنة كلما جامعوا نساءهم عدن أبكارا.

" وقال ابن عباس: إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحورا ء سبعين سنة، لا يملها ولا تمله، كلما أتاها وجدها بكرا، وكلما رجع إليها عادت إليه شهوته، فيجامعها بقوة سبعين رجلا، لا يكون بينهما مني، يأتي من غير مني منه ولا منها.

" لهم فيها فاكهة " ابتداء وخبر.

" ولهم ما يدعون " الدال الثانية مبدلة من تاء، لأنه يفتعلون من دعا أي من دعا بشئ أعطيه.

قاله أبو عبيدة، فمعنى " يدعون " يتمنون من الدعاء.

وقيل: المعنى أن من أدعى منهم شيئا فهو له، لأن الله تعالى قد طبعهم على ألا يدعي منهم أحد إلا ما يجمل ويحسن أن يدعيه.

وقال يحيى بن سلام: " يدعون " يشتهون.

ابن عباس.

يسألون.

والمعنى متقارب.

قال ابن الأنباري: " ولهم ما يدعون " **وقف حسن**، ثم تبتدئ: " سلام " على معنى ذلك لهم سلام.

ويجوز أن يرفع السلام على معنى ولهم ما يدعون مسلم خالص.

فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على " ما يدعو ن ".

وقال الزجاج: " سلام " مرفوع على البدل من " ما " أي ولهم أن يسلم الله عليهم، وهذا منى أهل الجنة.

وروي من حديث جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله: " سلام قولا من رب رحيم ".

فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شئ من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم في ديارهم " ذكره الثعلبي والقشيري.

ومعناه ثابت في صحيح مسلم، وقد بيناه في " يونس " عند قوله تعالى: " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " [يونس: ٢٦].

ويجوز

أن تكون " ما " نكرة، و " سلام " نعتا لها، أي ولهم ما يدعون مسلم.

ويجوز أن تكون " ما " رفع بالابتداء، و " سلام " خبر عنها.

وعلى هذه الوجوه لا يوقف على " ولهم ما يدعون ".

وفي قراءة ابن مسعود " سلاما " يكون مصدرا، وإن شئت في موضع الحال، أي ولهم

راجع ج ص ٢٣٠ طبعة أولى أو ثانيه.

(*)." <تفسير القرطبي، ١٥/٤٥>

"ونزلت الآية.

قال ابن الأنباري: وهو **وقف حسن**، ثم تبتدى " رب السموات والارض " على معنى هو رب السموات.

النحاس: ويجوز أن يكون " رب السموات والأرض " خبرا بعد خبر، ويجوز أن يكون بدلا من " واحد ".

قلت: وعلى هذين الوجهين لا يوقف على " لواحد ".

وحكى الأخفش: " رب السموات ورب المشارق " بالنصب على النعت لاسم إن.
بين سبحانه معنى وحدانيته وألوهيته وكمال قدرته بأنه " رب السموات والأرض " أي خالقهما ومالكهما " وما بينها ورب المشارق " أي مالك مطالع الشمس.
ابن عباس: للشمس كل يوم مشرق ومغرب، وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وخمسة وستين كوة في مطلعها، ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية، تطلع في كل يوم في كوة منها، وتغيب في كوة، لا تطلع في تلك الكوة إلا في ذلك اليوم من العام المقبل.
ولا تطلع إلا وهي كارهة فتقول: رب لا تطلعني على عبادك فإني أراهم يعصونك.
ذكره أبو عمر في كتاب التمهيد، وابن الأنباري في كتاب الر د عن عكرمة، قال: قلت لابن عباس أرأيت ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في أمية بن أبي الصلت " آمن شعره وكفر قلبه " قال: هو حق فما أنكرتم من ذلك ؟ قلت: أنكرنا قول:
/ ش والشمس تطلع كل آخر ليلة / وحمراء يصبح لونها يتورد / ش / ش ليست بطالعة لهم في رسلها / و إلا معذبة وإلا ت جلد / ش ما بال الشمس تجلد ؟ فقال: والذي نفسي بيده ما طلعت شمس قط حتى ينخسها سبعون ألف ملك، فيقولون لها اطلعي اطلعي، فتقول لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله، فيأتيها ملك فيستقل لضياء بني آدم، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها، فذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما طلعت إلا بين قرني شيطان ولا غربت إلا بين قرني شيطان وما غربت قط إلا خرت لله ساجدة فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السجود فتغرب بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها " لفظ ابن الأنباري.
وذكر." <تفسير القرطبي، ١٥/٦٣>
"تساوين في الحسن والشباب، بنات ثلاث وثلاثين سنة.
قال ابن عباس: يريد الآدميات.
و " أتراب " جمع ترب وهو نعت لقاصرات، لأن " قاصرات " نكرة وإن كان مضافا إلى المعرفة.
والدليل على ذلك أن الألف واللام يدخلانه كما قال: من القاصرات الطرف لودب محول / ومن الذر فوق الإتب منها لأثرا / ش قوله تعالى: " هذا ما توعدون ليوم الحساب " أي هذا الجزاء الذي وعدتم به.
وقراءة العامة بالتاء أي ما توعدون أيها المؤمنون.
وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو ويعقوب بالياء على الخبر، وهي قراءة السلمي واختيار أبي عبيد وأبي

حاتم، لقوله تعالى: " وإن للمتقين لحسن مآب " فهو خبر.
" ليوم الحساب " أي في يوم الحساب، قال الأعشى: / ش المهينين ما لهم لزمان / والسوء حتى إذا أفاق أفاقوا / ش أي في زمان السوء.
قوله تعالى: " إن هذا لرزقنا ماله من نفاد " دليل على أن نعيم الجنة دائم لا ينقطع، كما قال: " عطاء غير مجذوذ " [هود: ١٠٨] وقال: " لهم أجر غير " ممنون.
" [التين: ٦].
قوله تعالى: هذا وإن للطاغين لشر ماب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وءاخر من شكله أزوج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قد متموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار قوله تعالى: " هذا وإن للطاغين لشر مآب " لما ذكر ما للمتقين ذكر ما للطاغين.
قال الزجاج: " هذا " خبر ابتداء محذوف أي الأمر هذا فيوقف على " هذا " قال ابن الأنباري: " هذا " **وقف حسن.**
ثم تبتدئ " وإن للطاغين " وهم الذين كذبوا الرسل.
*

---

(١) قائله امرؤ القيس.
المحول: الصغير.
والإتب: درع المرأة.
وبرده تشق فتلبس من غير كمين ولا جبب.
(*)." <تفسير القرطبي، ١٥/٢٢٠>
"إلا وهو يعاتب نفسه، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم.
قال الحسن: هي والله نفس المؤمن، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي ؟ ما أردت بأكلي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه.
وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم فعلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه.

وقيل: إنها ذات اللوم.

وقيل: إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها، فعلى هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة، وهو صفة مدح، وعلى هذا يجئ القسم بها سائغا حسنا.

وفي بعض التفسير: إنه آدم عليه السلام لم يزل لائما لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة.

وقيل: اللوامة بمعنى الملومة المذمومة - عن ابن عباس أيضا - فهي صفة ذم وهو قول من نفى أن يكون قسما، إذ ليس للعاصي

خطر يقسم به، فهي كثيرة اللوم.

وقال مقاتل: هي نفس الكافر يلوم نفسه، ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله.

وقال الفراء: ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها، فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحسانا، والمسئ يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته.

قوله تعالى: (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) فنعيدها خلقا جديدا بعد أن صارت رفاتا.

قال الزجاج: أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة: ليجمعن العظام للبعث، فهذا جواب القسم.

وقال النحاس: جواب القسم محذوف أي لتبعثن، ودل عليه قوله تعالى: " أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه " للاحياء والبعث.

والانسان هنا الكافر المكذب للبعث.

الآية نزلت في عدي بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم: حدثني عن يوم القيامة متى تكون، وكيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به، أو يجمع الله العظام ؟ ! ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة، والاخنس بن شريق).

وقيل: نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت.

وذكر العظام والمراد نفسه كلها، لان العظام قالب الخلق.

" بلى " **وقف حسن** ثم تبتدئ " قادرين ".

قال سيبويه: على معنى نجمعها قادرين، ف " - قادرين " حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه." <تفسير القرطبي، ١٩/٩٣>

" " صفحة رقم ١٣٤ "
شاعر كاهن مجنون ، وقال الضحاك : قول الكفرة لا يكون مستوياً ، إنما يكون متناقضاً مختلفاً . وقيل : اختلافهم في الحشر ، منهم من ينفيه ، ومنهم من يشك فيه . وقيل : اختلافهم : إقرارهم بأن الله تعالى أوجدهم وعبادتهم غيره والأقوال التي يقولونها في آلهتهم .
الذاريات : (٩) يؤفك عنه من . . . . .
(يُؤْفَكُ (: أي يصرف عنه ، أي عن القرآن والرسول ، قاله الحسن وقتادة .) مَنْ أُفِكَ (: أي من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم لقوله : لا يهلك على الله إلا هالك . وقيل : من صرف في سابق علم الله تعالى أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي . وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون ، أو للذي أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه ، فمنهم شاك ومنهم جاحد . ثم قال : يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك . وقيل : المأفوك عنه محذوف ، وعن هنا للسبب ، والضمير عائد على) قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (، أي يصرف بسببه من أراد الإسلام بأن يقول : هو سحر هو كهانة ، حكاه الزهراوي والزمخشري ، وأورده على عادته في إبداء ما هو محكي عن غيره أنه مخترعه . وقال ابن عطية : ويحتمل أن يعود على) قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (، والمعنى : يصرف عنه بتوفيق الله إلى الإسلام من غلبت سعادته ، وهذا على أن يكون في قول مختلف للكفار ، إلا أن عرف الاستعمال في إفكه الصرف من خير إلى شر ، فلذلك لا تجده إلا في المذمومين . انتهى ، وفيه بعض تلخيص . وقرأ ابن جبير وقتادة : من أفك مبنياً للفاعل ، أي من أفك الناس عنه ، وهم قريش . وقرأ زيد بن علي : يأفك عنه من أفك ، أي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه . وعنه أيضاً : يأفك عنه من أفك ، أي يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب . وقرىء : يؤفن عنه من أفن بالنون فيهما ، أي يحرمه من حرم من أفن الضرع إذا نهكه حلباً .
الذاريات : (١٠) قتل الخراصون
) قُتِلَ الْخَرصُونَ (: أي قتل الله الخراصين ، وهم المقدرون ما لا يصح .
الذاريات : (١١) الذين هم في . . . . .
(فِى غَمْرَةٍ (: في جهل يغمرهم ، (سَاهُونَ (: غافلون عن ما أمروا به .
الذاريات : (١٢) يسألون أيان يوم . . . . .
(أَيَّانَ يَوْمُ الدّينِ (: أي متى وقت الجزاء ؟ سؤال تكذيب واستهزاء ، وتقدمت قراءة من كسر الهمزة في قوله :) أَيَّانَ مُرْسَاهَا (، (أيان يَوْمِ الدّينِ (، فيكون الظرف محلاً للمصدر ،

الذاريات : (١٣) يوم هم على . . . . .

وانتصب يوم هم بمضمر تقديره : هو كائن ، أي الجزاء ، قاله الزجاج ، وجوزوا أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أي هو يومهم ، والفتحة فتحة بناء لإضافته إلى غير متمكن ، وهي الجملة الإسمية . ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة والزعفراني .) يَوْمَ هُم (بالرفع ، وإذا كان ظرفاً جاز أن تكون الحركة فيه حركة إعراب وحركة بناء ، وتقدم الكلام على إضافة الظرف المستقبل إلى الجملة الإسمية في غافر في قوله تعالى :) يَوْمَ هُم بَارِزُونَ). وقال بعض النحاة : يومهم بدل من) يَوْمِ الدّينِ (، فيكون هنا حكاية من كلامهم على المعنى ، ويقولون ذلك على سبيل الاستهزاء . ولو حكى لفظ قولهم ، لكان التركيب : يوم نحن على النار يفتنون .

الذاريات : (١٤) ذوقوا فتنتكم هذا . . . . . .

(ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ (: أي يقال لهم ذوقوا .) هَاذَا الَّذِى (: مبتدأ وخبر . وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون هذا بدلاً من فتنتكم ، أي ذوقوا هذا العذاب . انتهى ، وفيه بعد ، والاستقلال خير من البدل . ومعنى تفتنون : تعذبون في النار .

الذاريات : (١٥) إن المتقين في . . . . . .

ولما ذكر حال الكفار ، ذكر حال المؤمنين ، وانتصب آخذين على الحال ، أي قابليه راضين به ، وذلك في الجنة . وقال ابن عباس :

الذاريات : (١٦) آخذين ما آتاهم . . . . . .

(ءاخِذِينَ (: أي في دنياهم ، (مَا ءاتَاهُمْ رَبُّهُمْ (من أوامره ونواهيه وشرعه ، فالحال محكية لتقدمها في الزمان على كونهم في الجنة .

الذاريات : (١٧) كانوا قليلا من . . . . . .

والظاهر أن) قَلِيلاً (ظرف ، وهو في الأصل صفة ، أي كانوا في قليل من الليل . وجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف ، أي كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً ، وما زائدة في كلا الإعرابين . وفسر أنس بن مالك ذلك فقال : كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء ، ولا يدل لفظ الآية على الاقتصار على هذا التفسير . وقال الربيع بن خيثم : كانوا يصيبون من الليل حظاً . وقال مطرف ، ومجاهد ، وابن أبي نجيح : قل ليلة أتت عليهم هجوعاً كلها . وقال الحسن : كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلاً . وقال الضحاك :) كَانُواْ قَلِيلاً (، أي في عددهم ، وثم خبر كان ، ثم ابتدأ) مّن الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (، فما نافية ، وقليلاً **وقف حسن** ، وهذا القول فيه تفكيك للكلام ، وتقدم معمول العامل المنفي بما على عامله ، وذلك لا يجوز عند البصريين ، ولو كان

ظرفاً أو مجروراً . وقد أجاز ذلك بعضهم ، وجاء في الشعر قوله :." <تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ٨/١٣٤>

"وعلى هذا تأول النحاة هذه القراءات ، والأحسن عندي أن تكون مما اتبع فيه حركة الحاء لحركة ذات في الكسرة ، ولم يعتد باللام الساكنة ، لأن الساكن حاجز غير حصين. وجواب القسم : ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ ، والظاهر أنه خطاب عام للمسلم والكافر ، كما أن جواب القسم السابق يشملهما ، واختلافهم كونهم مؤمناً بالرسول صلى الله عليه وسلّم وكتابه وكافراً. وقال ابن زيد : خطاب للكفرة ، فيقولون : ساحر شاعر كاهن مجنون ، وقال الضحاك : قول الكفرة لا يكون مستوياً ، إنما يكون متناقضاً مختلفاً. وقيل : اختلافهم في الحشر ، منهم من ينفيه ، ومنهم من يشك فيه. وقيل : اختلافهم : إقرارهم بأن الله تعالى أوجدهم وعبادتهم غيره والأقوال التي يقولونها في آلهتهم.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٣١

﴿يُؤْفَكُ﴾ : أي يصرف عنه ، أي عن القرآن والرسول ، قاله الحسن وقتادة. ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ : أي من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم لقوله : لا يهلك على الله إلا هالك. وقيل : من صرف في سابق علم الله تعالى أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون ، أو للذي أقسم بالسماء

١٣٤

على أنهم في قول مختلف في وقوعه ، فمنهم شاك ومنهم جاحد. ثم قال : يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك. وقيل : المأفوك عنه محذوف ، وعن هنا للسبب ، والضمير عائد على ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ ، أي يصرف بسببه من أراد الإسلام بأن يقول : هو سحر هو كهانة ، حكاه الزهراوي والزمخشري ، وأورده على عادته في إبداء ما هو محكي عن غيره أنه مخترعه. وقال ابن عطية : ويحتمل أن يعود على ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ ، والمعنى : يصرف عنه بتوفيق الله إلى الإسلام من غلبت سعادته ، وهذا على أن يكون في قول مختلف للكفار ، إلا أن عرف الاستعمال في إفكه الصرف من خير إلى شر ، فلذلك لا تجده إلا في المذمومين. انتهى ، وفيه بعض تلخيص. وقرأ ابن جبير وقتادة : من أفك مبنياً للفاعل ، أي من أفك الناس عنه ، وهم قريش. وقرأ زيد بن علي : يأفك عنه من أفك ، أي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه. وعنه أيضاً : يأفك عنه من أفك ، أي يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب. وقرىء : يؤفن عنه من أفن بالنون فيهما ، أي يحرمه من حرم من أفن الضرع إذا نهكه حلباً.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ : أي قتل الله الخراصين ، وهم المقدرون ما لا يصح. ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ : في جهل يغمرهم ، ﴿سَاهُونَ﴾ : غافلون عن ما أمروا به. ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ : أي متى وقت الجزاء ؟ سؤال تكذيب واستهزاء ، وتقدمت قراءة من كسر الهمزة في قوله : ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ، فيكون الظرف محلاً للمصدر ، وانتصب يومهم بمضمر تقديره : هو كائن ، أي الجزاء ، قاله الزجاج ، وجوزوا أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أي هو يومهم ، والفتحة فتحة بناء لإضافته إلى غير متمكن ، وهي الجملة الإسمية. ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة والزعفراني. ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ بالرفع ، وإذا كان ظرفاً جاز أن تكون الحركة فيه حركة إعراب وحركة بناء ، وتقدم الكلام على إضافة الظرف المستقبل إلى الجملة الإسمية في غافر في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾ . وقال بعض النحاة : يومهم بدل من ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ ، فيكون هنا حكاية من كلامهم على المعنى ، ويقولون ذلك على سبيل الاستهزاء. ولو حكى لفظ قولهم ، لكان التركيب : يوم نحن على النار يفتنون. ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ : أي يقال لهم ذوقوا. ﴿هَاذَا الَّذِى﴾ : مبتدأ وخبر. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون هذا بدلاً من فتنتكم ، أي ذوقوا هذا العذاب. انتهى ، وفيه بعد ، والاستقلال خير من البدل. ومعنى تفتنون : تعذبون في النار.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٣١

ولما ذكر حال الكفار ، ذكر حال المؤمنين ، وانتصب آخذين على الحال ، أي قابليه راضين به ، وذلك في الجنة. وقال ابن عباس : ﴿ءَاخِذِينَ﴾ : أي في دنياهم ، ﴿مَآ ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من أوامره ونواهيه وشرعه ، فالحال محكية لتقدمها في الزمان على كونهم في الجنة. والظاهر أن ﴿قَلِيلا﴾ ظرف ، وهو في الأصل صفة ، أي كانوا في قليل من الليل. وجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف ، أي كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً ، وما زائدة في كلا الإعرابين. وفسر أنس بن مالك ذلك فقال : كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء ، ولا يدل لفظ الآية على الاقتصار على هذا التفسير. وقال الربيع بن خيثم : كانوا يصيبون من الليل حظاً. وقال مطرف ، ومجاهد ، وابن أبي نجيح : قل ليلة أتت عليهم هجوعاً كلها. وقال الحسن : كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلاً. وقال الضحاك : ﴿كَانُوا قَلِيلا﴾ ، أي في عددهم ، وثم خبر كان ، ثم ابتدأ ﴿مِّن الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ، فما نافية ، وقليلاً **وقف حسن** ، وهذا القول فيه تفكيك للكلام ، وتقدم معمول العامل المنفي بما على عامله ، وذلك لا يجوز عند البصريين ، ولو كان ظرفاً أو مجروراً. وقد أجاز ذلك بعضهم ، وجاء في الشعر قوله :

." <تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٠٢/٨>

" وقالوا : ٥٢ - ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ أي قالوا عند بعثهم من القبور بالنفخة يا ويلنا : نادوا ويلهم كأنهم قالوا له احضر فهذا أوان حضورك وهؤلاء القائون هم الكفار قال ابن الأنباري : الوقف على يا ويلنا وقف حسن ثم يبتدئ الكلام بقوله : ﴿ من بعثنا من مرقدنا ﴾ ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم من الفزع أنهم كانوا نياما قرأ الجمهور يا ويلنا وقرأ ابن أبي ليلى يا ويلتنا بزيادة التاء وقرأ الجمهور ﴿ من بعثنا ﴾ بفتح ميم من على الاستفهام وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو نهيك بكسر الميم على أنها حرف جر ورويت هذه القراءة عن علي بن أبي طالب وعلى هذه القراءة تكون من متعلقة بالويل وقرأ الجمهور من بعثنا وفي قراءة أبي من أهبنا من هب من نومه : إذا انتبه وأنشد ثعلب على هذه القراءة :

(وعاذلة هبت بليل تلومني ... ولم يعتمدني قبل ذاك عذول)

وقيل إنهم يقولون ذلك إذا عاينوا جهنم وقال ابو صالح : إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية وجملة ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ جواب عليهم من جهة الملائكة أو من جهة المؤمنين وقيل هو من كلام الكفرة يجيب به بعضهم على بعض قال بالأول الفراء وبالثاني مجاهد وقال قتادة : هي من قول الله سبحانه و ما في قوله : ﴿ ما وعد الرحمن ﴾ موصولة وعائدها محذوف والمعنى : هذا الذي وعد الرحمن وصدق فيه المرسلون قد حق عليهم ونزل بكم ومفعولا الوعد والصدق محذوفان : أي وعدكموه الرحمن وصدقكموه المرسلون والأصل وعدكم به وصدقكم فيه أو وعدنا الرحمن وصدقناه المرسلون على أن هذا من قول المؤمنين أو من قول الكفار ." <فتح القدير، ٤/٥٣١>

" وجملة ٥٧ - ﴿ لهم فيها فاكهة ﴾ مبينة لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ونحوها والمراد فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه ﴿ ولهم ما يدعون ﴾ ما هذه هي الموصولة والعائد محذوف أو موصوفة أو مصدرية ويدعون مضارع ادعى قال أبو عبيدة : يدعون بتمنون والعرب تقول : ادع علي ما شئت : أي تمن وفلان في خير ما يدعي : أي ما يتمنى وقال الزجاج هو من الدعاء : أي ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل وقيل افتعل بمعنى تفاعل : أي ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا وقيل المعنى : إن من اجعى منهم شيئا فهو له لأن الله قد طبعهم على أن لا يدعي أحد منهم شيئا إلا وهو يحسن ويجمل به أن يدعيه وما مبتدأ وخبرها لهم والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ يدعون بالتخفيف ومعناها واضح قال ابن الأنباري : والوقف على يدعون وقف حسن ." <فتح القدير، ٤/٥٣٥>

" ٥ - ﴿ رب السموات والأرض ﴾ يجوز أن يكون خبرا ثانيا وأن يكون بدلا من لواحد وأن يكون خبر مبتدأ محذوف قال ابن الأنباري : الوقف على لواحد **وقف حسن** ثم يبتدئ رب السموات والأرض على معنى هو رب السموات والأرض قال النحاس : ويجوز أن يكون بدلا من لواحد والمعنى في الآية : أن وجود هذه المخلوقات على هذا الشكل البديع من أوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته وأنه رب ذلك كله : أي خالقه ومالكه والمراد بما بينهما : ما بين السموات والأرض من المخلوقات والمراد ب ﴿ المشارق ﴾ مشارق الشمس قيل إن الله سبحانه خلق للشمس كل يوم مشرقا ومغربا بعدد أيام السنة تطلع كل يوم من واحد منها وتغرب من واحد كذا قال ابن الأنباري وابن عبد البر وأما في قوله في سورة الرحمن ﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾ فالمراد بالمشرقين : أقصى مطلع تطلع منه الشمس في الأيام الطوال وأقصر يوم في الأيام القصار وكذلك في المغربين وأما ذكر المشرق والمغرب بالإفراد فالمراد به الجهة التي تشرق منها الشمس والجهة التي تغرب منها ولعله قد تقدم لنا في هذا كلام أوسع من هذا ." <فتح القدير، ٤/٥٤٩>

" قوله : ٥٥ - ﴿ هذا ﴾ قال الزجاج : هذا خبر مبتدإ محذوف : أي الأمر هذا فيوقف على هذا قال ابن الأنباري : وهذا **وقف حسن** ثم يبتدئ ﴿ وإن للطاغين ﴾ ويجوز أن يكون هذا مبتدأ وخبره محذوف : أي هذا كما ذكر أو هذا ذكر ثم ذكر سبحانه ما لأهل الشر بعد أن ذكر ما لأهل الخير فقال : ﴿ وإن للطاغين لشر مآب ﴾ أي الذين طغوا على الله وكذبوا رسله لشر مآب لشر منقلب ينقلبون إليه ." <فتح القدير، ٤/٦٢٦>

" ٤ - ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ بلى إيجاب لما بعد النفي المنسحب إليه الاستفهام والوقف على هذا اللفظ **وقف حسن** ثم يبتدئ الكلام بقوله قادرين وانتصاب قادرين على الحال : أي بلى نجمعها قادرين فالحال من ضمير الفعل المقدر وقيل المعنى : بلى نجمعها نقدر قادرين قال الفراء : أي نقدر ونقوى قادرين على أكثر من ذلك وقال أيضا : إنه يصلح نصبه على التكرير : أي بلى فلحسبنا قادرين وقيل التقدير : بلى كنا قادرين وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع بلى قادرون على تقدير مبتدأ : أي بلى نحن قادرون ومعنى ﴿ على أن نسوي بنانه ﴾ على أن نجمع بعضها إلى بعض فنردها كما كانت ما لطافتها وصغرها فكيف بكبار الأعضاء فنبه سبحانه بالبنان وهي الأصابع على بقيه الأعضاء وإن الاقتدار على بعثها وإرجاعها كما كانت أولى في القدرة من إرجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر وبهذا قال الزجاج وابن قتيبة وقال جمهور المفسرين : إن معنى الآية أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار صفيحة واحدة لا شقوق فيها فلا

يقدر على أن ينتفع بها في الأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما ولكنا فرقنا أصابعه لينتفع بها وقيل المعنى : بل نقدر على أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها والأول أولى ومنه قول عنترة :

(وإن الموت طوع يدي إذا ما ... وصلت بنانها بالهندوان)

فنبه بالبنان على بقية الأعضاء ." <فتح القدير، ٥/٤٧١>

"" صفحة رقم ٥٢٨ "

سورة العلق

(سورة العلق مكية حروفها مائتان وثمانون كلمها اثنتان وسبعون آياتها تسع عشرة) بسم الله الرحمن الرحيم

(العلق : (١ - ١٩) اقرأ باسم ربك . . . .

" اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب " (: (القرآت اقرأ (بالألف : الأوقية والأعشى وحمزة في الوقف) رآه (ممالة مكسورة الراء : حمزة وعلي وخلف ويحي وعباس والخزار وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل والنقاش عن ابن ذكوان .

وقرأ أبو عمرو غير عباس والنجاري عن ورش بفتح الراء وكسر الهمزة روى ابن مجاهد وأبو عون غير قنبل مفتوحة الراء مقصورة على وزن (رعه) الوقوف : (الذي خلق (ه ج لاتباع صلة بلا عطف فإن الجملة الثانية مفسرة للأولى المبهمة ، ولو جعل المعنى الذي خلق كل شيء ثم خص خلق الإنسان ازداد **الوقف حسناً**) علق (ه ج لأن) اقرأ (يصلح مستأنفاً وتكراراً للأول) الأكرم (ه لا) بالقلم (ه لا) يعلم (ه لا) ليطغى (ه لا) بالتقوى (ه ط) وتولى (ه ط) يرى (ه لا) خاطئة (ه لا) ناديه (ه لا) الزبانية (ه لا) كلا (ط على الردع) واقترب (ه .

التفسير : وقد مر في أوائل الكتاب أن أكثر المفسرين زعموا أن هذه السورة أول ما نزل من السماء .

وفي الباء وجهان : الأول إنها زائدة وزيف بأنه خلاف الأصل وبأن معناه حينئذ : اذكر اسم ربك فلا يحسن من النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يقول : ما أنا بقارىء كما جاء في الحديث ، وبأنه كتحصيل الحاصل

لأنه لم يكن له شغل سوى ذكر الله .

والثاني وهو الأصح أنه نصب على." <غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥٢٨/٦>

"وقوله تعالى : ﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو **وقف حسن** ، ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿قادرين﴾ وقيل : المعنى : بل نجمعها قادرين مع جمعها ﴿على أن نسوي بنانه﴾ أي : أصابعه وسلامياته وهي عظامه الصغار التي في يده ، خصها بالذكر لأنها أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أي : نجمع بعضها على بعض على ما كانت عليه قبل الموت لأنا قدرنا على تفصيل عظامه وتفتيتها ، فنقدر على جمعها وتوصيلها ، وقدرنا على جمع صغار العظام فنحن على جمع كبارها أقدر ، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين : على أن نسوي بنانه أي : نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير أو كحافر الحمار أو كظلف الخنزير ، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً ، ولكنا فرّقنا أصابعه حتى يفعل بها ما شاء. وقيل : نقدر أن نصير الإنسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى : ﴿وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ (الواقعة : ٦٠ ـ ٦١)

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٩١

وقوله تعالى : ﴿بل يريد الإنسان﴾ عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهاماً وأن يكون جواباً لجواز أن يكون الإضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ﴿ليفجر أمامه﴾ أي : ليدوم على فجوره فيما يستقبله من زمان لا يبرح عنه ولا يتوب ، هذا قول مجاهد رضي الله عنه. وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه : يقدّم الذنب ويؤخر التوبة ، فيقول : سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على أشرّ أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك رضي الله عنه : هو الأجل يقول : أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يكذب بما أمامه من البعث والحساب ، وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجراً لميله عن الحق.

﴿يسأل﴾ أي : سؤال استهزاء أو استبعاد ﴿أيان﴾ أي : أي وقت يكون ﴿يوم القيامة﴾.

ولما كان الجواب يوم يكون كذا وكذا عدل عنه إلى ما سبب عن استبعاده لأنه أهول فقال تعالى ﴿فإذا برق البصر﴾ أي : شخص ووقف لما يرى مما كان يكذب به هذا على قراءة نافع بفتح الراء وأما على قراءة كسرها فالمعنى : تحير ودهش مما يرى وقيل : هما لغتان في التحير والدهشة.

﴿وخسف القمر﴾ أي : أظلم وذهب ضوءه ، وقد اشتهر أنّ الخسوف للقمر والكسوف للشمس. وقيل : يكونان فيهما ، يقال : خسفت الشمس وكسفت ، وخسف القمر وكسف. وقيل : الكسوف أوّله والخسوف

آخره.
ولم تلحق علامة التأنيث في قوله تعالى ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ لأنّ التأنيث مجازي ، وقيل : لتغليب التذكير ، وردّ لأنه لا يقال : قام هند وزيد عند الجمهور من العرب. وقال الكسائي : حمل على جمع النيران. وقال الفرّاء : لم يقل جمعت لأنّ المعنى : جمع بينهما قال الفرّاء والزجاج : جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه. وقال
٤٩٣
ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم : قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكوّرين مظلمين مقرّنين كأنهما ثوران عقيران في النار ، وقال عطاء بن يسار رضي الله عنه : يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى ، وقيل : يجمعان في نار جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله تعالى ولا تكون النار عذاباً لهما ، لأنهما جماد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار وحسرتهم.
وقوله تعالى : ﴿يقول الإنسان﴾ أي : لشدّة روعه جرياً مع طبعه جواب إذا من قوله تعالى ﴿فإذا برق البصر﴾. ﴿يومئذ﴾ أي : إذا كانت هذه الأشياء ، وقوله تعالى : ﴿أين المفرّ﴾ منصوب المحل بالقول والمفرّ مصدر بمعنى الفرار. قال الماوردي : ويحتمل وجهين : أحدهما : أين المفرّ من الله تعالى استحياء منه. والثاني : أين المفرّ من جهنم حذراً منها. ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين : أحدهما : أن يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه تعالى. والثاني : أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها. وقيل : أبو جهل خاصة.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٩١
وقوله تعالى : ﴿كلا﴾ ردع عن طلب المفرّ ﴿لا وزر﴾ أي : لا ملجأ ولا حصن استعير من الجبل. قال السدّي : كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال ، فقال الله تعالى لهم : لا وزر يعصمكم مني يومئذ واشتقاقه من الوزر وهو الثقل ﴿إلى ربك﴾ أي : المحسن إليك بأنواع الإحسان لا إلى شيء غيره ﴿يومئذ﴾ أي : إذ كانت هذه الأمور ﴿المستقر﴾ أي : استقرار الخلق كلهم ناطقهم وصامتهم ومكان قرارهم وزمانه إلى حكمه سبحانه ومشيئته ظاهراً وباطناً لا حكم لغيره بوجه من الوجوه في ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا.
وقال ابن مسعود : المصير والمرجع ، قال الله تعالى ﴿إلى ربك الرجعى﴾ (العلق : ٨)
و ﴿إليه المصير﴾ (المائدة : ١٨)

وقال السدّي : المنتهى ، نظيره ﴿وإنّ إلى ربك المنتهى﴾ (النجم : ٤٢)." <تفسير السراج المنير . ، ٤/٣٢٠>

"وكما في .. وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين [الأعراف: ١٦١].

٢ - (بل): كما في أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد [ق: ١٥]

٣ - استفهام: كما في قوله تعالى: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير [البقرة: ١٠٦]

أو قوله كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا* ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا [مريم: ٨٢، ٨٣]

٤ - مبتدأ: كما في قوله تعالى: الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون* أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى [البقرة: ١٦].

٥ - مفعول به بفعل محذوف. أو خبر لمبتدإ محذوف هدى للمتقين لله الذين يؤمنون بالغيب [البقرة: ٢] وذلك إذا اعتبرنا (الذين) مفعول به لفعل محذوف تقديره (أعني) أو اعتبرناها خبرا لمبتدإ محذوف تقديره (هم).

٦ - أن يكون بعده نفي: كقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين [يس: ٦٩]

ثالثا: **الوقف الحسن**

تعريفه: هو الوقف علي كلام تام في ذاته إلا أن بينه وبين ما بعده تعلق معنوي ولفظي

مثال: قوله تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ...... [البقرة: ٢٥٥].

فإذا وقفنا على قوله (إلا هو) فالكلام جملة مفيدة تفيد وحدانية الله سبحانه وتعالى ولكنه متعلق بما بعده لفظا ومعنى لأن (الحي) * و (القيوم) * و (لا تأخذه سنة ولا نوم) و (له ما في السماوات وما في الأرض) * كلها صفات الموصوف بها هو الله سبحانه تعالى ولو وقفنا لفصلنا الصفات عن موصفها.." <الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد ص/٢٠٧>

"تسميته: سمي حسنا لأن الوقوف عليه يفيد معنى في ذاته.

علامته في المصاحف: (صلى) ومعناها (الوصل أولى).

حكمه: يحسن الوقف عليه. وفي الابتداء بما بعده خلاف بين العلماء وتفصيل كثير يستوجب أن نوضحه فيما يلي:

بداية يجب أن نعلم أن **الوقف الحسن** أثناء الآية لا خلاف فيه. فيحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده اتفاقا. وعلى القارئ أن يعيد ثم يصل، أما الوقف علي رءوس الآي فموضع خلاف. وقد فرق العلماء بين حالتين:

الأولى: ألا يؤدي الوقف على رأس الآية إلي توهم معني غير المعني المقصود بالكلام.

والثانية: أن يؤدي الوقف على رأس الآية إلى توهم معنى غير المقصود بالكلام.

حكم الحالة الأولى: إذا كان الوقف لا يتوهم بسببه معني غير المقصود.

وذلك كالوقف على مصبحين من قوله تعالى: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين من قوله تعالى وإنكم لتمرون عليهم مصبحين* وبالليل [الصافات: ١٣٧].

انقسم العلماء في حكمهم على مثل هذا النوع من الوقف إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى تقول: يوقف عليه ويبتدأ بما بعده لأن الوقف هنا سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١.

الطائفة الثانية تقول: يوقف عليه ولكن لا يبتدأ بما بعده إلا إذا كان يحسن الابتداء به لإفادته معنى أما إذا لم يفد معنى كقوله (وبالليل) فيستحب للقارئ أن يعيد ثم يصل، ومثل ذلك أيضا قوله تعالى لعلكم تتفكرون* في الدنيا والآخرة .. [البقرة ٢١٩، ٢٢٠] وقوله تعالى وأنزل التوراة والإنجيل* من قبل هدى للناس [آل عمران ٣، ٤].

الطائفة الثالثة: لم تفرق في حكمها بين الوقف أثناء الآية، والوقف على رأسها، فجعلت لكليهما حكما واحدا هو أن **الوقف الحسن** يحسن الوقوف." <الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد ص/٢٠٨>

". . . . .

فهم الآية، أما الوقف في غير موضعه ربما يغير معنى الآية أو يشوه جمال التلاوة.

والمعلوم أن الوقف يكون بتسكين الحرف الأخير، لأن العرب لا تقف على متحرك ولا تبدأ بساكن، وقد قسمه العلماء إلى أقسام عديدة أهمها:

١ - **الوقف التام**: وهو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لا لفظا ولا معنى، وأكثر ما يكون عند رءوس الآي، وانتهاء القصص مثاله: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) - (مالك يوم الدين) (وإياك نستعين).

ومنه أن يكون آخر قصة أو آخر سورة والوقف على ما قبل ياء النداء أو فعل الأمر أو لام القسم أو الشرط

- والفصل بين آية رحمة وآية عذاب لوقف على ما قبل النفي أو النهي أو عند انتهاء القول.

٢ - الوقف الكافي: وهو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لفظا بل معنى، وهو كثير في الفواصل وغيرها كالوقف على (لا يؤمنون) من قوله تعالى: أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ويحسن الوقف عليه أيضا والابتداء بما بعده.

٣ - **الوقف الحسن**: هو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها أو بما قبلها لفظا ومعنى كالوقف على (بسم الله) وعلى (الحمد لله)، ولكن الابتداء بما بعدها لا يحسن لتعلقه بما قبله لفظا إلا ما كان من ذلك رأس آية، فيجوز الوقف عليه في اختيار أكثر العلماء بدليل حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف، ثم يقول:

الحمد لله رب العالمين ثم يقف، ثم يقول: الرحمن الرحيم، ثم يقف ثم يقول: مالك يوم الدين. ثم يقف» رواه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم.

٤ - الوقف القبيح: هو الوقف على ما لا يتم الكلام به ولا ينقطع عما بعده كالوقوف على المبتدإ دون خبره أو على الفعل دون فاعله أو على الناصب دون منصوبه، وأقبح منه الوقف على ما يوهم وصفا لا يليق بذات الله تعالى كأن يقف على (يستحيي) في قوله تعالى: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا فلا يجوز الوقف إلا لضرورة، ثم يعيد الكلمة التي وقف عليها إذا لم تغير المعنى، وإلا أعاد." <الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد محمود عبد السميع الحفيان ص/١٠٨>

"تقدير درجات الوقف جودة ورداءة تبعا لتفاوت القراء في فهم القرآن، ومقدار إحاطتهم بعلومه.

س ٨٢ ما هي أقسام الوقف؟

ج: أقسام الوقف هي:

الأول: قسم يوقف به، وهو عند القراء تسعة أوجه، هي: (الإبدال - النقل - الإدغام - الحذف - الإثبات - الإلحاق - السكون - الروم - الإشمام).

الثاني: قسم يوقف عليه وهو ستة أنواع هي:

التام والكافي والحسن ووقف التعانق والوقف الممنوع: وهو الوقف الذي يشار إليه في المصاحف بالعلامة (لا)، وكأنه يقول لك: لا تقف هنا.

الوقف الحسن: وهو ما يتعلق ما بعده بما قبله لفظا ومعنى نحو: وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو (صلى) وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وعلامته (صلى): أي: جواز الوقف ولكن الوصل أولى.

س ٨٣ هل للوقف الممنوع أقسام؟ وما هي؟
ج: نعم، ينقسم الوقف الممنوع إلى قسمين هما:
الأول: إذا كانت (لا) وهي علامة الوقف الممنوع في وسط الآية عدم الوقف، ويتحتم الوصل تماما للمعنى وعدم ضياعه.
الثاني: إذا كانت (لا) على رأس آية يجب الوقف، لأن الوقوف على رأس الآية سنة.
س ٨٤ اذكر أمثلة لما يصح الابتداء به والوقف على ما قبله ولما لا يصح؟
ج: يحسن الابتداء بلفظ «إن» بكسر الهمز وتشديد النون ما لم تقع بعد قول أو قسم في آيتها. وما لا يصح الابتداء به والوقف على ما قبله: لفظ «أن» مفتوحة الهمز مع تشديد النون ولكن بالتخفيف، إلا أن تكون (لكن) أو (لكن) في بدء آية نحو: لكن الراسخون في العلم ونحو: لكنا هو الله ربي.
ويجب على القارئ أن يلاحظ المعنى حال الوقف فإذا انقطع النفس اضطراريا يجب أن يختار وقفا معقولا، ويستحب له الابتداء بالرجوع إلى ما قبل انقطاع النفس." <الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد محمود عبد السميع الحفيان ص/١٥٦>
"حتى يصل الكلام بعضه ببعض، وحتى لا يوهم خلاف المعنى المراد.
س ٨٥ماذا يسن في حق القارئ إذا وصل آخر الضحى بما يليها، أي: بأول سورة الشرح؟
ج: يسن في حقه عند ذلك أن يكبر عند أو عقب ختم كل سورة، ويبتدئ بالتكبير من آخر سورة الضحى، وقد قال البعض: أن التكبير يبدأ من آخر الليل وينتهي بعد قراءة سورة الناس.
ثم تقرأ سورة الفاتحة ولا يكبر بعدها، ثم تقرأ خمس آيات من أول سورة البقرة، وسوف يتضح ذلك في باب التكبير وختم القرآن.
س ١٥٨ اذكر بعض العلامات المشهورة في المصاحف؟
ج: العلامات المشهورة كثيرة، من أهمها الوارد في الجدول الآتي:
م/ العلامة/ اسم العلامة/ مثال عليها أو ملاحظة ١ - / ... / تعانق الوقف/ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ٢ - / صلى/ الوقف الجائز والوصل أولى/ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا (صلى) قالوا أنطقنا الله ٣ - / قلى/ الوقف الجائز والوقف أولى/ فإن لم يصبها وابل فطل (قلى) والله بما تعملون بصير ٤ - م/ وقف لازم/ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ٥ - / لا/ وقف ممنوع/ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة ٦ - / ج/ جائز مستوى الطرفين/ نحن نقص عليك

نبأهم بالحق

٧ - / ح/ **وقف حسن/** إنهم فتية آمنوا بربهم." <الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد محمود عبد السميع الحفيان ص/١٥٧>

"س ١٠٧ هل هناك مراتب للإخفاء الحقيقي؟ ولماذا سمي بالحقيقي؟

ج: للإخفاء الحقيقي ثلاث مراتب هي:

١ - أعلاها: عند الطاء والدال والتاء، لقربها من النون والتنوين.

٢ - وأدناها: عند القاف والكاف، لبعدهما جدا عن النون والتنوين في المخرج.

٣ - وأوسطها: عند الباقي من حروف الإخفاء لعدم قربها.

وسمي هذا النوع من الإخفاء بالإخفاء الحقيقي لتحقيق الإخفاء فيه أكثر من غيره، واتفاق العلماء على تسميته كذلك دون الإخفاء الشفوي.

س ١٠٨ ما نوع الوقف على بسم الله، والحمد لله؟

ج: نوع الوقف على بسم الله والحمد لله **وقف حسن**؛ لأن الكلام تعلق ما بعده بما قبله لفظا ومعنى، ولكن الابتداء بما بعدها لا يحسن لتعلقه بما قبله لفظا إلا ما كان من ذلك رأس آية، فيجوز الوقف عليه في اختيار أكثر العلماء، بدليل حديث أم سلمة سالف الذكر في أهمية الوقف والابتداء.

س ١٠٩ اذكر حكم المد في حروف الهجاء الموجودة في أوائل السور مثل:

(ق - ن - ص - ع - س - لام وميم الم - لام وراء (الر) - الطاء والهاء في (طه) - الياء في (يس)، الحاء في (حم)؟

ج:

الحرف/ النطق/ نوع المد/ الحرف/ النطق/ نوع المد ق/ قاف/ لازم/ لام (الر) / لام/ لازم ن/ نون/ لازم/ راء (الر) / را/ طبيعي ص/ صاد/ لازم/ طاء (طه) / طا/ طبيعي ع/ عين/ لازم/ هاء (طه) / ها/ طبيعي س/ سين/ لازم/ ياء (يس) / يا/ طبيعي لام (الم) / لام/ لازم/ حاء (حم) / حا/ طبيعي ميم (الم) / ميم/ لازم." <الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد محمود عبد السميع الحفيان ص/١٦٩>

"الآية ولكن تمام المعنى قوله (وبالليل) وحكمه أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.

الثاني/ الوقف الكاف: وهو على ما تم في نفسه وتعلق بما بعده معنى لا لفظا ويحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده مثل في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون فالوقف على مرض كاف

والوقف على مرضا أكف منه والوقف على يكذبون أكفى منهما.

الثالث/ **الوقف الحسن**: وهو الوقوف على ما تم في ذاته وتعلق بما بعده لفظا ومعنى لكونه إما موصوفا والآخر صفة له، أو مبدلا منه والثاني بدلا أو مستثنى منه والآخر مستثنى ... إلخ من كل كلام تعلق بما بعده لفظا ومعنى كالوقف على لفظ (الله) في قوله تعالى الحمد لله* ثم الابتداء برب العالمين. فهذا وإن كان كلاما أفهم معنى لكنه تعلق بما بعده لفظا ومعنى. فإن ما بعد لفظ الجلالة متعلق به على أنه صفة له وحكمه حسن الوقف والابتداء بما بعده إن كان رأس آية كالعالمين من قوله تعالى الحمد لله رب العالمين* بل هو سنة كما ذكر ابن الجزري (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول بسم الله الرحمن الرحيم* ثم يقف ثم يقول الحمد لله رب العالمين* ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم* ثم يقف ... الخ الحديث، فإذا لم يكن رأس آية كالحمد لله حسن الوقف عليه دون الابتداء بما بعده. فإن وقف وأراد الابتداء وصله بما بعده لأن الابتداء بما تعلق بما قبله لفظا قبيحا، وقال بعضهم في شرح هذا الحديث إذا كان ما بعد رأس الآية يفهم منه وإلا فلا يحسن الابتداء به كقوله تعالى لعلكم تتفكرون، في الدنيا والآخرة فقوله (تتفكرون) رأس آية لكن ما بعده لا يفهم بما قبله فلا يحسن الابتداء بقوله تعالى في الدنيا والآخرة* بل يستحب العودة لما قبله وكذلك لا يحسن الابتداء بكل تابع دون متبوعه وإلا فيكون قبيحا.

وهناك قسم أضيف تتمة للأقسام الثلاثة ليتحرز منه وليعرفه القارئ ليتجنب الوقوف عليه وهو:." <كيف تقرأ القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني، المختار المشري المقروش ص/٧٩>

"المعنى، فإن كان تم فيجوز للقارئ الابتداء بما بعدها.

القسم الثانى: الوقف الاختبارى: وهو الوقف لبيان الأحكام أو الإجابة على سؤال، وكثيرا ما يكون فى مقام التعليم.

القسم الثالث: الوقف الانتظارى: وهو الوقف لمن يريد أن يجمع أكثر من رواية من القراءات، فيقف عند الكلمة ليجمع عليها غيرها من أوجه القراءات العشر المتواترة.

القسم الرابع: الوقف الاختيارى: وهو أن يقف القارئ على الكلمة القرآنية بمحض إرادته ومن غير عروض، وهذا القسم ينقسم إلى أربعة أقسام وهو المقصود من هذا الباب:

أ- **الوقف التام**: وهو الوقف على ما تم به الكلام لفظا ومعنى، وكثيرا ما يوجد هذا النوع فى رءوس الآيات وأواخر السور وأواخر قصص القرآن.

مثال ذلك: أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون* [البقرة: ٥].

فالوقف على المفلحون* تام؛ لأنه نهاية الكلام عن ذكر صفات المؤمنين، ثم الابتداء التام بكلام جديد يذكر فيه أحوال الكافرين.

ب- الوقف الكافى: وهو الوقف على ما يتم به الكلام لفظا وتعلق بما بعده معنى.

مثال ذلك كالوقف على مرضا من قوله تعالى: في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا.

ثم يبتدئ بواو الاستئناف: ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون [البقرة: ١٠].

فلا ترابط بين العبارتين فى اللفظ حيث إن الموضوع واحد وهو وصف حال المنافقين وصفا دقيقا وبيان خسرانهم فى الآخرة.

حكمه: يحسن الوقف عليه ويبدأ بما بعده.

ج- **الوقف الحسن**: هو الوقف على ما تم فى نفسه وتعلق بما بعده لفظا ومعنى.

مثال ذلك: كالوقف على قوله تعالى: الحمد لله* فهى جملة تامة فى ذاتها لكنها متعلقة بما بعدها، فقول الله تعالى: رب العالمين* صفة متعلقة بلفظ الجلالة للجملة التى سبقت.

فلا يحسن الوقف على الحمد لله* والأحسن الوقف على رب العالمين* [الفاتحة: ٢]. وكالوقف على لعلكم تتفكرون* [البقرة: ٢١٩] فهى رأس آية لكن تمام المعنى لا يفيد إلا بما بعده فى قوله تعالى: في الدنيا والآخرة* [البقرة: ٢٢٠].." <القول السديد في علم التجويد، على الله أبو الوفا ص/٢٠٨>

"المناقشة

(١) ما الوقف لغة واصطلاحا؟ بين حكم الوقف.

(٢) ما السكت لغة واصطلاحا؟ وما القطع لغة واصطلاحا؟

(٣) ما الفرق بين السكت والقطع؟ ما أقسام الوقف الاختيارى؟

(٤) ما أقسام الوقف؟

(٥) عرف **الوقف الحسن** وحكمه مع ذكر مثال. ولم سمى حسنا؟

(٦) عرف الوقف القبيح وحكمه مع ذكر مثال. ولم سمى قبيحا؟

(٧) عرف **الوقف التام** وحكمه مع ذكر مثال. ولم سمى تاما؟

(٨) عرف الوقف الكافى وحكمه مع ذكر مثال. ولم سمى كافيا؟

(٩) عرف الابتداء، مع ذكر أنواعه، وحكم كل نوع، مع ذكر مثال لما تذكر.

(١٠) بين أنواع الوقف فيما يأتى:

فلا يحزنك قولهم [يس: ٧٦]، وأولئك هم المفلحون* [البقرة: ٥]، يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم [المائدة: ٩٥]، وما من إله* [آل عمران:

٦٨]، الحمد لله* [الفاتحة: ٢].." <القول السديد في علم التجويد، على الله أبو الوفا ص/٢١٣>

": ١٧٧٨٣: واحدة: ٣: المصدر السابق.

: ١٧٧٨٤: يلبسنها: ٤: تفسير ابن كثير: (٦/ ٤٧١) .

: ١٧٧٨٥: يلبسنها: ٥: حسن. رواه أبو داود: (ح/ ٤١٠١) .

: ١٧٧٨٦: جلابيبهن: ٦: تفسير ابن كثير: (٦/ ٤٧١) .

٣١٥٥: ١٧٧٨٨: عليها: ١: المنثور: (٦/ ٦٦٢) .

: ١٧٧٨٩: ونحرها: ٢: المصدر السابق.

: ١٧٧٩١: جلابيبهن: ٣: قوله تعالى: «من جلابيبهن» الجلابيب جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار. وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء. وقد قيل: إنه القناع. والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن. وفي صحيح مسلم عن أم عطية قالت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «لتلبسها أختها مع جلبابها» . رواه البخاري (١/ ٨٨/ ٩٩/ ٢/ ٦٧/ ١٩٦) ومسلم في (العيدين، ح/ ١٢) وابن ماجة (ح/ ١٣٠٧) وأحمد (٥/ ٨٥) والحميدي (٣٦١) وأبو حنيفة (٥٩) والقرطبي (١٤/ ٢٤٣) والصحيحة (٢/ ١٥٢) ٣١٥٦: ١٧٧٩٢: النفاق: ١: المنثور: (٦/ ٦٦٢) .

: ١٧٧٩٤: الفواحش: ٢: المصدر السابق.

: ١٧٧٩٥: يزنوا: ٣: المنثور: (٦/ ٦٦٣) .

: ١٧٧٩٦: ملعونين: ٤: قوله تعالى: «ملعونين» هذا تمام الكلام عند محمد بن يزيد، وهو منصوب على الحال.

وقال ابن الأنباري: «قليلا. ملعونين» **وقف حسن**. النحاس: ويجوز أن يكون التمام «إلا قليلا» وتنصب «ملعونين» علي الشتم.

: ١٧٧٩٦: مكابر: ٥: المنثور: (٦/ ٦٦٣) .

: ١٧٧٩٧: عليهم: ٦: المصدر السابق.." <تفسير ابن أبي حاتم - محققا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ٨٥٢/١٣>

"ويدل على أن هذا العرض يكون في الدنيا قوله بعد ذلك: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة أدخلوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العذاب﴾.

فمن وصل الألف نصب " آل فرعون " على النداء المضاف.

ومن قطعها نصبهم " بأدخلوا ".

وقوله: ﴿سواء العذاب﴾ **وقف حسن** إن رفعت " النار " على إضمار مبتدأ أو على الابتداء.

وأجاز أبو حاتم الوقف على " وعشياً "، وهو بعيد، لأن " ويوم تقوم الساعة " منصوب بيعرضون، أي: يعرضون على النار في الدنيا، يوم تقوم الساعة. ومن نصبه " بأدخلوا " حسن أن يقف على " وعشياً "."

<الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٦٤٤٢/١٠>

"**والوقف الحسن** المختار: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ لأن الضميرين. في ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ ﴿وأملى لَهُمْ﴾ مختلفان. الأول للشيطان والثاني لله، فتفرق بينهما بالوقف، وهو قبول الكسائي والفراء وأبي حاتم.

قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ الله سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمر﴾.

أي: ذلك الإضلال من الله لهم بأنهم قالوا لليهود سنطيعكم في التظافر والمعونة على عداوة محمد.

قال قتادة وغيره: المنافقون ظاهروا اليهود على عداوة النبي A فاليهود هم الذين كرهوا ما نزل الله لأنهم حسدوا محمداً A إذ بعث الله نبياً من غير ولد يعقوب، وقد أعلمهم الله في التوراة أنه يبعث نبياً من ولد أبيهم – يعني إبراهيم – فتأولوا أن الأب يعقوب فكفروا على تأويل منهم وحسد وبغي، وكرهوا نزول القرآن بنبوة محمد A، فالمنافقون هم القائلون لليهود: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمر﴾ أي: في النصر على محمد.

ثم قال: ﴿والله يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ أي: يعلم ما يُسر الفريقان من عداوة المؤمنين لا." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٦٩١٤/١١>

"وقوله: ﴿ثُمَّ قضى أَجَلاً﴾ **وقف حسن** عند نافع وغيره من النحويين.

فسوف يأتيهم (أخبار) تكذيبهم، وهي ما حل عليهم من الأسر والسيف يوم بدر، وفتح (مكة) وغير ذلك، ومعناه: سوف يعلمون ما تؤول إليه أمورهم.

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ الآية.

والمعنى: ألم ير هؤلاء المكذبون بمحمد، كم أهلكنا من قبلهم من القرون، وهي الأمم الخالية، مُكّنوا في الأرض ما لم يمكن لهؤلاء، وأرسلت السماء عليهم مدراراً، وفجرت العيون من تحتهم. ومعنى مدراراً (أي) (غزيراً

دائمة)، فأعطت الأرض ثمارها، فعصوا، فأهلكوا بعصيانهم. وهذا وعظ وتخويف من الله." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣/١٩٦١>

"البدل أن اللام بمعنى " أن "، فالمعنى: الرحمة: أن يجمعكم، أي: كتب ربكم على نفسه أن يجمعكم. ومثله على مذهب سيبويه: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّن بَعْدِ (مَا) رَأَوْا الآيات لَيَسْجُنُنَّه﴾ [يوسف: ٣٥] المعنى: أن يسجنوه، ف " أن " الفاعلة، ومثله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرحمة أَنَّهُ﴾ [الأنعام: ٥٤] في قراءة من فتح (أن).

قال نافع: ﴿قُل لِلَّهِ﴾ تمام. ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾: **وقف حسن** عند نافع وغيره.

قوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الليل والنهار﴾ الآية.

المعنى: وقل لهم - يا محمد -: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الليل والنهار﴾ أي: ما استقر، فكيف تعدلون به وتشركون بمن له الخلق والأمر.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣/١٩٧١>

"صورة / ما شاء الله فيُذْبَح بِمَرأىً من الجميع، ويقال: يا أهل الجنة خلودٌ لا موت، ويا أهل النار خُلودٌ لا موت " هذا معنى الحديث لا لفظه. فهو الذي قال النبي لهم: ﴿لَقُضِيَ الأمر﴾، وهو التفسير في قوله ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسرة﴾ [مريم: ٣٨].

﴿وَبَيْنَكُمْ﴾ **وقف حسن**.

قوله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغيب﴾ الآية.

واحد المفاتح: مِفَتح، بكسر الميم وفتحها، والمعنى: وعند الله خزائن الغيب.

قال ابن عباس: مفاتح الغيب خمس في آخر " لقمان ": ﴿إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة﴾ [لقمان: ٣٤]." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣/٢٠٤٣>

"وفي الكلام حذف والمعنى: وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه، فرفعنا درجته عليهم: ﴿نَرْفَعُ درجات مَّن نَّشَآءُ﴾، وهذا كله تنبيه لمحمد في الحجة على أمته، وتنبيه له على التأسي بمن قبله من الأنبياء.

﴿على قَوْمِهِ﴾: **وقف حسن**.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ الآية.

قوله: ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ عطف على " كل "، أي: وهدينا داوود. وقيل: هو عطف ﴿إِسْحَاقَ﴾ أي: وهبنا له داوود. وقيل: هو عطف على ﴿وَنُوحاً﴾. والهاء في ﴿[ذُرِّيَّتِهِ]﴾: تعود على (إبراهيم).

وقيل: على " نوح "، وهو قول الطبري، قال: لأن في سياق الكلام المعطوف ﴿لُوطاً﴾، ولوط لم يكن من

ذرية إبراهيم، إنما هو من ذرية نوح، فالمعنى: وهدينا نوحاً من قبل إبراهيم، وهدينا من ذرية نوح داود ومن بعده.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣/٢٠٩٠>

"﴿كُلاًّ هَدَيْنَا﴾: **وقف حسن**، ﴿وَإِلْيَاسَ﴾: أيضاً وقف عند أبي حاتم، ولا يحسن عند غيره، لأن بعده ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ معطوف عليه.

واختلف " الناس " في ﴿إِلْيَاسَ﴾: فقيل: " هو " من ذرية هارون أخي موسى، بينهما ثلاثة آباء. وقال ابن مسعود: إلياس هو إدريس.

وإدريس جد نوح، بينهما أربعة آباء. فمحال أن يُنْسَب إلى نوح وهو جده الأعلى، والذي عليه " أهل الأنساب: أن إلياس غير إدريس.

و ﴿اليسع﴾: اسم أعجمي، جرى على غير قياس. وقد قال أبو عمرو:." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣/٢٠٩١>

"قال أبو أمامة: يقبضون [روح الكافر] ويعدونه بالنار ويشدد عليه وإن رأيتم أنه (يُهّون عليه، ويقبضون روح المؤمن ويعدونه بالجنة ويهون عليه وإن رأيتم) " أنه " يُشَّدد عليه.

قوله: ﴿فِي غَمَرَاتِ الموت﴾ ليس يوقف، لأن ما بعده في موضع الحال. و ﴿مِثْلَ مَآ أَنَزلَ اللهُ﴾: **وقف حسن**. ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: وقف، ﴿غَيْرَ الحق﴾ وقف عند نافع، ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تمام حسن، لأنه آخر قول الملائكة.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فرادى﴾ الآية.

قرأ أبو حَيْوَةَ ﴿فرادى﴾ بالتنوين، وهي لغة تميم، ويقولون في الرفع " فُرادٌ " وحكى أحمد بن يحي " فُرادُ " بغير تنوين مثل " رُباع "..". <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣/٢١٠٧>

"بالرفع على إضمار " هو " والمعنى: تماما على الذي هو أحسن الأشياء.

قوله: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مُبَارَكٌ﴾ الآية.

المعنى: وهذا القرآن – الذي أنزلناه إليك – كتاب منزل لنا مبارك، ﴿فاتبعوه﴾ أي: اجعلوه (إماماً) تعملون بما فيه، ﴿واتقوا﴾ أي: احذروا أن تضيعوا العمل (بما) فيه وتتعدوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (فاتبعوه) **وقف حسن**. والتقوى: الحذر من مخالفة ما أمر الله في السر والعلانية، وحقيقة ذلك القيام بما أوجب الله، وترك ما نهى الله عنه (لله).

قوله: ﴿أَن تقولوا إِنَّمَآ أُنزِلَ الكتاب﴾ الآية.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣/٢٢٤٨>

"وقال مجاهد، " الميزان ": هنا: الحسنات والسيئات نفسها.

وقيل: " الميزان ": الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.

والذي جاءت به الآثار أنه " الميزان " المعروف.

﴿يَوْمَئِذٍ الحق﴾، **وقف حسن.**

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأرض﴾.

لام ﴿لَقَدْ﴾ لام توكيد.

روى خارجة عن نافع أنه قرأ: ﴿مَعَايِشَ﴾، بالمد والهمز،." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٤/٢٢٨٨>

"أي: ينذركم عقاب الله، (D) ، على كفركم.

﴿مُّبِينٌ﴾.

أي: قد أبانَ لكم إنذارهُ.

و: ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾.

أي: من جنون. ومثلهُ في سورة " سبأ ".

﴿مِّن جِنَّةٍ﴾، وقف.

﴿تَتَفَكَّرُواْ﴾، **وقف حسن**، ومثله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الروم: ٨]، ومثله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦] في " سبأ ". ثم يتبدئ بـ: ﴿مَا﴾، وهي: للنَّفِيْ في الثلاثة المواضع.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٤/٢٦٥٦>

"أي: مؤلم، أي: أعلمهم، يا محمد بذلك.

﴿برياء مِّنَ المشركين﴾، وقف، إن جعلت ﴿وَرَسُولُهُ﴾: ابتداء أضمر خبره، أي: وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ منهم.

وإن جعلته معطوفاً وقفت ﴿وَرَسُولِهِ﴾، وكذلك من نصب، وهي قراءة ابن أبي إسحاق.

﴿غَيْرُ مُعْجِزِي الله﴾، **وقف حسن.**

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ليس **بوقف حسن**؛ لأن بعده الاستثناء.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٤/٢٩٢٦>

"الإيمان، فإن لم يفعلوا ذلك فاتخاذهم حسن، والوقف عليه يوجب ألا يتخذوا أولياء على كل حال كاليهود والنصارى.

﴿عَلَى الإيمان﴾، **الوقف الحسن**.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾، الآية.

والمعنى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، للمتخلفين على الهجرة، المقيمين بدار الشرك، مع أهليهم وأموالهم ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾، أي: المقام مع هؤلاء بمكة، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللهِ﴾، أي: من الهجرة إلى دار الإسلام، ومن الجهاد في سبيل الله، ﴿فَتَرَبَّصُواْ حتى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ﴾، أي: بفتح مكة. قاله مجاهد.

والثاني: ﴿حتى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ﴾: من عقوبة عاجلة أو آجلة. قاله ابن زيد.

﴿والله لاَ يَهْدِي القوم الفاسقين﴾.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٢٩٥٦/٤>

"ومثل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأرض زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] ﴿وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

﴿والله عَزِيزٌ﴾.

أي: عزيز في انتقامه من أهل الكفر، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبيره.

قال نافع: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ الله﴾، وقف، وهو بعيد، لأن ﴿إِذْ﴾، قد عمل فيها: ﴿نَصَرَهُ﴾.

﴿السفلى﴾، **وقف حسن** إن رفعت ﴿وَكَلِمَةُ الله﴾، وإن نصبت، كان الوقف: ﴿العليا﴾.

﴿وَجَعَلَ﴾ في هذا الموضع بمعنى: " صيَّر " ويلزم المعتزلة أن يجعلوها بمعنى " خَلَقَ " وهم لا يفعلون ذلك. لأنهم يقولون: كفر الكافر ليس بخلق الله، D ثم." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣٠٠٥/٤>

"أي: مُحدقةٌ بهم، جامعةٌ لهم يوم القيامة.

﴿وَلاَ تَفْتِنِّي﴾: **وقف حسن**.

قوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

والمعنى: إن يصبك يا محمد، سرورٌ وفتح، ساء المنافقين ذلك، وإن يصبك نقص في جيشك أو ضر، أو هزيمة، يقول المنافقون: ﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا [مِن قَبْلُ]﴾، أي: أخذنا الحذر بتخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن تصيبهم هذه المصيبة، ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ [فَرِحُونَ]﴾، أي: يُدْبروا عن محمد A، [وهم]: فرحون بما أصابه.

ثم قال: ﴿قُل﴾، يا محمد، لهؤلاء المنافقين: ليس ﴿يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا﴾، أي: في اللوح المحفوظ، وقضاه علينا: ﴿هُوَ مَوْلاَنَا﴾ أي ناصرنا، ﴿وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون﴾.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣٠٢٣/٤>

"وفي هذا الحديث اختلاف روايات بألفاظ مختلفة، لكنا (قد) فسرنا موضع الإشكال منه ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: **وقف حسن** عند أبي حاتم والأخفش. وقال: تفسيرهما ليس بتمام حسن؛ لأن ﴿قَالَ

الكافرون﴾ جواب لما قبله.

ومن قرأ " لساحر " فمعناه: هذا النذير لساحر. يعنون النبي A.

ومن قرأ " لسحر " فمعناه: هذا الذي

انذرنا به سحر، يعنون القرآن.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٥/٣٢١٤>

"ثم قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾: يعني: الوعيد الذي توعدوا له لم يروه بعد، ولم يحيطوا بعلمه فكذبوا به (ولما يأتهم تأويله) أي: لم يأتهم بعدما يؤول إليه أمرهم. فالمعنى: إنهم يا محمد إنما كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وليس بهم التكذيب لمحمد.

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: كذا كانت سبيلهم وقيل: المعنى: كما كذب هؤلاء يا محمد كذبت الأمم التي من قبلهم ﴿فانظر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظالمين﴾: أي: اعتبر كيف أهلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالغرق، وبعضهم بالريح، وبعضهم بالخسف، فإن عاقبة هؤلاء الذين كذبوك كعاقبة من تقدم من الأمم.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: **وقف حسن**.

قوله: ﴿وَمِنهُمْ مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ إلى قوله ﴿يَظْلِمُونَ﴾

أخبر الله D نبيه في هذه الآية: أن من قريش من يؤمن بالقرآن فيما." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٥/٣٢٧٠>

"وقيل: كانوا عشرة سوى نسائهم: ستة ممن آمن، وثلاثة بنين، ونوح.

وعن ابن عباس: أنهم كانوا ثمانين رجلاً، غير النساء من غير أهله وروي أن الله جل ذكره، كان قد أعقم أرحام النساء، وأصلاب الرجال، قبل الغرق بأربعين سنة /، فلم يولد فيهم مولود، ولم يغرق إلا ابن أربعين، فما فوق ذلك.

قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾: وقف عند أبي حاتم، وليس يوقف عند غيره، لأن بعده استثناء.

﴿وَمَنْ آمَنَ﴾: وقف عند نافع وغيره، ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ﴾: **وقف حسن**.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٥/٣٣٩٥>

"والاختيار: ان يكون عاصم على بابه و"من" في موضع رفع على البدل من عاصم.

والتقدير: لا يعصم اليوم من امر الله الا الله.

ثم قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الموج﴾: أي: بين نوح، وابنه، فكان ابنه من المغرقين.

﴿مِنْ أَمْرِ الله﴾: **وقف حسن**، إن جعلت إلا من رحم الله استثناء، ليس من الأول، وليس من الأول، وليس

بالبين لأنه لا بد للثاني أن يكون فيه سبب من الأول.

﴿إلاَّ مَن رَّحِمَ﴾. وقف.

قوله: ﴿وَقِيلَ يا أرض ابلعي مَآءَكِ﴾ إلى قوله ﴿أَكُن مِّنَ الخاسرين﴾.

المعنى: يا أرض اشربي ما عليك من الماء.

﴿وياسمآء أَقْلِعِي﴾: لا تمطري. ﴿وَغِيضَ المآء﴾: أي: نَقُص جعل." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٣٤٠١/٥>

"قال ابن زيد: كانت في الدنيا على أبصارهم غشاوة، وفي آذانهم وقر، فلما كان يوم القيامة، أبصروا، وسمعوا فلم ينتفعوا، وقرأ ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فارجعنا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾ [السجدة: ١٢].

ثم قال تعالى ذكره: ﴿لكن الظالمون اليوم فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لكن الكافرون في الدنيا في ذهاب مبين عن سبيل الحق.

و ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ **وقف حسن**. والعامل فيه " أسمع بهم وأبصر " أي: ما أبصرهم وأسمعهم في هذا اليوم، أي: هم ممن يقال ذلك فيهم، ففيه معنى التعجب، ولفظه، لفظ الأمر، ولا ضمير في الفعلين، إذ ليس بأمر للمأمور، إنما هو لفظ وافق لفظ الأمر، وليس به.

ثم قال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسرة إِذْ قُضِيَ الأمر﴾ أي: أنذر هؤلاء المشركين يوم حسرتهم على ما فرطوا في جنب الله إذا رأوا مساكنهم في الجنة قد أورثها الله أهل الإيمان به، وعوضوا منها منازل في النار، وأيقن الفريقان في الخلود.

قال ابن مسعود: ليسي نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، وبيت في النار، وهو يوم الحسرة، فيرى أهل النالا البيت الذي في الجنة فيقال: / لو آمنتم، فتأخذهم الحسرة، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار، فيقال لهم: لولا ما منّ به الله." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٤٥٤٢/٧>

"والاختيار لمن قرأ " الظنونا " و " الرسولا " و " السبيلا " بألف أن يقف عليها لأنها إنما جيئ بالألف في هذا على التشبيه بالقوافي والفواصل التي يوقف عليها بالألف فيجب أن تجرى مجرى ما شبهت به. وهي مع ذلك تمام **ووقف حسن.**

وقيل: إن هذه الألِفَات إنما جيئ بها لبيان حركة ما قبلها كهاء السكت، فهذا مؤكد الوقف عليها لمن أثبتها في الوصل والوقف. ويدل على قوة الوقف عليها لمن أثبتها، قراءة الكسائي وابن كثير وحفص بألف فيهن في الوقف دون الوصل.

ومعنى الآية: واذكروا إذ جاءتكم جنود الأحزاب من فوقكم ومن أسفل منكم.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٩/٥٧٩٦>

"وتقدير الآية: مستكبرين به سامرين هاجرين. غير أن الحال ترد بعبارات (١) فتكون أحسن، كما تقول: رأيت فلانًا راكبا يحدث وهو غضبان. [فتغير عبارات الحال، ويكون أحسن (٢) من أن تقول: رأيته راكبًا محدثًا غضبان] (٣).

واختلفوا في موضع الوقف في هذه الآية:

فالأكثرون على أن الوقف في آخرها؛ لأنّه منتهى ذكر الأحوال، ولا يحسن الوقف في أثنائها (٤) (٥).

وقال أبو حاتم (٦): يحسن الوقف على قوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ ثم يبتدئ ﴿بِهِ سَامِرًا﴾ (٧) وهذا مذهب النحاس وابن الأنباري.

قال النحاس: ﴿بِهِ﴾ أي بالبيت ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ آياتي أو تهذون (٨).

وقال ابن الأنباري: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ **وقف حسن**، ثم تبتدئ ﴿بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ على معنى: بالبيت العتيق تهجرون النبي -صلى الله عليه وسلم- والقرآن في وقت سمركم. قال: ويجوز أن يكون معنى ﴿تَهْجُرُونَ﴾ تهذون (٩).

---

(١) في (أ): (بمسارات).

(٢) في (أ): (من احسن).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ع).

(٤) في (أ): (أبنائها).

(٥) انظر: "القطع والائتناف" للنحاس ص ٥٠٣، "منار الهدى" للأشموني ص ٢٦٣.

(٦) هو: أبو حاتم السجستاني.

(٧) ذكره عنه النحاس في "القطع والائتناف" ص ٥٠٣، "الداني في المكتفى" ص ٤٠٢، الأشموني في "منار الهدى" ص ٢٦٣.

(٨) "القطع والائتناف" ص ٥٠٣. ووقع في المطبوع: إبنيائي أو تهزؤن.

(٩) "إيضاح الوقف والابتداء" ٢/ ٧٩٢ - ٧٩٣.." <التفسير البسيط؟ الواحدي ١٦/٣٢>

"الرحمن يكون من وجهين؛ أحدهما: على خبر ﴿الَّذِي﴾ على (١) تقدير: الذي خلق السماوات والأرض الرحمن، أي: (٢) هو الذي فعل ذلك. وإن جعلت ﴿الَّذِي﴾ متصلًا بالآية المتقدمة ارتفع الرحمن على البدل مما في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ فبُيِّن بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (٣).

٦٠ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ قال عطاء، والكلبي، والمفسرون: قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعني: مسيلمة (٤).

= على كلام يؤدي معنى صحيحًا مع تعلقه بما بعده من جهة المعنى. **والوقف الحسن**: هو الوقف على كلام يؤدي معنى صحيحًا، مع تعلقه بما بعده لفظًا ومعنى. والوقف القبيح: هو الوقف على ما لا يؤدي معنى صحيحًا، وذلك لشدة تعلقه بما بعده لفظًا ومعنى. وبعضه أقبح من بعض. ولا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه. "النشر في القراءات العشر" ١/ ٢٢٤، و"حق التلاوة" لحسيني شيخ عثمان ص ٥١..

(١) (على) في (أ)، (ب).

(٢) (أي) في (ج). فقط.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٧٣. وذكره النحاس، "القطع والائتناف" ٢/ ٤٨٥، ولم ينسبه.

(٤) "تفسير مقاتل" ص ٤٦ ب، في قصة طويلة ليس لها إسناد. و"تنوير المقباس" ص ٣٠٥، دون ذكر القصة. وذكره ابن جرير ١٩/ ٢٩ فقال: وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يُدعى: رحمن اليمامة. والثعلبي ٨/ ١٠١ أ، ولم ينسبه. وأخرجه بسنده، ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧١٥، عن عطاء. وذكره ابن عطية ١١/ ٦٠، واقتصر عليه.

مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، المتنبئ المشهور بالكذاب، وفي المثل: أكذب من مسيلمة. لدعواه النبوة، وقتل مسيلمة سنة: ١٢، في خلافة أبي بكر -رضي الله عنه-، في حروب الردة التي قادها خالد بن الوليد -رضي الله عنه-. "سيرة ابن هشام" ٤/ ٢٤٧، و"الكامل" لابن الأثير ٢/ ٢٤٦.." <التفسير البسيط؟ الواحدي ١٦/٥٥٩>

"واختلف القراء في إخفاء النون وتبيينه من: سم (١). والوجه التبيين؛ لأن حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع مما بعدها، وإذا كان كذلك وجب التبيين؛ لأنها إنما تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم، فإذا لم تتصل بها لم يكن شيء يوجب إخفاءها (٢).

ووجه إخفائها: أن همزة الوصل قد وصلت، ولم تقطع مع هذه الحروف، وهمزة الوصل إنما تذهب في الدَّرْج، فكما سقطت همزة الوصل في ﴿الم﴾ وهي لا تسقط إلا مع الدَّرْج، كذلك لا تُبين النون ويقدر فيها الاتصال بما قبلها ولا يقدر فيها الانفصال (٣).

٢ - وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تفسيره قد تقدم في قوله:

= وقد ذكر الماوردي ٤/ ١٦٤، عن من لم يسمه من أهل الخواطر آراءً غريبة في بيان معاني هذه الأحرف. ونحو ذلك ذكر الرازي ٢٤/ ١١٨. وقد أطال في ذكرها البرسوي، في تفسيره ٦/ ٢٥٨. قال أبو حيان ٧/ ٥: "وتكلموا على هذه الحروف بما يشبه اللغز، والأحاجي فتركت نقله إذ لا دليل على شيء مما قالوه". وهذا موقف حسن؛ والأقرب أن هذه الحروف ابتدأ بها للدلالة على الإعجاز والتحدي، وأن هذا القرآن مكون من هذه الحروف التي تنطقونها وتتكلمون بها، فهي لا تدل على معنى في أصل وضعها. راجع "تفسير ابن كثير" ١/ ١٥٦ - ١٦٢.

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: (طَسم) بفتح الطاء، وإدغام النون، ولم يظهر النون في (طسم) غير حمزة، من السبعة، وشاركه في ذلك أبو جعفر. "السبعة في القراءات" ٤٧٠، و"الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٣٥٥، وابن خالويه، في "إعراب القراءات السبع وعللها" ٢/ ١٣٠. والأزهري، في معاني القراءات ٢/ ٢٢٣، ثم قال: "وإدغام النون في الميم حسن، لقرب مخرجيهما، ومن اختار التبيين حسن". و"النشر في القراءات العشر" ٢/ ١٩.

(٢) في (أ)، (ب): إخفاء هذا.

(٣) "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٣٥٦، بنصه.." <التفسير البسيط؟ الواحدي ٩/١٧>

"قال: ويحتمل وجهًا آخر، وهو أنه خفف لاجتماع الكسرتين والياءين، كما خففوا الباء من إبل لتوالي الكسرتين، ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب كما فعلوا في قولهم:

فاليوم فاشرب غير مستحقب (١) ... .

.... وقد بدا هنك من المئزر (٢)

فإذا شاع ما ذكرنا في هذه القراءة من التأويل، لم يسغ لقائل أن يقول إنه لحن، للزمه أن يقول: إن قول من قال: افعوا في الوصل لحن، فإذا كان من قرأ به على قياس ما استعملوه في كلامهم المنثور لم يكن لحنا، ولم يكن لقادح في ذلك قدح. وهذه القرآة وإن كان لها مخلص من الطعن، فالوجه قراءة الحرف على ما عليه

الجمهور في الدرج) (٣).

وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على ومكر السيئ، فيترك الحركة، وهو **وقف حسن**؛ لأنه تمام الكلام، ثم غلط الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الإدراج (٤)، فيحتمل أن يكون حمزة قد ذهب إلى قراءته ولم يعلم أنه إنما كانت يترك الحركة في همز الوقف؛ لأنه في

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس سبق معنا.

(٢) عجز بيت من السريع، وصدره:

رحت وفي رجليك ما فيهما.

وهو مختلف في نسبته، فهو في ديوان الأقيشة الأسدي ومنسوب إليه في "شرح أبيات سبويه" ٢/ ٣٩١، و"خزانة الأدب" ٤/ ٤٨٤، ونسبه ابن قتيبة كما في "الشعر والشعراء" للفرزدق. والشاهد فيه: إسكان النون في هناك ضرورة، وهو مرفوع لأنه فاعل بدا.

(٣) "الحجة" ٦/ ٣١ - ٣٣.

(٤) "القطع والائتناف" ص ٥٩٣.." <التفسير البسيط؟ الواحدي ١٨/٤٤٢>

"الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٢-٤٥] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [فاطر: ٤٢] يعني كفار مكة، قال ابن عباس: حلفوا قبل أن يأتيهم محمد بأيمان غليظة. ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٤٢] رسول، ليكونن أهدى أصوب دينا، ﴿مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢] يعني اليهود والنصارى والصابئين، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٤٢] محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما زادهم مجيئه، إلا نفورا تباعدا عن الهدى.

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٣] عتوا على الله وتكبرا عن الإيمان به، ومكر السيئ يعني: ومكروا مكر السيئ، وهو عملهم القبيح من الشرك، والمكر هو العمل القبيح، وأضيف المكر إلى صفته، وقرأ حمزة بإسكان الهمزة، والنحويون كلهم يزعمون أن هذا من الاضطرار في الشعر، ولا يجوز مثله في كتاب الله.

وقال أبو علي الفارسي: هو على إجراء الوصل مجرى الوقف، كما حكى سيبويه من قولهم لملائه الأربعة:

فأجروا الوصل مجرى الوقف.

قال: ويحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين كما خففوا الياء من أيل لتوالي الكسرتين، ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب.

وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على ومكر السيئ فيترك الحركة، وهو **وقف حسن** تام، ثم غلط فيه الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الوصل، فتابع حمزة الغالط، فقرأ في الأدراج الحركة.

وقوله: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] قال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ [فاطر: ٤٣] هل ينتظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٤٣] في العذاب، تبديلا وإن تأخر ذلك، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾ [فاطر: ٤٣] لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم.

وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ [فاطر: ٤٥] يعني المشركين، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ [فاطر: ٤٥] من الشرك والتكذيب لعجل لهم العذاب والعقوبة، وهو وقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥] وهذا مفسر في ﴿ [النحل، وقوله:] فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [سورة فاطر: ٤٥] قال ابن عباس: يريد أهل طاعته وأهل معصيته.." <التفسير الوسيط للواحدي؟ الواحدي ٣/٥٠٨<

"سورة المنافقين

مدنيّة. (١)

وهي إحدى عشرة آية بلا خلاف. (٢)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ - عند قوله: ﴿لَرَسُولُ اللهِ﴾ **وقف حسن**؛ لأنّ قوله: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ (٣) ليس من كلام المنافقين. (٤)

٤ - ﴿خُشُبٌ:﴾ جمع خشبة (٥)، وهو ما صلب من نبات الأرض، (٦) والمراد به الأصنام المنحوتة من الخشب. (٧)

﴿مُسَنَّدَةٌ:﴾ مردودة إلى الجدار ليعتمد عليها، فلا تخرّ.

وفائدة التّشبيه إثبات صورة حسنة لا خير فيها.

وعن زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان معنا أناس من الأعراب، وكنّا نبتدر الماء، والأعراب يسبقوننا إليه، فيسبق الأعرابيّ (٨) أصحابه، فيملأ الحوض، ويجعل حوله (٩) حجارة، ويجعل النّطع (١٠) عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من الأنصار أعرابيّا، فأرخى زمام ناقته ليشرب، فأبى أن يدعه، فانتزع [حجرا] (١١) فغاض (١٢) الماء، فرفع الأعرابيّ خشبة فضرب بها [رأس الأنصاريّ] (١٣)، فشجّه، فأتى عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين، فأخبره (١٤)، وكان من أصحابه، فغضب عبد الله، فقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى

---

(١) ع: فأعلمه.

(٢) البيان في عد آي القرآن ٢٤٧، والتلخيص في القراءات الثمان ٤٣٧، وفنون الأفنان ٤١٣.

(٣) الأصل وأ: لرسول الله.

(٤) ينظر: الوقف والابتداء لابن طيفور ٤٤٢، ومنار الهدى ٧٨٥.

(٥) الأصول المخطوطة: خشب. والتصويب من اللسان.

(٦) ينظر: لسان العرب ١/ ٣٥٢.

(٧) ينظر: الكشاف ٤/ ٥٤٢.

(٨) الأصول المخطوطة: فسبق أعرابي. والتصويب من كتب التخريج.

(٩) الأصول المخطوطة: حواله. والتصويب من كتب التخريج.

(١٠) النطع: بساط من أديم. القاموس المحيط ١/ ٩٩١.

(١١) ما بين المعقوفتين زيادة من كتب التخريج.

(١٢) الأصول المخطوطة: فناص. والتصويب من كتب التخريج. وغاض الماء: إذا غار، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٠١.

(١٣) ما بين المعقوفتين زيادة من كتب التخريج.

(١٤) ع: فأعلمه.." <درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر؟ الجرجاني، عبد القاهر ٦٣٩/٢>

"سُورَةُ المَنَافِقُونَ

مدنية (١)، وهي إحدى عشرة آية بلا خلاف (٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عند قوله ﴿لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ (٣) **وقف حسن** لأن قوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ليس من كلام المنافقين (٤).

﴿خُشُبٌ﴾ جمع خشب وهو ما صلب من نبات الأرض، والمراد به الأصنام المنحوتة من الخشب ﴿مُسَنَّدَةٌ﴾ مردودة إلى الجدار ليعتمد عليها فلا تحرّك، وفائدة التشبيه إثبات صورة حسنة لا خير فيها، وعن زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله (٣) وكان معنا أناس من الأعراب وكنا نبتدر الماء والأعراب يسبقوننا إليه، فسبق أعرابي أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٤٩١) عن ابن عباس وابن الزبير.

(٢) الترمذي (٣٣١٣)، والطبراني في الكبير (٥٠٤١)، والحاكم (٢/ ٤٨٨، ٤٨٩)، والبيهقي (٤/ ٥٤، ٥٥)، والحديث صحيح.

(٣) في "ب": (رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٤) أي هو من كلام الله وهو أن الله كذبهم من قلوبهم لأنهم قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، كذا قال ابن منده في الإيمان (١/ ٣٥١)، وانظر: "إرشاد الفحول" (١/ ٨٧) وكذا قال السمرقندي في تفسيره (٣/ ٤٢٨) وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٢٤٣).." <درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة؟ الجرجاني، عبد القاهر ٤/١٦٢٥>

"ولم تختلف (١) القراء في إثباتها على الجمع.

وصياما بالألف، وكذا: عفا بالألف (٢) لأنه من ذوات الواو، وانتفام آخر (٣) آية [بواو من غير ألف بعدها، حيث ما وقع (٤)]، ومتعالّكم بحذف الألف (٥).

والوقف فيها (٦): وطعامه وقف كاف، وكذا: وللسّيّارة، وكذا:

حرما (٧) وآخر الآية **وقف تام** (٨).

وفيما بغير ألف (٩)، والفليد بغير ألف بين اللام، والياء المهموزة (١٠)، وسائر ذلك مذكور (١١).

---

(١) في ب: «واختلف» وهو تصحيف، ولم يختلف القراء في لفظ: المساكين إلا في قوله تعالى: فدية طعام مسكين في الآية ١٨٣ البقرة، وتقدم.

(٢) في ب: «بألف» وتقدم عند قوله: وإذا خلا في الآية ٧٥ البقرة.

(٣) رأس الآية ٩٧ المائدة.

(٤) تقدم عند قوله: إن الذين كفروا في الآية ٦ البقرة.

وما بين القوسين المعقوفين سقط من أ، ب، ج، ق وما أثبت من: هـ.

(٥) تقدم عند قوله: مستقر ومتع في الآية ٣٥ البقرة.

(٦) في أ: «فيهما» وما أثبت من: ب، ج، ق، هـ، م.

(٧) وكذلك عند أبي عمرو الداني في المواضع الثلاثة **ووقف حسن** عند الأشموني في مواضعه الثلاثة.

انظر: المكتفي ٢٤٤ منار الهدى ٩٤ المقصد ٣٢.

(٨) وهو قوله: وإليه تحشرون رأس الآية ٩٨.

(٩) وينبغي تقييده بالمنصوب حيث وقع لأبي داود، ووافقه الداني على هذا الموضع رواه بسنده عن قالون عن نافع بالحذف، وتقدم عند قوله: قيما وقعودا من الآية ١٩١ آل عمران، وقرأه ابن عامر وحده بالقصر، وتقدم في الآية ٥ النساء.

(١٠) تقدم مثله في الآية ٣ المائدة.

(١١) بعدها في هـ: «كله».." <مختصر التبيين لهجاء التنزيل؟ سليمان بن نجاح ٣/٤٦١>

"وتم خبر كان، ثم ابتدأ مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ ف ما: نافية. وقَلِيلًا **وقف حسن**.

وقال بعض النحاة: ما زائدة، وقَلِيلًا مفعول مقدم ب يَهْجَعُونَ. وقال جمهور النحويين ما مصدرية وقَلِيلًا خبر «كان» ، والمعنى كانوا قليلا من الليل هجوعهم. والهجوع مرتفع ب «قليل» على أنه فاعل، وعلى هذا الإعراب يجيء قول الحسن وغيره، وهو الظاهر عندي أن المراد كان هجوعهم من الليل قليلا. وفسر ابن عمر والضحاك يَسْتَغْفِرُونَ ب «يصلون» . وقال الحسن معناه: يدعون في طلب المغفرة، و «الأسحار» مظنة الاستغفار. ويروى أن أبواب الجنة تفتح سحر كل يوم. وفي قصة يعقوب عليه السلام في قوله: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي [يوسف: ٩٨] قال أخر الاستغفار لهم إلى السحر. قال ابن زيد في كتاب الطبري: السحر: السدس الآخر من الليل.

وقوله تعالى: وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ الصحيح أنها محكمة، وأن هذا الحق هو على وجه الندب، لا على وجه الفرض، و: مَعْلُومٌ يراد به متعارف، وكذلك قيام الليل الذي مدح به ليس من الفرائض، وأكثر ما تقع الفريضة بفعل المندوبات، وقال منذر بن سعيد: هي الزكاة المفروضة وهذا ضعيف، لأن السورة مكية وفرض الزكاة بالمدينة.

وقال قوم من المتأولين: كان هذا ثم نسخ بالزكاة، وهذا غير قوي وما شرع الله عز وجل بمكة قبل الهجرة شيئا من أخذ الأموال.

واختلف الناس في الْمَحْرُومِ اختلافا، هو عندي تخليط من المتأخرين، إذ المعنى واحد، وإنما عبر علماء السلف في ذلك بعبارات على جهة المثالات فجعلها المتأخرون أقوالا وحصرها مكي ثمانية.

و: الْمَحْرُومِ هو الذي تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله حرمان وفاقة، وهو مع ذلك لا يسأل، فهذا هو الذي له حق في أموال الأغنياء كما للسائل حق، قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما الْمَحْرُومِ؟ وقال ابن عباس: الْمَحْرُومِ: المعارف الذي ليس له في الإسلام سهم مال، فهو ذو الحرفة المحدود. وقال أبو قلابة: جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل، فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هذا الْمَحْرُومِ. وقال زيد بن أسلم: هو الذي أجيحت ثمرته من المحرومين، والمعنى الجامع لهذه الأقوال أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه، وإلا فالذي أجيحت ثمرته وله مال كثير غيرها فليس في هذه الآية بإجماع، وبعد هذا مقدر من الكلام تقديره: فكونوا مثلهم أيها الناس وعلى طريقتهم فإن النظر المؤدي إلى ذلك متوجه، ف فِي الْأَرْضِ آياتٌ لمن اعتبر وأيقن.

قال القاضي أبو محمد: وهذه إشارة إلى لطائف الحكمة وعجائب الخلقة التي في الأرضين والجبال والمعادن والعيون وغير ذلك. وقرأ قتادة: «آية» على الإفراد.

وقوله تعالى: وَفِي أَنْفُسِكُمْ إحالة على النظر في شخص الإنسان فإنه أكثر المخلوقات التي لدينا عبرة لما جعل الله فيه مع كونه من تراب من لطائف الحواس ومن أمر النفس وجهاتها ونطقها، واتصال هذا الجزء منها بالعقل، ومن هيئة الأعضاء واستعدادها لتنفع أو تجمل أو تعين. قال ابن زيد: إنما القلب مضغة في جوف ابن آدم جعل الله فيه العقل، أفيدري أحد ما ذاك العقل؟ وما صفته؟ وكيف هو؟ وقال الرماني:

النفس خاصة: الشيء التي لو بطل ما سواها مما ليست مضمنة به لم تبطل، وهذا تعمق لا أحمده. وقوله: أَفَلا تُبْصِرُونَ توقيف وتوبيخ.." <تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؟ ابن عطية ٥/١٧٥>

"تقديرًا: وإن لم تزولا، وهذا مكان يَدُلُّ على القدرة، غير أنه ذكر الحِلْم فيه، لأنه لَمَّا أمسكهما عند قولهم: اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً «١» ، حلم فلم يعجّل لهم العقوبة.

[سورة فاطر (٣٥) : الآيات ٤٢ الى ٤٣]

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلاَّ

نُفُوراً (٤٢) اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣)

قوله تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلّم لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ أي: رسول لَيَكُونُنَّ أَهْدى أي: أَصْوَبَ دِيناً مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ يعني: اليهود والنّصارى والصّابئين فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ وهو محمّد صلى الله عليه وسلّم ما زادَهُمْ مجيئُه إِلَّا نُفُوراً أي: تباعُداً عن الهُدى، اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ أي: عتوّاً على الله وتكبُّراً عن الإيمان به. قال الاخفش: نصب «استكباراً» على البدل من النفور. قال الفراء: المعنى: فعلوا ذلك استكباراً وَمَكْرَ السَّيِّئِ، فأضيف المكر إلى السّيىء، كقوله: وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ «٢» ، وتصديقه في قراءة عبد الله: «ومَكْراً سَيِّئاً» ، والهمزة في «السّيىء» مخفوضة، وقد جزمها الأعمش وحمزة، لكثرة الحركات قال الزجّاج: وهذا عند النحويّين الحُذّاق لَحْن، إنّما يجوز في الشِّعر اضطراراً. وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على «مَكْرَ السَّيّ» فيترك الحركة، وهو وقف حَسَنٌ تامّ، فغَلِط الراوي فروى أنه كان يَحْذِفُ الإعراب في الوصل، فتابع حمزة الغلط، فقرأ في الإدراج بترك الحركة. وللمفسرين في المراد ب «مكر السيّئ» قولان: أحدهما:

أنه الشّرك. قال ابن عباس: عاقبة الشّرك لا تَحُلُّ إلا بمن أشرك. والثاني: أنه المكر برسول الله صلى الله عليه وسلّم، حكاه الماوردي. قوله تعالى: فَهَلْ يَنْظُرُونَ أي: ينتظرون إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ أي: إلاَّ أن يَنْزِل العذاب بهم كما نَزَل بالأمم المكذّبة قبلهم فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ في العذاب تَبْدِيلًا وإن تأخَّر وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أي: لا يَقْدِر أحدٌ أن يحوّل العذاب عنهم إلى غيرهم.

[سورة فاطر (٣٥) : الآيات ٤٤ الى ٤٥]

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً (٤٤) وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً (٤٥)

قوله تعالى: وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا هذا عامٌّ، وبعضهم يقول: أراد بالناس المشركين. والمعنى: لو واخذهم بأفعالهم لعجّل لهم العقوبة. وقد شرحنا هذه الآية في «النحل» «٣» .

وما أخللنا به فقد سبق بيانه «٤» . قوله تعالى: فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً قال ابن جرير: بصيرا بمن يستحقّ العقوبة ومن يستوجب الكرامة.

---

(١) مريم: ٨٨.

(٢) الحاقة: ٥١.

(٣) النحل: ٦١.

(٤) يوسف: ١٠٩، الروم: ٩، الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١.." <زاد المسير في علم التفسير؟ ابن الجوزي ٣/٥١٥>

"إلا يلوم نفسه على كل حال. والثالث: أنها جميع النفوس. قال الفراء: ليس من نفس بَرَّةٍ ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرا قالت: هلّا زدت. وإن كانت عملت سوءا قالت: ليتني لم أفعل «١» .

قوله عزّ وجلّ: أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ المراد بالإنسان هاهنا: الكافر.

وقال ابن عباس: يريد أبا جهل.

(١٥٠٤) وقال مقاتل: عدي بن ربيعة وذلك أنه قال: أيجمع الله هذه العظام؟ فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلم له:

«نعم» ، فاستهزأَ مِنْه، فنزلت هذه الآية. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف كأنه: ليبعثنّ ليحاسبنّ، فدلّ قوله عزّ وجلّ: أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ على الجواب، محذوف.

وقوله عزّ وجلّ: بَلى **وقف حسن**. ثم يُبتدأ قادِرِينَ على معنى: بلى نجمعها قادرين، ويصلح نصب «قادرين» على التكرير: بلى فَلْيَحْسَبْنَا قادرين عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ وفيه قولان: أحدهما:

أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخُفّ البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قول الجمهور. والثاني: نقدر على تسوية بنانه كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها أقدر، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج.

وقد بينا معنى البنان في الأنفال «٢» .

قوله عزّ وجلّ: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ فيه قولان: أحدهما: يكذب بما أمامه من البعث والحساب، قاله ابن عباس. والثاني: يقدِّم الذنب ويؤخِّر التوبة، ويقول: سوف أتوب، قاله سعيد بن جبير. فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر.

قوله عزّ وجلّ: يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ أي: متى هو؟ تكذيباً به، وهذا هو الكافر، فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ قرأ أهل المدينة، وأبان عن عاصم «بَرَق» بفتح الراء، والباقون بكسرها: قال الفراء: العرب تقول: بَرِق البصر يبرَق،

وبَرَق يبرُق: إذا رأى هولاً يفزع منه. و «بَرِق» أكثر وأجود. قال الشاعر:
فَنَفْسَكَ فَانْعَ ولا تَنْعَني ... ودَاوِ الكُلُومَ ولاَ تَبْرَقِ «٣»
بالفتح. يقول: لا تفزع من هول الجراح التي بك. قال المفسرون: يشخص بصر الكافر يوم القيامة، فلا يَطْرِفُ لما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. وقال مجاهد: برق البصر عند الموت.
قوله عزّ وجلّ: وَخَسَفَ الْقَمَرُ قال أبو عبيدة: خسف وكسف بمعنى واحد، أي: ذهب ضوءه.

لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٣ بدون إسناد. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٦٥٩: ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد. فالخبر باطل لا أصل له، ولم ينسبه هؤلاء إلى قائل، ولم يذكره السيوطي في «الدر» ولا في «أسباب النزول» ولا ذكره الطبري، وكل ذلك دليل على وضعه، والله أعلم.
وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦١٨١.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٣٢٧: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن- النفس اللوامة- وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.
(٢) الأنفال: ١٢.
(٣) البيت لطرفة بن العبد، في ديوانه: ٢١٨، و «اللسان» - برق.." <زاد المسير في علم التفسير؟ ابن الجوزي ٣٦٩/٤>
"مُرْساها
«١» ، وأَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ، فَيَكُونُ الظَّرْفُ مَحَلًّا لِلْمَصْدَرِ، وَانْتَصَبَ يَوْمَهُمْ بِمُضْمَرٍ تَقْدِيرُهُ: هُوَ كَائِنٌ، أَيِ الْجَزَاءُ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ، وَجَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ هُوَ يَوْمُهُمْ، وَالْفَتْحَةُ فَتْحَةُ بِنَاءٍ لِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِ مُتَمَكِّنٍ، وَهِيَ الْجُمْلَةُ الْإِسْمِيَّةُ. وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ أَبِي عَبْلَةَ والزعفراني. يَوْمَ هُمْ بِالرَّفْعِ، وَإِذَا كَانَ ظَرْفًا جَازَ أَنْ تَكُونَ الْحَرَكَةُ فِيهِ حَرَكَةَ إِعْرَابٍ وَحَرَكَةَ بِنَاءٍ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى إِضَافَةِ الظَّرْفِ الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ فِي غَافِرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ «٢» . وَقَالَ بَعْضُ النُّحَاةِ: يَوْمُهُمْ بَدَلٌ مِنْ يَوْمُ الدِّينِ، فَيَكُونُ هُنَا حِكَايَةً مِنْ كَلَامِهِمْ عَلَى الْمَعْنَى، وَيَقُولُونَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ.

وَلَوْ حَكَى لَفْظَ قَوْلِهِمْ، لَكَانَ التَّرْكِيبُ: يَوْمَ نَحْنُ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ. ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ: أَيْ يُقَالُ لَهُمْ ذُوقُوا. هذَا الَّذِي: مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا بَدَلًا مِنْ فِتْنَتَكُمْ، أَيْ ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ. انْتَهَى، وَفِيهِ بُعْدٌ، وَالِاسْتِقْلَالُ خَيْرٌ مِنَ الْبَدَلِ. وَمَعْنَى تُفْتَنُونَ: تُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْكُفَّارِ، ذَكَرَ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ، وَانْتَصَبَ آخِذِينَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ قَابِلِيهِ رَاضِينَ بِهِ، وَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آخِذِينَ: أَيْ فِي دُنْيَاهُمْ، مَا آتاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَشَرْعِهِ، فَالْحَالُ مَحْكِيَّةٌ لِتَقَدُّمِهَا فِي الزَّمَانِ عَلَى كَوْنِهِمْ فِي الْجَنَّةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَلِيلًا ظَرْفٌ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ، أَيْ كَانُوا فِي قَلِيلٍ مِنَ اللَّيْلِ.

وَجُوِّزَ أَنْ يَكُونَ نَعْتًا لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ كَانُوا يَهْجَعُونَ هُجُوعًا قَلِيلًا، وَمَا زَائِدَةٌ فِي كِلَا الْإِعْرَابَيْنِ. وَفَسَّرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ذَلِكَ فَقَالَ: كَانُوا يَتَنَفَّلُونَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَلَا يَدُلُّ لَفْظُ الْآيَةِ عَلَى الِاقْتِصَارِ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ: كَانُوا يُصِيبُونَ مِنَ اللَّيْلِ حَظًّا. وَقَالَ مُطَرِّفٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ أَبِي نُجَيْحٍ: قَلَّ لَيْلَةٌ أَتَتْ عَلَيْهِمْ هُجُوعًا كُلُّهَا. وَقَالَ الْحَسَنُ: كَابَدُوا قِيَامَ اللَّيْلِ لَا يَنَامُونَ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كَانُوا قَلِيلًا، أَيْ فِي عَدَدِهِمْ، وَثَمَّ خَبَرُ كَانَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، فَمَا نَافِيَةٌ، وَقَلِيلًا **وَقْفٌ حَسَنٌ**، وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ تَفْكِيكٌ لِلْكَلَامِ، وَتَقَدَّمَ مَعْمُولُ الْعَامِلِ الْمَنْفِيِّ بِمَا عَلَى عَامِلِهِ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، وَلَوْ كَانَ ظَرْفًا أَوْ مَجْرُورًا. وَقَدْ أَجَازَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ، وَجَاءَ فِي الشِّعْرِ قَوْلُهُ:

إِذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِرًا مُشْمَعِلَّةً ... يَحْسَبُ الْفُؤَادُ رَأْسَهَا مَا تُقَنَّعُ

---

(١) سورة الأعراف: ٧/ ١٨٧، وسورة النازعات: ٧٩/ ٤٢.

(٢) سورة غافر: ٤٠/ ١٦. [.....]." <البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ٩/٥٥١>

"والعامَّة: على «نَجْمَعَ» بنون العظمة، و «عِظامهُ» نصب مفعولاً به.

وقتادة: «تُجْمع» بتاءٍ من فوقُ مضمومةٍ على ما لم يسم فاعله؛ «عظامه» رفع لقيامه مقام الفاعل.

فصل في جواب هذا القسم

قال الزجاج: أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجمعنَّ العظام للبعث، فهذا جواب [القسم.

وقال النحاس: جواب] القسم محذوف، أي: لنبعثن.

والمراد بالإنسان: الكافر المكذب بالبعث.

قيل: «نزلت في عدي بن ربيعة قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِّثني عن يوم القِيامةِ مَتَى تكُونُ، وكَيْفَ

أمْرِهَا وحَالُهَا؟ فأخْبرَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال: لَوْ عَايَنْتُ ذلكَ اليَوْمَ لَمْ أصَدِّقكَ يا مُحَمَّدُ ولَمْ أومِنْ بِهِ، أو يَجْمَعُ اللَّهُ العِظَامَ؟ ولهذا كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:» اللَّهُمَّ اكفِنِي جَارَي السُّوءِ عدَيَّ بن ربيعَة، والأخنس بنَ شَرِيقٍ «.

وقيل: نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت، وذكر العظام، والمراد نفسه كلها؛ لأن العظام قالب الخلق.

وقيل: المراد بالإنسان: كل من أنكر البعث مطلقاً.

قوله: ﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام، وهو **وقف حسن**، ثم يبتدىء» قَادِرِين «، ف» قَادِرِين «حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرنا من التقدير.

وقيل: المعنى بل نجمعها نقدر قادرين.

قال الفراء:» قادرين «نصب على الخروج من» نَجْمعَ «أي نقدر ونقوى» قادرين «على أكثر من ذلك.

وقال أيضاً: يَصْلُح نصبُه على التكرير، أي: بلى فليحسبنا قادرين.

وقيل: المضمر» كنا «أي: كنا قادرين في الابتداء، وقد اعترف به المشركون.

وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع:» قادرون «رفعاً على خبر ابتداء مضمر، أي»." >اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ١٩/٥٤٦>

"(سورة العلق)

(مكية حروفها مائتان وثمانون كلمها اثنتان وسبعون آياتها تسع عشرة)

[سورة العلق (٩٦) : الآيات ١ الى ١٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى (٧) إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى (٩)

عَبْداً إِذا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى (١٤)

كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (١٥) ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)

القراآت:

اقْرَأْ بالألف: الأوقية والأعشى وحمزة في الوقف رَآهُ ممالة مكسورة الراء: حمزة وعلي وخلف ويحيى وعباس والخزاز وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل والنقاش عن ابن ذكوان. وقرأ أبو عمرو غير عباس والنجاري عن ورش بفتح الراء وكسر الهمزة.

روى ابن مجاهد وأبو عون غير قنبل مفتوحة الراء مقصورة على وزن «رعه» .

الوقوف:

الَّذِي خَلَقَ ه ج لاتباع صلة بلا عطف فإن الجملة الثانية مفسرة للأولى المبهمة، ولو جعل المعنى الذي خلق كل شيء ثم خص خلق الإنسان ازداد **الوقف حسنا** عَلَقٍ ه ج لأن اقْرَأْ يصلح مستأنفا وتكرارا للأول الْأَكْرَمُ ه لا بِالْقَلَمِ ه لا يَعْلَمْ ه لا لَيَطْغى ه لا اسْتَغْنى ه ط الرُّجْعى
ه ط يَنْهى ه لا صَلَّى ه ط الْهُدى ه لا بِالتَّقْوى ه ط وَتَوَلَّى ه ط يَرى ه لا خاطِئَةٍ ه لا نادِيَهُ ه لا الزَّبانِيَةَ ه لا كَلَّا ط على الردع وَاقْتَرِبْ ه.

التفسير:

وقد مر في أوائل الكتاب أن أكثر المفسرين زعموا أن هذه السورة أول ما نزل من السماء. وفي الباء وجهان: الأول إنها زائدة وزيف بأنه خلاف الأصل وبأن معناه حينئذ:

اذكر اسم ربك فلا يحسن من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: ما أنا بقارئ كما جاء في الحديث، وبأنه كتحصيل الحاصل لأنه لم يكن له شغل سوى ذكر الله. والثاني وهو الأصح أنه نصب على." <تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٥٢٨/٦<

"ت: وروى التِّرْمِذِيُّ عن سعد بن أبي وقّاص، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السموات والأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ، فَبَدَا أَسَاوِرُهُ، لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ» «١» انتهى، ومعنى قوله: كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ أَنَّ نومهم كان قليلاً لاشتغالهم بالصلاة والعبادةِ، والهجوعُ: النومُ، وقد قال الحسن في تفسير هذه الآية: كابَدُوا قيامَ الليل، لا ينامون منه إلاَّ قليلاً «٢» ، وأَمَّا إعرابُ الآية فقال الضَّحَّاكُ في كتاب الطبريّ: ما يقتضي أنَّ المعنى: كانوا قليلاً في عددهم، وتمّ خبر «كان» ، ثم ابتدأ مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ فما نافية وقَلِيلًا

وقف حسن، وقال جمهور النحويين: ما مصدريَّةٌ وقَلِيلًا خبرُ كَانَ، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل هجوعُهُم، وعلى هذا الإعراب يجيء قولُ الحسن وغيرِهِ، وهو الظاهر عندي أَنَّ المراد كان هُجُوعُهُمْ من الليل قليلاً قيل لبعض التابعين: مدح الله قوما كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ونَحْنُ قليلاً من الليل ما نقوم! فقال: رَحِمَ اللَّهُ امرأً رقد إذا نعس، وأطاع ربّه إذا استيقظ.

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ١٨ الى ٢١]

وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١)

وقوله تعالى: وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال الحسن «٣» : معناه: يدعون في طَلَبِ المغفرة، ويُرْوَى أَنَّ أبوابَ الجنة تُفْتَحُ سَحَرَ كُلَّ ليلة، قال ابن زيد «٤» : السَّحَرُ: السُّدُسُ الآخر من الليل، والباء في قوله بِالْأَسْحارِ بمعنى في قاله أبو البقاء، انتهى، ومن كلام [ابن] الجوزي في «الْمُنْتَخَبِ» : يا أخي، علامةُ المَحَبَّةِ طلبُ الخَلْوَةِ بالحبيبِ، وبيداءُ اللَّيلِ/ فلواتُ الخلوات، لَمَّا ستروا قيامَ الليل في ظلام الدُّجَى غَيْرَةً أَنْ يَطَّلِعَ الغيرُ عليهم- سترهم سبحانه بسترٍ-، فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ [السجدة: ١٧] ، لَمَّا صَفَتْ خلواتُ الدُّجَى، ونادى أذان الوصال: أقم فلانا، وأنم فلانا- خرجت بالأسماء

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٨) ، كتاب «صفة الجنة» باب: ما جاء في صفة أهل الجنة، وأحمد (١/ ١٧١) ، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢٠٨) (٢١٩٠) ، وابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٢٦) (٤١٦) .

قال الترمذي: هذا الحديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٣) برقم: (٣٢١١٦) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٤) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٣) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٤) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٦) برقم: (٣٢١٤٠) ، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٠) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٥) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٥) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن نصر، وابن جرير، وابن المنذر. [.....]

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٦) برقم: (٣٢١٤٢) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٥) .." <تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن؟ الثعالبي، أبو زيد ٥/٢٩٩>

"*لا وأبيك ابنة العامريّ ... لا يدّعي القوم أني أفر*

وفائدتها: توكيد القسم، ثم قال الزمخشري بعد أن ذكر وجه الزيادة والاعتراض: والجواب كما تقدّم والوجه أن يقال: هي للنفي، والمعنى في ذلك: أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له يدل عليه قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ (الجمعة: ٧٥ ـ ٧٦)
فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام، يعني أنه يستأهل فوق ذلك. قال بعضهم: قول الزمخشري: والوجه أن يقال إلى آخره تقرير لقوله: إدخال لا النافية فيه على فعل القسم مستفيض إلى آخره. وحاصل كلامه يرجع إلى أنها نافية وأنّ النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذي شرحه، وليس فيه نفع لفظاً ولا معنى، وقرأ ابن كثير بخلاف عن البزي بغير ألف بعد اللام والهمزة مضمومة والباقون بالألف ويعبر عن قراءة ابن كثير بالقصر وعن قراءة الباقين بالمدّ.
ولا خلاف في قوله تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامّة﴾ في المدّ والكلام في لا المتقدّمة وجرى الجلال المحلي على أنها زائدة في الموضعين. واختلف في النفس اللوامّة فقيل: هي نفس المؤمن الذي لا تراه يلوم إلا نفسه تقول: ما أردت بكذا ولا تراه يعاتب إلا نفسه. وقال الحسن رضي الله عنه: هي والله نفس المؤمن ما ترى المؤمن إلا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي ما أردت بحديثي، والفاجر لا يحاسب نفسه. وقال مجاهد رضي الله عنه: هي التي تلوم على ما فات، فتلوم نفسها على الشرّ لم فعلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه، وقيل: تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها. وقيل: المراد آدم عليه السلام لم يزل لائماً نفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة. وقيل: هي الملومة فتكون صفة ذمّ وهو قول من نفى أن تكون قسماً، وعلى الأوّل صفة مدح فيكون القسم بها سائغاً. وقال مقاتل رضي الله عنه: هي نفس الكافر يلوم نفسه تحسراً في الآخرة على ما فرّط في جنب الله تعالى.

وجواب القسم محذوف أي: لتبعثنّ دل عليه قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان﴾ أي: هذا النوع الذي جبل على الأنس بنفسه والنظر في عطفية وأسند الفعل إلى النوع كله؛ لأنّ أكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ على العقل إلا من عصم الله تعالى، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها ﴿ألن﴾ أي: أنا لا ﴿نجمع﴾ أي: على ما لنا من العظمة ﴿عظامه﴾ أي: التي هي قالب بدنه فنعيدها كما كانت بعد تمزقها وتفتتها للبعث والحساب.
وقيل: نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة خال الأخنس بن شريق الثقفي وذلك أن عدياً أتى النبيّ صلى

الله عليه وسلم فقال: يا محمد حدّثني عن القيامة متى تقوم؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك، أَوَ يجمع الله العظام بعد تفرّقها ورجوعها رميماً ورفاتاً مختلطاً بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض ولهذا كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهمّ اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة والأخنس بن شريق» وقيل: نزلت في عدوّ الله أبي جهل أنكر البعث بعد الموت وذكر العظام، والمراد نفسه كلها لأنّ العظام قالب الخلق.

تنبيه: ألن هنا موصولة وليس بين الهمزة واللام نون في الرسم كما ترى.

وقوله تعالى: ﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو **وقف حسن**، ثم يبتدئ بقوله تعالى: ﴿قادرين﴾ وقيل: المعنى: بل." <السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير؟ الخطيب الشربيني ٤/٤٣٩>

"يقف على: ﴿مُتْرَفِيهَا﴾، ومن قرأ (١): ﴿أَمْرِنَا﴾ بالمد والتخفيف بمعنى: كثرنا، أو قرأ: ﴿أَمْرِنَا﴾ بالقصر والتشديد (٢)، من الإمارة بمعنى: سلَّطنا حسن الوقف على: ﴿مُتْرَفِيهَا﴾ وهما شاذتان لا تجوز القراءة بهما، وقد يكون **الوقف حسنًا**، والابتداء قبيحًا، نحو: ﴿يخرجون الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ **الوقف حسن**، والابتداء بـ ﴿إِيَّاكُمْ﴾ قبيح لفساد المعنى؛ إذ يصير تحذيرًا عن الإيمان بالله تعالى، ولا يكون الابتداء إلَّا بكلام موفٍّ للمقصود.

والجائز: هو ما يجوز الوقف عليه وتركه، نحو: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإنَّ واو العطف تقتضي عدم الوقف، وتقديم المفعول على الفعل يقتضي الوقف؛ فإن التقدير ويوقنون بالآخرة؛ لأن الوقف عليه يفيد معنى، وعلامته أن يكون فاصلًا بين كلامين من متكلمين، وقد يكون الفصل من متكلم واحد كقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ الوقف جائز فلما لم يجبه أحد أجاب نفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، وكقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ هنا الوقف، ثم يبتدئ: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ على أنه منصوب بفعل مقدر؛ لأنَّ اليهود لم يقروا بأن عيسى رسول الله فلو وصلنا ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾

بـ ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ -لذهب فهم من لا مساس له بالعلم: أنه من تتمة كلام اليهود، فيفهم من ذلك أنهم مقرون أنه رسول الله، وليس الأمر كذلك، وهذا التعليل يرقيه ويقتضي وجوب الوقف على ابن مريم، ويرفعه إلى التام.

والقبيح: وهو ما اشتد تعلقه بما قبله لفظًا ومعنى، ويكون بعضه أقبح من بعض، نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾؛ فإنه يوهم غير ما أراده الله تعالى؛ فإنه يوهم وصفًا لا يليق بالباري سبحانه وتعالى، ويوهم

أن الوعيد بالويل للفريقين، وهو لطائفة مذكورين بعده، ونحو: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ يوهم إباحة ترك الصلاة بالكلية، فإن رجع ووصل الكلام بعضه ببعض غير معتقد لمعناه فلا إثم عليه، وإلَّا أثم مطلقًا وقف أم لا، ومما يوهم الوقف على الكلام المنفصل الخارج عن حكم ما وصل به، نحو: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾؛ لأن الموتى لا يسمعون، ولا يستجيبون، إنما أخبر الله عنهم أنهم يبعثون، ومنه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، ونحو: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾،

---

(١) وهي قراءة يعقوب من العشر فهي متواترة عنه، ومن غير العشر الحسن وعلي بن أبي طالب وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وسلام والأعرج والكلبي وابن عباس وقتادة وغيرهم. انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ٢٨٢)، البحر المحيط (٦/ ٢٠)، تفسير الطبري (١٥/ ٤٢)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٣٣)، السبعة (ص: ٣٧٩)، المعاني للفراء (٢/ ١١٩)، النشر (٢/ ٣٠٦).

(٢) وهي قراءة السُدّي وابن عباس وزيد بن علي وعليّ والحسن والباقر ومجاهد ومحمد بن علي وغيرهم، وهي قراءة شاذة. انظر هذه القراءة في: الإملاء للعكبري (٢/ ٤٩)، البحر المحيط (٦/ ٢٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢١٤)، الكشاف (٢/ ٤٤٢)، تفسير الرازي (٢٠/ ١٧٧).." >منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ١/ ٢٨<

"ونحو: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ﴾، ونحو: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، ونحو: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي﴾، وشبه ذلك من كل ما هو خارج عن حكم الأول من جهة المعنى؛ لأنه سوَّى بالوقف بين حال من آمن ومن كفر، وبين من ضل ومن اهتدى؛ فهذا جليُّ الفساد، ويقع هذا كثيرًا ممن يقرأ تلاوتة؛ لحرصه على النَّفس فيقف على بعض الكلمة دون بعض، ثم يبني على صوت غيره ويترك ما فاته، ومثل ذلك ما لو بنى كل واحد على قراءة نفسه؛ إذ لابد أن يفوته ما قرأه بعضهم، والسُّنَّة: المدارسة؛ وهو أن يقرأ شخص حزبًا، ويقرأ آخر عين ما قرأه الأول، وهكذا فهذه هي السُّنَّة التي كان يدارس جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - بها في رمضان، فكان جبريل يقرأ أوَّلًا، ثم يقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - عين ما قرأه جبريل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أي: على لسان جبريل ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾.

وأما الأقبح: فلا يخلو إما أن يكون الوقف والابتداء قبيحين، أو يكون **الوقف حسنًا**، والابتداء قبيحًا؛ فالأول كأن يقف بين القول والمقول، نحو: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾، ثم يبتدئ: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، أو: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى﴾،

ثم يبتدئ: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، أو: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾، ثم يبتدئ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، أو: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾، ثم يبتدئ: ﴿إِن اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، وشبه ذلك من كل ما يوهم خلاف ما يعتقده المسلم.

قال أبو العلاء الهمذاني (١): لا يخلو الواقف على تلك الوقوف: إما أن يكون مضطرًا، أو متعمدًا؛ فإن وقف مضطرًا، وابتدأ ما بعده غير متجانف لإثم، ولا معتقد معناه -لم يكن عليه وزر.

وقال شيخ الإسلام (٢): عليه وزر إن عرف المعنى؛ لأنَّ الابتداء لا يكون إلَّا اختياريًّا.

---

(١) أبو العلاء الهمذاني (٤٨٨ - ٥٦٩ هـ = ١٠٩٥ - ١١٧٣ م) الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد ابن سهل العطار: شيخ همذان، وإمام العراقيين في القراءات، وله با ع في التفسير والحديث والأنساب والتواريخ، كان لا يخشى السلاطين ولا يقبل منهم شيئا، ولا تأخذه في الله لومة لائم، مع التقشف في الملبس، له تصانيف، منها: زاد المسير -في التفسير، والوقف والابتداء -في القراءات، ومعرفة القراءة، والهادي في معرفة المقاطع والمبادي -قراءات. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٨١).

(٢) وهو: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، المصري، الشافعي، أبو يحيى: شيخ الإسلام، قاضٍ مفسر، من حفاظ الحديث، ولد في سنيكة (بشرقية مصر)، وتعلم في القاهرة وكُفّ بصره سنة (٩٠٦ هـ)، نشأ فقيرا معدمًا، قيل: كان يجوع في الجامع، فيخرج بالليل يلتقط قشور البطيخ، فيغسلها ويأكلها، ولما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا والعطايا، بحيث كان له قبل دخوله في منصب القضاء كل يوم نحو ثلاثة آلاف درهم، فجمع نفائس الكتب وأفاد القارئين عليه علما ومالا، وولاه السلطان قايتباي الجركسي (٨٢٦ - ٩٠١) قضاء القضاة، فلم يقبله إلا بعد مراجعة وإلحاح، ولما ولي رأى من السلطان عدولًا عن الحق في بعض أعماله، فكتب إليه يزجره عن الظلم، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي، له تصانيف كثيره، منها: فتح الرحمن -في التفسير، وتحفة الباري على صحيح البخاري، وفتح الجليل -تعليق على تفسير البيضاوي، وشرح إيساغوجي -في المنطق، وشرح ألفية العراقي -في مصطلح الحديث، وشرح شذور الذهب -في النحو، وتحفة نجباء العصر -في التجويد، واللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم -رسالة، والدقائق المحكمة -في القراءات، وفتح العلام بشرح الأعلام بأحاديث الأحكام، وتنقيح تحرير اللباب -فقه، وغاية الوصول -في أصول الفقه، ولب الأصول -اختصره من جمع الجوامع، وأسنى المطالب في شرح روض الطالب -فقه، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية -فقه، ومنهج الطلاب -في الفقه، والزبدة الرائقة -رسالة في شرح البردة

(ت٩٢٦ هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٤٦).." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ١/ ٢٩>

"﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾ [٢] قرآنًا، قيل: لم يثبتها الشافعي قرآنًا مثل ما أثبت غيرها، بل أثبتها حكمًا وعملًا لأدلة اقتضت ذلك عنده، ومعنى حكمًا: أنَّ الصلاة لا تصح إلَّا بها فهي آية حكمًا لا قطعًا. واختلف هل ثبوت البسملة قرآنًا بالقطع أو بالظن؟ الأصح أن ثبوتها بالظن؛ حتى يكفي فيها أخبار الآحاد وتعلق الأحكام مظنون، ولا يحكم بكونها قرآنًا إلَّا بالنقل المتواتر قطعًا ويقينًا، بل ولا نكفِّر بيقيني لم يصحبه تواتر، ولما لم ينقلوا إلينا كون البسملة قرآنًا، كما نقلوا غيرها ولا ظهر ذلك منهم، كما ظهر في غيرها من الآي وجب القطع بأنها ليست من الفاتحة، ولم يقل أحد من السلف أنَّ البسملة آية من كل سورة إلَّا الشافعي، وقد أثبتها نصف القراء السبعة، ونصفهم لم يثبتها، والمصحح للقسمة أنَّ لنافع راويين أثبتها أحدهما، والآخر لم يثبتها، وقوة الشبهة بين الفريقين منعت التكفير من الجانبين. اهـ

وفيها ثلاثة وعشرون وقفًا: أربعة تامة، وستة جائزة يحسن الوقف عليها، ولا يحسن الابتداء بما بعدها؛ لأنَّ التعلق فيها من جهة اللفظ، **والوقف حسن**؛ إذ الابتداء لا يكون إلَّا مستقلًّا بالمعنى المقصود، وثلاثة عشر يقبح الوقف عليها والابتداء بما بعدها؛ فالتامة أربعة: «البسملة»، و «الدين»، و «نستعين»، و «الضالين» على عد أهل الكوفة، وثلاثة على عد أهل المدينة والبصرة هو: «الدين»، و «نستعين»، و «الضالين»، ومن قوله: ﴿اهْدِنَا﴾ إلى آخرها سؤال من العبد لمولاه متصل بعضه ببعض فلا يقطع؛ لشدة تعلق بعضه ببعض. والجائزة: «الحمد لله»، و «العالمين»، و «الرحيم»، و «إياك نعبد»، و «المستقيم»، و «أنعمت»، و «عليهم»؛ لكونه رأس آية، وإنما جاز الوقف عليها على وجه التسامح، ولا ينبغي الوقف على الأخير سواء نصب «غير» بدلًا، أو نعتًا، أو حالًا، أو على الاستثناء، قال أبو العلاء الهمداني: ومن قرأ (١): «غيرُ» بالرفع خبر مبتدأ محذوف حسن الابتداء به، وهي قراءة شاذة.

---

(١) لم أستدل عليها في أيٍّ من المصادر التي رجعت إليها.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ١/ ٥١>

"«والأرحامُ» بالرفع (١)؛ على أنَّه مبتدأ حذف خبره، كأنه قيل: والأرحام محترمة، أي: واجب حرمتها، فلا تقطعوها، حثهم الشارع على صلة الأرحام، ونبههم على أنَّه كان من حرمتها عندهم أنهم يتساءلون، أي: يحلفون بها، فنهاهم عن ذلك، وحرمتها باقية، وصلتها مطلوبة، وقطعها محرم إجماعًا، وعلى

هذا يكون **الوقف حسنًا**، وليس بوقف لمن خفض «الأرحام» على القسم، والتقدير بالله وبالأرحام، كقولك: أسألك بالله وبالرحم، وقيل: الوقف على «به»، وإن نصب ما بعده على الإغراء بمعنى: عليكم الأرحام فصلوها، فالوقف على «به» كاف عند يعقوب، وتام عند الأخفش، وخالفهما أبو حاتم، ووقف على «تساءلون به والأرحام» على قراءتي: النصب، والجر.

﴿رَقِيبًا (١)﴾ [١] كاف.

﴿الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ [٢] جائز.

﴿بِالطَّيِّبِ﴾ [٢] كاف عند نافع.

﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [٢] حسن.

﴿كَبِيرًا (٢)﴾ [٢] كاف.

﴿وَرُبَاعَ﴾ [٣] حسن.

﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ [٣] حسن.

﴿أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾ [٣] كاف، وقال نافع: تام، وهو رأس آية.

﴿نِحْلَةً﴾ [٤] كاف؛ للابتداء بالشرط.

﴿مَرِيئًا (٤)﴾ [٤] حسن، ومن وقف على «فكلوه»، وجعل «هنيًّا مريًّا» دعاء، أي: هنأكم الله وأمرأكم - كان جائزًا، ويكون «هنيًّا مريًّا» من جملة أخرى غير قوله: «فكلوه» لا تعلق له به من حيث الإعراب، بل من حيث المعنى، وانتصب «مريًّا» على أنه صفة، وليس وقفًا إن نصب نعتًا لمصدر محذوف، أي: فكلوه أكلًا هنيًّا، وكذلك إن أعرب حالًا من ضمير المفعول، فهي حال مؤكدة لعاملها، وعند الأكثر معناه الحال، ولذلك كان وصله أولى.

﴿قِيَامًا﴾ [٥] جائز؛ لاتفاق الجملتين.

﴿مَعْرُوفًا (٥)﴾ [٥] كاف.

﴿النِّكَاحَ﴾ [٦] حسن عند بعضهم، وبعضهم وقف على «وابتلوا اليتامى»، وجعل «حتى» لانتهاء الابتداء، لا للابتداء، أي: غيًا الابتداء بوقت البلوغ؛ لأنَّ الآية لم تتعرض لسن البلوغ، ثم ابتدأ حتى إذا بلغوا النكاح، والجواب مضمر، أي: حتى إذا بلغوا النكاح زوِّجوهم وسلِّموا إليهم أموالهم، فحذف

---

(١) وهي قراءة عبد الله بن يزيد، وهي قراءة شاذة. انظر هذه القراءة في: الإملاء للعكبري (١/ ٩٦)،

البحر المحيط (٣/ ١٥٧)، تفسير القرطبي (٥/ ٥)، الكشاف (١/ ٢٤١)، المحتسب لابن جني (١/ ١٧٩).."
<منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ١/١٧٤>
"﴿حَقًّا﴾ [١٢٢] حسن.
﴿قِيلًا (١٢٢)﴾ [١٢٢] تام؛ إن جعل «ليس بأمانيكم» مخاطبة للمسلمين مقطوعًا عما قبله مستأنفًا، وإن جعل مخاطبة للكفار الذين تقدم ذكرهم كان **الوقف حسنًا**، وبكلا القولين قال أهل التفسير، فمن قال: إنه مخاطبة للمسلمين -مسروق، قال: احتج المسلمون، وأهل الكتاب، فقال المسلمون: نحن أهدى منكم، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [١٢٣]، ومن قال: إنه مخاطبة للكفار، وإنه متصل بما قبله -مجاهد، قال مشركو العرب: لن نعذب، ولن نبعث، وقال أهل الكتاب: نحن أبناء الله وأحباؤه، ولن تمسنا النار إلَّا أيامًا معدودة، وديننا قبل دينكم، ونبينا قبل نبيكم، واختار هذا القول محمد بن جرير؛ ليكون الكلام متصلًا بعضه ببعض، ولا يقطع ما بعده عما قبله إلَّا بحجة قاطعة (١)، قاله النكزاوي.
﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [١٢٣] كاف، وقال ابن الأنباري: تام؛ لأنه آخر القصة على قول من جعل قوله: من يعمل سوءًا يجز به عامًّا للمسلمين وأهل الكتاب، ومن جعله خاصًّا للمشركين جعل الوقف على ما قبله كافيًا، فمن قال: إنه عام لجميع الناس، وإن كل من عمل سيئة جوزي بها -أُبيُّ بن كعب، وعائشة؛ فمجازاة الكافر النار، ومجازاة المؤمن نكبات الدنيا، ومن قال: إنه خاص بالكفار -ابن عباس، والحسن البصري، واختار الأول ابن جرير، وقال: إن التخصيص لا يكون إلَّا بتوقيف، وقد جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يدل على أنَّه عام (٢).
﴿نَصِيرًا (١٢٣)﴾ [١٢٣] تام؛ للابتداء بالشرط.
﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [١٢٤] ليس بوقف؛ لأنَّ جواب الشرط لم يأت بعد.
﴿نَقِيرًا (١٢٤)﴾ [١٢٤] تام.
﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [١٢٥] ليس بوقف؛ لعطف ما بعده على ما قبله.
﴿حَنِيفًا﴾ [١٢٥] حسن، وقال أبو عمرو: تام.
﴿خَلِيلًا (١٢٥)﴾ [١٢٥] تام.
﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [١٢٦] حسن.
﴿مُحِيطًا (١٢٦)﴾ [١٢٦] تام.

﴿فِي النِّسَاءِ﴾ [١٢٧] جائز.

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [١٢٧] جائز عند بعضهم، وقيل: ليس بوقف؛ لأنَّ قوله: «وما يتلى» معطوف على اسم الله، ويبنى الوقف والوصل على إعراب «ما» من قوله: «وما يتلى عليكم»؛ فمحلها

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٢٦)، بتحقيق أحمد محمد شاكر -مؤسسة الرسالة.

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٢٨).." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ١/١٩٥>

"﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [٣٠] جائز، ومثله: «نبيًّا».

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [٣١] حسن، وقيل: كاف.

﴿حَيًّا (٣١)﴾ [٣١] حسن، إن نصب «برًّا» بمقدر، أو على قراءة من قرأ (١): «وبِرًّا بوالدتي»، وعلى قراءة العامة (٢): «وبرًّا» بالنصب عطفًا على «مباركًا» من حيث كونه رأس آية يجوز.

﴿بِوَالِدَتِي﴾ [٣٢] حسن.

﴿شَقِيًّا (٣٢)﴾ [٣٢] تام، ومثله: «حيًّا».

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [٣٤] كاف، لمن قرأ: «قول الحق» بالنصب، وهو عاصم وحمزة وابن عامر (٣)؛ على أنَّ قول مصدر مؤكد لمضمون الجملة، أي: هذا الإخبار عن عيسى ابن مريم ثابت صدق، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، كقولهم: وعد الصدق، أي: الوعد الصدق، وكذا كافٍ؛ إن رفع «قول» على قراءة من قرأه برفع اللام (٤)؛ على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك قول الحق، أو ذلك الكلام قول الحق، أو هو قول الحق، يراد به: عيسى ابن مريم لا ما تدعونه عليه، فليس هو بابن الله تعالى كما تزعم النصارى، ولا لغير رشدة كما تزعم اليهود، وليس بوقف إن رفع «قول» بدلًا من «عيسى»؛ لأنَّه لا يفصل بين البدل والمبدل منه بالوقف (٥).

﴿يَمْتَرُونَ (٣٤)﴾ [٣٤] تام.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ [٣٥] حسن، ولو وقف على «من ولد»، وابتدئ: بـ «سبحانه» كان **الوقف حسنًا** أيضًا.

﴿كُنْ﴾ [٣٥] جائز.

﴿فَيَكُونُ (٣٥)﴾ [٣٥] تام، لمن قرأ (٦): «وإن الله» بكسر الهمزة؛ على الابتداء، أو خبر مبتدأ محذوف،

---

(١) وهي قراءة الحسن -أبو جعفر -أبي نهيك -أبو مجلز، وهي قراءة شاذة. انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ٢٩٨)، الإملاء للعكبري (٢/ ٦٢)، البحر المحيط (٦/ ١٧٧، ١٨٧)، الكشاف (٢/ ٥٠٨)، المحتسب لابن جني (٢/ ٤٢).

(٢) أي: الأئمة العشرة.

(٣) انظر هذه القراءة في: التيسير (ص: ١٤٩)، الكشاف (٢/ ٥٠٩)، النشر (٢/ ٣١٨).

(٤) وجه من قرأ بنصب اللام؛ أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة، أي: هذه الأخبار عن عيسى أنه ابن مريم صدوق وليس منسوبًا لغيرها، أي: أقول قول الحق، فالحق صدق، وهو من إضافة الموصوف إلى صفته، أي: القول الحق. ووجه من قرأ: برفع اللام؛ على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: نسبته إلى أمه فقط قول الحق. انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٣)، بتحقيق أحمد محمد شاكر -مؤسسة الرسالة.

(٦) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وروح وخلف. وقرأ الباقون بفتحها. وجه من قرأ بكسر الهمزة؛ أن ذلك على الاستئناف. ووجه من قرأ: بفتحها؛ فعلى أنه مجرور بلام محذوفة؛ والمعنى: ولوحدانيته تعالى في الربوبية أطيعوه، وقرأ الباقون: بالتشديد مع فتح الكاف مضارع: (تذكر). انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ٢٩٩)، الكشف للقيسي (٢/ ٨٩)، النشر (٢/ ٣١٨).." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢/١٠>

"﴿الصُّدُورُ (١٩)﴾ [١٩] تام.

﴿بِالْحَقِّ﴾ [٢٠] كاف، ومثله: «لا يقضون بشيء» على القراءتين في: «يدعون» قرأ نافع وهشام بالتاء الفوقية والباقون بالتحتية (١).

﴿الْبَصِيرُ (٢٠)﴾ [٢٠] تام.

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ (﴾ [٢١] كاف.

﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [٢١] جائز.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ [٢١] حسن.

﴿مِنْ وَاقٍ (٢١)﴾ [٢١] كاف، ومثله: «فأخذهم الله».

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾ [٢٢] تام، ولا وقف من قوله: «ولقد أرسلنا موسى» إلى «كذاب» لاتصال الكلام بعضه ببعض، فلا يوقف على «مبين»؛ لأنَّ الذي بعده متصل به، ولا على «قارون» لمكان الفاء.

﴿كَذَّابٌ (٢٤)﴾ [٢٤] كاف.

﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ [٢٥] ليس بوقف؛ لأنَّ ما بعده جواب لـ «ما».

﴿نِسَاءَهُمْ﴾ [٢٥] حسن.

﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)﴾ [٢٥] كاف.

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [٢٦] حسن.

﴿دِينَكُمْ﴾ [٢٦] ليس بوقف؛ لأن «يظهر» منصوب بالعطف على ما قبله.

﴿الْفَسَادَ (٢٦)﴾ [٢٦] كاف.

﴿وَرَبِّكُمْ﴾ [٢٧] ليس بوقف؛ لأنَّ ما بعده متعلق بما قبله.

﴿الحساب (٢٧)﴾ [٢٧] كاف، وقد اختلف في قوله: «من آل فرعون» بماذا يتعلق؟ فمن قال: يتعلق بـ «يكتم» قال إنَّ الرجل لم يكن من آل فرعون، وكان وقفه على «مؤمن» ومن قال: يتعلق بـ «رجل مؤمن»، أي: رجل مؤمن من آل فرعون، كان نعتًا له، وكان الوقف على «فرعون» وعلى كلا القولين ففيه الفصل بين القول ومقوله، **والوقف الحسن** الذي لا غبار عليه من «ربكم» لانتهاء الحكاية، والابتداء بالشرط، وفي الحديث: «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس، ومؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهم» (٢).

---

(١) وجه من قرأ بالتاء؛ أي: بتاء الخطاب على الالتفات، أو إضمار «قل».

وقرأ الباقون: بياء الغيب جريًا على نسق الكلام، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان. انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ٣٧٨)، البحر المحيط (٧/ ٣٥٧)، التيسير (ص: ١٩٢).

(٢) أخرجه أحمد فى فضائل الصحابة (٢/ ٦٢٧، رقم: ١٠٧٢)، وابن عساكر (٤٢/ ٤٣)، والديلمى (٢/ ٤٢١، رقم: ٣٨٦٦).." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢/٢٢٦>

"فِي الْقِرَاءَاتِ الثَّلَاثِ يَخْتَصِمُونَ فَأُدْغِمَتِ التَّاءَ فِي الصَّادِ، فَنَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَهِشَامٌ نَقَلُوا فَتْحَةَ التاء قَبْلَهَا نَقْلًا كَامِلًا، وَأَبُو عَمْرٍو وَقَالُونُ اخْتَلَسَا حَرَكَتَهَا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْخَاءَ أَصْلُهَا السُّكُونُ، وَالْبَاقُونَ حَذَفُوا حَرَكَتَهَا، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ فَكَسَرُوا أَوَّلَهُمَا. وروي عن أبي عمرو، وقالون أنهما قرءا بتسكين الخاء وتشديد الصاد وهي مُشْكِلَةٌ لِاجْتِمَاعِ سَاكِنَيْنِ فِيهَا. وَقَرَأَ أُبَيٌّ «يَخْتَصِمُونَ» عَلَى مَا هُوَ الْأَصْلُ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً أَيْ:

لَا يَسْتَطِيعُ بَعْضُهُمْ أَنْ يُوصِيَ إِلَى بعض بما له وَمَا عَلَيْهِ، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوصِيَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الْمَعَاصِي، بَلْ يَمُوتُونَ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمَوَاضِعِهِمْ وَلا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ أَيْ: إِلَى مَنَازِلِهِمُ الَّتِي مَاتُوا خَارِجِينَ عَنْهَا، وَقِيلَ الْمَعْنَى: لَا يُرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ قَوْلًا، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَمَّا يَنْزِلُ بِهِمْ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى. ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَنْزِلُ بِهِمْ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ وَهِيَ النَّفْخَةُ الَّتِي يُبْعَثُونَ بِهَا مِنْ قُبُورِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ أَيِ: الْقُبُورِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ أَيْ: يُسْرِعُونَ، وَبَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ: أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَعَبَّرَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ الْمَاضِي حَيْثُ قَالَ: وَنُفِخَ تَنْبِيهًا عَلَى تَحَقُّقِ وُقُوعِهِ كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْبَيَانِ، وَجَعَلُوا هَذِهِ الْآيَةَ مثالا له، والصور بِإِسْكَانِ الْوَاوِ، هُوَ الْقَرْنُ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ السُّنَّةُ، وَإِطْلَاقُ هَذَا الِاسْمِ عَلَى الْقَرْنِ مَعْرُوفٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

نَحْنُ نَطَحْنَاهُمْ غَدَاةَ الْغَوْرَيْنِ ... بالضّابحات في غبار النّقعين

نَطْحًا شَدِيدًا لَا كَنَطْحِ الصُّورَيْنِ.

أَيِ: الْقَرْنَيْنِ. وقد مضى هذا مستوفى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الصُّورُ: جَمْعُ صُورَةٍ، أَيْ: نَفَخَ فِي الصُّورِ الْأَرْوَاحَ، وَالْأَجْدَاثُ: جمع جدث، وهو القبر. وقرئ «الأجداف» وَهِيَ لُغَةٌ، وَاللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ. وَالنَّسْلُ، وَالنَّسَلَانُ: الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ، يُقَالُ: نَسَلَ يَنْسِلُ، كَضَرَبَ يَضْرِبُ، وَيُقَالُ يَنْسُلُ بِالضَّمِّ، وَمِنْهُ: قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تنسلي وَقَوْلُ الْآخَرِ:

عَسَلَانَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِبًا ... بَرَدَ اللّيل عليه فنسل

قَالُوا: يَا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا أَيْ: قَالُوا عِنْدَ بَعْثِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ بِالنَّفْخَةِ يَا وَيْلَنَا: نَادَوْا وَيْلَهُمْ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ احْضُرْ فَهَذَا أَوَانُ حُضُورِكَ، وَهَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ هُمُ الْكُفَّارُ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْوَقْفُ عَلَى يَا وَيْلَنَا **وَقْفٌ حَسَنٌ**. ثُمَّ يَبْتَدِئُ الْكَلَامُ بِقَوْلِهِ: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا ظَنُّوا لِاخْتِلَاطِ عُقُولِهِمْ بِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْهَوْلِ، وَمَا دَاخَلَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا. قَرَأَ الْجُمْهُورُ: يَا وَيْلَنا وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى «يَا وَيْلَتَنَا» بِزِيَادَةِ التَّاءِ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ مَنْ بَعَثَنا بِفَتْحِ مِيمِ مَنْ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو نَهِيكٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ عَلَى أَنَّهَا حَرْفُ جَرٍّ، وَرُوِيَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَكُونُ مِنْ مُتَعَلِّقَةً بِالْوَيْلِ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: مَنْ بَعَثَنا. وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ «مَنْ أَهَبَّنَا» مِنْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ: إِذَا انْتَبَهَ." <فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٤/٤٢٩>

"وأزواجهم مَعْطُوفٌ عَلَى ذَلِكَ الضَّمِيرِ، وَارْتِفَاعُ مُتَّكِئُونَ عَلَى أنه خبر لمبتدأ محذوف، وفي ظِلَالٍ مُتَعَلِّقٌ بِهِ أَوْ حَالٌ، وَكَذَا عَلَى الْأَرَائِكِ وَجَوَّزَ أَبُو الْبَقَاءِ أَنْ يَكُونَ فِي ظِلَالٍ هو الخبر وعَلَى الْأَرائِكِ مُسْتَأْنَفٌ. قَرَأَ

الْجُمْهُورُ فِي ظِلَالٍ بِكَسْرِ الظَّاءِ وَبِالْأَلِفِ وَهُوَ جَمْعُ ظِلٍّ. وَقَرَأَ ابْنُ مسعود وعبيد بْنُ عُمَيْرٍ وَالْأَعْمَشُ وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ فِي ظُلَلٍ بِضَمِّ الظَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ جَمْعُ ظُلَّةٍ، وَعَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ فَالْمُرَادُ الفرش والستور التي تظلهم كالخيام والحجال، والأرائك جَمْعُ أَرِيكَةٍ، كَسَفَائِنَ جَمْعِ سَفِينَةٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا السُّرُرُ الَّتِي فِي الْحِجَالِ. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ: الْأَرِيكَةُ لَا يَكُونُ إِلَّا سَرِيرًا فِي قُبَّةٍ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ:

إِنَّ الْمُرَادَ بِالظِّلَالِ أَكْنَانُ الْقُصُورِ، وَجُمْلَةُ لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ مُبَيِّنَةٌ لِمَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَنَحْوِهَا. وَالْمُرَادُ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ مَا هَذِهِ هِيَ الْمَوْصُولَةُ وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ أَوْ موصوفة أو مصدرية، ويدّعون مُضَارِعُ ادَّعَى. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَدَّعُونَ يَتَمَنَّوْنَ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: ادْعُ عَلَيَّ مَا شِئْتَ: أَيْ تَمَنَّ، وَفُلَانٌ فِي خَيْرٍ مَا يَدَّعِي: أَيْ مَا يَتَمَنَّى. وَقَالَ الزَّجَّاجُ هُوَ مِنَ الدُّعَاءِ، أَيْ: مَا يَدْعُونَهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْتِيهِمْ، مِنْ دَعَوْتُ غُلَامِي، فَيَكُونُ الِافْتِعَالُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ كَالِاحْتِمَالِ بِمَعْنَى الْحَمْلِ وَالِارْتِحَالِ بِمَعْنَى الرَّحْلِ. وَقِيلَ: افْتَعَلَ بِمَعْنَى تَفَاعَلَ، أَيْ: مَا يَتَدَاعَوْنَهُ كَقَوْلِهِمُ ارْتَمَوْا وَتَرَامَوْا. وَقِيلَ: الْمَعْنَى:

إِنَّ مَنِ ادَّعَى مِنْهُمْ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ طَبَّعَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَدَّعِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ وَيَجْمُلُ بِهِ أَنْ يَدَّعِيَهُ، وما: مُبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهَا: لَهُمْ، وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا قَبْلَهَا. وَقُرِئَ «يَدْعُونَ» بِالتَّخْفِيفِ وَمَعْنَاهَا وَاضِحٌ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَالْوَقْفُ عَلَى يَدَّعُونَ **وَقْفٌ حَسَنٌ**، ثُمَّ يَبْتَدِئُ سَلامٌ عَلَى مَعْنَى لَهُمْ سَلَامٌ، وَقِيلَ: إِنَّ سَلَامٌ هُوَ خَبَرُ مَا، أَيْ: مُسَلَّمٌ خَالِصٌ أَوْ ذُو سَلَامَةٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: سَلَامٌ مَرْفُوعٌ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ مَا، أَيْ: وَلَهُمْ أَنْ يُسَلِّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مُنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُهُ: وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ عَلَى الْعُمُومِ، وَهَذَا السَّلَامُ يَدْخُلُ تَحْتَهُ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، وَلَا وَجْهَ لِقَصْرِهِ عَلَى نَوْعٍ خَاصٍّ، وَإِنْ كَانَ أَشْرَفَ أَنْوَاعِهِ تَحْقِيقًا لِمَعْنَى الْعُمُومِ، وَرِعَايَةً لِمَا يَقْتَضِيهِ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ. وَقِيلَ: إِنَّ سَلَامٌ مُرْتَفِعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: سَلَامٌ يُقَالُ لَهُمْ: قَوْلًا وقيل: إن سلام مبتدأ، وخبره: الناصب لقولا، أَيْ:

سَلَامٌ يُقَالُ لَهُمْ قَوْلًا، وَقِيلَ: خَبَرُهُ من ربّ العالمين، وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ وَقَرَأَ أُبَيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَعِيسَى «سَلَامًا» بِالنَّصْبِ إِمَّا عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ أَوْ عَلَى الْحَالِيَّةِ بِمَعْنَى خَالِصًا، وَالسَّلَامُ:

إِمَّا مِنَ التَّحِيَّةِ أَوْ مِنَ السَّلَامَةِ. وَقَرَأَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ «سِلْمٌ» كَأَنَّهُ قَالَ سِلْمٌ لَهُمْ لَا يَتَنَازَعُونَ فِيهِ، وَانْتِصَابُ قَوْلًا عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ عَلَى مَعْنَى: قَالَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ قَوْلًا، أَوْ يَقُولُهُ لَهُمْ قَوْلًا، أَوْ يُقَالُ لَهُمْ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ أَيْ: مِنْ جِهَتِهِ، قيل: يرسل الله سبحانه إِلَيْهِمْ بِالسَّلَامِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كُلِّ بَابٍ يَقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ وَامْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ هُوَ عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ مُقَابِلَ مَا قِيلَ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: وَيُقَالُ لِلْمُجْرِمِينَ: امْتَازُوا، أَيِ:

انْعَزِلُوا، مِنْ مَازَهُ غَيْرُهُ، يُقَالُ مِزْتُ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءِ: إِذَا عَزَلْتَهُ عَنْهُ وَنَحَّيْتَهُ. قَالَ مُقَاتِلٌ: مَعْنَاهُ اعْتَزِلُوا الْيَوْمَ: يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: كُونُوا عَلَى حِدَةٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: انْفَرِدُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ."
<فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٤/٤٣٢>

"أَجْنِحَتَهَا فِي الْهَوَاءِ وَاقِفَةً فِيهِ حَتَّى يَأْمُرَهَا اللَّهُ بِمَا يُرِيدُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: صَفًّا كَصُفُوفِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالصَّافَّاتِ هُنَا الطَّيْرُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ «١» . وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَالصَّفُّ: تَرْتِيبُ الْجَمْعِ عَلَى خَطٍّ كالصفّ في الصلاة، وقيل: الصافات جماعات النَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا صَفًّا فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي الْجِهَادِ، ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ. وَالْمُرَادُ بِ فَالزَّاجِراتِ الْفَاعِلَاتُ لِلزَّجْرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِمَّا لِأَنَّهَا تَزْجُرُ السَّحَابَ كَمَا قَالَ السُّدِّيُّ، وَإِمَّا لِأَنَّهَا تَزْجُرُ عَنِ الْمَعَاصِي بِالْمَوَاعِظِ وَالنَّصَائِحِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمُرَادُ بِالزَّاجِرَاتِ: الزَّوَاجِرُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهِيَ كُلُّ مَا يَنْهَى، وَيَزْجُرُ عَنِ الْقَبِيحِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى. وَانْتِصَابُ صفّا.

وزَجْراً على المصدرية لتأكيد ما قبلها. وقيل: المراد بالزاجرات العلماء، لأنهم هم الَّذِينَ يَزْجُرُونَ أَهْلَ الْمَعَاصِي.

وَالزَّجْرُ فِي الْأَصْلِ: الدَّفْعُ بِقُوَّةٍ، وَهُوَ هُنَا: قُوَّةُ التَّصْوِيتِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

زَجْرَ أَبِي عُرْوَةَ السِّبَاعَ إِذَا ... أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بِالْغَنَمِ

وَمِنْهُ زَجَرْتُ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ: إِذَا أَفْزَعْتَهَا بِصَوْتِكَ، وَالْمُرَادُ بِ فَالتَّالِياتِ ذِكْراً الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَتْلُو الْقُرْآنَ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ جِبْرِيلُ وَحْدَهُ، فَذُكِرَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ تَعْظِيمًا لَهُ مَعَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَتْبَاعٍ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمُرَادُ كُلُّ مَنْ تَلَا ذِكْرَ اللَّهِ وَكُتُبَهُ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ آيَاتُ الْقُرْآنِ، وَوَصْفُهَا بِالتِّلَاوَةِ وَإِنْ كَانَتْ مَتْلُوَّةً كَمَا فِي قَوْلِهِ: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ على بَنِي إِسْرائِيلَ «٢» وقيل: لأن بعضها يتلو بعضها وَيَتْبَعُهُ. وَذَكَرَ الْمَاوَرْدِيُّ أَنَّ التَّالِيَاتِ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ يَتْلُونَ الذِّكْرَ عَلَى أُمَمِهِمْ، وَانْتِصَابُ ذِكْرًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا كَمَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ صَفًّا وزَجْراً. قِيلَ: وَهَذِهِ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: فَالزَّاجِراتِ، فَالتَّالِياتِ إِمَّا لترتب الصفات أنفسها في الوجود أو لترتب مَوْصُوفَاتِهَا فِي الْفَضْلِ، وَفِي الْكُلِّ نَظَرٌ، وَقَوْلُهُ: إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ جَوَابُ الْقَسَمِ، أَيْ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْأَقْسَامِ إِنَّهُ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ. وَأَجَازَ الْكِسَائِيُّ فَتْحَ إِنَّ الْوَاقِعَةِ فِي جَوَابِ الْقَسَمِ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا ثَانِيًا، وَأَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ لَواحِدٌ وَأَنْ يَكُونَ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْوَقْفُ عَلَى لَوَاحِدٌ **وَقْفٌ حَسَنٌ**، ثم يبتدئ ربّ السموات والأرض على معنى هو ربّ السموات وَالْأَرْضِ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ لَوَاحِدٌ. وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ:

أَنَّ وُجُودَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ الْبَدِيعِ مِنْ أَوْضَحِ الدَّلَائِلِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَيْ: خَالِقُهُ وَمَالِكُهُ، وَالْمُرَادُ بما بينهما: ما بين السموات وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ. وَالْمُرَادُ بِ الْمَشارِقِ مَشَارِقُ الشَّمْسِ. قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ لِلشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا بِعَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ، تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا وَتَغْرُبُ مِنْ وَاحِدٍ، كَذَا قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَابْنُ عبد البرّ. وأما قَوْلِهِ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ «٣» فَالْمُرَادُ بِالْمَشْرِقَيْنِ: أَقْصَى مَطْلَعٍ تَطْلُعُ مِنْهُ الشَّمْسُ فِي الْأَيَّامِ الطِّوَالِ، وَأَقْصَرُ يَوْمٍ فِي الْأَيَّامِ الْقِصَارِ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَغْرِبَيْنِ. وَأَمَّا ذِكْرُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بِالْإِفْرَادِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْجِهَةُ الَّتِي تُشْرِقُ مِنْهَا الشَّمْسُ، وَالْجِهَةُ الَّتِي تَغْرُبُ مِنْهَا، وَلَعَلَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي هَذَا كَلَامٌ أَوْسَعُ من هذا

---

(١) . الملك: ١٩.

(٢) . النمل: ٣٦.

(٣) . الرحمن: ١٧.." <فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٤/٤٤٣>

"قَالَ: «حَمَلَتْ وَلِيدَةٌ فِي بَنِي سَاعِدَةَ مِنْ زنا، فَقِيلَ لَهَا مِمَّنْ حَمْلُكِ؟ قَالَتْ مِنْ فُلَانٍ الْمُقْعَدِ، فَسُئِلَ الْمُقْعَدُ فَقَالَ صَدَقَتْ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: خُذُوا عُثْكُولًا فِيهِ مِائَةُ شِمْرَاخٍ فاضربوه به ضربة واحدة» . وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَابْنُ عَسَاكِرَ نَحْوَهُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ابن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ. وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ نَحْوَهُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَيُّوبُ رَأْسُ الصَّابِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: أُولِي الْأَيْدِي قَالَ: الْقُوَّةُ فِي الْعِبَادَةِ وَالْأَبْصارِ قَالَ: الْفِقْهُ فِي الدِّينِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ أُولِي الْأَيْدِي قَالَ: النِّعْمَةُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ:

إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ قَالَ: أَخْلَصُوا بِذِكْرِ دَارِ الْآخِرَةِ أَنْ يَعْمَلُوا لها.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٥٥ الى ٧٠]

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ (٥٩)

قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ (٦٠) قالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هَذَا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ (٦١) وَقالُوا مَا لَنا لَا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ (٦٢) أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ (٦٣) إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤)

قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ وَما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)

قَوْلُهُ: هَذَا قَالَ الزَّجَّاجُ: هَذَا خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيِ: الْأَمْرُ هَذَا فَيُوقَفُ عَلَى هَذَا. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهَذَا وَقْفٌ حَسَنٌ ثُمَّ يَبْتَدِئُ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُبْتَدَأً وَخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، أَيْ:

هَذَا كَمَا ذُكِرَ، أَوْ هَذَا ذُكِرَ. ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ مَا لِأَهْلِ الشَّرِّ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا لِأَهْلِ الْخَيْرِ فَقَالَ: وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ أَيِ: الَّذِينَ طَغَوْا عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ لَشَرَّ مَآبٍ لَشَرَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَقَالَ: جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَانْتِصَابُ جَهَنَّمَ عَلَى أَنَّهَا بَدَلٌ مِنْ شَرَّ مَآبٍ، أَوْ منصوبة بأعني، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَطْفَ بَيَانٍ عَلَى قَوْلِ الْبَعْضِ كَمَا سَلَفَ قَرِيبًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الِاشْتِغَالِ، أَيْ: يَصْلَوْنَ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا، وَمَعْنَى يَصْلَوْنَهَا: يَدْخُلُونَهَا، وَهُوَ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِيَّةِ فَبِئْسَ الْمِهادُ أَيْ: بِئْسَ مَا مَهَّدُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ الْفِرَاشُ، مَأْخُوذٌ مِنْ مَهْدِ الصَّبِيِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَهْدِ: الْمَوْضِعَ، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ، أَيْ: بِئْسَ الْمِهَادُ هِيَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ «١» شَبَّهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا تَحْتَهُمْ مِنْ نَارِ جهنم بالمهاد هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ هذا: فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ:

حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، أَيْ: هَذَا حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ فَلْيَذُوقُوهُ. قَالَ الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ: تَقْدِيرُ الْآيَةِ: هَذَا حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ فَلْيَذُوقُوهُ، أَوْ يُقَالُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ هَذِهِ الْمَقَالَةُ. وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ الذي قد انتهى حرّه،

---

(١) . الأعراف: ٤١.." <فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٤/٥٠٥>

"وَقِيلَ: هِيَ لِلنَّفْيِ، لَكِنْ لَا لِنَفْيِ الْإِقْسَامِ، بَلْ لِنَفْيِ مَا يُنَبِّئُ عَنْهُ مِنْ إِعْظَامِ الْمُقْسَمِ بِهِ وَتَفْخِيمِهِ، كَأَنَّ مَعْنَى لَا أُقْسِمُ بِكَذَا: لَا أُعَظِّمُهُ بِإِقْسَامِي بِهِ حَقَّ إِعْظَامِهِ، فَإِنَّهُ حَقِيقٌ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَقِيلَ: إِنَّهَا لِنَفْيِ الْإِقْسَامِ لِوُضُوحِ الْأَمْرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ «١» وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ وَالزُّهْرِيُّ وَابْنُ هُرْمُزَ لَأُقْسِمُ بِدُونِ أَلِفٍ عَلَى أَنَّ اللَّامَ لَامُ الِابْتِدَاءِ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ أَرْجَحُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، وَقَدِ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ الرَّازِيُّ بِمَا لَا يُقْدَحُ فِي قُوَّتِهِ وَلَا يُفَتُّ فِي عَضُدِ رُجْحَانِهِ، وَإِقْسَامُهُ سُبْحَانَهُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِتَعْظِيمِهِ وَتَفْخِيمِهِ، وَلِلَّهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَقْسَمَ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ كَمَا أَقْسَمَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِي «لَا» هَذِهِ كَالْكَلَامِ فِي الْأُولَى،

وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: أَقْسَمَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَمْ يُقْسِمْ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. قَالَ الثَّعْلَبِيُّ: وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَقْسَمَ بِهِمَا جَمِيعًا، وَمَعْنَى النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ: النَّفْسُ الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى تَقْصِيرِهِ، أَوْ تَلُومُ جَمِيعَ النُّفُوسِ عَلَى تَقْصِيرِهَا. قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ وَاللَّهِ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ، لَا يُرَى الْمُؤْمِنَ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ مَا أَرَدْتُ بِكَذَا؟ مَا أَرَدْتُ بِكَذَا؟ وَالْفَاجِرُ لَا يُعَاتِبُ نَفْسَهُ. قَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ الَّتِي تَلُومُ عَلَى مَا فَاتَ وَتَنْدَمُ، فَتَلُومُ نَفْسَهَا عَلَى الشَّرِّ لِمَ تَعْمَلُهُ؟ وَعَلَى الْخَيْرِ لِمَ لَمْ تَسْتَكْثِرْ مِنْهُ؟ قَالَ الْفَرَّاءُ: لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَلُومُ نَفْسَهَا، إِنْ كَانَتْ عَمِلَتْ خَيْرًا قَالَتْ: هَلَّا ازْدَدْتُ! وَإِنْ كَانَتْ عَمِلَتْ سُوءًا قَالَتْ: لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلْ. وَعَلَى هَذَا فَالْكَلَامُ خَارِجٌ مَخْرَجَ الْمَدْحِ لِلنَّفْسِ، فَيَكُونُ الْإِقْسَامُ بِهَا حَسَنًا سَائِغًا. وَقِيلَ: اللَّوَّامَةُ هِيَ الْمَلُومَةُ الْمَذْمُومَةُ، فَهِيَ صِفَةُ ذَمٍّ، وَبِهَذَا احْتَجَّ مَنْ نَفَى أَنْ يَكُونَ قَسَمًا، إِذْ لَيْسَ لِنَفْسِ الْعَاصِي خطر يقسم له. قَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ نَفْسُ الْكَافِرِ يَلُومُ نَفْسَهُ وَيَتَحَسَّرُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى.

أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ الْمُرَادُ بِالْإِنْسَانِ الْجِنْسُ، وَقِيلَ: الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ، وَأَنْ هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا ضَمِيرُ شَأْنٍ مَحْذُوفٍ، وَالْمَعْنَى: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ الشَّأْنَ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ رُفَاتًا، فَنُعِيدُهَا خَلْقًا جَدِيدًا، وَذَلِكَ حُسْبَانٌ بَاطِلٌ، فَإِنَّا نَجْمَعُهَا، وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ هَذَا الْكَلَامُ هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ لَيَجْمَعَنَّ الْعِظَامَ لِلْبَعْثِ، فَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ. وَقَالَ النَّحَّاسُ: جَوَابُ الْقَسَمِ مَحْذُوفٌ، أَيْ: لَيُبْعَثُنَّ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْعَثُ جَمِيعَ أَجْزَاءِ الْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْعِظَامَ لِأَنَّهَا قَالَبُ الْخَلْقِ بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ بَلَى إِيجَابٌ لِمَا بَعْدَ النَّفْيِ الْمُنْسَحِبِ إِلَيْهِ الِاسْتِفْهَامُ، وَالْوَقْفُ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ **وَقْفٌ حَسَنٌ**، ثُمَّ يَبْتَدِئُ الْكَلَامَ بِقَوْلِهِ:

قادِرِينَ وَانْتِصَابُ قَادِرِينَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: بَلَى نَجْمَعُهَا قَادِرِينَ، فَالْحَالُ مِنْ ضَمِيرِ الْفِعْلِ الْمُقَدَّرِ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: بَلَى نَجْمَعُهَا نُقَدِّرُ قَادِرِينَ. قَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ نَقْدِرُ، وَنَقْوَى، قَادِرِينَ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ. وَقَالَ أَيْضًا: إِنَّهُ يَصْلُحُ نَصْبُهُ عَلَى التَّكْرِيرِ، أَيْ: بَلَى فَلْيَحْسَبْنَا قَادِرِينَ، وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ: بَلَى كُنَّا قَادِرِينَ. وَقَرَأَ ابْنُ أبي عبلة وابن السّميقع بَلى قادِرِينَ عَلَى تَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ، أَيْ: بَلَى نَحْنُ قَادِرُونَ، ومعنى عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ

---

(١) . الواقعة: ٧٥.." <فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٥/٤٠٣>

"لتوفرت الهمم على نقله، ولو نقل لاشتهر. فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من (الاستواء) ما يوجب نقصا أو قياسا للشاهد على الغائب، وللمخلوق على الخالق- فهذا نادر. فمن نطق بذلك زجر وعلّم، وما أظن أحدا من العامة يقرّ في نفسه ذلك- والله أعلم- انتهى.

وقال الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين، الشيخ عبد القادر الجيلانيّ قدس الله روحه في كتابه (تحفة المتقين وسبيل العارفين) في باب اختلاف المذاهب في صفات الله عزّ وجلّ، وفي ذكر اختلاف الناس في الوقف عند قوله وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ [آل عمران: ٧] : قال إسحاق: في العلم. إلى أن قال: والله تعالى بذاته على العرش، علمه محيط بكل مكان

والوقف عند أهل الحق على قوله إِلَّا اللَّهُ. وقد روي ذلك عن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا **الوقف حسن** لمن اعتقد أن الله بذاته على العرش، ويعلم ما في السموات والأرض. إلى أن قال: ووقف جماعة من منكري استواء الرب عزّ وجلّ على قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ وابتدءوا بقوله اسْتَوى لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ يريدون بذلك نفي الاستواء الذي وصف به نفسه، وهذا خطأ منهم، لأن الله تعالى استوى على العرش بذاته.

وقال في كتابه (الغنية) : أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهو أن تعرف وتتيقن أن الله واحد أحد. إلى أن قال: لا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال إنه في السماء على العرش، كما قال جل ثناؤه الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [طه: ٥] ، وقوله ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ [الفرقان: ٥٩] ، وقال تعالى: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ [فاطر: ١٠] ، والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم «١» حكم بإسلام الأمة لما

قال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء.

وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم «٢» : (في حديث أبي هريرة رضي الله

---

(١)

أخرجه مسلم في: المساجد ومواضع الصلاة، حديث ٣٣. عن معاوية بن الحكم السلمي. ونصه هذه القصة، قال: وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوّانية (موضع في شمال المدينة) فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها. وأنا رجل من بني آدم. آسف كما يأسفون. لكني صككتها صكة. فأتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فعظّم ذلك عليّ. قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال «ائتني بها» فأتيته بها. فقال لها «أين الله» ؟ قالت: في السماء. قال «من أنا» قالت: أنت رسول الله. قال «أعتقها فإنها مؤمنة»

. (٢) أخرجه البخاري في: التوحيد، ٥٥- باب قوله تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، حديث ١٥٠٩..." <تفسير القاسمي = محاسن التأويل؟ القاسمي ٧١/٥>

"هذا فى علم القراءات، وهو عند النحويين: النطق بالحركة بصوت خفى.

(٢٨) السكت: قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس، وهو مقيد بالسماع والنقل، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته.

(٢٩) الفتح: فتح الفم بلفظ الحرف، وهو فيما بعده «ألف» أظهر، ويقال له: التفخيم والنصب، وهو لغة أهل الحجاز.

(٣٠) الفتح الشديد: نهاية فتح الفم بلفظ الحرف، ويسمى: التفخيم المحض، وهو فى لفظ العجم لا سيما أهل خراسان، وهو معدوم فى لغة العرب، ولا يجوز فى القرآن.

(٣١) الفتح المتوسط: وهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، ويقال له: الترقيق.

(٣٢) القصر: ترك زيادة مط حرف المد وإيفاء المد الطبيعي على حاله.

(٣٣) القصر المحض: حذف المد العرضي وإيفاء ذات حرف المد على ما فيها من غير زيادة.

(٣٤) القطع: إنهاء القراءة والانتقال منها إلى حال أخرى، وهو ما يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية، لأن رؤوس الآي فى نفسها مقاطع.

(٣٥) القلب: تحويل الحرف إلى غيره.

(٣٦) المد: زيادة مط الحرف على المد الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه.

(٣٧) النصب (ظ: الفتح) .

(٣٨) النقل: نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وقفا.

(٣٩) الوقف: قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة، إما بما يلى الحرف الموقوف عليه، وإما بما قبله.

ويأتى فى رؤوس الآي، وأوساطها، ولا يأتى فى وسط كلمة ولا فيما اتصل رسما.

(٤٠) الوقف الاختياري: الذي يكون عند تمام الكلام.

(٤١) **الوقف التام**: الذي يكون عند تمام الكلام ولا تعلق له بما بعده البتة، أي لا من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى، فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده.

وأكثر ما يكون فى رؤوس الآي وانقضاء القصص.

(٤٢) **الوقف الحسن**: الذي يكون عند تمام الكلام وله تعلق بما بعده من جهة اللفظ، وسمى كذلك، لأنه فى نفسه حسن مفيد، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظي، إلا أن يكون رأس آية، فإنه يجوز فى اختيار أكثر أهل الأداء.." <الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٢٧/٥>

"وقرأ عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وأبو عبد الرحمن السلمي ﴿الله نَوَّر﴾ بفتح النور والواو المشددة واختلف المتأولون في عود الضمير في ﴿نُورِهِ﴾ على من يعود؟ فقال كعب الأحبار وابن جبير: هو عائد على محمد -صلى الله عليه وسلم- أي مثل نور محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال ابن الأنباري: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **وقف حسن** ثم تبتدئ ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ على معنى نور محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقال أبي بن كعب وابن جبير أيضاً والضحاك: هو عائد على المؤمنين، وفي قراءة أبي: مثل نور المؤمنين، وروي أن في قراءته: مثل نور المؤمن، وروي أن فيها: مثل نور من آمن به، وقال الحسن: هو عائد على القرآن والإيمان، قال مكي: وعلى هذه الأقوال يوقف على قوله: ﴿وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عطية: وهذه الأقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر، وفيها مقابلة جزء من المثال ..

ولا مانع أن يعود الضمير على ما لم يجر له ذكر إذا لم يحصل لبس، إذا كان معلوماً لدى المخاطب.

وفيها مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل، فعلى من قال: الممثل به محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو قول كعب الحِبر، فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ..

نعم، أهل اللغة يكسرون الحاء، قول أكثر اللغويين يقولون: حِبر، واحد الأحبار، والمحدثون يفتحونها فيقولونها: حَبر، واحد الأحبار حَبر.

هو المشكاة أو صدره، والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من عمله وهداه، والزجاجة قلبه، والشجرة المباركة هي الوحي، والملائكة رسل الله إليه، وسببه المتصل به، والزيت هو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي.." <التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير؟ عبد الكريم الخضير ١١/١٠>

"وكون الكلام يستقيم بدونها لا يعني أنها لا فائدة لها، وإنما فائدتها: تأكيد النفي.

﴿ذِكْرَى﴾ [(٢٠٩) سورة الشعراء] قال الكسائي: ﴿ذِكْرَى﴾ في موضع نصب على الحال، قال النحاس وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحاق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح؛ لأن معنى ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ إلا لها مذكرون، و ﴿ذِكْرَى﴾ لا يتبين فيه الإعراب؛ لأن فيها ألفاً مقصورة.

يتعذر ظهور حركة الإعراب، يعني يمتنع.

ويجوز ﴿ذكرى﴾ بالتنوين، ويجوز أن يكون ﴿ذِكْرَى﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ، قال أبو إسحاق: أي إنذارنا ذكرى، وقال الفراء: أي ذلك ذكرى وتلك ذكرى، وقال ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: ليس في (الشعراء) **وقف تام** إلا قوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ وهذا عندنا **وقف حسن**، ثم يبتدئ ﴿ذِكْرَى﴾ على معنى: هي ذكرى: أي يذكرهم ذكرى، والوقف على ﴿ذِكْرَى﴾ أجود، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [(٢١٠) سورة الشعراء] يعني القرآن، بل ينزل به الروح الأمين، ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [(٢١١ - ٢١٢) سورة الشعراء] أي برمي الشهب كما مضى في سورة (الحجر) بيانه، وقرأ الحسن ومحمد بن السميقع: (وما تنزلت به الشياطون)، قال المهدوي: وهو غير جائز في العربية ومخالف للخط، وقال النحاس: وهذا غلط عند جميع النحويين، وسمعت علي ين سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: هذا غلط عند العلماء، إنما يكون بدخول شبهة، لما رأى الحسن في آخره ياءً ونوناً وهو في موضع رفع اشتبه عليه بالجمع المسلم فغلط.

يعني كأنه عامله معاملة الجمع المذكر السالم، وجمع شيطان جمع تكسير، فيلازم الياء.." <التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير؟ عبد الكريم الخضير ٢٢/١٩>

"﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾: وعذاب آخر من مثله أصناف.

﴿فَوْجٌ﴾: جمع كثير.

﴿مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ أي: داخل معكم.

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾: دعاءٌ من المتبوعين على أتباعهم.

﴿صَالُوا النَّارِ﴾ أي: داخلون فيها.

﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾: فبئس المقر جهنم.

التفسير

٥٥، ٥٦ - ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾:

لما ذكر الله فيما تقدم نعيم المتقين في الجنة، عقبه بذكر ما للطاغين من سوء المصير، ولفظ ﴿هَذَا﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر هذا، أو مبتدأ خبره محذوف أي: هذا كما ذكر. قال ابن الأنبارى: "هذا" **وقف حسن**، ثم تبتدئ: وإن للطاغين، وهم الذين كذبوا الرسل، وقال الجبائي - من المعتزلة: المراد بهم أصحاب الكبائر، سواء أكانوا كفارًا أم لا، وأهل السنة على أن هذه الآيات في الكفار، وهو رأى ابن عباس.

ومعنى الآيتين: الأمر هذا الذي ذكر في جزاء المتقين، وإن للطغاة الذين كذبوا الرسل لَشَرَّ مرجع يئوبون إليه: جهنم يدخلونها ويقاسون لهيبها، فبئس الفراش جهنم.

٥٧، ٥٨ - ﴿هذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾:

الحميم: الماء الشديد الحرارة، قال - تعالى -: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١) والغساق: صديد أهل النار يسيل من أجسادهم، وقيل: الغساق: عذاب لا يعلمه إلاَّ الله، وقيل: هو البارد المنتن والمقصود من لفظ: "آخَرُ" عذاب الزمهرير كما فسره ابن مسعود.

ولكن ابن عباس يفسر الغساق بالزمهرير، وعليه يكون معنى: ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾: وعذاب آخر من شكل الغساق أو من شكل ما ذكر أصناف.

---

(١) سورة محمَّد: من آية ١٥.." <التفسير الوسيط - مجمع البحوث؟ مجموعة من المؤلفين ٨/٥١٥>

"(بلى)

مكتفية بنفسها وعليها **وقف تام** [كأنه] "بلى عليهم سبيل".

(يلون ألسنتهم)

يحرفونها بالتبديل والتغيير.

وأصله يحركونها. قال الفرزدق:

٢٤٧ - ولما بدا وادي القرى من أمامنا ... [وأشرق أقتار] البلاد القوائم

٢٤٨ - لوى كل مشتاق من القوم رأسه ... بمغرورفات كالشنان الهزائم." <باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ١/٣٠٣>

"(أفرأيت إن متعناهم سنين) يعني في الدنيا والمراد أهل مكة في قول الضحاك وغيره. (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب والهلاك (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)." ما" الأولى استفهام معناه التقرير، وهو

في موضع نصب ب" أغنى " و" ما" الثانية في موضع رفع، ويجوز أن تكون الثانية نفيا لا موضع لها. وقيل:" ما" الأولى حرف نفي، و" ما" الثانية في موضع رفع ب" أغنى " والهاء العائدة محذوفة. والتقدير: ما أغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه. وعن الزهري: أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ" أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ... ولا أنت في النوام ناج فسالم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات في النوم حالم

وتسعى إلى ما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قوله تعالى: (وما أهلكنا من قرية) " من" صلة، المعنى: وما أهلكنا قرية. (إلا لها منذرون) أي رسل. (ذكرى) قال الكسائي:" ذكرى " في موضع نصب على الحال. النحاس: وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحاق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح، لأن معنى" إلا لها منذرون" إلا لها مذكرون. و" ذكرى " لا يتبين فيه الإعراب، لأن فيها ألفا مقصورة. ويجوز" ذكرى" بالتنوين، ويجوز أن يكون" ذكرى " في موضع رفع على إضمار مبتدأ. قال أبو إسحاق: أي إنذارنا ذكرى. وقال الفراء: أي ذلك ذكرى، وتلك ذكرى. وقال ابن الأنباري قال بعض المفسرين: ليس في" الشعراء" **وقف تام** إلا قوله" إلا لها منذرون" وهذا عندنا وقف حسن، ثم يبتدئ" ذكرى" على معنى هي ذكرى أي يذكرهم ذكرى، والوقف على" ذكرى " أجود. (وما كنا ظالمين) في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم:."
<تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٤١>

"من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، ودخيلة في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتد ضم فخذيه فحبسه بقوته. الثالثة- قوله تعالى: (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة، فلما فعلوا ذلك أخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها. وفي هذا الكلام خوف على قومها، وحيطة واستعظام لأمر سليمان عليه السلام." وكذلك يفعلون" قيل: هو من قول

بلقيس تأكيدا للمعنى الذي أرادته. وقال ابن عباس: هو من قول الله عز وجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته بذلك ومخبرا به. وقال وهب: لما قرأت عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله، فقالت: ما هذا؟! فقال بعض القوم: ما نظن هذا إلا عفريتا عظيما من الجن يقتدر به هذا الملك على ما يريده، فسكتوه. وقال الآخر: أراهم ثلاثة من العفاريت، فسكتوه، فقال شاب قد علم: يا سيدة الملوك! إن سليمان ملك قد أعطاه ملك السماء ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة إلا بدأ فيها بتسمية إلهه، والله اسم مليك السماء، والرحمن الرحيم نعوته، فعندها قالت:" أفتوني في أمري" فقالوا:" نحن أولوا قوة" في القتال" وأولوا بأس شديد" في الحرب واللقاء" والأمر إليك" ردوا أمر هم إليها لما جربوا على رأيها من البركة" فانظري ماذا تأمرين" ف" قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة" أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور، فصدق الله قولها." وكذلك يفعلون" قال ابن الأنباري:" وجعلوا أعزة أهلها أذلة" هذا **وقف تام**، فقال الله عز وجل تحقيقا لقولها:" وكذلك يفعلون" وشبيه به في سورة" الأعراف"" قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم" تم الكلام، فقال فرعون:"فماذا تأمرون". وقال ابن شجرة. هو قول بلقيس، فالوقف" وكذلك يفعلون" أي وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٩٥>

"قوله تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار) هذا متصل بذكر الشركاء اعبدوهم واختاروهم للشفاعة، أي الاختيار إلى الله تعالى في الشفعاء لا إلى المشركين. وقيل هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال:" لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" يعني نفسه زعم، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف. وقيل: هو جواب اليهود إذ قالوا لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به. قال ابن عباس: والمعنى، وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منهم من يشاء لطاعته. وقال يحي بن سلام: والمعنى، وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوته. وحكى النقاش: أن المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، ويختار الأنصار لدينه. قلت: وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا عن جابر" إن الله تعالى اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحابي أربعة- يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعليا- فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون". وذكر سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن أبيه في قوله عز وجل:" وربك يخلق ما يشاء ويختار" قال من النعم الضأن، ومن الطير الحمام. **والوقف التام**" ويختار". وقال علي بن سليمان: هذا وقف التمام ولا يجوز أن تكون" ما" في موضع نصب ب" يختار" لأنها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شي. قال وفي هذا رد على القدرية. قال النحاس: التمام" ويختار" أي ويختار الرسل. (ما كان لهم الخيرة) أي ليس يرسل من اختاروه

هم. قال أبو إسحاق:" ويختار" هذا **الوقف التام** المختار، ويجوز أن تكون" ما" في موضع نصب ب" يختار" ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة. قال القشيري: الصحيح الأول لإطباقهم [على] الوقف على قوله" ويختار". قال المهدوي: وهو أشبه بمذهب أهل السنة و" ما" من قوله:" ما كان لهم الخيرة" نفي عام لجميع الأشياء أن يكون للعبد فيها شي سوى اكتسابه بقدرة الله عز وجل. الزمخشري:" ما كان لهم الخيرة" بيان لقوله:" ويختار" لأن معناه يختار ما يشاء، ولهذا لم يدخل العاطف، والمعنى، وإن الخيرة الله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوده الحكمة فيها أي ليس لأحد." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٣٠٥>

"(ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمودا وأهل مدين. (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) قوم نوح وقوم فرعون. (وما كان الله ليظلمهم) لأنه أنذرهم وأمهلهم وبعث إليهم الرسل وأزاح العذر.

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٣]

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣)

قوله تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت) قال الأخفش:" كمثل العنكبوت" **وقف تام**، ثم قصتها فقال: (اتخذت بيتا) قال ابن الأنباري: وهذا غلط، لأن" اتخذت بيتا" صلة للعنكبوت، كأنه قال: كمثل التي اتخذت بيتا، فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصول، وهو بمنزلة قوله:" كمثل الحمار يحمل أسفارا" فيحمل صلة للحمار ولا يحسن الوقف على الحمار دون يحمل. قال الفراء: هو مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا. ولا يحسن الوقف على العنكبوت، لأنه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقيها من شي، فشبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر به. (وإن أوهن البيوت) أي أضعف البيوت (لبيت العنكبوت). قال الضحاك: ضرب مثلا لضعف آلهتهم ووهنها فشبهها ببيت العنكبوت. (لو كانوا يعلمون) " لو" متعلقه ببيت العنكبوت. أي لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئا، وأن هذا مثلهم لما عبدوها، لا أنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف. وقال النحاة: إن تاء العنكبوت في آخرها مزيدة، لأنها تسقط في التصغير والجمع

وهي مؤنثة. وحكى الفراء تذكيرها وأنشد:

على هطالهم منهم بيوت ... كأن العنكبوت قد ابتناها." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٣٤٥>

"ألا بكرت مي بغير سفاهة ... تعاتب والمودود ينفعه العزر

وقال ابن عباس وعكرمة: تقاتلون معه بالسيف. وقال بعض أهل اللغة: تطيعوه." وتوقروه" أي تسودوه، قاله السدي. وقيل تعظموه. والتوقير: التعظيم والترزين أيضا. والهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم. وهنا **وقف تام**، ثم تبتدئ" وتسبحوه" أي تسبحوا الله" بكرة وأصيلا" أي عشيا. وقيل: الضمائر كلها لله تعالى، فعلى هذا يكون تأويل" تعزروه وتوقروه" أي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك. واختار هذا القول القشيري. والأول قول الضحاك، وعليه يكون بعض الكلام راجعا إلى الله سبحانه وتعالى وهو" وتسبحوه" من غير خلاف. وبعضه راجعا إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو" وتعزروه وتوقروه" أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية. وفي" تسبحوه" وجهان: أحدهما- تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح. والثاني- هو فعل الصلاة التي فيها التسبيح." بكرة وأصيلا" أي غدوة وعشيا. وقد مضى القول «١» فيه. وقال الشاعر:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله ... وأجلس في أفيائه بالاصائل «٢»

[سورة الفتح (٤٨): آية ١٠]

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (١٠)

قوله تعالى:" إن الذين يبايعونك" بالحديبية يا محمد." إنما يبايعون الله" بين أن بيعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم إنما هي بيعة الله، كما قال تعالى:" من يطع الرسول فقد أطاع الله" «٣» [النساء: ٨٠]. وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان، على ما يأتي بيانها في هذه السورة إن شاء الله تعالى." يد الله فوق أيديهم" قيل: يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء، ويده في المنة عليهم بالهداية فوق أيديهم في الطاعة. وقال الكلبي: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا

---

(١). راجع ج ١٤ ص (١٩٨)

(٢). البيت لابي ذؤيب.

(٣). آية ٨٠ سورة النساء.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٧/١٦>

"الشيء (مخففا) أفسره (بالكسر) فسرا. والتأويل بيان المعنى، كقوله لا شك فيه عند المؤمنين. أو لأنه حق في نفسه فلا يقبل ذاته الشك وإنما الشك وصف الشاك. وكقول ابن عباس في الجد أبا، لأنه تأول قول الله عز وجل:" يا بني آدم". الثامنة- قوله تعالى: (والراسخون في العلم) اختلف العلماء في" والراسخون في العلم" هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع. فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله، وأن الكلام تم عند قوله" إلا الله" هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد [وغيرهم] «١». قال أبو نهيك الأسدي: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة. وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم" آمنا به كل من عند ربنا". وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز، وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس. و" يقولون" على هذا خبر" الراسخون". قال الخطابي: وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذي أمرنا بالإيمان به والتصديق بما فيه قسمين: محكما ومتشابها، فقال عز من قائل:" هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات" ... إلى قوله:" كل من عند ربنا" فاعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله أحد غيره، ثم أثنى الله عز وجل على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به. ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه. ومذهب أكثر العلماء أن **الوقف التام** في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى:" وما يعلم تأويله إلا الله" وأن ما بعده استئناف كلام آخر، وهو قوله" والراسخون في العلم يقولون آمنا به". وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعائشة. وإنما روي عن مجاهد أنه نسق" الراسخون" على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه. واحتج له بعض أهل اللغة فقال: معناه والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا، وزعم أن موضع" يقولون" نصب على الحال. وعامة أهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه، لأن العرب لا تضمر الفعل والمفعول معا، ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل، فإذا لم يظهر فعل فلا يكون حال، ولو جاز ذلك لجاز

---

(١). الزيادة من نسخة: ج.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦/٤>

"وهو خبر إن." ورافعك" عطف عليه، وكذا" مطهرك" وكذا" وجاعل الذين اتبعوك". ويجوز" وجاعل «١» الذين" وهو الأصل. وقيل: إن **الوقف التام** عند قوله:" ومطهرك من الذين كفروا". قال النحاس: وهو

قول حسن." وجاعل الذين اتبعوك" يا محمد" فوق الذين كفروا" أي بالحجة وإقامة البرهان. وقيل بالعز والغلبة. وقال الضحاك ومحمد ابن أبان: المراد الحواريون. والله تعالى أعلم.

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٦ الى ٥٨]

فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (٥٦) وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين (٥٧) ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (٥٨)

قوله تعالى: (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة) يعني بالقتل والصلب والسبي والجزية، وفي الآخرة بالنار. (ذلك نتلوه عليك) " ذلك" في موضع رفع بالابتداء وخبره" نتلوه". ويجوز: الأمر ذلك، على إضمار المبتدإ.

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٩ الى ٦٠]

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩) الحق من ربك فلا تكن من الممترين (٦٠)

قوله تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) دليل على صحة القياس. والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب. والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد، فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب، ولأن أصل خلقتهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب،

---

(١). كذا في بعض الأصول وكتاب إعراب القرآن للنحاس. وفى ز: وجعل.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/١٠٢>

"لأنه متصل بقولها:" أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين" [يوسف: ٥١] وهذا مذهب الذين ينفون الهم عن يوسف عليه السلام، فمن بنى على قولهم قال: من قوله:" قالت امرأة العزيز" [يوسف: ٥١] إلى قوله:" إن ربي غفور رحيم" كلام متصل بعضه ببعض، ولا يكون فيه **وقف تام** على حقيقة، ولسنا نختار هذا القول ولا نذهب إليه. وقال الحسن: لما قال يوسف" ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب" كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال:" وما أبرئ نفسي" لأن «١» تزكية النفس مذمومة، قال الله تعالى:" فلا تزكوا أنفسكم"

«٢» [النجم: ٣٢] وقد بيناه في" النساء" «٣». وقيل: هو من قول العزيز، أي وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف. (إن النفس لأمارة بالسوء) أي مشتهية له. (إلا ما رحم ربي) في موضع نصب بالاستثناء، و" ما" بمعنى من، أي إلا من رحم ربي فعصمه، و" ما" بمعنى من كثير، قال الله تعالى:" فانكحوا ما طاب لكم من النساء" «٤» [النساء: ٣] وهو استثناء منقطع، لأنه استثناء المرحوم بالعصمة من النفس الأمارة بالسوء، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ما تقولون في صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية" قالوا: يا رسول الله! هذا شر صاحب في الأرض. قال:" فوالذي نفسي بيده إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم".

[سورة يوسف (١٢): آية ٥٤]

وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين (٥٤)

قوله تعالى: (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) لما ثبت للملك براءته مما نسب إليه، وتحقق في القصة أمانته، وفهم أيضا صبره وجلده عظمت منزلته عنده، وتيقن حسن خلاله قال:" ائتوني به أستخلصه لنفسي" فانظر إلى قول الملك أولا- حين تحقق علمه-" ائتوني به" فقط، فلما فعل يوسف ما فعل ثانيا «٥» قال:" ائتوني به أستخلصه لنفسي" وروي عن وهب بن منبه قال: لما دعي يوسف وقف بالباب فقال: حسبي ربي من خلقه،

---

(١). من ع. [.....]

(٢). راجع ج ١٧ ص ١١٠.

(٣). راجع ج ٥ ص ٢٤٦ فما بعد وص ١٢.

(٤). راجع ج ٥ ص ٢٤٦ فما بعد وص ١٢.

(٥). في ع وووى: قال ثانيا.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٢١٠>

"ومن عدا من أشار إليه من أهل الأداء لا يفرقون بين هذه السور وغيرهن ويجرون كل واحد من الأربعة فيهن على عادته في غيرهن.

ومهما تصلها أو بدأت براءة ... لتنزيلها بالسّيف لست مبسملا

تصلها الضمير فيه لبراءة أضمر قبل الذكر على شريطة التفسير يعني أن سورة براءة لا بسملة في أولها سواء وصلها القارئ بالأنفال أو ابتدأ بها ثم ذكر الحكمة في ترك البسملة في أولها فقال لتنزيلها بالسيف يعني أن

براءة نزلت على سخط ووعيد وتهديد وفيها آية السيف قال ابن عباس سألت عليا رضي الله عنه لم لم تكتب في براءة بسم الله الرّحمن الرّحيم فقال لأن بسم الله أمان وبراءة ليس فيها أمان نزلت بالسيف وقوله لست مبسملا أي لا تبسمل لأحد من القراء لمنافاة الرحمة للعذاب.

ولا بدّ منها في ابتدائك سورة ... سواها وفي الأجزاء خيّر من تلا

قوله: ولا بد منها أي لا فرار من البسملة أخبر أن القارئ إذا ابتدأ بالسورة فلا بد من البسملة لسائر القراءة إلا براءة سواء في ذلك من بسمل منهم بين السورتين ومن لم يبسمل.

قوله: وفي الأجزاء أي وفي الأجزاء خير أهل الأداء القارئ في البسملة إن شاء أتى بها وإن شاء تركها لكل القراء وليس المراد به الأجزاء المصطلح عليها بل كل آية ابتدأ بها في غير أول سورة فيدخل في ذلك الأجزاء والأحزاب والأعشار والرواية في خير فتح الخاء والياء، وتلا قرأ.

ومهما تصلها مع أواخر سورة ... فلا تقفنّ الدّهر فيها فتثقلا

اختار الأئمة لمن يفصل بالبسملة أن يقف القارئ على أواخر السور ثم يبتدي لمن يسمي بالبسملة موصولة بأول السورة المستأنفة هذا هو المختار وعكسه لا يجوز وهو ما نهى عنه الناظم بقوله: فلا تقفن وهو أن يصل القارئ البسملة بأواخر السور ثم يقف على البسملة لأن البسملة لأوائل السور لا للأواخر فهذان وجهان: الأول: مختار، والثاني: منهي عنه، والثالث: أن تصل طرفي البسملة بآخر السورة السابقة وأول السورة اللاحقة، والرابع:

أن تقطع طرفي البسملة لأن كل واحد منهما **وقف تام**، وتلفظ بالبسملة وحدها فحصل من ذلك أن في البسملة ثلاثة أوجه. فآن قلت من أين تأخذ هذه الأوجه. قلت لما نهى عن الوقف على آخر البسملة إذا وصلت بالسورة الماضية علم أن ما عدا هذا الوجه من تقاسيم البسملة جائز والضمير في تصلها وفي فيها للبسملة وفيها بمعنى عليها." <سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ص/٣٠>

"في تفخيم اللام وإن كان يقرأ له بالتقليل فلا يتأتى له الجمع بينه وبين التفخيم لتنافرهما وإذا لم يتأت له ذلك أتى بأحدهما وترك الآخر فإن فتح فخم وإن قلل رقق وإن وقعت في أواخر آي السور المذكورة فلا تقع إلا في ثلاثة مواضع: في القيامة فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى [القيامة: ٣١] وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى [الأعلى: ١٥] وعَبْداً إِذا صَلَّى [العلق: ١٠]، ففيها التفخيم والترقيق وقوله: منها أي من هذه الألفاظ التي فيها اللام المستحقة للتفخيم، وقوله: كهذه يعني النوعين المتقدمين أحدهما ما أتى بين حرف الاستعلاء التي فيه ألف والآخر ما يسكن للوقف.

وكلّ لدى اسم الله من بعد كسرة ... يرقّقها حتى يروق مرتّلا

كما فخّموه بعد فتح وضمّة ... فتمّ نظام الشّمل وصلا وفيصلا

أخبر أن كل القراء متفقون على ترقيق اللام من اسم الله تعالى إذا وقع بعد كسرة نحو.

بسم الله وبالله وما يفتح الله ثم قال حتى يروق مرتلا أي يروق اللفظ في حال ترتيله ثم قال كما فخموه بعد فتح وضمة، أي وأجمعوا أيضا على تفخيم لام اسم الله تعالى بعد الفتحة والضمة نحو سيؤتينا الله، وقال الله، وقالوا اللهم، ورسل الله وشبهه وكذلك إذا ابتدئ به وقوله فتم نظام الشمل أي تم ما ذكرته من الأحكام بنظم يشمل اللام وصلا وفيصلا أي في حال الوصل والفصل. والله الموفق.

باب الوقف على أواخر الكلم

لم يرد بالوقف **الوقف التام** دون غيره بل مطلق الوقف إذا وقف على الكلمة ما حكمها أي باب حكم الوقف على أواخر الكلم المختلف فيها. والاصطلاح أن يقال باب الروم والإشمام أو الإشارة، وحد الوقف قطع الصوت آخر الكلمة الوضعية زمانا:

والإسكان أصل الوقف وهو اشتقاقه ... من الوقف عن تحريك حرف تعزّلا

أخبر أن الإسكان أصل الوقف وإنما كان أصل الوقف السكون لأن الوقف ضد الابتداء والابتداء قد ثبتت له الحركة فوجب أن يثبت لضده ضدها وهو السكون، وقوله: وهو اشتقاقه من الوقف يعني أن الوقف مأخوذ من وقفت عن كذا إذا لم تأت به فلما كان ذلك وقوفا عن الحركة وتركا لها سمي وقفا وفيه: لغات السكون وهو الفصيح المختار وهو الأصل وفيه الروم والإشمام كما سيأتي بيانه وقوله تعزلا أي أن الحرف صار بمعزل عن الحركة والأعزل الذي لا سلاح معه. ومنه السماك الأعزل: وهو كوكب يضيء من جملة منازل القمر الثماني وعشرين:

وعند أبي عمرو وكوفيّهم به ... من الرّوم والإشمام سمت تجمّلا

روي عن أبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي الروم والإشمام مع إجازتهم الوقف بالإسكان والباقون لم يأت عنهم في الروم والإشمام نص، والمعنى وعند أبي عمرو والكوفيين به أي بالوقف من الروم والإشمام سمت، أي طريق تجملا، أي تحسن:." <سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ص/١٢٤>

"ص:

فاللفظ إن تم ولا تعلقا ... تام وكاف إن بمعنى علقا

ش: (فاللفظ) مبتدأ، والجملة الشرطية مع جوابها خبره، و (لا تعلقا) معطوف على (تم)، و (تام) (١)

جواب الشرط، و (كاف) دليل الجواب الذى يستحقه (إن بمعنى علقا) (٢)، والباء متعلقة ب (علق)، وعلى القول الثانى [فهو جواب مقدم] (٣)، يعنى الوقف ينقسم إلى: تام، وكاف، وحسن، وقبيح.

فالتام: هو الذى لا تعلق [لما بعده] (٤) بما قبله [من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ويسمى المطلق.

والكافى: هو الذى لما بعده بما قبله] (٥) تعلق من جهة المعنى فقط، وسمى كافيا للاكتفاء به واستغنائه عما بعده، واستغناء ما بعده عنه، وهو كالتام (٦) فى جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده.

والوقف التام أكثر ما يكون فى رءوس الآى وانقضاء القصص؛ نحو الوقف على بسم الله الرحمن الرحيم [الفاتحة: ١]، وعلى مالك يوم الدين [الفاتحة: ٤]، وعلى نستعين [الفاتحة: ٥]، وعلى هم المفلحون [البقرة: ٥]، وعلى إن الله على كل شيء قدير [البقرة: ٢٠] وعلى وهو بكل شيء عليم [البقرة: ٢٩]، وعلى وأنهم إليه راجعون [البقرة: ٤٦].

والابتداء بما بعد ذلك كله، وقد يكون قبل انقضاء الفاصلة؛ نحو: وجعلوا أعزة أهلها أذلة [النمل: ٣٤] لأن هذا انقضاء حكاية كلام بلقيس: ثم قال الله تعالى: وكذلك يفعلون [النمل: ٣٤]، وهو رأس الآية.

وقد يكون وسط الآية نحو لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني [الفرقان: ٢٩] هو تمام حكاية قول الظالم، والباقى (٧) من كلام الله تعالى.

وقد يكون بعد الآية بكلمة؛ نحو: لم نجعل لهم من دونها سترا [الكهف: ٩٠] آخر الآية، وتمام الكلام كذلك [الكهف: ٩١]، أى: أمر [ذى القرنين] (٨) كذلك، أى كذا وضعه الله تعظيما لأمره، أو كذلك (٩) كان خبرهم.

ونحو: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]، أى: مصبحين

---

(١) فى م: تام وتم.

(٢) فى ز، د، ص: إن علق بمعنى.

(٣) فى ز: فهذا جواب.

(٤) سقط فى ص.

(٥) سقط فى م.

(٦) فى م: كتأمرنى.

(٧) في ص: هو من.

(٨) في م، ص: ذى القرية.

(٩) في ص: أي كذلك.." <شرح طيبة النشر للنويري، النويري، محب الدين ٢٦٢/١>
"ومليلين، ونحو عليها يتكؤن وزخرفا [الزخرف: ٣٤، ٣٥].

وقد يكون الوقف تاما على تفسير أو إعراب غير تام على غيره؛ نحو: وما يعلم تأويله إلا الله [آل عمران: ٧]، تام على أن ما بعده مستأنف، وقاله ابن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم، [وأبو حنيفة وأكثر المحدثين، ونافع والكسائى ويعقوب والفراء والأخفش وأبو حاتم وغيرهم] (١) من أئمة العربية- وغير تام عند آخرين، والتام عندهم والراسخون في العلم [آل عمران: ٧] واختاره ابن الحاجب وغيره، وكذلك الم [البقرة: ١] ونحوه من حروف الهجاء، الوقف عليها تام على أنها (٢) المبتدأ أو الخبر (٣) والآخر محذوف، أى: «هذا آلم»، أو: «الم هذا»، أو على إضمار فعل، أى: «قل الم» على استئناف ما بعدها، وغير تام على أن ما بعدها هو الخبر.

وقد يكون الوقف تاما على قراءة دون أخرى، نحو: مثابة للناس وأمنا [البقرة: ١٢٥] فإنه [تام عند من كسر الخاء من واتخذوا [البقرة: ١٢٥] وكاف عند من فتحها، ونحو:

إلى صراط العزيز الحميد [سبأ: ٦] فإنه تام على قراءة من رفع الاسم الجليل بعدها، وحسن] (٤) عند من كسر (٥).

وقد يتفاضل المقام (٦) فى التمام (٧) نحو: مالك يوم الدين [الفاتحة: ٤]، إياك نعبد وإياك نستعين [الفاتحة: ٥] كلاهما تام، إلا أن الأول أتم [من الثانى] (٨)؛ لاشتراك الثانى مع ما بعده فى معنى الخطاب بخلاف الأول.

والوقف الكافى يكثر فى الفواصل وغيرها، نحو الوقف على ومما رزقناهم ينفقون [البقرة: ٣]، وعلى من قبلك [البقرة: ٤] وعلى هدى من ربهم [البقرة: ٥]، وعلى يخادعون الله والذين آمنوا [البقرة: ٩] وعلى أنفسهم (٩) [البقرة: ٩] وعلى مصلحون [البقرة: ١١].

وقد يتفاضل [فى الكفاية كتفاضل] (١٠) [التام] (١١) فى نحو في قلوبهم مرض [البقرة: ١٠] كاف فزادهم الله مرضا [البقرة: ١٠]، أكفى منه.

وأكثر ما يكون التفاضل فى رءوس الآى؛ نحو: هم السفهاء [البقرة: ١٣] كاف ولكن لا يعلمون [البقرة: ١٣] أكفى، ونحو العجل بكفرهم [البقرة: ٩٣] كاف

---

(١) سقط فى م.

(٢) فى م: أن.

(٣) فى م: والخير.

(٤) زيادة من د.

(٥) فى ز: من كسره.

(٦) فى ص، م: التام.

(٧) فى ص: التام.

(٨) سقط فى م.

(٩) فى ص: إلا أنفسهم.

(١٠) سقط فى ز.

(١١) زيادة من ز.." <شرح طيبة النشر للنويري، النويري، محب الدين ٢٦٣/١>

"ومؤمنين البقرة: [٩٣] أكفى منه.

وقد يكون الوقف كافيا على تفسير أو إعراب غير كاف على غيره؛ نحو: يعلمون الناس [البقرة: ١٠٢] كاف على أن ما نافية، حسن على أنها موصولة، ونحو وبالآخرة هم يوقنون [البقرة: ٤] [كاف على أن أولئك [البقرة: ٥] مبتدأ، حسن على أنها] (١) خبر الذين يؤمنون بالغيب [٣].

وقد يكون كافيا على قراء غير كاف على غيرها، نحو: يحاسبكم به الله [البقرة: ٢٨٤]، كاف على رفع فيغفر [٢٨٤] حسن على جزمه.

ثم كمل فقال:

ص:

قف وابتدئ وإن بلفظ فحسن ... فقف ولا تبدأ سوى الآى يسن

ش: (قف) طلبية، و (ابتدئ) معطوفة عليها، والمفعول محذوف، أى: قف على التام والكافى وابتدئ بما بعدهما، و (إن) شرط، وفعله (٢) تعلق (٣) ب (لفظ)، وجوابه (فحسن)، وفاء (فقف) سببية، وهى طلبية، و (لا تبدا (٤)) معطوفة عليها، أى: قف عليه ولا تبدأ بما بعده، و (سوى الآى) مستثنى من الابتداء، و (يسن) (٥) خبر [لمبتدإ محذوف] (٦)، أى: هو يسن.

أى: قف على الوقف التام والكافى وابتدئ بما بعدهما.

والوقف الحسن: هو الذى يتعلق ما بعده بما قبله فى اللفظ؛ فيجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظى، إلا أن يكون رأس آية فإنه يجوز فى اختيار أكثر أهل الأداء؛ لمجيئه (٧) عن النبى صلى الله عليه وسلم، ففي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان [إذا قرأ قرأ آية آية] (٨) يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم [الفاتحة: ١] ثم [يقف] (٩)، ثم يقول: الحمد لله رب العالمين [الفاتحة: ٢] ثم يقف، ثم يقول: الرحمن الرحيم [الفاتحة: ٣] ثم يقف».

رواه أبو داود ساكتا عليه والترمذى وأحمد (١٠)، وأبو عبيد وغيرهم، وسنده صحيح، لذلك عد بعضهم (١١) الوقف على رءوس الآى [فى ذلك سنة (١٢)، وتبعه المصنف، وقال أبو عمرو: وهو أحب [إلى] (١٣)، واختاره البيهقى (١٤) وغيره وقالوا: الأفضل الوقف على رءوس

---

(١) سقط فى م.

(٢) فى م: وفعلية.

(٣) فى د: معلق، وفى ص: يتعلق.

(٤) فى م: والابتداء.

(٥) فى ز: وليس.

(٦) فى د، ز، ص: لمحذوف.

(٧) فى ز: المجيبة.

(٨) فى ص: إذا قرأ آية.

(٩) سقط فى م.

(١٠) تقدم.

(١١) فى ز: بعض.

(١٢) فى ص: الوقف التام الوقف عليه سنة.

(١٣) سقط فى ز، م.

(١٤) فى د، ص: أيضا.." <شرح طيبة النشر للنويري، النويري، محب الدين ١/٢٦٤>

"ينبغي (١)، وضعف قوله غنيّ عن البيان بما تقدم عن العلماء الأعلام، ويبعده قول أهل هذا الفنّ: الوقف على رءوس الآي سنة متبعة، والخير كله في الاتباع، والشر كله في الابتداع، ومما يبين ضعفه ما صح عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه نهى الخطيب لما قال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما» ووقف. فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم: «بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى» ففي الخبر دليل واضح على كراهة القطع، فلا يجمع بين من أطاع ومن عصى، فكان ينبغي للخطيب أن يقف على قوله: فقد رشد.

ثم يستأنف: ومن يعصهما فقد غوى. وإذا كان مثل هذا مكروها مستقبحا في الكلام الجاري بين الناس فهو في كلام الله أشدّ كراهة وقبحا وتجنبه أولى وأحق، وفي الحديث «أن جبريل أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال اقرإ القرآن على حرف.

فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف» (٢) كل شاف ما لم تختم آية

نَسْتَعِينُ لكن الأول أتمّ لكونه آخر صفة المتقين، وما بعده صفة الكافرين. والثاني وإن استغنى عما بعده، لكن له به تعلق ما، لأن قوله اهْدِنَا سؤال من المخاطب، وقوله:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ موجه للمخاطب، فمن حيث أن الكلام كله صادر من المتكلم إلى المخاطب كان في أوّله تعلق بما في آخره، ومن حيث أن قوله وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ آخر الثناء على الله تعالى كان مستغنيا عما بعده، فالتام يتفاوت، فالأعلى تامّ، وما دونه تامّ لكنه يسمى حسنا أيضا، ومنه الوقف على قوله تعالى في الصافات: مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ هو **وقف تام**، لكن على أَفَلا تَعْقِلُونَ أتمّ، لأنه آخر القصة، ولذلك

---

(١) هذا القول غير سليم تماما، لأن تقسيمات الوقوف لا تنافي إعجاز القرآن بل إن الوقوف السليمة تزيد المعنى وضوحا وبهاء وجلاء، وليس المقصود بالوقف القبيح- مثلا- أن القرآن العظيم به قبيح، بل إن المقصود أن ذلك المعنى الذي ينشأ عن وقف ما سوف يحيل المعنى وهذا هو وجه قباحته، والله أعلم.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (٦/ ٢٢٢) من رواية ابن عباس أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال أقرأني جبريل عليه السلام على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف. وهو."
<منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/١٨>

"الكافي، أو لا يتصل ما بعده بما قبله معنى ويتصل لفظا، وهو الحسن، والخامس متردّد بين هذه الأقسام، فتارة يتصل بالأول، وتارة بالثاني على حسب اختلافهما قراءة وإعرابا وتفسيرا، لأنه قد يكون **الوقف** **تاما** على تفسير وإعراب وقراءة، **غير تام** على غير ذلك وأمثلة ذلك تأتي مفصلة في محلها.

مطلب مراتب الوقف:

وأشرت إلى مراتبه بتامّ أو أتمّ، وكاف وأكفى، وحسن، وأحسن، وصالح وأصلح، وقبيح، وأقبح، فالكافي والحسن يتقاربان، والتام فوقهما، والصالح دونهما في الرتبة فأعلاها الأتمّ ثم الأكفى، ثم الأحسن، ثم الأصلح، ويعبر عنه بالجائز. وأما وقف البيان، وهو أن يبين معنى لا يفهم بدونه كالوقف على قوله تعالى: وَتُوَقِّرُوهُ (١) فرق بين الضميرين، فالضمير في وتوقروه للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وفي تسبحوه لله تعالى، والوقف أظهر هذا المعنى المراد، والتام على قوله:

وَأَصِيلًا* وكالوقف على قوله: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ (٢) ثم يبتدئ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ (٣) بين الوقف على عليكم أن الظرف بعده متعلق

مدّة ولم تسقط لئلا يلتبس الخبر بالاستفهام لانفتاح كل منهما، وإن لم تصحبها لام التعريف كسرت على الأصل في التقاء الساكنين، وذلك في تسعة أسماء: اسم وامرؤ وامرأة، واثنان واثنتان، وابن وابنم، وابنة واست. الباب الثاني: في الياءات وهي ضربان: ياءات تثبت خطّا، وياءات تحذف استغناء بالكسرة قبلها، فالثابتة لا تحذف لفظا ولا وصلا ولا وقفا وهي تقع حشو الآية لا آخرها نحو:

---

(١) الفتح: ٩.

(٢) يوسف: ٩٢.

(٣) يوسف: ٩٢.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٢٨>

"وليس رأس آية، وإنما رأسها مصبحين، وأَ فَلا تَعْقِلُونَ (١) أتمّ، لأنه آخر القصة، ومثله يَتَّكِؤُنَ وَزُخْرُفاً (٢) رأس الآية يتكئون، وزخرفا هو التمام، لأنه معطوف على سقفا، ومن مقتضيات **الوقف التام** الابتداء بالاستفهام ملفوظا به أو مقدّرا، ومنها أن يكون آخر قصة وابتداء أخرى وآخر كل سورة، والابتداء

بياء النداء غالبا، أو الابتداء بفعل الأمر، أو الابتداء بلام القسم، أو الابتداء بالشرط، لأن الابتداء به ابتداء كلام مؤتنف أو الفصل بين آية عذاب بآية رحمة أو العدول عن الإخبار إلى الحكاية أو الفصل بين الصفتين المتضادتين، أو تناهي الاستثناء أو تناهي القوم أو الابتداء بالنفي أو النهي، وقد يكون **الوقف تامّا** على تفسير وإعراب وقراءة، **غير تامّ** على آخر نحو وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ (٣) تامّ إن كان والراسخون مبتدأ خبره يقولون على أن الراسخين لم يعلموا تأويل المتشابه، **غير تام** إن كان معطوفا على

الأنعام: قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي، وفي الأعراف: الْمُهْتَدِي، وفي هود: فَكِيدُونِي، وفي يوسف: وَمَنِ اتَّبَعَنِي، وما نَبْغِي، وفي الحجر: أَبَشَّرْتُمُونِي وفي الكهف: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي، وفي مريم: فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ، وفي طه: فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي، وفي القصص:

أَنْ يَهْدِيَنِي وفي يس: وَأَنِ اعْبُدُونِي. وفي المنافقين: لَوْلا أَخَّرْتَنِي، ومن ذلك: فَلا تَسْئَلْنِي في الكهف عند الجمهور. وروى عن ابن عامر حذف الياء فيه. وأما قوله: بِهادِي الْعُمْيِ، وهما موضعان في النمل والروم. قال ابن الأنباري: فالياء محذوفة منه في الروم دون النمل،

---

(١) الصافات: ١٣٨.

(٢) الزخرف: ٣٤، ٣٥.

(٣) آل عمران: ٧.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٣٠<

"علفتها تبنا وماء باردا ... حتى غدت همّالة عيناها

فعلى هذا لا يوقف على سمعهم لتعلق آخر الكلام بأوّله، وقال آخر:

إذا ما الغانيات برزن يوما ... وزجّجن الحواجب والعيونا

والعيون لا تزجج وإنما تكحل، أراد وكحلن العيون، فجواز إضمار الفعل الثاني وإعماله مع الإضمار في الأبيات المذكورة لدلالة الفعل الأوّل عليه غِشاوَةٌ حسن: سواء قرأ غشاوة بالرفع أو بالنصب (١) عَظِيمٌ تام: لأنه آخر قصة الكفار، ورسموا أنذرتهم بألف واحدة كما ترى، وكذا جميع ما وقع من كل استفهام فيه ألفان أو ثلاثة اكتفاء بألف واحدة كراهة اجتماع صورتين متفقتين نحو أأمنتم، أأنت قلت للناس، وقالوا أآلهتنا خير، ورسموا وعلى أبصارهم بحذف الألف التي بعد الصاد، وحذفوا الألف التي بعد الشين في غشاوة، ولا وقف من

قوله: ومن الناس إلى قوله بمؤمنين، فلا يوقف على آمنا بالله، ولا على وباليوم الآخر، لأن الله أراد أن يعلمنا أحوال المنافقين أنهم يظهرون خلاف ما يبطنون، والآية دلت على نفي الإيمان عنهم، فلو وقفنا على: وباليوم الآخر، لكنا مخبرين عنهم بالإيمان، وهو خلاف ما تقتضيه الآية، وإنما أراد تعالى أن يعلمنا نفاقهم، وأن إظهارهم للإيمان لا حقيقة له بِمُؤْمِنِينَ تام: إن جعل ما بعده استئنافا بيانيا كأن قائلا يقول: ما بالهم قالوا آمنا ويظهرون الإيمان وما هم بمؤمنين، فقيل يُخادِعُونَ اللَّهَ وليس بوقف إن

الثلاثة كاف، وقال أبو عمرو: لا يوقف عليه انتهى. وعلى الآخرين جائز غِشاوَةٌ صالح. وقال أبو عمرو كاف، فإن أراد أنه صالح فلا خلاف، وقس عليه نظائره مما يأتي عَظِيمٌ تام وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ صالح. وقال أبو عمرو كاف. هذا إن جعل يخادعون حالا: أي ومن الناس من يقول آمنا بالله مخادعين، فإن كان مستأنفا **فالوقف تامّ** وَالَّذِينَ

---

(١) قراءة النصب شاذة.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٨٢>

"وليس بوقف إن علق بقوله قبل: ولأتمّ: أي فاذكروني كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ فإن جزاء هذه النعمة هو ذكرى والشكر لي، وعلى هذا لا يوقف على تعلمون لتعلق الكاف بما بعدها من قوله فاذكروني، ولا يوقف على تهتدون إن علقت الكاف بما قبلها من ولأتمّ، والمعنى على هذا أن الله أمرهم بالخشية ليتمّ نعمته عليهم في أمر القبلة كما أنعم عليهم بإرسال الرسول، وعلى هذا التأويل يوقف على تعلمون أَذْكُرْكُمْ كاف على أن الكاف من قوله كما متعلقة بما قبلها وَلا تَكْفُرُونِ تام للابتداء بالنداء وَالصَّلاةِ جائز عند بعضهم، وبعضهم لم يقف عليه، وجعل قوله: إِنَّ اللَّهَ جواب الأمر، ومثله يقال في وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وفي النهي ولا تعتدوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ كاف، ومثله: أموات، وكذا: لا تشعرون، والثمرات الصَّابِرِينَ تامّ: إن رفع الذين مبتدأ، وخبره أولئك، أو رفع خبر مبتدإ محذوف تقديره هم الذين، وكاف إن نصب بأعني مقدرا، وليس بوقف إن جعل نعتا للصابرين أو بدلا منهم، لأنه لا يفصل بين النعت والمنعوت، ولا بين البدل والمبدل منه بالوقف مُصِيبَةٌ ليس بوقف، لأن قالوا جواب إذا راجِعُونَ تام: ما لم يجعل أولئك خبرا لقوله: الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ فلا يفصل بين المبتدإ والخبر بالوقف وَرَحْمَةٌ جائز الْمُهْتَدُونَ تامّ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ كاف، ومن وقف على جُناحَ وابتدأ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما ليدلّ على أن السعي بين الصفا والمروة واجب فعليه إغراء: أي

عليه الطواف، وإغراء الغائب ضعيف، والفصيح إغراء

. . . .

بوقف إن جعل ذلك نعتا للصابرين. وأولئك مبتدأ خبره ما بعده بل الوقف على راجعون وهو **وقف تامّ** وَرَحْمَةٌ صالح الْمُهْتَدُونَ تامّ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ كاف أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما حسن وقال أبو عمرو كاف شاكِرٌ عَلِيمٌ تامّ وكذا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ولا بأس بالوقف على: أجمعين خالِدِينَ فِيها كاف. وقال أبو عمرو صالح وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ تامّ إِلهٌ واحِدٌ جائز الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ تام: وكذا:." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/١١٩>

"من السفسطة وتناسخ الأرواح الذي لا تقول به أهل السنة وَما قَتَلُوهُ تامّ إن جعل يقينا متعلقا بما بعده كما تقدّم، أي: بل رفعه الله إليه يقينا، وإلا فليس بوقف بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ كاف، ومثله: حكيما قَبْلَ مَوْتِهِ جائز: لأن قوله: وَيَوْمَ الْقِيامَةِ ظرف كونه شهيدا، لا ظرف إيمانهم، فالواو للاستئناف، والضمير في به وفي موته لعيسى. وقيل إنه في به لعيسى، وفي موته للكتابي. قالوا: وليس بموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ويعلم أنه نبيّ، ولكن ذلك عند المعاينة والغرغرة، فهو إيمان لا ينفعه شَهِيداً كاف: ولا وقف من قوله: فَبِظُلْمٍ إلى قوله بالباطل فلا يوقف على أُحِلَّتْ لَهُمْ لاتساق ما بعده على ما قبله، ولا على: كَثِيراً، ولا على: نهوا عنه بِالْباطِلِ حسن أَلِيماً تامّ. وقال بعضهم: ليس بعد قوله: فَبِما نَقْضِهِمْ **وقف تام** إلى أليما على تفصيل في لكن إذا كان بعدها جملة صلح الابتداء بها كما هنا، وإذا تلاها مفرد فلا يصلح الابتداء بها مِنْ قَبْلِكَ حسن إن نصب ما بعده على المدح أي أمدح المقيمين، وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها، وهو قول سيبويه والمحققين، وليس بوقف إن عطف على بما أنزل إليك، أي: يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين، أو عطف على ما من قوله: وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ فإنها في موضع جرّ أو عطف على الضمير في منهم وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ حسن: على استئناف ما بعده بالابتداء والخبر فيما بعده، أو جعل خبر مبتدإ محذوف، أي: هم

. . . .

الظَّنِّ حسن. وقال أبو عمرو: كاف وَما قَتَلُوهُ تامّ: إن جعل يقينا متعلقا بما بعده: أي يقينا لم يقتلوه، بل رفعه الله إليه، وإلا فليس بوقف يَقِيناً كاف، إن جعل متعلقا بما قبله، وإلا فليس بوقف بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ صالح حَكِيماً حسن شَهِيداً صالح. وقال أبو عمرو: في الثلاثة كاف بِالْباطِلِ كاف أَلِيماً تامّ.

وقال أبو عمرو: كاف وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ حسن إن جعل ما بعده منصوبا على." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٢٣٤>

"نبيّ فكذبوه، كذلك هؤلاء جاءهم محمد صلّى الله عليه وسلّم فكذبوه، فأنزل الله بهم عقوبة كما أنزل بآل فرعون وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جائز، ثم يبتدئ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ كاف، ومثله: العقاب عَلِيمٌ جائز، وفيه ما تقدم من أن الكاف في محل نصب أو في محل رفع وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كأمّة شعيب وصالح وهود ونوح آلِ فِرْعَوْنَ حسن، على استئناف ما بعده ظالِمِينَ تامّ لا يُؤْمِنُونَ تامّ، إن جعل الذين بعده مبتدأ والخبر فيما بعده، وكذا إن جعل خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم الذين، أو في موضع نصب بتقدير أعني الذين، وليس بوقف إن جعل بدلا من الذين قبله، وهو الأحسن، ومن حيث كونه رأس آية يجوز لا يَتَّقُونَ كاف، ومثله: يذكرون، وكذا: على سواء الْخائِنِينَ تامّ سَبَقُوا حسن لمن قرأ إِنَّهُمْ بكسر الهمزة مستأنفا، وهذا تمام الكلام، أي: لا تحسب من أفلت من الكفار يوم بدر فأتونا، بل لا بدّ من أخذهم في الدنيا، وليس بوقف لمن قرأ بفتحها بتقدير: لأنهم لا يعجزون فهي متعلقة بالجملة التي قبلها لا يُعْجِزُونَ كاف ومثله، ومن رباط الخيل وَعَدُوَّكُمْ حسن، وتام عند الأخفش، ويجعل قوله: وَآخَرِينَ منصوبا بإضمار فعل غير معطوف على ما قبله، لأن النصب بالفعل أولى، وليس بوقف إن جعل؛ وآخرين معطوفا على وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أي: وتؤتوا آخرين، أو معطوفا على وَعَدُوَّكُمْ أي: وترهبون آخرين، والتفسير يدل على هذين التقديرين

. . . .

العقاب ما بِأَنْفُسِهِمْ صالح، وكذا: عليم، وكذا: آل فرعون ظالِمِينَ تامّ، وكذا:

لا يؤمنون، إن جعل الذين بعده مبتدأ، وإن جعل بدلا من الذين قبله، وهو الأحسن لم يكن **الوقف تاما**، بل كاف (لا يثبتون) كاف، وكذا: يذكرون، وعلى سواء الْخائِنِينَ تامّ سَبَقُوا حسن، لمن قرأ إنهم بكسر الهمزة، وليس بوقف لمن قرأه بفتحها لا يُعْجِزُونَ صالح وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ كاف لا تَعْلَمُونَهُمُ صالح." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٣٢٧>

"يبتدئ إن العزة، وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقول المشركين، إذ لو قالوا ذلك لم يكونوا كفارا ولما حزن النبي صلّى الله عليه وسلّم بل هو مستأنف ليس من مقولهم، بل هو جواب سؤال مقدّر كأن قائلا قال لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن؟ أجيب بقوله: إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ليس لهم منها شيء، ولو وصل لتوهم عود الضمير إلى الأولياء، وقول الأولياء لا يحزن الرسول بل هو مستأنف تسلية عن قول المشركين وليس بوقف لمن قرأ أن العزة بفتح الهمزة، وبها قرأ أبو حيوة على حذف لام العلة، أي: لا يحزنك قولهم لأجل أن العزة لله، وبالغ ابن قتيبة. وقال فتح إن كفر وغلوّ على أن إن تصير معمولة لقولهم، إذ لو قالوا ذلك لم يكونوا كفارا كما تقدم جَمِيعاً حسن الْعَلِيمُ تامّ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حسن، ومثله: شركاء للنفي بعده، أي: ما يعبدون من دون الله شركاء إِلَّا الظَّنَّ كاف يَخْرُصُونَ تامّ مُبْصِراً كاف يَسْمَعُونَ تامّ سُبْحانَهُ حسن هُوَ الْغَنِيُّ أحسن منه، أي: عن الأهل والولد وَما فِي الْأَرْضِ كاف، للابتداء بالنفي، أي: ما عندكم حجة بهذا القول مِنْ سُلْطانٍ بِهذا حسن ما لا تَعْلَمُونَ كاف، ومثله: لا يفلحون و: متاع في الدنيا يَكْفُرُونَ تامّ نَبَأَ نُوحٍ جائز: ولا يوصل بما بعده لأنه لو وصل لصار إذ ظرفا لأتل بل هو ظرف لمقدر، أي: اذكر إذ قال، ولا يجب نصب إذ باتل لفساده إذ اتل مستقبل وإذ ظرف لما مضى تَوَكَّلْتُ حسن وَشُرَكاءَكُمْ أحسن منه: لمن نصب شركاءكم عطفا على أمركم، وبه قرأ العامة، ومن قرأ شركاؤكم بالرفع مبتدأ محذوف الخبر، أي: وشركاؤكم

. . . .

مبتدأ فإن جعل وصفا لأولياء الله لم يكن ذلك وقفا، وعليه **فالوقف التامّ** عند يَتَّقُونَ وَفِي الْآخِرَةِ تامّ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ صالح الْعَظِيمُ تامّ، وكذا: ولا يحزنك قولهم، و: العليم وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حسن شُرَكاءَ كاف يَخْرُصُونَ تام مُبْصِراً كاف يَسْمَعُونَ تامّ سُبْحانَهُ حسن، والأحسن الوقف على: هو الغنى وَما فِي الْأَرْضِ كاف مِنْ سُلْطانٍ بِهذا حسن ما لا تَعْلَمُونَ تامّ لا يُفْلِحُونَ كاف يَكْفُرُونَ تامّ نَبَأَ نُوحٍ حسن." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٣٦٣>

"آية وَعِلْماً جائز الْخَبائِثَ كاف، ومثله: فاسقين فِي رَحْمَتِنا حسن مِنَ الصَّالِحِينَ تامّ، لأنه آخر القصة، وإن قدّر مع إذ فعل محذوف، أي: واذكر نوحا لتكون كل قصة على حيالها كان زيادة في التمام، وإن عطف على لوطا كان جائزا من حيث كونه رأس آية الْعَظِيمِ كاف بِآياتِنا حسن إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ جائز أَجْمَعِينَ تامّ، إن نصب ما بعده بمقدّر، وجائز إن عطف على لوطا فِي الْحَرْثِ ليس بوقف، لأن قوله: إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ ظرف

للحكم غَنَمُ الْقَوْمِ جائز شاهِدِينَ حسن فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ كاف حُكْماً وَعِلْماً جائز، ومثله: الجبال على استئناف ما بعده كأن قائلا قال: كيف سخرهنّ؟ فقال: يسبحن، وليس بوقف إن عطف على الجبال يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ حسن، على القراءتين، النصب عطفا على الجبال، والرفع عطفا على الضمير في: يسبحن فاعِلِينَ كاف لَبُوسٍ لَكُمْ ليس بوقف، لأن ما بعده اللام علة في إيجاب الفعل الذي قبلها، أي: ليكون لبسها وقاية لكم في حربكم وسببا لنجاتكم من عدوّكم مِنْ بَأْسِكُمْ حسن شاكِرُونَ كاف، إن نصب الريح بفعل مضمر، أي: وسخرنا الريح لسليمان، وعلى قراءة عبد الرحمن بن هرمز بالرفع، **فالوقف تامّ** على: شاكرون بارَكْنا فِيها حسن عالِمِينَ كاف دُونَ ذلِكَ حسن حافِظِينَ تام، لأنه آخر القصة، وأيوب منصوب بفعل مضمر، أي: واذكر أيوب الرَّاحِمِينَ كاف، ومثله: ما به

. . . .

الْخَبائِثَ كاف، وكذا: فاسقين فِي رَحْمَتِنا صالح مِنَ الصَّالِحِينَ تامّ الْعَظِيمِ كاف بِآياتِنا صالح أَجْمَعِينَ تامّ فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ حسن حُكْماً وَعِلْماً صالح يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ كاف، وكذا:

فاعلين شاكِرُونَ حسن بارَكْنا فِيها كاف، وكذا: عالمين دُونَ ذلِكَ صالح حافِظِينَ تامّ الرَّاحِمِينَ كاف وكذا: ما به من ضرّ." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٥٠٦>

"على اللام وهو قوله: السبيل نَذِيراً تامّ، إن جعل ما بعده (١) خبر مبتدإ محذوف تقديره: هو الذي، وكذا إن نصب بتقدير أعني، وجائز إن جعل بدلا أو عطف بيان فِي الْمُلْكِ كاف، على استئناف ما بعده، وإن عطف على ما قبله كان الوقف على تقديرا تاما آلِهَةً ليس بوقف وَهُمْ يُخْلَقُونَ كاف، على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن عطف على آلهة داخلا في نعتها (٢) وَلا نَفْعاً جائز نُشُوراً تامّ قَوْمٌ آخَرُونَ حسن وَزُوراً أحسن منه، وهو رأس آية أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ ليس بوقف لاتصال الكلام بقوله: اكتتبها وَأَصِيلًا كاف، ومثله: والأرض رَحِيماً تامّ مالِ هذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْواقِ حسن.

واتفق علماء الرسم على قطع مال عن هذا، وكذا: مال هؤلاء القوم في النساء، ومال هذا الكتاب في الكهف، وفمال الذين كفروا في المعارج كتبوا هذه الأربعة منفصلة عما بعدها كلمتين، ووجه انفصال هذه الأربعة ما حكاه الكسائي من أن مال أجري مجرى ما بال وما شأن، وأن قوله: مال زيد وما بال

من الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ وإنما صلح وإن كان فيه فصل بين البدل والمبدل منه، لأنه رأس آية وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ كاف، إن جعل ما بعده مستأنفا، وإن جعل معطوفا على ما قبله فالوقف على: تقديرا، وهو كاف وَهُمْ يُخْلَقُونَ كاف وَلا نُشُوراً تامّ، وإن وقف على قوله وَلا نَفْعاً كان جائزا قَوْمٌ آخَرُونَ صالح، وكذا: وزورا وَأَصِيلًا تامّ وَالْأَرْضِ كاف رَحِيماً حسن وَيَمْشِي فِي

---

(١) أي يقصد قوله تعالى: الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فإما أن يكون خبرا لمبتدإ محذوف، ومفعول وتقدير فعله أعني وعلى هذين الوجهين يكون الوقف تاما، أما إن جعل بدلا أو عطف بيان فهو جائز.

(٢) لا يصح الوقف إن جعل قوله تعالى: وَهُمْ يُخْلَقُونَ معطوفا على قوله تعالى: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً أي: جعل معطوفا على آلهة لأن المعنى حينئذ لا يكمل لو وقفنا فلزم الوصل حتى يتم المعنى.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٥٤٥>

"فيها إلى برب العالمين، فلا يوقف على: يختصمون، لأن فيه الفصل بين القول والمقول، لأن قوله: تَاللَّهِ مقولهم، ولا يوقف على: ضلال مبين، لأن قوله: إِذْ نُسَوِّيكُمْ ظرف لما قبله كأنهم قالوا: ما كنا إلا في ضلال مبين، إذ عبدناكم فسوّيناكم برب العالمين الْمُجْرِمُونَ جائز، ومثله: حميم، والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من أصله، لأن الشيء قد ينفي لنفي أصله أو نفى صفته، فهو من باب

على لاحب لا يهتدى بمناره

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حسن، ومثله: لَآيَةً مُؤْمِنِينَ كاف الرَّحِيمُ تامّ الْمُرْسَلِينَ كاف، إن علق إذ باذكر مقدّرا، وجائز إن جعل العامل في إذ ما قبله تَتَّقُونَ كاف، ومثله: وأطيعون مِنْ أَجْرٍ جائز رَبِّ الْعالَمِينَ كاف وَأَطِيعُونِ حسن الْأَرْذَلُونَ كاف، وقد أغرب من فسر الأرذلون بالحاكة والحجامين إذ لو كانوا كذلك لكان إيمانهم بنوح مشرّفا لهم، ومعليا لأقدارهم، وإنما هو حكاية عن كفار قومه في تنقيص متبعيه، وكذا فعلت قريش في الرسول صلّى الله عليه وسلّم في شأن عمار وصهيب والضعفاء بِما كانُوا يَعْمَلُونَ جائز ومثله: تشعرون، وكذا: وما أنا بطارد المؤمنين، وكذا: نذير مبين، والمرجومين، وكذبون، والوصل في الأخير أولى للفاء فَتْحاً جائز. ومنهم من قال: ولا وقف من قوله: إِنْ حِسابُهُمْ إلى مِنَ الْمَرْجُومِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كاف. وقيل: تامّ، لأنه آخر كلام نوح وآخر كلام قومه، وليس في قصة نوح وقف تامّ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ حسن، على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن عطف على ما قبله الْباقِينَ كاف لَآيَةً حسن مُؤْمِنِينَ كاف الرَّحِيمُ تامّ الْمُرْسَلِينَ كاف، إن علق إذ باذكر

. . . .

رأس آية، ولا يوقف عليه مِنْ دُونِ اللَّهِ حسن أَوْ يَنْتَصِرُونَ صالح أَجْمَعُونَ كاف بِرَبِّ الْعالَمِينَ صالح، وكذا: حميم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حسن أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ كاف الرَّحِيمُ تامّ الْمُرْسَلِينَ صالح، وكذا: تتقون، وأمين وَأَطِيعُونِ كاف مِنْ أَجْرٍ صالح الْعالَمِينَ كاف وَأَطِيعُونِ حسن." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٥٦١>

"بالنصب، ونصبها إما خبر يكن وأن يعلمه اسمها، وكأنه قال أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل آية لهم.

اتفق علماء الرسم على كتابة علمواء بواو وألف كما ترى بَنِي إِسْرائِيلَ كاف عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ليس بوقف لشيئين للعطف بالفاء، ولأن جواب لو لم يأت بعد، وهو: ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ومُؤْمِنِينَ كاف الْمُجْرِمِينَ جائز، ومثله: الأليم، وقيل: لا يجوز، لأن الفعل الذي بعد الفاء منصوب بالعطف على ما عملت فيه حتى، والضمير في سلكناه للشرك أو للكفر أو للتكذيب، والضمير في لا يؤمنون به يعود على النبي صلّى الله عليه وسلّم، أي:

كي لا يؤمنوا بمحمد صلّى الله عليه وسلّم، قاله النكزاوي، وكذا لا يوقف على بغتة، لأن الذي بعدها جملة في موضع الحال لا يَشْعُرُونَ جائز مُنْظَرُونَ كاف، وكذا: يستعجلون ولا وقف من قوله: أفرأيت إلى يمتعون، فلا يوقف على سنين للعطف، ولا على يوعدون، لأن قوله: ما أغنى عنهم جملة قامت مقام جواب الشرط في قوله: أفرأيت إن متعناهم يُمَتَّعُونَ كاف إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ تامّ، وأتم منه ذكرى، وقد أغرب من قال ليس في سورة الشعراء **وقف تامّ** إلا قوله: لها منذرون. ثم يبتدئ ذكرى، أي: هي ذكرى أو إنذارنا ذكرى، وإن جعلت ذكرى في موضع نصب بتقدير ينذرهم، العذاب ذكرى، أو هذا القرآن ذكرى، أو تكون ذكرى مفعولا للذكر، أي: ذكرناهم ذكرى كان الوقف على ذكرى كافيا، لأن الذكرى متعلقة بالإنذار إذا كانت منصوبة لفظا ومعنى، وإن كانت مرفوعة تعلقت به معنى فقط ظالِمِينَ كاف، ومثله: يستطيعون لَمَعْزُولُونَ تامّ إِلهاً آخَرَ ليس بوقف، لأن ما بعد

. . . .

عَظِيمٍ حسن مُؤْمِنِينَ كاف الرَّحِيمُ تامّ رَبِّ الْعالَمِينَ صالح عَرَبِيٍّ مُبِينٍ حسن الْأَوَّلِينَ تامّ بَنِي إِسْرائِيلَ حسن بِهِ مُؤْمِنِينَ كاف، وكذا: المجرمين الْأَلِيمَ جائز وكذا: لا يشعرون مُنْظَرُونَ كاف." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٥٦٥>

"إن جعل هم توكيدا للضمير في فاكهون وأزواجهم معطوفا على الضمير في فاكهون مُتَّكِؤُنَ حسن، ومثله: فاكهة ما يَدَّعُونَ تامّ: إن جعل ما بعده مستأنفا خبر مبتدإ محذوف، أي: وذلك سلام، وليس بوقف إن جعل بدلا من «ما» في قوله: ما يدعون، أي: ولهم ما يدّعون، ولهم فيها سلام كذلك، وإذا كان بدلا كان خصوصا، والظاهر أنه عموم في كل ما يدّعونه، وإذا كان عموما لم يكن بدلا منه، وإن نصب قولا على المصدر بفعل مقدر جاز الوقف على سلام، أي: قالوا قولا أو يسمعون قولا من ربّ، وليس بوقف إن جعل قولا منصوبا بما قبله بتقدير: ولهم ما يدّعون قولا من ربّ عدة من الله. وحاصله أن في رفع سلام ستة أوجه. أحدها: أنه خبر «ما» في قوله:

ولهم ما يدّعون، أي: سلام خالص، أو بدل من ما أو صفة لها أو خبر مبتدإ محذوف، أي: هو سلام أو مبتدأ خبره الناصب لقولا، أي: سلام يقال لهم قولا أو مبتدأ خبره من ربّ، وقولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة معترض بين المبتدإ والخبر، وقرئ سلاما قولا بنصبهما وبرفعهما مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ تامّ، للخروج من قصة إلى قصة الْمُجْرِمُونَ كاف

الشَّيْطانَ

جائز، للابتداء بأن مُبِينٌ ليس بوقف، لأن قوله: وأن اعبدوني معطوف على أن لا تعبدوا، وإن جعلت أن مفسرة فيهما، فسرت العهد بنهي وأمر أو مصدرية، أي: ألم أعهد إليكم في عدم عبادة الشيطان وفي عبادتي مُسْتَقِيمٌ كاف كَثِيراً جائز تَعْقِلُونَ كاف وتُوعَدُونَ، وتَكْفُرُونَ، ويَكْسِبُونَ، ويُبْصِرُونَ كلها وقوف كافية عَلى مَكانَتِهِمْ جائز وَلا يَرْجِعُونَ تامّ فِي الْخَلْقِ حسن يَعْقِلُونَ تامّ، للابتداء بالنفي،

. . . .

يَدَّعُونَ تامّ، وقيل: كاف، وقال أبو حاتم: **الوقف التامّ** عند سلام بجعله بدلا من ما، وكل من القولين حسن مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ تامّ، وكذا: المجرمون وَأَنِ اعْبُدُونِي حسن، وكذا: مستقيم كَثِيراً صالح تَعْقِلُونَ حسن تُوعَدُونَ

كاف، وكذا: تكفرون، ويكسبون، ويبصرون وَلا يَرْجِعُونَ حسن فِي الْخَلْقِ." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٦٤٢>

"لله سلمى حبّها واصب ... وأنت لا بكر ولا خاطب

ومثله في عدم الوقف الوقف على الخطفة، لأن ما بعد الفاء جواب لما قبله ثاقِبٌ تامّ، لأنه تمام القصة أَمْ مَنْ خَلَقْنا كاف.

ورسموا أَمْ مَنْ مقطوعة، أم وحدها ومن وحدها كما ترى لازِبٍ كاف، وتامّ عند أبي حاتم ومثله: ويسخرون، وكذا: يذكرون يَسْتَسْخِرُونَ جائز، ومثله: مبين لَمَبْعُوثُونَ ليس بوقف، لعطف ما بعده على ما قبله. والمعنى أو تبعث آباؤنا أيضا استبعادا الْأَوَّلُونَ كاف، ومثله: داخرون، ولا يوقف على: نعم إن جعل ما بعده جملة حالية، أي:

تبعثون وأنتم صاغرون، وإن جعل مستأنفا حسن الوقف عليها يَنْظُرُونَ كاف، واختلف في: يا ويلنا هل هو من كلام الكفار خاطب بعضهم بعضا، وعليه وقف أبو حاتم وجعل ما بعده من كلام الله أو الملائكة، وبعضهم جعل هذا يَوْمُ الدِّينِ من كلام الكفار فوقف عليه، وقوله: هذا يَوْمُ الْفَصْلِ من كلام الله. وقيل: الجميع من كلام الكفار تُكَذِّبُونَ حسن وَأَزْواجَهُمْ ليس بوقف، لأن قوله: وَما كانُوا يَعْبُدُونَ موضعه نصب بالعطف على: وأزواجهم أي: أصنامهم، ولا يوقف على: يعبدون، لتعلق ما بعده به، ولا على: من دون الله، لأن المراد بالأمر ما بعد الفاء، وذلك أنه تعالى أمر الملائكة أن يلقوا الكفار وأصنامهم في النار الْجَحِيمِ كاف، على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن جعل ما بعده متعلقا بما قبله وكان الوقف

. . . .

صالح، وكذا: مبين الْأَوَّلُونَ كاف وكذا: داخرون، ولا يوقف على: قل نعم، وإن زعمه بعضهم، لأن المعنى تبعثون وأنتم صاغرون يَنْظُرُونَ كاف وَقالُوا يا وَيْلَنا تامّ، إن جعل هذا يَوْمُ الدِّينِ من كلام الملائكة للكفار، وإن جعل من كلام الكفار **فالوقف التامّ** على: يوم الدين، وهذا يوم الفصل إلى آخره من كلام الملائكة." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٦٤٦>

"كالأولى، وإن جعلت معطوفة على الأولى لم يحسن الوقف على شيء قبلها وَنَجْواهُمْ بَلى كاف، عند أبي حاتم، وقيل: الوقف على نجواهم يَكْتُبُونَ تامّ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ تام، إن جعلت إن بمعنى ما وهو قول

ابن عباس، أي: ما كان للرحمن ولد، وإن جعلت شرطية كان الوقف على العابدين، والمعنى إن كنتم تزعمون أن للرحمن ولدا فأنا أول من بعد الله وأعترف أنه إله العابدين تامّ: على الوجهين سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ليس بوقف، لأن ما بعده نعت لما قبله عَمَّا يَصِفُونَ كاف، ومثله: يوعدون،

وكذا: وفي الأرض إله الْعَلِيمُ تامّ وَما بَيْنَهُما كاف عِلْمُ السَّاعَةِ حسن وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ كاف الشَّفاعَةَ ليس بوقف، ومثله: في عدم الوقف بالحق، لأن العلم شرط في الشهادة يَعْلَمُونَ تامّ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ كاف يُؤْفَكُونَ تامّ، إن نصب وَقِيلِهِ على المصدر، أي: قال قيله أو نصب على محل الساعة كأنه قيل: أن يعلم الساعة ويعلم قيله أو عطف على سرهم ونجواهم، أي: لا نعلم سرهم ولا قبله، وعلى هذا

. . . .

كاف، قاله أبو حاتم، والأحسن الوقف على نجواهم يَكْتُبُونَ تامّ قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ قال بعضهم: تامّ، بجعل إن بمعنى ما. وقال بعضهم: هذا وجه، والأكثر على أن المعنى: إن كنتم تزعمون أن للرحمن ولدا، فأنا أول من عبد الله تعالى واعترف أنه إله، **فالوقف التامّ** إنما هو على قوله: فأنا أوّل العابدين عَمَّا يَصِفُونَ كاف يُوعَدُونَ حسن وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ كاف الْعَلِيمُ حسن وَما بَيْنَهُما كاف عِلْمُ السَّاعَةِ صالح وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ حسن يَعْلَمُونَ تامّ، وكذا:

يؤفكون، إن نصب، وقيله على المصدرية أو رفع مبتدأ، فإن نصب مفعولا على تقدير أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، ونسمع قيل: أو على تقدير وعنده علم الساعة، ويعلم قيله، أو جرّ على تقدير وعنده علم الساعة وعلم قيله، فليس ذلك وقفا تامّا بل جائز لطول الكلام، وكلّ ذلك آت في نجواهم وما بعده بتقدير نصب قيله بنسمع، وفي الساعة وما بعدها بالتقديرين الأخيرين، فالوقف على هذه المذكورات عند انتفاء التقييد."

<منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٧٠٣>

"قيل إلا قوله: إنا كاشفوا العذاب قليلا الآية، فمدني. كلمها ثلاثمائة وست وأربعون كلمة، وحروفها ألف وأربعمائة وأحد وأربعون حرفا، وآيها ست أو سبع أو تسع وخمسون آية.

حم وَالْكِتابِ الْمُبِينِ حسن، إن جعل جواب القسم حم مقدّما، وليس بوقف إن جعل جوابه، إنا أنزلناه، وإن جعل والكتاب المبين قسما كان الوقف على، في ليلة مباركة تامّا، وإن جعل في ليلة مباركة صفة للكتاب، والقسم حم كان الجواب والوقف إنا كنا منذرين، ومنع بعضهم أن تكون حم قسما، لأن الهاء راجعة إلى

الكتاب، وكأنه أقسم على نفس المقسم عليه، وفسر الشيء بنفسه، والأكثر على أن القسم واقع عليه كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ كاف، إن نصب أمرا بفعل مقدّر، أو نصب على المصدر بتأويل العامل فيه إلى معناه، أي: أمرنا أمرا بسبب الإنزال، أو نصب على الاختصاص، وليس المراد الاختصاص الاصطلاحي فإنه لا يكون نكرة أعني بهذا أمرا خاصا، وليس بوقف إن نصب بيفرق، أو نصب على معنى يفرق، أي: فرقا الذي هو مصدر يفرق، لأنه إذا حكم بشيء وكتبه فقد أمر به، أو نصب على الحال من كل المضافة والمسوّغ عام، لأن كل من صيغ العموم أو حالا من أمر فهو خاص لوصفه بحكيم، وفيه مجيء الحال من المضاف إليه في غير المواضع المذكورة. او نصب حالا من الضمير في حكيم، أو نصب على أنه مفعول منذرين، والمفعول الأوّل محذوف، أي: منذرين الناس أمرا، أو نصب من ضمير الفاعل في أنزلناه، أو من ضمير المفعول وهو الهاء في أنزلناه، أي: آمرين به أمرا أو

. . . .

وقد علم حكم حم وَالْكِتابِ الْمُبِينِ مما مرّ في الصورة السابقة إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ تام، إن جعل جوابا للقسم، وإن جعل صفة للكتاب، **فالوقف التامّ** على منذرين فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ كاف، وكذا: رحمة من ربك السَّمِيعُ الْعَلِيمُ تامّ، لمن قرأ ربّ السموات بالرفع على غير البدلية من السميع، وليس بوقف." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٧٠٥>

"**الوقف التام** أَخْبارَكُمْ للابتداء بإن الْهُدى ليس بوقف، لأن خبر إنّ لم يأت وهو لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وشَيْئاً حسن أَعْمالَهُمْ تامّ، للابتداء بياء النداء وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ جائز أَعْمالَكُمْ حسن، ومثله: فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ جائز، لأن وَأَنْتُمُ يصلح مبتدأ وحالا، وجعله حالا أولى الْأَعْلَوْنَ جائز مَعَكُمْ حسن وقال أبو حاتم، تامّ أَعْمالَكُمْ تامّ وَلَهْوٌ كاف، للابتداء بالشرط أُجُورَكُمْ حسن، ومثله: أموالكم تَبْخَلُوا ليس بوقف، لعطف ما بعده على ما قبله أَضْغانَكُمْ حسن فِي سَبِيلِ اللَّهِ جائز مَنْ يَبْخَلُ حسن، للابتداء بالشرط وَمَنْ يَبْخَلْ الثاني ليس بوقف، لأنه شرط لم يأت جوابه عَنْ نَفْسِهِ تامّ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ حسن وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ تامّ، للابتداء بالشرط قَوْماً غَيْرَكُمْ ليس بوقف لعطف ما بعده على ما قبله، آخر السورة تام.

سورة الفتح مدنية (١)

كلمها خمسمائة وستون كلمة، وحروفها ألفان وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا.

مُبِيناً تامّ، عند أبي حاتم بجعل لام ليغفر لام القسم (٢) قال أبو جعفر:

وكذا: أعمالهم، وأعمالكم لَهُمْ كاف الْأَعْلَوْنَ صالح مَعَكُمْ حسن.

وقال أبو حاتم: تامّ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ تامّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ كاف، وكذا: أموالكم أَضْغانَكُمْ حسن، وكذا: من يبخل، وعن نفسه الْفُقَراءُ تامّ، وكذا آخر السورة.

سورة الفتح مدنية مُبِيناً تامّ، عند أبي حاتم بجعل لام ليغفر لام القسم كما مرّ نظيره. وقال غيره

---

(١) وهي تسع وعشرون ومدنية بالاتفاق.

(٢) هذا القول الذي قاله أبو حاتم ظاهر البطلان، فاللام ليست للقسم قطعا، ينافي ذلك السياق، واللغة، وإنما اللام لام كي أو لام التعليل: التي تذكر لبيان السبب، فالله عز وجل قد فتح على." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٧٢٤>

"تَذَكَّرُونَ كاف، ومثله: إلى الله، وكذا: مبين، وكذا: إلها آخر، وكذا:

مبين الثاني كَذلِكَ أكفى، فالكاف في محل رفع، أي: الأمر كذلك، فالتشبيه من تمام الكلام، فالكاف خبر مبتدإ محذوف، أو في محل نصب، أي: مثل تكذيب قومك إياك مثل تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم، ولا يجوز نصب الكاف بأتى، لأنها ليست متصلة بشيء بعدها، لأن ما إذا كانت نافية لم يعمل ما بعدها في شيء قبلها ولو أتى موضع ما بلم لجاز أن تنصب الكاف بأتى، لأن المعنى يسوغ عليه، والتقدير، كذبت قريش تكذيبا مثل تكذيب الأمم السابقة رسلهم أَوْ مَجْنُونٌ حسن أَتَواصَوْا بِهِ أحسن مما قبله طاغُونَ تامّ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ جائز بِمَلُومٍ كاف، على استئناف ما بعده، فإن جعل داخلا فيما أمر به الرسول، لأنه أمر بالتولي والتذكير كان الوقف التام على: المؤمنين إِلَّا لِيَعْبُدُونِ حسن، أي: من أردت منهم العبادة فلا ينافي أن بعضهم لم يعبده، ولو خلقهم لإرادة العبادة منهم لكانوا عن آخرهم كذلك، لأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، ولو خلقهم للعبادة لما عصوه طرفة عين، وبعضهم جعل اللام للصيرورة والمآل، وهي أن يكون ما بعدها نقيضا لما قبلها مِنْ رِزْقٍ جائز أَنْ يُطْعِمُونِ تامّ، للابتداء بإنّ هُوَ الرَّزَّاقُ حسن، إن جعل ما بعده مستأنفا، وليس بوقف إن جعل صفة الْمَتِينُ تامّ، نعت لذو، وللرزاق، أو نعت لاسم إن على المحل، وهو مذهب الفراء، أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف، وعلى كل تقدير فهو تأكيد، لأن ذو القوة يفيد فائدته أَصْحابِهِمْ جائز فَلا

يَسْتَعْجِلُونِ كاف، آخر السورة تامّ.

———

. . . .

———

وكذا: تذكرون مُبِينٌ حسن. وقال أبو عمرو: تامّ إِلهاً آخَرَ كاف مُبِينٌ حسن، وكذا: كذلك، أي: الأمر كذلك أَوْ مَجْنُونٌ حسن، وقياس ما مرّ صالح أَتَواصَوْا بِهِ كاف، وكذا: طاغون الْمُؤْمِنِينَ تامّ لِيَعْبُدُونِ حسن، وكذا: يطعمون الْمَتِينُ كاف، وكذا: يستعجلون، آخر السورة تامّ.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٧٤٣>

"أخرجه على النطفة، قرأ حفص يمنى بالتحتية والباقون بالفوقية، ولا يوقف على فسوّى لكان الفاء وَالْأُنْثى كاف، للابتداء بالاستفهام، آخر السورة تام.

سورة الإنسان مكية أو مدنية (١)

إحدى وثلاثون آية إجماعا، وكلمها مائتان واثنتان وأربعون كلمة، وحروفها ألف وأربعة وخمسون حرفا، وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدودا إجماعا خمسة مواضع، السبيل، ومسكينا، ويتيما، ومخلدون، ورأيت نعيما. مَذْكُوراً كاف أَمْشاجٍ حسن، عند بعضهم، ونبتليه جواب بعد سؤال سائل قال كيف كان خلق الإنسان؟ فقال نبتليه، أي: نختبره فجعلناه سميعا بصيرا. وقال جمع أمشاج نبتليه. وقال آخرون الوقف على آخر الآية على التقديم والتأخير، أي: فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو الكافي والأمشاج الأخلاط، واحدها مشج بفتحتين أو مشج كعدل وأعدال أو مشيج كشريف وأشراف، قاله ابن الأعرابي: قال الزمخشري: ومشجه ومزجه بمعنى، والمعنى من نطفة امتزج فيها الماءان. قاله السمين: وقيل عروق النطفة، وقيل: ألوانها، وقيل: ماء الرجل وماء المرأة، وهما لونان، فماء الرجل أبيض ثخين، وماء المرأة أصفر رقيق، وأيهما علا ماؤه كان الشبه له. قال أبو حاتم:

الوقف التام نبتليه. وبه يتم المعنى، ولأنه في موضع الحال من فاعل خلقنا،

———

تامّ، وكذا: سدى وَالْأُنْثى وآخر السورة.

سورة الإنسان مكية أو مدنية مَذْكُوراً كاف نَبْتَلِيهِ تامّ، عند بعضهم بَصِيراً حسن كَفُوراً

———

(١) مكية وقيل إنها مدنية، وقيل: مكية إلا آية واحدة وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً انظر: الإتقان (١/ ٣٤)، وهي إحدى وثلاثون آية باتفاق.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٨١٩>

"الإنسان إلى أنا صببنا الماء صبا، فإن جعل في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أنا صببنا كان الوقف على رءوس الآيات بعده وهو: حبا وقضبا، وغلبا، وأبا، كلها وقوف كافية، وقدّر لكل آية من قوله: وَعِنَباً فعل مضمر ينصب ما بعده وَلِأَنْعامِكُمْ كاف الصَّاخَّةُ جائز، إن قدّر عامل إذا بعدها، أي: فإذا جاءت الصاخة يكون ما يكون واشتغل كل إنسان بنفسه أو نصبت بمحذوف، والأوجه أن يكون ظرفا لجاءت وَبَنِيهِ تامّ بشرط أن لا يجعل لكل جواب إذا شَأْنٌ يُغْنِيهِ تامّ، من الإغناء بمعنى يكفيه، وقرأ ابن محيصن يعنيه بفتح الياء والعين المهملة من قولهم:

عناني الأمر، أي: قصدني مُسْفِرَةٌ ليس بوقف، لأن ما بعده صفة لوجوه مُسْتَبْشِرَةٌ تامّ، وليس وقفا إن جعل قوله: وُجُوهٌ وجوه الثانية معطوفة على وُجُوهٌ الأولى قَتَرَةٌ كاف، والفرق بين القترة والغبرة أن القترة بالقاف، ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء، والغبرة بالغين المعجمة، ما كان أسفل في الأرض اه النكزاوي، آخر السورة: تام.

سورة التكوير مكية (١)

تسع وعشرون آية، وكلمها مائة وأربع كلمات، وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون حرفا.

الوقف التامّ عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ وقال بعضهم الوقف على

بدلا من طعامه وَلِأَنْعامِكُمْ تامّ، وكذا: وبنيه، وشأن يغنيه مُسْتَبْشِرَةٌ حسن، وكذا: قترة، وقال أبو عمرو فيهما: تامّ، آخر السورة: تامّ.

سورة التكوير مكية عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ تامّ، والوقف على ما قبله من رءوس الآي جائز.

---

(١) عشرون وتسع ومكية بالاتفاق.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٨٣٤>

"الاستقامة، ويجوز أن يكون لمن شاء خبرا مقدّما، ومفعول شاء محذوف، وأن يستقيم مبتدأ، آخر السورة، تامّ.

سورة الانفطار مكية (١)

عشر آيات، وكلمها ثمانون كلمة، وحروفها ثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا، ولا وقف من أوّلها إلى قوله: وأخرت، فلا يوقف على انفطرت، ولا على انتثرت، ولا على فجرت، **والوقف التام** علمت نفس ما قدّمت وأخرت، لأنه جواب إذا ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ليس بوقف، لأن الذي بعده نعت له أو بدل منه، ويجوز القطع إلى الرفع أو إلى النصب، وقرأ ابن جبير والأعمش ما أغرّك فيحتمل أن تكون ما استفهامية أو تعجبية، ولا وقف من قوله: الذي خلقك إلى قوله: ركبك، وجوّز بعضهم الوقف على فسوّاك لمن خفف فعدلك، أي: قوّمك، وقيل: عدلك عن الكفر إلى الإيمان، قرأ الكوفيون فعدلك مخففا والباقون مثقلا رَكَّبَكَ تامّ، وقف يحيي بن نصير النحوي على كلا يريد ليس كما غررت به، وخولف إذ لا مقتضى للوقوف عليها بِالدِّينِ كاف: على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن جعل جملة حالية والواو واو الحال. أي: تكذبون بيوم الجزاء. والكاتبون الحفظة يضبطون أعمالكم لأن تجازوا عليها، ولا يوقف على: لحافظين، لأن كراما صفة حافظين، ولا يوقف على كاتبين، لأن يعلمون حال من ضمير كاتبين ما

بضنين شَيْطانٍ رَجِيمٍ جائز تَذْهَبُونَ تامّ، وكذا: أن يستقيم وآخر السورة.

سورة الانفطار مكية ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ تامّ، وكذا: ركبك، واختار بعضهم الوقف على فسوّاك، وبعضهم على فعدلك ما تَفْعَلُونَ تامّ بِغائِبِينَ كاف ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ

---

(١) وهي تسع عشرة آية ومكية بالاتفاق.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٨٣٦>

"جواب الأمر منقطع لفظا متصل معنى ولا بعد لأن يرسم هنا بالجواز لكونه رأس آية، وفيه أيضا التفات من التكلم إلى الغيبة وذلك من مقتضيات الابتداء، ومن هذه الحيثية يجوز الوقف على الكوثر والابتداء بما بعده ولو مع الفاء، يقال: أعطيت وأنطيت، وقرأ الحسن وغيره «إنا أنطيناك الكوثر» وَانْحَرْ جائز. وقال أبو عمرو: تامّ للابتداء بأنّ، آخرها تامّ.

سورة الكافرون مكية أو مدنية (١)

ما تَعْبُدُونَ جائز، على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن جعل توكيدا ما أَعْبُدُ* في الموضعين، كاف آخر

السورة تام.

سورة النصر مكية

ليس فيها **وقف تامّ**، لأن قوله: فسبح جواب إذا والعامل في إذا إذا كانت ظرفا جوابها، ولا تكون إلا في الأمر المحقق وقوعه، ولذلك لم تجزم إلا في الشعر لمخالفتها أدوات الشرط. وإذا تجرّدت عن الشرطية فلا جواب لها، وهل الناصب لها فعل الشرط أو فعل الجواب قولان: أشهرهما الثاني، وقيل الأول، قاله الزمخشري والحوفي، وردّ عليهما أبو حيان، وقال ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها وَاسْتَغْفِرْهُ كاف، آخر السورة: تام.

سورة الكافرون مكية أو مدنية ما أَعْبُدُ في الموضعين كاف، آخرها: تامّ.

سورة النصر مكية وَاسْتَغْفِرْهُ كاف، آخرها: تامّ.

---

(١) جاء في الإتحاف أنها «مكية وقيل إنها مدنية» وذكر الألوسي أنها مكية عند الجمهور، انظر «الإتحاف» لابن البنا (٤٤٤)، و «روح المعاني» (٣/ ٣١٩).." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، الأُشْمُوني، المقرئ ص/٨٦٦>

"الوطأة، وتتقرر لهم في قلوبهم المهابة. والمقصود من قولها هذا تحذير قومها من مسير سليمان إليهم، ودخوله بلادهم.

(وكذلك) أي مثل ذلك الفعل (يفعلون) أرادت أن هذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير، لأنها كانت في بيت الملك القديم؛ فسمعت نحو ذلك ورأت. قال ابن الأنباري: الوقف على قوله أذلة، **وقف تام**، فقال الله عز وجل تحقيقا وتصديقا لقولها: وكذلك يفعلون. وقيل: هذه الجملة من تمام كلامها، فيكون من جملة مقول قولها أكدت به ما قبله، وعلى الأول مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

قال النسفي: واحتج الساعي في الأرض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر وإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين انتهى. ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة وبينت لهم ما في دخول الملوك إلى أرضهم من المفسدة أوضحت لهم وجه الرأي عندها وصرحت لهم بصوابه فقالت:." <فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠/٤١>

"قتادة: تنصروه وتمنعوا منه، وقال عكرمة: تقاتلوا معه بالسيف، وقال ابن عباس: يعني الإجلال، وعنه قال: تضربوا بين يديه بالسيف.

وعن جابر بن عبد الله قال: " لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وتعزروه قال لأصحابه: ما ذاك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: لتنصروه " (١)، رواه ابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر في تاريخه، ومعنى توقروه تعظموه، وقال السدي: تسودوه، وقال ابن عباس: يعني التعظيم قيل: والضميران في الفعلين للنبي صلى الله عليه وسلم، وهنا **وقف تام**، ثم يبتدىء وتسبحوه، أي تسبحوا الله عز وجل وهو من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائض، أو من السبحة وهي الصلاة وقيل: الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة لله عز وجل فيكون المعنى تثبتون له التوحيد وتنفون عنه الشركاء وقيل تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله وزاد الزمخشري ومن فرق الضمائر فقد أبعد، ومثله في المدارك قال الحفناوي: وهذا أظهر لتكون الضمائر على وتيرة واحدة.

---

(١) مسلم.." <فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩٣/١٣>

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٨ ، ص : ٥٢٣

و ما كان هذا الرجل الذي جحد نعم ربه منتصرا لأنه - سبحانه - قد حجب عنه كل وسيلة تؤدى إلى نصره وعونه ، بسبب إيثاره الغي على الرشد ، والكفر على الإيمان.

فالآية الكريمة تبين بجلاء ووضوح ، عجز كل قوة عن نصرة ذلك الرجل المخذول سوى قوة الله - عز وجل - ، وعجز ذلك الرجل في نفسه عن رد انتقام الله - تعالى - منه.

وقوله - سبحانه - : هنالك الولاية لله الحق .. تقرير وتأكيد للآية السابقة. ولفظ هنالك ظرف مكان.

وكلمة « الولاية » قرأها الجمهور بفتح الواو ، بمعنى الموالاة والصلة والنصرة كما قرأ الجمهور كلمة « الحق » بالجر على أنها نعت للفظ الجلالة.

فيكون المعنى : في ذلك المقام وتلك الحال تكون الولاية - أى الموالاة والصلة - من كل الناس ، لله - تعالى - وحده إذ الكافر عند ما يرى العذاب يعترف بوحدانية الله - تعالى - كما قال - سبحانه - فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا « ١ ».

ويجوز أن يكون المعنى : في ذلك المقام وتلك الحال تكون الولاية أى الموالاة لله - تعالى - وحده ، فيوالي المؤمنين برحمته ومغفرته وينصرهم على أعدائهم ، كما قال - سبحانه - ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن

الكافرين لا مولى لهم « ٢ ».

وقرأ حمزة والكسائي : الولاية بكسر الواو ، بمعنى الملك والسلطان كما قرأ أبو عمرو والكسائي لفظ الحق بالرفع على أنه نعت للولاية.

فيكون المعنى : في ذلك المقام تكون الولاية الحق ، والسلطان الحق ، لله رب العالمين ، كما قال - سبحانه - : الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوما على الكافرين عسيرا « ٣ ».

قال بعض العلماء : وقوله « هنالك » يرى بعضهم أنه متعلق بما بعده ، **والوقف تام** على قوله وما كان منتصرا.

ويرى آخرون أنه متعلق بما قبله.

فعلى القول الأول يكون الظرف « هنالك » عامله ما بعده أى : الولاية كائنة لله هنالك.

---

(١) سورة غافر الآيتان ٨٤ ، ٨٥.

(٢) سورة محمد الآية ١١.

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٦.." <التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٥٢٣/٨>

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٣ ، ص : ٢٦٥

ثم بين - سبحانه - الحكمة من إرساله صلى الله عليه وسلم فقال : لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا.

وقوله : وتعزروه من التعزير بمعنى النصرة مع التعظيم والتفخيم.

وقوله : وتوقروه أى : تعظموه وتقدروه.

وقوله : وتسبحوه من التسبيح بمعنى التنزيه. تقول : سبحت الله - تعالى - ، أى : نزهته عما لا يليق به ، وبكرة أول النهار ، وأصيلا آخره ، والمراد ظاهرهما ، أو جميع أوقات النهار ، كما يقال : شرقا وغربا لجميع الجهات.

والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولأمته ، كقوله - تعالى - : يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ... والقراءة بتاء الخطاب ، هي قراءة الجمهور من القراء.

قال الآلوسى : وهو من باب التغليب ، غلب فيه المخاطب على الغائب فيفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بالإيمان برسالته كأمته .. « ١ ».

أى : أرسلناك – أيها الرسول الكريم – شاهدا ومبشرا ونذيرا ، لتكون على رأس المؤمنين بما أرسلناك به ، وليتبعك في ذلك أصحابك ومن سيأتى بعدهم ، بأن يؤمنوا بالله ورسوله إيمانا حقا ، ولينصروك ويعظموك ، وليسبحوا الله – تعالى – في الصباح والمساء. وعلى هذا يكون الضمير في قوله – تعالى – : وتعزروه وتوقروه يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وفي قوله وتسبحوه يعود إلى الله – تعالى – .

قال القرطبي ما ملخصه : قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا وكذلك يعزروه ويوقروه ويسبحوه كله بالياء على الخبر ..

وقرأ الباقون بالتاء في الخطاب ... والهاء في قوله : وتعزروه وتوقروه للنبي صلى الله عليه وسلم وهنا **وقف تام**. ثم تبتدئ بقوله : وتسبحوه أى : تسبحوا الله بكرة وأصيلا.

وقيل : الضمائر كلها لله – تعالى – فعلى هذا يكون تأويل : تعزروه وتوقروه أى : تثبتوا له صحة الربوبية ، وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك .. « ٢ ».

ثم مدح – سبحانه – الذين عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ووفوا بعهودهم أكمل وفاء ، فقال : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ..

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٢٦ ص ٩٥.

(٢) راجع تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٦٦.." <التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٣/٢٦٥>

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٣ ، ص : ٢٨٩

و صدق الله إذ يقول : واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات. لعلكم تشكرون « ١ ».

قال صاحب الكشاف : « وهذا مثل ضربه الله – تعالى – لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ، ثم قواه الله – تعالى – بمن معه. كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها ، حتى يعجب الزراع » « ٢ ».

وعلى هذا التفسير الذي سرنا عليه يكون وصفهم في التوراة ، هو المعبر عنه بقوله – تعالى – : أشداء على الكفار رحماء بينهم .. ويكون وصفهم في الإنجيل هو المعبر عنه بقوله – سبحانه – : كزرع أخرج شطأه .... ولا شك أن هذه الأوصاف كانت موجودة في الكتابين قبل أن يحرفا ويبدلا ، بل بعض هذه الأوصاف موجودة في الكتابين ، حتى بعد تحريفهما.

فقد أخرج بن جرير وعبد بن حميد عن قتادة قال : « مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. » « ٣ ».

ويرى بعض المفسرين أن المذكور في التوراة والإنجيل شيء واحد ، وهو الوصف المذكور إلى نهاية قوله : ومثلهم في الإنجيل وعلى هذا الرأى يكون **الوقف تاما** على هذه الجملة ، وما بعدها وهو قوله : كزرع أخرج شطأه .. كلام مستأنف.

قال القرطبي : « قوله – تعالى – : ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل .. قال الفراء : فيه وجهان : إن شئت قلت : المعنى : ذلك مثلهم في التوراة وفي الإنجيل أيضا ، كمثلهم في القرآن ، فيكون الوقف على « الإنجيل ».

وإن شئت قلت : تمام الكلام : ذلك مثلهم في التوراة. ثم ابتدأ فقال : ومثلهم في الإنجيل.

وكذا قال ابن عباس وغيره : هما مثلان ، أحدهما في التوراة ، والآخر في الإنجيل ... » « ٤ ».

والذي نراه أن ما ذهب إليه ابن عباس من كونهما مثلين ، أحدهما مذكور في التوراة والآخر في الإنجيل ، هو الرأى الراجح ، لأن ظاهر الآية يشهد له.

وفي هذه الصفات ما فيها من رسم صورة مشرقة مضيئة لهؤلاء المؤمنين الصادقين.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٦.

(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٣٤٨.

(٣) راجع تفسير سورة الفتح ص ١٦٠ لفضيلة استأذنا الشيخ أحمد الكومى.

(٤) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٩٤. [.....]." <التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٣/٢٨٩>

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٤ ، ص : ٤٠٤

و رحم الله صاحب الكشاف فقد قال : فإن قلت : ما معنى كأنهم خشب مسندة قلت : شبهوا في استنادهم – وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحوائط لأن الخشب إذا انتفع به ، كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع ، وما دام متروكا فارغا غير منتفع به ، أسند إلى الحائط ، فشبهوا به في عدم الانتفاع.

ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب ، المسندة إلى الحيطان ، وشبهوا بها في حسن صورهم ، وقلة جدواهم ، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يخاطب .. « ١ ».

فأنت ترى القرآن الكريم وصفهم بتلك الصفة البديعة في التنفير منهم وعدم الاغترار بمظهرهم لأنهم كما قال القائل :

لا تخدعنك اللحى ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقر

تراهم كالسحاب منتشرا وليس فيه لطالب مطر

في شجر السرو منهم شبه له رواء وماله ثمر

ثم وصفهم – سبحانه – بعد ذلك بالجبن والخور فقال : يحسبون كل صيحة عليهم ....

والصيحة : المرة من الصياح ، والمراد بها ما ينذر ويخيف أى : يظنون لجبن قلوبهم ولسوء نواياهم ، وخبث نفوسهم – أن كل صوت ينادى به المنادى ، لنشدان ضالة ، أو انفلات دابة ... إنما هو واقع عليهم ضار بهم مهلك لهم ..

قال الآلوسى : قوله : يحسبون كل صيحة عليهم أى : واقعة عليهم ، ضارة لهم ، لجبنهم وهلعهم.

وقيل : كانوا على وجل من أن ينزل الله – تعالى – فيهم ما يهتك أستارهم ، ويبيح دماءهم وأموالهم.

والوقف على « عليهم » الواقع مفعولا ثانيا ل « يحسبون » وهو **وقف تام**.

وقوله – تعالى – : هم العدو استئناف. أى : هم الكاملون في العداوة ، والراسخون فيها ، فإن أعدى الأعداء ، العدو المداجى.

فاحذرهم لكونهم أعدى الأعداء ، ولا تغترن بظواهرهم .. « ٢ ».

---

(١) راجع تفسير الكشاف ج ٤ ص ٥٤٠.

(٢) تفسير الآلوسى ج ٢٨ ص ١١٢.." <التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٤/٤٠٤>

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ١٩٦

٧٦ بلى : مكتفية بنفسها وعليها **وقف تام** «١» ، أي : بلى عليهم سبيل.

٧٨ يلوون ألسنتهم : يحرفونها بالتبديل «٢».

٧٩ ربانيين : أي : بالعلم أي يربونه «٣» ، أو الرباني منسوب إلى الرب ، فغير بنيته للإضافة كالبحراني واللحياني «٤».

٨١ لما آتيتكم : لام التحقيق على «ما» الجزاء «٥» ، ومعناه : لمهما

---

(١) وهو قول الزجاج في معانيه : ١/ ٤٣٤ وقال : «ثم استأنف فقال عز وجل : من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين أي فإن الله يحبه. ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله : بلى لأن قولهم : ليس علينا فيما نفعل جناح كقولهم : نحن أهل تقوى في فعلنا هذا فأعلم الله أن أهل الوفاء بالعهد والتقى يحبهم الله ، وأنهم المتقون ...».

وقال مكي في كتابه شرح كلا وبلى ونعم : ٨٤ : «الوقف على بلى حسن جيد ، لأنها جواب النفي في قولهم : ليس علينا في الأميين سبيل. فالمعنى : بلى عليكم فيهم سبيل. ويدل على حسن الوقف على بلى أن ما بعدها ابتداء وخبر ، وهو قوله تعالى :

من أوفى بعهده ف «من» شرط في موضع الابتداء ، وفإن الله يحب المتقين الخبر ، والفاء جواب شرط».

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١/ ٩٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ١٠٧ ، وتفسير الطبري : ٦/ ٥٣٦ ، ومعاني القرآن للنحاس : ١/ ٤٢٨ ، والمحرر الوجيز : ٣/ ١٨٤.

(٣) نسب هذا القول إلى المبرد في تفسير البغوي : ١/ ٣٢١ ، وتفسير الفخر الرازي : ٨/ ١٢٣.

(٤) هذا قول سيبويه في الكتاب : ٣/ ٣٨٠.

وقال الزجاج في معاني القرآن : ١/ ٣٤٥ : «و الربانيون أرباب العلم والبيان ، أي كونوا أصحاب علم وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب ، كما قالوا للكبير اللحية لحياني ...».

وانظر تفسير الماوردي : ١/ ٣٣٢ ، وزاد المسير : ١/ ٤١٣ ، والدر المصون : ٣/ ٢٧٥.

(٥) المقتضب : ٤/ ٤١٣.

وصرح المؤلف في كتابه وضح البرهان : ١/ ٢٤٩ بالنقل عن المبرد ، وأورد النص الذي ذكره هنا.." <إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/١٩٦>

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٨٢٩

في سورة المؤمنين فذلك خلقه».

٦ بأيكم المفتون : مصدر ، مثل : الفتون وهو الجنون بلغة قريش «١» ، كما يقال : ما به معقول وليس له مجلود «٢».

١٠ مهين : وضيع بإكثاره من الفساد «٣».

١٣ عتل : قوي في خلقه ، فاحش في فعله «٤». وسئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال «٥» : «الشديد الخلق ، الرحيب الجوف ، الأكول ، الشروب ، الظلوم للناس».

والوقف على «عتل» «٦» ، ثم بعد ذلك زنيم ، أي : مع ذلك كله زنيم «٧» معروف بالشر كما يعرف التيس بزنمته «٨».

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٧٧ ، وتفسير الطبري : ٢٩/ ٢٠.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره : ٤/ ٣٧٧ ، وقال : أي : جلادة وعقل».

وفي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٧٨ : «ليس له معقول - أي عقل - ولا معقود ، أي رأي».

وانظر تفسير الطبري : ٢٩/ ٢٠ ، والكشاف : ٤/ ١٤١ ، وتفسير القرطبي : ١٨/ ٢٢٩.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٧٨ ، وتفسير الماوردي : ٤/ ٢٨٠ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٣٧٧ ، وتفسير القرطبي : ١٨/ ٢٣١.

(٤) تفسير الطبري : ٢٩/ ٢٤ ، وتفسير القرطبي : ١٨/ ٢٣٣.

(٥) أخرج - نحوه - الإمام أحمد في مسنده : ٤/ ٢٢٧ عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٨/ ٢٤٧ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم مرفوعا.

(٦) الوصل أولى من الوقف في هذا الموضع. وذكر العلماء أن **الوقف التام** على زنيم آخر الآية ، ويبتدأ بقوله تعالى : أن كان ذا مال وبنين.

ينظر إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري : ٢/ ٩٤٣ ، والقطع والائتناف للنحاس : ٧٣٦ ، والمكتفي للداني : (٥٨١ ، ٥٨٢).

(٧) قال الفراء في معانيه : ٣/ ١٧٣ : «و الزنيم : الملصق بالقوم ، وليس منهم ، وهو الدعي».

(٨) قال ابن الأثير في النهاية : ٢/ ٣١٦ : «هي شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقا بها ، وهي أيضا هنة مدلاة في حلق الشاة كالملحقة بها».." <إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٨٢٩>

"معنى الآيات:

لقد تقدم في الآيات قبل هذه التنديد بالشرك وتوبيخ المشركين وتحديهم بدعاء شركائهم ليخلصوهم مما هم فيه من العذاب، وكان شركهم باختيارهم الخاص وإرادتهم الحرة إذ تبرأ منهم من اختاروهم آلهة مع الله فعبدوهم معه. وفي هذه الآية يكشف تعالى عن خطئهم في الاختيار، وذلك من وجهين: الأول أنه لا حق لهم في

الاختيار. إذ الاختيار لخالق المخلوقات فيختار منها ما يشاء لنبوته أو طاعته أما الذي يخلق ولا يخلق فكيف يصح منه اختيار. والثاني بحكم أنهم مخلوقون مربوبون لله تعالى وهم يعلمون هذا إذ لو سألهم أحد: من خلقكم؟ لقالوا: الله؛ كان المفروض فيهم والمطلوب منهم أن يطلبوا من الله تعالى خالقهم أن يختار لهم ما يعبدون ويبين لهم كيف يعبدون، إذ هو مولاهم الحق ولا مولى لهم سواه أما أن يركبوا رؤوسهم ويختاروا بأنفسهم ما يعبدون فهذا ظلم منهم كبير استوجبوا به اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة. قال تعالى: (٦٨) ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ .. أي وربك يا محمد يخلق ما يشاء ممن يريد خلقهم ويختار(١) من يشاء لما يشاء ممن يشاء من عباده لما يشاء من كمال أو نقصان. أما عبيده فليس لهم حق الاختيار وإنما عليهم السمع والطاعة قال تعالى: ﴿ما كان لهم الخيرة(٢)﴾ أي حق الاختيار بل الذي يختاره الله هو الذي يجب أن يختاره العبد. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول: "اللهم خر لي واختر لي" وكان يعلم أصحابه دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، ويحضهم على أن يختاروا في الأمر الواحد سبع مرات. وقوله تعالى: ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين وباطل المبطلين وقوله ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ وهذا برهان أن الخيرة له(٣) وليس لغيره إذ الذي يعلم الظواهر والبواطن والبدايات والنهايات قبل البدء والمنتهى صاحب هذا العلم هو الذي يختار. أما الذي لا يعلم ما يكنه أخوه في صدره بل ولا ما يظهره آخر إلى جنبه أي لا يعلم عاقبته فكيف يصح منه الاختيار أو تكون له خيرة في شيء. وفوق ذلك أنه سبحانه وتعالى ﴿وهو الله لا إله إلا هو﴾ أي المعبود الذي لا معبود بحق سواه الذي له الحمد

---

١ – قيل نزلت ردا على الوليد بن المغيرة حين قال: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. كما هي رد على اختيارهم الشركاء ليشفعوا لهم يوم القيامة.

٢ – جائز أن يكون (ما) موصولا مفعولا به لفعل: يختار، والعائد محذوف أي: ويختار الذي لهم فيه خير، كما أن الخلق من خصائصه، إذ قال (وربك يخلق ما يشاء) فكذلك الاختيار له دون غيره، وجائز أن يكون الوقف التام على (ويختار)، وجملة (ما كان لهم الخيرة) مستأنفة لغرض تأكيد القصر على الله تعالى هو الخالق وحده وهو الذي يختار وحده وليس لأحد من الخلق الخلق والاختيار.

٣ – الخيرة: اسم مصدر الاختيار كالطيرة اسم مصدر التطير ولا نظير لهذه الصيغة في الأسماء (والطيرة والخيرة).." <أيسر التفاسير للجزائري، ٤/٩٣>

"أي هذه ذكرى، فذكرى في موضع رفع على الخبرية مبتدأ محذوف دلت عليه قرينة السياق كقوله تعالى في [سورة الأحقاف: ٣٥] ﴿بلاغ﴾ أي هذا بلاغ، وفي [سورة إبراهيم: ٥٢] ﴿هذا بلاغ للناس﴾ وفي [سورة ص: ٤٩] ﴿هذا ذكر﴾ . والمعنى: هذه ذكرى لكم يا معشر قريش. وهذا المعنى هو أحسن الوجوه في موقع قوله ﴿ذكرى﴾ وهو قول ابي إسحاق الزجاج والفراء وإن اختلفا في تقدير المحذوف قال ابن الأنباري قال بعض المفسرين: ليس في الشعراء وقف تام إلا قوله ﴿إلا لها منذرون﴾ .

وقد تردد الزمخشري في موقع قوله ﴿ذكرى﴾ بوجوه جعلها جميعا على اعتبار قوله ﴿ذكرى﴾ تكملة للكلام السابق وهي غير خلية عن تكلف. والذكرى: اسم مصدر ذكر.

وجملة ﴿وما كنا ظالمين﴾ يجوز أن تكون معطوفة على ﴿ذكرى﴾ لأنه كالمصدر يقتضي مسندا إليه، وعلى الوجهين فمفاد ﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾ الأعذار لكفار قريش والإنذار بأنهم سيحل بهم هلاك.

وحذف مفعول ﴿ظالمين﴾ لقصد تعميمه كقوله تعالى ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ .

[٢١٠ - ٢١٢] ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون﴾ .

عطف على جملة ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ وما بينهما اعتراض استدعاه تناسب المعاني وأخذ بعضها بحجر بعض تفننا في الغرض. وهذا رد على قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هو كاهن قال تعالى ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾ [الطور: ٢٩]، وزعمهم أن الذي يأتيه شيطان؛ فقد قالت العوراء بنت حرب امرأة أبي لهب لما تخلف رسول الله عن قيام الليل ليلتين لمرض: أرجو أن يكون شيطانك قد تركك. ولذلك كان من جملة ما راجعهم به الوليد بن المغيرة حين شاوره المشركون فيما يصفون النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا نقول: كلامه كلام كاهن، فقال: والله ما هو بزمزمته. وكلام الكهان في مزاعمهم من إلقاء الجن إليهم وإنما هو خواطر نفوسهم ينسبونها إلى شياطينهم المزعومة. نفي عن القرآن أن يكون من ذلك القبيل، أي الكهان لا يجيش في نفوسهم." <التحرير والتنوير، ١٩/٢٠٢>

"١٢ واعلم أن اختلاف القراء على نوعين أصول وفرش الحروف فأما الفرش فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد ولا قانون كلي وهو على وجهين اختلاف في القراءة باختلاف المعنى وباتفاق المعنى وأما الأصول فالاختلاف فيها لا يغير المعنى وهي ترجع إلى ثمان قواعد الأولى الهمزة وهي في حروف المد الثلاث ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين الثانية وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو وبين الهمزة والياء وبين الهمزة والألف وإسقاط الثالثة الإدغام والإظهار والأصل الإظهار ثم يحدث الإدغام في المثلين أو المتقاربين وفي كلمة وفي كلمتين وهو نوعان إدغام

كبير انفرد به أبو عمرو وهو إدغام المتحرك وإدغام صغير لجميع القراء وهو إدغام الساكن الرابعة الإمالة وهو أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء والأصل الفتح ويوجب الإمالة الكسرة والياء الخامسة الترقيق والتفخيم والحروف على ثلآثة أقسام يفخم في كل حال وهي حروف الاستعلاء السبعة ومفخم تارة ومرقق أخرى وهي الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء وأما اللام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الإطباق وأما الألف فهي تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها والمرقق على كل حال سائر الحروف السادسة الوقف وهو على ثلاثة أنواع سكون جائز في الحركات الثلاثة وروم في المضموم والمكسور وإشمام في المضموم خاصة السابعة مراعاة الخط في الوقف الثامنة إثبات الياءات وحذفها

الباب التاسع في الوقف

وهو أربعة أنواع وقف تام وحسن وكاف وقبيح وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى فإن كان الكلام مفتقرا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه وما بعده مفتقرا إليه كذلك لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله وبين كل ذي خبر وخبره وبين كل ذي جواب وجوابه وبين كل ذي موصول وصلته وإن كان الكلام الأول مستقلا يفهم دون الثاني إلا أن الثاني غير." <التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/٢١>

"مستقل إلا بما قبله فالوقف على الأول كاف وذلك في التوابع والفضلات كالحال والتمييز والاستثناء وشبه ذلك إلا أن وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة وإن كان الكلام مستقلا والثاني كذلك فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأول حسن وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف من أقوالهم فيها راجح ومرجوح وباطل وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام (تنبيه) هذا الذي ذكرنا من رعى الإعراب والمعنى في المواقف استقر عليه العمل وأخذ به شيوخ المقرئين وكان الأوائل يراعون رؤس الآيات فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف

الباب العاشر في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

أما الفصاحة فلها خمسة شروط الأول أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلطت فيه العامة الثاني أن تكون من الألفاظ المستعملة لا من الوحشية المستثقلة الثالث أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية

له لا قاصرة عنه الرابع أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد الخامس أن يكون الكلام سالما من الحشو الذي لا يحتاج إليه وأما البلاغة ... ١٣." <التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢٢/١>
"كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾[(٢٠٨) سورة الشعراء] (مِن): صلة، المعنى: وما أهلكنا قرية، ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ أي رسل.

وكون الكلام يستقيم بدونها لا يعني أنها لا فائدة لها، وإنما فائدتها: تأكيد النفي.

﴿ذِكْرَى﴾[(٢٠٩) سورة الشعراء] قال الكسائي: ﴿ذِكْرَى﴾ في موضع نصب على الحال، قال النحاس وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحاق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح؛ لأن معنى ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ إلا لها مذكرون، و﴿ذِكْرَى﴾ لا يتبين فيه الإعراب؛ لأن فيها ألفاً مقصورة.

يتعذر ظهور حركة الإعراب، يعني يمتنع.

ويجوز ﴿ذكرى﴾ بالتنوين، ويجوز أن يكون ﴿ذِكْرَى﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ، قال أبو إسحاق: أي إنذارنا ذكرى، وقال الفراء: أي ذلك ذكرى وتلك ذكرى، وقال ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: ليس في (الشعراء) **وقف تام** إلا قوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ وهذا عندنا وقف حسن، ثم يبتدئ ﴿ذِكْرَى﴾ على معنى: هي ذكرى: أي يذكرهم ذكرى، والوقف على ﴿ذِكْرَى﴾ أجود، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾[(٢١٠) سورة الشعراء] يعني القرآن، بل ينزل به الروح الأمين، ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[(٢١١-٢١٢) سورة الشعراء] أي برمي الشهب كما مضى في سورة (الحجر) بيانه، وقرأ الحسن ومحمد بن السميقع: (وما تنزلت به الشياطون)، قال المهدوي: وهو غير جائز في العربية ومخالف للخط، وقال النحاس: وهذا غلط عند جميع النحويين، وسمعت علي ين سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: هذا غلط عند العلماء، إنما يكون بدخول شبهة، لما رأى الحسن في آخره ياءً ونوناً وهو في موضع رفع اشتبه عليه بالجمع المسلم فغلط.." <التعليق على تفسير القرطبي، ص/٢٣>

"و هو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ، ويعلم ما تكسبون. واختار الطبري قولا ثالثا : أن قوله : وهو الله في السماوات وقف تام ، ثم استأنف الخبر فقال : وفي الأرض يعلم سركم وجهركم. ويعلم ما تكسبون أي يعلم جميع أعمالكم خيرها وشرها ، ويجازيكم عليها.

فقه الحياة أو الأحكام :

المقصود من هذه الآيات إيراد الدلائل على وجود الله ووحدانية الصانع لأن تقدير السموات والأرض بمقادير مخصوصة ، لا يمكن حصوله إلا بتخصيص الفاعل المختار ، وهو الله.

ويستنبط من الآيات ما يلي :

ج ٧ ، ص : ١٣٥

١- الله تعالى هو المستحق لجميع أنواع المحامد على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى.

٢- إثبات الألوهية لأن الحمد كله لله فلا شريك له.

٣- إقامة الأدلة على قدرة الله تعالى وعلمه وإرادته ، بإخباره عن خلق السموات والأرض ، أي الإيجاد والاختراع والإنشاء والإبداع ، والخلق يكون بمعنى الاختراع ، ويكون بمعنى التقدير ، وكلاهما مراد هنا ، وذلك دليل على حدوثهما فإنه تعالى رفع السماء بغير عمد ، وجعلها مستوية من غير عوج ، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين ، وزينها بالنجوم ، وأودعها السحاب والغيوم علامتين ، وبسط الأرض وأودعها الأرزاق والنبات ، وبث فيها من كل دابة ، وجعل فيها الجبال أوتادا ، وسبلا فجاجا ، وأجرى فيها الأنهار وشق البحار ، وفجر فيها العيون والآبار من الأحجار ، كل ذلك دال على وحدانيته وعظيم قدرته.

وأتبع خلق الجواهر والذوات بخلق الأعراض والمستلزمات ، وهي جعل الظلمات.." >التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٣٨/٧<

"" صفحة رقم ٢٩٦ " "

قوله : (ألا نعبد إلا الله (فيه ستة أوجه :

أحدها : أنه بدل من "كلمة " - بدل كل من كل .

الثاني : بدل من " سواء " جوزه أبو البقاء ؛ وليس بواضح ، لأن المقصود إنما هو الموصوف لا صفته فنسبة البدلية إلى الموصوف أولى ، وعلى الوجهين ف " أن " وما في حيزها في محل جر .

الثالث : أنه في محل رفع ؛ خبرا لمبتدأ مضمر ، والجملة استئناف ، جواب لسؤال مقدر ، كأنه لما قيل : (تعالوا إلى كلمة (قال قائل : ما هي ؟ فقيل : هي أن لا نعبد إلا الله ، وعلى هذا الأوجه الثلاثة ف " بين

" منصوب ب " سواء " ظرفا له ، أي : يقع الاستواء في هذه الجهة .

وقد صرح بذلك [الشاعر] ، حيث قال : [الوافر]

١٤٩٩ - أروني خطة لا عيب فيها

يسوي بيننا فيها السواء

والوقف التام - حينئذ - عند قوله : (من دون الله (؛ لارتباط الكلام معنى وإعرابا .

الرابع : أن يكون " أن " وما في حيزها في محل رفع بالابتداء ، والخبر : الظرف قبله .

الخامس : جوز أبو البقاء أن يكون فاعلا بالظرف قبله ، وهذا إنما يتأتى على رأي الأخفش ؛ إذا لم يعتمد الظرف .

وحينئذ يكون الوقف على " سواء " ثم يبتدأ بقوله : (بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله (وهذا فيه بعد من حيث المعنى ، ثم إنهم جعلوا هذه الجملة صفة ل "كلمة " ، وهذا غلط ؛ لعدم رابطة بين الصفة والموصوف ، وتقدير العائد ليس بالسهل .

وعلى هذا فقول أبي البقاء : وقيل : تم الكلام على " سواء " ، ثم استأنف ، فقال : (بيننا وبينكم ألا نعبد (، أي : بيننا وبينكم التوحيد ، فعلى هذا يكون) ألا نعبد (مبتدأ ، والظرف خبره ، والجملة صفة ل " الكلمة " ، غير واضح ؛ لأنه - من حيث جعلها صفة - كيف يحسن أن يقول : تم الكلام على " سواء " ثم استأنف ؟ بل كان الصواب - على هذا الإعراب - أن تكون الجملة استئنافية - كما تقدم .

السادس : أن يكون : (ألا نعبد (مرفوعا بالفاعلية ب " سواء " ، وإلى هذا ذهب الرماني ؛ فإن التقدير - عنده - إلى كلمة مستو فيها بيننا وبينكم عدم عبادة غير الله تعالى :

قال أبو حيان : " إلا أن فيه إضمار الرابط - وهو فيها - وهو ضعيف " .

فصل

لما أورد (صلى الله عليه وسلم) على نصارى نجران أنواع الدلائل ، دعاهم إلى المباهلة فخافوا ، وما."

<اللباب في علوم الكتاب، ٥/٢٩٦>

"" " صفحة رقم ٣٣٨ " "

(بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين (

قوله : (بلى (جواب لقولهم : " ليس " وإيجاب لما نفوه . وتقدم القول في نظيره .

قال ابن الخطيب : وعندي الوقف التام على " بلى " ثم استأنف .

وقيل : إن كلمة " بلى " كلمة تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده ؛ لأن قولهم : ليس علينا فيما نفعل جناح قائم مقام قولهم : (نحن أبناء الله وأحباؤه ([المائدة : ١٨] فذكر - تعالى - أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى - لا غيرهم - وعلى هذا الوجه ، فلا يحسن الوقف على " بلى " اه .

و " من " شرطية ، أو موصولة ، والرابط بين الجملة الجزائية ، أو الخبرية هو العموم في) المتقين (وعند من يرى الربط بقيام الظاهر مقام المضمر يقول ذلك هنا .

وقيل : الجزاء ، أو الخبر محذوف ، تقديره : يحبه الله ، ودل على هذا المحذوف قوله : (فإن الله يحب المتقين (وفيه تكلف لا حاجة إليه .

قال القرطبي : " من " رفع بالابتداء ، وهو شرط ، و " أوفى " في موضع جزم " واتقى " معطوف عليه ، واتقى الله ، ولم يكذب ، ولم يستحل ما حرم عليه) فإن الله يحب المتقين (أي يحب أولئك .

و " بعهده " يجوز أن يكون المصدر مضافا لفاعله على أن الضمير يعود على " من " . أو مضافا إلى مفعوله على أنه يعود على " الله " ويجوز أن يكون المصدر مضافا للفاعل وإن كان الضمير لله تعالى وإلى المفعول وإن كان الضمير عائدا على " من " ومعناه واضح عند التأمل .

فإن قيل : بتقدير أن يكون الضمير عائدا إلى الفاعل ، وهو " من " فإنه يدل على أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة ، فإنهم يكتسبون محبة الله .

فالجواب أن الأمر كذلك ، فإنهم إذا وفوا بالعهود ، فأول ما يوفون به العهد الأعظم ، وهو ما أخذ الله عليهم في كتابهم من الإيمان بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وبما جاء به ، وهو المراد بالعهد في هذه الآية قال (صلى الله عليه وسلم) " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر " .

(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (

مما جاء في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه :." <اللباب في علوم الكتاب، ٣٣٨/٥>

"" " صفحة رقم ٦٣ " "

فصل

قال ابن مسعود رضي الله عنه أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدوا وتروح إلى النار ، يقال : يا آل فرعونن هذه منازلكم . وقال قتادة ، والسدي والكلبي : تعرض روح كل كافر

على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا .

وروى ابن عمر رضي الله عنهما " أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدامة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ؟ فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " . قوله : " ويوم تقوم " فيه ثلاثة أوجه :

أظهرها : أنه معمول لقول مضمر ، وذلك القوم المضمر محكي به الجملة الأمرية من قوله : " أدخلوا ، والتقدير : يقال لهم يوم تقوم الساعة : أدخلوا .

الثاني : أنه منصوب " بأدخلوا " أي أدخلوا يوم تقوم ، وعلى هذه الوجهين ، **فالوقف تام** على قوله : " وعشيا " .

الثالث : أنه معطوف على الظرفين قبله ، فيكون معمولا ليعرضون ، والوقف على هذا قوله : " الساعة " . و " ادخلوا " معمول لقول مضمر ، أي يقال لهم كذا . وقرأ الكسائي وحمزة ونافع وحفص أدخلوا بقط الهمزة وكسر الخاء ، أي يقال للملائكة أدخلوا ، أمرا من " أدخل " " فآل فرعون " مفعول أول ، و " أشد العذاب " مفعول ثان ، والباقون بهمزة وصل ، من دخل يدخل ، فآل فرعون منادى حذف حرف الناء منه و " أشد " منصوب به ، إما ظرفا ، وإما مفعولا به . أي ادخلوا يا آل فرعون في أشد العذاب .

قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ألوان العذاب ، غير العذاب الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا .

(/ ٢ وإذ يتحآجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيهآ إن الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا."

<اللباب في علوم الكتاب، ١٧/٦٣>

"يقول الله تعالى مادحاً نفسه الكريمة ، حامداً لها على خلقه السماوات والأرض قراراً لعباده ، وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم ، فجمع لفظ الظلمات ، ووحد لفظ النور لكونه أشرف ، كقوله تعالى : ﴿ عَنِ اليمين والشمآئل ﴾ [النحل : ٤٨] ، وكما قال في آخر السورة : ﴿ وَأَنَّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتبعوه وَلاَ تَتَّبِعُواْ السبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] . ثم قال تعالى : ﴿ ثُمَّ الذين كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ أي ومع هذا كله كفر به بعض عباده ، وجعلوا له شريكاً وعدلاً ، واتخذوا له صاحبة وولداً . تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك علواً كبيراً ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الذي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ﴾ يعني أباهم آدم الذي هو أصلهم . ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغارب ، وقوله : ﴿ ثُمَّ قضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ قال ابن عباس : ﴿ ثُمَّ قضى أَجَلاً ﴾ يعني الموت ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ يعني الآخرة . وقال

الحسن في رواية عنه : ﴿ ثُمَّ قضى أَجَلاً ﴾ وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث وهو يرجع إلى ما تقدم ، وهو تقدير الأجل الخاص ، وهو عمر كل إنسان ، وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة ، وعن ابن عباس ومجاهد : ﴿ ثُمَّ قضى أَجَلاً ﴾ يعني مدة الدنيا ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ يعني عمر الإنسان إلى حين موته ، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا ﴿ وَهُوَ الذي يَتَوَفَّاكُم بالليل وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بالنهار ﴾ [الأنعام : ٦٠] الآية . ومعنى قوله : ﴿ عِندَهُ ﴾ أي لا يعلمه إلاّ هو ، كقوله : ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] وكقوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الساعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إلى رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ ﴾ [النازعات : ٤٢-٤٤] وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ ، قال السدي وغيره : يعني تشكون في أمر الساعة .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الله فِي السماوات وَفِي الأرض يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ اختلف مفسرو هذه الآية على اقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية القائلين - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك ، فالأصح من الأقوال : أنه المدعو الله في السماوات وفي الأرض : أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السماوات ومن في الأرض ، ويسمونه الله ، ويدعونه رغباً ورهباً إلا من كفر من الجن والإنس ، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الذي فِي السمآء إله وَفِي الأرض إله ﴾ [الزخرف : ٨٤] أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض ، وعلى هذا فيكون قوله : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ خبراً أو حالاً (والقول الثاني) : أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر ، فيكون قوله « يعلم » متعلقاً بقوله : ﴿ فِي السماوات وَفِي الأرض ﴾ تقديره : وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون ، (والقول الثالث) : أن قوله ﴿ وَهُوَ الله فِي السماوات ﴾ **وقف تام** ، ثم استأنف الخبر فقال : ﴿ وَفِي الأرض يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ ، وهذا اختيار ابن جرير ، وقوله : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ أي جميع أعمالكم خيرها وشرها .." <تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٧٢١>

"ومما يؤيد أن الواو استئنافية لا عاطفة ، دلالة الاستقراء في القرآن أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئا وأثبته لنفسه ، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله : ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل : ٦٥] وقوله : ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ [الأعراف : ١٨٧]. وقوله : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص : ٨٨]. فالمطابق لذلك أن يكون قوله : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل

عمران : ٧] معناه : أنه لا يعلمه إلا هو وحده كما قاله الخطابي وقال : لو كانت الواو في قوله : ﴿والراسخون﴾ [آل عمران : ٧] للنسق لم يكن لقوله : ﴿كل من عند ربنا﴾ [آل عمران : ٧] فائدة والقول بأن **الوقف تام** على قوله : ﴿إلا الله﴾ وأن قوله : ﴿والراسخون﴾ ابتداء كلام هو قول جمهور العلماء للأدلة القرآنية التي ذكرنا.

وممن قال بذلك عمر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب ، نقله عنهم القرطبي وغيره ونقله ابن جرير عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد.

وقال أبو نهيك الأسدي : غنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم آمنا به كل من عند ربنا ، والقول بأن الواو عاطفة مروي أيضا عن ابن عباس وبه قال مجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم. وممن انتصر لهذا القول وأطال فيه ابن فورك ونظير الآية في احتمال الاستئناف والعطف قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها... والبرق يلمع في الغمامة

فيحتمل أن يكون البرق مبتدأ والخبر يلمع كالتأويل الأول ، فيكون مقطوعا مما قبله ، ويحتمل أن يكون معطوفا على الريح ، ويلمع في موضع الحال على التأويل الثاني أي : لامعا.." <جامع لطائف التفسير، ٢٥٦/١١>

"أروني خطة لا عيب فيها... يسوي بيننا فيها السواء

والوقف التام – حينئذ – عند قوله : ﴿ من دون الله ﴾ ؛ لارتباط الكلام معنى وإعرابا.

الرابع : أن يكون " أن " وما في حيزها في محل رفع بالابتداء ، والخبر : الظرف قبله.

الخامس : جوز ابو البقاء أن يكون فاعلا بالظرف قبله ، وهذا إنما يتأتى على رأي الأخفش ؛ إذا لم يعتمد الظرف.

وحينئذ يكون الوقف على " سواء " ثم يبتدأ بقوله : ﴿ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ﴾ وهذا فيه بعد من حيث المعنى ، ثم إنهم جعلوا هذه الجملة صفة لـ " كلمة " ، وهذا غلط ؛ لعدم رابطة بين الصفة والموصوف ، وتقدير العائد ليس بالسهل.

وعلى هذا فقول أبي البقاء : وقيل : تم الكلام على " سواء " ، ثم استأنف ، فقال : ﴿ بيننا وبينكم ألا نعبد ﴾ ، أي : بيننا وبينكم التوحيد ، فعلى هذا يكون ﴿ ألا نعبد ﴾ مبتدأ ، والظرف خبره ، والجملة صفة لـ "

الكلمة " ، غير واضح ؛ لأنه – من حيث جعلها صفة – كيف يحسن أن يقول : تم الكلام على " سواء " ثم استأنف ؟ بل كان الصواب – على هذا الإعراب – أن تكون الجملة استئنافية – كما تقدم.

السادس : أن يكون : ﴿ ألا نعبد ﴾ مرفوعا بالفاعلية بـ " سواء " ، وإلى هذا ذهب الرماني ؛ فإن التقدير – عنده – إلى كلمة مستو فيها بيننا وبينكم عدم عبادة غير الله تعالى :

قال أبو حيان : " إلا أن فيه إضمار الرابط – وهو فيها – وهو ضعيف ". أ هـ ﴿تفسير ابن عادل حـ ٥ صـ ٢٩٦﴾

فائدة

قال ابن عادل :." <جامع لطائف التفسير، ١٤/٧٧>

"واعلم أن هذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد ، وذلك لأن الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله ، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا ، لأن ذلك سبب لمنفعة الخلق ، فهو شفقة على خلق الله ، ولما أمر الله به ، كان الوفاء به تعظيما لأمر الله ، فثبت أن العبارة مشتملة على جميع أنواع الطاعات والوفاء بالعهد ، كما يمكن في حق الغير يمكن أيضا في حق النفس لأن الوافي بعهد النفس هو الآتي بالطاعات والتارك للمحرمات ، لأن عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٨ صـ ٩١﴾

فائدة

قال ابن عادل :

قوله : ﴿ بلى ﴾ جواب لقولهم : " ليس " وإيجاب لما نفوه. وتقدم القول في نظيره.

قال ابن الخطيب : وعندي **الوقف التام** على " بلى " ثم استأنف.

وقيل : إن كلمة " بلى " كلمة تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده ؛ لأن قولهم : ليس علينا فيما نفعل جناح قائم مقام قولهم : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] فذكر – تعالى – أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى – لا غيرهم – وعلى هذا الوجه ، فلا يحسن الوقف على " بلى " اه.

و " من " شرطية ، أو موصولة ، والرابط بين الجملة الجزائية ، أو الخبرية هو العموم في ﴿ المتقين ﴾ وعند من يرى الربط بقيام الظاهر مقام المضمر يقول ذلك هنا.

وقيل : الجزاء ، أو الخبر محذوف ، تقديره : يحبه الله ، ودل على هذا المحذوف قوله : ﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾ وفيه تكلف لا حاجة إليه.." <جامع لطائف التفسير، ١٤/٢٥٢>

"﴿ قل انما اعظكم بواحدة ﴾ الوعظ زجر يقترن به تخويف

وقال عليه الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم اى ما انشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هى ﴿ ان تقوموا ﴾ من مجلس رسول الله A وتتفرقوا من مجمعكم عنده فالقيام على حقيقته بمعنى القيام على الرجلين ضد الجلوس ويجوز ان يكون بمعنى القيام بالامر والاهتمام بطلب الحق ﴿ لله ﴾ لاجله تعالى ورضاه لا للمراء والرياء والتقليد حال كونكم متفرقين ﴿ مثنى ﴾ اثنين اثنين ﴿ وفرادى ﴾ واحدا واحدا

قال الراغب الفرد الذى لا يختلط به غيره فهو اعم من الوتر واخص من الواحد وجمعه فرادى انتهى

وفى المختار الفرد الوتر وجمعه افراد وفرادى بالضم على غير القياس كأنه جمع فردان ﴿ ثم تتفكروا ﴾ التفكر طلب المعنى بالقلب : يعنى [تفكر جست وجوى دلست در طلب معنى] اى تتفكروا فى امره A فتعلموا ﴿ ما ﴾ نافية ﴿ بصاحبكم ﴾ المراد الرسول عليه السلام ﴿ من جنة ﴾ اى جنون يحمله على دعوى النبوة العامة كما ظننتم وفائدة التقييد بالاثنين والفرادى ان الاثنين اذا التجئا الى الله تعالى وبحثا طلبا للحق مع الانصاف هديا اليه وكذا الواحد اذا تفكر فى نفسه مجردا عن الهوى بخلاف كثرة الجمع فانه يقل فيهما الانصاف غالبا ويكثر الخلاف ويثور غبار الغضب ولا يسمع الانصرة المذهب . وفى تقديم مثنى ايذان بانه اوفق واقرب من الاطمئنان فان الاثنين اذا قعدوا بطريق المشاورة فى شأن الرسول عليه السلام وصحة نبوته من غير هوى وعصبية وعرض كل منهما محصول فكره على الآخر ادى النظر الصحيح الى التصديق ويحصل العلم على العلم

وفى الفتوحات المكية قدس الله سر صاحبها الواحدة ان يقوم الواعظ من اجل الله اما غيره واما تعظيما وقوله ﴿ مثنى ﴾ اى بالله ورسوله فانه من اطاع الرسول فقد اطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله لا عن هوى نفس ولا تعظيم كونى ولا غيره نفسية وقوله ﴿ وفرادى ﴾ اى بالله خاصة او برسوله خاصة انتهى هذا اذا علقت ﴿ ما بصاحبكم ﴾ بمحذوف كما قدر فلا يوقف اذا على تتفكروا ويجوز ان يكون **الوقف تاما** عند تفكروا على معنى ثم تتفكروا فى امره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته فقوله ﴿ ما بصاحبكم من جنة ﴾ استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالى بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب

ان تصدقوه فى دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ﴿ ان ﴾ ما ﴿ هو ﴾ صاحبكم ﴿ الا نذير لكم ﴾ مخوف لكم بلسان ينطق بالحق ﴿ بين يدى عذاب شديد ﴾ اى قدام عذاب الآخرة منك يصل اليك نفسه

وفى التأويلات النجمية ﴿ بين يدى عذاب شديد ﴾ فى الدنيا والآخرة لينجيكم منه والعذاب الشديد الجهل والنكرة والجحود والانكار والطرد واللعن من الله تعالى وفى الآخرة الحسرة والندامة والخجلة عند السؤال

وفى بعض الاخبار انه عذاب من يسألهم الحق فيقع عليهم من الخجل ما يقولون عنده عذبنا يا ربنا بما شئت من انواع العقوبة ولا تعذبنا بهذا السؤال." <تفسير حقي، ١١/٢٢٧>

"﴿ هو ﴾ اى الله تعالى وحده ﴿ الذى ارسل رسوله ﴾ يعنى ان الله تعالى بجلال ذاته وعلو شأنه اختص بارسال رسوله الذى لا رسول احق منه باضافته اليه ﴿ بالهدى ﴾ اى كونه ملتبسا بالتوحيد وهو شهادة ان لا اله الا الله فيكون الجار متعلقا بمحذوف او بسببه ولاجله فيكون متعلقا بأرسل ﴿ ودين الحق ﴾ اى وبدين الاسلام وهو من قبيل اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق والاصل الدين الحق والعذاب المحرق ومعنى الحق الثابت الذى هو ناسخ الاديان ومبطلها ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ اللام فى الدين للجنس اى ليعلى الدين الحق ويغلبه على جنس بجميع افراده التى هى الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان ولقد انجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولا يبقى الا مسلم او ذمة للمسلمين وكم ترى من فتوح اكثر البلاد وقهر الملوك الشداد ما تعرف به قدرة الله تعالى وفى الآية فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه سيفتح لهم من البلاد ويعطيهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وقد انجز كما اشير اليه آنفا . واعلم ان قوله ليظهره اثبات السبب الموجب للارسال فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا لان افعال الله تعالى ليست بمعللة بالاغراض عند الاشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما غرض له ﴿ وكفى بالله ﴾ اى الذين له الاحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ شهيدا ﴾ على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات وان لم يشهد الكفار وعن ابن عباس رضى الله عنهما شهد له بالرسالة وهو قوله ﴿ محمد رسول الله ﴾ فمحمد مبتدأ ورسول الله خبره وهو **وقف تام** والجملة مبينة للمشهود به وقيل محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله رسول الله بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله قال فى تلقيح الاذهان اعلم الله سبحانه محمدا عليه السلام

انه خلق الموجودات كلها من اجل اى من اجله اى من اجل ظهوره اى من اجل تجليه به حتى قال « ليس شئ بين السماء والارض الا يعلم انى رسول الله غير بنيى الانس والجن » وقال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره لما تجلى الله وجد جميع الارواح فوجد اولا روح نبينا A ثم سائر الارواح فلقن التوحيد فقال لا اله الا الله فكرمه الله بقوله محمد رسول الله فأعطى الرسالة فى ذلك الوقت ولذا قال عليه السلام." <تفسير حقي، ١٤/٣٩>

"وَكُلُّ نَعِيمٍ – لا مَحَالَةَ – زَائِلُ

وهذا كما يسمون الشيء بجزئه في الأعيان ، لأنه المقصود منه ، قالوا لرئيس القوم – وهو الذي ينظر لهم ما يحتاجون إليه – : عَيْن ، فأطلقوا عليه " عيناً ".

وقال بعضهم : وُضِعَ المفردُ موضعَ الجمع ، كما قال : [الطويل] ١٤٩٨ – بِهَا جِيَفُ الْحَسْرَى ، فَأمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ ، وَأمَّا جِلدُهَا فَصَلِيبُ

وقيل : أطلقت الكلمة على الكلمات ؛ لارتباط بعضها ببعضٍ ، فصارت في قوة الكلمة الواحدة – إذا اخْتلَّ جُزْءٌ منها اختلت الكلمةُ ؛ لأن كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – هي كلماتٌ لا تتم النسبة المقصودة فيها من حصر الإلهية في " الله " إلا بمجموعها.

وقرأ العامة " سَوَاءٍ " بالجر ؛ نعتاً لِ "كَلِمَةٍ " بمعنى عَدْلٍ ، ويدل عليه قراءة عبد الله : إلى كلمة عدل ، وهذا تفسير لا قراءة.

وسواء في الأصل – مصدر ، ففي الوصف التأويلات الثلاثة المعروفة ، ولذلك لم يُؤنث كما لم تؤنث بـ " امرأة عدل " ؛ لأن المصادر لا تُثَنَّى ، ولا تُجْمَع ، ولا تُؤنَّثُ ، فإذا فتحت السين مَدَدْتَ ، وإذا كسرتَ أو ضممت قصرت ، كقوله : ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه : ٥٨].

وقرأ الحسن " سَوَاءٌ " بالنصب ، وفيها وجهان : أحدهما : نصبها على المصدر.

قال الزمخشريُّ : " بمعنى : اسْتَوْتِ اسْتِوَاءً " ، وكذا الحوفيّ.

والثاني : أنه منصوب على الحال ، وجاءت الحالُ من النكرةِ ، وقد نصَّ عليه سيبويه.

قال أبو حيّان : " ولكن المشهور غيره ، والذي حسَّن مجيئَها من النكرة – هنا – كونُ الوَصْفِ بالمصدر على خلاف الأصل ، و الصفة والحال متلاقيان من حيث المعنى ".

وكأن أبا حيان غض من تخريج الزمخشريِّ و الحوفيّ ، فقال : " والحال والصفة متلاقيان من حيثُ المعنى ، والمصدر يحتاج إلى إضمار عاملٍ ، وإلى تأويل " سواء " بمعنى استواء ".

والأشهر استعمال " سَوَاء " بمعنى اسم الفاعل – أي : مُسْتوٍ.
قال شهاب الدين : " وبذلك فسَّرها ابن عباس ، فقال : إلى كَلِمَةٍ مُسْتَوِيَةٍ ".
٢٩٥
قوله : ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ فيه ستة أوجهٍ : أحدها : أنه بدل من " كَلِمةٍ " – بدل كل من كل.
الثاني : بدل من " سَوَاء " جوزه أبو البقاء ؛ وليس بواضح ، لأن المقصود إنما هو الموصوف لا صفته فنسبة البدلية إلى الموصوف أوْلَى ، وعلى الوجهين ف " أنْ " وما في حَيِّزها في محل جَرٍّ.
الثالث : أنه في محل رَفْع ؛ خبراً لمبتدأ مُضْمَرٍ ، والجملة استئناف ، جواب لسؤال مقدَّر ، كأنه لما قيل : ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ﴾ قال قائل : ما هي ؟ فقيل : هي أن لا نعبد إلا الله ، وعلى هذا الأوجه الثلاثة ف " بَيْنَ " منصوب ب " سَوَاءٍ " ظرفاً له ، أي : يقع الاستواء في هذه الجهة.
وقد صرَّح بذلك [الشاعر] ، حيث قال : [الوافر] ١٤٩٩ – أرُونِي خُطَّةً لا عَيبَ فيهَا
يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٤
والوقف التام – حينئذ – عند قوله : ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ؛ لارتباط الكلام معنًى وإعراباً.
الرابع : أن يكون " أنْ " وما في حَيِّزها في محل رفع بالابتداء ، والخبرُ : الظرفُ قبله.
الخامس : جوَّز ابو البقاء أن يكون فاعلاً بالظرف قبله ، وهذا إنما يتأتَّى على رأي الأخفش ؛ إذا لم يعتمد الظرفُ.
وحينئذ يكون الوقف على " سَوَاءٍ " ثم يبتدأ بقوله : ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ وهذا فيه بُعْدٌ من حيثُ المعنى ، ثم إنهم جعلوا هذه الجملة صفة ل " كَلِمةٍ " ، وهذا غلط ؛ لعدم رابطة بين الصفة والموصوف ، وتقدير العائد ليس بالسهل.
وعلى هذا فَقوْل أبي البقاء : وقيل : تم الكلامُ على " سَوَاءٍ " ، ثم استأنف ، فقال : ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ﴾ ، أي : بيننا وبينكم التوحيد ، فعلى هذا يكون ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ﴾ مبتدأ ، والظرف خبره ، والجملة صفة ل " الكلمة " ، غير واضح ؛ لأنه – من حيث جعلها صفة – كيف يحسن أن يقول : تم الكلام على " سَوَاءٍ " ثم استأنف ؟ بل كان الصواب – على هذا الإعراب – أن تكون الجملة استئنافية – كما تقدم.
السادس : أن يكون : ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ﴾ مرفوعاً بالفاعلية ب " سَوَاءٍ " ، وإلى هذا ذَهَب الرُّمَّانِيُّ ؛ فإن التقدير – عنده – إلى كلمة مستوٍ فيها بيننا وبينكم عدم عبادةُ غيرِ الله تعالى : قال أبو حيّان : " إلا أن فيه إضمارَ

الرابطِ – وهو فيها – وهو ضعيف ".
فصل لما أوْرَد صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران أنواعَ الدلائل ، دعاهم إلى الْمُبَاهَلَةِ فخافوا ، وما
٢٩٦
." <تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٠٩>
"" عَلَيْنَا " وحده هو الخبر ، و ﴿سَبِيلٍ﴾ مرتفع به على الفاعلية.
ويجوز أن يكون ﴿سَبِيلٍ﴾ اسم " ليس " والخبر أحد الجارين أعني : ﴿عَلَيْنَا﴾ أو ﴿فِي الأُمِّيِّينَ﴾.
ويجوز أن يتعلق ﴿فِي الأُمِّيِّينَ﴾ بالاستقرار الذي تعلق به " عَلَيْنَا " وجوّز بعضهم أن يتعلق بنفس " ليس " نقله أبو البقاء ، وغيرُه ، وفي هذا النقل نظر ؛ وذلك أن هذه الأفعال النواقص في عملها في الظروف خلاف ، وَبَنَوْا الخلافَ على الخلاف في دلالتها على الحدث ، فمن قال : تدل على الحدث جوز إعمالها في الظرف وشبهه ، ومن قال : لا تدل على الحدث منعوا إعمالها.
واتفقوا على أن " ليس " لا يدل على حدث ألبتة ، فكيف تعمل ؟ هذا ما لا يُعْقَل.
ويجوز أن يتعلق ﴿فِي الأُمِّيِّينَ﴾ بـ " سَبيلٌ " ، لأنه استعمل بمعنى الحرجِ ، والضمانِ ، ونحوها.
ويجوز أن يكون حالاً منه فيتعلق بمحذوف.
قال : فالأمي منسوب إلى الأم ، وسُمِّي النبي صلى الله عليه وسلم أمياً ؛ قيل : لأنه كان لا يكتب ، وذلك لأن الأمَّ : أصل الشيء فمن لا يكتب فقد بَقِي على أصله في أن لا يكتب.
وقيل : نسبة إلى مكة ، وهي أمُّ القُرَى.
قوله : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ فيه وجوهٌ : أحدها : هو قولهم : أن جواز الخيانةِ مع المخالف مذكور ف يالتوراة ، وكانوا كاذبين في ذلك ، وعالمين بكونهم كاذبين.
[ومن كان كذلك كانت خيانته أعظمَ ، وجرمُه أفحش] فيه.
وثانيها : أنهم يعلمون كون الخيانة مُحَرَّمَةٌ.
وثالثها : أنهم يعلمون ما على الخائن من الإثم.
فصل في رد شهادة الكافر قال القرطبيُّ : " دلَّت هذه الآيةُ على أنَّ الكافرَ لا يُجعل أهلاً لقبول شهادته ؛ لأن الله تعالى وصفه بالكذب ، وفي الآية رَدٌّ على الكَفَرَةِ الذين يُحَلِّلُون ويُحَرِّمون من غير تحليل الله وتحريمه ويجعلون ذلك من الشرع ، قال ابن العربيّ : ومِنْ هذا يخرج الرَّدُّ على مَنْ يحكم بالاستحسان مِن غير دليل ، ولست أعلم أحداً من أهل القبلةِ قاله ".

قوله : ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ يجوز أن يتعلق بالكذب – وإن كان مصدراً – لأنه يُتَّسَع في الظرف وعديله ما لا يُتَّسَع في غيرهما ومَنْ منع علَّقه بـ " يَقُولُونَ " متضمِّناً معنى يفترون ، فعُدِّي تعديته.

ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من " الْكَذِب " ، وقوله : ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ جملة حالية ، ومفعول العلم محذوف اقتصاراً ، أي : وهم من ذوي العلم ، أو اختصاراً ، أي : وهم يعلمون كذبهم وافتراءهم ، وهو أقبح لهم.

٣٣٧

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٢٩

قوله : ﴿بَلَى ﴾ جواب لقولهم : " لَيْسَ " وإيجاب لما نفوه.

وتقدم القول في نظيره.

قال ابن الخطيبِ : وعندي **الوقف التام** على " بَلَى " ثم استأنف.

وقيل : إن كلمة " بَلَى " كلمة تُذْكَر ابتداءً لكلام آخرَ يُذكَر بعده ؛ لأن قولَهم : ليس علينا فيما نفعل جناحٌ قائمٌ مقام قولهم : ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة : ١٨] فذكر – تعالى – أن أهل الوفاءِ بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى – لا غيرهم – وعلى هذا الوجه ، فلا يَحْسُن الوقف على " بَلَى " اهـ.

و " مَنْ " شرطية ، أو موصولة ، والرابط بين الجملة الجزائية ، أو الخبرية هو العموم في ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ وعند من يرى الربط بقيام الظاهر مقام المضمر يقول ذلك هنا.

وقيل : الجزاء ، أو الخبر محذوف ، تقديره : يحبه الله ، ودل على هذا المحذوف قوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وفيه تكلُّفٌ لا حاجةَ إليه.

قال القرطبيُّ : " مَنْ " رفع بالابتداء ، وهو شرط ، و " أَوْفَى " في موضع جزم " واتَّقَى " معطوف عليه ، واتقى الله ، ولم يكذب ، ولم يستحل ما حرم عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي يحب أولئك.

و " بعهده " يجوز أن يكون المصدر مضافاً لفاعله على أن الضمير يعود على " مَنْ ".

أو مضافاً إلى مفعوله على أنه يعود على " اللهِ " ويجوز أن يكون المصدر مضافاً للفاعل وإن كان الضمير لله تعالى وإلى المفعول وإن كان الضمير عائداً على " مَنْ " ومعناه واضح عند التَّأمُّلِ.

فإن قيل : بتقدير أن يكون الضميرُ عائداً إلى الفاعل ، وهو " مَنْ " فإنه يدل على أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانةَ ، فإنهم يكتسبونَ محبة اللهِ.

فالجواب أن الأمر كذلك ، فإنهم إذا وفوا بالعهود ، فأول ما يوفون به العهد الأعظم ، وهو ما أخذَ الله عليهم

في كتابهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وهو المراد بالعهد في هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً ، وَمَنْ كَانتْ فيه وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خصلَةٌ مِن النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إذا ائتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حدَّث كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَم فَجرَ ".

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٣٧

مما جاء في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوهٌ :

٣٣٨

." <تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٣٣>

"الثاني : أن ينتصب على الاختصاص ، قال الزمخشري : فعلى الأول لا محل " لِيُعْرَضُونَ " ؛ لكنه مفسراً ، وعلى الثاني هو حال كما تقدم.

فصل دلت هذه الآية على إثبات عذاب القبر ؛ لأن الآية تقتضي عرض النار عليهم غُدُوًّا وعَشِيًّا ، وليس المراد منه يوم القيامة ، لقوله بعده ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا اْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ، وليس المراد منه أيضاً الدنيا ؛ لأن عرض النار عليهم غدوًّا وعشياً ما كان حاصلاً في الدنيا فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت ، وقبل القيامة.

وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء ، وإذا ثبت في حقهم ثبت في غيرهم لأنه لا قائل بالفَرْقِ.

فإن قيل : لا يجوز أن يكون المراد من عرض النار عليهم غدواً وعشياً عرض القبائح عليهم في الدنيا لأن أهل الدين إذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب ، وخوّفهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار.

ثم في الآية ما يمنع حمله على عذاب القبر وبيانه من وجهين : أحدهما : أن ذلك العذاب يجب أن يكون دائماً غير منقطع.

وقوله : ﴿عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ يقتضي أن لا يحصُلَ ذلك العذاب إلا في هذين الوقتين فثبت أن هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر.

الثاني : أن الغدوةَ والعشيةَ إنما يحصلان في الدنيا ، أما في القيامة فلا وجود لهما ، فثبت أنه لا يمكن حمل هذه الآية على عذاب القبر.

والجواب على الأول : أن في الدنيا عرض عليهم الكلمات التي تذكرهم أمر النار ، ولم يعرض عليهم نفس الناس ، وهذا الظاهر الآية ، وارتكاب المجاز ، وأما قولهم : الآية تدل على حصول العذاب في هذين الوقتين وذلك لا يجوز فالجواب لِمَ لا يجوز أن يكتفى في القبر بإيصال العذاب إليه في هذين الوقتين ، ثم عند قيام

يُلْقَى فِي النار ، فيدوم عذاب حينئذٍ ، وأيضاً لا يمتنع أن يكون ذكر الغَدْوَةِ والعشية كناية عن الدوام ، كقوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ [مريم : ٦٢] وأما قولهم : إنه ليس في القبر والقيامة غدوة وعشية قلنا : لِمَ لا يجوز أن يقال : إن (عند) حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا يعرض عليهم العذاب.
٦٢
فصل قال ابنُ مَسعُود . رضي الله عنه . أرواح آل فرعون في أجْوَاف طيرٍ سُودٍ يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدوا وتروح إلى النار ، يقال : يا آل فرعونن هذه منازلكم.
وقال قتادة ، والسدي والكلبي : تعرض روح كل كافر على النار بُكْرَةً وعَشِيًّا ما دامتْ الدنيا.
وروى ابنُ عُمَرَ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . " أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : إن أحَدَكُم إذَا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغَدَامةِ والْعَشِيّ إنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وإنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّار ؟ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فيقال : هذا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامةَ ".
قوله : " وَيَوْمَ تَقُومُ " فيه ثلاثة أوجهٍ : أظهرها : أنه معمول لقول مضمر ، وذلك القوم المضمر محكي به الجملة الأمرية من قوله : " أَدْخِلُوا ، والتقدير : يقال لهم يوم تقوم الساعة : أَدْخِلُوا.
الثاني : أنه منصوب " بأدْخِلُوا " أي أدخلوا يوم تقوم ، وعلى هذه الوجهين ، **فَالْوقَفُ تامٌّ** على قوله : " وَعَشِيًّا ".
الثالث : أنه معطوف على الظرفين قبله ، فيكون معمولاً لِيُعْرَضَونَ ، والوقف على هذا قوله : " الساعة ".
و " ادخلوا " معمول لقول مضمر ، أي يقال لهم كذا.
وقرأ الكسائيُّ وحمزةٌ ونافعٌ وحفصٌ أدْخِلُوا بقط الهمزة وكسر الخاء ، أي يقال للملائكة أدخلوا ، أمْراً من " أَدْخَلَ " " فآل فرعون " مفعولٌ أول ، و " أشد العذاب " مفعول ثانٍ ، والباقون بهمزة وصل ، من دَخَلَ يَدْخُلُ ، فآل فِرْعونَ منادَى حذف حرف الناء منه و " أَشَدّ " منصوب به ، إما ظرفاً ، وإما مفعولاً به.
أي ادخلوا يا آل فِرْعَون في أشد العذاب.
قال ابن عباس . رضي الله عنهما . يريد ألوان العذاب ، غير العذاب الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا.
جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٥٧
." <تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٠٧>
"وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب.
وقال مقاتل : لكل حديث منتهى.

وقيل: كل ما قدر كائن وواقع لا محالة.

[٤] ﴿ ولقد جاءهم ﴾ ، يعني أهل مكة، ﴿ من الأنباء ﴾ ، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ ، مصدر بمعنى الازدجار، أي نهي وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله مزتجر، قلبت التاء دالا.

[٥] ﴿ حكمة بالغة ﴾ ، يعني: القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، ﴿ فما تغن النذر ﴾ ، يجوز أن تكون (ما) نفيا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاما، والمعنى: فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ ، والنذر جمع نذير.

[٦] ﴿ فتول عنهم ﴾ ، أي أعرض عنهم، نسختها آية القتال.

قيل: ههنا **وقف تام**.

وقيل: فتول عنهم.

﴿ يوم يدعو الداعي ﴾ ، أي إلى يوم الداعي، قال مقاتل : هو إسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس، ﴿ إلى شيء نكر ﴾ ، منكر فظيع لم يروا مثله فينكروه استعظاما.." <مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٧/٢٨٤>

"ما أنشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة هي ﴿أن تقوموا﴾ من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتفرقوا من مجمعكم عنده فالقيام على حقيقته بمعنى القيام على الرجلين ضد الجلوس ويجوز أن يكون بمعنى القيام بالأمر والاهتمام بطلب الحق لأجله تعالى ورضاه لا للمراء والرياء والتقليد حال كونكم متفرقين ﴿مثنى﴾ اثنين اثنين ﴿وفرادى﴾ واحدا واحدا.

قال الراغب : الفرد الذي لا يختلط به غيره فهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى انتهى.

وفي "المختار" الفرد الوتر وجمعه أفراد وفرادى بالضم على غير القياس كأنه جمع فردان ﴿ثم تتفكروا﴾ التفكر طلب المعنى بالقلب يعني : (تفكرجست وجودى دلست در طلب معنى) أي : تتفكروا في أمره صلى الله عليه وسلم فتعلموا ﴿مآ﴾ نافية ﴿بصاحبكم﴾ المراد الرسول عليه السلام ﴿من جنة﴾ أي : جنون يحمله على دعوى النبوة العامة كما ظننتم وفائدة التقييد بالاثنين والفرادى أن الاثنين إذا التجئا إلى الله تعالى وبحثا طلبا للحق مع الإنصاف هديا إليه وكذا الواحد إذا تفكر في نفسه مجردا عن الهوى بخلاف كثرة الجمع فإنه يقل فيها الإنصاف غالبا ويكثر الخلاف غبار الغضب ولا يسمع إلا نصرة المذهب.

وفي تقديم مثنى إيذان بأنه أوفق وأقرب من الاطمئنان فإن الاثنين إذا قعدا بطريق المشاورة في شأن الرسول

عليه السلام وصحة نبوته من غير هوى وعصبية وعرض كل منهما محصول فكره على الآخر أدى النظر الصحيح إلى التصديق ويحصل العلم عن العلم.

وفي "الفتوحات المكية" قدس الله سر صاحبها الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله إما غيرة وإما تعظيما وقوله : ﴿مثنى﴾ أي : بالله ورسوله فإنه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله لا عن هوى نفس ولا تعظيم كوني ولا غيرة نفسية وقوله : ﴿وفرادى﴾ أي : بالله خاصة أو برسوله خاصة انتهى هذا إذا علقت ﴿ما بصاحبكم﴾

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٨

بمحذوف كما قدر فلا يوقف إذا على تتفكروا ويجوز أن يكون **الوقف تاما** عند تتفكروا على معنى ثم تتفكروا في أمره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته فقوله : ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه إلا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وإذ قد علمتم أنه عليه السلام أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ﴿ءان﴾ ما ﴿هو﴾ صاحبكم ﴿إلا نذير لكم﴾ مخوف لكم بلسان ينطق بالحق ﴿بين يدى عذاب شديد﴾ أي : قدام عذاب الآخرة إن عصيتموه لأنه مبعوث في نسم الساعة أي : أولها وقربها وذلك لأن النسم النفس ومن قرب منك يصل إليك نفسه.

وفي "التأويلات النجمية" : ﴿بين يدى عذاب شديد﴾ في الدنيا والآخرة لينجيكم منه والعذاب الشديد الجهل والنكرة والجحود والإنكار والطرد واللعن من الله تعالى وفي الآخرة الحسرة والندامة والخجلة عند السؤال.

وفي بعض الأخبار : أنه عذاب من يسألهم الحق فيقع عليهم من الخجل

٣٠٧

ما يقولون عنده عذبنا يا ربنا بما شئت من أنواع العقوبة ولا تعذبنا بهذا السؤال.

﴿قل مآ﴾ أي : شيء ﴿سألتكم من أجر﴾ جعل على تبليغ الرسالة ﴿فهو لكم﴾ والمراد نفي السؤال رأسا يعني : (هي أجرى نخواهم) كقول من قال لمن لم يعطه شيئا أن أعطيتني شيئا فخذه.

وقال بعضهم لما نزل قوله تعالى : ﴿قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى﴾ قال عليه السلام لمشركي مكة "لا تؤذوني في قرابتي" فكفوا عن ذلك فلما سب آلهتهم قالوا : لن ينصفنا يسألنا أن لا نؤذيه في قرابته

وهو يؤذينا بذكر آلهتنا بسوء فنزل ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ إن شئتم آذوهم وإن شئتم امتنعوا ﴿إن أجرى﴾ أي : ما أجري وثوابي ﴿إلا على الله﴾ فإنما أطلب ثواب الله لا عرض الدنيا ﴿وهو على كل شىء شهيد﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوصي نيتي.

وفيه إشارة إلى أنه من شرط دعوة الخلق إلى الله أن تكون خالصة لوجه الله لا يشوبها طمع في الدنيا والآخرة ، قال الشيخ سعدي قدس سره :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٨

زيان ميكند مرد تفسير دان

كه علم وأدب ميفروشد بنان

كجا عقل با شرع فتوى دهد

كه اهل خرد دين بدنيا دهد

." <تفسير روح البيان . ، ٧/٢٤٠>

"الكعبة اضمحل عندي كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت وأحرمت وها أنا أطلبك يومي فالتفت إلي إبراهيم وقال : يا حامد انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبنا حتى مات بين الفقراء ومن الله الهداية والتوفيق ﴿هو﴾ أي الله تعالى وحده ﴿الذى أرسل رسوله﴾ يعني إن الله تعالى بجلال ذاته وعلو شأنه اختص بإرسال رسوله الذي لا رسول أحق منه بإضافته إليه ﴿الهدى﴾ أي كونه ملتبسا بالتوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله فيكون الجار متعلقا بمحذوف أو بسببه ولأجله فيكون متعلقا بأرسل ﴿ودين الحق﴾ أي وبدين الإسلام وهو من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته مثل عهذا بالحريق والأصل الدين الحق والعذاب المحرق ومعنى الحق الثابت الذي هو ناسخا لأديان ومبطلها ﴿ليظهره على الدين كله﴾ اللام في الدين للجنس أي ليعلى الدين الحق ويغلبه على جنس الدين بجميع أفراده التي هي الأديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الأحكام المتبدلة بتبدل الأعار وإظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الأديان ولق أنجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام ولا يبقى إلا مسلم أو ذمة للمسلمين وكم ترى من فتوح أكثر البلاد وقهر الملوك الشداد ما تعرف به قدرة الله تعالى وفي الآية فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سيفتح لهم من البلاد ويعطيهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة وقد أنجز كما أشير إليه آنفاء.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢

واعلم أن قوله ليظهره إثبات السبب الموجب للإرسال فهذه اللام لام الكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا لأن أفعال الله تعالى ليست بمعللة بالأعراض عند الأشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له ﴿وكفى بالله﴾ أي الذين له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿شهيدا﴾ على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه السلام بإظهار المعجزات وإن لم يشهد الكفار وعن ابن عباس رضي الله عنهما شهد له بالرسالة وهو قوله : ﴿محمد رسول الله﴾ فمحمد مبتدأ ورسول الله خبره وهو **وقف تام** والجملة مبينة للمشهود به وقيل محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله رسول الله بدل أو بيان أو نعت أي ذلك الرسول المرسل بالهدي ودين الحق محمد رسول الله قال في تلقيح الأذهان : أعلم الله سبحانه محمدا عليه السلام أنه خلق الموجودات كلها من أجله أي من أجل ظهوره أي من أجل تجليه به حتى قال : ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله غير عاصي الإنس والجن وقال الشيخ الشهير : فاتاده قدس سره لما تجلى الله وجد جميع الأرواح فوجد أولا روح نبينا صلى الله عليه وسلم ثم سائر الأرواح فلقن التوحيد فقال : لا إله إلا الله فكرمه الله بقوله : محمد رسول الله فأعطى الرسالة في ذلك الوقت ولذا قال عليه السلام : كنت نبيا وآدم بين الماء والطين انتهى ومعنى الحديث أنه كان نبيا بالفعل ولا عالما بنبوته إلا حين بعث بعد وجوده ببدنه العنصري واستكمال شرائط النبوة فكل من بدا بعد وجود المصطفى عليه السلام فهم نوابه وخلفاؤه مقدمين

٥٥

كالأنبياء والرسل أو مؤخرين كأولياء الله الكمل قال عليه السلام : "أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري فهو الجنس العالي والمقدم وما عداه التالي والمؤخر كما قال كنت أولهم خلقا وآخرهم بعثا" فرسول الله هو الذي لا يساوي رسول لأنه رسول إلى جميع الخلق من أدرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل بالآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد أخذ على الأنبياء كلهم المثاق بأن يؤمنوا به أن أدركوه وأخذه الأنبياء على أممهم وي الحديث أنا محمد وأحمد ومعنى محمد كثير الحمد فإن أهل السماء والأرض حمدوه ومعنى أحمد أعظم حمدا من غير لأنه حمد الله بمحامد لم يحمد بها غيره كما في شرح المشارق لابن الملك.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢

قال الجامي :

محمدت ون بلا نهايه زحق

يافت شد نام آواز ان مشتق

." <تفسير روح البيان . ، ٤٦/٩>

" وقال ابو اسحاق معنى ابتغائهم تأويله انهم طلبوا تأويل بعثهم واحيائهم فاعلم الله عز و جل ان تأويل ذلك ووقته لا يعلمه الا الله

قال والدليل على ذلك قوله هل ينظرون الا تأويله يوم ياتي تأويله أي يوم يرون ما وعدوا به من البعث والنشور والعذاب يقول الذين نسوه أي تركوه قد جاء ت رسل ربنا بالحق أي قد رأينا تأويل ما انبأتنا به الرسل

قال **والوقف التام** وما يعلم تأويله الا الله أي يعلم احد متى البعث غير الله

وقوله جل وعز ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا

أي لا تبتلينا بما نزيغ به أي يقولون هذا ويجوز ان يكون المعنى قل يا محمد ." <معاني القرآن، ٣٥٥/١>

"ج ٢ ، ص : ١٢٠

لجميع أجزاء الأرض أي لا تحسبنهم معجزين الله تعالى عن إدراكهم بالإهلاك في قطر من أقطار الأرض وإن هربوا كل مهرب.

وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على الغيبة ، والفاعل ضمير يعود على ما دل عليه شأن الكلام ، أي لا يحسبن حاسب إلخ فإنهم مدركون ومأواهم النار في الآخرة ولبئس المصير (٥٧) أي والله لبئس المرجع هي ، يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أي العبيد الصغار في الدخول.

وعن ابن عباس ليس للكبير من المماليك أن ينظر إلا إلى ما يجوز للحر أن ينظر إليه.

وقال ابن المسيب : لا ينبغي للمرأة أن ينظر عبدها إلى قرطها. وشعرها. وشيء من محاسنها وقال الآخرون : بل للبالغ من المماليك أن ينظر إلى شعر مالكته وما شابهه والذين لم يبلغوا الحلم منكم أي من الأحرار ، وهم الصبيان الذين حكوا عورات النساء وميزوا بين الجميلة وغيرها ، وظاهر الآية أمر المماليك والأطفال الأحرار بالاستئذان ، وفي الحقيقة أمر الأولياء بتأديبهم فإن المقصود أمر المؤمنين بأن يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم في هذه الأوقات الثلاث من غير إذن لو كان المقصود أمرهم للزم تكليفهم ولما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه ثلاث مرات أي ثلاثة أوقات في اليوم والليلة ، فيكفيهم أن يستأذنوا في كل واحد من هذه الأوقات مرة واحدة فثلاث مرات منصوب على الظرف الزماني أو على المصدرية ، أي ثلاثة استئذانات ، ثم بين الأوقات فقال : من قبل صلاة الفجر لأنه وقت للقيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ، ولبس ثياب

اليقظة ، وهذا في محل نصب على أنه بدل من ثلاث مرات ، أو في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي أحدها من قبل إلخ.

وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة أي وحين تخلعون ثيابكم التي تلبسونها بين الناس ، لأجل القيلولة – وهي شدة الحر عند انتصاف النهار – ف «من» بيان ل «حين» ، أو تعليل ل «تضعون» ، أي من أجل حر وقت الاستواء ومن بعد صلاة العشاء ، لأنه وقت التجرد عن ثياب اليقظة والالتحاف باللحاف ثلاث عورات لكم بالرفع خبر مبتدأ مقدر و«لكم» صفة ، أي هي ثلاثة انكشافات كائنة لكم ، أو مبتدأ وخبر أي ثلاث عورات مخصوصة لكم بالاستئذان ، وعلى هذا فالوقف على العشاء هو وقف كاف – وقرأ أهل الكوفة بالنصب على البدل من ثلاث مرات وكأنه قيل : في أوقات ثلاث عورات لكم ، و على هذا فالوقف على لكم وهو **وقف تام** ليس عليكم في تمكينهم من الدخول عليكم ولا عليهم في ترك الاستئذان في الدخول ، جناح أي إثم بعدهن أي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وإنما أباح الله تعالى ذلك في الأوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن لما في العادة أنه لا تكشف العورة فيها طوافون عليكم أي لأنهم يكثرون التردد عليكم بالدخول والخروج للخدمة ، فلو كلفتم الاستئذان في كل طوفة لضاق الأمر عليكم بعضكم على بعض أي كما أن." <مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد، ١٢٠/٢>
"ج ٢ ، ص : ٢٩٩

وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو على أنها معطوفة على الضمير في «مبعوثون».

والباقون بفتحها على أنها همزة الاستفهام دخلت على واو العطف ، فالمعنى أو تبعث آباؤنا ويقال أو آباؤنا الأولون مبعوثون أيضا ، أي أن القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة ويقولون : من مات وصار ترابا وتفرقت أجزاؤه في العالم كيف يعقل عوده بعينه ، وبلغوا هذا الاستبعاد إلى حيث كانوا يستسخرون ممن سلك هذا المذهب الحق. قل لهم تبكيتا : نعم وأنتم داخرون (١٨) أي نعم تبعثون أنتم وآباؤكم الأولون حال كونهم وهم ذليلين حقيرين ، فإنما هي زجرة واحدة أي لا تستبعدوا البعث ، لأنه إنما هي صيحة واحدة فإذا هم أي الخلائق قائمون من مراقدهم أحياء ينظرون (١٩) أي يبصرون كما كانوا ، وينتظرون ما يفعل بهم وقالوا أي الكفار إذا قاموا من القبور : يا ويلنا أي يا هلاكنا احضر ، فهذا أوان حضورك. هذا يوم الدين (٢٠) أي هذا اليوم الذي نجازي فيه بأعمالنا

هذا يوم الفصل أي يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين الذي كنتم في الدنيا به أي بهذا اليوم تكذبون (٢١).

والوقف على «ويلنا» تام إن جعل هذا يوم الدين من كلام الملائكة جوابا لهم ، فالمعنى : هذا يوم جزاء

الأعمام وإن جعل من كلام الكفار ، لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويجزون بأعمالهم ، **فالوقف التام** على يوم الدين لأن هذا يوم الفصل إلى آخره من كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ. وقيل : هو من كلام بعضهم لبعض فيقول الله للملائكة : احشروا الذين ظلموا أي رؤساء الكفار من مقامهم إلى الموقف وأزواجهم أي أحزابهم ونظراءهم من الكفرة. وقيل : قرناؤهم من الشياطين. وقيل : نساؤهم اللاتي على دينهم. وما كانوا يعبدون (٢٢) من دون الله أي من غيره من الأصنام ونحوها ، فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) أي سوقوهم إلى طريق جهنم وقفوهم أي احبسوهم في الموقف أو على النار ، إنهم مسؤلون (٢٤) عن عقائدهم وأعمالهم. وقيل : المراد سألتهم خزنة النار بنحو قولهم :

ألم يأتكم رسل منكم بالبينات. قالوا : بلى.

وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام العلة ، أي قفوهم لأجل سؤال الله إياهم وتقول لهم خزنة جهنم : ما لكم لا تناصرون (٢٥) أي أي شيء لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا - كما قاله ابن عباس - وذلك لأن أبا جهل قال يوم بدر : نحن جميع منتصر. فيقال لهم يوم القيامة : ما لكم غير متناصرين كما كنتم تزعمون في الدنيا ، بل هم اليوم مستسلمون (٢٦) أي منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم في دفع تلك المضار ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٧) أي يتخاصمون. يقول الأتباع : غررتمونا ، ويقول الرؤساء : لم قبلتم منا.

قالوا أي الاتباع للرؤساء إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين (٢٨) أي عن القوة والقهر وتقصدوننا عن الغلبة حتى تحملونا على الضلال ، أو عن الحلف فإن أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم إليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم. قالوا أي الرؤساء للأتباع : ." <مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، ٢٩٩/٢>

"ج ٢ ، ص : ٥١٦

ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم فنزلت هذه الآية.

وروي أن سارة عاشت إلى خلافة عمر وأسلمت وحسن إسلامها ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق أي وحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الدين الحق. وقرئ «لما جاءكم» أي كفروا لأجل ما جاءكم من الرسول والقرآن ، أي جعلوا ما هو سبب الإيمان سببا للكفر يخرجون الرسول وإياكم من مكة إلى المدينة ، أن تؤمنوا بالله ربكم وهذا تعليل للإخراج أن يخرجوكم لإيمانكم بالله إن كنتم خرجتم من مكة إلى المدينة جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي وهذا مرتبط بلا تتخذوا ، أي لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي تسرون إليهم بالمودة ، أي بالنصيحة.

وهذه الجملة بدل من «تلقون إليهم» بدل بعض لأن إلقاء المحبة يكون سرا وجهرا وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم أي والحال إني أعلم منكم بما أخفيتم في صدوركم ، وما أظهرتم بألسنتكم ، فأي فائدة لكم في إسرار النصيحة وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي؟ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل (١) أي ومن يفعل إسرار النصيحة للكفار فقد أخطأ طريق الصواب ، هذا كله معاتبة لحاطب ، وهذا يدل على فضله وصدق إيمانه ، فإن المعاتبة لا تكون إلا من محب لحبيب كما قال القائل من الوافر :

إذا ذهب العتاد فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء أي إن يغلب عليكم أهل مكة يظهروا ما في قلوبهم من غاية العداوة ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي يمدوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل وألسنتهم بالشتم والطعن وودوا لو تكفرون (٢) ، أي وتمنوا كفركم بعد إيمانكم ، فحينئذ لا ينفعكم إلقاء المودة إليهم ، لن تنفعكم أرحامكم أي قراباتكم ولا أولادكم الذين تتقربون إلى المشركين لأجلهم ، يوم القيامة يفصل بينكم والظرف إن علق ب «يفصل» فالوقف على «أولادكم» وقف بيان ، أو **وقف تام** عند أبي حاتم ، والوقف على «بينكم» وإن علق ب «تنفعكم» فالوقف على «يوم القيامة» وهو وقف صالح. وقرأ ابن عامر «يفصل» بضم وفتح الفاء وتشديد الصاد مع فتحها ، ونائب الفاعل ظرف مبني على الفتح وحمزة والكسائي كذلك ، إلا أنهما يكسران الصاد ، أي يفرق الله بينكم وبين أقاربكم وأولادكم ، فيدخل أهل الإيمان الجنة وأهل الكفر النار ، وعاصم بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد. والباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وسكون الفاء ، وفتح الصاد.

وروي أن ابن كثير قرأ أيضا بالبناء للمفعول كعاصم. وقرئ «نفصل» و«نفصل» بالنون والله بما تعملون بصير (٣) فيجازيكم عليه ، ولم يقل تعالى خبير مع أنه أبلغ في العلم ، لأن البصير أظهر من خبير في العلم ، لأنه تعالى يجعل عملهم كالمحسوس بحس البصر ، قد كانت لكم أسوة حسنة أي قدوة حسنة في إبراهيم ، أي في جميع أحواله من قول وفعل والذين معه من أصحابه المؤمنين.." <مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، ٥١٦/٢>

"ج ٢ ، ص : ٥٦٣

إذا طيرته الريح ، ولا يسئل حميم حميما (١٠) أي لا يسأل قريب قريبه عن أحواله كيف حالك ، ولا يكلمه ، لأن لكل أحد ما يشغله عن هذا الكلام ، أو لا يسأل حميم عن حميمه ليتعرف شأنه من جهته فلا يقال : لحميم أين حميمك؟

يبصرونهم أي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه.

وقرئ «يبصرونهم» أي يرونهم ولا يعرفونهم اشتغالا بأنفسهم ، يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه (١١) وصاحبته وأخيه (١٢) وفصيلته التي تؤويه (١٣) ومن في الأرض جميعا ، أي يتمنى المشرك أن يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأولاده وزوجته وأخيه ، وأقاربه الأقربين الذين فصل عنهم ، وينتهي إليهم التي تضمه في النسب وتحميه في النوائب ومن في الأرض جميعا من الخلائق وقرأ نافع والكسائي «يومئذ» بفتح الميم على البناء لإضافة يوم إلى مبني. والباقون بكسرها على الإعراب على الأصل في الأسماء. وقرئ «من عذاب يومئذ» بتنوين «عذاب» ونصب «يومئذ» ب «عذاب» لأنه في معنى تعذيب ، ثم ينجيه (١٤) معطوف على يفتدي ، أي يتمنى الكافر أن يفتدي نفسه بهذه الأشياء ثم أن ينجيه ذلك الافتداء ، كلا وهذا هنا إما بمعنى حقا ، فحينئذ كان الوقف على «ينجيه» وهو **وقف تام**. وإما بمعنى لا فحينئذ كان الوقف على «كلا» وهو **وقف تام** ، وهذا أولى ، ولا يجمع بينهما في الوقف بل الوقف في أحدهما فقط أي لا ينفعه ذلك الافتداء ولا ينجيه من العذاب ، إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦).

وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص ، أو على حال مؤكدة ، والكناية عائدة على النار لدلالة لفظ العذاب عليها ، وقرأ الباقون بالرفع فتجعل الكناية حرف عماد و«لظى» اسم «إن» و«نزاعة» خبرها ، كأنه قيل : إن لظى نزاعة ، أو تجعل ضمير القصة وهو اسم إن و«لظى» مبتدأ و«نزاعة» خبرا ، والجملة خبر عن «إن» والتقدير : أن القصة لظى نزاعة للشوى أي قلاعة للأعضاء التي في أطراف الجسد ، ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا فلا تترك لحما ولا جلدا إلا أحرقته تدعوا من أدبر عن الطاعة وتولى (١٧) عن الإيمان وجمع فأوعى (١٨) أي جمع المال فجعله في وعاء ولم يؤد حقوقه ، أي إن النار تدعوهم بلسان الحال أو أن الله تعالى يخلق الكلام في جرم النار حتى تقول صريحا : إلي يا كافر إلي يا منافق ، ثم تلتقطهم الحب فقوله تعالى : أدبر وتولى ، إشارة إلى الإعراض عن معرفة الله تعالى وطاعته وقوله : وجمع إشارة إلى الحرص وقوله : فأوعى إشارة إلى طول الأمل وهذه مجامع آفات الدين. إن الإنسان خلق هلوعا (١٩) أي جبل جبلة هو فيها قلة الصبر وشدة الحرص إذا مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١) ، أي إذا أصابه الفقر والمرض ونحوهما صار جازعا شاكيا ،

وإذا أصابه السعة والصحة صار مانع المعروف شحيحا بماله ، غير ملتفت إلى الناس ، وإنما ذم الله الإنسان على ذلك ، لأنه قاصر النظر عن الأحوال الجسمانية العاجلة ، فالواجب عليه أن يكون مشغولا بأحوال."

<مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد، ٢/٥٦٣>

" فلما سمعت تفويضهم الأمر إليها ٣٤ - ﴿ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾ أي إذا دخلوا قرية من القرى خربوا مبانيها وغيروا مغانيها وأتلفوا أموالها وفرقوا شمل أهلها ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أي أهانوا أشرافها وحطوا مراتبهم فصاروا عند ذلك أذلة وإنما يفعلون ذلك لأجل أن يتم لهم الملك وتستحكم لهم الوطأة وتقرر لهم في قلوبهم المهابة قال الزجاج : أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة والمقصود من قولها هذا تحذير قومها من مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم وقد صدقها الله سبحانه فيما قالت فقال سبحانه : ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ أي مثل ذلك الفعل يفعلون قال ابن الأنباري : الوقف على قوله : ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ **وقف تام** فقال الله عز و جل تحقيقا لقولها : ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ وقيل هذه الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة وبينت لهم ما في دخول الملوك إلى أرضهم من المفسدة أوضحت لهم وجه الرأي عندها وصرحت لهم بصوابه ." <فتح القدير، ٤/١٩٦>

" ٩ - ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ قرأ الجمهور ﴿ لتؤمنوا ﴾ بالفوقية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتحتية فعلى القراءة الأولى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم ولأمته وعلى القراءة الثانية المراد المبشرين والمنذرين وانتصاب شاهدا ومبشرا ونذيرا على الحال المقدرة ﴿ وتعزروه وتوقروه وتسبحوه ﴾ الخلاف بين القراء في هذه الثلاثة والأفعال كالخلاف في لتؤمنوا كما سلف ومعنى تعزروه : تعظموه وتفخموه قاله الحسن والكلبي والتعزيز : التعظيم والتوقير وقال قتادة : تنصروه وتمنعوا منه وقال عكرمة : تقاتلوا معه بالسيف ومعنى توقروه : تعظموه وقال السدي : تسودوه قيل والضميران في الفعلين للنبي صلى الله عليه و سلم وهنا **وقف تام** ثم يبتدئ وتسبحوه : أي تسبحوا الله عز و جل ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ أي غدوة وعيشة وقيل الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة عز و جل فيكون معنى تعزروه وتوقروه : تثبتون له التوحيد وتنفون عنه الشركاء وقيل تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله وفي التسبيح وجهان أحدهما التنزيه له سبحانه من كل قبيح والثاني الصلاة ." <فتح القدير، ٥/٦٨>

"فاستدل بإجماعهم على أنه لا يجوز التأويل، وجعل **الوقف التام** على / قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، ذكر ذلك في : [النظامية في الأركان الإسلامية] .

وهذه طريقة عامة المنتسبين إلى السنة . يرون التأويل مخالفا لطريقة السلف . وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع، وذكر لفظ [التأويل] وما فيه من الإجمال، والكلام على قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ، وأن كلا القولين حق .

فمن قال : لا يعلم تأويله إلا الله، فأراد به ما يؤول إليه الكلام من الحقائق التي لا يعلمها إلا الله . ومن قال

: إن الراسخين في العلم يعلمون التأويل، فالمراد به تفسير القرآن الذي بينه الرسول والصحابة .

وإنما الخلاف في لفظ [التأويل] على المعنى المرجوح، وأنه حمل اللفظ على الاحتمال المرجوح دون الراجح لدليل يقترن به . فهذا اصطلاح متأخر، وهو التأويل الذي أنكره السلف والأئمة . تأويلات أهل البدع .

وكذلك يقول أحمد في [رده على الجهمية] : الذين تأولوا القرآن على غير تأويله . وقد تكلم أحمد على متشابه القرآن وفسره كله .

/ ومنه تفسير متفق عليه عند السلف، ومنه تفسير مختلف فيه .

وقد ذكر الجد أبو عبد الله في تفسيره من جنس ما ذكره البغوي، لا من جنس ما ذكره ابن الجوزي، فقال : ." <مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٣٧٧>

"وهؤلاء مساكين لما رأوا المشهور عن جمهور السلف من الصحابة/والتابعين لهم بإحسان أن **الوقف** **التام** عند قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ [آل عمران : ٧] وافقوا السلف، وأحسنوا في هذه الموافقة؛ لكن ظنوا أن المراد بالتأويل هو معنى اللفظ وتفسيره، أو هو التأويل الاصطلاحي الذي يجري في كلام كثير من متأخري أهل الفقه والأصول، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، فهم قد سمعوا كلام هؤلاء وهؤلاء، فصار لفظ التأويل عندهم هذا معناه .

ولما سمعوا قول الله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ظنوا أن لفظ التأويل في القرآن معناه هو معنى لفظ التأويل في كلام هؤلاء، فلزم من ذلك أنه لا يعلم أحد معنى هذه النصوص إلا الله، لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما، بل كل من الرسولين على قولهم يتلو أشرف ما في القرآن من الإخبار عن الله بأسمائه وصفاته، وهو لا يعرف معنى ذلك أصلا، ثم كثير منهم يذمون ويبطلون تأويلات أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهما، وهذا جيد، لكن قد يقولون : تجرى على ظواهرها، وما يعلم تأويلها إلا الله، فإن عنوا بظواهرها ما يظهر منها من المعانى، كان هذا مناقضا لقولهم : إن لها تأويلا يخالف ظاهرها لا يعلمه إلا الله، وإن عنوا بظواهرها مجرد الألفاظ، كان معنى كلامهم أنه يتكلم بهذه الألفاظ، ولها باطن يخالف ما ظهر منها، وهو التأويل، وذلك لا يعلمه إلا الله .

وفيهم من يريد بإجرائها على ظواهرها هذا المعنى، وفيهم من يريد/الأول، وعامتهم يريدون بالتأويل المعنى الثالث، وقد يريدون به الثاني، فإنه أحيانا قد يفسر النص بما يوافق ظاهره، وتبين من هذا أنه ليس من التأويل الثالث، فيأبون ذلك ويكرهون تدبر النصوص والنظر في معانيها . أعني النصوص التي يقولون : إنه لم يعلم

تأويلها إلا الله .

." <مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)،   ٥/٣٥٥>

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ [٣]

﴿ وهو الله في السماوات وفي الأرض ﴾ أي : المعبود فيهما ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ أي : من الأقوال أو الدواعي والصوارف القلبية وأعمال الجوارح ﴿ ويعلم ما تكسبون ﴾ أي : ما تفعلونه من خير أو شر ، فيثيب عليه ويعاقب . وتخصيصه بالذكر ، مع اندراجه فيما سبق ، على التفسير الثاني للسر والجهر -لإظهار كمال الاعتناء به الذي يتعلق به الجزاء . وهو السر في إعادة يعلم .

قال الناصر في " الانتصاف " : وما هاتان الآياتان الكريمتان - يعني هذه الآية وآية الزخرف ، وهي قوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض ﴾ [الزخرف : ٨٤] -إلا توأمتان . فإن التمدح في آية الزخرف ، وقع بما وقع التمدح به هاهنا من القدرة على الإعادة والاستئثار بعلم الساعة والتواجد في الألوهية ، وفي كونه تعالى المعبود في السماوات والأرض .

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : للمفسرين في هذه الآية أقوال ، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية ، الأول القائلين - تعالى عن قولهم علوا كبيرا - بأنه في كل مكان ، حيث حملوا الآية على ذلك . فلأصح من الأقوال أنه المدعو في السماوات والأرض ، أي : يعبده ويوحده ويقر له بالآلهية من في السماوات ومن في الأرض ، ويسمونه الله ، ويدعونه : ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] . إلا من كفر من الجن والإنس . وهذه الآية - على هذا القول - كقوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ . أي : هو إله من في السماء وإله من في الأرض ، وعلى هذا فيكون قوله : ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ خبرا أو حالا .

والقول الثاني - إن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر . فيكون قوله : ﴿ يعلم ﴾ متعلقا بقوله : ﴿ في السماوات وفي الأرض ﴾ تقديره : وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات . . . الخ .

والقول الثالث - إن قوله : ﴿ وهو الله في السماوات ﴾ **وقف تام** ، ثم استأنف الخبر فقال : ﴿ وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ﴾ وهذا اختيار ابن جرير . انتهى .

ورجح ابن عطية في الآية : أنه الذي يقال له : ﴿ الله ﴾ فيهما . قال : وهذا عندي أفضل الأقوال ، وأكثرها

إحرازا لفصاحة اللفظ ، وجزالة المعنى ، وإيضاحه : أنه أراد أن يدل على خلقه ، وآيات قدرته ، وإحاطته واستيلائه ، ونحو هذه الصفات . فجمع هذه كلها في قوله : ﴿ وهو الله ﴾ -الذي له هذه كلها - : ﴿ في السماوات والأرض ﴾ كأنه قال : وهو الخالق والرازق والمحيي والمميت فيهما . تنبيه :
قال الرازي : الآية تدل كون الإنسان مكتسبا للفعل ، والكسب هو الفعل المفضي إلى اجتلاب نفع ، أو دفع ضر . ولهذا السبب لا يوصف فعل الله بأنه كسب ، لكونه تعالى منزها عن جلب النفع ، ودفع الضر -والله أعلم - .." <محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، />

ثم ان كون المراد بالأمثال الأمثال السابقة مبني على أن ماتقدم كان أمثالا والمشهور أنه مثلان نعم أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة أنه قال في الآية : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد وبعد هذا كله لاشك في سلامة التفسير الأول من القيل والقال وانه الذي يستدعيه النظم الجليل لأن تمام حسن الفاصلة أن تكون كاسمها ولهذا انحط قول امريء القيس : ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصباح منك بأمثل عن قول المتنبي إذا كان مدحا فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعرا متيم وهو الذي فهمه السلف من الآية ومن هنا كان أكثر الشيوخ يقفون على الأمثال ويتبدءون بقوله تعالى : للذين استجابوا وقال صاحب المرشد : انه وقف تام والوقف على الحسنى حسن وكذا على لافتدوا به ." <روح المعاني، ١٣/١٣٤>

" التحتية والبناء للمفعول وقيل : لسيد المخاطبين عليه الصلاة و السلام وهذا أبلغ على ما في الكشف لأن أجسامهمإذا أعجبته صلى الله تعالى عليه وسلم فأولى أن تعجب غيره وكذا السماع لقولهم وليوافق قوله تعالى : إذا جاءك والسماع مضمن معنى الإصغاء فليست اللام زائدة وقوله تعالى : كأنهم خشب مسندة كلام مستأنف لذمهم لا محل له من الإعراب وجوز أن يكون في حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم كأنهم الخ والكلام مستأنف أيضأ وأنت تعلم أن الكلام صالح للأستئناف من غير تقدير فلا حاجة إليه وقيل : هو في حيز النصب على الحال من الضمير المجرور في لقولهم أي تسمع لما يقولون مشبهين بخشب مسندة كما في قوله : فقلت : عسى أن تبصرني كأنما بني حوالي الأسود الحوار وتعقب بأن الحالية تفيد أن السماع لقولهم لأنهم كالخشب المسندة وليس كذلك و خشب جمع خشبة كثمرة وثمر والمراد به ما هو المعروف شبهوا في جلوسهم مجالس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستندين فيها وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بخشب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحا خالية عن الفائدة لأن الخشب تكون مسندةإذا لم تكن في بناء أو دعامة بشيء آخر وجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب

المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم وفي مثلهم قال الشاعر : لا يخدعنك اللحي ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقر تراهم كالسحاب منتشرا وليس فيها لطالب مطر وفي شجر السرو منهم شبه له وراء وماله ثمر وقرأ البراء بن عازب والنحويان وابن كثير خشب بإسكان الشين تخفيف خشب المضموم ونظيره بدن وقيل : جمع خشباء كحمر وحمراء وهي الخشبة التي جوفها شبهوا بها في فساد بواطنهم لنفاقهم وعن اليزيدي حمل قراءة الجمهور بالضم على ذلك وتعقب بأن فعلاء لا يجمع على فعل بضمتين ومنه يعلم ضعف القيل إذا إذ الأصل توافق القراآت

وقرأابن عباس وابن المسيب وابن جبير خشب بفتحتين كمدرة ومدر وهو اسم جنس على ما فيالبحر ووصفه بالمؤنث كما في قوله تعالى : أعجاز نخل خاوية يحسبون كل صيحة عليهم أي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم وهلعهم فكانوا كما قال مقاتل : متى سمعوا بنشدان ضالة أو صياحا بأي وجه كان طارت عقولهم وظنوا ذلك إيقاعا بهم وقيل : كانوا على وجل من أن ينزل الله عز و جل فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ جرير قوله يخاطب الأخطل : ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا وكذا المتنبي قوله : وضاقت الأرض حتى ظن هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا والوقف على عليهم الواقع مفعولا ثانيا ليحسبون وهو **وقف تام** كما في الكواشي وعليه كلام الواحدي ." <روح المعاني، ١١١/٢٨>

" ثم جاء فبشرهم فقال إنه لا يصلي هذه الصلاة احد من أهل الكتاب فنزلت هذه الآية قاله ابن مسعود

والثاني أنه لما أسلم ابن سلام في جماعه من اليهود قال احبارهم ما آمن بمحمد إلا أشرارنا فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس و مقاتل وفي معنى الآية قولان

أحدهما ليس أمة محمد واليهود سواء هذا قول ابن مسعود والسدي

والثاني ليس اليهود كلهم سواء بل فيهم من هو قائم بأمر الله هذا قول ابن عباس وقتادة وقال الزجاج **الوقف التام** ليسوا سواء أي ليس أهل الكتاب متساوين وفي معنى قائمة ثلاثة أقوال

أحدها أنها الثابتة على أمر الله قاله ابن عباس وقتادة

والثاني أنها العادلة قاله الحسن و مجاهد وابن جريج

والثالث أنها المستقيمة قاله أبو عبيد و الزجاج قال الفراء ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى والكلام مبني على أخرى لأن سواء لا بد لها من اثنين وقد تستجيز العرب إضمار احد الشيئين إذا كان في الكلام

دليل عليه قال أبو ذؤيب ... عصيت إليها القلب إني لأمره ... سميع فما أدري أرشد طلابها ." <زاد المسير، ١/٤٤٢>

"ج١ص١٨١

والاختصام عند داود صلى الله عليه وسلم ، فإذا تأملت علمت أنه يليق بكل سورة ما بدئت به وهو سر من الأسرار البديعة اهـ . قوله : (ويوقف عليها وقف التمام إلخ) التمام بفتح التاء وميمين هذا هو الصحيح الموافق حدة فإن صحت ، فالمعنى كوقف الكلام التام والوقف قطع من أهل الأداء إلى كامل وتام وحسن وناقص ، وهو الذي رسموه قبيحا لأنه إما أن يتم الكلام عنده أم لا ، والثاني الناقص نحو بسم ورب والأول إما أن يستغني عن تاليه أم لا ، والثاني إما أن يتعلق به من جهة المعنى ، فالكافي أو من جهة اللفظ ، فالحسن والأول إما أن يكون استغناؤه استغناء كليا أو لا ، فالأول الكامل كأواخر السور والمفلحون في أول البقرة ، والثاني التام كنستعين ، وأحوال الوقف القرآني مفردة بالتاليف ، وهي معلومة عند أهلها . قوله : (إذا قدرت بحيث لا تحتاج إلى ما بعدها) في الكشاف يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالأصوات ، أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا : ﴿ الم الله ﴾ [عمران : ١] ، أي هذه ألم ثم ابتدأ فقال ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ اهـ فأشار إلى شرطي **الوقف التام** وهما كون الموقوف عليه غير محتاج لما بعده ، وكون ما بعده أيضا مستقلا بنفسه غير مرتبط بما أصلا والمصنف رحمه الله أخل بالشرط الثاني ، فورد عليه أنه يصدق على الوقف على ألم إذا قدر قبله مبتدأ له خبران أحدهما ألم والثاني الله ، وعنه احترز الزمخشري بقوله جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف مع أن الوقف حينئذ ليس بتام لفقد أحد شرطيه ، والزمخشري أشار بالتمثيل إلى اعتبار الأمرين معا والمصنف رحمه الله لم

يذكره فورد عليه ما ورد ، وقول بعضهم : تركه اعتمادا على ما أشار إليه من الأمثلة المستقل ما بعدها بقوله إذا قدرت لا يخفى بعده ، وكذا ما قيل : من أن مراد المصنف رحمه الله من الاحتياج التعلق بينهما بوجه ما . قوله : (وليس شيء منها آية) هذا هو الصحيح كما في مصاعد النظر للبقاعي فما نقل عن المرشد من أن الفواتح في السور كلها آيات عند الكوفيين من غير تفرقة ، وكذا ما في الكشف عن بعض الحواشي من أن ألم في آل عمران ليست بآية لا يعارض النقل الصحيح . قوله : (وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه) في الكشاف هذا أي عد الآيات القرآنية علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اهـ (أقول) أما عدد الآيات ففيه مذاهب خمسة مدني ومكي وكوفي ، وبصرفي وشامي ، فالمدني رواه شيبة المدنيئ مولى أم سلمة

عنها ، ويزيد بن القعقاع المدني ، والمكي رواه ابن كثير وغيره من أهل مكة عن أبيئ وابن عباس رضي الله عنهم ، والكوفي عن حمزة بن حبيب الزيات مسندا إلى علي رضي الله عنه ، والبصري عن المعلى بن عيسى عن عاصم والشامي عن ابن ذكوان وابن عامر ومن ثمة اعترض الكوراني في كشف الأسرار بأن التوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوجد في الآيات إذ لو كان كذلك لم يقع فيها اختلاف وليس كذلك لاتفاق أهل الأداء على نقل هذه المذاهب ، وقد نقل ابن الصائغ في حواشي الكشاف عن شيخه الجعبري ما يقرب منه والجواب عنه ما في مصاعد النظر من أن موجب اختلافهم في هذا التوقيف كالقراءة قال أبو عمرو : وهذه الأعداد وان كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة ، فإن لها لا شك مادة تتصل بها وإن لم نعلمها إذ كل واحد منهم لقي غير واحد من الصحابة وسمع منه ، أو لقي من لقي الصحابة مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واخترع بل أهل تمسك واتباع ، وقال السخاوي رحمه الله : لو كان ذلك راجعا إلى الرأي لعذ الكوفيون) الر " آية كما عدوا " ألم " ومثله كثير ، وأما السور فقالوا إن عددها علم توقيفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى أبيئ رضي الله عنه ما كنا نعلم آخر السورة إلا إذا قال عليه الصلاة والسلام : " اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ") ١ (. وأما ترتيبها الذي في مصاحفنا ، وهو الذي في المصحف العثماني المنقول من مصحف الصديق المنقول مما كتب بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام وعليه القراء فهو توقيفي أيضا إلا أنه أورد عليه ما في صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة ، فمضى فقلت يركع." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١/١٨١>

"ج١ص٢٠٨

" رأس الأمر الإصلام وعموده الصلاة " (٢) وأما حديث " الزكاة قنطرة الإسلام " (٣ (فأخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا بسند ضعيف ، والعماد الدعامة من عمدت الحائط إذا دعمته والعمود معروف والقنطرة الجسر ، وما ارتفع من الأرض وفي كتب الفقه أن الجسر ما يوضع ويرفع ، والقنطرة ما يحكم كما في فتاوى قاضيخان ، فكأنه معنى عرفي عندهم والدين الشريعة والإسلام ، والإيمان متقاربان والكلام عليهما مفصل في الكتب الكلامية ، وكون " الصلاة عماد الدين على التشبيه أو الاستعارة لأنها أشرف أعماله التي لا تسقط فرضيتها إلا نادرا) الزكاة قنطرة لأن مؤديها طهر ماله ونفسه وبين خلوصه ، والقنطرة كالجسر يستعار للموصل كما قال أبو تمام :

لا يطمع المرء أن يجتاب لجته بالقول ما لم يكن جسرا له العمل

فإن قلت : وقع في الحديث الصحيح المشهور " بني الإسلام على خمس " وعد منها الزكاة فيه ، فجعلت ثمة عمادا داخلة وهنا قنطرة خارجة عنه فما النكتة فيه قلت : هو تجوز لا حجر فيه ، فمن حيث أنها من شعائر الإسلام تعد ركنا منه ومن حيث أن المال بصرفه يجعل بازله داخلا في الإسلام تعد قنطرة أو ذاك باعتبار من رسخ إصلامه وقدم ، وهذا باعتبار من حدث إيمانه فتأمل . قوله : (أو مسوقة للمدح بما تضمنه) أي المتقون وفي نسخة أو مادحة بما تضمنه ، والمعنى واحد وهو معطوف على مقيدة أو موضحة ، وترك كونها مؤكدة كنفخة واحدة لأن التاسيس أولى لا سيما إذا اشمل على نكتة . وقوله : (وتخصيص الإيمان إلخ) إشارة إلى جواب سؤال تقديره لم اختص المدح بهذه دون غيرها مما تضمنه . وقوله : (إظهار) أقحم لفظ الإظهار الحماء إلى أنها في الواقع كذلك ، وأن في الوجه الأول إشارة إليه أيضا ، وإنما الفرق بينهما بالقصد وعدمه ، فلا يقال إنه يجوز جعل وجه التخصيص ما مر من كونها أمهات وأصولا ، مع أنه مناسب للاستتباع دون المدح كما لا يخفى وقيل إن في قوله مسوقة إشارة إلى أنه أقل من أخوبه ، ولذا أخر . لأن لفظ السوق يشعر بأنه لا يفيده بنفسه ولذا غير الأسلوب . وأعلم أن من الناس من قال : إن كون الذين يؤمنون مادحا إنما يحسن إذا حمل المتقين

على حقيقته دون المشارفة إذ ليس الإيمان ، وما بعده حاصلا للضالين الصائرين للتقوى فجعل الصفة كاشفة إذا أريد بالتقوى ما في المرتبة الثانية ، وجعلها مخصصة على الأولى وإذا جعلت مادحة فالمراد ما هو في المرتبة الثالثة . وقيل : إن كان المخاطب جاهلا بالمعنى فالصفة موضحة والا فهي مادحة ، وفيه ما فيه كما سيأتي قريبا فتدبر . قوله : (أو على أنه ماخ منصوب إلخ) الجاز والمجرور معطوف على الجار والمجرور السابقين في قوله على أنه صفة مجرورة وجعل المصنف رحمه الله المنصوب والمرفوع موصولا بما قبله كالمجروو ، لأنهما تابعان له معنى وصفة له بحسب الأصل ، وان خرجا صورة ولفظا ، ولذأ سماه النحاة قطعا بخلاف المستأنف ، ووجه دلالته على ما قصد به في الاتباع ، والقطع من المدح ونحوه أنه صفة حميدة علم ثبوتها فيفهم عها ذلئا ، وقيل : إن هذا علم من تغييو الإعراب لأن تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماعه ومزيدى اهتمام لشأنه لا سيما مع التؤام حذف الغععل ، أو إ أحبتدأ ولا يخفى أن دلالة الإعواب المقدو على ذلك غير ظاهرة مع أنها مادحة على الاتباع أيضا كما صرحت به أيضا متون العربية ، وفي قوله هم الذين تسامع لأن المقدر هم فقط*قوله :) وإما مفصول إلخ) معطوف على قوله موصولى ، وإنما انفصك لأنه قصد الإخبار عنه بما بعده لا إثباته

لما قبله وان فهم ذلك ضمنا فهو ، وان لم يجر عليه كالجاري ويكفي هذا في ارتباط الكلام سواء كان الاستئناف

نحويا أو بيانيا ، فيكون جوابا عن سؤال تقديره ما بال المتقين خصوا بذلك الهدى ، فلا يتوهم ضعف هذا الوجه لعدم الارتباط فيه كما نقل عن أبي حيان ، ولا إن الظاهر على هذا إن بينهما كمال الانفصال ، وتقدير السؤال يقتضي الاتصال وكونه كالجاري عليه لا ينافي كون **الوقف تاما** كما ستسمعه قريبا ، وقال قدس سره : حاصل ما قرره من الاحتمالات أن المتقي إن حمل على المعنى الشرعي ، فإن كان خطابا لمن عرف مفهومه مفصلا كانت الصفة مادحة ، والا كاشفة وأن حمل على مجتنب المعاصي كانت مخصصة ، ولما كان الاستئناف أرجح لم يكن في الترجيح بين هذه الأقسام." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، <٢٠٨/١

"قوله تعالى ﴿ ليسوا سواء ﴾ ، في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن النبي A ، احتبس عن صلاة العشاء ليلة حتى ذهب ثلث الليل ، ثم جاء فبشرهم ، فقال : " إنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب " فنزلت هذه الآية ، قاله ابن مسعود .

والثاني : أنه لما أسلم ابن سلام في جماعة من اليهود ، قال أحبارهم : ما آمن بمحمد إلا أشرارنا ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس ، ومقاتل . وفي معنى الآية قولان .

أحدهما : ليس أمة محمد واليهود سواء ، هذا قول ابن مسعود ، والسدي .

والثاني : ليس اليهود كلهم سواء ، بل فيهم من هو قائم بأمر الله ، هذا قول ابن عباس ، وقتادة . وقال الزجاج : **الوقف التام** ﴿ ليسوا سواء ﴾ أي : ليس أهل الكتاب متساوين . وفي معنى «قائمة» ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الثابتة على أمر الله ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أنها العادلة ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وابن جريج .

والثالث : أنها المستقيمة ، قاله أبو عبيد ، والزجاج . قال الفراء : ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى ، والكلام مبني على أخرى ، لأن «سواء» لا بد لها من اثنين ، وقد تستجيز العرب إضمار أحد الشيئين إذا كان في الكلام دليل عليه . قال أبو ذؤيب :

عصيت إليها القلب إني لأمره ... سميع فما أدري أرشد طلابها؟!

ولم يقل : أم لا ، ولا أم غي ، لأن الكلام معروف المعنى .

وقال آخر :

وما أدري إذا يممت أرضا ... أريد الخير أيهما يليني

أألخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي هو يبتغيني

ومثله قوله تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ﴾ [الزمر : ٩] ولم يذكر ضده ، لأن في قوله : ﴿ قل هي يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٩] . دليلا على ما أضمر من ذلك ، وقد رد هذا القول الزجاج ، فقال : قد جرى ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى : ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ﴾ فأعلم الله أن منهم أمة قائمة . فما الحاجة إلى أن يقال : وأمة غير قائمة؟ وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم ، وهو الكفر والمشاقة ، فذكر من كان منهم مباينا لهؤلاء . قال : و «آناء الليل» ساعاته ، وواحد الآناء : إنى . قال ابن فارس : يقال : مضى من الليل إني ، وإتيان ، والجمع : الآناء . واختلف المفسرون : هل هذه الآناء معينة من الليل أم لا؟ على قولين .

أحدهما : أنها معينة ، ثم فيها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها صلاة العشاء ، قاله ابن مسعود ، ومجاهد .

والثاني : أنها ما بين المغرب والعشاء ، رواه سفيان عن منصور .

والثالث : جوف الليل ، قاله السدي .

والثاني : أنها ساعات الليل من غير تعيين ، قاله قتادة في آخرين .

وفي قوله تعالى : ﴿ وهم يسجدون ﴾ قولان .

أحدهما : أنه كناية عن الصلاة ، قاله مقاتل ، والفراء ، والزجاج .

والثاني : أنه السجود المعروف ، وليس المراد أنهم يتلون في حال السجود ، ولكنهم جمعوا الأمرين ، التلاوة والسجود .." <زاد المسير في علم التفسير، ١/٣٩٩>

" البقرة ٣

والمجرور من معنى الفعل المنفي كأنه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على أنه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب إما للمبالغة كأنه نفس الهدى أو لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل أن تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على أنها خبر لمبتدأ مضمر أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على أن المتحدي به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه إذ لا فضل أعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين مع ما يقدر له من المبتدأ

جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله أو يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فإنه لما نبه أولا على إعجاز المتحدي به من حيث أنه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر أنه الكتاب البالغ أقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب إذ لا أنقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة مالا يخفى جلالة شأنه حسبما تحققته

الذين يؤمنون بالغيب إما موصول بالمتقين ومحله الجر على أنه صفة مقيدة له إن فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة إن فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لأنها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف إجمالا وذلك لأنها مشتملة على ماهو عماد الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية إلى التجنب عن المعاصي غالبا ألا يرى إلى قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام أو مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ماذكر من الخصال الثلاث بالذكر لإظهار شرفها وإنافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات أو النصب على المدح بتقدير أعني أو الرفع عليه بتقدير هم وإما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الإشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ **وقف تام** لأنه وقف على مستقبل مابعده أيضا مستقبل وأما على الوجوه الأول فحسن لاستقلال الموقوف عليه **غير تام** لتعلق مابعده به وتبعيته له أما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر وأما على تقدير النصب أو الرفع على المدح فلما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وإن خرجا عن التبعية لما قبلها صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ماقبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال أبو على إذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان أي للتفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجد في الإصغاء فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى ." <تفسير أبي السعود، ١/٢٩>

" من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب إن قيل لا ريب في أن حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره أولئك على هدى في أنه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة أن كلا

من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وإن كلا من اتصافهم بالإيمان وفروعه وإحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلية فما السر في أنه جعل ذلك في الصورة الأولى من توابع المتقين وعد الوقف **غير تام** وفي الثانية مقتطعا عنه وعد **الوقف تاما** قلنا السر في ذلك أن المبتدأ في الصورتين وإن كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الأولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ إجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وإن سمى قطعا مراعاة لجانب كيف لا وقد اشتهر في الفن أن الخبر إذا كان معلوم الانتساب إلى المخبر عنه حقه أن يكون وصفا له كما أن الوصف إذا لم يكن معلوم الانتساب إلى الموصوف حقه أن يكون خبرا له حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وأما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على مالا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والإيمان إفعال من الأمن المتعدى إلى واحد يقال آمنته وبالنقل تعدى إلى أثنين يقال آمننيه غيرى ثم استعمل في التصديق لأن المصدق يؤمن المصدق أي يجعله أمينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فإن الواثق يصير ذا أمن وطمأنينة ومنه ما حكى عن العرب ما آمنت أن أجد صحابه أي ما صرت ذا أمن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه الصلاة و السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لابد من انضمام الإقرار إليه للمتمكن منه والأول رأي الشيخ الأشعري ومن شايعه فإن الإقرار عنده منشأ لاجراء الأحكام والثاني مذهب أبي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فإنه جعلهما جزأين له خلا أن الإقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الإكراه وهو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب إما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة أو فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره وأيا ما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها ألا هو وقسم نصب عليه دليل كالمصانع وصفاته

والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للإيمان أما بتضمينه معنى الاعتراف أو ." <تفسير أبي السعود، ١/٣٠>
"ص : ٦٠

وقال أبو بكر الصديق : نحن حفنة من حفنات الله «١».

وقال عمر بن الخطاب للعريف الذي أتاه بالمنبوذ : عسى الغوير أبؤسا «٢».

و

قال عليّ بن أبي طالب : من يطل هن أبيه ينتطق به «٣».

وحدّثت عن الأصمعي أنه قال : أعياني أن أعلم معنى قول عمر : أيما رجل بايع عن غير مشاورة ، فلا يؤمّر واحد منهما تغرّة أن يقتلا «٤».

وقال المازنيّ «٥» : سألت الأخفش «٦» عن حرف رواه سيبويه «٧» عن الخليل «٨» في

---

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٠٩ ، أراد : إنا على كثرتنا يوم القيامة قليل عند الله كالحفنة ، وهي ملء الكف.

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات باب ١٦ ، ورواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١/ ٩٠. وأبؤس : جمع بأس. والغوير : ماء الكلب ، وهو مثل ، أول من تكلم به الزبّاء ، ومعنى الحديث : عسى أن تكون جئت بأمر عليك فيه تهمة وشدّة.

(٣)

رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١/ ٨٥ ، بلفظ : «من يطل أير أبيه ينتطق به» ،

هذا مثل ضربه : أي من كثرت إخوته اشتد ظهره بهم وعزّ.

(٤) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١/ ١٩١ ، بلفظ : «فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا» أي خوفا أن يقتلا.

(٥) المازني : هو أبو عثمان بكر بن محمد بن عدي بن حبيب بن عثمان المازني البصري النحوي ، توفي سنة ٢٤٩ ه‍ ، من تصانيفه : «تفسير كتاب سيبويه» في النحو ، «الديباج على خليل من كتاب أبي عبيدة» ، «علل النحو» ، «كتاب الألف واللام» ، «كتاب التصريف» ، «كتاب العروض» ، «كتاب القوافي» ، «كتاب ما يلحن فيه العامة». (كشف الظنون ٥/ ٢٣٤).

(٦) الأخفش : هو سعيد بن مسعدة المجاشعي ، أبو الحسن البصري الفقيه النحوي ، المعروف بالأخفش الأوسط ، توفي سنة ٢٢١ هـ ، من تصانيفه : «كتاب الأربعة» ، «كتاب الاشتقاق» ، «كتاب الأصوات» ، «كتاب الأوسط» ، «كتاب العروض» ، «كتاب القوافي» ، «كتاب المسائل الصغير» ، «كتاب المسائل الكبير» ، «كتاب المقاييس» ، «كتاب الوقف التام» ، «معاني الشعر» ، «معاني القرآن».

(كشف الظنون ٥/ ٣٨٨).

(٧) سيبويه : هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب بسيبويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، سكن البصرة. وتوفي بمدينة ساوة سنة ١٧٧ هـ. له كتاب في النحو مشهور. (كشف الظنون ٥/ ٨٠٢).

(٨) الخليل : هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن البصري العروضي النحوي اللغوي ، ولد سنة ١٠٠ هـ ، وتوفي سنة ١٧٠ هـ. من تصانيفه : «فائت العين في اللغة» ، «كتاب الإيقاع» ، «كتاب الشواهد» ، «كتاب العروض» ، «كتاب العين» في النحو واللغة ، «كتاب النغم» ، «كتاب النقط والشكل». (كشف الظنون ٥/ ٣٥٠).." <تأويل مشكل القرآن، ص/٦٠>

"هذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة والليث بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم ثلاثتهم عن محمد بن عجلان به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال ابن جرير فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " نظير الختم والطبع على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحله رباطها عنها.

واعلم أن الوقف التام على قوله تعالى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " وقوله " وعلى أبصارهم غشاوة " جملة تامة فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع والغشاوة وهي الغطاء يكون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم" فلا يعقلون ولا يسمعون يقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون وقال ابن جرير حدثني محمد بن

سعد حدثنا أبي حدثني عمي الحسين بن الحسن

٢٨١@@@." <تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١/٢٨٠>

"الكليم – عليه السلام – وأقام الله فيهم يوشع بن نون – عليه السلام – نبيا خليفة عن موسى بن عمران ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة ويقال إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب ومن ههنا قال بعض المفسرين في قوله" قال فإنها محرمة عليهم " هذا **وقف تام** وقوله" أربعين سنة " منصوب بقوله " يتيهون في الأرض" فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم قال : إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي فحبسها الله تعالى حتى فتحها وأمر الله يوشع بن نون أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجدا وهم يقولون حطة أي حط عنا ذنوبا فبدلوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون حبة في شعرة وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي عمر العبدي حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قوله " فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض " قال فتاهوا أربعين سنة قال فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون وهو الذي قام بالأمر بعد موسى وهو الذي افتتحها وهو الذي قيل له اليوم يوم الجمعة فهموا بافتتاحها ودنت الشمس للغروب فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبتوا فنادى الشمس إني مأمور وإنك مأمورة فوقفت حتى افتتحها فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط فقربوه إلى النار فلم تأته فقال فيكم

١٥٨@@@." <تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٥/١٥٧>

"تفسير سورة الأنعام

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (١)

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

سورة الأنعام قال العوفي وعكرمة وعطاء عن ابن عباس أنزلت سورة الأنعام بمكة .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : نزلت الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت

سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة .

وقال شريك عن ليث عن شهر عن أسماء قالت : نزلت سورة الأنعام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والأرض .

وقال السدي عن مرة عن عبد الله قال : نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفا من الملائكة وروي نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود .

وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا : حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدي أخبرنا جعفر بن عون حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر قال : لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال " لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق " ثم قال صحيح على شرط مسلم .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن عمر حدثنا إبراهيم بن درستويه الفارسي حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم حدثنا ابن أبي فديك حدثني عمر بن طلحة الرقاشي عن نافع بن مالك بن أبي سهيل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح ، والأرض بهم ترتج " ورسول الله يقول " سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم " ثم روى ابن مردويه عن الطبراني عن إبراهيم بن نائلة عن إسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد" .

يقول الله تعالى مادحا نفسه الكريمة وحامدا لها على خلقه السموات والأرض قرارا لعباده .

وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم فجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور لكونه أشرف كقوله تعالى " عن اليمين والشمائل " وكما قال في آخر هذه السورة " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " ثم قال تعالى " ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" أي ومع هذا كله كفر به بعض عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا له صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا .

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢)

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون

وقوله تعالى " هو الذي خلقكم من طين " يعني أباهم آدم الذي هو أصلهم ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق

والمغارب وقوله" ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده " قال سعيد بن جبير عن ابن عباس " ثم قضى أجلا " يعني الموت " وأجل مسمى عنده " يعني الآخرة وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم وعطية والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن في رواية عنه " ثم قضى أجلا" وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت " وأجل مسمى عنده " وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث هو يرجع إلى ما تقدم وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة وعن ابن عباس ومجاهد" ثم قضى أجلا " يعني مدة الدنيا " وأجل مسمى عنده " يعني عمر الإنسان إلى حين موته وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا " وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار " الآية وقال عطية عن ابن عباس " ثم قضى أجلا " يعني النوم يقبض فيه الروح ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة " وأجل مسمى عنده " يعني أجل موت الإنسان وهذا قول غريب ومعنى قوله " عنده " أي لا يعلمه إلا هو كقوله " إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو " وكقوله" يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها " وقوله تعالى " ثم أنتم تمترون " قال السدي وغيره : يعني تشكون في أمر الساعة .

وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (٣)

وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون

وقوله تعالى " وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم " اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله " أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض وعلى هذا فيكون قوله " يعلم سركم وجهركم " خبرا أو حالا .

" والقول الثاني " أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله " في السموات وفي الأرض " تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون والقول الثالث أن قوله " وهو الله في السموات " **وقف تام** ثم استأنف الخبر فقال " وفي الأرض يعلم سركم وجهركم " وهذا اختيار ابن جرير وقوله " ويعلم ما تكسبون " أي جميع أعمالكم خيرها وشرها .

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤)

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين أنهم كلما أتتهم آية أي دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات على وحدانية الله وصدق رسله الكرام فإنهم يعرضون عنها فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها .
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون (٥)
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون

وهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجدن غبه وليذوقن وباله .
ثم قال تعالى واعظا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستعلاء في الأرض وعمارة لها .
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦)
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين

فقال" ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم " أي من الأموال والأولاد والأعمار والجاه العريض والسعة والجنود ولهذا قال " وأرسلنا السماء عليهم مدرارا " أي شيئا بعد شيء " وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم " أي كثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض أي استدراجا وإملاء لهم " فأهلكناهم بذنوبهم" أي بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها " وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين " أي فذهب الأولون كأمس الذاهب وجعلناهم أحاديث " وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين " أي جيلا آخر لنختبرهم فعملوا مثل أعمالهم فأهلكوا كإهلاكهم فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم فما أنتم بأعز على الله منهم والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه .
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧)
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين

يقول تعالى مخبرا عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم ومنازعتهم فيه " ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم " أي عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك لقال " الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين " وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم للمحسوسات " ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون " وكقوله تعالى" وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم " .

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون (٨)

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون

" وقالوا لولا أنزل عليه ملك " أي ليكون معه نذيرا قال الله تعالى" ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون" أي لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب .

كما قال الله تعالى " ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين " وقوله " يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين" الآية .

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩)

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون

أي لو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا أي لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري كقوله تعالى " قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا" فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منه ليدعو بعضهم بعضا وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم" الآية قال الضحاك عن ابن عباس في الآية : يقول لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور " وللبسنا عليهم ما يلبسون " أي ولخلطنا عليهم ما يخلطون وقال الوالبي عنه : ولشبهنا عليهم .

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون (١٠)

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون

هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ووعد له للمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة .
قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١١)
قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين

أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين .
قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (١٢)
قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيهما وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كما ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي وقوله " ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه" هذه اللام هي الموطئة للقسم فأقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده " إلى ميقات يوم معلوم " وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه أي لا شك فيه عند عباده المؤمنين فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون وقال ابن مردويه عن تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عقبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محصن بن عتبة اليماني عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء قال " والذي نفسي بيده إن فيه لماء إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء " هذا حديث غريب.
وفي الترمذي " إن لكل نبي حوضا وأرجو أن أكون أكثرهم واردا " وقوله " الذين خسروا أنفسهم" أي يوم القيامة " فهم لا يؤمنون " أي لا يصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم .
وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم (١٣)

وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم

وهو السميع العليم " أي السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم وأمره أن يدعو الناس إلى صراط الله المستقيم .

قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين (١٤)

قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين." <تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ٥/٤٣٤>

"قوله " يعلم سركم وجهركم " خبرا أو حالا .

" والقول الثاني " أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله " في السموات وفي الأرض " تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون والقول الثالث أن قوله " وهو الله في السموات " **وقف تام** ثم استأنف الخبر فقال " وفي الأرض يعلم سركم وجهركم " وهذا اختيار ابن جرير وقوله " ويعلم ما تكسبون " أي جميع أعمالكم خيرها وشرها .

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤)

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين أنهم كلما أتتهم آية أي دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات على وحدانية الله وصدق رسله الكرام فإنهم يعرضون عنها فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها .

فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون (٥)

فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون

وهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجدن غبه وليذوقن وباله .

ثم قال تعالى واعظا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستعلاء في الأرض وعمارة لها .

ألم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦)

ألم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين

فقال" ألم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم " أي من الأموال والأولاد والأعمار والجاه العريض والسعة والجنود ولهذا قال " وأرسلنا السماء عليهم مدرارا " أي شيئا بعد شيء " وجعلنا الأنهار تجري من

١١@@@." <تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٦/١٠>

"بلى مكتفية بنفسها وعليها **وقف تام** كأنه بلى عليهم سبيل يلون ألسنتهم يحرفونها بالتبديل والتغيير وأصله يحركونها قال الفرزدق ولما بدا وادي القرى من أمامنا وأشرق أقتار البلاد القوائم لوى كل مشتاق من القوم رأسه بمغرورفات كالشنان الهزائم ." <باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، ١/٣٠٣>

"﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً هُنَالِكَ الولاية لِلَّهِ الحق هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾ .

أى : ولم تكن لهذا الجاحد المغرور بعد أن خوت جنته على عروشها ، عشيرة ، أو أعوان ينصرونه ، أو يدفعون عنه ما حل به ، وإنما القادر على ذلك هو الله – تعالى – وحده ، وما كان هذا الرجل الذى جحد نعم ربه منتصرا لأنه – سبحانه – قد حجب عنه كل وسيلة تؤدى إلى نصره وعونه ، بسبب إيثاره الغى على الرشد ، والكفر على الإيمان .

فالآية الكريمة تبين بجلاء ووضوح ، عجز كل قوة عن نصرة ذلك الرجل المخذول سوى قوة الله – D – ، وعجز ذلك الرجل فى نفسه عن رد انتقام الله – تعالى – منه .

وقوله – سبحانه – : ﴿ هُنَالِكَ الولاية لِلَّهِ الحق . . ﴾ تقرير وتأكيد للآية السابقة . ولفظ هنالك ظرف مكان .

وكلمة ﴿ الولاية ﴾ قرأها الجمهور بفتح الواو ، بمعنى الموالاة والصلة والنصرة كما قرأ الجمهور كلمة ﴿ الحق ﴾ بالجر على أنها نعت للفظ الجلالة .

فيكون المعنى : فى ذلك المقام وتلك الحال تكون الولاية – أى الموالاة والصلة – من كل الناس ، لله – تعالى

– وحده إذ الكافر عندما يرى العذاب يعترف بوحدانية الله – تعالى – كما قال – سبحانه – ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قالوا آمَنَّا بالله وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ ويجوز أن يكون المعنى : فى ذلك المقام وتلك الحال تكون الولاية أى الموالاة لله – تعالى – وحده . فيوالى المؤمنين برحمته ومغفرته وينصرهم على أعدائهم . كما قال – سبحانه – ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الله مَوْلَى الذين آمَنُواْ وَأَنَّ الكافرين لاَ مولى لَهُمْ ﴾ وقرأ حمزة والكسائى : ﴿ الولاية ﴾ بكسر الواو ، بمعنى الملك والسلطان كما قرأ أبو عمرو والكسائى لفظ ﴿ الحق ﴾ بالرفع على أنه نعت للولاية .

فيكون المعنى : فى ذلك المقام تكون الولاية الحق ، والسلطان الحق ، لله رب العالمين ، كما قال – سبحانه – : ﴿ الملك يَوْمَئِذٍ الحق للرحمن وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكافرين عَسِيراً ﴾ قال بعض العلماء : وقوله ﴿ هنالك ﴾ يرى بعضهم أنه متعلق بما بعده ، **والوقف تام** على قوله ﴿ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً ﴾ .

ويرى آخرون أنه متعلق بما قبله .

فعلى القول الأول يكون الظرف ﴿ هنالك ﴾ عامله ما بعده أى : الولاية كائنة لله هنالك .

وعلى القول الثانى فالعامل فى الظرف اسم الفاعل الذى هو ﴿ منتصرا ﴾ . أى : لم يكن انتصاره واقعا هنالك .

وقوله – سبحانه – : ﴿ وَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾ أى : هو – D – خير إثابة وإعطاء لأوليائه ، وخير عاقبة لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى .

وعاقبة الأمر : آخره وما يصير إليه منتهاه . و ﴿ ثوابا ﴾ و ﴿ عقبا ﴾ منصوبان على التمييز ، بعد صيغة التفضيل ﴿ خير ﴾ التى حذفت منها الهمزة تخفيفا لكثرة الاستعمال كما قال ابن مالك – C – .: "

<الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٢٧١٨>

"قال القرطبي ما ملخصه : قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ ليؤمنوا ﴾ وكذلك ﴿ يعزروه ويوقروه ويسبحوه ﴾ كله بالياء على الخبر . .

وقرأ الباقون بالتاء فى الخطاب . . والهاء فى قوله : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ للنبى – A – وهنا **وقف تام** . ثم تبتدئ بقوله : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أى : تسبحوا الله بكرة وأصيلا .

وقيل : الضمائر كلها لله – تعالى – فعلى هذا يكون تأويل : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أى : تثبتوا له صحة الربوبية ، وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك .

ثم مدح – سبحانه – الذين عاهدوا الرسول – A – ووفوا بعهودهم أكمل وفاء ، فقال : ﴿ إِنَّ الذين

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله . . . ﴾ .

وقوله – سبحانه – : ﴿ يُبَايِعُونَكَ ﴾ من المبايعة أو من البيعة ، بمعنى المعاهدة أو العهد ، وسميت المعاهدة مبايعة ، لاشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة ، وعلى وجوب الصدق والوفاء .

والمراد بهذه المبايعة ، ما كان من المؤمنين فى صلح الحديبية ، عندما عاهدوا الرسول – A – على الثبات وعلى مناجرة المشركين بعد أن أشيع أنهم قتلوا عثمان – رضى الله عنه – . أى : إن الذين يبايعونك على الموت أو على عدم الفرار عند لقاء عند لقاء المشركين ، إنما يبايعون ويعاهدون الله – تعالى – على ذلك قبل أن يبايعوك أنت ، لأن المقصود من هذه البيعة إنما هو طاعته – سبحانه – وامتثال أمره ، كما قال – تعالى – : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله ﴾ فالمقصود بقوله : ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله ﴾ تأكيد وجوب الوفاء بما عهدوا الرسول – A – عليه من الثبات وعدم الفرار ، والطاعة له فى كل ما يأمرهم به .

وقوله – سبحانه – : ﴿ يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ زيادة فى تأكيد وجوب الوفاء .

ومذهب السلف فى هذه الآية وأمثالها من آيات الصفات : أنه يجب الإيمان بها ، وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله – تعالى – وترك تأويلها مع تنزيهه – تعالى – عن حقيقتها ، لاستحالة مشابهته – تعالى – بالحوادث ، كما قال – سبحانه – : ﴿ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السميع البصير ﴾ أما الخلف فمذهبهم تأويل هذه الصفات على معنى يليق بجلاله ، فيؤولون اليد هنا بالقوة أو القدرة . أى : قوة الله – تعالى – ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم ، كما يقال : اليد فى هذه المسألة لفلان ، أى : الغلبة والنصرة له .

أو المعنى : يد الله – تعالى – بالوفاء بما وعدهم من الخير والنصرة فوق أيديهم . . والمقصود بهذه الجملة – كما أشرنا – زيادة التأكيد على وجوب الوفاء والثبات .

قال صاحب الكشاف : لما قال – سبحانه – : ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله ﴾ أكده تأكيداً على سبيل التمثيل ، فقال : ﴿ يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ يريد أن يد رسول الله – A – التى تعلو أيدى المبايعين : هى يد الله ، والله – تعالى – منزله عن الجوارح وعن صفات الأجسام .." <الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٣٩٠٨>

"كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها ما يتولد منها ، حتى يعجب الزراع .

وعلى هذا التفسير الذى سرنا عليه يكون وصفهم فى التوراة ، هو المعبر عنه بقوله – تعالى – : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ويكون وصفهم فى الإنجيل هو المعبر عنه بقوله – سبحانه – : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ .

ولا شك أن هذه الأوصاف كانت موجودة فى الكتابين قبل أن يحرفا ويبدلا ، بل بعض هذه الأوصاف

موجودة فى الكتابين ، حتى بعد تحريفهما .

فقد أخرج ابن جرير وعبد بن حميد عن قتادة قال : " مكتوب فى الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " .

ويرى بعض المفسرين أن المذكور فى التوراة والإنجيل شئ واحد ، وهو الوصف المذكور إلى نهاية قوله : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجيل ﴾ وعلى هذا الرأى يكون **الوقف تاما** على هذه الجملة ، وما بعدها وهو قوله : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ . . . ﴾ كلام مستأنف .

قال القرطبي : " قوله - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التوراة وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجيل . . ﴾ قال الفراء : فيه وجهان : إن شئت قلت : المعنى ذلك مثلهم فى التوراة وفى الإنجيل أيضا ، كمثلهم فى القرآن ، فيكون الوقف على " الإنجيل " .

وإن شئت قلت : تمام الكلام : ذلك مثلهم فى التوارة . ثم أبتدأ فقال : ومثلهم فى الإنجيل .

وكذا قال ابن عباس وغيره : هما مثلان ، أحدهما فى التوارة ، والآخر فى الإنجيل . . .

والذى نراه أن ما ذهب إليه ابن عباس من كونهما مثلين ، أحدهما مذكور فى التوراة والآخر فى الإنجيل ، هو الرأى الراجح ، لأن ظاهر الآية يشهد له .

وفى هذه الصفات ما فيها من رسم صورة مشرقة مضيئة لهؤلاء المؤمنين الصادقين .

وقوله - تعالى - : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكفار ﴾ تعليل لما يعرب عنه الكلام ، من إيجاده - تعالى - لهم على هذه الصفات الكريمة .

أى : جعلهم - سبحانه - كذلك بأن وفقهم لأن يكونوا أشداء على الكفار ، ولأن يكونوا رحماء فيما بينهم ، ولأن يكونوا مواظبين على أداء الطاعات . . لكى يغيظ بهم الكفار ، فيعيشوا وفى قلوبهم حسرة مما يرونه من صفات سامية للمؤمنين .

ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بهذا الوعد الجميل ، فقال : ﴿ وَعَدَ الله الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ .

و " من " فى قوله ﴿ مِنْهُم ﴾ الراجح أنها للبيان والتفسير ، كما فى قوله - تعالى - ﴿ فاجتنبوا الرجس مِنَ الأوثان . . ﴾ أى : وعد الله - تعالى - بفضله وإحسانه ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وهم أهل بيعة الرضوان ، ومن كان على شاكلتهم فى قوة الإيمان . . وعدهم جميعا مغفرة لذنوبهم ، وأجرا عظيما لا يعلم مقداره إلا هو - سبحانه - .

ويجوز أن تكون من هنا للتبعيض ، لكى يخرج من هيلاء الموعودين بالمغفرة والأجر العظيم أولئك الذين أظهروا الإِسلام وأخفوا الكفر ، وهم المنافقون الذين أبوا مبايغة الرسول - A - وأبوا الخروج معه للجهاد ، والذين من صفاتهم أنهم كانوا إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا ،." <الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٣٩٢٦>

"ورحم الله صاحب الكشاف فقد قال : فإن قلت : ما معنى ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ ؟

قلت : شبهوا فى استنادهم - وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحوائط لأن الخشب إذا انتفع به ، كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع ، وما دام متروكا فارغا غير منتفع به ، وأسند إلى الحائط ، فشبهوا به فى عدم الانتفاع .

ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب ، المسندة إلى الحيطان ، وشبهوا بها فى حسن صورهم ، وقلة جدواهم ، والخطاب للرسول - A - أو لكل من يخاطب . .

فأنت ترى القرآن الكريم وصفهم بتلك الصفة البديعة فى التنفير منهم وعدم الاغترار بمظهرهم لأنهم كما قال القائل :

لا تخدعنك اللحى ولا الصور ... تسعة أعشار من ترى بقر

تراهم كالسحاب منتشرا ... وليس فيه لطالب مطر

فى شجر السرو منهم شبه ... له رواء وماله ثمر

ثم وصفهم - سبحانه - بعد ذلك بالجبن والخور فقال : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ . . ﴾ .

والصيحة : المرة من الصياح ، والمراد بها ما ينذر ويخيف أى : يظنون لجبن قلوبهم ولسوء نواياهم ، وخبث نفوسهم - أن كل صوت ينادى به المنادى ، لنشدان ضالة ، أو انفلات دابة . . . إنما هو واقع عليهم ضار بهم مهلك لهم . . .

قال الآلوسى : قوله : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : واقعة عليهم ، ضارة لهم ، لجبنهم وهلعهم .

وقيل : كانوا على وجل من أن ينزل الله - تعالى - فيهم ما يهتك أستارهم ، ويبيح دماءهم وأموالهم .

والوقف على " عليهم " الواقع مفعولا ثانيا ل " يحسبون " وهو وقف تام .

وقوله - تعالى - : ﴿ هُمُ العدو ﴾ استئناف . أى : هم الكاملون فى العداوة ، والراسخون فيها ، فإن أعدى الأعداء ، العدو المداجى .

﴿ فاحذرهم ﴾ لكونهم أعدى الأعداء ، ولا تغترن بظواهرهم .

وقوله - سبحانه - : ﴿ قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ دعاء عليهم بالطرد من رحمة الله - تعالى - ، وتعجيب

لكل مخاطب من أحوالهم التى بلغت النهاية فى السوء والقبح .

عن ابن عباس أن معنى ﴿ قَاتَلَهُمُ الله ﴾ طردهم من رحمته ولعنهم ، وكل شىء فى القرآن قتل فهو لعن .

و ﴿ أَنَّى ﴾ بمعنى كيف ، و ﴿ يُؤْفَكُونَ ﴾ بمعنى يصرفون ، من الأفك - بفتح الهمزة والفاء - بمعنى الانصراف عن الشىء .

أى : لعن الله - تعالى - هؤلاء المنافقين ، وطردهم من رحمته ، لأنهم بسبب مساكلهم الخبيثة ، وأفعالهم القبيحة ، وصفاتهم السيئة . . صاروا محل مقت العقلاء ، وعجبهم ، إذ كيف ينصرفون عن الحق الواضح إلى الباطل الفاضح ، وكيف يتركون النور الساطع ، ويدخلون فى الظلام الدامس؟!

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة : قد فضحت المنافقين ، وحذرت من شرورهم ، ووصفتهم بالصفات التى تخزيهم ، وتكشف عن دخائلهم المريضة .

ثم وصفهم - سبحانه - بصفات أخرى ، لا تقل فى قبحها وبشاعتها عن سابقتها فقال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ . . . ﴾ .." <الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٤٢١٣>

"٣٤- البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة. ألفه سنة ٤٢٤ هـ.

٣٥- بيان إعجاز القرآن. جزء.

٣٦- التبيان في اختلاف قالون وورش. جزء.

٣٧- التذكرة في اختلاف القراء السبعه. جزء.

٣٨- تسمية الأحزاب.

٣٩- التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه. جزآن.

٤٩- دعاء خاتمة القرآن.

٤١- شرح اختلاف العلماء في الوقوف على قوله تعالى : (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه)

٤٢- شرح الاختلاف في قوله : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة)

٤٣- شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون . . .)

٤٤- شرح الإدغام الكبير في المخارج. جزء.

٤٥- شرح **الوقف التام**. أربعة أجزاء.

٤٦- شرح رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم. جزء.

٤٧- شرح الراءات على قراءة ورش وغيره. جزء.

٤٨- شرح الفرق لحمزة وهشام. جزء.
٤٩- شرح قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم . . . فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران . . . ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها . . .) جزء.." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٢١/١>
"الخبر قد بعد من الابتداء واعترض بينهما شيء كثير ليس منه.
وقال غيره ﴿ ولا تستعجل لهم ﴾ **وقف تام** : وعن الحسن ﴿ من نهار ﴾ تمام الكلام ، وهو قول أبي حاتم أيضا ، وقال يعقوب ثم تبتدئ ﴿ بلاغ ﴾ أي : " ذلك بلاغ " . وكذلك قال نافع / ، إلا أنه قال : وإن شئت وقفت على " بلاغ " . ومن نصب فلا يقف إلا على بلاغ ؛ لأن ما قبله عمل فيه فلا يفرق بينهما ، ومن قرأ " بلغ " وقف على " نهار " واستأنف بالأمر .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٦٨٧٥/١١>
"وأراد عمر ضرب عنقه فقال له النبي A ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ".
قال أبو حاتم : ليس من أولها **وقف تام** إلى ﴿ ومآ أعلنتم ﴾.
وقال محمد بن عيسى : ﴿ أوليآء ﴾ وقف ، وقال غيره : إن جعلت ﴿ تلقون ﴾ نعتا " لأولياء " لم تقف على " أولياء " وإن جعلته مبتدأ وقفت على " أولياء ".
وقال القتبي : ﴿ بالمودة ﴾ : التمام.
[قال يعقوب] : و ﴿ وإياكم ﴾ وقف كاف.
وقال أبو حاتم : هو وقف بيان.
قال القتبي : هو تمام ، ولا يصح هذا لأن " وإن تؤمنوا " معمولة." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٧٤١٧/١١>
"﴿ فإن تولوا ﴾.
أي : إن تولى هؤلاء يا محمد ، عن الإيمان ، ﴿ فقل حسبي الله ﴾ ، أي : يكفيني الله ، ﴿ لا إله إلا هو ﴾.
قال أبي بن كعب : آخر آية نزلت :
﴿ لقد جآءكم رسول من أنفسكم عزيز ﴾ ، إلى آخر السورة.
﴿ حريص عليكم ﴾ ، **وقف تام** عند الأخفش ، لأن هذا مخاطبة لأهل مكة ، وقوله : ﴿ بالمؤمنين رءوف (رحيم) ﴾ ، لكل المؤمنين .." <الهداية الى بلوغ النهاية، ٣٢٠٢/٤>

"عليه بطابع. وقال مجاهد كانوا يرون أن ذلك الرين، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن الأعمش عن مجاهد بنحوه، قال ابن جرير وقال بعضهم إنما معنى قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ إخبار من الله عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق كما يقال أن فلانا أصم عن هذا الكلام إذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا قال وهذا لا يصح لأن الله تعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم (قلت) وقد أطنب الزمخشري في تقرير ما رده ابن جرير ههنا وتأول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدا وما جرأه على ذلك إلا اعتزاله لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها قبيح عنده يتعالى الله عنه في اعتقاده ولو فهم قوله تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وقوله: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ وما أشبه من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح فلو أحاط علما بهذا لما قال ما قال والله أعلم.

قال القرطبي: وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع عل قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم كما قال: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ وذكر حديث تقليب القلوب "ويا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك" وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا" الحديث، قال ابن جرير والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا به محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ هذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة والليث بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم ثلاثتهم عن محمد بن عجلان به، وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال ابن جرير فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر عنها مخلص فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ نظير الختم والطبع على ما تدركه

الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحل رباطه عنها.

واعلم أن **الوقف التام** على قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ وقوله: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ جملة تامة فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة وهي الغطاء يكون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ يقول فلا يعقلون ولا يسمعون يقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون، وقال ابن جرير: حدثني محمد." <تفسير ابن كثير / دار الفكر، ١/٦٣>

"قالوا لنبيهم ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فلما سمعها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تتابعوا على ذلك، وهذا أن كان محفوظا يوم الحديبية فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر.

وقوله: ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ يعني لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعيا عليهم ﴿إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ أي ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ قال العوفي عن ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم، وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك: اقض بيننا وبينهم، وافتح بيننا وبينهم، وقال غيره: افرق افصل بيننا وبينهم، كما قال الشاعر

يا رب فافرق بينه وبين يأشد ما فرقت بين اثنين

وقوله تعالى: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ الآية، لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسيرون دائما لا يهتدون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد ويقال لها: قبة الزمان، قال يزيد بن هارون عن أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿قال فإنها محرمة

عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ الآية قال: فتاهوا في الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى، وهذا قطعة من حديث الفتون، ثم كانت وفاة هارون عليه السلام، ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة موسى عليه السلام، وأقام لله فيهم يوشع بن نون عليه السلام، نبيا خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب، ومن ههنا قال بعض المفسرين في قوله: ﴿قال فإنها محرمة عليهم﴾ هذا **وقف تام**، وقوله: ﴿أربعين سنة﴾ منصوب بقوله: ﴿يتيهون في الأرض﴾ فلما انقضت المدة، خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام، أو بمن بقي منهم، وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم، قال: إنك مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها علي. فحبسها الله تعالى حتى فتحها، وأمر الله يوشع بن نون، أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بين المقدس، أن يدخلوا بابها سجدا، وهم يقولون: حطة أي حط عنا ذنوبنا، فبدلوا ما أمروا به، ودخلوا يزحفون على أستاههم وهو يقولون: حبة في شعرة، وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أبي عمر العبدي، حدثنا سفيان عن أبي سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، قوله: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ قال: فتاهوا أربعين سنة، قال: فهلك موسى وهارون في التيه، وكل من جاوز الأربعين سنة، فلما مضت الأربعون سنة، ناهضهم يوشع بن نون، وهو الذي قام بالأمر بعد موسى، وهو الذي افتتحها، وهو الذي قيل له، اليوم يوم الجمعة،."

<تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٢/٥١>

"بعض عباده، وجعلوا له شريكا وعدلا، واتخذوا له صاحبة وولدا، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا. وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني أباهم آدم، الذي هو أصلهم، ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغارب! وقوله: ﴿ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده﴾ قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ثم قضى أجلا﴾ يعني الموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ يعني الآخرة، وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، والحسن وقتادة والضحاك، وزيد بن أسلم وعطية والسدي، ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقول الحسن في رواية عنه ﴿ثم قضى أجلا﴾ وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث، هو يرجع إلى ما تقدم، وهو تقدير الأجل الخاص، وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام، وهو عمر الدنيا بكمالها، ثم انتهائها وانقضائها وزوالها،! وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة، وعن ابن عباس

ومجاهد، ﴿وأجل مسمى عنده﴾ يعني مدة الدنيا، ﴿وأجل مسمى عنده﴾ يعني عمر الإنسان إلى حين موته، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ الآية، وقال عطية: عن ابن عباس ﴿ثم قضى أجلا﴾ يعني النوم، يقبض فيه الروح، ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة، ﴿وأجل مسمى عنده﴾ يعني أجل موت الإنسان، وهذا قول غريب، ومعنى قوله: ﴿عنده﴾ أي لا يعلمه إلا هو، كقوله: ﴿إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ وكقوله: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم أنتم تمترون﴾ قال السدي وغيره: يعني تشكون في أمر الساعة، وقوله تعالى: ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين، تعالى عن قولهم علوا كبيرا، بأنه في كل مكان، حيث حملوا الآية على ذلك،

فالأصح من الأقوال : أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول، كقوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ أي هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ خبرا أو حالا.

(والقول الثاني) أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، من سر وجهر، فيكون قوله يعلم، متعلقا بقوله: ﴿في السماوات وفي الأرض﴾ تقديره، وهو الله يعلم سركم وجهركم، في السموات وفي الأرض، ويعلم ما تكسبون،

(والقول الثالث) أن قوله: ﴿وهو الله في السماوات﴾ **وقف تام**، ثم استأنف الخبر، فقال ﴿وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ وهذا اختيار ابن جرير، وقوله: ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ أي جميع أعمالكم خيرها وشرها.

﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جآءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السمآء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين، أنهم مهما أتتهم من آية أي دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات، على وحدانية الله وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها، قال."

<تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٢/١٥٢>

"والعبادة غاية الحب في غاية الخوف في غاية الذل؛ وكيف لا يشعر بالذل من يستحضر عظمة مالك كل شيء؟ أو بالخوف من يستحضر شدة وعظمة يوم الدين والحساب؛ وكيف لا يشعر بالحب من يسمع صفات الله تعالى؛ ولا سيما الرحمن الرحيم المنبني عليهما الإحسان؛ وكذلك سائر صفات الكمال؛ والمحبوب إنما يحب لكمال ذاته أو صفاته أو أفعاله، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها.

والله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه وأقربهم إليه فقال: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) [١٧٢] وقال: (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) [٢٠٦/٧] وهذا يبين أن **الوقف التام** في قوله في سورة الأنبياء (وله من في السماوات والأرض) [١٩/٢١] ههنا ثم يبتدىء (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فهما جملتان تامتان مستقلتان أي إن له من في السماوات ومن في الأرض عبيداً وملكاً ثم استأنف جملة أخرى فقال: (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته) يعني أن الملائكة الذين عنده لا يستكبرون عن عبادته يعني لا يأنفون عنها ولا يتعاظمون ولا يستحسرون فيعيون وينقطعون يقال: حسر واستحسر، أي إذا تعب وأعيا بل عبادتهم وتسبيحهم كالنفس لبني آدم.."

<تفسير الفاتحة مثالا على تدبر القرآن، ص/٧>

"﴿وقيل للذين اتقوا﴾ أي : خافوا عقاب الله ﴿ماذا﴾ أي : أي شيء ﴿أنزل ربكم قالوا خيرا﴾ أي : أنزل خيرا وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء سأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون : ساحر شاعر كذاب مجنون ولو لم تلقه خيرلك فيقول السائل : أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة وألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه ، وأنه نبي مبعوث من الله تعالى فذلك قوله تعالى : ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ الآية فإن قيل : لم رفع الأول وهو قولهم أساطير الأولين ونصب الثاني وهو قولهم خيرا أجيب : بأنه ذكر ذلك للفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد ، وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا أساطير الأولين وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلا. ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا ، وطابقوا الجواب عن السؤال بينا مكشوفا مفعولا للإنزال ، فقالوا : ﴿خيرا﴾ أي : أنزل خيرا ، وتم الكلام عند قوله ﴿خيرا﴾ فهو **وقف تام** ، ثم ابتدأ بقوله تعالى :



للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ أي : حياة طيبة أو أن للذين أتوا بالأعمال الصالحات الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة ، أو أنه تعالى بين أن اعترافهم بذلك الإحسان في هذه الدنيا حسنة أي : جزاء لهم على إحسانهم ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن ، ٦٠)

ولما كانت هذه الدار سريعة الزوال أخبر عن حالهم في الآخرة فقال : ﴿ولدار الآخرة﴾ أي : الجنة ﴿خير﴾ أي : ما أعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا ، ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى : ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أي : دار الآخرة ، فحذف لتقدم ذكرها وقال الحسن : هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة.

وقوله تعالى : ﴿جنات﴾ أي : بساتين ﴿عدن﴾ أي : إقامة خبر مبتدأ محذوف ويصح أن يكون المخصوص بالمدح ﴿يدخلونها﴾ أي : تلك الجنات حالة كونها ﴿تجري من تحتها﴾ أي : من تحت غرفها ﴿الأنهار﴾ ثم كأن سائلا سأل عما فيها من الثمار وغيرها. فأجيب بأن ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ أي : ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، مع زيادات غير ذلك ، فهذه الآية تدل على حصول كل الخيرات والسعادات فهي أبلغ من قوله تعالى : ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ (الزخرف ، ٧١)

لأن هذين القسمين داخلان في قوله تعالى : ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ مع أقسام أخرى وعلى أن الإنسان لا يجد كل ما يريده في الدنيا ، لأن قوله : ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ يفيد الحصر ﴿كذلك﴾ أي : مثل هذا الجزاء العظيم ﴿يجزي الله﴾ أي : الذي له الكمال كله ﴿المتقين﴾ أي :

٢٥٦

الراسخين في صفة التقوى ، ثم حث تعالى على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت فقال : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ أي : تقبض أرواحهم وقوله تعالى : ﴿طيبين﴾ كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ، ويدخل فيه كونهم موصوفين بالأخلاق الفاضلة ، مبرئين عن الأخلاق المذمومة ، ويدخل فيه كونهم مبرئين عن العلائق الجسمانية ، متوجهين إلى حضرة القدس ، ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح ، وأنها لم تقبض إلامع البشارة بالجنة ، حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ، ومن هذا حاله لا يتألم بالموت ، وأكثر المفسرين على أن هذا التوفي هو قبض الأرواح كما مر ، وإن كان الحسن يقول : إنه وفاة الحشر. واستدل بقوله تعالى : ﴿ادخلوا الجنة﴾ لأنه

لا يقال عند قبض الأرواح في الدنيا ، ادخلوا الجنة. وأجاب الأكثرون بما سيأتي وأدغم أبو عمرو التاء في الطاء بخلاف عنه. ثم بين تعالى أن الملائكة ﴿يقولون﴾ لهم عند الموت ﴿سلام عليكم﴾ فتسلم عليهم أوتبلغهم السلام من الله تعالى ، كما روي أن العبد المؤمن إذا أشرف على الموت جاءه ملك فقال : السلام عليك يا ولي الله ، الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة ، ويقال لهم في الآخرة هذا جواب الأكثرين ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ أو إنهم لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم ، وكأنهم فيها فيكون المراد بقولهم : ادخلوا الجنة ، أي : هي خاصة لكم كأنكم فيها. ولما طعن الكفار في القرآن بقولهم : ﴿أساطير الأولين﴾ وذكر أنواع التهديد والوعيد ثم أتبعه بذكر الوعد لمن وصف القرآن بكونه خيرا ، عاد إلى بيان أن أولئك الكفار لا ينزجرون عن كفرهم وأقوالهم الباطلة إلا إذا جاءتهم الملائكة ، وأتاهم أمر ربك فقال تعالى :
﴾

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٥٤." <تفسير السراج المنير . ، ٢/١٧٩>

"وقال أهل المعاني : إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها دعوا بالويل وصار عذاب القبر في جنبها كالنوم فعدوا مكانهم الذي كانوا فيه مع ما كانوا فيه من عذاب البرزخ مرقدا هينا بالنسبة إلى ما انكشف لهم من العذاب الأكبر فقالوا : من بعثنا من مرقدنا ، فإن قيل : ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا ؟

أجيب : بأنهم لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل عليهم الصلاة والسلام فقالوا : يا ويلنا أبعثنا الله البعث الموعود به أم كنا نياما فنبهنا ؟

كما إذا كان الإنسان موعودا بأن يأتيه عدو لا يطيقه ، ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول : أهذا ذاك أم لا ؟

ويدل على هذا قولهم ﴿من مرقدنا﴾ حيث جعلوا القبور موضع الرقاد إشارة إلى أنهم شكوا في أنهم كانوا نياما فتنبهوا أو كانوا موتى فبعثوا ، وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين وقالوا من مرقدنا إشارة إلى متوهمهم احتمال الانتباه.

وقولهم ﴿هذا﴾ إشارة إلى البعث ﴿ما﴾ أي : الذي ﴿وعد﴾ أي : به ﴿الرحمن﴾ أي : العام الرحمة الذي رحمته مقتضية ولا بد للبعث لينصف المظلوم من ظالمه ويجازي كلا بعمله من غير حيف وقد رحمنا بإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام إلينا بذلك وطالما أنذرونا حلوله وحذرونا

٤٣٣

صعوبته وطوله ﴿وصدق﴾ أي : في أمره ﴿المرسلون﴾ أي : الذين أتونا بوعد الله تعالى ووعيده.

تنبيه : في إعراب هذا وجهان : أظهرهما : أنه مبتدأ وما بعده خبره ويكون **الوقف تاما** على قوله تعالى ﴿من مرقدنا﴾ وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان : أحدهما : أنها مستأنفة إما من قول الله تعالى أو من قول الملائكة أو من قول المؤمنين ، الثاني : أنها من كلام الكفار فتكون في محل نصب بالقول الثاني من الوجهين الأولين هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله ، ثم في (ما) وجهان أحدهما : أنها في محل رفع بالابتداء والخبر مقدر أي : الذي وعده الرحمن وصدق المرسلون فيه حق عليكم وإليه ذهب الزجاج والزمخشري ، والثاني : أنه خبر مبتدأ مضمر أي : في هذا الذي وعد الرحمن.

﴿إن﴾ أي : ما ﴿كانت﴾ أي : النفخة التي وقع الإحياء بها ﴿إلا صيحة واحدة﴾ أي : كما كانت صيحة الإماتة واحدة ﴿فإذا هم﴾ أي : فجأة من غير توقف أصلا ﴿جميع﴾ أي : على حالة الاجتماع لم يتأخر منهم أحد ﴿لدينا﴾ أي : عندنا ﴿محضرون﴾ ثم بين تعالى ما يكون في ذلك اليوم بقوله تعالى :

﴿فاليوم لا تظلم نفس﴾ أي : أي نفس كانت مكروهة أو محبوبة ﴿شيئا﴾ أي : لا يقع لها ظلم ما من أحد ما في شيء ما ﴿ولا تجزون﴾ أي : على عمل من الأعمال شيئا من الجزاء من أحد ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ ديدنا لكم بما ركز في جبلاتكم ثم بين تعالى حال المحسن بقوله تعالى :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٢٩

﴿إن أصحاب الجنة﴾ أي : الذين لا حظ للنار فيهم ﴿اليوم﴾ أي : يوم البعث وهذا يدل على أنه يعجل دخولهم ودخول بعضهم إليها ووقوف الباقين للشفاعات ونحوها من الكرامات عند دخول أهل النار النار ، وعبر بما يدل على أنهم بكلياتهم مقبلون عليه ومطرقون له مع توجههم إليه بقوله ﴿في شغل﴾ أي : عظيم جدا لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا في الدنيا في أشغل الشغل بالمجاهدات في الطاعات.

وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم العين ، والباقون بالإسكان ثم بين ذلك الشغل بقوله ﴿فاكهون﴾ أي : متلذذون في النعمة ، واختلف في هذا الشغل فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : في افتضاض الإبكار ، وقال وكيع بن الجراح رضي الله عنهما : في السماع ، وقال الكلبي : في شغل عن أهل النار وما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم ، وقال ابن كيسان : في زيارة

٤٣٤

بعضهم بعضا ، وقيل : في ضيافة الله تعالى فاكهون ، وقيل : في شغل عن هول اليوم يأخذون ما آتاهم الله تعالى من الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٣٤
وقوله تعالى ﴿فاكهون﴾ متمم لبيان سلامتهم فإنه لو قال : في شغل جاز أن يقال : هم في شغل أعظم من التفكر في اليوم وأهواله فإن من تصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه أمر من أموره أو يخبر بخسران وقع في ماله يقول : أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال : فاكهون أي : شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : فاكهون : فرحون.
ولما كانت النفس لا يتم سرورها إلا بالقرين الملائم قال تعالى :
﴿هم﴾ أي : بظواهرهم وبواطنهم ﴿وأزواجهم﴾ أي : أشكالهم الذين لهم في غاية الملاءمة كما كانوا يتركونهم في المضاجع على ألذ ما يكون ويصفون أقدامهم في خدمتنا وهم يبكون من خشيتنا ، وفي هذا إشارة إلى عدم الوحشة ﴿في ظلال﴾ أي : يجدون فيها برد الأكباد وغاية المراد فلا تصيبهم الشمس كما كانوا يشوون أكبادهم في دار العمل بحر الصيام والصبر في مرضاتنا على الآلام ويعرون أيديهم وقلوبهم من الأموال ببذل الصدقات في سبيلنا على ممر الليالي وكر الأيام.." <تفسير السراج المنير . ، ٢٩٣/٣>
"وقال هنا ﴿وكان الله﴾ أي : الملك الذي لا أمر لأحد معه أزلا وأبدا ﴿عزيزا﴾ أي : يغلب ولا يغلب ﴿حكيما﴾ أي : يضع الشيء في أحكم مواضعه فلا يستطاع نقض شيء مما ينسب إليه أجيب : بأنه لما كان في جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله تعالى ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية ﴿وكان الله عزيزا حكيما﴾.
﴿إنا﴾ أي : بما لنا من العز والحكمة ﴿أرسلناك﴾ أي : بما لنا من العظمة إلى الخلق كافة ﴿شاهدا﴾ على أفعالهم من كفر وإيمان وطاعة وعصيان من كان بحضرتك فبنفسك ومن كان بعد موتك أو غائبا عنك فبكتابك مع ما أيدناك به من الحفظة من الملائكة الكرام ﴿ومبشرا﴾ أي : لمن أطاع بأنواع البشائر ﴿ونذيرا﴾ أي مخوفا لمن خالفك وعصى أمرك بالنار. ثم بين تعالى فائدة الإرسال.
بقوله سبحانه : ﴿ليؤمنوا بالله﴾ أي : لا يسوغ لأحد من خلقه. والكل خلقه التوجه إلى غيره ﴿ورسوله﴾ أي : الذي أرسله من له كل شيء ملكا وخلقا إلى جميع خلقه ﴿ويعزروه﴾ أي يعينوه وينصرونه والتعزير نصر مع تعظيم ﴿ويوقروه﴾ أي : يعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل ﴿ويسبحوه﴾ من التسبيح الذي هو التنزيه عن جميع النقائص أو من السبحة وهي الصلاة. قال الزمخشري : والضمائر لله عز وجل : والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد. وقال غيره : الكنايات في قوله ﴿ويعزروه ويوقروه﴾ راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٥

وعندها تم الكلام فالوقف على ﴿ويوقروه﴾ **وقف تام** ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿ويسبحوه﴾ ﴿بكرة وأصيلا﴾ أي غدوة وعشيا أي دائما وعن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر على أن الكناية في ﴿ويسبحوه﴾ راجعة إلى الله عز وجل وقال البقاعي : الأفعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى لأن من سعى في قمع الكفار فقد فعل فعل المعزر الموقر ، فيكون إما عائدا على المذكور وإما أن يكون جعل الأسمين واحدا إشارة إلى اتحاد المسميين في الأمر فلما اتحد أمرهما وحد الضمير إشارة إلى ذلك ا. هـ فعنده أنه يصح رجوع الثلاثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه فسر ﴿ويسبحوه﴾ بقوله ينزهوه عن كل وخيمة باختلاف الوعد بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : بالياء في الأربعة على الغيبة رجوعا إلى قوله تعالى ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات﴾ والباقون بالتاء على الخطاب ولما بين تعالى أنه مرسل ذكر أن من بايع رسوله فقد بايعه. فقال تعالى :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٣

﴿إن الذين يبايعونك﴾ يا أشرف الرسل بالحديبية على أن لا يفروا ﴿إنما يبايعون الله﴾ أي : الملك الأعظم لأن عملك كله من قول أو فعل له تعالى وما ينطق عن الهوى وسميت مبايعة لأنهم باعوا أنفسهم فيها من الله تعالى بالجنة قال الله تعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (التوبة : ١١١) الآية "وروى يزيد بن أبي عبيد قال : قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال : على الموت" وعن معقل بن يسار قال : "لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربعة عشر مائة قال : لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر" قال أبو عيسى : معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت. أي لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل وبايعه آخرون وقالوا : لا نفر. وقوله تعالى : ﴿يد الله﴾ أي : المتردي بالكبرياء ﴿فوق أيديهم﴾ أي : في المبايعة يحتمل وجوها وذلك أن اليد في الموضعين إما أن تكون بمعنى واحد وإما أن تكون بمعنيين فإن كانت بمعنى واحد ففيه وجهان : أحدهما قال الكلبي : نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا

٢٦

من البيعة كما قال تعالى : ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ (الحجرات : ١٧)

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦." <تفسير السراج المنير . ، ٤/١٩>

عكرمة : تقاتلون معه بالسيف ، أخبرنا علي بن محمد بن محمد بن أحمد البغدادي ، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد الشيباني ، أخبرنا عيسى بن عبدالله البصري بهراة ، حدثنا أحمد بن حرب الموصلي ، حدثنا القاسم بن يزيد الحرمي ، حدثنا سفيان بن سعيد الثوري ، عن يحي بن سعيد القطان ، حدثنا سفيان بن عينية ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبدالله ، قال : لما نزلت على النبي (صلى الله عليه وسلم)) وتعزروه (، قال لنا : ماذاكم ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : لتنصروه وتوقروه وتعظموه وتفخموه . وهاهنا **وقف تام** .

) وتسبحوه (أي وتسبحوا الله بالتنزيه والصلاة .) بكرة وأصيلا (.

) إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنآ أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنآ أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السماوات والارض يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا قل للمخلفين من الاعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هاذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون ءاية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا (٢

الفتح : (١٠) إن الذين يبايعونك . . . . .

) إن الذين يبايعونك (يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا) إنما يبايعون الله (.

أخبرنا ابن منجويه ، حدثنا ابن حبش المقري ، حدثنا محمد بن عمران ، حدثنا أبو عبدالله المخزومي ، حدثنا

سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار إنه سمع جابرا يقول : كنا يوم الحديبية ألف وأربعمائة ، فقال لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (أنتم اليوم خير أهل الأرض) . قال : وقال لنا." <الكشف والبيان . ، ٩/٤٤>

"الشئ (مخففا) أفسره (بالكسر) فسرا.

والتأويل بيان المعنى، كقوله لا شك فيه عند

المؤمنين.

أو لانه حق في نفسه فلا يقبل ذاته الشك وإنما الشك وصف الشاك.

وكقول ابن عباس في الجد أبا، لانه تأول قول الله عز وجل: " يا بنى آدم ".

الثامنة – قوله تعالى: (والراسخون في العلم) اختلف العلماء في " والراسخون في العلم " هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع.

فالذي عليه الاكثر أنه مقطوع مما قبله، وأن الكلام تم عند قوله " إلا الله " هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والاخفش والفراء وأبى عبيد [وغيرهم] (١).

قال أبو نهيك الاسدي: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة.

وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم " آمنا به كل من عند ربنا ".

وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز، وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس.

و " يقولون " على هذا خبر " الراسخون ".

قال الخطابي: وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذى أمرنا بالايمان به والتصديق بما فيه قسمين: محكما ومتشابها، فقال عز من قائل: " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات...إلى قوله: كل من عند ربنا " فاعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله أحد غيره، ثم أثنى الله عزوجل على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به.

ولولا صحة الايمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه.

ومذهب أكثر العلماء أن **الوقف التام** في هذه الاية إنما هو عند قوله تعالى: " وما يعلم تأويله إلا الله " وأن ما بعده استئناف كلام آخر، وهو قوله " والراسخون في العلم يقولون آمنا به ".

وروى ذلك عن ابن مسعود وأبى بن كعب وابن عباس وعائشة.

وإنما روى عن مجاهد أنه نسق " الراسخون " على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه.

واحتج له بعض أهل اللغة فقال: معناه والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا، وزعم أن موضع " يقولون " نصب على الحال.

وعامة أهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه، لان العرب لا تضمر الفعل والمفعول معا، ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل، فإذا لم يظهر فعل فلا يكون حال، ولو جاز ذلك لجاز

---

(١) الزيادة من نسخة: ج.

(*)." <تفسير القرطبي، ١٦/٤>

"وهو خبر إن.

" ورافعك " عطف عليه، وكذا " مطهرك " وكذا " وجاعل الذين اتبعوك ".

ويجوز " وجاعل (١) الذين " وهو الاصل.

وقيل: إن **الوقف التام** عند قوله: " ومطهرك من الذين كفروا ".

قال النحاس: وهو قول حسن.

" وجاعل الذين اتبعوك " يا محمد " فوق الذين كفروا " أي بالحجة وإقامة البرهان.

وقيل بالعز والغلبة.

وقال الضحاك ومحمد ابن أبان: المراد الحواريون.

والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من نصرين (٥٦) وأما الذين ءامنوا وعملوا الصلحت

فيوفيهم أجورهم والله لا يحت الظلمين (٥٧) ذلك نتلوه عليك من الايت والذكر الحكيم (٥٨) قوله تعالى: (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة) يعني بالقتل والصلب والسبي والجزية، وفي الاخرة بالنار.

(ذلك نتلوه عليك) " ذلك " في موضع رفع بالابتداء وخبره " نتلوه ".

ويجوز: الامر ذلك، على إضمار المبتدإ.

قوله تعالى: إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩) الحق من ربك فلا

تكن من الممترين (٦٠) قوله تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) دليل على صحة القياس.

والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب.

والشئ قد يشبه بالشئ وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد، فان آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب، ولان أصل خلقتهما كان من تراب لان آدم لم يخلق من نفس التراب،

---

(١) كذا في بعض الاصول وكتاب إعراب القرآن للنحاس.

وفى ز: وجعل.

(*)." <تفسير القرطبي، ٤/١٠٢>

"لأنه متصل بقولها: " أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين " [يوسف: ٥١] وهذا مذهب الذين ينفون الهم عن يوسف عليه السلام، فمن بنى على قولهم قال: من قوله: " قالت امرأة العزيز " [يوسف: ٥١] إلى قوله: " إن ربي غفور رحيم " كلام متصل بعضه ببعض، ولا يكون فيه **وقف تام** على حقيقة، ولسنا نختار هذا القول ولا نذهب إليه.

وقال الحسن: لما قال يوسف " ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب " كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال: " وما أبرئ نفسي " لأن (١) تزكية النفس مذمومة، قال الله تعالى: " فلا تزكوا أنفسكم " (٢) [النجم: ٣٢] وقد بيناه في " النساء " (٣).

وقيل: هو من قول العزيز، أي وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف.

(إن النفس لأمارة بالسوء) أي مشتهية له.

(إلا ما رحم ربى) في موضع نصب بالاستثناء، و " ما " بمعنى من، أي إلا من رحم ربي فعصمه، و " ما " بمعنى من كثير، قال الله تعالى: " فانكحوا ما طاب لكم من النساء " (٣) [النساء: ٣] وهو استثناء منقطع، لأنه استثناء المرحوم بالعصمة من النفس الأمارة بالسوء، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ما تقولون في صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية " قالوا: يا رسول الله ! هذا شر صاحب في الأرض.

قال: " فوالذي نفسي بيده إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم ".

قوله تعالى: وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين (٥٤) قوله تعالى: (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسي) لما ثبت للملك براءته مما نسب إليه، وتحقق في القصة أمانته، وفهم أيضا صبره وجلده عظمت منزلته عنده، وتيقن حسن خلاله قال: " ائتوني به استخلصه لنفسي " فانظر إلى قول الملك أولا - حين تحقق علمه -

" ائتوني به " فقط، فلما فعل يوسف ما فعل ثانيا (٤) قال: " ائتوني به استخلصه لنفسي " وروي عن وهب بن منبه قال: لما دعي يوسف وقف بالباب فقال: حسبي ربي من خلقه،

---

(١) من ع.

(٢) راجع ج ١٧ ص ١١٠.

(٣) راجع ج ٥ ص ٢٤٦ فما بعد وص ١٢.

(٤) في ع وو وى: قال ثانيا.

(*)." <تفسير القرطبي، ٩/٢١٠>

"إن متعناهم سنين) يعني في الدنيا والمراد أهل مكة في قول الضحاك وغيره.

(ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب والهلاك (ما أ غنى عنهم ما كانوا يمتعون).

" ما " الاولى أستفهام معناه التقرير، وهو في موضع نصب ب " أغنى " و " ما " الثانية في موضع رفع، ويجوز أن تكون الثانية نفيا لا موضع لها.

وقيل: " ما " الاولى حرف نفي، و " ما " الثانية في موضع رفع ب " أغنى " والهاء العائدة محذوفة.

والتقدير: ما أغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه.

وعن الزهري: إن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ " أفرأيت إن متعناهم سنين.

ثم جاءهم ما كانوا يوعدون.

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون " ثم يبكي ويقول: نهارك يا مغرور سهو وغفلة * * وليلك نوم والردى لك لازم فلا أنت في الايقاظ يقظان حازم * * ولا أنت في النوام ناج فسالم تسر بما يفنى وتفرح بالمنى * *كما سر باللذات في النوم حالم

وتسعى إلى ما سوف تكره غبه * *كذلك في الدنيا تعيش البهائم قوله تعالى: (وما أهلكنا من قرية) " من " صلة، المعنى: وما أهلكنا قرية.

(إلا لها منذرون) أي رسل.

(ذكرى) قال الكسائي: " ذكرى " في موضع نصب على الحال.

النحاس: وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح، لان معنى " إلا لها منذرون " إلا لها مذكرون.

و " ذكرى " لا يتبين فيه الاعراب، لان فيها ألفا مقصورة.

ويجوز " ذكرى " بالتنوين، ويجوز أن يكون " ذكرى " في موضع رفع على إضمار مبتدأ.

قال أبو إسحق: أي إنذارنا ذكرى.

وقال الفراء: أي ذلك ذكرى، وتلك ذكرى.

وقال ابن الانباري قال بعض المفسرين: ليس في " الشعراء " **وقف تام** إلا قوله " إلا لها منذرون " وهذا عندنا وقف حسن، ثم يبتدئ " ذكرى " على معنى هي ذكرى أي يذكرهم ذكرى، والوقف على " ذكرى " أجود.

(وما كنا ظالمين) في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.:" <تفسير القرطبي، ١٤١/١٣>

"من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، ودخيلة في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد) قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتد ضم فخذيه فحبسه بقوته.

الثالثة – قوله تعالى: (وألامر إليك فانظري ماذا تأمرين) سلموا الامر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة، فلما فعلوا ذلك أخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها.

وفي هذا الكلام خوف على قومها، وحيطة واستعظام

لامر سليمان عليه السلام.

" وكذلك يفعلون " قيل: هو من قول بلقيس تأكيدا للمعنى الذى أرادته.

وقال ابن عباس: هو من قول الله عزوجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته بذلك ومخبرا به.

وقال وهب: لما قرأت عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله، فقالت: ما هذا ؟ ! فقال بعض القوم: ما نظن هذا إلا عفريتا عظيما من الجن يقتدر به هذا الملك على ما يريده، فسكتوه.

وقال الآخر: أراهم ثلاثة من العفاريت، فسكتوه، فقال شاب قد علم: يا سيدة الملوك ! إن سليمان ملك قد أعطاه ملك السماء ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة إلا بدأ فيها بتسمية إلهه، والله اسم مليك السماء،

والرحمن الرحيم نعوته، فعندها قالت: " أفتوني في أمرى " فقالوا: " نحن أولو قوة " في القتال " وأولو بأس شديد " في الحرب واللقاء " والامر إليك " ردوا أمر هم إليها لما جربوا على رأيها من البركة " فانظري ماذا تأمرين " ف " قالت ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوهها وجعلوا أعزة أهلها أذلة " أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الامور، فصدق الله قولها.

" وكذلك يفعلون " قال ابن الانباري: " وجعلوا أعزة أهلها أذلة " هذا **وقف تام**، فقال الله عزوجل تحقيقا لقولها: " وكذلك يفعلون " وشبيه به في سورة " الاعراف " " قال الملا من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم " تم الكلام، فقال فرعون: " فماذا تأمرون ".

وقال ابن شجرة.

هو قول بلقيس، فالوقف " وكذلك يفعلون " أي وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.." <تفسير القرطبي، ١٣/١٩٥>

"قوله تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار) هذا متصل بذكر الشركاء اعبدوهم واختاروهم للشفاعة، أي الاختيار إلى الله تعالى في الشفعاء لا إلى المشركين.

وقيل هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال: " لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " يعني نفسه زعم، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف.

وقيل: هو جواب اليهود إذ قالوا لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به.

قال ابن عباس: والمعنى، وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منهم من يشاء لطاعته.

وقال يحيي بن سلام: والمعنى، وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوته.

وحكى النقاش: إن المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، ويختار الانصار لدينه.

قلت: وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا عن جابر " إن الله تعالى اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحابي أربعة – يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعليا – فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الامم واختار لي من أمتي أربعة قرون ".

وذكر سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن أبيه في قوله عزوجل: " وربك يخلق ما يشاء ويختار " قال من النعم الضأن، ومن الطير الحمام.

والوقف التام " ويختار ".

وقال علي بن سليمان: هذا وقف التمام ولا يجوز أن تكون " ما " في موضع نصب ب " يختار " لانها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شئ.

قال وفي هذا رد على القدرية.

قال النحاس: التمام " ويختار " أي ويختار الرسل.

(ما كان لهم الخيرة) أي ليس يرسل من اختاروه هم.

قال أبو إسحق: " ويختار " هذا **الوقف التام** المختار، ويجوز أن تكون " ما " في موضع نصب ب " يختار " ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة.

قال القشيري: الصحيح الاول لاطباقهم [على] الوقف على قوله " ويختار ".

قال المهدوي: وهو أشبه بمذهب أهل السنة و " ما " من قوله: " ما كان لهم الخيرة " نفي عام لجميع الاشياء أن يكون للعبد فيها شئ سوى اكتسابه بقدرة الله عزوجل.

الزمخشري: " ما كان لهم الخيرة " بيان لقوله: " ويختار " لان معناه يختار ما يشاء، ولهذا لم يدخل العاطف، والمعنى، وإن الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوده الحكمة فيها أي ليس لاحد." <تفسير القرطبي، ٣٠٥/١٣>

"(ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمودا وأهل مدين.

(ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) قوم نوح وقوم فرعون.

(وما كان الله ليظلمهم) لانه أنذرهم وأمهلهم وبعث إليهم الرسل وأزاح العذر.

قوله تعالى: مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الامثل نضربها للناس وما يعقلها إلا العلمون (٤٣) قوله تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت) قال الاخفش: "كمثل العنكبوت " **وقف تام**، ثم قصتها فقال: (أتخذت بيتا) قال ابن الانباري: وهذا غلط، لان " أتخذت بيتا " صلة للعنكبوت، كأنه قال: كمثل التي أتخذت بيتا، فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصول، وهو بمنزلة قوله: "كمثل الحمار يحمل أسفارا " فيحمل صلة للحمار ولا يحسن الوقف على الحمار دون يحمل.

قال الفراء: هو مثل ضربه الله سبحانه لمن أتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا.

ولا يحسن الوقف على العنكبوت، لانه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي

لا يقيها من شئ، فشبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر به.

(وإن أوهن البيوت) أي أضعف البيوت (لبيت العنكبوت).

قال الضحاك: ضرب مثلا لضعف آلهتهم ووهنها فشبهها ببيت العنكبوت.

(لو كانوا يعلمون) " لو " متعلقه ببيت العنكبوت.

أي لو علموا أن عبادة الاوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئا، وأن هذا مثلهم لما عبدوها، لا أنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف.

وقال النحاة: أن تاء العنكبوت في آخرها مزيدة، لانها تسقط في التصغير والجمع وهي مؤنثة.

وحكى الفراء تذكيرها وأنشد: على هطالهم منهم بيوت * *كأن العنكبوت قد ابتناها." <تفسير القرطبي، ١٣/٣٤٥>

"ألا بكرت مي بغير سفاهة * تعاتب والمودود ينفعه العزر وقال ابن عباس وعكرمة: تقاتلون معه بالسيف.

وقال بعض أهل اللغة: تطيعوه.

" وتوقروه " أي تسودوه، قاله السدي.

وقيل تعظموه.

والتوقير: التعظيم والترزين أيضا.

والهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم.

وهنا وقف تام، ثم تبتدئ " وتسبحوه " أي تسبحوا الله " بكرة وأصيلا " أي عشيا.

وقيل: الضمائر كلها لله تعالى، فعلى هذا يكون تأويل " تعزروه وتوقروه " أي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك.

واختار هذا القول القشيري.

والاول قول الضحاك، وعليه يكون بعض الكلام راجعا إلى الله

سبحانه وتعالى وهو " وتسبحوه " من غير خلاف.

وبعضه راجعا إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو " وتعزروه وتوقروه " أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية.

وفي " تسبحوه " وجهان: أحدهما - تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح.

والثاني - هو فعل الصلاة التي فيها التسبيح.

" بكرة وأصيلا " أي غدوة وعشيا.

وقد مضى القول (١) فيه.

وقال الشاعر: لعمري لانت البيت أكرم أهله * وأجلس في أفيائه بالاصائل (٢) قوله تعالى: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (١٠) قوله تعالى: " إن الذين يبايعونك " بالحديبية يا محمد.

" إنما يبايعون الله " بين أن بيعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم إنما هي بيعة الله، كما قال تعالى: " من يطع الرسول فقد أطاع الله " (٣) [النساء: ٨٠].

وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان، على ما يأتي بيانها في هذه السورة إن شاء الله تعالى.

" يد الله فوق أيديهم " قيل: يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء، ويده في المنة عليهم بالهداية فوق أيديهم في الطاعة.

وقال الكلبي: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا

---

(١) راجع ج ١٤ ص ١٩٨ (٢) البيت لابي ذؤيب.

(٣) آية ٨٠ سورة النساء.

(*)." <تفسير القرطبي، ١٦/٢٦٧>

"نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا" الحديث.

قال (١) والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره (٢) الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما حدثنا به محمد بن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] (٣) .

وهذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي، عن قتيبة، عن الليث بن سعد، وابن ماجه عن هشام

بن عمار عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم، ثلاثتهم عن محمد بن عجلان، به (٤) .

وقال الترمذي: حسن صحيح.

ثم قال ابن جرير: فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر عنها (٥) مخلص، فذلك (٦) هو الختم والطبع الذي ذكر (٧) في قوله تعالى: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض (٨) ذلك عنها ثم حلها، فكذلك (٩) لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحله رباطه [عنها] (١٠) .

واعلم أن الوقف التام على قوله تعالى: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ ، وقوله ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ جملة تامة، فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة -وهي الغطاء-تكون على البصر، كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله (١١) صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ يقول: فلا يعقلون ولا يسمعون، ويقول: وجعل على أبصارهم غشاوة، يقول: على أعينهم فلا يبصرون.

قال (١٢) ابن جرير: حدثني محمد بن سعد (١٣) حدثنا أبي، حدثني عمي الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ والغشاوة على أبصارهم.

وقال: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، يعني ابن داود، وهو سنيد، حدثني حجاج، وهو ابن محمد الأعور، حدثني ابن جريج قال : الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر، قال الله تعالى : ﴿ فإن يشأ الله يختم على قلبك ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقال ﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ [الجاثية: ٢٣] (١٤) .

---

(١) في جـ، ط: "قال ابن جرير"

(٢) في جـ: "ما صح به بنظره".

(٣) تفسير الطبري (١/٢٦٠).

(٤) سنن الترمذي برقم (٣٣٣٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٥٨) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٤).

(٥) في أ، و: "منها".

(٦) في جـ: "فلذلك".

(٧) في و: "ذكره الله".

(٨) في جـ: "إلى نقض".

(٩) في جـ: "فلذلك".

(١٠) زيادة من جـ، ط.

(١١) في جـ، ط: "النبي".

(١٢) في جـ، ط: "وقال".

(١٣) في أ: "سفيان".

(١٤) تفسير الطبري (١/٢٦٥).." <تفسير ابن كثير / دار طيبة، ١/١٧٥>

"بالهدي فناحره عند البيت". فقال له المقداد بن الأسود: أما (١) والله لا نكون كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون. فلما سمعها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تتابعوا (٢) على ذلك. (٣)

وهذا. إن كان محفوظا يوم الحديبية، فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر.

وقوله: ﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ يعني: لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعيا عليهم: ﴿ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي ﴾ أي: ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله، ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون، ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم. وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وكذا قال الضحاك: اقض بيننا وبينهم، وافتح بيننا وبينهم، وقال غيره: افرق: افصل بيننا وبينهم، كما قال الشاعر (٤)

يا رب فافرق بينه وبيني ... أشد ما فرقت بين اثنين ...

وقوله تعالى: ﴿ [قال] (٥) فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض [فلا تأس على القوم الفاسقين] (٦) ﴾ لما دعا عليهم موسى، عليه السلام، حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدرا مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائما لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة،

من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل (٧) معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة (٨) عينا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد، ويقال لها: قبة الزمان.

قال يزيد بن هارون، عن أصبغ بن زيد (٩) عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿ فإنها (١٠) محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ﴾ الآية. قال: فتاهوا في الأرض أربعين سنة، يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى وهذا قطعة من حديث "الفتون"، ثم كانت وفاة هارون، عليه السلام، ثم بعده بمدة ثلاثة سنين مات موسى الكليم، عليه السلام، وأقام الله فيهم "يوشع بن نون" عليه السلام، نبيا خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحد سوى "يوشع" و "كالب"، ومن هاهنا قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ قال فإنها محرمة عليهم ﴾ هذا وقف تام، وقوله: ﴿ أربعين سنة ﴾ منصوب بقوله: ﴿ يتيهون في الأرض ﴾ فلما انقضت

---

(١) في ر، أ: "إنا".

(٢) في ر، أ: "تبايعوا".

(٣) تفسير الطبري (١٨٦/١٠).

(٤) يقول الأستاذ محمود شاكر حفظه الله: "لعله حبينة بن طريف العكلي". انظر: حاشية تفسير الطبري (١٨٨/١٠).

(٥) زيادة من أ.

(٦) زيادة من ر، وفي هـ: "الآية".

(٧) في ر: "تحتمل".

(٨) في ر، أ: "اثنا عشر".

(٩) في ر، أ: "يزيد".

(١٠) في ر، هـ: "إنها"، والصواب ما أثبتناه.." <تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٧٩/٣>

"مفسرو هذه الآية على أقوال، بعد الاتفاق على تخطئة قول الجهمية (١) الأول القائلين بأنه -تعالى عن قولهم علوا كبيرا- في كل مكان؛ حيث حملوا الآية على ذلك، فأصح الأقوال أنه (٢) المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي: يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغبا ورهبا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى: ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ خبرا أو حالا.

والقول الثاني: أن المراد أن الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، من سر وجهر. فيكون قوله: ﴿ يعلم ﴾ متعلقا بقوله: ﴿ في السماوات وفي الأرض ﴾ تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون.

والقول الثالث أن قوله ﴿ وهو الله في السماوات ﴾ **وقف تام**، ثم استأنف الخبر فقال: ﴿ وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ وهذا (٣) اختيار ابن جرير.

وقوله: ﴿ ويعلم ما تكسبون ﴾ أي: جميع أعمالهم خيرها وشرها.

﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون (٥) ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦) ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين: إنهم مهما أتتهم ﴿ من آية ﴾ أي: دلالة ومعجزة وحجة، من الدلالات على وحدانية الرب، عز وجل، وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها.

قال الله تعالى: ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ﴾ وهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدن غبه، وليذوقن وباله.

ثم قال تعالى واعظا ومحذرا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعا، وأكثر أموالا وأولادا واستغلالا للأرض وعمارة لها، فقال ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ﴾ أي: من الأموال والأولاد والأعمار،

والجاه العريض، والسعة والجنود، ﴿ وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ﴾

---

(١) في د: "اتفاقهم على إنكار قول الجهمية".

(٢) في أ: "أن".

(٣) في م: "وهو".." <تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣/٢٤٠>

" صفحة رقم ٨٨

المنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا : هو أساطير الأولين وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلا ، ولما سألوا المؤمنين على المنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يتلعثموا ، وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا معقولا للإنزال فقالوا : خيرا أي أنزل خيرا ، وتم الكلام عند قوله خيرا فهو ، **وقف تام** ثم ابتدأ بقوله تعالى) للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة (يعني الذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة ، وقال الضحاك : هي النصر والفتح.

وقال مجاهد : هي الرزق الحسن.

فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب إحسانهم في هذه الدنيا حسنة ، وهي النصر والفتح والرزق الحسن ، وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا ، ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى) ولدار الآخرة خير (يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا) ولنعم دار المتقين (يعني الجنة وقال الحسن : هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون منها إلى الآخرة والقول الأول أولى هو قول جمهور المفسرين لأن الله فسر هذه الدار بقوله) جنات عدن (يعني بساتين إقامة من قولهم : عدن بالمكان ، أي أقام به) يدخلونها (يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها) تجري من تحتها الأنهار (يعني تجري الأنهار في هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم) لهم فيها (يعني في الجنات) ما يشاؤون (يعني ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مع زيادات غير ذلك ، وهذه الحالة لا تحصل لأحد إلا في الجنة لأن قوله فيها ما يشاؤون لا يفيد الحصر ، وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا) كذلك يجزي الله المتقين (أي هكذا يكون جزاء المتقين ، ثم عاد إلى وصف المتقين فقال تعالى) الذين تتوفاهم الملائكة طيبين (يعني مؤمنين طاهرين من الشرك.

قال مجاهد : زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل : إن قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أنهم ،

أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات ، واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات ، والمحرمات مع الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة ، والمباعدة من الأخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه إن أوقاتهم تكون طيبة سهلة لأنهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة ، فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج ، فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة) يقولون (يعني الملائكة لهم) سلام عليكم (يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله) ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون (يعني في الدنيا من الأعمال الصالحة.

فإن قلت : كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله : (صلى الله عليه وسلم) (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته) أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؟ قلت : قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم.

اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين ، وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه ، وإذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرون ، وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ، ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا." <تفسير الخازن . ، ٨٨/٤>

" صفحة رقم ١٩١

السبحة وهي الصلاة.

قال الزمخشري : والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى.

تعزير دينه ورسوله (صلى الله عليه وسلم) .

ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره : الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعندها تم الكلام فالوقف علي ويوقروه **وقف تام** ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه) بكرة وأصيلا (على أن الكناية في ويسبحوه راجعة إلى الله تعالى يعني ويصلوا الله أو يسبحوا بالغداة والعشي.

قوله عز وجل : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (يعني إن الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا إنما يبايعون الله لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة : العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام ، والوفاء بالعهد الذي التزمه له ، والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية

، وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلتين سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث أن الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد ةوالتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها

(ق) عن يزيد بن عبيدة قال قلت لسلمة ابن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الموت (م) عن مغفل بن يسار لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي (صلى الله عليه وسلم) يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربعة عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن با يعناه على أن لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناها صحيح أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن بسار على أن لا يفروا

(خ) عن ابن عمر قال إن الناس كانوا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فإذا الناس يحدقون بالنبي (صلى الله عليه وسلم) يعني عمر يا عبد الله أنظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عرم فخرج فبايع وقوله تعالى) يد الله فوق أيديهم (قال ابمن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الإمامن فخر الدين الرازي يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لأن اليد في الموضعين إما أن تكون بمعنى نعمة الله عليهم فوق إحسانهم كما قال ' بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ' وثانيهما يد الله فوق أيديهم أي نصرته إياهم أقوى وأعلا من نصرتهم إياه يقال اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والقوة.

وإن قلنا أنها بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيدهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخيل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن." <تفسير الخازن . ، ٦/١٩١>

"بيان موضع **الوقف التام** من الآية الكريمة

قوله: [واعلم أن **الوقف التام** على قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ [البقرة:٧] وقوله: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ [البقرة:٧] جملة تامة، فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة -وهي الغطاء- يكون على البصر، كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس

وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ [البقرة:٧] يقول: فلا يعقلون ولا يسمعون، يقول: وجعل على أبصارهم غشاوة، يقول: على أعينهم فلا يبصرون].

فالغشاوة على الأبصار والختم على القلوب والأسماع، ولهذا قال تعالى: ((ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم)) ثم قال: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ [البقرة:٧]، ولكي يتضح المعنى ينبغي للقارئ أن تكون مواقفه على المواقف التي يتم بها المعنى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال ابن جرير: حدثني محمد بن سعد، حدثنا أبي، حدثني عمي الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس رضي الله عنهما: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) والغشاوة على أبصارهم.

قال: وحدثنا القاسم، حدثنا الحسين -يعني ابن داود، وهو سنيد - حدثني حجاج -وهو ابن محمد الأعور - حدثني ابن جريج قال: الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر، قال الله تعالى: ﴿فإن يشإ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى:٢٤]، وقال: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ [الجاثية:٢٣].

قال ابن جرير: ومن نصب غشاوة من قوله تعالى: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ [البقرة:٧] يحتمل أنه نصبها بإضمار فعل تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوة، ويحتمل أن يكون نصبها على الإتباع على محل: ﴿وعلى سمعهم﴾ [البقرة:٧] كقوله تعالى: ﴿وحور عين﴾ [الواقعة:٢٢]، وقول الشاعر: علفتها تبنا وماء باردا حتى غدت همالة عيناها.

وقال الآخر: ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا تقديره: وسقيتها ماء باردا، ومعتقلا رمحا].

نسأل الله للجميع العلم النافع والعمل الصالح.." <شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي <٦/١٧

"تفسير قوله تعالى: (وهو الله في السموات والأرض ويعلم ما تكسبون)

ثم نأتي إلى آية من متشابه القرآن حيث يقول الله: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ [الأنعام:٣]، الأصل: أننا نؤمن أن الله جل وعلا له علو ذاتي، وأنه تبارك وتعالى مستو على عرشه، بائن من خلقه، قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: أجمع السلف على إثبات علو الذات لله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وللعلماء في الآية ثلاثة أقوال: القول الأول: أن معنى الآية: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم

وجهركم﴾ [الأنعام:٣]، أي: وهو المألوه المعبود في السماء والأرض، أي: يعبده أهل السماء وأهل الأرض، وهذا القول عليه جماهير أهل التفسير، ورجحه العلامة الشنقيطي في أضواء البيان، واختاره من قبله الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن.

ومن الآيات التي تؤيد هذا المعنى: قول الله جل وعلا: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف:٨٤]، أي: هو إله من في السماء وإله من في الآرض.

القول الثاني -واختاره النحاس النحوي المعروف- يقول: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ [الأنعام:٣] أي: في السموات وفي الأرض، فجعلها متعلقة بـ (يعلم)، فيصبح معنى الآية: وهو الله يعلم سركم في السموات وفي الأرض.

قال النحاس: وهذا أفضل ما يقال في الآية، لكننا قلنا: إن الجمهور على خلاف ذلك.

ومما يؤيد هذا المعنى من القرآن: قول الله جل وعلا: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ [الفرقان:٦].

القول الثالث -وهذا اختيار إمام المفسرين: ابن جرير رحمة الله تعالى عليه- يقول: إن هناك وقفا تاما عند قول الله تعالى: ﴿وهو الله في السموات﴾ [الأنعام:٣]، ثم نستأنف: ﴿وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ [الأنعام:٣]، يعني: يعلم سركم وجهركم في الأرض، رغم أنه مستو على عرشه في السماء، ومن أدلة هذا القول: قول الله تبارك وتعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ [الملك:١٦].

نعود فنقول: ذهب الشنقيطي رحمة الله تعالى عليه إلى القول الأول، لكنه استشهد على صحة الأقوال بما ذكرناه من الآيات، ونحن نقول، إن هذه الطريقة غير صحيحة؛ بصحة ما ذهب إليه هؤلاء الكبار، لكن لا يلزم من صحة المعنى صحة الطريقة، كمن تعطيه مسألة في الرياضيات فيأتيك بالحل، لكنه لم يتخذ الطريقة الصحيحة، فأنت تقر له بأن الحل صحيح، لكنك لا تقر له بصحة الطريقة، فنقول: إن المسلك الذي سلكوه فيه نوع من التكلف، والأصل: بقاء الآية على معناها الظاهر الذي يتبادر أول الأمر، والعجب أن ابن جرير رحمة الله تعالى عليه ممن يأخذ بظواهر الآيات أولا، ومع ذلك لجأ في هذه المسألة إلى القول **بالوقف التام** في قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات﴾ [الأنعام:٣].

نعود فنقول: إن المعنى الحقيقي للآية في ظننا: أن الله جل وعلا إله من في السماء، وإله من في الأرض، لكن هذا المنحى يدخل على مستوعب التفسير إشكالا يجب الرد عليه: وهو أننا قلنا في مثل قول الله تعالى في سور كثيرة: ﴿فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا﴾ [الشرح:٥ - ٦]: إن ذكر اليسر نكرة مرتين يدل

على أن هذا اليسر خلاف اليسر الأول، وأنتم تقولون: إن النكرة إذا تكررت تغايرت، ثم من القواعد المشتهرة -كما قال السيوطي في منظومته- أن النكرة إذا تكررت تغايرت، فعلى هذا المعنى يكون قوله سبحانه: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف:٨٤]، دالا على وجود إلهين وليس إلها واحدا؟ فنقول: لا يلزمنا هذا أبدا؛ لوجود الأصل العام أولا وهو أن الله إله واحد.

والأمر الثاني: أن القاعدة تقول: إن هذا تغير في الصفات لا في الذوات، قال ربنا يثني على نفسه: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١].

ثم قال: ﴿الذي خلق فسوى﴾ [الأعلى:٢].

وقال: ﴿والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى:٣]، فليست الصفات صفات لغير الله، وإنما هي صفة لله، لكنها صفة أخرى لغير الله، فيحتاط المرء عندما يفهم أن التغاير يكون في الصفات لا في الذوات.

قال تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ [الأنعام:٣]، سركم أي: ما تخفون، وجهركم أي: ما تظهر الجوارح، وما تكسبون، الكسب: هو ما يقع حقيقة من فعل أو قول، وحتى تتضح الصورة يقول الله جل وعلا: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ [لقمان:٣٤]، ثم قال: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾ [لقمان:٣٤]، ولم يقل: وما تدري نفس ماذا تعمل غدا؛ لأن الإنسان يبيت سلفا ما سيعمله، لكنه يجهل إمكانية وقوع هذا العمل الذي بيته، هذا الذي يجهله الإنسان ولا يعلمه إلا الله، فنحن قبل أن نصل إلى هنا مدركون منذ البارحة أو قبلها بأيام أننا إن شاء الله سنلتقي هاهنا لنؤدي هذه الحلقة المباركة، هذا عمل، لكن حصوله يعد كسبا لا عملا، فما تضمره السرائر، وتكنه الضمائر يعلمه الله، ويعلم كذلك إن كان هذا الذي أكننته سيقع أم لا؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ [الأنعام:٣].

وقد مر معنا: أن الله يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون، ويعلم جل وعلا ما لم يكن لو كان كيف يكون.

والمقصود من هذا كله: إظهار قدرة الله، أما الآية الأولى: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ [الأنعام:٢] ففيها: إقامة الحجة على أهل الإشراك في قضية البعث والنشور، وقد حررنا أن الله ذكر الطين حتى يذكرهم بأصل خلقتهم.

مما يمكن اقتباسه من الآيات: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون * وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ [الأنعام:٢ - ٣]: أن الإنسان كلما ازداد علما ومعرفة بعظمة ربه جل وعلا كان أقدر على طاعته، وأبعد عن معصيته، وقد حررنا هذا

الكلام مرارا في دروس سلفت، وأيام خلت، لكن التأكيد عليه من أعظم اللوازم؛ فليس المقصود من تفسير القرآن: إظهار القدرات، وبيان ما يملكه الإنسان من ملكات، لكن القرآن في المقام الأول واعظ وهاد إلى أعظم سبيل، فأحيانا ينبغي على الإنسان أن يفرق ما بين الشيء نفسه والغاية من الشيء، مثاله: النبي صلى الله عليه وسلم مدحه ربه، ومدحه الخلق، لكن مدح الخلق للنبي صلى الله عليه وسلم ليس بزائد في مدحه صلى الله عليه وسلم شيئا؛ إذ يكفيه مدح ربه له صلى الله عليه وسلم، لكن ينجم عن هذا: أن هؤلاء الناس الذين مدحوه صلى الله عليه وسلم هم أنفسهم ينتفعون.

فالإنسان إذا قدر له أن يعطى علما جما في علم الآلة ينبغي أن يوظف ذلك العلم في إظهاره للناس، ثم لا ينسى الحقيقة الهامة، والغاية الجليلة من الأمر، وهي: أنه يجب أن تكون تلك الملكات سائقة له -قبل أن يعلم الناس- إلى أن ينتفع بالقرآن.

لو كان في العلم غير التقى شرفا لكان أشرف خلق الله إبليس والله نعى على أهل الكفر: أنهم يعلمون -كاليهود مثلا- لكنهم لا ينتفعون بعلمهم، نفعنا الله وإياكم بما نقول.

هذا ما تحرر إيراده، وتهيأ إعداده، وأعان الله على قوله، وصل الله على محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين.." <سلسلة محاسن التأويل - المغامسي، صالح المغامسي ٣/٢٢>

"تفسير قوله تعالى: (قل إنما أعظكم بواحدة)

قال الله لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿قل﴾ [سبأ:٤٦] يعني: لهؤلاء ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ [سبأ:٤٦] أي: كلمة واحدة أقولها لكم، موعظة أعظكم بها، خصلة واحدة أدعوكم إليها لتتعظوا، ولتأخذوا حذركم من ربكم سبحانه وتعالى، بأن تؤمنوا وأن تطيعوا، والكلمة الواحدة التي طلبها النبي صلى الله عليه وسلم هي: قولوا: لا إله إلا الله، فإن هذه الكلمة العظيمة مفتاح الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) هذه الكلمة العظيمة التي دعا النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب إلى أن يقولها، (قل: لا إله إلا الله كلمة واحدة أحاج لك بها عند ربك).

هذه الكلمة العظيمة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء: أعظكم بها أن تقولوها، هذه الكلمة إذا تأملت معناها عرفت أن هؤلاء القوم كانوا يفهمون معنى هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فهم عرب، وهذه الكلمة عربية، فعرفوا الكلمة وعرفوا ما ينبني عليها، ولذلك رفضوا هذه الكلمة.

فقوله: (قل إنما أعظكم بواحدة)، أي: قولوا: لا إله إلا الله، معناها: لا أتوجه بعبادة لغيره إذا كان الإله إلها واحدا، ولكن الكفار لا يريدون أن يكون الصلة بينهم وبين الله هو النبي صلى الله عليه وسلم، فهم يرفضون

ذلك، يرفضون أن يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أصغر منهم سنا، وهناك من هو أقوى منه، وأكبر منه سنا، وأكثر منه مالا، فلماذا يخصه الله بالرسالة حسب زعمهم؟ فهم لا يقبلون منه أمرا لهذه الأسباب، وإنما الأمر لله وحده سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم:٣] صلوات الله وسلامه عليه، إنما الوحي من ربه سبحانه.

فقال لهم: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ [سبأ:٤٦] أي: أذكركم وأحذركم من سوء العاقبة بخصلة واحدة فقط: أن تتفكروا في هذه الخصلة الواحدة، قوله تعالى: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾ [سبأ:٤٦]، في هذه الموعظة التي أقولها لكم، أدعوكم إلى طاعة الله عز وجل، هذه هي الخصلة الواحدة والأمر الواحد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اعبدوا الله وحده، وهذه دعوة كل الأنبياء والرسل من قبله، دعوا قومهم: أن ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [الأعراف:٥٩] أي: قولوا: لا إله إلا الله لا نعبد إلا الله، والكفار كانوا يقرون بربوبية الله أنه الخالق وأنه الرازق، وأنه الذي ينفع ويضر سبحانه، لكنهم يعبدون معه غيره، ويقولون: نعبد هذه الأصنام لأنها تقربنا إلى الله، وسبب عبادتهم للأصنام كما قال تعالى: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ [الزخرف:٢٢] لذلك الذي كان يسلم منهم بعد ذلك كان يضحك على نفسه كثيرا عندما يذكر جهله وغباءه وكيف عبد هؤلاء الأصنام! وكيف يصنع التمثال من الحجر هو ويحته بيده ويطؤه بقدمه ثم يضربه بفأسه، ثم يعبده من دون الله! وأعجب من ذلك: أنه إذا لم يلق حجرا يصنع إلها من التمر فيعبده من دون الله حتى إذا جاع أكله، وكانوا يفعلون ذلك في السفر، أو يأخذ الشاة ويحلبها فيأخذ الحليب ويخلطه مع رمل من الأرض حتى يجعلها عجينة ثم يجعلها تمثالا ثم يجففه بالشمس ويعبده من دون الله سبحانه وتعالى، فإذا عاد من سفره ترك هذا التمثال، وعاد إلى صنمه الذي في بيته يعبده من دون الله! قال الله عنهم: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ [الفرقان:٤٤] فعبدوا هذه الأشياء من دون الله سبحانه، فلا يعقلون ولا يفهمون.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ [سبأ:٤٦] خذوا هذه الخصلة الواحدة التي آمركم بها وتفكروا فيها، أنا دعوتكم أن تقولوا لا إله إلا الله فكذبتموني وقلتم عني: مجنون، وقلتم عني: ساحر، وقلتم: الكتاب هذا مفترى، إذا: تفكروا في ذلك، قال: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ [سبأ:٤٦]، أن تقوموا لله مثنى، أي: اثنين اثنين (وفرادى) أي: كل واحد بنفسه حتى تصلوا إلى الأمر السليم، فالأمر المشكل لا يكون إلا كذلك، إذا أشكل الأمر على إنسان بدأ يزن الأمر في رأسه حتى يصل إلى شيء، أو أنه يأتي بإنسان عاقل آخر ويجلس معه، فيكون كل واحد مرآة للآخر.

إذا: التفكير السليم يحتاج الإنسان فيه إلى أن يكون وحده يفكر، وبعد ذلك يجلس مع غيره ليستعين به، لم يقل: لأن المجموعات لا يصلون إلى حل أبدا حين يفكرون، ولكن يصلون إلى حل عن طريق الشورى، ولذلك علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن تستخير الله سبحانه وتعالى ونطلب منه الخير في الأمور، وصلاة الاستخارة ركعتان، من غير الفريضة يسأل فيها العبد ربه سبحانه وتعالى، يقول: (اللهم إن كان هذا الأمر خيرا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كان شرا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به)، فتستخير ربك وتفكر في هذا الأمر ثم تشاور مع غيرك فيه، فإذا فعلت ذلك فإن الله عز وجل يوفقك للصواب؛ لذلك فإن التفكير الجماعي لا يجدي؛ لأنهم كلهم كفرة، والكبراء يمنعون الصغار من التفكير لذلك لا يصلح التفكير في جماعة من الناس، إنما التفكير إذا أردت الاهتداء والوصول إلى الصواب أن تفكر وحدك لتكون منصفا، ثم تشاور إنسانا آخر عاقلا مثنى وفرادى فتصلون إلى الصواب يوما من الأيام.

قوله تعالى: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ [سبأ:٤٦] هذه قراءة الجمهور، وقراءة رويس عن يعقوب: (ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة) والوقف على (ثم تتفكروا) **وقف تام** عليها، وقيل: بل الوقف على ما بعدها (ما بصاحبكم من جنة)، وكلاهما له معنى؛ فإذا وقفنا ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ [سبأ:٤٦] تمت هنا، إذا: هنا أمرهم أن يقوموا لله مثنى وفرادى، ثم يقومون مخلصين يبتغون بقيامهم أن يوصلهم الله سبحانه إلى الحق، فيتفكرون في قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم: قولوا: لا إله إلا الله، ثم تتفكروا، ثم قال لهم: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ [سبأ:٤٦] أي: ليس بصاحبكم من جنة، هذا إذا كان على الابتداء بذلك: ﴿ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ [سبأ:٤٦] أما على الوصل فيها والوقف على (جنة) فيقول: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ [سبأ:٤٦] هذه الجنة التي تزعمون أنها فيه، تفكروا هل فيه من جنة؟ وعلى ذلك تكون (ما) هنا موصولة بمعنى: الذي، أي: ثم تتفكروا في الذي زعمتم أن بصاحبكم جنة، وصاحبكم هو النبي صلوات الله وسلامه عليه، هل فيه فعلا جنون كما تقولون؟ إذا: على الأولى نفي من الله عز وجل: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ [سبأ:٤٦] أما على الثانية فهي وصل أي: تفكروا في الذي زعمتم ورميتموه به من جنون هل هو فعلا كما تقولون.

قال الله تعالى: ﴿إن هو إلا نذير لكم﴾ [سبأ:٤٦] أي: ما هو إلا نذير لكم صلوات الله وسلامه عليه بين يدي عذاب شديد، وما هو إلا رسول، قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ [آل عمران:١٤٤]، هذه وظيفته

صلوات الله وسلامه عليه في هذه الدنيا، ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال تعالى: ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ [سبأ:٤٦]، والمعنى: أنتم المحتاجون، فأمامكم عذاب أنتم لا ترونه، فأرسلنا إليكم هذا النبي الكريم الرسول البشير عليه الصلاة والسلام ليحذركم من هذا العذاب، وكان من الممكن ألا نرسل إليكم شيئا، ونجازيكم ونعذبكم، ولكن الله سبحانه وتعالى رءوف بعباده، لطيف بهم حليم كريم سبحانه، يأبى أن يعذب حتى يقيم العذر والحجة على هؤلاء، فقال لهم سبحانه: (ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير) أي: منذر يخوفكم مما أمامكم من عذاب يستقبلكم عند الله سبحانه.

قال الله سبحانه في سورة الشورى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ [الشورى:٢٣] إذا: هو لا يسأل أجرا أصلا، ولكن إن سألتكم شيئا أسألكم أن تراعوا المودة، فإن بيني وبينكم مودة، بيني وبينكم قرابة، فلا تقطعوا الأرحام، إما أن تدخلوا في الدين، وإما أن تتركوني أدعو غيركم، ولا داعي لأن تدخلوا طالما أنتم على ذلك، ولعل الله يهديكم في يوم من الأيام، ولكن راعوا المودة في القربى.

إذا: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: خلوا أموالكم؛ لأنهم قالوا له: إن كنت جئت بهذا الأمر تبتغي به ما لا جمعنا لك من أموالنا حتى تصير أغنانا، فقال لهم: لا، ما أنا طالب منكم شيئا من المال، إنما أدعوكم إلى الله سبحانه وتعالى.." <تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٨/٢٩٨>

"معنى التوقير في قوله: (وتوقروه)

قوله تعالى: (وتوقروه)، هذا يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أما قوله: (وتسبحوه بكرة وأصيلا) فلا جدال أنها في حق الله سبحانه وتعالى.

والوقار: هو السكون والحلم، قال تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ [نوح:١٣]، الرجاء هنا بمعنى: الخوف، أي: ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أخذكم للعقوبة؟ وعن مجاهد والضحاك قالا: ما لكم لا تبالون لله عظمة؟ وقيل: الوقار، الثبات لله عز وجل، ومنه قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ [الأحزاب:٣٣] أي: اثبتن، ومعناه: ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى، وأنه إلهكم لا إله لكم سواه؟! وقال ابن كثير: (ويوقروه) من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام.

وقال القرطبي: (وتوقروه) أي تتوجوه، وقيل: تعظموه، والتوقير التعظيم، ((وتعزروه وتوقروه))، الهاء هنا عائدة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهنا **وقف تام**، ثم تبتدئ: (وتسبحوه بكرة وأصيلا) أي: تسبحوا الله بكرة وأصيلا أي: عشيا.

قول آخر: إن الضمائر كلها لله تبارك وتعالى، فيكون معنى: ((وتعزروه وتوقروه)) أي: تثبتوا له صحة الربوبية،

وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك، واختار هذا القول القشيري.
وبعض المفسرين قال: (وتعزروه وتوقروه) يعني: تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية.
وزعم بعضهم أنه يتعين كون الضمير في (تعزروه) للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لتوهم أن التعزير لا يكون له سبحانه وتعالى، كما يتعين عند الكل كون الضمير في قوله تعالى: (وتسبحوه) لله عز وجل.
فعلى أي الأحوال هناك خلاف بين المفسرين في هذه الضمائر إلى من تعود، وفي هذين الفعلين بالذات: (وتعزروه وتوقروه) فمن قائل: إنها للنبي عليه الصلاة والسلام، ومن قائل: إنها لله عز وجل.." <تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٥/١٢٧>

"تفسير قوله تعالى: (وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم)
ثم قال عز وجل: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ [الأنعام:٣] هذه الآية تحتاج إلى نوع من الاهتمام الخاص؛ لأنها مما يستدل به بعض الضالين المنحرفين الذين يزعمون أن الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان بذاته تبارك وتعالى، ولا شك في أن هذا من الضلال المبين المنافي لعقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى، فأولئك يستدلون بهذه الآية ويحملونها على غير معناها الصحيح الذي فهمه عليه السلف.
وقوله: (وهو الله في السماوات وفي الأرض) أي: المعبود الذي يعبده أهل السماوات وأهل الأرض.
وقوله: (يعلم سركم وجهركم) يعني: من الأقوال أو الدواعي والصوارف القلبية وأعمال الجوارح.
وقوله: (ويعلم ما تكسبون) أي: ما تفعلونه من خير أو شر، فيثيب عليه ويعاقب، وخصه بالذكر لإظهار كمال الاعتناء به؛ لأن هذا السر هو الذي يتعلق به الجزاء، وهو السر في إعادة قوله تعالى: (يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون).
يقول الناصر في (الانتصاف): وأما هاتان الآيتان الكريمتان -يعني: هذه الآية وآية الزخرف، وهي قوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف:٨٤]- فإن التمدح في آية الزخرف وقع لما وقع التمدح به هاهنا من القدرة على الإعادة، والاستئثار بعلم الساعة، والتوحد في الألوهية، وفي كونه تعالى المعبود في السماوات والأرض، فقوله في هذه الآية: (وهو الله في السماوات وفي الأرض) يعني أنه إله من في السماء وإله من في الأرض، ولا يمكن أبدا حملها على عقيدة الحلول والعياذ بالله؛ لأن السلف قاطعون وجازمون بأن الله عز وجل بائن من خلقه، والله سبحانه وتعالى لا يخالط خلقه ولا يحل فيهم، فهو ينزه عن ممازجة خلقه، بل هو بائن عنهم تبارك وتعالى، وعلمه في كل مكان، لكنه على العرش استوى.

ولم يقل: وهو الذي في السماء رب وفي الأرض رب، ولم يقل: وهو الرب في السماوات وفي الأرض، إنما عنون له هنا بالإلهية (وهو الله)؛ لأن المعنى: هو المعبود.

فيليق بمن سواه أن يعبر بلفظ الجلالة (الله) أي: المعبود، ولذلك فكلمة التوحيد هي (لا إله إلا الله) وأما (لا رب إلا الله) فلا تعتبر كلمة التوحيد، وإن كانت هي توحيد الربوبية، إلا أن كلمة توحيد الربوبية لا تنجي من النار؛ لأنه لو كانت كلمة التوحيد (لا رب إلا الله) لكان أبو جهل موحدا؛ لأن أبا جهل وأبا لهب وغيرهما من الكفار كانوا يعتقدون أنه لا رب إلا الله، ومشركوا مكة كانوا يعتقدون أنه لا رب إلا الله، لكنهم كانوا يشركون في العبادة، وينقضون توحيد الإلهية بأن يعبدوا مع الله غيره، ولذلك كانت كلمة النجاة (لا إله إلا الله) أي: لا تعبدوا إلا الله، ولا إله يستحق العبادة إلا الله، وليست (لا رب إلا الله)؛ لأن جميع المشركين يقرون بأنه لا رب إلا الله.

يقول ابن كثير: للمفسرين في هذه الآية أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول.

يعني أوائل الجهمية القائلين -تعالى الله عز وجل عن قولهم علوا كبيرا- بأنه في كل مكان، فهذا مما لا يليق أن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى، ولنتفطن لشيوع هذه العقيدة عند كثير من العوام وهم لا يشعرون حين يقولون: إن الله موجود في كل وجود.

أو: ربنا موجود في كل مكان.

نعم هو موجود في كل مكان بعلمه وبسمعه وببصره وبشهادته وبإحاطته بخلقه عز وجل، فكل شيء بالنسبة إلى الله عز وجل لا يخفى على الإطلاق.

أما أن يراد أن ذات الله سبحانه وتعالى في داخل خلقه فهذا مما يتعالى الله سبحانه وتعالى وينزه عنه، فالاعتقاد بأن الله في كل مكان هو انحراف وضلال مبين عن عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى، ولم يقل به إلا الجهمية المبطلون، وحملوا هذه الآية على ذلك، وقالوا: إن الله يقول هنا: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ [الأنعام:٣] فحملوها على أن ذات الله موجودة في السماوات والأرض.

فالأصح من الأقوال أنه -سبحانه وتعالى- هو المدعو في السماوات وفي الأرض، ولا تعارض؛ لأن الدعاء هو العبادة، أي: يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السماوات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغبا ورهبا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول هي كقوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف:٨٤] أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض.

وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ [الأنعام:٣] خبرا أو حالا.

أما القول الثاني في الآية فهو أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر، فقوله: (وهو الله في السماوات وفي الأرض) يعني أنه الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر، فمعنى ذلك: أن كلمة يعلم متعلقة بقوله: (في السماوات وفي الأرض) وتقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض.

القول الثالث: أن الوقف على قوله: (وهو الله في السماوات) **وقف تام**، وهذا هو اختيار إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى، فإنه -رحمه الله- يرى أن **الوقف التام** هو عند قوله تعالى: (وهو الله في السماوات) ثم يستأنف: (وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) أي: تقف عند قوله عز وجل: (وهو الله في السماوات) يعني: فوقكم في السماء، كقوله تبارك وتعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك:١٦]، فـ (في) هنا بمعنى (على) كقوله سبحانه: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه:٧١] يعني: عليها.

وكقوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ [التوبة:٢] يعني: فوق الأرض.

هذا هو اختيار الإمام ابن جرير، ورجح ابن عطية في الآية أنه الذي يقال له: (الله) فيهما، فقوله: (وهو الله في السماوات وفي الأرض) يعني: وهو الذي يقال له: (الله) في السماوات وفي الأرض، قال ابن عطية: وهذا عندي أفضل الأقوال وأكثرها إحرازا لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى.

يعني أنه أراد أن يدل على خلقه وآيات قدرته وإحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات، فجمع هذه كلها في قوله: (وهو الله) أي الذي له هذه كلها (في السماوات وفي الأرض)، وكأنه قال: وهو الخالق والرازق والمحيي والمميت فيهما.." <تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٤٩/١٠>

"دراسة نقدية للتأويلات العددية والتفسيرات الإشارية

هنا دراسة نقدية للتأويلات العددية والتفسيرات الإشارية للدكتور/ محمد محمد أبو فراخ، أستاذ التفسير والتجويد وعلوم القرآن المساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود، يتكلم فيها على هذا الموضوع.

وقد ذكر أن فريقا من العلماء رأى أن هذا علم مستور ومحجوب عنا لا نستطيع إدراكه، وذكر الدكتور أن بعض العلماء ذهبوا مذهبا آخر، فاجتهدوا في محاولة تأويل فواتح هذه السور، فاتجه جمع كبير من العلماء إلى محاولة الكشف عن أسرار هذه الحروف والوقوف على معانيها ومدلولاتها والانتفاع بها، تحقيقا للهدف الذي رمى إليه القرآن من ذكرها، قالوا: إن القرآن أنزل كي يتدبر: ﴿ليدبروا آياته﴾ [ص:٢٩]، فعلينا أن نعمل عقولنا في محاولة فهم ما وقف عنده الفريق الأول الذي فوض العلم في هذه الأحرف إلى الله سبحانه وتعالى،

والذي يرى الوقف لازما عند قوله تبارك وتعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾، ثم يستأنف الكلام: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ إلى آخر الآية، **فالوقف التام** في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله) وما بعده استئناف لكلام آخر، وهو قوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به).

فالعلماء آمنوا بالمتشابه الذي لا يعلم تأويله أحد غيره تعالى، ومن أجل ذلك الإيمان والتفويض أثنى الله عليهم.

والفريق الثاني الذي ذهب إلى تفسير هذه الفواتح، جعل قوله تعالى: (والراسخون في العلم) معطوفا على ما قبله، أي: ((وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)) يعني: لا يعلم تأويل هذه الآيات المتشابهة إلا الله سبحانه وتعالى والراسخون في العلم.

فإذا يكون الوقف على قوله تعالى: (والراسخون في العلم) يعني ((وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)) وقوله: ((يقولون آمنا به)) جملة جديدة.

وقد روي عن ابن عباس: أن الراسخين معطوف على اسم الله عز وجل، وأنهم داخلون في علم المتشابه، وأنهم مع علمهم به: (يقولون آمنا به)، وقال بهذا الرأي: الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم.

وروي عن مجاهد أنه عطف الراسخون على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه، واحتج له بعض أهل اللغة فقال: معناها: والراسخون في العلم يعلمونه قائلين: (آمنا به كل من عند ربنا)، وزعم أن موضع (يقولون) نصب على الحال.

لكن القرطبي لا يقبل هذا الرأي ولا يقف على قوله تعالى: (والراسخون في العلم) ولا يجعل الواو للعطف، وينكر نصب جملة (يقولون) على الحال؛ لأن العرب لا تضمر الفعل والمفعول معا، ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل، فلا يجوز أن تقول: عبد الله راكبا بمعنى: أقبل عبد الله راكبا، وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل، كقوله: عبد الله يتكلم يصلح بين الناس، فيصلح هنا إعرابها حالا.

فكان قول عامة العلماء بالابتداء بقوله تعالى: (والراسخون في العلم) مستقيم مع مذاهب النحويين، وهو أولى من قول مجاهد الذي جعل الواو للعطف وزعم أنهم يعلمونه.." <تفسير القرآن الكريم – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٦١/٧>

"٢ – القطع والائتناف: لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) وهو مطبوع.

٣ – المكتفى في الوقف والابتداء: لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) وقد طبع عدّة مرات.

٤ – المرشد في معنى **الوقف التام** والحسن والكافي والصالح والجائز والمفهوم والبيان في تهذيب القراءات

وتحقيقها وعللها: للحسن بن علي بن سعيد العماني (ت بعد ٥٠٠ هـ) وقد اختصره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) بكتاب أسماه: المقصد بتلخيص ما في المرشد.

٥ – الوقف والابتداء: لأبي الحسن علي بن أحمد الغزّال (ت ٥١٦ هـ).

٦ – الوقف والابتداء: واشتهر باسم: وقوف القرآن، أو: علل الوقوف (١) لمحمد بن طيفور السجاوندي (ت ٥٦٠).

٧ – الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء: لعبد الله بن محمد النكزاوي (ت ٦٨٣ هـ).

٨ – الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء: لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ).

٩ – منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: لأحمد بن عبد الكريم بن محمد الأشموني (من علماء القرن الحادي عشر).

بالإضافة إلى بحث هذا العلم في كتب علوم القرآن والقراءات ومن العلماء من أفرد إحدى قضايا أو مسائل الوقف بتصنيف، مثل كتاب: شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عز وجل لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، ووقوف النبي صلّى الله عليه وسلم في القرآن لمحمد بن عيسى المغربي (٢).

خامسا: علم توجيه القراءات:

هو علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقا للشرط المعروف (موافقة اللغة العربية ولو بوجه)، كما يهدف علم التوجيه إلى ردّ الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات.

---

(١) د. حازم سعيد حيدر، علوم القرآن بين البرهان والإتقان، ص ٢٣٠.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، ص ٢٠٢٥.." <مقدمات في علم القراءات، مجموعة من المؤلفين ص/٢٠١>

"أحكام الوقف والابتداء

ويعرف الوقف لغويا هو الكف والحبس، واصطلاحا هو عبارة عن قطع الصوت زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ويكون في نهاية الآي وفي وسط الآية ولا يكون في وسط الكلمة ولا في ما اتصل رسما كالوقف على الفاء من قوله تعالى فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ* وينقسم الوقف إلى أربعة أقسام وتسمى بالأقسام العامة:

أولا: الوقف الاضطراري: وهو ما يعرض للقارئ بسبب ضيق نفس ونحوه كعجز أو نسيان أو عطاس أو سعال، فله هذا الوقف على أي كلمة شاء ولكن يجب الابتداء بالكلمة الموقوف عليها إن صح الابتداء بها.

ثانيا: الوقف الانتظاري: وهو أن يقف القارئ على الكلمة ليعطف عليها غيرها عند جمعه لاختلاف الروايات في قراءته للقراءات.

ثالثا: الوقف الاختباري: بالباء الموحدة وهو الذي يتعلق بالرسم لبيان المقطوع والموصول والمحذوف ونحوه ولا يوقف عليه إلا لحاجة كسؤال ممتحن أو تعلم قارئ إذا اضطر لذلك.

رابعا: الوقف الاختياري: بالياء المثناة تحت وهو أن يقصد لذاته من غير عروض سبب من الأسباب المتقدمة. وهذا الوقف هو المقصود بيانه وينقسم إلى ثلاثة أقسام.

الأول/ **الوقف التام**: وهو الوقوف على ما تم معناه ولم يتعلق بما بعده لا لفظا ولا معنى وأكثر ما يوجد هذا النوع في رءوس الآي وتمام الأحوال كالوقف على اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وعلى المفلحون من قوله تعالى أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ، وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* والابتداء بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ فإن الجملة الأولى من تمام أحوال المؤمنين، والثانية متعلقة بأحوال الكافرين وقد يكون الوقف بعد تمام الآية بكلمة كما في قوله تعالى وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ فكلمة مصبحين رأس." <كيف تقرأ القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني، المختار المشري المقروش ص/٧٨>

". . . . .

فهم الآية، أما الوقف في غير موضعه ربما يغير معنى الآية أو يشوه جمال التلاوة.

والمعلوم أن الوقف يكون بتسكين الحرف الأخير، لأن العرب لا تقف على متحرك ولا تبدأ بساكن، وقد قسمه العلماء إلى أقسام عديدة أهمها:

١ - **الوقف التام**: وهو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لا لفظا ولا معنى، وأكثر ما يكون عند رءوس الآي، وانتهاء القصص مثاله: (أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) - (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

ومنه أن يكون آخر قصة أو آخر سورة والوقف على ما قبل ياء النداء أو فعل الأمر أو لام القسم أو الشرط - والفصل بين آية رحمة وآية عذاب لوقف على ما قبل النفي أو النهي أو عند انتهاء القول.

٢ – الوقف الكافي: وهو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لفظا بل معنى، وهو كثير في الفواصل وغيرها كالوقف على (لا يُؤْمِنُونَ) من قوله تعالى: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ويحسن الوقف عليه أيضا والابتداء بما بعده.

٣ – الوقف الحسن: هو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها أو بما قبلها لفظا ومعنى كالوقف على (بِسْمِ اللَّهِ) وعلى (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، ولكن الابتداء بما بعدها لا يحسن لتعلقه بما قبله لفظا إلا ما كان من ذلك رأس آية، فيجوز الوقف عليه في اختيار أكثر العلماء بدليل حديث أم سلمة – رضي الله عنها – أن النبي – صلّى الله عليه وسلم –: «كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف، ثم يقول: الحمد لله رب العالمين ثم يقف، ثم يقول: الرحمن الرحيم، ثم يقف ثم يقول: مالك يوم الدين. ثم يقف» رواه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم.

٤ – الوقف القبيح: هو الوقف على ما لا يتم الكلام به ولا ينقطع عما بعده كالوقوف على المبتدإ دون خبره أو على الفعل دون فاعله أو على الناصب دون منصوبه، وأقبح منه الوقف على ما يوهم وصفا لا يليق بذات الله تعالى كأن يقف على (يستحيي) في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا فلا يجوز الوقف إلا لضرورة، ثم يعيد الكلمة التي وقف عليها إذا لم تغير المعنى، وإلا أعاد." <الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد محمود عبد السميع الحفيان ص/١٠٨>

"س ١٥: بين المراتب الخاصة بكل من الحروف المفخمة في ذاتها واختلاف العلماء في عددها وتحديدها، واذكر رأي الجمهور في تحديدها ووجه هذا التحديد، وبين ما رآه بعض العلماء في تحديد المراتب الخاصة من الحروف المفخمة، ومراتب التفخيم تفصيلا على أساس هذين الرأيين؟

س ١٦: ما أقسام الراء إجمالا؟ وما أحوال الكل منها بالتفصيل؟ وما الأمور الملحقة بها؟

س ١٧: ما المراد باستعمال الحروف؟ وما هي الحروف التي يجب مراعاة بعض صفاتها؟ وما الصفات التي تجب مراعاتها في كل منها؟ وما وجه التنبيه على مراعاتها في

كل من هذه الحروف؟

س ١٨: أجب عما يأتي:

أ–لماذا كان الفرق بين الوقف التام والكافي غير محدد ولا منضبط كالفرق بينهما وبين الحسن والقبيح؟

ب – ما حكم الوقف والابتداء إذا أوهم أحدهما معنى شنيعا؟ وما هو الوقف الشاذ وما حكمه؟

ج – ما يصح الابتداء به والوقف على ما قبله وما لا يصح؟ مثل لما تقول؟

س ١٩: ما هي القاعدة المتبعة في الوقف على حروف المد إثباتا وحذفا؟ وما الكلمات المستثناة من هذه القاعدة؟ وهل يوجد فرق بين كون حرف المد من أصل الكلمة أو زائدا عليها؟ مثل لما تقول؟

س ٢٠: ما أحوال إثبات الألف في الوقف دون الوصل؟ ومتى تحذف في الوقف والوصل مع ثبوتها في الرسم؟ وما وجه هذا الحذف؟ ومتى يجوز إثباتها وحذفها وقفا؟ وما وجه كل من الحذف والإثبات؟

س ٢١: ما أحوال إثبات الياء في الوقف دون الوصل؟ وما أحوال حذفها في الوقف؟ ومتى يجوز إثباتها وحذفها وقفا؟ وما وجه هذا الجواز فيما يجوز فيه؟

س ٢٢: ما حكم أن «بفتح الهمزة وسكون النون» مع لو من حيث القطع." <الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد محمود عبد السميع الحفيان ص/١٧٧>

"أقسام الوقف الاختياري [تصوير] يجدر بنا أن نعلم أن معرفتنا لكل نوع من أنواع الوقوف وكذا الابتداء يتوقف على مدى تفهمنا وإدراكنا للعلاقة التي تربط بين ما قبل الوقف من كلام، وبين ما بعده، وتتلخص تلك العلاقة في مصطلحين سوف نتعامل معهما بالضرورة في هذا الفصل عند ما نتعرض لتعريف كل نوع من أنواع الوقوف والابتداء، هذان المصطلحان هما: (التعلق المعنوي) و (التعلق اللفظي) لذا كان لزاما علينا أن نتوقف قليلا كي نوضح معني كل من هذين المصطلحين:

١ - (التعلق المعنوي): أن يكون ما بعد الوقف من المعاني مستكمل لما قبله، كأن يكون الأمر يختص بقصة من قصص القرآن، أو موضوع معين لم يتم ولم يستكمل بعد، وما زال الكلام بعد الوقف يكمل ما قبله، حتى وإن كان ما قبل الوقف يفيد في ذاته معنى صحيحا مقصودا. ولو ضربنا لذلك مثلا بقصة من قصص الأنبياء لوجدنا أننا نأخذ من تتابع الآيات لبنات يضاف لاحقها إلى سابقها حتى يكتمل بناء القصة فتكون كل لبنة قد أفادت معنى في ذاتها، ولكنها ما زالت تفتقر لما بعدها، حتى تكتمل اللبنة الأخيرة من القصة. فإذا وقفنا عليها يكون **الوقف تاما** من جهة المعنى. حيث ينتقل الكلام بعدها إلى موضوع آخر ليس له تعلق مباشر بما قبلها، عندئذ ينتهي التعلق من جهة المعنى.." <الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد ص/١٩٨>

"٢ - التعلق اللفظي: أن يكون ما بعد الوقف متعلقا بما قبله من جهة الإعراب يقول «ابن الجزري» في «التمهيد»:

«واعلم أنه يجب على القارئ أن يصل المنعوت بنعته، والفاعل بمفعوله، والمؤكد بمؤكده، والبدل بالمبدل منه، والمستثنى بالمستثنى منه، والمعطوف بالمعطوف عليه، والمضاف بالمضاف إليه، والمبتدآت بأخبارها (١)، والأحوال بأصحابها، والأجوبة بطالبها (٢)، والمميّزات بمميّزاتها (٣) وجميع المعمولات بعواملها ولا يفصل

شيئا من هذه الجمل إلا في بعض أجزائها».

ملحوظة:

كل تعلق لفظي لا بدّ أن يتبعه حتما تعلق معنوي، وليس العكس صحيحا. فليس شرطا عند وجود التعلق المعنوي أن يتبعه تعلق لفظي. فقد يوجد أو لا يوجد.

أقسام الوقف الاختياري

أولا: **الوقف التام**

تمهيد: اختلف علماؤنا في أقسام الوقف وقد صنفوا في ذلك كما يقول ابن الجزري كتبا مدونة، وذكروا فيها أصولا مجملة واختار ابن الجزري منها أربعة أقسام: «تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك» (٤) فالذين صنفوا الوقف أربعة أقسام فقط، ميزوا عند تعريفهم للوقف التام بين «التام اللازم»، وبين «التام المطلق». وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى. وآخرون جعلوا التام اللازم قسما مستقلا قائما بذاته وله تعريفه الخاص، فصارت أقسام الوقف عندهم خمسة أقسام: لازم، وتام، وكاف، وحسن، وقبيح. ولأن الوقف اللازم هو في الحقيقة **وقف تام** أيضا لذا فضلنا أن نضعه تحت ذات العنوان (**الوقف التام**) على أن نبين كل نوع على حده.

---

(١) أي كل مبتدإ يوصل بخبره.

(٢) يقصد التمييز والشيء الذي يميزه هنا.

(٣) أي كل إجابة بسؤالها. إذا كل سؤال يتطلب إجابة.

(٤) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري، ص ٧٨.." <الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد ص/١٩٩>

"تعريف **الوقف التام**:

هو الوقف على كلام تام في ذاته غير متعلق بما بعده تعلقا معنويا أو لفظيا (أي لا من جهة المعنى ولا من جهة الإعراب)

حكمه: يوقف عليه ويبتدأ بما بعده.

ويكون في نهاية السور، وأواخر الآيات، وفي انقضاء القصص، كما يكون عند انقضاء الكلام عن موضوع

بعينه والانتقال إلى غيره.

أنواعه: نوعان: أ- تام لازم (مقيد) ب- تام (مطلق).

أ- **الوقف التام** اللازم «المقيد»:

وحكمه: لزوم الوقف عليه، والابتداء بما بعده ما لم يوجد مانع من ذلك.

سبب لزومه: أنه لو وصل بما بعده لأوهم معنى غير المعنى المراد.

تسميته: يسميه البعض الوقف (اللازم) أو (الواجب) أو (التام المقيد) أو (وقف البيان).

علامته في المصحف: وضع ميم أفقية (م) أعلى الكلمة التي يلزم الوقف عليها.

أمثلته: قوله تعالى: وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ [الفتح: ٩] فالضمير فيها للنبي صلى الله عليه وسلم. والضمير في «وتسبحوه» بعدها لله تعالى والوقف على توقروه يظهر هذا المعنى المراد (١).

٢ - إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ ..... فلو لم نقف على كلمة العقاب لأوهم ذلك أن شدة العقاب من الله للفقراء المهاجرين.

٣ - وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فلو لم نقف على كلمة (الظالمين) لأوهم أنهم هم الذين آمنوا وهاجروا.

---

(١) غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر.." <الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد ص/٢٠٠>

"ب- **الوقف التام** «المطلق»:

حكمه: يحسن الوقف عليه ويحسن الابتداء بما بعده ومعنى ذلك أنه يجوز وصله بما بعده طالما أن وصله لا يغير المعنى المراد.

علامته في المصحف: (قلى) مكانه: ذكر «ابن الجزري» في كتابه «التمهيد» أن هذا القسم من الوقف وهو التام يكثر وجوده في الفواصل (أى رءوس الآي)

كقوله تعالى: وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة: ٥] ثم الابتداء بقوله إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا [البقرة: ٦] كقوله تعالى: وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ [البقرة: ٤٦] ثم الابتداء بقوله يا بَنِي إِسْرائِيلَ [البقرة: ٤٧].

وقد يوجد **الوقف التام** قبل انقضاء الفاصلة- أى قبل رأس الآية أو في وسط الآية- كالوقف على «جاءني»

من قوله تعالى: لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي قلى وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا، وقد يوجد بعد انقضاء الفاصلة بكلمة، كقوله تعالى: لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً* كَذلِكَ فآخر الفاصلة (سترا) والتمام (كذلك). وقوله تعالى: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ* وَبِاللَّيْلِ [الصافات: ١٣] فآخر الفاصلة (مصبحين) والتمام (وبالليل) لأنه عطف على المعنى تقديره: مصبحين ومليّلين.

وقوله تعالى: وَسُرُراً عَلَيْها يَتَّكِؤُنَ* وَزُخْرُفاً [الزخرف: ٣٤، ٣٥] فآخر الفاصلة (يتكئون) والتمام (وزخرفا)

من علامات الوقف التام: ١ - يكون على رءوس الآي: كالوقف على قوله وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة: ٥]

٢ - الفصل بين آية عذاب وآية رحمة كالوقوف على (الكافرين) في قوله." <الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد ص/٢٠١>

"فِي الْعِلْمِ معطوف عليه ١ فهو على قولهم غير تام.

جدول يوضح الفرق بين نوعي الوقف التام

[تصوير]

ما يلحق بالوقف التام

نلحق بالوقف التام بعض المواضع التي أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوقوف عليها من غير رءوس الآي. وقد اختلف محققوا علماء القراءات في تحديد ذلك (١) فمنهم من قال بأنها سبعة عشر موضعا كما نقل صاحب منار الهدي عن العلامة السخاوي. ومنهم من قال بأنها سبعة عشر موضعا كما نقل صاحب انشراح الصدور مع اختلاف في معظم المواضع مع صاحب منار الهدي. ومنهم من قال بأنها سبعة عشر موضعا علي اختلاف في معظم المواضع مع صاحب انشراح الصدور كما نقل صاحب

انشراح الصدور. كما نقل بعضهم غير ذلك (٢).

لكن تفاوتها يعد تفاوتا في الرواية وليس تفاوت التناقض والاضطراب فمن حفظ حجة على من لم يحفظ فكلها صحيحة ونقلتها عدول وقد ذكر كل منهم

---

(١) وهذا القول اختاره الشيخ أبو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب صاحب «الكافية والشافية».

(٢) بغية عباد الرحمن، لمحمد شحادة الغول، ص ٥٧.." <الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد ص/٢٠٣>

"ثانيا: الوقف الكافي:

تعريفه: هو الوقف على كلام تام في ذاته يتعلق بما بعده من ناحية المعنى دون اللفظ.

حكمه: يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده **كالوقف التام** غير أن الوقف على التام يكون أكثر حسنا.

تسميته: سمي كافيا للاكتفاء به، واستغنائه عما بعده لعدم تعلقه به لفظا وهو أكثر الوقوف ورودا في القرآن الكريم (١).

علامته: وضع حرف (ج) يسار أعلى الكلمة الموقوف عليها وهى تعنى أن الوقف هنا جائز، أو (صلى) وهي تعني (الوصل أولى) فالوصل هنا هو المقدم وهو الأولى يليه الجائز.

أمثلة: ١ - قال تعالى: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ [النمل: ٣٤].

فالوقف على «أذلة» كاف. والكلام قبل الوقف مفيد تام في ذاته وليس له تعلق بما بعده من ناحية الإعراب وكذلك الكلام بعد **الوقف تام** في ذاته ولكنه يمضي في سياق الموضوع الذي بدأ قبل الوقف. فالكلام الذي انتهى عند موضع الوقف هو كلام «بلقيس» وقد تم عند الوقف. والكلام بعد الوقف هو كلام من الله تعالى، ولكن الترابط المعنوي بين كل من العبارتين يأتي من أن كلام الله تعالى وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ تصديق لقول بلقيس في الملوك وهذا الترابط في سياق الموضوع يجعل الوقف على «أذلة» وقفا «كافيا».

٢ - ومثال آخر قوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ [البقرة: ٤] فهذا كلام مفهوم والوقف عليه كاف، وما بعده كلام مستقل مستغن عما قبله من ناحية الإعراب، ولكنه يتصل به من ناحية المعني لأن سياق الموضوع ما زال مستمرا.

---

(١) العميد في علم التجويد، الشيخ محمود على بسة، ص ١٨٥.." <الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد ص/٢٠٥>

"المعنى، فإن كان تم فيجوز للقارئ الابتداء بما بعدها.

القسم الثانى: الوقف الاختبارى: وهو الوقف لبيان الأحكام أو الإجابة على سؤال، وكثيرا ما يكون فى مقام التعليم.

القسم الثالث: الوقف الانتظارى: وهو الوقف لمن يريد أن يجمع أكثر من رواية من القراءات، فيقف عند الكلمة ليجمع عليها غيرها من أوجه القراءات العشر المتواترة.

القسم الرابع: الوقف الاختيارى: وهو أن يقف القارئ على الكلمة القرآنية بمحض إرادته ومن غير عروض، وهذا القسم ينقسم إلى أربعة أقسام وهو المقصود من هذا الباب:

أ- **الوقف التام**: وهو الوقف على ما تم به الكلام لفظا ومعنى، وكثيرا ما يوجد هذا النوع فى رءوس الآيات وأواخر السور وأواخر قصص القرآن.

مثال ذلك: أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* [البقرة: ٥].

فالوقف على الْمُفْلِحُونَ* تام؛ لأنه نهاية الكلام عن ذكر صفات المؤمنين، ثم الابتداء التام بكلام جديد يذكر فيه أحوال الكافرين.

ب- الوقف الكافى: وهو الوقف على ما يتم به الكلام لفظا وتعلق بما بعده معنى.

مثال ذلك كالوقف على مَرَضاً من قوله تعالى: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً.

ثم يبتدئ بواو الاستئناف: وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ [البقرة: ١٠].

فلا ترابط بين العبارتين فى اللفظ حيث إن الموضوع واحد وهو وصف حال المنافقين وصفا دقيقا وبيان خسرانهم فى الآخرة.

حكمه: يحسن الوقف عليه ويبدأ بما بعده.

ج- الوقف الحسن: هو الوقف على ما تم فى نفسه وتعلق بما بعده لفظا ومعنى.

مثال ذلك: كالوقف على قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ* فهى جملة تامة فى ذاتها لكنها متعلقة بما بعدها، فقول الله تعالى: رَبِّ الْعالَمِينَ* صفة متعلقة بلفظ الجلالة للجملة التى سبقت.

فلا يحسن الوقف على الْحَمْدُ لِلَّهِ* والأحسن الوقف على رَبِّ الْعالَمِينَ* [الفاتحة: ٢]. وكالوقف على لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ* [البقرة: ٢١٩] فهى رأس آية لكن تمام المعنى لا يفيد إلا بما بعده فى قوله تعالى: فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ* [البقرة: ٢٢٠].." <القول السديد في علم التجويد، على الله أبو الوفا ص/٢٠٨>

"المناقشة

(١) ما الوقف لغة واصطلاحا؟ بيّن حكم الوقف.

(٢) ما السكت لغة واصطلاحا؟ وما القطع لغة واصطلاحا؟

(٣) ما الفرق بين السكت والقطع؟ ما أقسام الوقف الاختيارى؟

(٤) ما أقسام الوقف؟

(٥) عرف الوقف الحسن وحكمه مع ذكر مثال. ولم سمى حسنا؟

(٦) عرف الوقف القبيح وحكمه مع ذكر مثال. ولم سمى قبيحا؟

(٧) عرف **الوقف التام** وحكمه مع ذكر مثال. ولم سمى تاما؟

(٨) عرف الوقف الكافى وحكمه مع ذكر مثال. ولم سمى كافيا؟

(٩) عرف الابتداء، مع ذكر أنواعه، وحكم كل نوع، مع ذكر مثال لما تذكر.

(١٠) بين أنواع الوقف فيما يأتى:

فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ [يس: ٧٦]، وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* [البقرة: ٥]، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ [المائدة: ٩٥]، وَما مِنْ إِلهٍ* [آل عمران:

٦٨]، الْحَمْدُ لِلَّهِ* [الفاتحة: ٢]..." <القول السديد في علم التجويد، على الله أبو الوفا ص/٢١٣>

"في الدين والحروب، والفتنة في اللغة: الاستهتار بالشيء والغلو فيه.

يقال: فلان مفتون في طلب الدنيا، أي قد غلا في طلبها وتجاوز القدرة. والفتنة الاختبار كقوله عز وجل: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي اختبرنا، ومعنى ابتغائهم تأويله أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم، فأعلم الله أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله.

والدليل على ذلك قوله عز وجل: (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل)

أي يوم يرون ما وعدوا به من البعث والنشور والعذاب

(يقول الذين نسوه من قبل) أي الذين تركوه وتركوا ما أنبأ به

النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الله - عز وجل من بعثهم، ومجازاتهم. وقوله - عز وجل -: (قد جاءت رسل ربنا بالحق)

أي قد رأينا ما أنبأتنا به الرسل.

فالوقف التام قوله: (وما يعلم تأويله إلا الله) أي لا يعلم أحد متى البعث. (غير الله).

ومعنى: (والراسخون في العلم) أي الثابتون.

يقال رسخ الشيء يرسخ رسوخا إذا ثبت أي: يقولون صدقنا بأن الله

يبعثنا، ويؤمنون بأن البعث حق كما أن الإنشاء حق، ويقولون:

(كل من عند ربنا).." <معاني القرآن وإعرابه للزجاج؟ الزجاج ٣٧٨/١>

"يروي قراءة أهل المدينة يذهب إلى أن هذا لم يضبط عن أهل المدينة

كما لم يضبط عن أبي عمرو إلى بارئكم.

وإنما زعم أن هذا تختلس فيه الحركة اختلاسا وهي فتحة الخاء، والقول كما قال.

والقراءة الجيدة (يخصمون) بفتح الخاء، والأصل يختصمون.

فطرحت فتحة التاء على الخاء، وأدغمت في الصاد، وكسر الخاء جيد أيضا - تكسر الخاء لسكونها وسكون - الصاد.

وقرئت يختصمون، وهي جيدة أيضا ومعناها يأخذهم وبعضهم يخصم بعضا، ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون

في الحجة في أنهم لا يبعثون، فتقوم الساعة وهم متشاغلون في متصرفاتهم (١).

* * *

(فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون (٥٠)

لا يستطيع أحد أن يوصي في شيء من أمره.

(ولا إلى أهلهم يرجعون).

لا يلبث إلى أن يصير إلى أهله ومنزله. يموت في مكانه.

* * *

(ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون (٥١)

الصور كما جاء في التفسير القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل.

وقد قال أبو عبيدة: إن الصور جمع صورة، وصورة جمعها صور.

كما قال الله عز وجل: (وصوركم فأحسن صوركم)

وما قرأ أحد أحسن صوركم ولا قرأ أحد: ونفخ في الصور من وجه يثبت.

والأجداث القبور، واحدها جدث، وينسلون: يخرجون بسرعة.

* * *

وقوله: (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (٥٢)
(قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا)
هذا وقف التمام، وهذا قول المشركين (٢).

---

(١) قال السمين:
قوله: ﴿يخصمون﴾: قرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم. والمعنى: يخصم بعضهم بعضا، فالمفعول محذوف. وأبو عمرو وقالون بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد. ونافع وابن كثير وهشام كذلك، إلا أنهم بإخلاص فتحة الخاء. والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد. والأصل في القراءات الثلاث: يختصمون فأدغمت التاء في الصاد، فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحها إلى الساكن قبلها نقلا كاملا، وأبو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على أن الخاء أصلها السكون، والباقون حذفوا حركتها، فالتقى ساكنان لذلك، فكسروا أولهما، فهذه أربع قراءات، قرئ بها في المشهور.
وروي عن أبي عمرو وقالون سكون الخاء وتشديد الصاد. والنحاة يستشكلونها للجمع بين ساكنين على غير حديهما. وقرأ جماعة «يخصمون» بكسر الياء والخاء وتشديد الصاد وكسروا الياء إتباعا. وقرأ أبي «يختصمون» على الأصل. قال الشيخ: «وروي عنهما - أي عن أبي عمرو وقالون - بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم».
قلت: هذه هي قراءة حمزة ولم يحكها هو عنه وهذا يشبه قوله: ﴿يخطف أبصارهم﴾ في البقرة [الآية: ٢٠]، و ﴿لا يهدي﴾ في يونس [الآية: ٣٥].
اهـ (الدر المصون).
(٢) قال السمين:
قوله: ﴿ياويلنا﴾: العامة على الإضافة إلى ضمير المتكلمين دون تأنيث. وهو «ويل» مضاف لما بعده. ونقل أبو البقاء عن الكوفيين أن «وي» كلمة برأسها. و «لنا» جار ومجرور «. انتهى. ولا معنى لهذا إلا بتأويل بعيد: هو أن يكون يا عجب لنا؛ لأن وي تفسر بمعنى اعجب منا. وابن أبي ليلى:» يا ويلتنا «بتاء التأنيث، وعنه أيضا» يا ويلتا «بإبدال الياء ألفا. وتأويل هذه أن كل واحد منهم يقول: يا ويلتي.
والعامة على فتح ميم» من و «بعثنا» فعلا ماضيا خبرا ل «من» الاستفهامية قبله. وابن عباس والضحاك، وأبو نهيك بكسر الميم على أنها حرف جر. و «بعثنا» مصدر مجرور ب من. ف «من» الأولى تتعلق بالويل،

والثانية تتعلق بالبعث.

والمرقد يجوز أن يكون مصدرا أي: من رقادنا، وأن يكون مكانا، وهو مفرد أقيم مقام الجمع. والأول أحسن؛ إذ المصدر يفرد مطلقا.

قوله: ﴿هذا ما وعد﴾ في «هذا» وجهان، أظهرهما: أنه مبتدأ وما بعده/ خبره. ويكون **الوقف تاما** على قوله «من مرقدنا». وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة: إما من قول الله تعالى، أو من قول الملائكة. والثاني: أنها من كلام الكفار فتكون في محل نصب بالقول. والثاني من الوجهين الأولين: «هذا» صفة ل «مرقدنا» و «ما وعد» منقطع عما قبله.

ثم في «ما» وجهان، أحدهما: أنها في محل رفع بالابتداء، والخبر مقدر أي: الذي وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون حق عليكم. وإليه ذهب الزجاج والزمخشري. والثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر أي: هذا وعد الرحمن. وقد تقدم لك أول الكهف: أن حفصا يقف على «مرقدنا» وقفة لطيفة دون قطع نفس لئلا يتوهم أن اسم الإشارة تابع ل «مرقدنا». وهذان الوجهان يقويان ذلك المعنى المذكور الذي تعمد الوقف لأجله. و «ما» يصح أن تكون موصولة اسمية أو حرفية كما تقدم تقريره. ومفعولا الوعد والصدق محذوفان أي: وعدناه الرحمن وصدقناه المرسلون. والأصل: صدقنا فيه. ويجوز حذف الخافض وقد تقدم لك نحو «صدقني سن بكره» أي في سنه. وتقدم قراءتا «صيحة واحدة» نصبا ورفعا. اهـ (الدر المصون).." <معاني القرآن وإعرابه للزجاج؟ الزجاج ٤/٢٩٠>

"٣٠٦١: ١٧٣١٣: حاصبا: ١: قوله تعالى: «فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا» يعنى: قوم لوط. والحاصب: ريح تأتي بالحصباء وهي الحصى الصغار، وتستعمل في كل عذاب.

٣٠٦٢: ١٧٣١٨: ممن: ١: طمس «بالأصل» .

٣٠٦٣: ١٧٣٢٠: للمشرك: ١: طمس «بالأصل» .

: ١٧٣٢٤: العنكبوت: ٢: قوله تعالى: «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت» قال الأخفش:

«كمثل العنكبوت» **وقف تام**، ثم قص قصتها فقال: «اتخذت بيتا» قال ابن الأنباري: وهذا غلط لأن «اتخذت بيتا» صلة للعنكبوت، كأنه قال: كمثل التي اتخذت بيتا، فلا يحسن الوقت على الصلة دون الموصول، وهو بمنزلة قوله: «كمثل الحمار يحمل أسفارا» فيحمل صلة للحمار، ولا يحسن الوقت على «الحمار» دون «يحمل» .

٣٠٦٤: ١٧٣٢٧: العالمون: ١: تفسير ابن كثير: (٣/ ٤١٤) .

٣٠٦٦: ١٧٣٤٠: إلا بعدا: ١: الدر (١٦٠) والطبراني (١١/ ٥٤) والمجمع (٢/ ٢٥٨) وعزاه إلى الطبراني في الكبير، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ثقة ولكنه مدلس.

أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٨) وعزاه إلى الطبراني في «الكبير» ، ورجاله رجال الصحيح.

٣٠٦٧: ١٧٣٤٦: والمنكر: ١: قوله تعالى: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» يريد: إن الصلاة الخمس هي التي تكفر ما بينها من الذنوب، كما قال عليه السلام: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم." <تفسير ابن أبي حاتم - محققا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١٣/٨٢٥>

"عكرمة: تقاتلون معه بالسيف،

أخبرنا علي بن محمد بن محمد بن أحمد البغدادي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيباني، أخبرنا عيسى بن عبد الله البصري بهراة، حدثنا أحمد بن حرب الموصلي، حدثنا القاسم بن يزيد الحرمي، حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، عن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا سفيان بن عينية، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله، قال: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وتعزروه، قال لنا: ماذا كم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: لتنصروه وتوقروه وتعظموه وتفخموه.

وهاهنا وقف تام.

وتسبحوه أي وتسبحوا الله بالتنزيه والصلاة. بكرة وأصيلا.

[سورة الفتح (٤٨) : الآيات ١٠ الى ٢١]

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (١٠) سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (١٣) ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (١٤)

سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا (١٥) قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم

من قبل يعذبكم عذابا أليما (١٦) ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما (١٧) لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (١٨) ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما (١٩)

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما (٢٠) وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا (٢١)

إن الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا إنما يبايعون الله.

أخبرنا ابن منجويه، حدثنا ابن حبش المقري، حدثنا محمد بن عمران، حدثنا أبو عبد الله المخزومي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار إنه سمع جابرا يقول: كنا يوم الحديبية ألف وأربعمائة، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» [٢٩] «١» . قال: وقال لنا

---

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٦٣ صحيح مسلم: ٦/ ٢٦.." <تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن؟ الثعلبي ٩/٤٤>

"٣٤ - البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة. ألفه سنة ٤٢٤ هـ.

٣٥ - بيان إعجاز القرآن. جزء.

٣٦ - التبيان في اختلاف قالون وورش. جزء.

٣٧ - التذكرة في اختلاف القراء السبعه. جزء.

٣٨ - تسمية الأحزاب.

٣٩ - التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه. جزآن.

٤٩ - دعاء خاتمة القرآن.

٤١ - شرح اختلاف العلماء في الوقوف على قوله تعالى: (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه)

٤٢ - شرح الاختلاف في قوله: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة)

٤٣ - شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون. . .)

٤٤ - شرح الإدغام الكبير في المخارج. جزء.

٤٥ - شرح الوقف التام. أربعة أجزاء.

٤٦ – شرح رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم. جزء.

٤٧ – شرح الراءات على قراءة ورش وغيره. جزء.

٤٨ – شرح الفرق لحمزة وهشام. جزء.

٤٩ – شرح قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم. . . فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران. . . ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها. . .) جزء.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٢١/١>

"الخبر قد بعد من الابتداء واعترض بينهما شيء كثير ليس منه.

وقال غيره ﴿ولا تستعجل لهم﴾ **وقف تام**: وعن الحسن ﴿من نهار﴾ تمام الكلام، وهو قول أبي حاتم أيضا، وقال يعقوب ثم تبتدئ ﴿بلاغ﴾ أي: " ذلك بلاغ ". وكذلك قال نافع /، إلا أنه قال: وإن شئت وقفت على " بلاغ ". ومن نصب فلا يقف إلا على بلاغ؛ لأن ما قبله عمل فيه فلا يفرق بينهما، ومن قرأ " بلغ " وقف على " نهار " واستأنف بالأمر.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٦٨٧٥/١١>

"وأراد عمر ضرب عنقه فقال له النبي A ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ".

قال أبو حاتم: ليس من أولها **وقف تام** إلى ﴿وما أعلنتم﴾.

وقال محمد بن عيسى: ﴿أوليآء﴾ وقف، وقال غيره: إن جعلت ﴿تلقون﴾ نعتا " لأولياء " لم تقف على " أولياء " وإن جعلته مبتدأ وقفت على " أولياء ".

وقال القتبي: ﴿بالمودة﴾: التمام.

[قال يعقوب]: و ﴿وإياكم﴾ وقف كاف.

وقال أبو حاتم: هو وقف بيان.

قال القتبي: هو تمام، ولا يصح هذا لأن " وإن تؤمنوا " معمولة." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٧٤١٧/١١>

"﴿فإن تولوا﴾.

أي: إن تولى هؤلاء يا محمد، عن الإيمان، ﴿فقل حسبي الله﴾، أي: يكفيني الله، ﴿لا إله إلا هو﴾.

قال أبي بن كعب: آخر آية نزلت:

﴿لقد جآءكم رسول من أنفسكم عزيز﴾، إلى آخر السورة.

﴿حريص عليكم﴾، **وقف تام** عند الأخفش، لأن هذا مخاطبة لأهل مكة، وقوله: ﴿بالمؤمنين رءوف (رحيم)﴾، لكل المؤمنين.." <الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ٤/٣٢٠٢>

"يقولون ذلك في الدنيا إلا استعاذة ممن يريدهم بسوء. وإذا حمل على المعنى الذي قبله، وجب أن يكون من قول الملائكة؛ لأنه إئياس منهم لهم من الخير. انتهى كلامه.

وفي الآية قول ثالث؛ وهو: أن قوله: (حجرا) من قول الكفار، و: ﴿محجورا﴾ من قول الملائكة. وهو قول الحسن؛ قال: كانو إذا خافوا شيئا قالوا: حجرا. يتعوذون منه. فإذا كان يوم القيامة قالوا: (حجرا) قالت الملائكة: ﴿محجورا﴾ أن تعاذوا من شر هذا اليوم. فحجر الله ذلك عليهم يوم القيامة (١). قال الأزهري: والقول الأول أشبه بكلام العرب، والآية أحرى أن تكون كلاما واحدا لا كلامين (٢). والله أعلم (٣).

٢٣ - قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ قال الأزهري: يقال قدم فلان إلى أمر كذا، أي: قصده. وذكر هذه

---

(١) "تهذيب اللغة" ٤/ ١٣٢ (حجر) بمعناه. وعلى هذا الوقف على (حجرا) **وقف تام**، القطع والائتناف ٢/ ٤٨١، حيث نسب هذا الوقف للحسن، دون شرح القول. ولم أجد أحدا نسب هذا القول للحسن باللفظ الذي ذكره الواحدي، غير الأزهري. وذكره الرازي ٢٤/ ٧١، ونسبه للقفال، والواحدي، وفي كلامه ما يشعر باختيار الواحدي لهذا القول؛ وهذا ليس بصواب فإن الواحدي في كتابيه: "الوسيط"، و"الوجيز"، لم يذكر هذا القول مطلقا، وإنما ذكره هنا، وذكر بعده رد الأزهري. فعبارة الرازي تحتاج إلى تحرير. وذكره القرطبي ١٣/ ٢١، وذكر عن الحسن أيضا أيضا قال: ﴿ويقولون حجرا﴾ وقف من قول المجرمين، فقال الله عز وجل: ﴿محجورا﴾ عليهم أن يعاذوا أو يجابوا.

(٢) "تهذيب اللغة" ٤/ ١٣٢ (حجر)، ويعني بالقول الأول، أن ﴿حجرا محجورا﴾ من قول الملائكة.

(٣) (والله أعلم) فى (ج).." <التفسير البسيط؟ الواحدي ١٦/٤٥٩>

"كان حالا لم يخل من أن يكون حالا من الفاعل، أو المفعول، فإن جعلته حالا من الفاعل السائل لم يسهل؛ لأن الخبير لا يكاد يسأل إنما يسأل. ولا يسهل الحال من المفعول أيضا؛ لأن المسؤول عنه خبير أبدا، وليس للحال كثير فائدة. فإن قلت: يكون حالا مؤكدة، فغير هذا الوجه إذا احتمل أولى، فيكون ﴿خبيرا﴾ إذا: مفعولا به؛ كأنه قال: فأسأل عنه خبيرا. أي. مسؤولا خبيرا. وكان المعنى: سل يتبين بسؤالك، وبحثك من

تستخير ليتقرر عندك ما اقتص عليك من خلقه ما خلق، وقدرته على ذلك وتعلمه بالفحص عنه والتبين له،

قال: ومما يقوي: أن السؤال إنما أريد به ما وصفنا، قول أمية:

وسل ولا بأس إن كنت امرءا عمها ... إن السؤال شفا من كان حيرانا (١)

أراد: سل حتى تتبين بسؤالك؛ ألا ترى أنه قال: إن السؤال شفاء من كان حيرانا. والسؤال إذا خلا من العلم لم يكن شفاء، إنما يكون شفاء إذا اقترن به العلم والتبين. وكذلك المراد في قوله: ﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ اسأل سؤالا تبحث به لتتبين.

وأجاز أبو إسحاق، وغيره، في هذه الآية، أن يكون الوقف والتمام عند قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ ثم يبتدئ ﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ فيكون ابتداء، و ﴿فاسأل به﴾ الخبر (٢). ومن لم يقف على العرش، فارتفاع

---

(١) العمه: الذي يتردد متحيرا، لا يهتدي لطريقه ومذهبه، والعمه في الرأي، والعمى في البصر. "تهذيب اللغة" ١/ ١٤٩ (عمه). ولم أجد من ذكر هذا البيت.

(٢) **الوقف التام** هو الوقف على كلام تم معناه، ولم يتعلق بما بعده لفظا، ولا معنى، وهو الذي يحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده. والوقف الكافي: هو الوقف =." <التفسير البسيط؟ الواحدي ١٦/٥٥٨>

"عباس: يريد: المشركين (١).

قال أهل المعاني: يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وظلموا بني إسرائيل بسومهم سوء العذاب (٢).

قال ابن عباس: ثم أخبر عنهم فقال:

١١ - ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ (٣) قال الفراء: لو قرئ: ﴿ألا تتقون﴾ بالتاء (٤) كان صوابا؛ لأن موسى أمر بأن يقول لهم: ﴿ألا تتقون﴾ فكانت التاء تجوز لخطاب موسى إياهم، وجازت الياء؛ لأن التنزيل قبل الخطاب، وهو بمنزلة قول الله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾ [آل عمران: ١٢] بالتاء والياء (٥).

وقال أبو حاتم: قوله ﴿قوم فرعون﴾ وقف (٦)؛ لأن المعنى تام، وما بعده استئناف (٧).

---

(١) "تفسير مقاتل" ٤٨ أ. وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥١، بلفظ: الكافرين.

(٢) "تفسير الثعلبي" ٨/ ١٠٨ أ. وذكره في "الوسيط" ٣/ ٣٥١، ولم ينسبه لأحد. وذكره البغوي ٦/

١٠٧، غير منسوب.

(٣) ذكره بنصه، في "الوسيط" ٣/ ٣٥١، ولم ينسبه. وفي "تنوير المقباس" ٣٠٦: ﴿قوم فرعون﴾ بدل من القوم.

(٤) نسب هذه القراءة ابن جني، لعبد الله بن مسلم بن يسار، وحماد بن سلمة. المحتسب في شواذ القراءات ٢/ ١٢٧. ونسبها الثعلبي لعبيد بن عمير. "تفسير الثعلبي" ٨/ ١٠٨ أ.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٧٨. بنصه. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (ستغلبون) بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي: (سيغلبون). "السبعة في القراءات" ٢٠٢. و"المبسوط في القراءات العشر" ١٤٠. و"النشر في القراءات العشر" ٢/ ٢٣٨.

(٦) وقف. في نسخة (ج).

(٧) **وقف تام** عند أبي حاتم، "القطع والائتناف" للنحاس ٢/ ٤٩٠. وعده الداني من =." <التفسير البسيط؟ الواحدي ١٧/٢٦<

"ومعنى: ﴿ألا يتقون﴾ ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته (١).

١٢ - قوله: ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون﴾ قال الكلبي: ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ بالرسالة (٢).

١٣ - قوله: ﴿ويضيق صدري﴾ أي بتكذيبهم إياي (٣) ﴿ولا ينطلق لساني﴾ أي: لا ينبعث بالكلام. يعني: للعلة التي كانت بلسانه (٤).

[قال الفراء: ﴿ويضيق﴾ مرفوعة؛ لأنها مردودة على ﴿أخاف﴾ ولو نصبت بالرد على ﴿يكذبون﴾ كانت صوابا، والوجه الرفع؛ لأنه أخبر أن صدره يضيق، وذكر العلة التي كانت بلسانه] (٥) فتلك مما لا تخاف؛ لأنها

= الوقف الكافي، المكتفى ٤٢١. يعرف **بالوقف التام** والكافي عند أول موضع ذكر فيه الوقف.

(١) قال مقاتل ٤٨ أ: ألا يعبدون الله عز وجل.

(٢) ذكره في "الوسيط" ٣/ ٣٥١، ولم ينسبه. وهو في "تنوير المقباس" ٣٠٧.

(٣) "تنوير المقباس" ٣٠٧، ونسبه الماوردي ٤/ ١٦٦، للكلبي، وذكر قولا آخر، وهو: ﴿ويضيق صدري﴾ بالضعف عن إبلاغ الرسالة.

(٤) "تفسير ابن جرير" ١٩/ ٦٤، و"تفسير الثعلبي" ٨/ ١٠٨ أ. وهذه العلة مذكورة في قوله تعالى: ﴿واحلل عقدة من لساني (٢٧) يفقهوا قولي﴾ [طه:٢٧، ٢٨]. وأما ما ورد من أن السبب في ذلك هو وضع نبي الله موسى عليه السلام الجمرة في فمه بدلا من التمرة، فإن هذا الخبر لا يعتد به؛ لأنه من الأخبار الإسرائيلية، وقد ذكره ابن جرير في "تاريخه" ١/ ٣٩٠، وجزم به ابن عطية ١١/ ٩٤. وهو مخالف للواقع؛ إذ كيف يقدر على حمل الجمرة بيده ويرفعها إلى فيه، ومع ذلك لا تحرق يده ولا توذه، ويكفي لإثبات أن نبي الله موسى عليه السلام، لا يعقل أخذه للجمرة دون الحاجة إلى رفعها إلى فيه. والله أعلم. وذكر السمرقندي ٢/ ٤٧٠، أن العلة في قوله تعالى: ﴿ولا ينطلق لساني﴾ لمهابته. وهو قول غريب، ونسبه الماوردي ٤/ ١٦٦، للكلبي.

(٥) ما بين المعقوفين، في نسخة (ج).." <التفسير البسيط؟ الواحدي ٢٧/١٧>

"وقال الزجاج: معناه: إذا دخلوها عنوة أي: جهارا عن قتال وغلبة (١).

﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ قال مقاتل: أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر (٢).

قال الفراء: قالت لهم: إنهم إن دخلوا بلادكم أذلوكم وأنتم ملوك (٣).

ومعنى الآية: أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم، ودخوله بلادهم، وتناهى الخبر عنها، وصدقها الله تعالى فقال: ﴿وكذلك يفعلون﴾ يعني: كما قالت هي. وهذا معنى قول ابن عباس والكلبي ومقاتل (٤).

قال الزجاج: هو من قول الله -عز وجل-؛ لأنها قد ذكرت أنهم يفسدون فليس لتكرير هذا منها فائدة (٥).

---

(١) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١١٩. أخرج ابن جرير ١٩/ ١٥٤، عن ابن عباس: إذا دخلوها عنوة خربوها.

(٢) "تفسير مقاتل" ٥٨ ب. وهو في "الوسيط" ٣/ ٣٧٧، غير منسوب.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٩٢.

(٤) أخرج ابن جرير ١٩/ ١٥٤، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٧، عن ابن عباس. و"تفسير مقاتل" ١٥٩. و"تنوير المقباس" ٣١٨. وذكره ابن قتيبة، ولم ينسبه. "تأويل مشكل القرآن" ٢٩٤. ونسبه النحاس لسعيد بن جبير، "إعراب القرآن" ٣/ ٢١٠. وعلى هذا فالوقف على: ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ **وقف تام**. "النشر" ١/ ٢٢٧.

(٥) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١١٩. و"معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٩٢. وحكى الماوردي ٤/ ٢٠٩، عن ابن شجرة: أن هذا حكايته عن قول بلقيس: كذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا. واستظهره أبو حيان ٧/ ٧٠، وكذا السمين الحلبي ٨/ ٦١١. والأقرب ما اقتصر عليه الواحدي. والله أعلم.." <التفسير البسيط؟ الواحدي ١٧/٢٢٧>

"قال أبو هريرة: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر عليهم ماء من تحت العرش، فينبتون منه كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا تكاملت أجسادهم نفخ فيها الروح، ثم تلقى عليهم نومة، فبينما هم في قبورهم إذ نفخ في الصور، فجلسوا وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون: (١) ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾. وأكثر القراء وأهل المعاني على أن الوقف تام عند قوله (٢): ﴿مرقدنا﴾، ثم يبتدئ فيقول: ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾. قال ابن عباس: تقول الملائكة: هذا ما وعد الرحمن على ألسنة الرسل أن يبعث بعد الموت، ﴿وصدق المرسلون﴾ بأن البعث حق (٣).

وذهب آخرون إلى أن هذا من قول المؤمنين. روي عن أبي بن كعب أنه قال: فيقول المؤمن: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ (٤).

وقال قتادة: أولها للكافرين وآخرها للمؤمنين قال الكافر: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، وقال المسلم: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣٨٠، "معاني القرآن وإعرابه" ٤/ ٢٨٠،"القطع والائتناف" ص ٩١،"منار الهدى" ص ٣٢٠، "المكتفى في الوقف والابتداء" ص ٤٧٣.

(٣) انظر: "تفسير ابن عباس" بهامش المصحف ص ٣٧٢. وأكثر المفسرين ذكروا هذا القول، ولمن لم أقف على من نسبه لابن عباس. انظر: "الماوردي" ٥/ ٢٤، "المحرر الوجيز" ٤/ ٤٥٨، "زاد المسير" ٧/ ٢٦، "ابن كثير" ٣/ ٥٧٤.

(٤) لم أقف على هذا القول عن أبي، وقد ذكر المفسرون هذا القول عن قتادة ومجاهد. انظر: "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ١٤٥، "الطبري" ٢٣/ ١٦ - ١٧، "الماوردي" ٥/ ٢٤، "معانى القرآن" للنحاس ٥/ ٥٠٥.." <التفسير البسيط؟ الواحدي ١٨/٥٠١>

"آخر من نعت عظمته (١).

وقال الأخفش: لا يحسن الوقف على (الأرض) لاتصال معنى الآية وذلك أنه أخبر في النصف الأول من الآية من سؤال الخلق إياه، والسؤال (٢) مختلف؛ لأن كل أحد يسأل ما يهمه، ثم أخبر في آخر الآية أنه في شأن من إعطاء سؤلهم، وقضاء حوائجهم، وكفاية أشغالهم على ما يرى التدبير في ذلك.

وكل يوم ينتصب بالظرف؛ لقوله ﴿في شأن﴾ وقال يعقوب: انتصب ﴿كل يوم﴾ بالسؤال، والمعنى: "سأله من في السموات والأرض كل يوم" وهاهنا الوقف، ثم قال ﴿هو في شأن﴾ أي ربنا في شأن على ما يذكر من تفسير ذلك الشأن، وهذا قول غير بعيد.

قال أبو جعفر النحاس: وقال يعقوب ﴿كل يوم﴾ فهذا **الوقف التام**، ثم قال النحاس: أما قول يعقوب فمخالف لقول الذين شاهدوا التنزيل (٣).

والذي يوافق ما ذكره المفسرون أن يكون ﴿كل يوم﴾ ظرفا لقوله ﴿هو في شأن﴾ لأنهم قالوا: من شأنه أن يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر ويعز ويذل، ويفك عانيا ويشفي مريضا، ويجيب داعيا ويعطي سائلا، ويتوب على قوم، ويكشف كربا، ويغفر ذنبا، إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء.

ذكر ذلك مجاهد، والكلبي، وعبيد بن عمير، وأبو ميسرة، وعطاء عن

---

(١) انظر: "القطع والائتناف" ص ٦٩٧ - ٦٩٨، حيث قال: قال عيسى بن عمر: قال أبو حاتم: (يسأله من في السموات والأرض). تام، ثم قال جل وعز: ﴿كل يوم هو في شأن﴾.

(٢) في (ك): (وسؤال).

(٣) انظر: "القطع والائتناف" ص ٦٩٧ - ٦٩٨.." <التفسير البسيط؟ الواحدي ٢١/١٦١>

"مفوضة إلى الله تعالى.

وهذا مذهب: عائشة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي، وكثير من التابعين، واختيار (١) الفراء، والكسائي (٢)، والمفضل (٣)، وابن الأنباري، وأبي عبيد (٤)، وأحمد بن يحيى (٥).

ودليل هذا القول: قراءة عبد الله (٦): (إن تأويله إلا عند الله. والراسخون في العلم يقولون آمنا به) (٧).

---

(١) في (أ): (واختار). والمثبت من: (ب)، (ج)، (د). وهو الصواب.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو: المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، الكوفي. تقدم ٢/ ١١٩.

(٤) في "الأضداد" لابن الأنباري: أبو عبيدة. وورد في أكثر المصادر: أبو عبيد. وهو: أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي.

(٥) هو: أبو العباس، أحمد بن يحيي (ثعلب). وقد بين النحاس أن نيفا وعشرين رجلا من الصحابة والتابعين والقراء وأهل اللغة، ذهبوا إلى الوقف التام على لفظ الجلالة (الله)، وأن ما بعده منقطع منه، ثم ذكر إضافة إلى من ذكرهم المؤلف: الحسن، وأباهيك، والضحاك، ومالك بن أنس، وسهل بن محمد، وعمر بن عبد العزيز، وعروة بن الزبير، والطبري، والزجاج، وابن كيسان، وأحمد بن جعفر بن الزبير، والسدي.

انظر: "القطع والائتناف" للنحاس: ٢١٢، "تفسير الطبري" ٣/ ١٨٢ - ١٨٤، "تفسير ابن أبي حاتم" ٢/ ٥٩٩ - ٦٠١، "معاني القرآن" للنحاس: ١/ ٣٥١، "تفسير الثعلبي" ٣/ ٨ ب، "المحرر الوجيز" ٣/ ٢٤، "تفسير القرطبي" ٤/ ١٦، "البحر المحيط" ٢/ ٣٨٤، "الدر المنثور" ٢/ ١٠، ١١، "معترك الأقران" للسيوطي: ١/ ١٣٨، "فتح القدير" للشوكاني: ١/ ٤٧٦، "فتح البيان" لصديق حسن خان: ٢/ ١٥ - ١٦.

(٦) يعني: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٧) انظر هذه القراءة في "معاني القرآن" للفراء: ١/ ١٩١، "كتاب المصاحف" لأبي بكر بن أبي داود: ٥٩، "تفسير الطبري" ٣/ ١٨٤، "الأضداد" لابن الأنباري:=." <التفسير البسيط؟ الواحدي ٥٧/٥>

"وفي هذه الآية حجة على من أنكر القياس؛ لأن الله تعالى احتج فيها على المشركين، ولا يجوز أن يدلهم إلا بما فيه دليل. فقياس (١) خلق عيسى من غير ذكر، كقياس خلق آدم، بل الشأن فيه أعجب؛ لأنه خلق من غير ذكر ولا أنثى.

وقوله تعالى: ﴿عند الله﴾. أي: في الخلق والإنشاء. خلق عيسى من غير أب، كما خلق آدم من غير أب ولا أم. وتم الكلام عند قوله: ﴿كمثل آدم﴾ (٢)، وهو جملة تامة، وتشبيه كامل. ولو اقتصر عليه حصل المراد. قال: ﴿خلقه من تراب﴾ وهذا ليس بصله لـ ﴿آدم﴾، ولا صفة، لأن الصلة للمبهمات (٣)، والصفة للنكرات (٤)، ولكنه خبر مستأنف على جهة التفسير لحال آدم (٥).

---

(١) في (ب): (فيقاس).

(٢) ممن قال بأن الوقف تام: يعقوب، وقال أبو بكر بن الأنباري: إن الوقف هنا: حسن، وليس بتام ولا كاف. انظر كتاب "إيضاح الوقف والابتداء" لابن الأنباري: ٢/ ٥٧٨، "القطع والائتناف" للنحاس، ٢٢٦،

"منار الهدى" للأشموني: ٦٣.

(٣) لأن (آدم) معرفة، والمعارف لا توصل، وإنما الصلات للنكرات. انظر: "معاني القرآن" للفراء: ١/ ٢١٩، "تفسير الطبري" ٣/ ٢٩٦.

(٤) لأن الجمل بعد النكرات صفات، و (آدم) معرفة، ولذا لا تكون الجملة بعده صفة له، لأن الجمل لا تكون إلا نكرة، فلا توصف بها معرفة.

(٥) أي: إنها جملة مفسرة لوجه التشبيه، فلا وجه لها من الإعراب، وهذا الوجه هو الأظهر.

وقيل: إنها في محل نصب على الحال من (آدم)، مع تقدير (قد) معها لتقربه من الحال؛ لأن الفعل الماضي لا تصل بالأعلام إلا إذا أضمر معه (قد)، والعامل فيها معنى التشبيه. وقال أبو البركات بن الأنباري في كتابه "البيان": إنها جملة مفسرة للمثل، وهي في موضع رفع؛ لأنها خبر لمبتدأ محذوف؛ كأنه قيل: ما =." <التفسير البسيط؟ الواحدي ٥/٣١٣>

"قال ابن الأنباري (١): يريد: ليس أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم وتقدم وصفهم، سواء؛ أي: متساوين في دينهم ومذهبهم. ثم ابتدأ فقال (٢):

﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ إنقطع الكلام عند (سواء)، ورفع (الأمة) بـ (من) (٣)، وأضمر (٤) (الأمة) المذمومة؛ لأن القائمة تكفي من التي ليست بقائمة، على مذهب العرب من الاكتفاء بالشيء من ضده، كما قال أبو ذؤيب (٥):

عصاني إليها القلب إني لأمرها ... مطيع فما أدري أرشد طلابها؟ (٦)

= القرآن" للحكيم الترمذي ٢٧، "الأضداد" لابن الأنباري ٤٠، "الحجة" للفارسي ١/ ٢٤٥، "الصحاح" ٦/ ٢٣٨٤ (سواء)، و"قاموس القرآن" للدامغاني ص ٢٥٢، و"التصاريف" لمكي ١١١، و"نزهة الأعين النواظر" ٣٥٩، "المغني" لابن هشام ١٨٧ - ١٨٩.

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد بعض قوله في "إيضاح الوقف والابتداء" له: ٢/ ٥٨٢.

(٢) فقال: ساقطة من: (ب).

(٣) ممن قال **بالوقف التام** -هنا- أكثر أهل العلم، ومنهم: نافع، ويعقوب، والأخفش، والزجاج، وأبو حاتم.

انظر: "القطع والائتناف" للنحاس: ٢٣٢، "معاني القرآن" للأخفش ١/ ٢١٣، "معاني القرآن" للزجاج ١/

٤٥٨، و"منار الهدى" للأشموني ٦٨ وقال: (وهو الأصح).

وإعراب ﴿أمة﴾ على هذا الوجه: مبتدأ مؤخر، و ﴿من أهل الكتاب﴾ خبر مقدم. انظر: "التبيان" للعكبري: ص ٢٠٥.

(٤) في (ج): (فأضمر).

(٥) في (ج): (ذيب). وهو: خويلد بن خالد بن محرث الهذلي. تقدم.

(٦) ورد البيت منسوبا له في "شرح أشعار الهذليين" ١/ ٤٣، "تأويل مشكل القرآن" =." <التفسير البسيط؟ الواحدي ٥/٥٠٩>

"قوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي﴾ الآية [الأعراف:١٨٨]. اختلفوا في وجه تفسير هذه الآية، فقال (١) مقاتل: (هذه الآية متصلة بما قبلها، ومعنى قوله: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا﴾ لا أملك أن أسوق إليها خيرا أو أدفع عنها سوءا حين ينزل بي، فكيف أعلم وأملك علم الساعة) (٢).

وقوله تعالى: ﴿إلا ما شاء الله﴾. أي: إلا ما شاء الله أن يملكني إياه بالتمكين منه.

وقوله تعالى: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾. أي: من معرفته حتى أجيب في كل ما أسأل عنه من الغيب في الساعة وغيرها، وحتى لا يخفى علي شيء، وتم الكلام (٣) هاهنا. ثم قال: ﴿وما مسني السوء﴾. أي: ليس بي جنون، وذلك لأنهم نسبوه إلى الجنون كما ذكرنا في قوله: ﴿ما بصاحبهم من جنة﴾ (٤) [الأعراف: ١٨٤] فقال: ﴿وما مسني السوء

---

(١) في (ب): (فقال مقال مقاتل هذه ..).

(٢) "تفسير مقاتل" ٢/ ٧٨، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ ب.

(٣) قال الداني في "المكتفى" ص ٢٨٢: (قوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقف تام وقوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ [الأعراف: ١٨٨] كاف. وقوله: ﴿وما مسني السوء﴾ أكفى منه وقوله ﴿لقوم يؤمنون﴾ [الأعراف: ١٨٨] تام) اهـ. ونحوه قال ابن الأنباري في "الإيضاح" ٢/ ٦٧٣ والنحاس في "القطع" ١/ ٢٦٨، وذكر قول الواحدي الرازي في "تفسيره" ١٥/ ٨٤ - ٨٥، وقال: (هذا عندي بعيد جدا، يوجب تفكيك نظم الآية) اهـ.

وقال أبو حيان في "البحر" ٤/ ٤٣٧: (هذا القول فيه تفكيك لنظم الكلام واقتصار على أن يكون جواب لو ﴿لاستكثرت من الخير﴾ [الأعراف:١٨٨] فقط، وتقدير حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران، لا

أحدهما، فيكون إذ ذاك جوابا قاصرا) اهـ.

(٤) في (ب) كما ذكرنا في قوله: ﴿ما بصاحبهم من جنة﴾ وهي الآية (٤٦) من سورة سبأ، وانظر: "البسيط النسخة الأزهري" ٤/ ١٧٠ ب سورة سبأ تفسير الآية (٤٦).." <التفسير البسيط؟ الواحدي ٩/٥٠٦>

"وإنما قال: ﴿هن أم الكتاب،﴾ ولم يقل: أمهات الكتاب؛ لأنه اعتبر المعنى وهو الأصل، فجعل الآيات شيئا واحدا ثم وحد، وقريب منه قوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون:٥٠] (١).

﴿وأخر:﴾ جمع (٢) أخرى. وإنما [لم] (٣) يصرف للتأنيث والعدل عند البصريين (٤)، وقال الكسائي: لأنه صفة كالاسم مثل: عمر (٥).

﴿زيغ:﴾ «ميل عن الحق» (٦)، قال الله تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف:٥]، وقال: ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ [سبأ:١٢].

﴿فيتبعون:﴾ يتتبعون.

و (التأويل) (٧): رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، وقيل: هو تبيين ما يؤدي إليه فحوى الخطاب على وجه الاستخراج (٨). (٦٢ و)

﴿وما يعلم تأويله إلا الله:﴾ أي: مآله ومصيره وما يؤدي إليه (٩). وههنا **وقف تام** (١٠).

وفي قراءة أبي (١١): (ويقول الراسخون)، وكذلك روى طاووس عن ابن عباس (١٢)، وفي مصحف عبد الله: (إن تأويله إلا عند الله) ثم استأنف: (والراسخون) (١٣). وقال أبو حاتم:

(والراسخون) في تقدير: وأما الراسخون (١٤)، وإلى هذا ذهب في مسألة القدر والصفات علي وعائشة وأم سلمة وغيرهم.

وإحدى فوائد نزول (١٥) المتشابه الابتلاء. فإن قيل: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم تأويل هذا النوع

---

(١) ينظر: تفسير الطبري:٣/ ٢٣١ - ٢٣٢، ومعاني القرآن الكريم ١/ ٣٤٨ - ٣٤٩، وتفسير البغوي ١/ ٢٧٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) يقتضيها السياق، وبعدها في ك: يثبت، بدل (يصرف).

(٤) ينظر: الكتاب ٣/ ٢٨٣ - ٢٨٤، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٧٧، وإعراب القرآن ١/ ٢٨٥ و ٣٥٥.

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٩٨، ومجمع البيان ٢/ ٢٣٨.

(٦) تفسير الطبري ٣/ ٢٤٠، وتفسير القرآن الكريم ٢/ ١٣ - ١٤، والتبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٩٩.

(٧) في الآية نفسها: وابتغاء تأويله.

(٨) ينظر: البرهان ٢/ ١٤٨ - ١٥٠، والتأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية ٢ - ١١.

(٩) ينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٥٠ - ٢٥١، والبحر المحيط ٢/ ٣٨٧، والبرهان ٢/ ١٤٨.

(١٠) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٧٨، والقطع والائتناف ٢١٢، وتفسير القرآن الكريم ٢/ ١٤.

(١١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٩١، وتفسير البغوي ١/ ٢٨٠، والكشاف ١/ ٣٣٩.

(١٢) ينظر: تفسير القرآن ١/ ١١٦، والقطع والائتناف ٢١٢، وتفسير القرآن الكريم ٢/ ١٥.

(١٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٩١، وتفسير البغوي ١/ ٢٨٠، والكشاف ١/ ٣٣٩.

(١٤) ينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٤٨.

(١٥) ساقطة من ك. وينظر: الكشاف ١/ ٣٣٨، وتفسير النسفي ١/ ١٤٢، والبحر المحيط ٢/ ٣٩٨.."

<درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر؟ الجرجاني، عبد القاهر ٣٧٩/١>

"«زعمهم ذلك بعد التبديل والتحريف على قراءة قنبل» (١) وقد قرأ قنبل: هأنتم، بغير ألف بعد الهاء، على معنى أأنتم. (٢)

٢ - وفي سورة الروم وعند قوله تعالى: ﴿غلبت الروم﴾ (٢) [الروم:٢] ينقل عن ابن عباس أنه قال: غلبت، وغلبت. وهاتان قراءتان فالجمهور من القراء على أنها غلبت، بالضم، والقراءة الأخرى بالفتح أي: غلبت. (٣)

٣ - وعند قول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ [آل عمران:٨١]، يقول: «ولقد صرح ابن مسعود وقرأ: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)»، (٤) ذلك أنه فسر الآية على القراءة الأولى، بأن أخذ الميثاق من الأمم وليس من الأنبياء، واستشهد بهذه القراءة.

ولكنا نجده ينقل قول مجاهد: «حتى ظن مجاهد أن قراءة ابن مسعود هو لفظ القرآن وأن ما انعقد الإجماع من سهو الكاتب»، ويرد على هذا القول بقوله: «وليس كما ظن مجاهد؛ لأن هذا اللفظ يحتمل ما يحتمله لفظ ابن مسعود».

ويذكر ما جاء في مصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أبي بن كعب، ومصحف ابن عباس مستدلا على معنى من المعاني التي يريدها أو فسر بها الآية، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - فعند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران:٧]، يقول: «وفي مصحف عبد الله: (إن تأويله إلا عند الله)» (٥) مستشهدا على أن المعنى لقوله: ﴿تأويله﴾ هو مآله ومصيره وما يؤدي إليه، وأنه هاهنا وقف تام.

٢ - وفي معرض الحديث عن قوله تعالى: ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف:٤٠] يقول: «وفي مصحف ابن عباس (الجمل)، بضم الجيم وتشديد الميم» (٦) ليأتي بمعنى آخر وهو حبل السفينة.

٣ - وفي سورة النمل وعند قوله تعالى: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾ [النمل:٨]، يستشهد بما في مصحف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب على المعنى الذي قاله: «من في طلب النار» (٧).

---

(١) الأصل (٦٧ ظ).

(٢) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ١١٤، والإقناع ٢/ ٦٢٠.

(٣) درج الدرر ٤٢٩.

(٤) الأصل (٦٨ ظ).

(٥) الأصل (٦٢ و).

(٦) الأصل (١١٢ ظ).

(٧) درج الدرر ٣٨٧.." <درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر؟ الجرجاني، عبد القاهر ٢/٥٩> "الحق. ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف: ٥]، وقال (١): ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ [سبأ: ١٢].

(يتبعون) يتتبعون، و (التأويل) رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، وقيل: هو تبيين ما يؤدي إليه فحوى الخطاب على وجه الاستخراج. ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ أي: مآله ومصيره وما يؤدي إليه، وها هنا وقف تام، وفي قراءة أبي: ويقول (٢): ﴿والراسخون﴾، وكذلك روى طاوس عن ابن (٣) عباس، وفي مصحف عبد الله: ﴿إن تأويله إلا عند الله﴾، ثم استأنف (٤): ﴿والراسخون﴾.

وقال أبو حاتم: والراسخون في تقدير: وأما الراسخون، وإلى هذا ذهب في مسألة القدر والصفات علي وعائشة وأم سلمة وغيرهم، وإحدى فوائد نزول (٥) المتشابه الائتلافات، قيل: هل كان النبي -عليه السلام- (٦)

يعلم تأويل هذا النوع من المتشابه؟ قلنا: يجوز أن يعلم بالتوقيف (٧) لا من جهة نفسه، كما علم أشياء من الغيب.

فإن قيل: هل يجب الإيمان بغير المعلوم؟ قلنا: نعم للإعجاز (٨) الحاصل بالنظم المعلوم ووقوع بائن معناه موافق للمحكم المعلوم، وفي

---

(١) (وقال) من "ي" "أ".

(٢) في الأصل: (يقول) بدون واو.

(٣) في "ي" "ب": (بن).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)؛ ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٣٧٨). ورواية طاوس عن ابن عباس - رضي الله عنهما - رواها الطبري في تفسيره (٥/ ٢١٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١١٦)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٨٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) (نزول) ليست في "ب".

(٦) (السلام) ليست في "ي".

(٧) في الأصل و"ي": (بالتوقف).

(٨) في "ب" "أ": (الإعجاز).." <درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة؟ الجرجاني، عبد القاهر ٢/٤٦٤>

"فلا (١). ﴿يولوكم الأدبار﴾ يستقبلوكم بأدبارهم؛ حالة إدبارهم منهزمين، وهو (٢) مجزوم لأنه جواب الشرط، ﴿ثم لا ينصرون﴾ كلام مستأنف لأنه من قضية الكفر قاتلوا أو لم يقاتلوا الآن قضية القتال. وحكم الآية معجزة فضلا عن النظم والمعنى لأن الله أنجز وعده وكبت يهود (٣) المدينة وبني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ويهود خيبر. وكان الإخبار قد سبق به الإنجيل من الله يعني ما نطق به كتابه من المنع عن قتلهم (٤) وسبيهم عند بذلهم الجزية.

﴿وحبل من الناس﴾ عهود المسلمين وذممهم مؤتمرين بعهد الله وعهود النصارى والمجوس وعبدة الأوثان لهم (٥)، فإن اليهود لا عزة لهم ولا منعة حيث كانوا إلا بعهد وذمة، وذلك الثاني بدل عن ذلك الأول، و (العصيان): الاعتداء مع الكفر والقتل في معنى واحد، وقيل: إن العقوبة على كفرهم (٦) وقتلهم وكفرهم وقتلهم بشؤم عصيانهم واعتدائهم على سبيل التدريج.

﴿ليسوا سواء﴾ كالاستثناء في الحكم لأنه خص الذم العام المتقدم (٧)، والضمير في (ليسوا) أهل الكتاب سواء مستوين على الصفة المذمومة المقدمة بين اختلافهم ومن خالف الصفة المذمومة المتقدمة منهم ﴿من أهل الكتاب

---

(١) ذكر ابن جرير الطبري أن هذا الاستثناء منقطع وأنه مخالف معنى ما قبله. كما قيل: ما اشتكى شيئا إلا خيرا، وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا، وذهب غيره كالسمين الحلبي إلى أنه يجوز أن يكون الاستثناء متصلا، وهو استثناء مفرغ من المصدر العام كأنه قيل: لن يضروكم ضررا البتة إلا ضرر أذى لا يبالى به من كلمة سوء ونحوها.

[الطبري (٥/ ١١١)؛ الدر المصون (٣/ ٣٥١)].

(٢) في الأصل: (فهو) بالفاء.

(٣) في الأصل: (اليهود).

(٤) في "ب": (قبلتهم)، وهو خطأ.

(٥) في الأصل: (لم).

(٦) في الأصل: (عماكفهم).

(٧) ولذا يحسن الوقوف على "سواء" لأنه **وقف تام**. و"سواء" في الأصل مصدر فلذلك وحد، وتقدم الكلام عليه في سورة "البقرة" آية (٦)، والمعنى أن الله قسم أهل الكتاب قسمين وهما لا يستويان: أهل الإيمان وهم قلة، وأهل الفسق والكفر وهم الكثرة، كما قال تعالى عنهم: ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ [آل عمران: ١١٠].." <درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة؟ الجرجاني، عبد القاهر ٥١٧/٢>

"﴿بلى﴾ عليهم سبيل؛ ذكره جوابا لقولهم.

قالت النحاة: وهو **وقف تام**، ثم ابتدأ، فقال: ﴿من أوفى بعهده واتقى﴾ قال ابن عباس: واتقى الشرك ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ الموحدين.." <تفسير السمعاني؟ السمعاني، أبو المظفر ٣٣٣/١>

"﴿ليسوا سواء﴾ يعني: (المؤمنين والكافرين) ليسوا سواء، وهذا **وقف تام**، ثم ابتداء ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ أي: عادلة، وقيل قائمة: مستقيمة على الحق، وقيل الأمة الطريقة المستقيمة، وهي طريقة الحق، وتقديره: من أهل الكتاب ذو أمة قائمة، ومنه قول النابغة:

(أكفلتني ذنب امرئ وتركته ... وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع)." <تفسير السمعاني؟ السمعاني، أبو المظفر ٣٤٩/١>

"قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي [قاتل] معه ربيون كثير﴾ أي: وكم من نبي قتل قال جرير:

(وكأين بالأباطح من صديق ... يراني إن أصبت هو المصابا)

قال عكرمة: هذا وقف تام، ومعناه: كم نبي قتل ومعه أصحابه.

﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله﴾ أي: ما جبنوا ﴿وما ضعفوا وما استكانوا﴾ أي: ما ذلوا، وما خضعوا، وقال الحسن: ما قتل نبي في معركة قط، وإنما معنى الآية: وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير، وأما القراءة الأخرى: " قاتل معه فمعناه ظاهر، وأما الربيون قال ابن مسعود: هم ألوف، وقيل: هم عشرة آلاف. قال الحسن: الربيون من العلماء مأخوذ من الرب؛ لأنهم على دين الرب وطريقه.

قوله تعالى: ﴿والله يحب الصابرين." <تفسير السمعاني؟ السمعاني، أبو المظفر ٣٦٣/١>

"قوله تعالى: ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ وقف تام. ثم قال: ﴿إن العزة لله جميعا﴾ يعنى: إن الغلبة لله جميعا ﴿هو السميع العليم﴾ معلوم المعنى.." <تفسير السمعاني؟ السمعاني، أبو المظفر ٣٩٤/٢>

"مكية، أو مدنية، (١) وعدد آي كل سورة، في أولها أيضا، دون سائر ما تضمنه الكتاب المذكور، من الأصول، والقراءات، والمعنى، والتفسير، والشرح والأحكام، والتبيين، والرد على الملحدين، والتقديم والتأخير، والوقف التام، والكافي والحسن، والناسخ والمنسوخ والغريب والمشكل، والحجج والتعليل، ليخف نسخه على من أراده (٢)، ويسهل (٣) نسخ المصحف منه (٤)، لمن رغبه (٥)، وإصلاح (٦) ما قد حذف من هجائه (٧) من سائر المصاحف (٨) لمن رامه، وأسرد لهم القرآن فيه آية آية، وحرفا حرفا، من أوله إلى آخره، فيستغني به (٩) من لا يحفظ القرآن من الناسخين للمصاحف (١٠)، والدارسين له من المريدين (١١) والمتعلمين (١٢) عن مصحف ينظر فيه، ونجعله إماما [يقتدي به (١٣)] الجاهل، ويستعين

---

(١) في ب: «تقديم وتأخير».

(٢) في ج: «أراد».

(٣) بياض في موضعها في: ج.

(٤) المراد بذلك أن يكتب المصحف على الهجاء الذي وصفه في كتابه هذا، حذفا وإثباتا، ووصلا وفصلا،

لأنه جرد منه ما ذكر، وأبقى على الرسم.

(٥) وقع فيها تصحيف في ب.

(٦) في ب، ج، ق: «واصطلح» وفي م: «وأصلح» ولعله يريد: «وإلحاق» أو هي وتصحفت، وفي ب: «واصطلح على ما قد».

(٧) في هـ: «حذف هجاؤه».

(٨) في هـ: «المصحف».

(٩) غير واضحة في ب.

(١٠) في هـ: «للمصحف، للمصاحف».

(١١) إجراؤها على ظاهرها اللغوي، ولا تصرف إلى اصطلاح الصوفية المحدث، وهي عندهم تعني أتباع الشيخ ومقلدوه.

(١٢) في ج: «والمعلمين عن» وفي ب: «على» وما أثبت من: ج، ق، هـ.

(١٣) عليه طمس في: ق.." <مختصر التبيين لهجاء التنزيل؟ سليمان بن نجاح ٢/٤>

"ولم تختلف (١) القراء في إثباتها على الجمع.

وصياما بالألف، وكذا: عفا بالألف (٢) لأنه من ذوات الواو، وانتفام آخر (٣) آية [بواو من غير ألف بعدها، حيث ما وقع (٤)]، ومتعالكم بحذف الألف (٥).

والوقف فيها (٦): وطعامه وقف كاف، وكذا: وللسيارة، وكذا:

حرما (٧) وآخر الآية **وقف تام** (٨).

وفيما بغير ألف (٩)، والفليد بغير ألف بين اللام، والياء المهموزة (١٠)، وسائر ذلك مذكور (١١).

---

(١) في ب: «واختلف» وهو تصحيف، ولم يختلف القراء في لفظ: المساكين إلا في قوله تعالى: فدية طعام مسكين في الآية ١٨٣ البقرة، وتقدم.

(٢) في ب: «بألف» وتقدم عند قوله: وإذا خلا في الآية ٧٥ البقرة.

(٣) رأس الآية ٩٧ المائدة.

(٤) تقدم عند قوله: إن الذين كفروا في الآية ٦ البقرة.

وما بين القوسين المعقوفين سقط من أ، ب، ج، ق وما أثبت من: هـ.

(٥) تقدم عند قوله: مستقر ومتع في الآية ٣٥ البقرة.
(٦) في أ: «فيهما» وما أثبت من: ب، ج، ق، هـ، م.
(٧) وكذلك عند أبي عمرو الداني في المواضع الثلاثة ووقف حسن عند الأشموني في مواضعه الثلاثة.
انظر: المكتفي ٢٤٤ منار الهدى ٩٤ المقصد ٣٢.
(٨) وهو قوله: وإليه تحشرون رأس الآية ٩٨.
(٩) وينبغي تقييده بالمنصوب حيث وقع لأبي داود، ووافقه الداني على هذا الموضع رواه بسنده عن قالون عن نافع بالحذف، وتقدم عند قوله: قيما وقعودا من الآية ١٩١ آل عمران، وقرأه ابن عامر وحده بالقصر، وتقدم في الآية ٥ النساء.
(١٠) تقدم مثله في الآية ٣ المائدة.
(١١) بعدها في هـ: «كله».." <مختصر التبيين لهجاء التنزيل؟ سليمان بن نجاح ٤٦١/٣>

"مستمر، أي قوي شديد يعلو كل سحر من قولهم مر الحبل إذا صلب واشتد، وأمررته أنا إذا أحكمت فتله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم.
وكذبوا واتبعوا أهواءهم، أي كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله عز وجل، واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل، وكل أمر مستقر، قال الكلبي: لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف.
وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير، والشر مستقر بأهل الشر. وقيل: كل أمر من خير أو شر مستقر قراره. والخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب [١] . وقال مقاتل: لكل حديث منتهى. وقيل:
كل ما قدر كائن واقع لا محالة. وقرأ أبو جعفر مستقر، بجر [٢] الراء، ولا وجه له.

[سورة القمر (٥٤) : الآيات ٤ الى ٧]
ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر (٤) حكمة بالغة فما تغن النذر (٥) فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر (٦) خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر (٧)
ولقد جاءهم، يعني أهل مكة، من الأنباء، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، ما فيه مزدجر، متناهى [٣] مصدر بمعنى الازدجار، أي نهي وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله مزتجر، قلبت التاء دالا.

حكمة بالغة، يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، فما تغن النذر، يجوز أن تكون (ما) نفيا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاما، والمعنى: فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون [يونس: ١٠١] ، والنذر جمع نذير.

فتول عنهم، أي أعرض عنهم نسختها آية القتال. قيل: هاهنا **وقف تام**. وقيل: فتول عنهم.

يوم يدع الداع، أي إلى يوم [يدع] [٤] الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس، إلى شيء نكر، منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما، قرأ ابن كثير: نكر بسكون الكاف، والآخرون بضمها.

خشعا أبصارهم، قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي: خاشعا على الواحد، وقرأ الآخرون: خشعا بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: مررت برجال حسن أوجههم وحسنة أوجههم وحسان أوجههم، قال الشاعر:

ورجال حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

وفي قراءة عبد الله: خاشعة أبصارهم، أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. يخرجون من الأجداث، من القبور، كأنهم جراد منتشر، منبث حيارى، وذكر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: كالفراش المبثوث [القارعة: ٤] ، وأراد أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون

---

(١) في المخطوط «العذاب» .

(٢) في المخطوط «بكسر» والمعنى واحد.

(٣) في المطبوع «لا منتهى» والمثبت عن ط والمخطوط.

(٤) زيادة عن المخطوط.." <تفسير البغوي - إحياء التراث؟ البغوي ، أبو محمد ٣٢٢/٤>

"﴿خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر (٧) ﴾

﴿ولقد جاءهم﴾ يعني: أهل مكة ﴿من الأنباء﴾ أخبار الأمم المكذبة في القرآن ﴿ما فيه مزدجر﴾ [متناهى] ، مصدر بمعنى الازدجار، أي نهي وعظة، يقال: زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله: مزتجر، قلبت التاء دالا.

﴿حكمة بالغة﴾ يعني: القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية ﴿فما تغن النذر﴾ يجوز أن تكون "ما" نفيا على معنى: فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاما والمعنى: فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم؟

كقوله: "وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون" (يونس -١٠١) و"النذر": جمع نذير.

﴿فتول عنهم﴾ أعرض عنهم نسختها آية القتال. قيل: ها هنا **وقف تام**. وقيل: ﴿فتول عنهم يوم يدعو الداعي﴾ أي: إلى يوم الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس ﴿إلى شيء نكر﴾ [منكر] فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما، قرأ ابن كثير: "نكر" بسكون الكاف، والآخرون بضمها.

﴿خشعا أبصارهم﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي: "خاشعا" على الواحد، وقرأ الآخرون: "خشعا" -بضم الخاء وتشديد الشين -على الجمع. ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: مررت برجال حسن أوجههم، وحسنة أوجههم، وحسان أوجههم، قال الشاعر: ورجال حسن أوجههم

من إياد بن نزار بن معد.

وفي قراءة عبد الله: "خاشعة أبصارهم" أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب.

﴿يخرجون من الأجداث﴾ من القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ منبث حيارى، وذكر المنتشر." <تفسير البغوي – طيبة؟ البغوي ، أبو محمد ٧/٤٢٧>

"٧٦ بلى: مكتفية بنفسها وعليها **وقف تام** «١» ، أي: بلى عليهم سبيل.

٧٨ يلوون ألسنتهم: يحرفونها بالتبديل «٢» .

٧٩ ربانيين: أي: بالعلم أي يربونه «٣» ، أو الرباني منسوب إلى الرب، فغير بنيته للإضافة كالبحراني واللحياني «٤» .

٨١ لما آتيتكم: لام التحقيق على «ما» الجزاء «٥» ، ومعناه: لمهما

---

(١) وهو قول الزجاج في معانيه: ١/ ٤٣٤ وقال: «ثم استأنف فقال عز وجل: من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين أي فإن الله يحبه. ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: بلى لأن قولهم: ليس علينا فيما نفعل جناح كقولهم: نحن أهل تقوى في فعلنا هذا فأعلم الله أن أهل الوفاء بالعهد والتقى يحبهم الله، وأنهم المتقون ... » .

وقال مكي في كتابه شرح كلا وبلى ونعم: ٨٤: «الوقف على بلى حسن جيد، لأنها جواب النفي في قولهم: ليس علينا في الأميين سبيل. فالمعنى: بلى عليكم فيهم سبيل. ويدل على حسن الوقف على بلى أن ما بعدها ابتداء وخبر، وهو قوله تعالى:

من أوفى بعهده ف «من» شرط في موضع الابتداء، وفإن الله يحب المتقين الخبر، والفاء جواب شرط» .
(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٩٧، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ١٠٧، وتفسير الطبري: ٦/ ٥٣٦، ومعاني القرآن للنحاس: ١/ ٤٢٨، والمحرر الوجيز: ٣/ ١٨٤.
(٣) نسب هذا القول إلى المبرد في تفسير البغوي: ١/ ٣٢١، وتفسير الفخر الرازي: ٨/ ١٢٣.
(٤) هذا قول سيبويه في الكتاب: ٣/ ٣٨٠.
وقال الزجاج في معاني القرآن: ١/ ٣٤٥: «والربانيون أرباب العلم والبيان، أي كونوا أصحاب علم وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما قالوا للكبير اللحية لحياني ... » .
وانظر تفسير الماوردي: ١/ ٣٣٢، وزاد المسير: ١/ ٤١٣، والدر المصون: ٣/ ٢٧٥.
(٥) المقتضب: ٤/ ٤١٣.
وصرح المؤلف في كتابه وضح البرهان: ١/ ٢٤٩ بالنقل عن المبرد، وأورد النص الذي ذكره هنا.." <إيجاز البيان عن معاني القرآن؟ النيسابوري، بيان الحق ١٩٦/١>
"في سورة المؤمنين فذلك خلقه» .
٦ بأيكم المفتون: مصدر، مثل: الفتون وهو الجنون بلغة قريش «١» ، كما يقال: ما به معقول وليس له مجلود «٢» .
١٠ مهين: وضيع بإكثاره من الفساد «٣» .
١٣ عتل: قوي في خلقه، فاحش في فعله «٤» . وسئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال «٥» : «الشديد الخلق، الرحيب الجوف، الأكول، الشروب، الظلوم للناس» .
والوقف على «عتل» «٦» ، ثم بعد ذلك زنيم، أي: مع ذلك كله زنيم «٧» معروف بالشر كما يعرف التيس بزنمته «٨» .

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٧٧، وتفسير الطبري: ٢٩/ ٢٠.
(٢) ذكره البغوي في تفسيره: ٤/ ٣٧٧، وقال: أي: جلادة وعقل» .
وفي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٧٨: «ليس له معقول- أي عقل- ولا معقود، أي رأي» .
وانظر تفسير الطبري: ٢٩/ ٢٠، والكشاف: ٤/ ١٤١، وتفسير القرطبي: ١٨/ ٢٢٩.
(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٧٨، وتفسير الماوردي: ٤/ ٢٨٠، وتفسير البغوي:

٤/ ٣٧٧، وتفسير القرطبي: ١٨/ ٢٣١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٩/ ٢٤، وتفسير القرطبي: ١٨/ ٢٣٣.

(٥) أخرج- نحوه- الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٢٢٧ عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٨/ ٢٤٧، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم مرفوعا.

(٦) الوصل أولى من الوقف في هذا الموضع. وذكر العلماء أن **الوقف التام** على زنيم آخر الآية، ويبتدأ بقوله تعالى: أن كان ذا مال وبنين.

ينظر إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري: ٢/ ٩٤٣، والقطع والائتناف للنحاس: ٧٣٦، والمكتفي للداني: (٥٨١، ٥٨٢) .

(٧) قال الفراء في معانيه: ٣/ ١٧٣: «والزنيم: الملصق بالقوم، وليس منهم، وهو الدعي» .

(٨) قال ابن الأثير في النهاية: ٢/ ٣١٦: «هي شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقا بها، وهي أيضا هنة مدلاة في حلق الشاة كالملحقة بها» .." <إيجاز البيان عن معاني القرآن؟ النيسابوري، بيان الحق ٢/٨٢٩>

"[سورة آل عمران (٣) : آية ١١٣]

ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (١١٣)

قوله تعالى: ليسوا سواء، في سبب نزولها قولان:

(٢٠٢) أحدهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم، احتبس عن صلاة العشاء ليلة حتى ذهب ثلث الليل، ثم جاء فبشرهم، فقال: «إنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب» ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود.

والثاني: أنه لما أسلم ابن سلام في جماعة من اليهود، قال أحبارهم: ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، ومقاتل.

وفي معنى الآية قولان: أحدهما: ليس أمة محمد واليهود سواء، هذا قول ابن مسعود، والسدي.

والثاني: ليس اليهود كلهم سواء، بل فيهم من هو قائم بأمر الله، هذا قول ابن عباس، وقتادة. وقال الزجاج: **الوقف التام** ليسوا سواء أي: أهل الكتاب متساوين.

وفي معنى «قائمة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الثابتة على أمر الله، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنها العادلة، قاله الحسن، ومجاهد، وابن جريج. والثالث: أنها المستقيمة، قاله أبو عبيد، والزجاج. قال

الفراء: ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى، والكلام مبني على أخرى، لأن «سواء» لا بد لها من اثنين، وقد تستجيز العرب إضمار أحد الشيئين إذا كان في الكلام دليل عليه، قال أبو ذؤيب:

عصيت إليها القلب إني لأمره ... سميع فما أدري أرشد طلابها؟!

ولم يقل: أم لا، ولا أم غي، لأن الكلام معروف المعنى. وقال آخر «١» :

وما أدري إذا يممت أرضا ... أريد الخير أيهما يليني

أألخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي هو يبتغيني

ومثله قوله تعالى: أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولم يذكر ضده، لأن في قوله: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون «٢» ، دليلا على ما أضمر من ذلك، وقد رد هذا القول الزجاج، فقال: قد جرى ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى: كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق فأعلم الله أن منهم أمة قائمة. فما الحاجة إلى أن يقال: وأمة غير قائمة؟ وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم، وهو الكفر والمشاقة، فذكر من كان منهم مباينا لهؤلاء. قال: وآناء الليل ساعاته، وواحد

حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٩٣ وأحمد ١/ ٣٩٦ وأبو يعلى ٥٣٠٦ وابن حبان ١٥٣٠ والبزار ٣٧٥ «كشف» والواحدي في «أسباب النزول» ٢٣٨ من حديث ابن مسعود، وإسناده حسن لأجل عاصم بن أبي النجود، وحسنه السيوطي في «الدر» ٢/ ٦٥ وكما نقل الشوكاني في «فتح القدير» ١/ ٤٣٠ ووافقه، وله شاهد من حديث عائشة، أخرجه البخاري ٥٦٦ ومسلم ٦٣٨. وشاهد آخر من حديث ابن عمر أخرجه البخاري ٥٦٤ ومسلم ٦٣٩ وليس فيهما نزول الآية. فالحديث حسن بتمامه، وأصله صحيح بشواهده، والله أعلم.

---

(١) هو المثقب العبدي- عائذ بن محصن، والبيت من قصيدة جيدة في المفضليات.

(٢) سورة الزمر: ٩.." <زاد المسير في علم التفسير؟ ابن الجوزي ١/٣١٦>

"الناس: من حفر بئرا لأخيه أوقعه الله فيه. وقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم يعني سقط عليهم السقف فأهلكهم وقوله: من فوقهم للتأكيد لأن السقف لا يخر إلا من فوقهم. وقيل: يحتمل أنهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه، فلما قال من فوقهم علم أنهم كانوا تحته، وأنه لما خر عليهم أهلكوا وماتوا تحته وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني في مأمنهم، وذلك أنهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم، وشدته كان

ذلك البنيان سبب هلاكهم ثم يوم القيامة يخزيهم يعني يهينهم بالعذاب، وفيه إشارة بأن العذاب يحصل لهم في الدنيا والآخرة لأن الخزي هو العذاب مع الهوان ويقول يعني ويقول: الله لهم يوم القيامة أين شركائي يعني في زعمكم واعتقادكم الذين كنتم تشاقون فيهم يعني كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لأن المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه، والمعنى: ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان قال الذين أوتوا العلم يعني المؤمنين وقيل الملائكة إن الخزي يعني الهوان اليوم يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة والسوء يعني العذاب على الكافرين وإنما يقول المؤمنون: هذا يوم القيامة لأن الكفار كانوا يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا، وينكرون عليهم أحوالهم فإذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق، وأكرموا بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول إظهار الشماتة بهم فيكون أعظم في الهوان، والخزي قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة تقبض أرواحهم الملائكة،

وهم ملك الموت وأعوانه ظالمي أنفسهم يعني بالكفر فألقوا السلم يعني أنهم استسلموا وانقادوا لأمر الله الذي نزل بهم وقالوا ما كنا نعمل من سوء يعني شركا وإنما قالوا: ذلك من شدة الخوف بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون يعني فلا فائدة لكم في إنكاركم. قال عكرمة: عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر فادخلوا أي فيقال لهم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها. وإنما قال ذلك لهم ليكون أعظم في الغم والحزن، وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض فلبئس مثوى المتكبرين يعني عن الإيمان قوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار، فيقولون: هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون وإذا لم تلقه خير لك. فيقول الوافد: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي من دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة، فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه، وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله عز وجل، فذلك قوله سبحانه وتعالى: وقيل الذين اتقوا يعني اتقوا الشرك، وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: خيرا يعني أنزل خيرا فان قلت لم رفع الأول وهو قوله: أساطير الأولين ونصب الثاني، وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد، وجواب المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا: هو أساطير الأولين وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلا، ولما سألوا المؤمنين على المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب

على السؤال بينا مكشوفا معقولا للإنزال فقالوا: خيرا أي أنزل خيرا، وتم الكلام عند قوله خيرا فهو، **وقف تام** ثم ابتدأ بقوله تعالى للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني للذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وقال الضحاك: هي النصر والفتح. وقال مجاهد: هي الرزق الحسن. فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب إحسانهم في هذه الدنيا حسنة، وهي النصر والفتح والرزق الحسن، وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا، ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى ولدار الآخرة خير يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يعني الجنة وقال الحسن: هي الدنيا لأن أهل التقوى." <تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل؟ الخازن ٣/٧٤>

"فقد أبعد وقال غيره: الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف علي ويوقروه **وقف تام** ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه بكرة وأصيلا على أن الكناية في ويسبحوه راجعة إلى الله تعالى يعني ويصلوا الله أو يسبحوا بالغداة والعشي.

قوله عز وجل: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يعني إن الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا إنما يبايعون الله لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة: العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزمه له، والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية، وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلتين سميت ببئر هناك. وقد جاء في الحديث أن الحديبية بئر. قال مالك: هي من الحرم. وقال ابن القصار: بعضها من الحل. ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيدة، قال: قالت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا عن أغصانها من رأسه ونحن أربعة عشرة مائة قال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر.

قال العلماء: لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الأكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا. وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا (خ). عن ابن عمر قال: إن الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر: يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع. وقوله تعالى: يد الله فوق أيديهم

قال ابن عباس: يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم.
وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنه. وقال الكلبي:
نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة. وقال الإمام فخر الدين الرازي: يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها، وذلك لأن اليد في الموضعين إما أن تكون بمعنى واحد، وإما أن تكون بمعنيين.
فإن قلنا إنها بمعنى واحد ففيه وجهان: أحدهما: يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق إحسانهم كما قال بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان وثانيهما: يد الله فوق أيديهم أي نصرته إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه، يقال: اليد لفلان، أي الغلبة والنصرة والقوة.
وإن قلنا: إنها بمعنيين، فنقول: اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ، وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة، فيكون المعنى: يد الله فوق أيديهم بالحفظ. وقال الزمخشري: لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخيل، فقال: يد الله فوق أيديهم، يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وإمرار آيات الصفات كما جاءت وتفسرها قراءتها والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل.
وقوله تعالى: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه يعني فمن نقض العقد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فإن وبال ذلك وضره يرجع إليه ولا يضر إلا نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله يعني من البيعة فسيؤتيه أجرا عظيما يعني في الآخرة وهو الجنة.." <تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل؟ الخازن ٤/١٥٦>

"بمصيطر
[الغاشية: ٢٢] وفي الكافرين لكم دينكم [الكافرين: ٦] نسخ ذلك كله:
فاقتلوا المشركين [التوبة: ٦] وكتب عليكم القتال [البقرة: ٢١٦] .
الباب الثامن في جوامع القراءة، وهو على نوعين: مشهورة، وشاذة.
فالمشهورة القراءات السبع، وهو حرف نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم، وحمزة والكسائي الكوفيين. ويجري مجراهم في الصحة والشهرة: يعقوب الحضرمي بن محيصن،

ويزيد بن القعقاع. والشاذة ما سوى ذلك، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ، أو قوية المعنى. ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط: موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا.

واعلم أن اختلاف القراء على نوعين: أصول، وفرش الحروف.

فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد، ولا قانون كلي، وهو في وجهين:

اختلاف على القراءة باختلاف المعنى، وباتفاق المعنى. وأما الأصول فالاختلاف فيها لا يغير المعنى. وهي ترجع إلى ثمان قواعد: الأولى: الهمزة: وهي في حروف المد الثلاث، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين. الثانية وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه: إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف، وإسقاط. الثالثة: الإدغام، والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو المتقاربين وفي كلمة، وفي كلمتين، وهو نوعان: إدغام كبير انفرد به أبو عمرو: وهو إدغام المتحرك. وإدغام صغير لجميع القراء: وهو إدغام الساكن. الرابعة: الإمالة، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة. وبالألف نحو الياء، والأصل الفتح، ويوجب الإمالة الكسرة والياء. الخامسة: الترقيق والتفخيم، والحروف على ثلاثة أقسام يفخم في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة ومفخم تارة ومرقق أخرى وهي الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء، وأما اللام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الأطباق وأما الألف فهي تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها، والمرقق على كل حال سائر الحروف. السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع، سكون جائز في الحركات الثلاث وروم في المضموم والمكسور، وإشمام في المضموم خاصة. السابعة:

مراعاة الخط في الوقف. الثامنة: إثبات الياءات وحذفها.

الباب التاسع في الوقف، وهو أربعة أنواع: **وقف تام**، وحسن، وكاف، وقبيح، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى، فإن كان الكلام مفتقرا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرا إليه كذلك لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل ذي موصول وصلته، وإن كان الكلام الأول مستقلا يفهم دون الثاني إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله، فالوقف على الأول كاف." <تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل؟ ابن جزي الكلبي ١/٢٣>

"وذلك في التوابع والفضلات: كالحال، والتمييز، والاستثناء وشبه ذلك، إلا أن وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة، وإن كان

الكلام مستقلا والثاني كذلك، فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأول حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين **فالوقف تام**. وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى، وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف. من أقوالهم فيها:

راجح، ومرجوح، وباطل، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام.

تنبيه

هذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف: استقر عليه العمل، وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات، فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول: الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف.

الباب العاشر: في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان.

أما الفصاحة فلها خمسة شروط: الأول أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلطت فيه العامة، الثاني أن تكون من الألفاظ المستعملة لا من الوحشية المستثقلة، الثالث أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له لا قاصرة عنه، الرابع أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد. الخامس: أن يكون الكلام سالما من الحشو الذي لا يحتاج إليه.

وأما البلاغة فهي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك، بحيث يهز النفوس ويؤثر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد.

وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب، وقد وجدنا في القرآن منها اثنين وعشرين نوعا، ونبهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن وقد ذكرنا هنا أسماءها ونبين معناه:

الأول: المجاز: وهو اللفظ المستعمل في غير مواضع له لعلاقة بينهما، وهو اثنا عشر نوعا: التشبيه والاستعارة، والزيادة، والنقصان، وتشبيه المجاور باسم مجاوره، والملابس باسم ملابسه، والكل، وإطلاق اسم الكل على البعض، وعكسه، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى، وفي هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز.

واتفق أهل علم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن لأن القرآن نزل بلسان العرب وعادة فصحاء

العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منعه لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

الثاني: الكناية: وهي العبارة عن الشيء فيما يلازمه من غير تصريح.." <تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل؟ ابن جزي الكلبي ١/٢٤>

"والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك.

فإياك نعبد: التزام لأحكام هذه الأربعة، وإقرار بها، و «إياك نستعين» طلب للاعانة عليها والتوفيق لها، و «اهدنا الصراط المستقيم» متضمن للتعريف بالأمرين على التفصيل، وإلهام القيام بهما، وسلوك طريق السالكين إلى الله بهما

فصل

وجميع الرسل إنما دعوا إلى «إياك نعبد وإياك نستعين» فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وعبادته، من أولهم إلى آخرهم. فقال نوح لقومه ٧:

٥٩ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب ٧:

٦٥، ٧٣، ٨٥ وإبراهيم. قال الله تعالى: ١٦: ٣٦ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال ٢١: ٢٥ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقال تعالى: ٢٣: ٥١، ٥٢ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

فصل

والله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه، وأقربهم إليه. فقال:

٤: ١٧٢ن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله، ولا الملائكة المقربون. ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا

وقال ٤٠: ٦٠ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وهذا يبين أن **الوقف التام** في قوله ٢١: ١٩ وله من في السماوات والأرض هاهنا، ثم يبتدئ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون

فهما جملتان تامتان مستقلتان: أي إن له من في السموات ومن في الأرض عبيدا وملكا. ثم." <التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم؟ ابن القيم ص/٩٦>

"سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة النمل (٢٧) : آية ٥٩]

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون (٥٩)

هؤلاء هم أعلى الطبقات وأكرمها على الإطلاق. وهم المرسلون.

فأكرم الخلق على الله، وأخصهم بالزلفى لديه: هم رسله. وهم المصطفون من عباده، الذين سلم عليهم في العالمين، كما قال تعالى: ٢٧: ١٨١ وسلام على المرسلين. وقال تعالى: ٣٧: ٧٩ سلام على نوح في العالمين وقال ٣٧: ١٠٨، ١٠٩ سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين وقال ٣٧: ١٣٠ سلام على إل ياسين.

وقال في بدائع الفوائد:

هل السلام من الله؟ فيكون المأمور به: الحمد **والوقف التام** عليه، أو هو داخل في القول والأمر بهما جميعا؟.

فالجواب عنه: أن الكلام يحتمل الأمرين. ويشهد لكل منهما ضرب من الترجيح.." <التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم؟ ابن القيم ص/٤١٩>

"المذكور على المحذوف. وأكثر ما تجده مذكورا وحذفه قليل. وإما أن يحذف حذفا مطردا ولم يذكره في موضع واحد، ولا في اللفظ ما يدل عليه.

فهذا لا يقع في القرآن.

الثالث: أن في قراءة ابن مسعود، وتركنا عليه في الآخرين. سلاما فالنصب وهذا يدل على أن المتروك هو السلام نفسه.

الرابع: أنه لو كان السلام منقطعا مما قبله لأخل ذلك بفصاحة الكلام وجزالته، ولما حسن الوقوف على ما قبله.

وتأمل هذا بحال السامع إذا سمع قوله: وتركنا عليه في الآخرين كيف يجد قلبه متشوفا متطلعا إلى تمام الكلام واجتناء الفائدة منه، ولا يجد فائدة الكلام انتهت وتمت، ليظهر عندها، بل يبقى طالبا لتمامها وهو المتروك. فالوقف على «الآخرين» ليس **بوقف تام**.

فإن قيل: فيجوز حذف المحذوف من هذا الباب، لأن «ترك» هنا في معنى «أعطى» لأنه أعطاه ثناء حسنا أبقاه عليه في الأخرى ويجوز في باب «أعطى» ذكر المفعولين وحذفهما والاقتصار على أحدهما: وقد وقع

ذلك في القرآن. كقوله: ١٠٨: ١ إنا أعطيناك الكوثر فذكرهما. وقال:

٩٢: ٥ فأما من أعطى فحذفهما. وقال لسوف: ٩٨: ٥ ولسوف يعطيك ربك فحذف الثاني، واقتصر على الأول. وقال: ويؤتون الزكاة فحذف الأول. واقتصر على الثاني.

قيل: فعل الإعطاء فعل مدح، لفظه دليل على أن المفعول المعطي قد ناله عطاء المعطى والإعطاء إحسان ونفع وبر، فجاز ذكر المفعولين وحذفهما والاقتصار على أحدهما بحسب الغرض المطلوب من الفعل.

فإن كان المقصود إيجاد ماهية الإعطاء المخرجة للعبد من البخل والشح والمنع، المنافي للإحسان ذكر الفعل مجردا. كما قال تعالى: فأما من." <التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم؟ ابن القيم ص/٤٤٥>

"سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٧]

ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون (٢٧)

«رهبانية» منصوب بابتدعوها على الإشتغال، إما بنفس الفعل المذكور، على قول الكوفيين. وإما بمقدر محذوف، مفسر بهذا المذكور، على قول البصريين. أي وابتدعوا رهبانية. وليس منصوبا بوقوع الجعل عليه. **فالوقف التام** عند قوله «ورحمة» ثم يبتدئ «ورهبانية ابتدعوها» أي لم نشرعها لهم، ولم نكتبها عليهم، بل هم ابتدعوها من عند أنفسهم.

وفي نصب قوله: «إلا ابتغاء رضوان الله» ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه مفعول له، أي لم نكتبها عليها إلا ابتغاء رضوان الله.

وهذا فاسد. فإنه لم يكتبها عليهم سبحانه. كيف وقد أخبر أنهم هم الذين ابتدعوها فهي مبتدعة غير مكتوبة.." <التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم؟ ابن القيم ص/٥٣١>

"من النكرة هنا كون الوصف بالمصدر على خلاف الأصل، والصفة والحال متلاقيان من حيث المعنى، وكأن الشيخ غض من تخريج الزمخشري والحوفي فقال: «والحال والصفة متلاقيان من حيث المعنى، والمصدر يحتاج إلى إضمار عامل وإلى تأويل» سواء «بمعنى استواء، والأشهر استعمال» سواء «بمعنى اسم الفاعل أي:» مستو «قلت: وبذلك فسرها ابن عباس فقال:» إلى كلمة مستوية «.

قوله: ﴿ألا نعبد﴾ فيه ستة أوجه، أحدها: أنه بدل من» كلمة «بدل كل من كل، الثاني: أنه بدل من» سواء «، جوزه أبو البقاء، وليس بواضح، لأن المقصود إنما هو الموصوف لا صفته، فنسبة البدلية إلى الموصوف أولى.

وعلى الوجهين فإن وما حيزها في محل جر. الثالث: أنه في محل رفع خبرا لمبتدأ مضمر، والجملة استئناف جواب لسؤال مقدر، لأنه لما قيل: تعالوا إلى كلمة «قال قائل: ما هي؟ فقيل: هي أن لا نعبد، وعلى هذه الأوجه الثلاثة ف» بين «منصوب بسواء ظرف له أي: يقع الاستواء في هذه الجهة، وقد صرح بذلك زهير حيث قال:

١٣٢١ - أرونا خطة لا غيب فيها ... يسوي بيننا فيها السواء

والوقف التام حينئذ عند قوله ﴿من دون الله﴾ لارتباط الكلام معنى وإعرابا. الرابع: أن تكون» أن «وما في حيزها في محل رفع بالابتداء، والخبر الظرف قبله.

الخامس: جوز أبو البقاء أن يكون فاعلا بالظرف قبله، وهذا إنما." <الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؟ السمين الحلبي ٣/٢٣٣>

"قوله: ﴿ياويلنا﴾ : العامة على الإضافة إلى ضمير المتكلمين دون تأنيث. وهو «ويل» مضاف لما بعده. ونقل أبو البقاء عن الكوفيين أن «وي» كلمة برأسها. و «لنا» جار ومجرور «. انتهى. ولا معنى لهذا إلا بتأويل بعيد: هو أن يكون يا عجب لنا؛ لأن وي تفسر بمعنى اعجب منا. وابن أبي ليلى:» يا ويلتنا «بتاء التأنيث، وعنه أيضا» يا ويلتا «بإبدال الياء ألفا. وتأويل هذه أن كل واحد منهم يقول: يا ويلتي.

والعامة على فتح ميم» من و «بعثنا» فعلا ماضيا خبرا ل «من» الاستفهامية قبله. وابن عباس والضحاك، وأبو نهيك بكسر الميم على أنها حرف جر. و «بعثنا» مصدر مجرور ب من. ف «من» الأولى تتعلق بالويل، والثانية تتعلق بالبعث.

والمرقد يجوز أن يكون مصدرا أي: من رقادنا، وأن يكون مكانا، وهو مفرد أقيم مقام الجمع. والأول أحسن؛ إذ المصدر يفرد مطلقا.

قوله: ﴿هذا ما وعد﴾ في «هذا» وجهان، أظهرهما: أنه مبتدأ وما بعده/ خبره. ويكون **الوقف تاما** على قوله «من مرقدنا» . وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة: إما من قول الله تعالى، أو من قول."

<الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؟ السمين الحلبي ٩/٢٧٥>

"قوله: ﴿النار﴾ : الجمهور على رفعها. وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه بدل من «سوء العذاب» . الثاني: أنها خبر مبتدأ محذوف أي: هو أي سوء العذاب النار؛ لأنه جواب لسؤال مقدر و «يعرضون» على هذين الوجهين: يجوز أن يكون حالا من «النار» ويجوز أن يكون حالا من «آل فرعون» . الثالث: أنه مبتدأ، وخبره «يعرضون» . وقرئ «النار» منصوبا. وفيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب بفعل مضمر يفسره «يعرضون» من حيث المعنى أي: يصلون النار يعرضون عليها، كقوله: ﴿والظالمين أعد لهم﴾ [الإنسان: ٣١] . والثاني: أن ينتصب على الاختصاص. قاله الزمخشري، فعلى الأول لا محل ل «يعرضون» لكونه مفسرا، وعلى الثاني هو حال كما تقدم.

قوله: «ويوم تقوم» فيه ثلاثة أوجه، أظهرها: أنه معمول لقول مضمر، وذلك القول المضمر محكي به الجملة الأمرية من قوله «أدخلوا» والتقدير: ويقال له/ يوم تقوم الساعة: أدخلوا. الثاني: أنه منصوب بأدخلوا أي: أدخلوا يوم تقوم. وعلى هذين الوجهين **فالوقف تام** على قوله «وعشيا» . والثالث: أنه معطوف على الظرفين قبله، فيكون معمولا ل «يعرضون» . فالوقف على هذا على قوله «الساعة» و «أدخلوا» معمول لقول مضمر أي: يقال لهم كذا وكذا.." <الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؟ السمين الحلبي ٩/٤٨٥>

"لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحل رباطه عنها.

واعلم أن **الوقف التام** على قوله تعالى: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقوله:

وعلى أبصارهم غشاوة جملة تامة فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة وهي الغطاء تكون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم يقول: فلا يعقلون ولا يسمعون يقول: وجعل على أبصارهم غشاوة يقول: على أعينهم فلا يبصرون، وقال ابن جرير «١» : حدثني محمد بن سعد حدثنا أبي حدثني عمي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والغشاوة على أبصارهم. قال: وحدثنا القاسم حدثنا الحسين، يعني ابن داود وهو سنيد «٢» ، حدثني حجاج، وهو ابن محمد الأعور، حدثني ابن جريج قال: الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر قال الله تعالى: فإن يشإ الله يختم على قلبك [الشورى: ٢٤] وقال: وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة [الجاثية: ٢٣] قال ابن جرير: ومن نصب غشاوة من قوله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة يحتمل أنه نصبها بإضمار فعل تقديره:

وجعل على أبصارهم غشاوة ويحتمل أن يكون نصبها على الإتباع على محل وعلى سمعهم كقوله تعالى: وحور عين [سورة الواقعة: ٢٢] وقول الشاعر: [الرجز]

علفتها تبنا وماء باردا ... حتى شتت همالة عيناها «٣»

وقال الآخر: [مجزوء الكامل]

ورأيت زوجك في الوغى ... متقلدا سيفا ورمحا «٤»

---

(١) تفسير الطبري ١/ ١٤٧.

(٢) هو سنيد بن داود، أبو علي المحتسب المصيصي المدائني المتوفى سنة ١٢٦ هـ. من الطبقة العاشرة. أخرج له ابن ماجة. ضعيف. (موسوعة رجال الكتب التسعة ٢/ ١١٣) .

(٣) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (زجج، قلد، علف) والأشباه والنظائر ٢/ ١٠٨ وأمالي المرتضى ٢/ ٢٥٩ والإنصاف ٢/ ٦١٢ وأوضح المسالك ٢/ ٢٤٥ والخصائص ٢/ ٤٣١ والدرر ٦/ ٧٩ وشرح الأشموني ١/ ٢٢٦ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١١٤٧ وشرح شذور الذهب ص ٣١٢ وشرح شواهد المغني ١/ ٥٨ وهمع الهوامع ٢/ ١٣٠ وتاج العروس (علف) والطبري ١/ ١٤٧.

(٤) ويروي أيضا: «يا ليت زوجك قد غدا» . والبيت بلا نسبة في الطبري ١/ ١٤٧ والأشباه والنظائر ٢/ ١٠٨ وأمالي المرتضى ١/ ٥٤ والإنصاف ١/ ٥٤ وخزانة الأدب ٢/ ٢٣١ والخصائص ٢/ ٤٣١ وشرح شواهد الإيضاح ص ١٨٢ وشرح المفصل ٢/ ٥٠ ولسان العرب (رغب، زجج) ، مسح، قلد، جدع، جمع، هدى) والمقتضب ٢/ ٥١.." <تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ١/٨٦>

"كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فلما سمعها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تتابعوا على ذلك.

وهذا إن كان محفوظا يوم الحديبية فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر.

وقوله: قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يعني لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعيا عليهم رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال العوفي عن ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم، وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك: اقض بيننا وبينهم، وافتح بيننا وبينهم، وقال غيره: افرق افصل بيننا وبينهم، كما قال الشاعر:

[الرجز]

يا رب فافرق بينه وبيني ... أشد ما فرقت بين اثنين «١»

وقوله تعالى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض الآية، لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسيرون دائما لا يهتدون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد ويقال لها: قبة الزمان، قال يزيد بن هارون عن أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن قوله: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض الآية قال: فتاهوا في الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى، وهذا قطعة من حديث الفتون، ثم كانت وفاة هارون عليه السلام، ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام، وأقام لله فيهم يوشع بن نون عليه السلام، نبيا خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب، ومن هاهنا قال بعض المفسرين في قوله قال فإنها محرمة عليهم هذا وقف تام، وقوله أربعين سنة منصوب بقوله يتيهون في الأرض فلما انقضت المدة، خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام، أو بمن بقي منهم، وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها، فكان فتحها يوم الجمعة

---

(١) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري ٤/ ٥٢٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٦٠.." <تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ٣/٧١>

"وقوله تعالى: وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين، تعالى عن قولهم علوا كبيرا، بأنه في كل مكان، حيث حملوا الآية على ذلك، فالأصح من الأقوال: أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول، كقوله تعالى: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله

[الزخرف: ٨٤] أي هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله يعلم سركم وجهركم خبرا أو حالا [والقول الثاني] أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، من سر وجهر، فيكون قوله يعلم، متعلقا بقوله في السماوات وفي الأرض تقديره، وهو الله يعلم سركم وجهركم، في السموات وفي الأرض، ويعلم ما تكسبون، [والقول الثالث] أن قوله وهو الله في السماوات **وقف تام**، ثم استأنف الخبر، فقال وفي الأرض يعلم سركم وجهركم وهذا اختيار ابن جرير، وقوله ويعلم ما تكسبون أي جميع أعمالكم خيرها وشرها.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٤ الى ٦]

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن (٥) ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦)
يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين، إنهم مهما أتتهم من آية أي دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات، على وحدانية الله وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها، قال الله تعالى: فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن وهذا تهديد لهم، ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدن غبه وليذوقن وباله.
ثم قال تعالى واعظا لهم ومحذرا لهم، أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم، من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستغلالا للأرض، وعمارة لها، فقال ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم أي من الأموال والأولاد والأعمار، والجاه العريض والسعة والجنود، ولهذا قال وأرسلنا السماء عليهم مدرارا أي شيئا بعد شيء وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم أي أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض، أي استدراجا وإملاء لهم فأهلكناهم بذنوبهم أي بخطاياهم، وسيئاتهم التي اجترحوها وأنشأنا من بعدهم قرنا." <تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ٣/٢١٥>

"نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا" الحديث.
قال (١) والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره (٢) الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما حدثنا به محمد بن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة،

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] (٣) .

وهذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي، عن قتيبة، عن الليث بن سعد، وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم، ثلاثتهم عن محمد بن عجلان، به (٤) .

وقال الترمذي: حسن صحيح.

ثم قال ابن جرير: فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر عنها (٥) مخلص، فذلك (٦) هو الختم والطبع الذي ذكر (٧) في قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض (٨) ذلك عنها ثم حلها، فكذلك (٩) لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحله رباطه [عنها] (١٠) .

واعلم أن **الوقف التام** على قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ ، وقوله ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ جملة تامة، فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة -وهي الغطاء-تكون على البصر، كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله (١١) صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ يقول: فلا يعقلون ولا يسمعون، ويقول: وجعل على أبصارهم غشاوة، يقول: على أعينهم فلا يبصرون.

قال (١٢) ابن جرير: حدثني محمد بن سعد (١٣) حدثنا أبي، حدثني عمي الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ والغشاوة على أبصارهم.

وقال: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، يعني ابن داود، وهو سنيد، حدثني حجاج، وهو ابن محمد الأعور، حدثني ابن جريج قال: الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر، قال الله تعالى: ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى: ٢٤] ، وقال ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ [الجاثية: ٢٣] (١٤) .

---

(١) في ج، ط: "قال ابن جرير"

(٢) في ج: "ما صح به بنظره".

(٣) تفسير الطبري (١/٢٦٠) .

(٤) سنن الترمذي برقم (٣٣٣٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٥٨) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٤) .

(٥) في أ، و: "منها".

(٦) في ج: "فلذلك".

(٧) في و: "ذكره الله".

(٨) في ج: "إلى نقض".

(٩) في ج: "فلذلك".

(١٠) زيادة من ج، ط.

(١١) في ج، ط: "النبي".

(١٢) في ج، ط: "وقال".

(١٣) في أ: "سفيان".

(١٤) تفسير الطبري (١/٢٦٥) .." <تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ١/١٧٥>

"بالهدي فناحره عند البيت". فقال له المقداد بن الأسود: أما (١) والله لا نكون كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون. فلما سمعها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تتابعوا (٢) على ذلك. (٣)

وهذا. إن كان محفوظا يوم الحديبية، فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر.

وقوله: ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ يعني: لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعيا عليهم: ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ أي: ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله، ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون، ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم. وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وكذا قال الضحاك: اقض بيننا وبينهم، وافتح بيننا وبينهم، وقال غيره: افرق: افصل بيننا وبينهم، كما قال الشاعر (٤)

يا رب فافرق بينه وبيني ... أشد ما فرقت بين اثنين ...

وقوله تعالى: ﴿ [قال] (٥) فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض [فلا تأس على القوم الفاسقين] (٦) ﴾ لما دعا عليهم موسى، عليه السلام، حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدرا مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائما لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة، من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل (٧) معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة (٨) عينا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد، ويقال لها: قبة الزمان.

قال يزيد بن هارون، عن أصبغ بن زيد (٩) عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿فإنها (١٠) محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ الآية. قال: فتاهوا في الأرض أربعين سنة، يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى وهذا قطعة من حديث "الفتون"، ثم كانت وفاة هارون، عليه السلام، ثم بعده بمدة ثلاثة سنين مات موسى الكليم، عليه السلام، وأقام الله فيهم "يوشع بن نون" عليه السلام، نبيا خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحد سوى "يوشع" و "كالب"، ومن هاهنا قال بعض المفسرين في قوله: ﴿قال فإنها محرمة عليهم﴾ هذا **وقف تام**، وقوله: ﴿أربعين سنة﴾ منصوب بقوله: ﴿يتيهون في الأرض﴾ فلما انقضت

---

(١) في ر، أ: "إنا".

(٢) في ر، أ: "تبايعوا".

(٣) تفسير الطبري (١٠/١٨٦).

(٤) يقول الأستاذ محمود شاكر حفظه الله: "لعله حبينة بن طريف العكلي". انظر: حاشية تفسير الطبري (١٠/١٨٨).

(٥) زيادة من أ.

(٦) زيادة من ر، وفي هـ: "الآية".

(٧) في ر: "تحتمل".

(٨) في ر، أ: "اثنا عشر".

(٩) في ر، أ: "يزيد".

(١٠) في ر، هـ: "إنها"، والصواب ما أثبتناه.." <تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ٣/٧٩>

"مفسرو هذه الآية على أقوال، بعد الاتفاق على تخطئة قول الجهمية (١) الأول القائلين بأنه -تعالى عن قولهم علوا كبيرا- في كل مكان؛ حيث حملوا الآية على ذلك، فأصح الأقوال أنه (٢) المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي: يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغبا ورهبا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف: ٨٤] ، أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ خبرا أو حالا.

والقول الثاني: أن المراد أن الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، من سر وجهر. فيكون قوله: ﴿يعلم﴾ متعلقا بقوله: ﴿في السماوات وفي الأرض﴾ تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون.

والقول الثالث أن قوله ﴿وهو الله في السماوات﴾ **وقف تام**، ثم استأنف الخبر فقال: ﴿وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ وهذا (٣) اختيار ابن جرير.

وقوله: ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ أي: جميع أعمالهم خيرها وشرها.

﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون (٥) ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦)﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين: إنهم مهما أتتهم ﴿من آية﴾ أي: دلالة ومعجزة وحجة، من الدلالات على وحدانية الرب، عز وجل، وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها.

قال الله تعالى: ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ وهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدن غبه، وليذوقن وباله.

ثم قال تعالى واعظا ومحذرا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعا، وأكثر أموالا وأولادا واستغلالا للأرض وعمارة لها، فقال ﴿ألم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم﴾ أي: من الأموال والأولاد والأعمار، والجاه العريض، والسعة والجنود، ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدرارا﴾

---

(١) في د: "اتفاقهم على إنكار قول الجهمية".

(٢) في أ: "أن".

(٣) في م: "وهو".." <تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ٣/٢٤٠>

"فصل

قال ابن مسعود رضي الله عنه أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدوا وتروح إلى النار، يقال: يا آل فرعونن هذه منازلكم. وقال قتادة، والسدي والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا.

وروى ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدامة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار؟ فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» .

قوله: «ويوم تقوم» فيه ثلاثة أوجه:

أظهرها: أنه معمول لقول مضمر، وذلك القوم المضمر محكي به الجملة الأمرية من قوله: «أدخلوا، والتقدير: يقال لهم يوم تقوم الساعة: أدخلوا.

الثاني: أنه منصوب» بأدخلوا «أي أدخلوا يوم تقوم، وعلى هذه الوجهين، **فالوقف تام** على قوله:» وعشيا «.

الثالث: أنه معطوف على الظرفين قبله، فيكون معمولا ليعرضون، والوقف على هذا قوله:» الساعة «. و» ادخلوا «معمول لقول مضمر، أي يقال لهم كذا. وقرأ الكسائي وحمزة ونافع وحفص أدخلوا بقط الهمزة وكسر الخاء، أي يقال للملائكة أدخلوا، أمرا من» أدخل «» فآل فرعون «مفعول أول، و» أشد العذاب «مفعول ثان، والباقون بهمزة وصل، من دخل يدخل، فآل فرعون منادى حذف حرف الناء منه و» أشد «منصوب به، إما ظرفا، وإما مفعولا به. أي ادخلوا يا آل فرعون في أشد العذاب. قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد

ألوان العذاب، غير العذاب الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا.." <اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل <٦٣/١٧

"قوله: ﴿ألا نعبد إلا الله﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أنه بدل من «كلمة» - بدل كل من كل.

الثاني: بدل من «سواء» جوزه أبو البقاء؛ وليس بواضح، لأن المقصود إنما هو الموصوف لا صفته فنسبة البدلية إلى الموصوف أولى، وعلى الوجهين ف «أن» وما في حيزها في محل جر.

الثالث: أنه في محل رفع؛ خبرا لمبتدأ مضمر، والجملة استئناف، جواب لسؤال مقدر، كأنه لما قيل: ﴿تعالوا إلى كلمة﴾ قال قائل: ما هي؟ فقيل: هي أن لا نعبد إلا الله، وعلى هذا الأوجه الثلاثة ف «بين» منصوب ب «سواء» ظرفا له، أي: يقع الاستواء في هذه الجهة.

وقد صرح بذلك [الشاعر] ، حيث قال: [الوافر]

١٤٩٩ - أروني خطة لا عيب فيها ... يسوي بيننا فيها السواء

والوقف التام - حينئذ - عند قوله: ﴿من دون الله﴾ ؛ لارتباط الكلام معنى وإعرابا.

الرابع: أن يكون «أن» وما في حيزها في محل رفع بالابتداء، والخبر: الظرف قبله.

الخامس: جوز ابو البقاء أن يكون فاعلا بالظرف قبله، وهذا إنما يتأتى على رأي الأخفش؛ إذا لم يعتمد الظرف.

وحينئذ يكون الوقف على «سواء» ثم يبتدأ بقوله: ﴿بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله﴾ وهذا فيه بعد من حيث المعنى، ثم إنهم جعلوا هذه الجملة صفة ل «كلمة» ، وهذا غلط؛ لعدم رابطة بين الصفة والموصوف، وتقدير العائد ليس بالسهل.

وعلى هذا فقول أبي البقاء: وقيل: تم الكلام على «سواء» ، ثم استأنف، فقال: ﴿بيننا وبينكم ألا نعبد﴾ ، أي: بيننا وبينكم التوحيد، فعلى هذا يكون ﴿ألا نعبد﴾ مبتدأ، والظرف خبره، والجملة صفة ل «الكلمة» ، غير واضح؛ لأنه - من حيث جعلها صفة - كيف يحسن أن يقول: تم الكلام على «سواء» ثم استأنف؟ بل كان الصواب - على هذا الإعراب - أن تكون الجملة استئنافية - كما تقدم.

السادس: أن يكون: ﴿ألا نعبد﴾ مرفوعا بالفاعلية ب «سواء» ، وإلى هذا ذهب الرماني؛ فإن التقدير - عنده - إلى كلمة مستو فيها بيننا وبينكم عدم عبادة غير الله تعالى:

قال أبو حيان: «إلا أن فيه إضمار الرابط - وهو فيها - وهو ضعيف» .

فصل

لما أورد صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران أنواع الدلائل، دعاهم إلى المباهلة فخافوا، وما." <اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ٥/٢٩٦>

"قوله: ﴿بلى﴾ جواب لقولهم: «ليس» وإيجاب لما نفوه. وتقدم القول في نظيره.

قال ابن الخطيب: وعندي **الوقف التام** على «بلى» ثم استأنف.

وقيل: إن كلمة «بلى» كلمة تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده؛ لأن قولهم: ليس علينا فيما نفعل جناح قائم مقام قولهم: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ [المائدة: ١٨] فذكر - تعالى - أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى - لا غيرهم - وعلى هذا الوجه، فلا يحسن الوقف على «بلى» اه.

و «من» شرطية، أو موصولة، والرابط بين الجملة الجزائية، أو الخبرية هو العموم في ﴿المتقين﴾ وعند من يرى الربط بقيام الظاهر مقام المضمر يقول ذلك هنا.

وقيل: الجزاء، أو الخبر محذوف، تقديره: يحبه الله، ودل على هذا المحذوف قوله: ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ وفيه تكلف لا حاجة إليه.

قال القرطبي: «من» رفع بالابتداء، وهو شرط، و «أوفى» في موضع جزم «واتقى» معطوف عليه، واتقى الله، ولم يكذب، ولم يستحل ما حرم عليه ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ أي يحب أولئك.

و «بعهده» يجوز أن يكون المصدر مضافا لفاعله على أن الضمير يعود على «من» . أو مضافا إلى مفعوله على أنه يعود على «الله» ويجوز أن يكون المصدر مضافا للفاعل وإن كان الضمير لله تعالى وإلى المفعول وإن كان الضمير عائدا على «من» ومعناه واضح عند التأمل.

فإن قيل: بتقدير أن يكون الضمير عائدا إلى الفاعل، وهو «من» فإنه يدل على أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة، فإنهم يكتسبون محبة الله.

فالجواب أن الأمر كذلك، فإنهم إذا وفوا بالعهود، فأول ما يوفون به العهد الأعظم، وهو ما أخذ الله عليهم في كتابهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وهو المراد بالعهد في هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» .." <اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ٥/٣٣٨>

"من الله تعالى فذلك قوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ الآية فإن قيل: لم رفع الأول وهو قولهم أساطير الأولين ونصب الثاني وهو قولهم خيرا أجيب: بأنه ذكر ذلك للفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد، وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا أساطير الأولين وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلا. ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا، وطابقوا الجواب عن السؤال بينا مكشوفا مفعولا للإنزال، فقالوا: ﴿خيرا﴾ أي: أنزل خيرا، وتم الكلام عند قوله ﴿خيرا﴾ فهو **وقف تام**، ثم ابتدأ بقوله تعالى:

﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ أي: حياة طيبة أو أن للذين أتوا بالأعمال الصالحات الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة، أو أنه تعالى بين أن اعترافهم بذلك الإحسان في هذه الدنيا حسنة أي: جزاء لهم على إحسانهم ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن، ٦٠)

ولما كانت هذه الدار سريعة الزوال أخبر عن حالهم في الآخرة فقال: ﴿ولدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿خير﴾ أي: ما أعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا، ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أي: دار الآخرة، فحذف لتقدم ذكرها وقال الحسن: هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة.

وقوله تعالى: ﴿جنات﴾ أي: بساتين ﴿عدن﴾ أي: إقامة خبر مبتدأ محذوف ويصح أن يكون المخصوص بالمدح ﴿يدخلونها﴾ أي: تلك الجنات حالة كونها ﴿تجري من تحتها﴾ أي: من تحت غرفها ﴿الأنهار﴾ ثم كأن سائلا سأل عما فيها من الثمار وغيرها. فأجيب بأن ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ أي: ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، مع زيادات غير ذلك، فهذه الآية تدل على حصول كل الخيرات والسعادات فهي أبلغ من قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ (الزخرف، ٧١)

لأن هذين القسمين داخلان في قوله تعالى: ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ مع أقسام أخرى وعلى أن الإنسان لا يجد كل ما يريده في الدنيا، لأن قوله: ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ يفيد الحصر ﴿كذلك﴾ أي: مثل هذا الجزاء العظيم ﴿يجزي الله﴾ أي: الذي له الكمال كله ﴿المتقين﴾ أي: الراسخين في صفة التقوى، ثم حث تعالى على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت فقال:

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ أي: تقبض أرواحهم وقوله تعالى: ﴿طيبين﴾ كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه، ويدخل فيه كونهم موصوفين

بالأخلاق الفاضلة، مبرئين عن الأخلاق المذمومة، ويدخل فيه كونهم مبرئين عن العلائق الجسمانية، متوجهين إلى حضرة القدس، ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح، وأنها لم تقبض إلامع البشارة بالجنة، حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها، ومن هذا حاله لا يتألم بالموت، وأكثر المفسرين على أن هذا التوفي هو قبض الأرواح كما مر، وإن كان الحسن يقول: إنه وفاة الحشر. واستدل بقوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة﴾ لأنه لا يقال عند قبض الأرواح في الدنيا، ادخلوا الجنة. وأجاب الأكثرون بما سيأتي وأدغم أبو عمرو التاء في الطاء بخلاف عنه. ثم بين تعالى أن الملائكة ﴿يقولون﴾ لهم عند الموت ﴿سلام عليكم﴾ فتسلم عليهم أوتبلغهم السلام." <السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير؟ الخطيب الشربيني ٢٢٨/٢>

"موضع الرقاد إشارة إلى أنهم شكوا في أنهم كانوا نياما فتنبهوا أو كانوا موتى فبعثوا، وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين وقالوا من مرقدنا إشارة إلى متوهمهم احتمال الانتباه.

وقولهم ﴿هذا﴾ إشارة إلى البعث ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿وعد﴾ أي: به ﴿الرحمن﴾ أي: العام الرحمة الذي رحمته مقتضية ولا بد للبعث لينصف المظلوم من ظالمه ويجازي كلا بعمله من غير حيف وقد رحمنا بإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام إلينا بذلك وطالما أنذرونا حلوله وحذرونا صعوبته وطوله ﴿وصدق﴾ أي: في أمره ﴿المرسلون﴾ أي: الذين أتونا بوعد الله تعالى ووعيده.

تنبيه: في إعراب هذا وجهان: أظهرهما: أنه مبتدأ وما بعده خبره ويكون **الوقف تاما** على قوله تعالى ﴿من مرقدنا﴾ وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان: أحدهما: أنها مستأنفة إما من قول الله تعالى أو من قول الملائكة أو من قول المؤمنين، الثاني: أنها من كلام الكفار فتكون في محل نصب بالقول الثاني من الوجهين الأولين هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله، ثم في (ما) وجهان أحدهما: أنها في محل رفع بالابتداء والخبر مقدر أي: الذي وعده الرحمن وصدق المرسلون فيه حق عليكم وإليه ذهب الزجاج والزمخشري، والثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر أي: في هذا الذي وعد الرحمن.

﴿إن﴾ أي: ما ﴿كانت﴾ أي: النفخة التي وقع الإحياء بها ﴿إلا صيحة واحدة﴾ أي: كما كانت صيحة الإماتة واحدة ﴿فإذا هم﴾ أي: فجأة من غير توقف أصلا ﴿جميع﴾ أي: على حالة الاجتماع لم يتأخر منهم أحد ﴿لدينا﴾ أي: عندنا ﴿محضرون﴾ ثم بين تعالى ما يكون في ذلك اليوم بقوله تعالى:

﴿فاليوم لا تظلم نفس﴾ أي: أي نفس كانت مكروهة أو محبوبة ﴿شيئا﴾ أي: لا يقع لها ظلم ما من أحد ما في شيء ما ﴿ولا تجزون﴾ أي: على عمل من الأعمال شيئا من الجزاء من أحد ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ ديدنا لكم بما ركز في جبلاتكم ثم بين تعالى حال المحسن بقوله تعالى:

﴿إن أصحاب الجنة﴾ أي: الذين لا حظ للنار فيهم ﴿اليوم﴾ أي: يوم البعث وهذا يدل على أنه يعجل دخولهم ودخول بعضهم إليها ووقوف الباقين للشفاعات ونحوها من الكرامات عند دخول أهل النار النار، وعبر بما يدل على أنهم بكلياتهم مقبلون عليه ومطرقون له مع توجههم إليه بقوله ﴿في شغل﴾ أي: عظيم جدا لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا في الدنيا في أشغل الشغل بالمجاهدات في الطاعات.

وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم العين، والباقون بالإسكان ثم بين ذلك الشغل بقوله ﴿فاكهون﴾ أي: متلذذون في النعمة، واختلف في هذا الشغل فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: في افتضاض الإبكار، وقال وكيع بن الجراح رضي الله عنهما: في السماع، وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم، وقال ابن كيسان: في زيارة بعضهم بعضا، وقيل: في ضيافة الله تعالى فاكهون، وقيل: في شغل عن هول اليوم يأخذون ما آتاهم الله تعالى من الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب.

وقوله تعالى ﴿فاكهون﴾ متمم لبيان سلامتهم فإنه لو قال: في شغل جاز أن يقال: هم في شغل أعظم من التفكر في اليوم وأهواله فإن من تصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه أمر من أموره أو يخبر بخسران وقع في ماله يقول: أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال: فاكهون أي: شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فاكهون:." <السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير؟ الخطيب الشربيني ٣/٣٥٦>

"وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير ﴿وغضب الله﴾ أي: الملك الأعظم بما له من صفات الجلال والجمال فاستعلى غضبه ﴿عليهم﴾ وهو أنه تعالى يعاملهم معاملة الغضبان بما لا طاقة لهم به ﴿ولعنهم﴾ أي: طردهم طردا أنزلوا به أسفل السافلين فبعدوا به عن كل خير ﴿وأعد﴾ أي: هيأ ﴿لهم﴾ الآن ﴿جهنم﴾ تلقاهم بالعبوسة والتغيظ والزفير والتجهم كما كانوا يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب والحر والبرد والإحراق وغير ذلك من أنواع المشاق ﴿وساءت﴾ أي: جهنم ﴿مصيرا﴾ أي: مرجعا. وقوله تعالى: ﴿ولله﴾ أي: الملك الأعظم ﴿جنود السموات والأرض﴾ تقدم تفسيره.

وفائدة الإعادة التأكيد وجنود السموات والأرض منهم من هو للرحمة، ومنهم من هو للعذاب وقدم ذكر جنود السموات والأرض قبل إدخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين ملائكة الرحمة فتبشرهم على الصراط وعند الميزان، فإذا دخلوا الجنة أفضوا إلى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك إلى شيء وأخر ذكر جنود السموات والأرض بعد ذكر تعذيب الكفار والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقونهم

أبدا كما قال تعالى ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم﴾ (التحريم: ٦)

فإن قيل: قال الله تعالى ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ (النساء: ١٧)
وقال هنا ﴿وكان الله﴾ أي: الملك الذي لا أمر لأحد معه أزلا وأبدا ﴿عزيزا﴾ أي: يغلب ولا يغلب ﴿حكيما﴾ أي: يضع الشيء في أحكم مواضعه فلا يستطاع نقض شيء مما ينسب إليه أجيب: بأنه لما كان في جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله تعالى ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية ﴿وكان الله عزيزا حكيما﴾ .
﴿إنا﴾ أي: بما لنا من العز والحكمة ﴿أرسلناك﴾ أي: بما لنا من العظمة إلى الخلق كافة ﴿شاهدا﴾ على أفعالهم من كفر وإيمان وطاعة وعصيان من كان بحضرتك فبنفسك ومن كان بعد موتك أو غائبا عنك فبكتابك مع ما أيدناك به من الحفظة من الملائكة الكرام ﴿ومبشرا﴾ أي: لمن أطاع بأنواع البشائر ﴿ونذيرا﴾ أي مخوفا لمن خالفك وعصى أمرك بالنار. ثم بين تعالى فائدة الإرسال.
بقوله سبحانه: ﴿ليؤمنوا بالله﴾ أي: لا يسوغ لأحد من خلقه. والكل خلقه التوجه إلى غيره ﴿ورسوله﴾ أي: الذي أرسله من له كل شيء ملكا وخلقا إلى جميع خلقه ﴿ويعزروه﴾ أي يعينوه وينصرونه والتعزير نصر مع تعظيم ﴿ويوقروه﴾ أي: يعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل ﴿ويسبحوه﴾ من التسبيح الذي هو التنزيه عن جميع النقائص أو من السبحة وهي الصلاة. قال الزمخشري: والضمائر لله عز وجل: والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد. وقال غيره: الكنايات في قوله ﴿ويعزروه ويوقروه﴾ راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ﴿ويوقروه﴾ **وقف تام** ثم يبتدئ بقوله تعالى: ﴿ويسبحوه﴾ ﴿بكرة وأصيلا﴾ أي غدوة وعشيا أي دائما وعن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر على أن الكناية في ﴿ويسبحوه﴾ راجعة إلى الله عز وجل وقال البقاعي: الأفعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى لأن من سعى في قمع الكفار فقد فعل فعل المعزر الموقر، فيكون إما عائدا على المذكور وإما أن يكون جعل الأسمين واحدا إشارة إلى اتحاد المسميين." <السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير؟ الخطيب الشربيني ٤/٤١>

"﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ إما موصول بالمتقين ومحله الجر على أنه صفة مقيدة له إن فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة إن فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لأنها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف إجمالا وذلك لأنها مشتملة على ماهو عماد الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة فإنها أمهات الأعمال

النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية إلى التجنب عن المعاصي غالبا ألا يرى إلى قوله تعالى ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام أو مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ماذكر من الخصال الثلاث بالذكر لإظهار شرفها وإنافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات أو النصب على المدح بتقدير أعني أو الرفع عليه بتقدير هم وإما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الإشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ **وقف تام** لأنه وقف على مستقبل مابعده أيضا مستقبل وأما على الوجوه الأول فحسن لاستقلال الموقوف عليه **غير تام** لتعلق مابعده به وتبعيته له أما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر وأما على تقدير النصب أو الرفع على المدح فلما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وإن خرجا عن التبعية لما قبلها صورة حيث لم يتبعاه في الإعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ماقبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال أبو علي إذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان أي للتفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجد في الإصغاء فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى." <تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؟ أبو السعود ٢٩/١>

"من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب إن قيل لا ريب في أن حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره أولئك على هدى في أنه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة أن كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وأن كلا من اتصافهم بالإيمان وفروعه وإحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلية فما السر في أنه جعل ذلك في الصورة الأولى من توابع المتقين وعد الوقف **غير تام** وفي الثانية مقتطعا عنه وعد **الوقف تاما** قلنا السر في ذلك أن المبتدأ في الصورتين وإن كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الأولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ إجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وإن سمي قطعا مراعاة لجانب كيف لا وقد اشتهر في الفن أن الخبر إذا كان معلوم الانتساب إلى المخبر عنه حقه أن يكون وصفا له كما أن الوصف إذا لم يكن معلوم الانتساب إلى الموصوف حقه أن يكون خبرا له حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وأما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل

كان مشتملا على مالا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والإيمان إفعال من الأمن المتعدي إلى واحد يقال آمنته وبالنقل تعدى إلى اثنين يقال آمننيه غيري ثم استعمل في التصديق لأن المصدق يؤمن المصدق أي يجعله أمينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فإن الواثق يصير ذا أمن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما صرت ذا أمن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه الصلاة والسلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لابد من انضمام الإقرار إليه للمتمكن منه والأول رأي الشيخ الأشعري ومن شايعه فإن الإقرار عنده منشأ لإجراء الأحكام والثاني مذهب أبي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فإنه جعلهما جزأين له خلا أن الإقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الإكراه وهو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب إما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أو فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره وأيا ما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله سبحانه ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ وقسم نصب عليه دليل كالمصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للإيمان إما بتضمينه معنى الاعتراف أو." <تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؟ أبو السعود ١/٣٠>

"والاختصام عند داود صلى الله عليه وسلم، فإذا تأملت علمت أنه يليق بكل سورة ما بدئت به وهو سر من الأسرار البديعة اهـ. قوله: (ويوقف عليها وقف التمام إلخ) التمام بفتح التاء وميمين هذا هو الصحيح الموافق حدة فإن صحت، فالمعنى كوقف الكلام التام والوقف قطع من أهل الأداء إلى كامل وتام وحسن وناقص، وهو الذي رسموه قبيحا لأنه إما أن يتم الكلام عنده أم لا، والثاني الناقص نحو بسم ورب والأول إما أن يستغني عن تاليه أم لا، والثاني إما أن يتعلق به من جهة المعنى، فالكافي أو من جهة اللفظ، فالحسن والأول إما أن يكون استغناؤه استغناء كليا أو لا، فالأول الكامل كأواخر السور والمفلحون في أول البقرة،

والثاني التام كنستعين، وأحوال الوقف القرآني مفردة بالتاليف، وهي معلومة عند أهلها. قوله: (إذا قدرت بحيث لا تحتاج إلى ما بعدها) في الكشاف يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالأصوات، أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا: ﴿الم الله﴾ [عمران: ١] ، أي هذه ألم ثم ابتدأ فقال ﴿الله لا إله إلا هو﴾ اه فأشار إلى شرطي الوقف التام وهما كون الموقوف عليه غير محتاج لما بعده، وكون ما بعده أيضا مستقلا بنفسه غير مرتبط بما أصلا والمصنف رحمه الله أخل بالشرط الثاني، فورد عليه أنه يصدق على الوقف على ألم إذا قدر قبله مبتدأ له خبران أحدهما ألم والثاني الله، وعنه احترز الزمخشري بقوله جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف مع أن الوقف حينئذ ليس بتام لفقد أحد شرطيه، والزمخشري أشار بالتمثيل إلى اعتبار الأمرين معا والمصنف رحمه الله لم

يذكره فورد عليه ما ورد، وقول بعضهم: تركه اعتمادا على ما أشار إليه من الأمثلة المستقل ما بعدها بقوله إذا قدرت لا يخفى بعده، وكذا ما قيل: من أن مراد المصنف رحمه الله من الاحتياج التعلق بينهما بوجه ما. قوله: (وليس شيء منها آية) هذا هو الصحيح كما في مصاعد النظر للبقاعي فما نقل عن المرشد من أن الفواتح في السور كلها آيات عند الكوفيين من غير تفرقة، وكذا ما في الكشف عن بعض الحواشي من أن ألم في آل عمران ليست بآية لا يعارض النقل الصحيح. قوله: (وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه) في الكشاف هذا أي عد الآيات القرآنية علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اه (أقول) أما عدد الآيات ففيه مذاهب خمسة مدني ومكي وكوفي، وبصرفي وشامي، فالمدني رواه شيبة المدنيئ مولى أم سلمة عنها، ويزيد بن القعقاع المدني، والمكي رواه ابن كثير وغيره من أهل مكة عن أبييئ وابن عباس رضي الله عنهم، والكوفي عن حمزة بن حبيب الزيات مسندا إلى علي رضي الله عنه، والبصري عن المعلى بن عيسى عن عاصم والشامي عن ابن ذكوان وابن عامر ومن ثمة اعترض الكوراني في كشف الأسرار بأن التوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوجد في الآيات إذ لو كان كذلك لم يقع فيها اختلاف وليس كذلك لاتفاق أهل الأداء على نقل هذه المذاهب، وقد نقل ابن الصائغ في حواشي الكشاف عن شيخه الجعبري ما يقرب منه والجواب عنه ما في مصاعد النظر من أن موجب اختلافهم في هذا التوقيف كالقراءة قال أبو عمرو: وهذه الأعداد وان كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة، فإن لها لا شك مادة تتصل بها وإن لم نعلمها إذ كل واحد منهم لقي غير واحد من الصحابة وسمع منه، أو لقي من لقي الصحابة مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واخترع بل أهل تمسك واتباع، وقال السخاوي رحمه الله: لو كان ذلك راجعا إلى الرأي لعذ الكوفيون) الر " آية كما عدوا " ألم " ومثله كثير،

وأما السور فقالوا إن عددها علم توقيفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى أبيئ رضي الله عنه ما كنا نعلم آخر السورة إلا إذا قال عليه الصلاة والسلام: " اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ") ١ (. وأما ترتيبها الذي في مصاحفنا، وهو الذي في المصحف العثماني المنقول من مصحف الصديق المنقول مما كتب بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام وعليه القراء فهو توقيفي أيضا إلا أنه أورد عليه ما في صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت
يركع." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١٨١/١>

"" رأس الأمر الإصلام وعموده الصلاة " (٢) وأما حديث " الزكاة قنطرة الإسلام " (٣ (فأخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا بسند ضعيف، والعماد الدعامة من عمدت الحائط إذا دعمته والعمود معروف والقنطرة الجسر، وما ارتفع من الأرض وفي كتب الفقه أن الجسر ما يوضع ويرفع، والقنطرة ما يحكم كما في فتاوى قاضيخان، فكأنه معنى عرفي عندهم والدين الشريعة والإسلام، والإيمان متقاربان والكلام عليهما مفصل في الكتب الكلامية، وكون " الصلاة عماد الدين على التشبيه أو الاستعارة لأنها أشرف أعماله التي لا تسقط فرضيتها إلا نادرا) الزكاة قنطرة لأن مؤديها طهر ماله ونفسه وبين خلوصه، والقنطرة كالجسر يستعار للموصل كما قال أبو تمام:
لا يطمع المرء أن يجتاب لجته بالقول ما لم يكن جسرا له العمل
فإن قلت: وقع في الحديث الصحيح المشهور " بني الإسلام على خمس " وعد منها الزكاة
فيه، فجعلت ثمة عمادا داخلة وهنا قنطرة خارجة عنه فما النكتة فيه قلت: هو تجوز لا حجر فيه، فمن حيث أنها من شعائر الإسلام تعد ركنا منه ومن حيث أن المال بصرفه يجعل بازله داخلا في الإسلام تعد قنطرة أو ذاك باعتبار من رسخ إصلامه وقدم، وهذا باعتبار من حدث إيمانه فتأمل. قوله: (أو مسوقة للمدح بما تضمنه) أي المتقون وفي نسخة أو مادحة بما تضمنه، والمعنى واحد وهو معطوف على مقيدة أو موضحة، وترك كونها مؤكدة كنفخة واحدة لأن التاسيس أولى لا سيما إذا اشمل على نكتة. وقوله: (وتخصيص الإيمان إلخ) إشارة إلى جواب سؤال تقديره لم اختص المدح بهذه دون غيرها مما تضمنه. وقوله: (إظهار) أقحم لفظ الإظهار الحماء إلى أنها في الواقع كذلك، وأن في الوجه الأول إشارة إليه أيضا، وإنما الفرق بينهما بالقصد وعدمه، فلا يقال إنه يجوز جعل وجه التخصيص ما مر من كونها أمهات وأصولا، مع أنه مناسب للاستتباع

دون المدح كما لا يخفى وقيل إن في قوله مسوقة إشارة إلى أنه أقل من أخوبه، ولذا أخر. لأن لفظ السوق يشعر بأنه لا يفيده بنفسه ولذا غير الأسلوب. وأعلم أن من الناس من قال: إن كون الذين يؤمنون مادحا إنما يحسن إذا حمل المتقين

على حقيقته دون المشارفة إذ ليس الإيمان، وما بعده حاصلا للضالين الصائرين للتقوى فجعل الصفة كاشفة إذا أريد بالتقوى ما في المرتبة الثانية، وجعلها مخصصة على الأولى وإذا جعلت مادحة فالمراد ما هو في المرتبة الثالثة. وقيل: إن كان المخاطب جاهلا بالمعنى فالصفة موضحة والا فهي مادحة، وفيه ما فيه كما سيأتي قريبا فتدبر. قوله: (أو على أنه ماخ منصوب إلخ) الجاز والمجرور معطوف على الجار والمجرور السابقين في قوله على أنه صفة مجرورة وجعل المصنف رحمه الله المنصوب والمرفوع موصولا بما قبله كالمجروو، لأنهما تابعان له معنى وصفة له بحسب الأصل، وان خرجا صورة ولفظا، ولذأ سماه النحاة قطعا بخلاف المستأنف، ووجه دلالته على ما قصد به في الاتباع، والقطع من المدح ونحوه أنه صفة حميدة علم ثبوتها فيفهم عها ذلئا، وقيل: إن هذا علم من تغييو الإعراب لأن تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماعه ومزيدى اهتمام لشأنه لا سيما مع التؤام حذف الغععل، أو إ أحبتدأ ولا يخفى أن دلالة الإعواب المقدو على ذلك غير ظاهرة مع أنها مادحة على الاتباع أيضا كما صرحت به أيضا متون العربية، وفي قوله هم الذين تسامع لأن المقدر هم فقط*قوله:) وإما مفصول إلخ) معطوف على قوله موصولى، وإنما انفصك لأنه قصد الإخبار عنه بما بعده لا إثباته

لما قبله وان فهم ذلك ضمنا فهو، وان لم يجر عليه كالجاري ويكفي هذا في ارتباط الكلام سواء كان الاستئناف نحويا أو بيانيا، فيكون جوابا عن سؤال تقديره ما بال المتقين خصوا بذلك الهدى، فلا يتوهم ضعف هذا الوجه لعدم الارتباط فيه كما نقل عن أبي حيان، ولا إن الظاهر على هذا إن بينهما كمال الانفصال، وتقدير السؤال يقتضي الاتصال وكونه كالجاري عليه لا ينافي كون **الوقف تاما** كما ستسمعه قريبا، وقال قدس سره: حاصل ما قرره من الاحتمالات أن المتقي إن حمل على المعنى الشرعي، فإن كان خطابا لمن عرف مفهومه مفصلا كانت الصفة مادحة، والا كاشفة وأن حمل على مجتنب المعاصي كانت مخصصة، ولما كان الاستئناف أرجح لم يكن في الترجيح بين هذه الأقسام." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١/٢٠٨>

"مطلب تنوع الوقف

ويتنوع الوقف نظرا للتعلق خمسة أقسام؛ لأنه لا يخلو إما أن لا يتصل ما بعد الوقف بما قبله لا لفظا ولا معنى -فهو التام. أو يتصل ما بعده بما قبله لفظا ومعنى -وهو القبيح. أو يتصل ما بعده بما قبله معنى لا لفظا -

وهو الكافي. أو لا يتصل ما بعده بما قبله معنى ويتصل لفظا –وهو الحسن. والخامس متردد بين هذه الأقسام فتارة يتصل بالأول، وتارة بالثاني على حسب اختلافهما قراءة وإعرابا وتفسيرا؛ لأنه قد يكون الوقف تاما على تفسير وإعراب وقراءة، غير تام على غير ذلك، وأمثلة ذلك تأتي مفصلة في محلها.

مطلب مراتب الوقف

وأشرت إلى مراتبه بتام وأتم، وكاف وأكفى، وحسن وأحسن، وصالح وأصلح، وقبيح وأقبح، فالكافي والحسن يتقاربان، والتام فوقهما، والصالح دونهما في الرتبة؛ فأعلاها الأتم، ثم الأكفى، ثم الأحسن، ثم الأصلح ويعبر عنه بالجائز.

وأما وقف البيان وهو أن يبين معنى لا يفهم بدونه كالوقف على قوله تعالى: ﴿وتوقروه﴾ فرق بين الضميرين، فالضمير في: ﴿وتوقروه﴾ للنبي – صلى الله عليه وسلم – وفي ﴿وتسبحوه﴾ لله تعالى، والوقف أظهر هذا المعنى المراد، والتام على قوله: ﴿وأصيلا﴾، وكالوقف على قوله: ﴿لا تثريب عليكم﴾، ثم يبتدئ: ﴿اليوم يغفر الله لكم﴾ بين الوقف على: ﴿عليكم﴾ أن الظرف بعده متعلق بمحذوف وليس متعلقا باسم لا؛ لأن اسمها حينئذ شبيه بالمضاف، فيجب نصبه وتنوينه. قاله في (الإتقان).

فالتام سمي تاما؛ لتمام لفظه بعد تعلقه وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ولا يتعلق ما بعده بشيء مما قبله لا لفظا ولا معنى، وأكثر ما يوجد عند رءوس الآي غالبا، وقد يوجد قرب آخرها كقوله: ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ هنا التمام؛ لأنه آخر كلام بلقيس، ثم قال تعالى: ﴿وكذلك يفعلون﴾ وهو أتم، ورأس آية أيضا، ولا يشترط في التام أن يكون آخر قصة كقوله: ﴿محمد رسول الله﴾ فهو تام؛ لأنه مبتدأ وخبر وإن كانت الآيات إلى آخر السورة قصة واحدة، ونحوه: ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ هنا التام؛ لأنه آخر كلام الظالم أبي بن خلف، ثم قال تعالى: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ وهو أتم، ورأس آية أيضا، وقد يوجد بعد رأس الآية كقوله: ﴿مصبحين (٦٦) وبالليل﴾ هنا التام؛ لأنه معطوف على المعنى، أي: تمرون عليهم بالصبح وبالليل، فالوقف عليه تام، وليس رأس آية وإنما رأسها: ﴿مصبحين﴾، و ﴿أفلا تعقلون﴾ أتم؛ لأنه آخر القصة، ومثله: ﴿يتكئون (٣٤) وزخرفا﴾ رأس الآية: ﴿يتكئون﴾، ﴿وزخرفا﴾ هو التمام؛ لأنه معطوف على: ﴿سقفا﴾، ومن مقتضيات الوقف التام الابتداء بالاستفهام ملفوظا به، أو مقدرا. ومنها أن يكون آخر كل قصة وابتداء أخرى كل سورة، والابتداء بياء النداء غالبا، أو الابتداء بفعل الأمر، أو الابتداء

بلام القسم، أو الابتداء بالشرط؛." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ١/ ٢٥>

"لأن الابتداء به ابتداء كلام مؤتنف، أو الفصل بين آية عذاب بآية رحمة، أو العدول عن الإخبار إلى الحكاية، أو الفصل بين الصفتين المتضادتين، أو تناهي الاستثناء، أو تناهي القول، أو الابتداء بالنفي، أو النهي، وقد يكون **الوقف تاما** على تفسير وإعراب وقراءة، **غير تام** على آخر نحو: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ تام إن كان ﴿والراسخون﴾ مبتدأ خبره ﴿يقولون﴾ على أن الراسخين لم يعلموا تأويل المتشابه. **غير تام** إن كان معطوفا على الجلالة، وإن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه كما سيأتي بأبسط من هذا في محله.

والكافي: ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده إلا أن له به تعلقا ما من جهة المعنى؛ فهو منقطع لفظا متصل معنى، وسمي كافيا لاكتفائه واستغنائه عما بعده واستغناء ما بعده عنه بأن لا يكون مقيدا له، وعود الضمير على ما قبل الوقف لا يمنع من الوقف؛ لأن جنس التام والكافي جميعه كذلك، والدليل عليه ما صح عن ابن مسعود –رضي الله تعالى عنه– قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «اقرأ علي»، فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت: ﴿شهيدا﴾، فقال لي: «حسبك» (١)، ألا ترى أن الوقف على شهيدا كاف وليس بتام؟ والتام: ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾؛ لأنه آخر القصة وهو في الآية الثانية، وقد أمره النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقف دون التام مع قربه فدل هذا دلالة واضحة على جواز الوقف على الكافي؛ لأن قوله: يومئذ إلخ ليس قيدا لما قبله، وفي الحديث نوع إشارة إلى أن ابن مسعود كان صيتا.

قال عثمان النهدي (٢) صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فوددنا أنه لو قرأ سورة البقرة من حسن صوته وترتيله، وكان أبو موسى الأشعري كذلك. ورد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سمع صوته وهو يقرأ القرآن، فقال: «لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود» (٣) كان داود – عليه السلام – إذا قرأ الزبور تدنو

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٧٤)، برقم: (٣٥٥١).

(٢) أبو عثمان النهدي، الإمام، الحجة، شيخ الوقت، عبد الرحمن بن مل، وقيل: ابن ملي، ابن عمرو بن عدي البصري، مخضرم معمر، أدرك الجاهلية والإسلام، وغزا في خلافة عمر وبعدها غزوات، وحدث عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وبلال، وسعد ابن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وحذيفة ابن

اليمان، وأبي موسى الأشعري، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي هريرة، وابن عباس، وطائفة سواهم، حدث عنه قتادة، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، وسليمان التيمي، وأيوب السختياني، وداود بن أبي هند، وخالد الحذاء، وعمران بن حدير. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٥).

(٣) أخرجه الحميدي برقم: (٢٨٢)، قال: حدثنا سفيان، وأحمد (٦/ ٣٧)، قال: حدثنا سفيان، وفي (٦/ ١٦٧) وقال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، وعبد بن حميد برقم: (١٤٧٦)، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، والدارمي برقم: (١٤٩٧)، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: حدثنا ابن عيينة، والنسائي (٢/ ١٨٠)، وفي الكبرى برقم: (١٠٠٢)، قال: أخبرنا عبد الجبار بن العلاء بن عبد الجبار، عن سفيان، وفي (٢/ ١٨١)، وفي الكبرى برقم: (١٠٠٣)، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، وفي فضائل القران برقم: (٧٦)، قال: أخبرنا محمد بن رافع، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أنبانا معمر.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢٦/١>

"﴿بل رفعه الله إليه﴾ [١٥٨] كاف، ومثله «حكيما».

﴿قبل موته﴾ [١٥٩] جائز؛ لأن قوله: «ويوم القيامة» ظرف كونه شهيد إلا ظرف إيمانهم، قالوا: وللاستئناف، والضمير في «به»، وفي «موته» لعيسى، وقيل: إنه في «به» لعيسى، وفي «موته» للكتابي، قالوا: وليس بموت يهودي حتى يؤمن بعيسى، ويعلم أنه نبي، ولكن ذلك عند المعاينة والغرغرة، فهو إيمان لا ينفعه.

﴿شهيدا (١٥٩)﴾ [١٥٩] كاف، ولا وقف من قوله: «فبظلم» إلى قوله: «بالباطل»، فلا يوقف على «أحلت لهم»؛ لاتساق ما بعده على ما قبله، ولا على «كثيرا»، ولا على «نهوا عنه».

﴿بالباطل﴾ [١٦١] حسن.

﴿أليما (١٦١)﴾ [١٦١] تام، وقال بعضهم: ليس بعد قوله: «فبما نقضهم» **وقف تام** إلى «أليما» على تفصيل في لكن، إذا كان بعدها جملة صلح الابتداء كما هنا، وإذا تلاها مفرد فلا يصلح الابتداء بها.

﴿وما أنزل من قبلك﴾ [١٦٢] حسن إن نصب ما بعده على المدح، أي: أمدح المقيمين، وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات؛ لبيان فضل الصلاة على غيرها، وهو قول سيبويه، والمحققين، وليس بوقف إن عطف على «بما أنزل إليك»، أي: يؤمنون بالكتب وبالمقيمين، أو عطف على «ما من» قوله: «وما أنزل من قبلك» فإنها في موضع جر، أو عطف على الضمير في «منهم».

﴿والمقيمين الصلاة﴾ [١٦٢] حسن؛ على استئناف ما بعده بالابتداء، والخبر فيما بعده، أو جعل خبر مبتدأ

محذوف، أي: هم المؤتون، وليس بوقف إن عطف على «الراسخون».

﴿واليوم الآخر﴾ [١٦٢] كاف؛ إن جعل «أولئك» مبتدأ وخبر، وليس بوقف إن جعل خبر «الراسخون».

﴿أجرا عظيما (١٦٢)﴾ [١٦٢] تام.

﴿من بعده﴾ [١٦٣] كاف، وتام عند نافع.

﴿وسليمان﴾ [١٦٣] حسن، ومثله «زبورا» إن نصب «رسلا» بإضمار فعل يفسره ما بعده، أي: قصصنا رسلا عليك، أي: قصصنا أخبارهم، فهو على حذف مضاف، فهو من باب الاشتغال، وجملة «قد قصصناهم» مفسرة لذلك الفعل المحذوف، وليس بوقف إن عطف على معنى ما قبله؛ لأن معناه: إنا أوحينا إليك وبعثنا رسلا، وقرأ الجمهور (١): «زبورا» بفتح الزاي جمع جمع؛ لأنك تجمع زبورا زبرا،

---

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ١٦٩)، الإملاء للعكبري (١/ ١١٨)، البحر المحيط (٣/ ٣٩٧)، التيسير (ص: ٩٨)، تفسير الطبري (٩/ ٤٠١)، تفسير القرطبي (٦/ ١٧)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٢٨)، الحجة لابن زنجلة (ص: ٢١٩)، السبعة (ص: ٢٤٠)، الغيث للصفاقسي (ص: ١٩٧)، الكشاف (١/ ٣١٣)، الكشف للقيسي (١/ ٤٠٢، ٤٠٣)، تفسير الرازي (٣/ ٣٤٣)، النشر (٢/ ٢٥٣).." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢٠٢/١>

"كذلك لكان إيمانهم بنوح مشرفا لهم ومعليا لأقدارهم، وإنما هو حكاية عن كفار قومه في تنقيص متبعيه، وكذا فعلت قريش في الرسول - صلى الله عليه وسلم - في شأن عمار وصهيب والضعفاء (١).

﴿بما كانوا يعملون (١١٢)﴾ [١١٢] جائز، ومثله: «تشعرون»، وكذا «وما أنا بطارد المؤمنين»، وكذا «نذير مبين»، و «المرجومين»، و «كذبون» والوصل في الأخير أولى للفاء.

﴿فتحا﴾ [١١٨] جائز، ومنهم من قال: ولا وقف من قوله: «إن حسابهم» إلى من «المرجومين».

﴿من المؤمنين (١١٨)﴾ [١١٨] كاف، وقيل: تام؛ لأنه آخر كلام نوح، وآخر كلام قومه، وليس في قصة نوح وقف تام.

﴿في الفلك المشحون (١١٩)﴾ [١١٩] حسن، على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن عطف على ما قبله.

﴿الباقين (١٢٠)﴾ [١٢٠] كاف.

﴿لآية﴾ [١٢١] حسن.

﴿مؤمنين (١٢١)﴾ [١٢١] كاف.

﴿الرحيم (١٢٢)﴾ [١٢٢] تام.

﴿المرسلين (١٢٣)﴾ [١٢٣] كاف؛ إن علق «إذ» بـ (اذكر) مقدرا، ويكون من عطف الجمل، وجائز إن علق بما قبله لكونه رأس آية.

﴿ألا تتقون (١٢٤)﴾ [١٢٤] كاف.

﴿أمين (١٢٥)﴾ [١٢٥] جائز.

﴿وأطيعون (١٢٦)﴾ [١٢٦] كاف.

﴿من أجر﴾ [١٢٧] حسن.

﴿العالمين (١٢٧)﴾ [١٢٧] كاف.

﴿تعبثون (١٢٨)﴾ [١٢٨] ليس بوقف للعطف.

﴿تخلدون (١٢٩)﴾ [١٢٩] كاف، ومثله: «جبارين».

﴿وأطيعون (١٣١)﴾ [١٣١] حسن؛ على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن عطف على ما قبله.

﴿بما تعلمون (١٣٢)﴾ [١٣٢] جائز؛ لأن الجملة الثانية بعده بيان وتفسير للأولى، أو أن قوله: «بأنعام»، بدل من قوله: «بما تعلمون»، وكلاهما يقتضي عدم الوقف، ومن حيث كونه رأس آية يجوز.

﴿وبنين (١٣٣)﴾ [١٣٣] ليس بوقف؛ لأن ما بعده مجرور عطفا على ما قبله.

﴿وعيون (١٣٤)﴾ [١٣٤] حسن.

---

(١) انظر: نفسه (١٩/ ٣٧٠).." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ١٠١/٢>

"﴿بني إسرائيل (١٩٧)﴾ [١٩٧] كاف.

﴿على بعض الأعجمين (١٩٨)﴾ [١٩٨] ليس بوقف لشيئين للعطف بالفاء؛ ولأن جواب «لو» لم يأت بعد، وهو «ما كانوا به مؤمنين».

و ﴿مؤمنين (١٩٩)﴾ [١٩٩] كاف.

﴿المجرمين (٢٠٠)﴾ [٢٠٠] جائز، ومثله: «الأليم»، وقيل: لا يجوز؛ لأن الفعل الذي بعد الفاء منصوب بالعطف على ما عملت فيه (حتى) والضمير في «سلكناه» للشرك، أو للكفر، أو للتكذيب، والضمير في

«لا يؤمنون به» يعود على النبي - صلى الله عليه وسلم -، أي: كي لا يؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، قاله النكزاوي. وكذا لا يوقف على «بغتة»؛ لأن الذي بعدها جملة في موضع الحال.

﴿لا يشعرون (٢٠٢)﴾ [٢٠٢] جائز.

﴿منظرون (٢٠٣)﴾ [٢٠٣] كاف، وكذا «يستعجلون» ولا وقف من قوله: «أفرأيت»، إلى «يمتعون» فلا يوقف على «سنين» للعطف، ولا على «يوعدون»؛ لأن قوله: «ما أغنى عنهم» جملة قامت مقام جواب الشرط في قوله: «أفرأيت إن متعناهم».

﴿يمتعون (٢٠٧)﴾ [٢٠٧] كاف.

﴿إلا لها منذرون (٢٠٨)﴾ [٢٠٨] تام، وأتم منه: «ذكرى»، وقد أغرب من قال ليس في سورة الشعراء وقف تام إلا قوله: «لها منذرون»، ثم يبتدئ: «ذكرى»، أي: هي ذكرى، أو إنذارنا ذكرى، وإن جعلت «ذكرى» في موضع نصب بتقدير: ينذرهم العذاب ذكرى، أو هذا القرآن ذكرى، أو تكون «ذكرى» مفعولا للذكر، أي: ذكرناهم ذكرى، كان الوقف على «ذكرى» كافيا؛ لأن الذكرى متعلقة بالإنذار إذا كانت منصوبة لفظا، ومعنى وإن كانت مرفوعة تعلقت به معنى فقط.

﴿ظالمين (٢٠٩)﴾ [٢٠٩] كاف، ومثله: «يستطيعون».

﴿لمعزولون (٢١٢)﴾ [٢١٢] تام.

﴿إلها آخر﴾ [٢١٣] ليس بوقف؛ لأن ما بعد الفاء جواب للنهي.

﴿من المعذبين (٢١٣)﴾ [٢١٣] كاف؛ للأمر بعده.

﴿الأقربين (٢١٤)﴾ [٢١٤] جائز، وقيل: لا يجوز لعطف ما بعده على ما قبله.

﴿من المؤمنين (٢١٥)﴾ [٢١٥] كاف، ومثله: «تعملون».

﴿الرحيم (٢١٧)﴾ [٢١٧] ليس بوقف؛ لأن الذي بعده نعت له.

﴿في الساجدين (٢١٩)﴾ [٢١٩] كاف.

﴿العليم (٢٢٠)﴾ [٢٢٠] تام.

﴿الشياطين (٢٢١)﴾ [٢٢١] حسن.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢/١٠٥>

"يفعلون إذا توفتهم الملائكة، ثم يبتدئ: «يضربون» أي: هم يضربون.

﴿فأحبط أعمالهم (٢٨)﴾ [٢٨] تام.

﴿أضغانهم (٢٩)﴾ [٢٩] كاف، ومثله: «بسيماهم»، وكذا «في لحن القول».

﴿أعمالكم (٣٠)﴾ [٣٠] تام.

﴿والصابرين﴾ [٣١] جائز؛ على قراءة يعقوب من العشرة (١): «ونبلو أخباركم» بالنون وإسكان الواو، مستأنف مرفوع بضمة مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل، وليس بوقف إن عطف على «ولنبلونكم»، وكان **الوقف التام** «أخباركم» للابتداء بـ «إن».

﴿الهدى﴾ [٣٢] ليس بوقف؛ لأن خبر «إن» لم يأت، وهو: «لن يضروا الله شيئا».

و ﴿شيئا﴾ [٣٢] حسن.

﴿أعمالهم (٣٢)﴾ [٣٢] تام للابتداء بـ «يا» النداء.

﴿وأطيعوا الرسول﴾ [٣٣] جائز.

﴿أعمالكم (٣٣)﴾ [٣٣] حسن، ومثله: «فلن يغفر الله لهم».

﴿وتدعوا إلى السلم﴾ [٣٥] جائز؛ لأن «وأنتم» يصلح مبتدأ وحالا، وجعله حالا أولى.

﴿الأعلون﴾ [٣٥] جائز.

﴿معكم﴾ [٣٥] حسن، وقال: أبو حاتم تام.

﴿أعمالكم (٣٥)﴾ [٣٥] تام.

﴿ولهو﴾ [٣٦] كاف للابتداء بالشرط.

﴿أجوركم﴾ [٣٦] حسن، ومثله: «أموالكم».

﴿تبخلوا﴾ [٣٧] ليس بوقف؛ لعطف ما بعده على ما قبله.

﴿أضغانكم (٣٧)﴾ [٣٧] حسن.

﴿في سبيل الله﴾ [٣٨] جائز.

﴿من يبخل﴾ [٣٨] حسن؛ للابتداء بالشرط.

﴿ومن يبخل﴾ [٣٨] الثاني ليس بوقف؛ لأنه شرط لم يأت جوابه.

---

(١) وجه من قرأ: ﴿ونبلو﴾ بالياء؛ أن ذلك لمناسبة قوله: ﴿والله يعلم أعمالكم﴾. ووجه من قرأ بالنون؛ أي: بنون العظمة؛ لمناسبة قوله: ﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾. انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص:

٣٩٤)، البحر المحيط (٨/ ٨٥)، التيسير (ص: ٢٠١) تفسير الطبري (٢٦/ ٣٩)، الكشف للقيسي (٢/ ٢٧٨)..." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢/٢٧٧>

"﴿بأيد﴾ [٤٧] جائز، ورسموا: «بأييد» بياءين بعد الألف كما ترى.

﴿لموسعون (٤٧)﴾ [٤٧] كاف.

﴿فرشناها﴾ [٤٨] جائز.

﴿الماهدون (٤٨)﴾ [٤٨] تام.

﴿تذكرون (٤٩)﴾ [٤٩] كاف، ومثله: «إلى الله»، وكذا «مبين»، وكذا «إلها آخر»، وكذا «مبين» الثاني (١).

﴿كذلك﴾ [٥٢] أكفى، فالكاف في محل رفع، أي: الأمر كذلك، فالتشبيه من تمام الكلام، فالكاف خبر مبتدأ محذوف، أو في محل نصب، أي: مثل تكذيب قومك إياك مثل تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم، ولا يجوز نصب الكاف بـ «أتي»؛ لأنها ليست متصلة بشيء بعدها؛ لأن «ما» إذا كانت نافية لم يعمل ما بعدها في شيء قبلها، ولو أتى موضع «ما» بـ (لم) لجاز أن تنصب الكاف بـ «أتي»؛ لأن المعنى يسوغ عليه، والتقدير: كذبت قريش تكذيبا مثل تكذيب الأمم السابقة رسلهم (٢).

﴿أو مجنون (٥٢)﴾ [٥٢] حسن.

﴿أتواصوا به﴾ [٥٣] أحسن مما قبله.

﴿طاغون (٥٣)﴾ [٥٣] تام.

﴿فتول عنهم﴾ [٥٤] جائز.

﴿بملوم (٥٤)﴾ [٥٤] كاف؛ على استئناف ما بعده، فإن جعل داخلا فيما أمر به الرسول؛ لأنه أمر بالتولي والتذكير كان **الوقف التام** على «المؤمنين».

﴿إلا ليعبدون (٥٦)﴾ [٥٦] حسن، أي: من أردت منهم العبادة، فلا ينافي أن بعضهم لم يعبده ولو خلقهم لإرادة العبادة منهم لكانوا عن آخرهم، كذلك لأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، ولو خلقهم للعبادة لما عصوه طرفة عين، وبعضهم جعل اللام للصيرورة والمآل، وهي أن يكون ما بعدها نقيضا لما قبلها.

﴿من رزق﴾ [٥٧] جائز.

﴿أن يطعمون (٥٧)﴾ [٥٧] تام؛ للابتداء بـ «أن».

﴿هو الرزاق﴾ [٥٨] حسن؛ إن جعل ما بعده مستأنفا، وليس بوقف إن جعل صفة.

﴿المتين (٥٨)﴾ [٥٨] تام نعت لـ «ذو» وللرزق، أو نعت لاسم «إن» على المحل، وهو مذهب الفراء، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، وعلى كل تقدير: فهو تأكيد؛ لأن «ذو القوة» يفيد

---

(١) «مبين» الأولى الآية رقم: ٥٠، و «مبين» الثانية الآية رقم: ٥١.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤١)، بتحقيق أحمد محمد شاكر -مؤسسة الرسالة.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢/٢٩٧>

"سورة الإنسان

مكية أو مدنية

-[آيها:] إحدى وثلاثون آية إجماعا.

- وكلمها: مائتان واثنتان وأربعون كلمة.

- وحروفها: ألف وأربعة وخمسون حرفا.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدودا إجماعا خمسة مواضع: «السبيل» و «مسكينا» و «يتيما» و «مخلدون» و «رأيت» و «نعيما».

﴿مذكورا (١)﴾ [١] كاف.

﴿أمشاج﴾ [٢] حسن عند بعضهم، و «نبتليه» جواب بعد سؤال سائل، قال: كيف كان خلق الإنسان؟ فقال: نبتليه، أي: نختبره، فجعلناه سميعا بصيرا، وقال جمع أمشاج نبتليه، آخرون الوقف على آخر الآية، على التقديم والتأخير، أي: فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، وهو الكافي، والأمشاج: الأخلاط، واحدها: مشج بفتحتين، أو مشج، كعدول أعدال، أو مشيج، كشريف وأشراف. قاله ابن الأعرابي، قال الزمخشري: ومشجه ومزجه بمعنى، والمعنى: من نطفة امتزج فيها المان. قاله السمين، وقيل عروق النطفة، وقيل: ألوانها، وقيل: ماء الرجل وماء المرأة وهما لونان، فماء الرجل أبيض ثخين، وماء المرأة أصفر رقيق، وأيهما علا ماؤه كان الشبه له. قال أبو حاتم: **الوقف التام** «نبتليه» وبه يتم المعنى؛ لأنه في موضع الحال من فاعل «خلقنا»، أي: خلقناه حال كوننا مبتلين له، أو من الإنسان، وقال الفراء: ليس بتام؛ لأن المعنى على التقديم والتأخير، أي: فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه في الدنيا بالتكليف، وغلط في هذا لأن الآية ليس فيها لام، ولا المعنى على ما قاله، وقد يبتلى ويختبر وهو صحيح، وإن لم يكن سميعا بصيرا، ورد عليه بعين ما علل به؛ لأن من شرط التام أن لا يتعلق بما بعده وتتم الفائدة بما دونه، فإذا جعل على التقديم والتأخير فكيف يتم الوقف على «نبتليه» ظ وأبى بعضهم

هذا الوقف، وجعل موضع «نبتليه» نصبا حالا، أي: خلقناه مبتلين له، أي: مريدين ابتلاءه، كقولك: مررت برجل معه صقر صائدا به غدا، أي: قاصدا به الصيد غدا، قال أبو عثمان: أمشاج نبتليه، ابتلى الله الخلق بتسعة أمشاج، ثلاث مفتنات، وثلاث كافرات، وثلاث مؤمنات؛ فالمفتنات: سمعه وبصره ولسانه، والكافرات: نفسه وهواه وشيطانه، والمؤمنات: عقله وروحه وملكته، فإذا أيد الله العبد بالمعونة، سلط العقل على القلب فملكه، وأسرت النفس الهوى، فلا يجد إلى الجراءة سبيلا، فجانست النفس الروح، وجانس الهوى العقل، وصارت كلمة الله هي العليا، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (١).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٩٢)، بتحقيق أحمد محمد شاكر -مؤسسة الرسالة.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٣٨١/٢>

"سورة التكوير

مكية

-[آيها:] تسع وعشرون آية.

- وكلمها: مائة وأربع كلمات.

- وحروفها: خمسمائة وثلاث وثلاثون حرفا.

الوقف التام: ﴿علمت نفس ما أحضرت (١٤)﴾ [١٤] وقال بعضهم: الوقف على رأس كل آية حسن لابأس به لضرورة انقطاع النفس إلى بلوغ الوقف، فإذا علم أن نفسه لايبلغ ذلك جاز له الوقف دونه، ثم يبتدئ به، وجواب: «إذا الشمس»، «علمت نفس» وما بعده معطوف عليه يحتاج من الجواب إلى مثل ما يحتاج إليه الأول فيقدر لكل آية جواب فكأنه قال: إذا وقعت هذه الأشياء «علمت نفس ما أحضرت»، و «سجرت»، و «قتلت» بالتشديد والتخفيف فيهما، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو «سجرت» بتخفيف الجيم، والباقون بالتشديد (١)، وقرأ أبو جعفر: «قتلت» بتشديد التاء (٢)؛ على التكثير، وقرأ ابن عباس (٣): «سألت» مبنيا للفاعل، «قتلت» بضم التاء الأخيرة التي للمتكلم حكاية كلامها، ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت، لقيل: قتلت، بكسر التاء الأخيرة، وقرأ العامة: «قتلت» بتاء التأنيث الساكنة، وقرأ الأخوان وابن كثير وأبو عمرو «سعرت» بالتشديد، والباقون بالتخفيف (٤)، قال ابن عباس من أول السورة إلى «وإذا الجنة أزلفت» اثنتا عشرة خصلة ست في الدنيا، وست في الآخرة، ولا وقف من قوله: «فلا أقسم بالخنس» إلى قوله: «أمين» على أن جواب القسم، أنه لقول رسول ومن قال: أنه وما صاحبكم بمجنون، لم

يقف على شيء قبله إلى قوله: «بمجنون» فلا يوقف على «الخنس» ولا على «تنفس» ولا على «كريم»؛ لأن ما بعده نعته ولا على «أمين»؛ لأن جواب القسم على القول الثاني لم يأت (٥).

---

(١) انظر هذه القراءة في: المعاني للأخفش (٢/ ٣٩٨)، تفسير الرازي (٣١/ ٦٨)، الكشف للقيسي (٢/ ٣٦٣)، السبعة (ص: ٦٧٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ٤٣٤)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٨٠)، الكشاف (٤/ ٢٢٢)، المعاني للفراء (٣/ ٢٤٠)، تفسير الرازي (٣١/ ٧٠)، النشر (٢/ ٣٩٨).

(٣) وكذا رويت عن ابن مسعود وعلي وجابر بن زيد ومجاهد وأبي والربيع بن خيثم وابن يعمر والضحاك، وقال ابن خالويه هي قراءة عشرة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في مختصره (ص: ١٦٩)، وهي قراءة شاذة. انظر هذه القراءة في: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٣٥)، البحر المحيط (٨/ ٤٣٣)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣٣)، المعاني للفراء (٣/ ٣٤٠)، تفسير الرازي (٣١/ ٧٠).

(٤) انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ٤٣٤)، التيسير (ص: ٢٢٠)، النشر (٢/ ٣٩٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٩)، بتحقيق أحمد محمد شاكر -مؤسسة الرسالة.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢/٣٩٧>

"سورة الانفطار

مكية

-[آيها:] عشر آيات.

- وكلمها: ثمانون كلمة.

- وحروفها: ثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا.

ولاوقف من أولها إلى قوله: «وأخرت»، فلا يوقف على: «انفطرت» ولا على: «انتثرت» ولا على: «فجرت»، **والوقف التام**: «علمت نفس ما قدمت وأخرت»؛ لأنه جواب «إذا».

﴿ما غرك بربك الكريم (٦)﴾ [٦] ليس بوقف؛ لأن الذي بعده نعت له، أو بدل منه، ويجوز القطع إلى الرفع، أو إلى النصب، وقرأ ابن جبير والأعمش (١): «ما أغرك»، فيحتمل أن تكون «ما» استفهامية، أو تعجبية، ولا وقف من قوله: «الذي خلقك» إلى قوله: «ركبك» وجوز بعضهم الوقف على: «فسواك» لمن خفف، «فعدلك»، أي: «قومك»، وقيل: عدلك عن الكفر إلى الإيمان، قرأ الكوفيون: «فعدلك» مخففا،

والباقون مثقلا (٢).

﴿ركبك (٨)﴾ [٨] تام، وقف يحيى بن نصير النحوي على: «كلا» يريد «ليس» كما غررت به، وخولف إذ لا مقتضى للوقوف عليها.

﴿بالدين (٩)﴾ [٩] كاف على استئناف مابعده، وليس بوقف إن جعل جملة حالية، والواو «واو» الحال، أي: تكذبون بيوم الجزاء والكاتبون الحفظة يضبطون أعمالكم لأن تجازوا عليها، ولا يوقف على «لحافظين»؛ لأن «كراما» صفة «حافظين» ولا يوقف على «كاتبين»؛ لأن «يعلمون» حال من ضمير «كاتبين» (٣).

﴿ما تفعلون (١٢)﴾ [١٢] تام، للابتداء بإن.

﴿لفي نعيم (١٣)﴾ [١٣] جائز، ومثله: «لفي جحيم» إن جعل «يصلونها» مستأنفا، وليس بوقف إن جعل حالا.

﴿يوم الدين (١٥)﴾ [١٥] حسن.

---

(١) على التعجب والاستفهام، وأغرك؛ بمعني: أدخلك في الغرة، وهي قراءة شاذة. انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٤٣٦)، الكشاف (٤/ ٢٢٧)، المحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٣)، تفسير الرازي (٣١/ ٨٠).

(٢) وجه من قرأ بتخفيف الدال؛ بمعنى: صرفك إلى ما شاء من الصور من طويل وقصير وحسن وقبيح. والباقون: بتشديد الدال؛ بمعنى: سوى خلقك في أحسن صورة وأكمل تقويم. انظر هذه القراءة في: الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٣)، السبعة (ص: ٦٧٤)، الغيث للصفاقسي (ص: ٣٨١)، الكشاف (٤/ ٢٢٧)، النشر (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧٠)، بتحقيق أحمد محمد شاكر -مؤسسة الرسالة.." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٣٩٩/٢>

"سورة الكافرون

مكية أو مدنية

﴿ما تعبدون (٢)﴾ [٢] جائز؛ على استئناف ما بعده، وليس بوقف إن جعل توكيدا.

﴿ما أعبد (٣)﴾ [٣، ٥] في الموضعين كاف.

آخر السورة تام.

سورة النصر

مكية

ليس فيها **وقف تام**؛ لأن قوله: «فسبح» جواب «إذا» والعامل في «إذا» إذا كانت ظرفا جوابها ولا تكون، إلا في الأمر المحقق وقوعه ولذلك لم تجزم إلا في الشعر لمخالفتها أدوات الشرط وإذا تجردت عن الشرطية فلا جواب لها، وهل الناصب لها فعل الشرط أو فعل الجواب قولان أشهرهما الثاني، وقيل: الأول، قاله الزمخشري والحوفي، ورد عليهما أبو حيان وقال: ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها.

﴿واستغفره﴾ [٣] كاف.

آخر السورة تام.

سورة تبت

مكية

ولا وقف من أولها إلى «وتب».

و ﴿لهب﴾ [١] قرئ بفتح الهاء وسكونها (١)، ولم يقرأ: «نارا ذات لهب» إلا بالفتح فقط لمراعاة الفاصلة.

﴿وتب (١)﴾ [١] كاف، ومثله: «وما كسب» للابتداء بالتهديد، وكذا: «وامرأته» لمن رفعها عطفا على الضمير في «سيصلي»، أي: سيصلي هو وامرأته، وعلى هذا لا يوقف على «ذات لهب»؛ لأن الكلام قد انتهى إلى «وامرأته» فيكون الوقف عليها حسنا، وحسن ذلك الفصل بينهما، وقام مقام التوكيد فجاز عطف الصريح على الضمير المرفوع بلا توكيد وعلى هذا تكون حمالة خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي حمالة، أو نصبها على الذم، وبها قرأ عاصم (٢)، وليس بوقف إن جعل «وامرأته» مبتدأ و «حمالة»

---

(١) وجه من قرأ بسكون الهاء ومن قرأ بفتحها؛ أنهما لغتان كالنهر والنهر. انظر هذه القراءة في: إتحاف الفضلاء (ص: ٤٤٥)، الإملاء للعكبري (٢/ ١٥٩)، الكشاف (٤/ ٢٩٦)، النشر (٢/ ٤٠٤).

(٢) وجه من قرأ بنصب التاء؛ أن ذلك على الذم، أي: أذم حمالة الحطب. والباقون: برفعها؛ على أنها خبر: ﴿وامرأته﴾. انظر هذه القراءة في: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٨٥)، الإملاء للعكبري (٢/ ١٥٩)، البحر المحيط (٨/ ٥٢٦)، إتحاف الفضلاء (ص: ٤٤٥)، النشر (٢/ ٤٠٤).." <منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ت عبد الرحيم الطرهوني؟ الأُشْمُوني، المقرئ ٢/٤٣٤>

"بالإسكان وأساورة قرأ حفص بإسكان السين من غير ألف، والباقون بفتح السين وألف بعدها.
١٦ - سلفا قرأ الأخوان بضم السين واللام جمع سليف كرغيف ورغف، والباقون بفتحهما جمع سالف كحارس وحرس وخادم وخدم، وهو في الحقيقة اسم جمع لا جمع تكسير لأن فعلا بفتح الفاء والعين ليس من أبنية الجموع المكسرة.
١٧ - للآخرين تام وفاصلة بلا خلاف، ومنتهى الربع على ما اخترناه وفيه اضطراب قيل يرجعون قبله، وقيل يصدون وقيل يخلفون وقيل مستقيم الثانية، وقيل مبين، وقيل لا يشعرون، وقيل الظالمون بعده وقربها ما ذكرناه لأنه وقف تام وما بعده افتتاح قضبة أخرى وتجزئته كغالب الأربا ع.

الممال

بأهدى ونادى لهم جاءهم الثلاثة وجاءنا وجاء لابن ذكوان وحمزة الدنيا معا وموسى لهم وبصري.

المدغم

إذ ظلمتم للجميع الرحمن نقيض الرسول رب، ولا إدغام في راء الذكر في لام لك لتنوين الراء.
١٨ - يصدون* قرأ نافع والشامي وعلي بضم الصاد، والباقون بالكسر وأ آلهتنا* هذا مما اجتمع فيه ثلاث همزات لأن أصله (أأألهة) بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة والثالثة همزة الاستفهام وأجمعوا على إبدال الثالثة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها كما أبدلت في آدم وآمنوا وأجمعوا أيضا على تحقيق الأولى التي للاستفهام، واختلفوا في الثانية فقرأ الكوفيون بتحقيقها والباقون بالتسهيل، ولم يدخل أحد بينهما ألفا وكذلك لم يبدل أحد ممن روى إبدال الثانية عن الأزرق عن ورش في نحو أأنذرتهم بل اتفقوا على التسهيل وورش على أصله من المد والتوسط والقصر لأنه مما." <غيث النفع في القراءات السبع؟ أبو الحسن الصفاقسي ص/٥٣٢>
"ما أنشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هى أن تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتفرقوا من مجمعكم عنده فالقيام على حقيقته بمعنى القيام على الرجلين ضد الجلوس ويجوز ان يكون بمعنى القيام بالأمر والاهتمام بطلب الحق لله لاجله تعالى ورضاه لا للمراء والرياء والتقليد حال كونكم متفرقين مثنى اثنين اثنين وفرادى واحدا واحدا قال الراغب الفرد الذي لا يختلط به غيره فهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى انتهى وفى المختار الفرد الوتر وجمعه افراد وفرادى بالضم على غير القياس كأنه جمع فردان ثم تتفكروا التفكر طلب المعنى بالقلب: يعنى [تفكر جست وجوى دلست در طلب معنى] اى تتفكروا فى امره صلى الله عليه وسلم فتعلموا ما نافية بصاحبكم المراد الرسول عليه السلام من جنة اى جنون يحمله على

دعوى النبوة العامة كما ظننتم وفائدة التقييد بالاثنين والفرادى ان الاثنين إذا التجئا الى الله تعالى وبحثا طلبا للحق مع الانصاف هديا اليه وكذا الواحد إذا تفكر فى نفسه مجردا عن الهوى بخلاف كثرة الجمع فانه يقل فيها الانصاف غالبا ويكثر الخلاف ويثور غبار الغضب ولا يسمع الا نصرة المذهب. وفى تقديم مثنى إيذان بانه أوفق واقرب من الاطمئنان فان الاثنين إذا قعدا بطريق المشاورة فى شأن الرسول عليه السلام وصحة نبوته من غير هوى وعصبية وعرض كل منهما محصول فكره على الآخر ادى النظر الصحيح الى التصديق ويحصل العلم على العلم وفى الفتوحات المكية قدس الله سر صاحبها الواحدة ان يقوم الواعظ من أجل الله اما غيرة واما تعظيما وقوله (مثنى) اى بالله ورسوله فانه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله لا عن هوى نفس ولا تعظيم كونى ولا غيرة نفسية وقوله (وفرادى) اى بالله خاصة او برسوله خاصة انتهى هذا إذا علقت (ما بصاحبكم) بمحذوف كما قدر فلا يوقف إذا على تتفكروا ويجوز ان يكون **الوقف تاما** عند تتفكروا على معنى ثم تتفكروا فى امره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته فقوله (ما بصاحبكم من جنة) استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لا دعائه الا مجنون لا يبالى بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وإذ قد علمتم انه عليه السلام أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا وانزههم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه فى دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال أن ما هو صاحبكم إلا نذير لكم مخوف لكم بلسان ينطق بالحق بين يدي عذاب شديد اى قدام عذاب الآخرة ان عصيتموه لانه مبعوث فى نسم الساعة اى أولها وقربها وذلك لان النسم النفس ومن قرب منك يصل إليك نفسه وفى التأويلات النجمية (بين يدي عذاب شديد) فى الدنيا والآخرة لينجيكم منه والعذاب الشديد الجهل والنكرة والجحود والإنكار والطرد واللعن من الله تعالى وفى الآخرة الحسرة والندامة والخجلة عند السؤال وفى بعض الاخبار انه عذاب من يسألهم الحق فيقع عليهم من الخجل." <روح البيان؟ إسماعيل حقي ٣٠٧/٧>

"الكعبة اضمحل عندى كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت وأحرمت وها انا أطلبك يومى فالتفت الى ابراهيم وقال يا حامد انظر الى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه الى الإسلام ثم صحبنا حتى مات بين الفقراء ومن الله الهداية والتوفيق هو اى الله تعالى وحده الذي أرسل رسوله يعنى ان الله تعالى بجلال ذاته وعلو شانه اختص بإرسال رسوله الذي لا رسول أحق منه بإضافته اليه بالهدى اى كونه ملتبسا بالتوحيد وهو شهادة ان لا اله الا الله فيكون الجار متعلقا بمحذوف او بسببه ولا جله فيكون متعلقا بأرسل ودين الحق

اى وبدين الإسلام وهو من قبيل اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق والأصل الدين الحق والعذاب المحرق ومعنى الحق الثابت الذي هو ناسخ الأديان ومبطلها ليظهره على الدين كله اللام في الدين للجنس اى ليعلى الدين الحق ويغلبه على جنس الدين بجميع افراده التي هى الأديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الأديان ولقد أنجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام ولا يبقى الا مسلم او ذمة للمسلمين وكم ترى من فتوح اكثر البلاد وقهر الملوك الشداد ما تعرف به قدرة الله تعالى وفي الآية فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه سيفتح لهم من البلاد ويعطيهم من الغلبة على الا قاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وقد أنجز كما أشير اليه آنفا واعلم ان قوله ليظهر اثبات السبب الموجب للارسال فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا لان افعال الله تعالى ليست بمعللة بالأغراض عند الاشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له وكفى بالله اى الذين له الإحاطة بجميع صفات الكمال شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام بإظهار المعجزات وان لم يشهد الكفار وعن ابن عباس رضى الله عنهما شهد له بالرسالة وهو قوله محمد رسول الله فمحمد مبتدأ ورسول الله خبره وهو **وقف تام** والجملة مبينة للمشهود به وقيل محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله رسول الله بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله قال في تلقيح الأذهان اعلم الله سبحانه محمدا عليه السلام أنه خلق الموجودات كلها من أجل أي من أجل ظهوره أي من أجل تجليه به حتى قال ليس شيء بين السماء والأرض الا يعلم إني رسول الله غير يا بني الإنس والجن وقال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره لما تجلى الله وحد جميع الأرواح فوجد أولا روح نبينا صلى الله عليه وسلم ثم سائر الأرواح فلفن التوحيد فقال لا إله إلا الله فكرمه الله بقوله محمد رسول الله فأعطى الرسالة في ذلك الوقت ولدا قال عليه السلام كنت نبيا وآدم بين داء الطين انتهى ومعنى الحديث انه كان نبيا بالفعل عالما بنبوة وغيره من الأنبياء ما كان نبيا به الفعل ولا عالما بنبوته الا حين بعث بعد وجوده ببدنه العنصري واستكمال شرائط النبوة فكل من بدا بعد وجود المصطفى عليه السلام فهم نوابه وخلفاؤه مقدمين." <روح البيان؟ إسماعيل حقي ٥٥/٩>

"أموالها، وفرقوا شمل أهلها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي: أهانوا أشرافها، وحطوا مراتبهم، فصاروا عند ذلك أذلة وإنما يفعلون ذلك لأجل أن يتم لهم الملك، وتستحكم لهم الوطأة وتتقرر لهم في قلوبهم المهابة.

قال الزجاج: أي: إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة، والمقصود من قولها هذا، تحذير قومها من مسير سليمان

إليهم ودخوله بلادهم، وقد صدقها الله سبحانه فيما قالت فقال سبحانه: وكذلك يفعلون أي: مثل ذلك الفعل يفعلون. قال ابن الأنباري: الوقف على قوله: وجعلوا أعزة أهلها أذلة **وقف تام**، فقال الله عز وجل تحقيقا لقولها: وكذلك يفعلون وقيل: هذه الجملة من تمام كلامها، فتكون من جملة مقول قولها، وعلى القول الأول تكون هذه الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة، وبينت لهم ما في دخول الملوك إلى أرضهم من المفسدة، أوضحت لهم وجه الرأي عندها، وصرحت لهم بصوابه فقالت: وإني مرسلة إليهم بهدية أي: إني أجرب هذا الرجل بإرسال رسلي إليه بهدية مشتملة على نفائس الأموال، فإن كان ملكا أرضيناه بذلك، وكفينا أمره، وإن كان نبيا لم يرضه ذلك، لأن غاية مطلبه ومنتهى أربه هو الدعاء إلى الدين، فلا ينجينا منه إلا إجابته ومتابعته والتدين بدينه وسلوك طريقته، ولهذا قالت:

فناظرة بم يرجع المرسلون الفاء للعطف على مرسلة، وبم: متعلق بيرجع، والمعنى: إني ناظرة فيما يرجع به رسلي المرسلون بالهدية، من قبول أو رد فعاملة بما يقتضيه ذلك، وقد طول المفسرون في ذكر هذه الهدية، وسيأتي في آخر البحث بين ما هو أقرب ما قيل إلى الصواب والصحة فلما جاء سليمان أي:

فلما جاء رسولها المرسل بالهدية سليمان، والمراد بهذا المضمر الجنس، فلا ينافي كونهم جماعة كما يدل عليه قولها: «بم يرجع المرسلون» وقرأ عبد الله «فلما جاءوا سليمان» أي: الرسل، وجملة قال أتمدونن بمال مستأنفة، جواب سؤال مقدر، والاستفهام للإنكار، أي: قال منكرا لإمدادهم له بالمال، مع علو سلطانه، وكثرة ماله. وقرأ حمزة بإدغام نون الإعراب في نون الوقاية، والباقون بنونين من غير إدغام، وأما الياء فإن نافعا وأبا عمرو وحمزة يثبتونها وصلا، ويحذفونها وقفا، وابن كثير يثبتها في الحالين، والباقون يحذفونها في الحالين. وروي عن نافع أنه يقرأ بنون واحدة فما آتاني الله خير مما آتاكم أي: ما آتاني من النبوة، والملك العظيم، والأموال الكثيرة خير مما آتاكم من المال الذي هذه الهدية من جملته. قرأ أبو عمرو ونافع وحفص «آتاني الله» بياء مفتوحة، وقرأ يعقوب بإثباتها في الوقف، وحذفها في الوصل، وقرأ الباقون بغير ياء في الوصل والوقف. ثم إنه أضرب عن الإنكار المتقدم فقال: بل أنتم بهديتكم تفرحون توبيخا لهم بفرحهم بهذه الهدية فرح فخر وخيلاء، وأما أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي، لأن الله سبحانه قد أعطاني منها، ما لم يعطه أحدا من العالمين، ومع ذلك أكرمني بالنبوة. والمراد بهذا الإضراب من سليمان بيان السبب الحامل لهم على الهدية مع الإزراء بهم، والحط عليهم ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها أي:

قال سليمان للرسول: ارجع إليهم: أي: إلى بلقيس وقومها، وخاطب المفرد هاهنا بعد خطابه للجماعة فيما قبل، إما لأن الذي سيرجع هو الرسول فقط، أو خص أمير الرسل بالخطاب هنا، وخاطبهم معه فيما سبق

افتنانا في الكلام. وقرأ عبد الله بن عباس «ارجعوا» وقيل: إن الضمير يرجع إلى الهدهد، واللام في." <فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٤/١٥٩>

"وغير هما عن أنس قال: لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية. قال: «لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي مما على الأرض، ثم قرأها عليهم. فقالوا: هنيئا مريئا يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا. فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار حتى بلغ فوزا عظيما» .

[سورة الفتح (٤٨) : الآيات ٨ الى ١٥]

إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٨) لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا (٩) إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (١٠) سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا (١٢)

ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (١٣) ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (١٤) سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا (١٥)

قوله: إنا أرسلناك شاهدا أي: على أمتك بتبليغ الرسالة إليهم ومبشرا بالجنة للمطيعين ونذيرا لأهل المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله قرأ الجمهور: لتؤمنوا بالفوقية. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتحتية، فعلى القراءة الأولى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته، وعلى القراءة الثانية المراد المبشرين والمنذرين، وانتصاب شاهدا ومبشرا ونذيرا على الحال المقدرة وتعزروه وتوقروه وتسبحوه الخلاف بين القراء في هذه الثلاثة الأفعال كالخلاف في لتؤمنوا كما سلف، ومعنى تعزروه: تعظموه وتفخموه قال الحسن والكلبي، والعزيز: التعظيم والتوقير. وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه. وقال عكرمة: تقاتلون معه بالسيف، ومعنى توقروه: تعظموه. وقال السدي: تسودوه، وقيل: والضميران في الفعلين للنبي صلى الله عليه وسلم، وهنا **وقف تام**، ثم يبتدئ وتسبحوه، أي: تسبحوا الله عز وجل بكرة وأصيلا أي: غدوة وعشية، وقيل: الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة لله عز وجل، فيكون

معنى تعزروه وتوقروه: تثبتون له التوحيد وتنفون عنه الشركاء، وقيل: تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله. وفي التسبيح وجهان، أحد هما التنزيه له سبحانه من كل قبيح، والثاني الصلاة إن الذين يبايعونك يعني بيعة الرضوان بالحديبية، فإنهم بايعوا تحت الشجرة على قتال قريش إنما يبايعون الله أخبر سبحانه أن هذه البيعة لرسوله صلى الله عليه وسلم هي بيعة له،." <فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٥/٥٦>

"لجميع أجزاء الأرض أي لا تحسبنهم معجزين الله تعالى عن إدراكهم بالإهلاك في قطر من أقطار الأرض وإن هربوا كل مهرب.

وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على الغيبة، والفاعل ضمير يعود على ما دل عليه شأن الكلام، أي لا يحسبن حاسب إلخ فإنهم مدركون ومأواهم النار في الآخرة ولبئس المصير (٥٧) أي والله لبئس المرجع هي، يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أي العبيد الصغار في الدخول.

وعن ابن عباس ليس للكبير من المماليك أن ينظر إلا إلى ما يجوز للحر أن ينظر إليه.

وقال ابن المسيب: لا ينبغي للمرأة أن ينظر عبدها إلى قرطها. وشعرها. وشيء من محاسنها وقال الآخرون: بل للبالغ من المماليك أن ينظر إلى شعر مالكته وما شابهه والذين لم يبلغوا الحلم منكم أي من الأحرار، وهم الصبيان الذين حكوا عورات النساء وميزوا بين الجميلة وغيرها، وظاهر الآية أمر المماليك والأطفال الأحرار بالاستئذان، وفي الحقيقة أمر الأولياء بتأديبهم فإن المقصود أمر المؤمنين بأن يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم في هذه الأوقات الثلاث من غير إذن لو كان المقصود أمرهم للزم تكليفهم ولما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه ثلاث مرات أي ثلاثة أوقات في اليوم والليلة، فيكفيهم أن يستأذنوا في كل واحد من هذه الأوقات مرة واحدة فثلاث مرات منصوب على الظرف الزماني أو على المصدرية، أي ثلاثة استئذانات، ثم بين الأوقات فقال: من قبل صلاة الفجر لأنه وقت للقيام من المضاجع وطرح ثياب النوم، ولبس ثياب اليقظة، وهذا في محل نصب على أنه بدل من ثلاث مرات، أو في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي أحدها من قبل إلخ. وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة أي وحين تخلعون ثيابكم التي تلبسونها بين الناس، لأجل القيلولة- وهي شدة الحر عند انتصاف النهار- ف «من» بيان ل «حين» ، أو تعليل ل «تضعون» ، أي من أجل حر وقت الاستواء ومن بعد صلاة العشاء، لأنه وقت التجرد عن ثياب اليقظة والالتحاف باللحاف ثلاث عورات لكم بالرفع خبر مبتدأ مقدر و «لكم» صفة، أي هي ثلاثة انكشافات كائنة لكم، أو مبتدأ وخبر أي ثلاث عورات مخصوصة لكم بالاستئذان، وعلى هذا فالوقف على العشاء هو وقف كاف- وقرأ أهل الكوفة بالنصب على البدل من ثلاث مرات وكأنه قيل: في أوقات ثلاث عورات لكم، وعلى هذا فالوقف

على لكم وهو **وقف تام** ليس عليكم في تمكينهم من الدخول عليكم ولا عليهم في ترك الاستئذان في الدخول، جناح أي إثم بعدهن أي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وإنما أباح الله تعالى ذلك في الأوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن لما في العادة أنه لا تكشف العورة فيها طوافون عليكم أي لأنهم يكثرون التردد عليكم بالدخول والخروج للخدمة، فلو كلفتم الاستئذان في كل طوفة لضاق الأمر عليكم بعضكم على بعض أي كما أن." <مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد؟ نووي الجاوي ٢/١٢٠>

"وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو على أنها معطوفة على الضمير في «مبعوثون» .

والباقون بفتحها على أنها همزة الاستفهام دخلت على واو العطف، فالمعنى أو تبعث آباؤنا ويقال أو آباؤنا الأولون مبعوثون أيضا، أي أن القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة ويقولون: من مات وصار ترابا وتفرقت أجزاؤه في العالم كيف يعقل عوده بعينه، وبلغوا هذا الاستبعاد إلى حيث كانوا يستسخرون ممن سلك هذا المذهب الحق. قل لهم تبكيتا: نعم وأنتم داخرون (١٨) أي نعم تبعثون أنتم وآباؤكم الأولون حال كونهم وهم ذليلين حقيرين، فإنما هي زجرة واحدة أي لا تستبعدوا البعث، لأنه إنما هي صيحة واحدة فإذا هم أي الخلائق قائمون من مراقدهم أحياء ينظرون (١٩) أي يبصرون كما كانوا، وينتظرون ما يفعل بهم وقالوا أي الكفار إذا قاموا من القبور: يا ويلنا أي يا هلاكنا احضر، فهذا أوان حضورك. هذا يوم الدين (٢٠) أي هذا اليوم الذي نجازي فيه بأعمالنا

هذا يوم الفصل أي يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين الذي كنتم في الدنيا به أي بهذا اليوم تكذبون (٢١) .

والوقف على «ويلنا» تام إن جعل هذا يوم الدين من كلام الملائكة جوابا لهم، فالمعنى: هذا يوم جزاء الأعمام وإن جعل من كلام الكفار، لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويجزون بأعمالهم، **فالوقف التام** على يوم الدين لأن هذا يوم الفصل إلى آخره من كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ. وقيل: هو من كلام بعضهم لبعض فيقول الله للملائكة: احشروا الذين ظلموا أي رؤساء الكفار من مقامهم إلى الموقف وأزواجهم أي أحزابهم ونظراءهم من الكفرة. وقيل: قرناؤهم من الشياطين. وقيل: نساؤهم اللاتي على دينهم. وما كانوا يعبدون (٢٢) من دون الله أي من غيره من الأصنام ونحوها، فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) أي سوقوهم إلى طريق جهنم وقفوهم أي احبسوهم في الموقف أو على النار، إنهم مسؤلون (٢٤) عن عقائدهم وأعمالهم.

وقيل: المراد سألتهم خزنة النار بنحو قولهم:

ألم يأتكم رسل منكم بالبينات. قالوا: بلى.

وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام العلة، أي قفوهم لأجل سؤال الله إياهم وتقول لهم خزنة جهنم: ما لكم لا

تناصرون (٢٥) أي أي شيء لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا- كما قاله ابن عباس- وذلك لأن أبا جهل قال يوم بدر: نحن جميع منتصر. فيقال لهم يوم القيامة: ما لكم غير متناصرين كما كنتم تزعمون في الدنيا، بل هم اليوم مستسلمون (٢٦) أي منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم في دفع تلك المضار، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٧) أي يتخاصمون. يقول الأتباع: غررتمونا، ويقول الرؤساء: لم قبلتم منا.

قالوا أي الاتباع للرؤساء إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين (٢٨) أي عن القوة والقهر وتقصدوننا عن الغلبة حتى تحملونا على الضلال، أو عن الحلف فإن أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم إليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم. قالوا أي الرؤساء للأتباع:." <مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد؟ نووي الجاوي ٢٩٩/٢>

"ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم فنزلت هذه الآية.

وروي أن سارة عاشت إلى خلافة عمر وأسلمت وحسن إسلامها، وقد كفروا بما جاءكم من الحق أي وحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الدين الحق. وقرئ «لما جاءكم» أي كفروا لأجل ما جاءكم من الرسول والقرآن، أي جعلوا ما هو سبب الإيمان سببا للكفر يخرجون الرسول وإياكم من مكة إلى المدينة، أن تؤمنوا بالله ربكم وهذا تعليل للإخراج أن يخرجوكم لإيمانكم بالله إن كنتم خرجتم من مكة إلى المدينة جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي وهذا مرتبط بلا تتخذوا، أي لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي تسرون إليهم بالمودة، أي بالنصيحة. وهذه الجملة بدل من «تلقون إليهم» بدل بعض لأن إلقاء المحبة يكون سرا وجهرا وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم أي والحال إني أعلم منكم بما أخفيتم في صدوركم، وما أظهرتم بألسنتكم، فأي فائدة لكم في إسرار النصيحة وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي؟ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل (١) أي ومن يفعل إسرار النصيحة للكفار فقد أخطأ طريق الصواب، هذا كله معاتبة لحاطب، وهذا يدل على فضله وصدق إيمانه، فإن المعاتبة لا تكون إلا من محب لحبيب كما قال القائل من الوافر:

إذا ذهب العتاد فليس ود ... ويبقى الود ما بقي العتاب

إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء أي إن يغلب عليكم أهل مكة يظهروا ما في قلوبهم من غاية العداوة، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي يمدوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل وألسنتهم بالشتم والطعن وودوا لو تكفرون (٢) ، أي وتمنوا كفركم بعد إيمانكم، فحينئذ لا ينفعكم إلقاء المودة إليهم، لن تنفعكم أرحامكم أي قراباتكم ولا أولادكم الذين تتقربون إلى المشركين لأجلهم، يوم القيامة يفصل بينكم والظرف إن علق ب

«يفصل» فالوقف على «أولادكم» وقف بيان، أو وقف تام عند أبي حاتم، والوقف على «بينكم» وإن علق ب «تنفعكم» فالوقف على «يوم القيامة» وهو وقف صالح. وقرأ ابن عامر «يفصل» بضم وفتح الفاء وتشديد الصاد مع فتحها، ونائب الفاعل ظرف مبني على الفتح وحمزة والكسائي كذلك، إلا أنهما يكسران الصاد، أي يفرق الله بينكم وبين أقاربكم وأولادكم، فيدخل أهل الإيمان الجنة وأهل الكفر النار، وعاصم بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد. والباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وسكون الفاء، وفتح الصاد.
وروي أن ابن كثير قرأ أيضا بالبناء للمفعول كعاصم. وقرئ «نفصل» و «نفصل» بالنون والله بما تعملون بصير (٣) فيجازيكم عليه، ولم يقل تعالى خبير مع أنه أبلغ في العلم، لأن البصير أظهر من خبير في العلم، لأنه تعالى يجعل عملهم كالمحسوس بحس البصر، قد كانت لكم أسوة حسنة أي قدوة حسنة في إبراهيم، أي في جميع أحواله من قول وفعل والذين معه من أصحابه المؤمنين.." <مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد؟ نووي الجاوي ٢/٥١٦<

"إذا طيرته الريح، ولا يسئل حميم حميما (١٠) أي لا يسأل قريب قريبه عن أحواله كيف حالك، ولا يكلمه، لأن لكل أحد ما يشغله عن هذا الكلام، أو لا يسأل حميم عن حميمه ليتعرف شأنه من جهته فلا يقال: لحميم أين حميمك؟
يبصرونهم أي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه.
وقرئ «يبصرونهم» أي يرونهم ولا يعرفونهم اشتغالا بأنفسهم، يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه (١١) وصاحبته وأخيه (١٢) وفصيلته التي تؤويه (١٣) ومن في الأرض جميعا، أي يتمنى المشرك أن يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأولاده وزوجته وأخيه، وأقاربه الأقربين الذين فصل عنهم، وينتهي إليهم التي تضمه في النسب وتحميه في النوائب ومن في الأرض جميعا من الخلائق وقرأ نافع والكسائي «يومئذ» بفتح الميم على البناء لإضافة يوم إلى مبني. والباقون بكسرها على الإعراب على الأصل في الأسماء. وقرئ «من عذاب يومئذ» بتنوين «عذاب» ونصب «يومئذ» ب «عذاب» لأنه في معنى تعذيب، ثم ينجيه (١٤) معطوف على يفتدي، أي يتمنى الكافر أن يفتدي نفسه بهذه الأشياء ثم أن ينجيه ذلك الافتداء، كلا وهذا هنا إما بمعنى حقا، فحينئذ كان الوقف على «ينجيه» وهو وقف تام. وإما بمعنى لا فحينئذ كان الوقف على «كلا» وهو وقف تام، وهذا أولى، ولا يجمع بينهما في الوقف بل الوقف في أحدهما فقط أي لا ينفعه ذلك الافتداء ولا ينجيه من العذاب، إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦) .
وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص، أو على حال مؤكدة، والكناية عائدة على النار لدلالة لفظ العذاب

عليها، وقرأ الباقون بالرفع فتجعل الكناية حرف عماد و «لظى» اسم «إن» و «نزاعة» خبرها، كأنه قيل: إن لظى نزاعة، أو تجعل ضمير القصة وهو اسم إن و «لظى» مبتدأ و «نزاعة» خبرا، والجملة خبر عن «إن» والتقدير: أن القصة لظى نزاعة للشوى أي قلاعة للأعضاء التي في أطراف الجسد، ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا فلا تترك لحما ولا جلدا إلا أحرقته تدعوا من أدبر عن الطاعة وتولى (١٧) عن الإيمان وجمع فأوعى (١٨) أي جمع المال فجعله في وعاء ولم يؤد حقوقه، أي إن النار تدعوهم بلسان الحال أو أن الله تعالى يخلق الكلام في جرم النار حتى تقول

صريحا: إلي يا كافر إلي يا منافق، ثم تلتقطهم الحب فقوله تعالى: أدبر وتولى، إشارة إلى الإعراض عن معرفة الله تعالى وطاعته وقوله: وجمع إشارة إلى الحرص وقوله: فأوعى إشارة إلى طول الأمل وهذه مجامع آفات الدين.

إن الإنسان خلق هلوعا (١٩) أي جبل جبلة هو فيها قلة الصبر وشدة الحرص إذا مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١) ، أي إذا أصابه الفقر والمرض ونحوهما صار جازعا شاكيا،

وإذا أصابه السعة والصحة صار مانع المعروف شحيحا بماله، غير ملتفت إلى الناس، وإنما ذم الله الإنسان على ذلك، لأنه قاصر النظر عن الأحوال الجسمانية العاجلة، فالواجب عليه أن يكون مشغولا بأحوال."

<مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد؟ نووي الجاوي ٥٦٣/٢>

"يعلم سركم وجهركم أي من الأقوال أو الدواعي والصوارف القلبية وأعمال الجوارح، ويعلم ما تكسبون أي: ما تفعلونه من خير أو شر، فيثيب عليه ويعاقب. وتخصيصه بالذكر، مع اندراجه فيما سبق، على التفسير الثاني للسر والجهر- لإظهار كمال الاعتناء به الذي يتعلق به الجزاء. وهو السر في إعادة (يعلم) .

قال الناصر في (الانتصاف) : وما هاتان الآيتان الكريمتان- يعني هذه الآية وآية الزخرف، وهي قوله تعالى: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله [الزخرف: ٨٤]- إلا توأمتان. فإن التمدح في آية الزخرف، وقع بما وقع التمدح به هاهنا من القدرة على الإعادة والاستئثار بعلم الساعة والتواجد في الألوهية، وفي كونه تعالى المعبود في السموات والأرض.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: للمفسرين في هذه الآية أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية، الأول القائلين- تعالى عن قولهم علوا كبيرا- بأنه في كل مكان، حيث حملوا الآية على ذلك. فالأصح من الأقوال أنه المدعو في السموات والأرض، أي: يعبده ويوحده ويقر له بالآلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغبا ورهبا [الأنبياء: ٩٠] . إلا من كفر من الجن والإنس. وهذه الآية- على هذا القول- كقوله تعالى: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله. أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض،

وعلى هذا، فيكون قوله: يعلم سركم وجهركم خبرا أو حالا.

والقول الثاني- إن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر. فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله في السماوات وفي الأرض تقديره:

وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات ... إلخ.

والقول الثالث- إن قوله: وهو الله في السماوات وقف تام، ثم استأنف الخبر فقال: وفي الأرض يعلم سركم وجهركم وهذا اختيار ابن جرير. انتهى.

ورجح ابن عطية في الآية: أنه الذي يقال له الله فيهما. قال: وهذا عندي أفضل الأقوال، وأكثرها إحرازا لفصاحة اللفظ، وجزالة المعنى، وإيضاحه: أنه أراد أن يدل على خلقه، وآيات قدرته، وإحاطته واستيلائه، ونحو هذه الصفات. فجمع هذه كلها في قوله وهو الله- الذي له هذه كلها- في السماوات وفي الأرض كأنه قال: وهو الخالق والرازق والمحيي والمميت فيهما.." <تفسير القاسمي = محاسن التأويل؟ القاسمي ٤/٣١٥>

"تنبيه:

للإمام ابن القيم في مقدمة (زاد المعاد) مقالة في هذه الآية الكريمة، جديرة بأن تؤثر عنه. قال رحمه الله: وبعد. فإن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات. قال تعالى: وربك يخلق ما يشاء ويختار وليس المراد هاهنا بالاختيار، الإرادة التي يشير إليها المتكلمون بأنه الفاعل المختار، وهو سبحانه كذلك. وليس المراد بالاختيار هنا هذا المعنى. وهذا الاختيار داخل في قوله:

يخلق ما يشاء فإنه لا يخلق إلا باختياره. وداخل في قوله تعالى: ما يشاء فإن المشيئة هي الاختيار. وإنما المراد بالاختيار هنا الاجتباء والاصطفاء. فهو اختيار بعد الخلق. والاختيار العام اختيار قبل الخلق. فهو أعم وأسبق. وهذا أخص وهو متأخر.

فهو اختيار من الخلق والأول اختيار للخلق. وأصح القولين أن الوقف التام على قوله:

ويختار ويكون ما كان لهم الخيرة نفيا. أي ليس هذا الاختيار إليهم، بل هو إلى الخالق وحده. فكما أنه هو المتفرد بالخلق، فهو المتفرد بالاختيار منه. فليس لأحد أن يخلق ولا يختار سواه. فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره ومحال رضاه، وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له. وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه. وذهب بعض من لا تحقيق عنده ولا تحصيل، إلى أن (ما) في قوله تعالى: ما كان لهم الخيرة موصولة وهي مفعول (يختار) أي ويختار الذي لهم الخيرة. وهذا باطل من وجوه:

أحدها- أن الصلة حينئذ تخلو من العائد. لأن الخيرة مرفوع بأنه اسم (كان) و (لهم) خبره. فيصير المعنى:

ويختار الذي كان الخيرة لهم. وهذا التركيب محال من القول. فإن قيل: يمكن تصحيحه بأن يكون العائد محذوفا، ويكون التقدير:

ويختار الذي كان لهم الخيرة فيه. أي ويختار الأمر الذي كان لهم الخيرة في اختياره.

قيل: هذا يفسد من وجه آخر. وهو أن هذا ليس من المواضع التي يجوز فيها حذف العائد. فإنه إنما يحذف مجرورا إذا جر بحرف جر الموصول بمثله، مع اتحاد المعنى نحوه قوله تعالى: يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ونظائره. ولا يجوز أن يقال جاءني الذي مررت، ورأيت الذي رغبت، ونحوه.

الثاني- أنه لو أريد هذا المعنى لنصب (الخيرة) وشغل فعل الصلة بضمير يعود على الموصول. فكأنه يقول: ويختار ما كان لهم الخيرة. أي الذي كان هو عين الخيرة لهم. وهذا لم يقرأ به أحد البتة. مع أنه كان وجه الكلام على هذا التقدير.

الثالث- أن الله سبحانه يحكي عن الكفار اقتراحهم في الاختيار وإرادتهم أن." <تفسير القاسمي = محاسن التأويل؟ القاسمي ٧/٥٣٢>

"بحرف الاستثناء، ولو ذكرت الواو لجاز كقوله في سورة الحجر [٤] إلا ولها كتاب معلوم.

وعبر عن الرسل بصفة الإنذار لأنه المناسب للتهديد بالإهلاك.

[٢٠٩]

[سورة الشعراء (٢٦) : آية ٢٠٩]

ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

أي هذه ذكرى، فذكرى في موضع رفع على الخبرية لمبتدأ محذوف دلت عليه قرينة السياق كقوله تعالى في سورة الأحقاف [٣٥] بلاغ أي هذا بلاغ، وفي سورة إبراهيم [٥٢] هذا بلاغ للناس وفي سورة ص [٤٩] هذا ذكر. والمعنى: هذه ذكرى لكم يا معشر قريش. وهذا المعنى هو أحسن الوجوه في موقع قوله: ذكرى وهو قول أبي إسحاق الزجاج والفراء وإن اختلفا في تقدير المحذوف قال ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: ليس في الشعراء **وقف تام** إلا قوله: إلا لها منذرون [الشعراء: ٢٠٨] .

وقد تردد الزمخشري في موقع قوله: ذكرى بوجوه جعلها جميعا على اعتبار قوله: ذكرى تكملة للكلام السابق وهي غير خلية عن تكلف. والذكرى: اسم مصدر ذكر.

وجملة: وما كنا ظالمين يجوز أن تكون معطوفة على ذكرى أي نذكركم ولا نظلم، وأن تكون حالا من الضمير المستتر في ذكرى لأنه كالمصدر يقتضي مسندا إليه، وعلى الوجهين فمفاد وما كنا ظالمين الإعذار لكفار قريش

والإنذار بأنهم سيحل بهم هلاك.
وحذف مفعول ظالمين لقصد تعميمه كقوله تعالى: ولا يظلم ربك أحدا [الكهف: ٤٩] .
[٢١٠- ٢١٢]

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢١٠ إلى ٢١٢]
وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢)
عطف على جملة: وإنه لتنزيل رب العالمين [الشعراء: ١٩٢] وما بينهما اعتراض استدعاه تناسب المعاني وأخذ بعضها بحجز بعض تفننا في الغرض. وهذا رد على." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ١٩٨/١٩>

"قال ابن قدامة في روضة الناظر ما نصه: ولأن في الآية قرائن تدل على أن الله سبحانه متفرد بعلم المتشابه، وأن الوقف الصحيح عند قوله تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله لفظا ومعنى، أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال: ويقولون آمنا به بالواو، أما المعنى فلأنه ذم مبتغي التأويل، ولو كان ذلك للراسخين معلوما لكان مبتغيه ممدوحا لا مذموما ؛ ولأن قولهم آمنا به يدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه سيما إذا تبعوه بقولهم: كل من عند ربنا فذكرهم ربهم هاهنا يعطي الثقة به والتسليم لأمره، وأنه صدر من عنده، كما جاء من عنده المحكم ؛ ولأن لفظة أما لتفصيل الجمل فذكره لها في الذين في قلوبهم زيغ مع وصفه إياهم باتباع المتشابه وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة، وهم الراسخون. ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول في ابتغاء التأويل، وإذ قد ثبت أنه غير معلوم التأويل لأحد فلا يجوز حمله على غير ما ذكرنا. اهـ من «الروضة» بلفظه.
ومما يؤيد أن الواو استئنافية لا عاطفة، دلالة الاستقراء في القرآن أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئا وأثبته لنفسه، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله: قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله [٢٧ \ ٦٥] ، وقوله: لا يجليها لوقتها إلا هو [٧ \ ١٨٧] ، وقوله: كل شيء هالك إلا وجهه [٢٨ \ ٨٨] ، فالمطابق لذلك أن يكون قوله: وما يعلم تأويله إلا الله، معناه: أنه لا يعلمه إلا هو وحده كما قاله الخطابي وقال: لو كانت الواو في قوله: والراسخون في العلم للنسق، لم يكن لقوله: كل من عند ربنا فائدة: والقول بأن **الوقف تام** على قوله: إلا الله، وأن قوله: والراسخون ابتداء كلام هو قول جمهور العلماء للأدلة القرآنية التي ذكرنا.
وممن قال بذلك عمر، وابن عباس، وعائشة، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وابن مسعود، وأبي بن كعب، نقله عنهم القرطبي وغيره، ونقله ابن جرير عن يونس، عن أشهب، عن مالك بن أنس، وهو مذهب

الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد.

وقال أبو نهيك الأسدي: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم: آمنا به كل من عند ربنا، والقول بأن الواو عاطفة مروي." <أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ١٩٢/١<

"الوجه الثالث: وهو اختيار ابن جرير، أن **الوقف تام** على قوله في: السماوات، وقوله: وفي الأرض يتعلق بما بعده، أي يعلم سركم وجهركم في الأرض، ومعنى هذا القول: أنه جل وعلا مستو على عرشه فوق جميع خلقه، مع أنه يعلم سر أهل الأرض وجهرهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

ويبين هذا القول، ويشهد له قوله تعالى: أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا الآية [٦٧ \ ١٦، ١٧] ، وقوله: الرحمن على العرش استوى [٢٠ \ ٥] ، مع قوله: وهو معكم أين ما كنتم [٥٧ \ ٤] ، وقوله: فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين [٧ \ ٧] ، وسيأتي إن شاء الله تحقيق هذا المقام بإيضاح في سورة «الأعراف» ، واعلم أن ما يزعمه الجهمية من أن الله تعالى في كل مكان، مستدلين بهذه الآية على أنه في الأرض، ضلال مبين، وجهل بالله تعالى ؛ لأن جميع الأمكنة الموجودة أحقر وأصغر من أن يحل في شيء منها رب السماوات والأرض، الذي هو أعظم من كل شيء، وأعلى من كل شيء، محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، فالسماوات والأرض في يده - جل وعلا - أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى، فلو كانت حبة خردل في يد رجل فهل يمكن أن يقال: إنه حال فيها، أو في كل جزء من أجزائها، لا وكلا، هي أصغر وأحقر من ذلك، فإذا علمت ذلك، فاعلم أن رب السماوات والأرض أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، ولا يكون فوقه شيء: لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين [٣٤ \ ٣] ، سبحانه وتعالى علوا كبيرا لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما [٢٠ \ ١١٠] .

قوله تعالى: ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين، ذكر في هذه الآية الكريمة: أن الكفار لو نزل الله عليهم كتابا مكتوبا في قرطاس، أي صحيفة، إجابة لما اقترحوه، كما قال تعالى عنهم: ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه الآية [١٧ \ ٩٣] ، فعاينوا ذلك الكتاب المنزل، ولمسته أيديهم، لعاندوا، وادعوا أن ذلك من أجل أنه سحرهم، وهذا العناد واللجاج العظيم والمكابرة

الذي هو شأن الكفار بينه تعالى في آيات كثيرة كقوله:." <أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ١/٤٧١>

"وقوله: فما له من قوة ولا ناصر [٨٦ \ ١٠] ، والآيات بمثل هذا كثيرة جدا. وقوله: هنالك، قال بعض العلماء: هو متعلق بما بعده، **والوقف تام** على قوله: وما كان منتصرا، وقال بعضهم: هو متعلق بما قبله، فعلى القول الأول فالظرف الذي هو «هنالك» عامله ما بعده، أي: الولاية كائنة لله هنالك. وعلى الثاني فالعامل في الظرف اسم الفاعل الذي هو «منتصرا» أي: لم يكن انتصاره واقعا هنالك. وقوله: هو خير ثوابا، أي: جزاء كما تقدم، وقوله «عقبا» أي: عاقبة ومآلا، وقرأه السبعة ما عدا عاصما وحمزة «عقبا» بضمتين. وقراءة عاصم وحمزة «عقبا» بضم العين وسكون القاف والمعنى واحد. وقوله «ثوابا» وقوله «عقبا» كلاهما منصوب على التمييز بعد صيغة التفضيل التي هي «خير» كما قال في الخلاصة:

والفاعل المعنى انصبن بأفعلا ... مفضلا كأنت أعلى منزلا

ولفظة خير وشر كلتاهما تأتي صيغة تفضيل حذفت منها الهمزة تخفيفا لكثرة الاستعمال، قال ابن مالك في الكافية:

وغالبا أغناهم خير وشر ... عن قولهم أخر منه وأشر

تنبيه

قوله في هذه الآية الكريمة: فئة محذوف منه حرف بلا خلاف، إلا أن العلماء اختلفوا في الحرف المحذوف. هل هو ياء أو واو، وهل هو العين أو اللام؟ قال بعضهم: المحذوف العين، وأصله ياء. وأصل المادة ف ي أ، من فاء يفيء: إذا رجع ؛ لأن فئة الرجل طائفته التي يرجع إليها في أموره، وعلى هذا فالتاء عوض عن العين المحذوفة، ووزنه بالميزان الصرفي «فلة» وقال بعضهم: المحذوف اللام، وأصله واو، من فأوت رأسه: إذا شققته نصفين، وعليه فالفئة الفرقة من الناس. وعلى هذا فوزنه بالميزان الصرفي «فعة» والتاء عوض عن اللام، وكلا القولين نصره بعض أهل العلم، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، وأن الباقيات الصالحات خير عند الله ثوابا وخير أملا.

والمراد من الآية الكريمة تنبيه الناس للعمل الصالح ؛ لئلا يشتغلوا بزينة الحياة الدنيا." <أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٢٨٠>

"أمر، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر» ، والله الموفق للصواب.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١١٣ الى ١١٥]

ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (١١٣) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين (١١٤) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين (١١٥)

اللغة:

(الآناء) الساعات، واحدها أنى بفتح الهمزة والنون، بوزن عصا، أو إنى بكسر الهمزة وفتح النون بوزن معى، أو أني بفتح الهمزة وسكون النون بوزن ظبي، أو إني بكسر الهمزة وسكون النون بوزن حمل.

الإعراب:

(ليسوا سواء) كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت بين أهل الكتاب، وليس واسمها وخبرها، **والوقف تام** على سواء (من أهل الكتاب أمة قائمة) الجملة مستأنفة أيضا مسوقة لبيان ما أجمله، ولتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن عبيد." <إعراب القرآن وبيانه؟ محيي الدين درويش ٢/٣٠>

"الفاء الفصيحة والسين حرف استقبال وتذكرون فعل مضارع والواو فاعل وما مفعول به وجملة أقول صلة ولكم متعلقان بأقول وأفوض عطف وأمري مفعول به والى الله متعلقان بأفوض أي إذا نزل بكم العذاب. (إن الله بصير بالعباد) إن واسمها وبصير خبرها وبالعباد جار ومجرور متعلقان ببصير. (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي لما توعدوه بالقتل وقصدوه به فعلا هرب منهم ولاذ بالمغاور وشعاب الجبال فطلبوه فلم يقدروا عليه فوقاه الله. ووقاه الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وسيئات مفعول به ثان أو نصب بنزع الخافض وما مصدرية أو موصولة أي سيئات مكرهم به أو سيئات الذي مكروا به وحاق فعل ماض وبآل فرعون متعلقان بحاق وسوء العذاب فاعل. (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) النار خبر مبتدأ محذوف أي هو أي سوء العذاب ويجوز أن تعرب

بدلا من سوء العذاب ويجوز أن تعرب مبتدأ وجملة يعرضون خبر وعلى الوجهين الأولين تعرب جملة يعرضون حالا وقرىء النار بالنصب على الاختصاص بفعل محذوف وعليها متعلقان بيعرضون وغدوا وعشيا ظرفان متعلقان بيعرضون أيضا.

(ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) الظرف متعلق بقول محذوف أي يقال لهم يوم تقوم الساعة وجملة أدخلوا مقول القول ويجوز أن يتعلق بأدخلوا أي ادخلوا يوم تقوم الساعة وعلى هذين الوجهين يكون **الوقف تاما** على قوله وعشيا ويجوز أن يكون معطوفا على الظرفين قبله فيكون متعلقا بيعرضون والوقف."

<إعراب القرآن وبيانه؟ محيي الدين درويش ٨/٤٩٣>

"السفهاء

، سيجعل الله بعد عسر يسرا.

ومفعول المحذوف نحو: وعد الله، سنة الله.

والشرط، نحو: من يشأ الله يضلله.

مقدار، نحو: أتريدون أن تهدوا، وتريدون عرض الدنيا.

والنفى نحو: ما كان لهم الخيرة، وإن يريدون إلا فرارا حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق.

والجائز: ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبين من الطرفين، نحو: وما أنزل من قبلك، فإن واو العطف تقتضى الوصل، وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم، فإن التقدير: ويوقنون بالآخرة.

والمجوز لوجه: نحو: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة لأن الفاء فى قوله: فلا يخفف عنهم تقتضى التسبب والجزاء، وذلك يوجب الوصل، وكون لفظ الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجها.

والمرخص ضرورة: ما لا يستغنى ما بعده عما قبله، ولكنه يرخص لانقطاع النفس وطول الكلام، ولا يلزمه الوصل بالعود، لأن ما بعده جملة مفهومة.

كقوله: والسماء بناء لأن قوله: وأنزل لا يستغنى عن سياق الكلام، فإن فاعله ضمير يعود إلى ما قبله، غير أن الجملة مفهومة.

وأما ما لا يجوز، الوقف عليه: فكالشرط دون جزائه، والمبتدأ دون خبره ونحو ذلك.

وقيل: الوقف فى التنزيل على ثمانية أضرب: تام، وشبيه به، وناقص، وشبيه به، وحسن، وقبيح، وشبيه به.

وقيل: الوقف ينقسم إلى اختيارى واضطرارى، لأن الكلام إما أن يتم، أو لا، فإن تم كان اختياريا وكونه تاما لا يخلو إما ألا يكون له تعلق بما بعده، البتة، أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فالوقف المسمى

بالتام لتمامه المطلق يوقف عليه، ويبدأ بما بعده، ثم مثله بما تقدم فى التام.
وقد يكون **الوقف تاما** فى تفسير وإعراب وقراءة، **غير تام** على آخر، نحو: وما يعلم تأويله إلا الله تام، إن كان ما بعده مستأنفا، **غير تام** إن كان معطوفا، ونحو فواتح السور، الوقف عليها تام، إن أعربت مبتدأ والخبر محذوف، أو عكسه.." <الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٢/٩٨>
"٦٤ فواصل الآى
الفاصلة: كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع.
وقيل: كلمة آخر الجملة.
وقيل: الفواصل حروف متشابكة فى المقاطع يقع بها إفهام المعانى.
وثمة فرق بين الفواصل ورءوس الآى، فالفاصلة هى الكلام المنفصل عما بعده.
والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس.
وكذلك الفواصل يكون رءوس آية وغيرها.
وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية.
ولمعرفة الفواصل طريقان: توقيفى، وقياسى:
أما التوقيفى: فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف **الوقف التام**، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.
وأما القياسى: فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور فى ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل.
والوقف على كل كلمة كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز.
وفاصلة الآية كقرينة السجعة فى النثر وقافية البيت فى الشعر.." <الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٢/٢٧٥>
"هذا فى علم القراءات، وهو عند النحويين: النطق بالحركة بصوت خفى.
(٢٨) السكت: قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس، وهو مقيد بالسماع والنقل، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته.
(٢٩) الفتح: فتح الفم بلفظ الحرف، وهو فيما بعده «ألف» أظهر، ويقال له: التفخيم والنصب، وهو لغة

أهل الحجاز.

(٣٠) الفتح الشديد: نهاية فتح الفم بلفظ الحرف، ويسمى: التفخيم المحض، وهو فى لفظ العجم لا سيما أهل خراسان، وهو معدوم فى لغة العرب، ولا يجوز فى القرآن.

(٣١) الفتح المتوسط: وهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، ويقال له: الترقيق.

(٣٢) القصر: ترك زيادة مط حرف المد وإيفاء المد الطبيعي على حاله.

(٣٣) القصر المحض: حذف المد العرضي وإيفاء ذات حرف المد على ما فيها من غير زيادة.

(٣٤) القطع: إنهاء القراءة والانتقال منها إلى حال أخرى، وهو ما يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية، لأن رؤوس الآي فى نفسها مقاطع.

(٣٥) القلب: تحويل الحرف إلى غيره.

(٣٦) المد: زيادة مط الحرف على المد الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه.

(٣٧) النصب (ظ: الفتح) .

(٣٨) النقل: نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وقفا.

(٣٩) الوقف: قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة، إما بما يلى الحرف الموقوف عليه، وإما بما قبله.

ويأتى فى رؤوس الآي، وأوساطها، ولا يأتى فى وسط كلمة ولا فيما اتصل رسما.

(٤٠) الوقف الاختياري: الذي يكون عند تمام الكلام.

(٤١) **الوقف التام**: الذي يكون عند تمام الكلام ولا تعلق له بما بعده البتة، أي لا من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى، فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده.

وأكثر ما يكون فى رؤوس الآي وانقضاء القصص.

(٤٢) الوقف الحسن: الذي يكون عند تمام الكلام وله تعلق بما بعده من جهة اللفظ، وسمى كذلك، لأنه فى نفسه حسن مفيد، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظي، إلا أن يكون رأس آية، فإنه يجوز فى اختيار أكثر أهل الأداء.." <الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٥/٢٧>

"«من يطع الله ورسوله فقد رشد، ثم قف ثم ابدأ وقل: ومن يعصهما فقد غوى».

فهذا الخبر يدل دلالة واضحة على أهمية الوقف والابتداء، لصحة المعنى إذ لا يجمع بين من أطاع، ومن عصى في حكم واحد. وإذا كان عدم معرفة الوقف والابتداء مستقبحا في سائر الكلام فهو في كلام الله تعالى أشد

قبحا، وتجنبه أولى.

والوقف ينقسم أربعة أقسام وهي:

١ - التام:

هو ما تم معناه، ولم يتعلق بما بعده لا لفظا ولا معنى مثل قوله تعالى:

أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (سورة البقرة الآية ٥). وأكثر ما يكون الوقف التام في نهاية القصص، وخواتيم السور، وحكمه:

حسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده.

٢ - الكافي:

هو ما تم من جهة اللفظ وتعلق بما بعده من جهة المعنى، مثل قوله تعالى:

أم لم تنذرهم لا يؤمنون (سورة البقرة الآية ٦) وحكمه حسن الوقف عليه، والابتداء، بما بعده.

٣ - الحسن:

هو ما تم في ذاته وتعلق بما بعده لفظا ومعنى مثل: «الحمد لله» وحكمه: جواز الوقف عليه، ثم يحسن وصله بما بعده، إلا إذا كان رأس آية، فإنه يسن الوقف على رءوس الآي.

٤ - القبيح:

هو ما لم يتم معناه لتعلقه بما بعده لفظا ومعنى. مثل الوقف على: «إله» من قوله تعالى:

وما من إله إلا الله (سورة آل عمران الآية ٦٢). وحكمه: قبح الوقف عليه إلا لضرورة، فإذا وقف عليه القارئ لضرورة كانقطاع نفس، أو عطاس، فإنه يجب وصله بما بعده.

(والله أعلم)." <الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر؟ محمد سالم محيسن ١/١١٤>

"ثم بين- سبحانه- الحكمة من إرساله صلى الله عليه وسلم فقال: لتؤمنوا بالله ورسوله، وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا.

وقوله: وتعزروه من التعزير بمعنى النصرة مع التعظيم والتفخيم.

وقوله: وتوقروه أى: تعظموه وتقدروه.

وقوله: وتسبحوه من التسبيح بمعنى التنزيه. تقول: سبحت الله- تعالى-، أى:
نزهته عما لا يليق به، وبكرة أول النهار، وأصيلا آخره، والمراد ظاهرهما، أو جميع أوقات النهار، كما يقال: شرقا وغربا لجميع الجهات.

والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولأمته، كقوله- تعالى-: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ... والقراءة بتاء الخطاب، هي قراءة الجمهور من القراء.

قال الآلوسى: وهو من باب التغليب، غلب فيه المخاطب على الغائب فيفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بالإيمان برسالته كأمته.. «١» .

أى: أرسلناك- أيها الرسول الكريم- شاهدا ومبشرا ونذيرا، لتكون على رأس المؤمنين بما أرسلناك به، وليتبعك في ذلك أصحابك ومن سيأتى بعدهم، بأن يؤمنوا بالله ورسوله إيمانا حقا، ولينصروك ويعظموك، وليسبحوا الله- تعالى- في الصباح والمساء. وعلى هذا يكون الضمير في قوله- تعالى-: وتعزروه وتوقروه يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وفي قوله وتسبحوه يعود إلى الله- تعالى-.

قال القرطبي ما ملخصه: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا وكذلك يعزروه ويوقروه ويسبحوه كله بالياء على الخبر..

وقرأ الباقون بالتاء في الخطاب ... والهاء في قوله: وتعزروه وتوقروه للنبي صلى الله عليه وسلم وهنا **وقف تام**.
ثم تبتدئ بقوله: وتسبحوه أى: تسبحوا الله بكرة وأصيلا.

وقيل: الضمائر كلها لله- تعالى- فعلى هذا يكون تأويل: تعزروه وتوقروه أى:
تثبتوا له صحة الربوبية، وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك.. «٢» .

ثم مدح- سبحانه- الذين عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ووفوا بعهودهم أكمل وفاء، فقال: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله..

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٢٦ ص ٩٥.

(٢) راجع تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٦٦.." <التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي <١٣/٢٦٥

"وصدق الله إذ يقول: واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس، فآواكم وأيدكم بنصره، ورزقكم من الطيبات. لعلكم تشكرون «١» .

قال صاحب الكشاف: «وهذا مثل ضربه الله- تعالى- لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده، ثم قواه الله- تعالى- بمن معه. كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها، حتى يعجب الزراع» «٢» .

وعلى هذا التفسير الذي سرنا عليه يكون وصفهم في التوراة، هو المعبر عنه بقوله- تعالى-: أشداء على الكفار رحماء بينهم.. ويكون وصفهم في الإنجيل هو المعبر عنه بقوله- سبحانه-: كزرع أخرج شطأه....

ولا شك أن هذه الأوصاف كانت موجودة في الكتابين قبل أن يحرفا ويبدلا، بل بعض هذه الأوصاف موجودة في الكتابين، حتى بعد تحريفهما.

فقد أخرج بن جرير وعبد بن حميد عن قتادة قال: «مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..» «٣» .

ويرى بعض المفسرين أن المذكور في التوراة والإنجيل شيء واحد، وهو الوصف المذكور إلى نهاية قوله: ومثلهم في الإنجيل وعلى هذا الرأى يكون **الوقف تاما** على هذه الجملة، وما بعدها وهو قوله: كزرع أخرج شطأه.. كلام مستأنف.

قال القرطبي: «قوله- تعالى-: ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل.. قال الفراء: فيه وجهان: إن شئت قلت: المعنى: ذلك مثلهم في التوراة وفي الإنجيل أيضا، كمثلهم في القرآن، فيكون الوقف على «الإنجيل» .

وإن شئت قلت: تمام الكلام: ذلك مثلهم في التوراة. ثم ابتدأ فقال: ومثلهم في الإنجيل.

وكذا قال ابن عباس وغيره: هما مثلان، أحدهما في التوراة، والآخر في الإنجيل ... » «٤» .

والذي نراه أن ما ذهب إليه ابن عباس من كونهما مثلين، أحدهما مذكور في التوراة والآخر في الإنجيل، هو الرأى الراجح، لأن ظاهر الآية يشهد له.

وفي هذه الصفات ما فيها من رسم صورة مشرقة مضيئة لهؤلاء المؤمنين الصادقين.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٦.

(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٣٤٨.

(٣) راجع تفسير سورة الفتح ص ١٦٠ لفضيلة استأذنا الشيخ أحمد الكومى.

(٤) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٩٤. [.....]." <التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي ٢٨٩/١٣>

"ورحم الله صاحب الكشاف فقد قال: فإن قلت: ما معنى كأنهم خشب مسندة قلت: شبهوا في استنادهم- وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحوائط لأن الخشب إذا انتفع به، كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكا فارغا غير منتفع به، أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع.

ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب، المسندة إلى الحيطان، وشبهوا بها في حسن صورهم، وقلة جدواهم، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يخاطب.. «١» .

فأنت ترى القرآن الكريم وصفهم بتلك الصفة البديعة في التنفير منهم وعدم الاغترار بمظهرهم لأنهم كما قال القائل:

لا تخدعنك اللحى ولا الصور ... تسعة أعشار من ترى بقر

تراهم كالسحاب منتشرا ... وليس فيه لطالب مطر

في شجر السرو منهم شبه ... له رواء وماله ثمر

ثم وصفهم- سبحانه- بعد ذلك بالجبن والخور فقال: يحسبون كل صيحة عليهم....

والصيحة: المرة من الصياح، والمراد بها ما ينذر ويخيف أى: يظنون لجبن قلوبهم ولسوء نواياهم، وخبث نفوسهم- أن كل صوت ينادى به المنادى، لنشدان ضالة، أو انفلات دابة ... إنما هو واقع عليهم ضار بهم مهلك لهم..

قال الآلوسى: قوله: يحسبون كل صيحة عليهم أى: واقعة عليهم، ضارة لهم، لجبنهم وهلعهم.

وقيل: كانوا على وجل من أن ينزل الله- تعالى- فيهم ما يهتك أستارهم، ويبيح دماءهم وأموالهم.

والوقف على «عليهم» الواقع مفعولا ثانيا ل «يحسبون» وهو **وقف تام**.

وقوله- تعالى-: هم العدو استئناف. أى: هم الكاملون في العداوة، والراسخون فيها، فإن أعدى الأعداء، العدو المداجى.

فاحذرهم لكونهم أعدى الأعداء، ولا تغترن بظواهرهم.. «٢» .

---

(١) راجع تفسير الكشاف ج ٤ ص ٥٤٠.

(٢) تفسير الآلوسى ج ٢٨ ص ١١٢.." <التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي ١٤/٤٠٤>

"وما كان هذا الرجل الذي جحد نعم ربه منتصرا لأنه- سبحانه- قد حجب عنه كل وسيلة تؤدى إلى نصره وعونه، بسبب إيثاره الغي على الرشد، والكفر على الإيمان.

فالآية الكريمة تبين بجلاء ووضوح، عجز كل قوة عن نصرة ذلك الرجل المخذول سوى قوة الله- عز وجل-، وعجز ذلك الرجل في نفسه عن رد انتقام الله- تعالى- منه.

وقوله- سبحانه-: هنالك الولاية لله الحق.. تقرير وتأكيد للآية السابقة. ولفظ هنالك ظرف مكان.

وكلمة «الولاية» قرأها الجمهور بفتح الواو، بمعنى الموالاة والصلة والنصرة كما قرأ الجمهور كلمة «الحق» بالجر على أنها نعت للفظ الجلالة.

فيكون المعنى: في ذلك المقام وتلك الحال تكون الولاية- أى الموالاة والصلة- من كل الناس، لله- تعالى- وحده إذ الكافر عند ما يرى العذاب يعترف بوحدانية الله- تعالى- كما قال- سبحانه- فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا «١» .

ويجوز أن يكون المعنى: في ذلك المقام وتلك الحال تكون الولاية أى الموالاة لله- تعالى- وحده، فيوالي المؤمنين برحمته ومغفرته وينصرهم على أعدائهم، كما قال- سبحانه- ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا، وأن الكافرين لا مولى لهم «٢» .

وقرأ حمزة والكسائي: الولاية بكسر الواو، بمعنى الملك والسلطان كما قرأ أبو عمرو والكسائي لفظ الحق بالرفع على أنه نعت للولاية.

فيكون المعنى: في ذلك المقام تكون الولاية الحق، والسلطان الحق، لله رب العالمين، كما قال- سبحانه-: الملك يومئذ الحق للرحمن، وكان يوما على الكافرين عسيرا «٣» .

قال بعض العلماء: وقوله «هنالك» يرى بعضهم أنه متعلق بما بعده، **والوقف تام** على قوله وما كان منتصرا. ويرى آخرون أنه متعلق بما قبله.

فعلى القول الأول يكون الظرف «هنالك» عامله ما بعده أى: الولاية كائنة لله هنالك.

---

(١) سورة غافر الآيتان ٨٤، ٨٥.

(٢) سورة محمد الآية ١١.

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٦.." <التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي ٥٢٣/٨>

"وقال القرطبي: " **والوقف التام** على (ويختار) . وقال علي بن سليمان: هذا وقف التمام ولا يجوز أن تكون (ما) في موضع نصب بـ (يختار) ، لأنها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شيء. قال: وفي هذا رد على القدرية. قال النحاس: التمام: ويختار، أي: ويختار الرسل ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ ، أي: ليس يرسل من اختاروه هم. قال أبو إسحاق: ويجوز أن تكون (ما) في موضع نصب بـ (يختار) ، ويكون المعنى: ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة.

وقال القشيري: الصحيح الأول لإطباقهم على الوقف على قوله: (ويختار) .

وقال المهدوي ـ وهو أشبه بمذهب أهل السنة ـ: و (ما) من قوله:

﴿ما كان لهم الخيرة﴾ نفي عام لجميع الأشياء أن يكون للعبد فيها شيء سوى اكتسابه بقدرة الله عز وجل.

وأجاز الزجاج، وغيره: أن تكون (ما) منصوبة بـ (يختار) ، وأنكر الطبري أن تكون (ما) نافية لئلا يكون المعنى: إنهم لم تكن لهم الخيرة فيما مضى، وهي لهم فيما يستقبل، ولأنه لم يتقدم كلام بنفي.

قال المهدوي: ولا يلزم ذلك، لأن (ما) تنفي الحال والاستقبال كـ (ليس) ، ولذلك عملت عملها ... فـ (ما) على هذا لمن يعقل، وهي بمعنى الذي.

و (الخيرة) رفع بالابتداء، و (لهم) الخبر، والجملة خبر كان وشبهه بقولك: كان زيد أبوه منطلق. وفيه ضعف إذ ليس في الكلام عائد يعود على اسم كان، إلا أن يقدر فيه حذف، فيجوز على بعد " ((١)) .

قال السمين الحلبي: " ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ فيه أوجه:

الأول: أن (ما) نافية، فالوقف على (يختار) .

الثاني: (ما) مصدرية، أي: يختار اختيارهم، والمصدر واقع موقع المفعول به، أي: مختارهم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٥٠٢١ –٥٠٢٢.." <سورة القصص دراسة تحليلية؟ محمد مطني ١/٩٢>

"قال الراغب: " الخير الفاصل المختص بالخير يقال: ناقة خيار وجمل خيار واستخار الله العبد فخار له، أي: طلب منه الخير فأولاه، وخابرت فلانا كذا فخرته. والخيرة الحالة التي تحصل للمتخير والمختار نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس " ((١)) .

٣. ﴿تكن﴾ :

" كنت الكن والكنة والكنان: وقاء كل شيء وستره. والكن البيت أيضا والجمع أكنان، وأكنه وكن الشيء يكنه كنا وكنونا وأكنه وكننه ستره " ((٢)) .

قال الراغب: " الكن ما يحفظ فيه الشيء يقال: كننت الشيء كنا جعلته في كن، وخص كننت بما يستر ببيت أو ثوب وغير ذلك من الأجسام. وأكننت بما يستر في النفس قال تعالى: ﴿أو أكننتم في أنفسكم﴾ ((٣)) " ((٤)) .

القراءات القرآنية

١. ﴿ويختار﴾ :

قال القرطبي: " **الوقف التام** على (ويختار) ((٥)) . وقال علي بن سليمان: هذا **الوقف التام** " ((٦)) .

٢. ﴿تكن﴾ :

وقرأ ابن محيصن بفتح التاء وضم الكاف (تكن) ((٧)) .

٣. ﴿ترجعون﴾ :

قرأ يعقوب بفتح التاء وإسكان الراء وكسر الجيم (ترجعون) ((٨))

القضايا البلاغية

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ص ١٦٥.

(٢) لسان العرب: مادة (كنن) ١٣/ ٣٦٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٥٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٥٠٢١.

(٦) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٤٣.

(٧) البحر المحيط: ٧/١٣٠.

(٨) إتحاف فضلاء البشر: ص ٣٤٣.." <سورة القصص دراسة تحليلية؟ محمد مطني ٢/٢١>

"وكون الكلام يستقيم بدونها لا يعني أنها لا فائدة لها، وإنما فائدتها: تأكيد النفي.

﴿ذكرى﴾ [(٢٠٩) سورة الشعراء] قال الكسائي: ﴿ذكرى﴾ في موضع نصب على الحال، قال النحاس وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحاق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح؛ لأن معنى ﴿إلا لها منذرون﴾ إلا لها مذكرون، و ﴿ذكرى﴾ لا يتبين فيه الإعراب؛ لأن فيها ألفا مقصورة.

يتعذر ظهور حركة الإعراب، يعني يمتنع.

ويجوز ﴿ذكرى﴾ بالتنوين، ويجوز أن يكون ﴿ذكرى﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ، قال أبو إسحاق: أي إنذارنا ذكرى، وقال الفراء: أي ذلك ذكرى وتلك ذكرى، وقال ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: ليس في (الشعراء) وقف تام إلا قوله: ﴿إلا لها منذرون﴾ وهذا عندنا وقف حسن، ثم يبتدئ ﴿ذكرى﴾ على معنى: هي ذكرى: أي يذكرهم ذكرى، والوقف على ﴿ذكرى﴾ أجود، ﴿وما كنا ظالمين﴾ في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

قوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ [(٢١٠) سورة الشعراء] يعني القرآن، بل ينزل به الروح الأمين، ﴿وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾ [(٢١١ - ٢١٢) سورة الشعراء] أي برمي الشهب كما مضى في سورة (الحجر) بيانه، وقرأ الحسن ومحمد بن السميقع: (وما تنزلت به الشياطون)، قال المهدوي: وهو غير جائز في العربية ومخالف للخط، وقال النحاس: وهذا غلط عند جميع النحويين، وسمعت علي ين سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: هذا غلط عند العلماء، إنما يكون بدخول شبهة، لما رأى الحسن في آخره ياء ونونا وهو في موضع رفع اشتبه عليه بالجمع المسلم فغلط.

يعني كأنه عامله معاملة الجمع المذكر السالم، وجمع شيطان جمع تكسير، فيلازم الياء.." <التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير؟ عبد الكريم الخضير ٢٢/١٩>

"بين العبارتين رابط لفظى ورابط فى المعنى والسياق العام إلا أن العبارة الأولى بنفسها تشكل معنى مفيدا فهذا هو الحسن فإن كان كل من العبارتين محتاجا إلى الآخر بحيث لا يكون بنفسه معنى مفيدا إلا بالعبارة الأخرى فالوقف حينئذ بينهما قبيح «١».

القسم الأول: التام:

فالوقف التام هو الذى يفصل بين عبارتين لا علاقة لأحدهما بالأخرى لا فى اللفظ ولا فى المعنى لأن العبارة الأولى تامة وتستغنى بنفسها عن العبارة الثانية فى تمام معناها ومثالها قوله تعالى: أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون [البقرة: ٥] فالوقف على (مفلحون) وقف تام لأنه نهاية الكلام عن المؤمنين وما بعد الوقف كلاما مستأنفا يتكلم عن الكفار وحالهم مع الرسول والرسالة فنلاحظ هنا عدم وجود الرابط اللفظى أو المعنى بين العبارتين «٢»، وهذا النوع من الوقف يحسب الوقوف عليه والابتداء بما بعده.

القسم الثانى: الكافى:

هو الذى يفصل بين عبارتين لا تعلق بينهما فى اللفظ فكل منهما جملة مفيدة فى لفظها وإن كان هناك تعلق بالمعنى العام وسياق الكلام ومثالهما قوله تعالى: ومما رزقناهم ينفقون ثم نبدأ بقوله تعالى: أولئك على هدى من ربهم وهذا النوع وهو الوقف الكافى يكثر فى الفواصل «٣».

القسم الثالث: الحسن:

هو الذى يفصل بين عبارتين تتصل كل منهما فى اللفظ وفى سياق الموضوع غير أن الجملة الأولى مفيدة بنفسها أما الثانية فهى غير مفيدة بنفسها ولا يتم معناها إلا بالربط بالجملة الأولى لوجود الرابط اللفظى. مثاله قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين فالوقف على الحمد لله حسن لأنها جملة مفيدة بذاتها أما الابتداء برب العالمين لا يحسن

---

(١) المرجع السابق ص ٩.

(٢) نظام الأداء فى الوقف والابتداء ص ٣٠، الاتفاق ١/ ٨٣.

(٣) المرجع السابق ص ٣٨ والنشر ١/ ٢٢٧، ٢٢٨، الاتفاق ١/ ٨٤." <الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية؟ عزت شحاتة كرار ص/١٩>

"لوجود الرابط اللفظى لأن كلمة (رب) صفة والموصوف هو (الله) فلا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف فيجب على القارئ إن فصل وأراد الابتداء بالثانية عليه إعادة الجملة الأولى ١، فهذا النوع من الوقف يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده.

القسم الرابع: القبيح:

هو الذى يفصل بين عبارتين اشتد تعلقهما فى اللفظ والمعنى بحيث أن كل جملة منهما لا تستطيع أن تستغنى عن الأخرى وتكون جملة مفيدة. ومثاله: إن الله لا يستحيي لا تقربوا الصلاة فالوقف على هذه الجمل والبدء بما بعدها يعد من القبح فى الوقف ولا يجوز لأنه يغير المعنى المقصود تماما.

وكذا وصل ما يجب الوقف عليه قبيحا كما فى قوله تعالى: إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله فلا نستطيع الوصل بل يجب الوقف على (يسمعون) لأنه فى حالة الوصل اشرك الموتى مع الذين يسمعون فى صفة الاستجابة.

رموز الوقف:

وضع العلماء رموزا للوقف وهى:

(م) رمز للوقف اللازم وهو ما كان فى وصله إفساد للمعنى أو إبهام لمعنى آخر غير مراد.

(ط) رمز للوقف المطلق والمراد به ما يحسن فيه الابتداء بما بعده وهذا الرمز لا يكون إلا فى **الوقف التام** والكافى.

(ج) رمز الوقف الجائز وهو ما يجوز فيه الوقف والوصل بدرجة متساوية. لوجود وجهين فيها من الإعراب من غير ترجيح لأحدهما.

(ز) رمز للوقف المجوز لوجه وذلك إذا كان هناك وجهان متغايران فى الإعراب وأحدهما أرجح من الآخر.

(ص) رمز للوقف المرخص لضرورة النفس، وذلك إذا طال الكلام وانقطع النفس فيقف عليه مع وجود الارتباط بما بعده «١».

---

(١) المرجع السابق.." <الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية؟ عزت شحاتة كرار ص/٢٠>

"معنى الآيات:

لقد تقدم في الآيات قبل هذه التنديد بالشرك وتوبيخ المشركين وتحديهم بدعاء شركائهم ليخلصوهم مما هم فيه من العذاب، وكان شركهم باختيارهم الخاص وإرادتهم الحرة إذ تبرأ منهم من اختاروهم آلهة مع الله فعبدوهم معه. وفي هذه الآية يكشف تعالى عن خطئهم في الاختيار، وذلك من وجهين: الأول أنه لا حق لهم في الاختيار. إذ الاختيار لخالق المخلوقات فيختار منها ما يشاء لنبوته أو طاعته أما الذي يخلق ولا يخلق فكيف يصح منه اختيار. والثاني بحكم أنهم مخلوقون مربوبون لله تعالى وهم يعلمون هذا إذ لو سألهم أحد: من خلقكم؟ لقالوا: الله؛ كان المفروض فيهم والمطلوب منهم أن يطلبوا من الله تعالى خالقهم أن يختار لهم ما يعبدون ويبين لهم كيف يعبدون، إذ هو مولاهم الحق ولا مولى لهم سواه أما أن يركبوا رؤوسهم ويختاروا بأنفسهم ما يعبدون فهذا ظلم منهم كبير استوجبوا به اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة. قال تعالى: (٦٨) ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ .. أي وربك يا محمد يخلق ما يشاء ممن يريد خلقهم ويختار (١) من يشاء لما يشاء ممن يشاء من عباده لما يشاء من كمال أو نقصان. أما عبيده فليس لهم حق الاختيار وإنما عليهم السمع والطاعة قال تعالى: ﴿ما كان لهم الخيرة (٢) ﴾ أي حق الاختيار بل الذي يختاره الله هو الذي يجب أن يختاره العبد. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول: "اللهم خر لي واختر لي" وكان يعلم أصحابه دعاء الاستخارة كما

يعلمهم السورة من القرآن، ويحضهم على أن يختاروا في الأمر الواحد سبع مرات. وقوله تعالى: ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين وباطل المبطلين وقوله ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ وهذا برهان أن الخيرة له (٣) وليس لغيره إذ الذي يعلم الظواهر والبواطن والبدايات والنهايات قبل البدء والمنتهى صاحب هذا العلم هو الذي يختار. أما الذي لا يعلم ما يكنه أخوه في صدره بل ولا ما يظهره آخر إلى جنبه أي لا يعلم عاقبته فكيف يصح منه الاختيار أو تكون له خيرة في شيء. وفوق ذلك أنه سبحانه وتعالى ﴿وهو الله لا إله إلا هو﴾ أي المعبود الذي لا معبود بحق سواه الذي له الحمد

---

١ - قيل نزلت ردا على الوليد بن المغيرة حين قال: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. كما هي رد على اختيارهم الشركاء ليشفعوا لهم يوم القيامة.

٢ - جائز أن يكون (ما) موصولا مفعولا به لفعل: يختار، والعائد محذوف أي: ويختار الذي لهم فيه خير، كما أن الخلق من خصائصه، إذ قال (وربك يخلق ما يشاء) فكذلك الاختيار له دون غيره، وجائز أن يكون **الوقف التام** على (ويختار) ، وجملة (ما كان لهم الخيرة) مستأنفة لغرض تأكيد القصر على الله تعالى هو الخالق وحده وهو الذي يختار وحده وليس لأحد من الخلق الخلق والاختيار.

٣ - الخيرة: اسم مصدر الاختيار كالطيرة اسم مصدر التطير ولا نظير لهذه الصيغة في الأسماء (والطيرة والخيرة) .." <أيسر التفاسير للجزائري؟ أبو بكر الجزائري ٤/٩٣>

"وأقام الله تعالى دليلا آخر على وجوده ووحدانيته، فقال: وهو الله في السماوات وفي الأرض.. أي أنه المدعو الله، القائم في السموات والأرض المعبود فيها، المعروف بالألوهية، يعبده ويوحده كل من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس، أي أنه المتصف بهذه الصفات المعروفة، المعترف له بها في السموات والأرض، ونظير هذه الآية: وهو الذي في السماء إله، وفي الأرض إله [الزخرف ٤٣/ ٨٤] أي هو إله من في السماء، وإله من في الأرض.

يعلم سركم وجهركم تأكيد وتقرير لما قبله، يعلم السر والجهر، ويستوي في علمه الخفاء والعلانية، فهو خبر بعد خبر وصفة بعد صفة، أو حال.

وقيل: المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر، فيكون قوله: يعلم متعلقا بقوله: في السماوات وفي الأرض تقديره:

وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض، ويعلم ما تكسبون. واختار الطبري قولا ثالثا: أن قوله:

وهو الله في السماوات **وقف تام**، ثم استأنف الخبر فقال: وفي الأرض يعلم سركم وجهركم.
ويعلم ما تكسبون أي يعلم جميع أعمالكم خيرها وشرها، ويجازيكم عليها.

فقه الحياة أو الأحكام:

المقصود من هذه الآيات إيراد الدلائل على وجود الله ووحدانية الصانع لأن تقدير السموات والأرض بمقادير مخصوصة، لا يمكن حصوله إلا بتخصيص الفاعل المختار، وهو الله.

ويستنبط من الآيات ما يلي:." <التفسير المنير للزحيلي؟ وهبة الزحيلي ٧/١٣٤>

"عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاهآ﴾، وقوله تعالى: ﴿ثم أنتم تمترون﴾، قال السدي وغيره: يعني تشكون في أمر الساعة.

وقوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات في الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية القائلين - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك، فالأصح من الأقوال: أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض: أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات والأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ خبرا أو حالا (والقول الثاني): أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر، فيكون قوله «يعلم» متعلقا بقوله: ﴿في السموات وفي الأرض﴾ تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون، (والقول الثالث): أن قوله ﴿وهو الله في السموات﴾ **وقف تام**، ثم استأنف الخبر فقال: ﴿وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ وهذا اختيار ابن جرير، وقوله: ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ أي جميع أعمالكم خيرها وشرها.." <مختصر تفسير ابن كثير؟ محمد علي الصابوني ١/٥٦٨>

"أن تكون (ما) نفيا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاما، والمعنى: فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ [يونس: ١٠١] والنذر جمع نذير.

[٦] ﴿فتول عنهم﴾ [القمر: ٦] أي أعرض عنهم، نسختها آية القتال.

قيل: ههنا **وقف تام**.

وقيل: فتول عنهم.
﴿يوم يدعو الداع﴾ [القمر: ٦] أي إلى يوم الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس، ﴿إلى شيء نكر﴾ [القمر: ٦] منكر فظيع لم يروا مثله فينكروه استعظاما.

[قوله تعالى خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث] كأنهم جراد منتشر. . .
[٧] ﴿خشعا أبصارهم﴾ [القمر: ٧] في قراءة عبد الله: (خاشعة أبصارهم) أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب.
﴿يخرجون من الأجداث﴾ [القمر: ٧] من القبور، ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ [القمر: ٧] منبث حيارى، وذكر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: ﴿كالفراش المبثوث﴾ [القارعة: ٤] وأراد أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض.
[٨] ﴿مهطعين﴾ [القمر: ٨] مسرعين مقبلين، ﴿إلى الداعي﴾ [القمر: ٨] إلى صوت إسرافيل، ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ [القمر: ٨] صعب شديد.
[٩] قوله عز وجل: ﴿كذبت قبلهم﴾ [القمر: ٩] أي قبل أهل مكة، ﴿قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾ [القمر: ٩] نوحا، ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ [القمر: ٩] أي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد، وقالوا: ﴿لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ [الشعراء: ١١٦] وقال مجاهد: معنى ازدجر أي استطير جنونا.
[١٠] ﴿فدعا﴾ [القمر: ١٠] نوح، ﴿ربه﴾ [القمر: ١٠] وقال، ﴿أني مغلوب﴾ [القمر: ١٠] مقهور، ﴿فانتصر﴾ [القمر: ١٠] فانتقم لي منهم.
[١١] ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ [القمر: ١١] منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما.
[١٢] ﴿وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء﴾ [القمر: ١٢] يعني ماء السماء وماء الأرض، وإنما قال: التقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعدا لأن الماء يكون جمعا وواحدا، ﴿على أمر قد قدر﴾ [القمر: ١٢] أي قضي عليهم في أم الكتاب.
وقال مقاتل: قدر الله أن يكون الماءان سواء فكانا على قدر.
[١٣] ﴿وحملناه﴾ [القمر: ١٣] يعني نوحا، ﴿على ذات ألواح ودسر﴾ [القمر: ١٣] أي سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، (ودسر) أي المسامير التي تشد بها الألواح، واحدها دسار ودسير، يقال: دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير.
وقال الحسن: الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدسر الماء بجؤجئها، أي تدفع.

وقال مجاهد: هي عوارض السفينة.

وقيل: أضلاعها.

وقال الضحاك: الألواح جانباها، والدسر أصلها وطرفاها.

[١٤] ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٤] أي بمرأى منا.

وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودع: عين الله عليك.

وقال سفيان: بأمرنا.

﴿جزاء لمن كان كفر﴾ [القمر: ١٤] يعني فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابا لمن كان كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: (من) بمعنى (ما) أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه، وقرأ مجاهد (جزاء لمن كان كفر) بفتح الكاف والفاء، يعني كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله.

[١٥] ﴿ولقد تركناها﴾ [القمر: ١٥] يعني الفعلة التي فعلنا، ﴿آية﴾ [القمر: ١٥] يعتبر بها.

وقيل: أراد السفينة.

قال قتادة: أبقاها الله بباقر دي من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، ﴿فهل من مدكر﴾ [القمر: ١٥] أي متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.." <مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل؟ عبد الله الزيد ٩١٢/٦>

"الْأُولَى أَوِ الْبَدَلِ مِنْهَا. وَ" سَحابٌ" ابْتِدَاءٌ وَ" مِنْ فَوْقِهِ" الْخَبَرُ. وَمَنْ قَرَأَ" سَحابٌ ظُلُماتٌ" فَظُلُمَاتٌ خَبَرُ ابْتِدَاءٍ مَحْذُوفٍ، التَّقْدِيرُ: هِيَ ظُلُمَاتٌ أَوْ هَذِهِ ظُلُمَاتٌ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ" **غَيْرُ تَامٍّ**، لِأَنَّ قَوْلَهُ" مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ" صِلَةٌ لِلْمَوْجِ، وَالْوَقْفُ: عَلَى قَوْلِهِ" مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ" حَسَنٌ، ثُمَّ تَبْتَدِئُ" ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ" عَلَى مَعْنَى هِيَ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. وَرُوِيَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّهُمْ قَرَءُوا" ظُلُماتٌ" عَلَى مَعْنَى أَوْ كَظُلُمَاتٍ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَى السَّحَابِ. ثُمَّ

قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَذِهِ الظُّلُمَاتِ ظُلْمَةُ السَّحَابِ وَظُلْمَةُ الْمَوْجِ وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، فَلَا يُبْصِرُ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ شَيْئًا وَلَا كَوْكَبًا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالظُّلُمَاتِ الشَّدَائِدُ، أَيْ شَدَائِدُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِالظُّلُمَاتِ أَعْمَالَ الْكَافِرِ، وَبِالْبَحْرِ اللُّجِّيِّ قَلْبَهُ، وَبِالْمَوْجِ فَوْقَ الْمَوْجِ، مَا يَغْشَى قَلْبَهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ، وَبِالسَّحَابِ الرَّيْنَ وَالْخَتْمَ وَالطَّبْعَ عَلَى قَلْبِهِ. رُوِيَ مَعْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ، أَيْ لَا يُبْصِرُ بِقَلْبِهِ نُورَ الْإِيمَانِ، كَمَا أَنَّ صَاحِبَ الظُّلُمَاتِ فِي الْبَحْرِ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا. وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: الْكَافِرُ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ: كَلَامُهُ ظُلْمَةٌ، وَعَمَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمُدْخَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمُخْرَجُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَصِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الظُّلُمَاتِ فِي النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. (إذا أَخْرَجَ يَدَهُ) يَعْنِي النَّاظِرَ. (لَمْ يَكَدْ يَراها) أَيْ مِنْ شِدَّةِ الظُّلُمَاتِ. قَالَ الزَّجَّاجُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الْمَعْنَى لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يَكَدْ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ. وَمَعْنَى" لَمْ يَكَدْ" لَمْ يَطْمَعْ أَنْ يَرَاهَا. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: كَادَ صِلَةٌ، أَيْ لَمْ يَرَهَا، كَمَا تَقُولُ: مَا كِدْتُ أَعْرِفُهُ. وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: يَعْنِي لَمْ يَرَهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ الْجَهْدِ، كَمَا تَقُولُ: مَا كِدْتُ أَرَاكَ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَقَدْ رَآهُ بَعْدَ يَأْسٍ وَشِدَّةٍ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ قَرُبَ مِنَ الرُّؤْيَةِ وَلَمْ يَرَ كَمَا يُقَالُ: كَادَ الْعَرُوسُ يَكُونُ أَمِيرًا، وَكَادَ النَّعَامُ يَطِيرُ، وَكَادَ الْمُنْتَعِلُ يَكُونُ رَاكِبًا. النَّحَّاسُ: وَأَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِي هَذَا أَنَّ الْمَعْنَى لَمْ يُقَارِبْ رُؤْيَتَهَا، فَإِذَا لَمْ يُقَارِبْ رُؤْيَتَهَا فَلَمْ يَرَهَا رُؤْيَةً بَعِيدَةً وَلَا قَرِيبَةً. (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً) يهتدي به أَظْلَمَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ دِينًا فَمَا لَهُ مِنْ دِينٍ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يهتد." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٢٨٥>

"فعظيم عَلَى هَذَا مُتَعَلِّقٌ بِمَا بَعْدَهُ، وَكَانَ يَنْبَغِي عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ عَظِيمٌ أَنْ وَجَدْتُهَا، أَيْ وُجُودِي إِيَّاهَا كَافِرَةً. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" وَلَها عَرْشٌ عَظِيمٌ"" وَقْفٌ حَسَنٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقِفَ عَلَى" عَرْشٌ" وَيَبْتَدِئَ" عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا" إِلَّا عَلَى مَنْ فَتَحَ، لِأَنَّ عَظِيمًا نَعْتٌ لعرش فلو كان متعلقا بوجدتها لَقُلْتَ عَظِيمَةً وَجَدْتُهَا، وَهَذَا مُحَالٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. وَقَدْ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ شَهْرَيَارَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْعِجْلِيُّ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ قَالَ: الْوَقْفُ عَلَى" عَرْشٌ" وَالِابْتِدَاءُ" عَظِيمٌ" عَلَى مَعْنَى عَظِيمٌ عِبَادَتُهُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ. قَالَ: وَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يُؤَيِّدُ هَذَا الْمَذْهَبَ، وَيَحْتَجُّ بِأَنَّ عَرْشَهَا أَحْقَرُ وَأَدَقُّ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَصِفَهُ اللَّهُ بِالْعَظِيمِ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَالِاخْتِيَارُ عِنْدِي مَا ذَكَرْتُهُ أَوَّلًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى إِضْمَارِ عِبَادَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ دَلِيلٌ. وَغَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يَصِفَ الْهُدْهُدَ عَرْشَهَا بِالْعَظِيمِ إِذَا رَآهُ مُتَنَاهِيَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، وَجَرْيُهُ عَلَى إِعْرَابِ" عَرْشٌ" دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ نَعْتُهُ. (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ) أَيْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ." (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) " أَيْ عَنْ طَرِيقِ التَّوْحِيدِ. وَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ مَا لَيْسَ بِسَبِيلِ التَّوْحِيدِ فَلَيْسَ بِسَبِيلٍ يُنْتَفَعُ بِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ. (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) إِلَى اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ. الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَنَافِعٌ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ"

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ" بِتَشْدِيدِ" أَلَّا" قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" **غَيْرُ تَامٍّ** لِمَنْ شَدَّدَ" أَلَّا" لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَلَّا يَسْجُدُوا. قَالَ النَّحَّاسُ: هِيَ" أَنْ" دَخَلَتْ عَلَيْهَا" لَا" وَ" أَنْ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، قَالَ الْأَخْفَشُ: بِ" زَيَّنَ" أَيْ وَزَيَّنَ لَهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: بِ" فَصَدَّهُمْ" أَيْ فَصَدَّهُمْ أَلَّا يَسْجُدُوا. وَهُوَ فِي الْوَجْهَيْنِ مَفْعُولٌ لَهُ. وَقَالَ الْيَزِيدِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ:" أَنْ" بَدَلٌ مِنْ" أَعْمالَهُمْ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ. وَقَالَ أبو عمرو: و" أن" في موضع حفض عَلَى الْبَدَلِ مِنَ السَّبِيلِ وَقِيلَ: الْعَامِلُ فِيهَا" لَا يَهْتَدُونَ" أَيْ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَنْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ، أَيْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ" لَا" زَائِدَةٌ، كَقَوْلِهِ:" مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ" أَيْ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ. وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٨٥>

"وَقِيلَ: أَشِحَّةً بِالْغَنَائِمِ إِذَا أَصَابُوهَا، قَالَهُ السُّدِّيُّ. وَانْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَنَصْبُهُ عِنْدَ الْفَرَّاءِ مِنْ أَرْبَعِ جِهَاتٍ: إِحْدَاهَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى الذَّمِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ نَصْبًا بِمَعْنَى يُعَوِّقُونَ أَشِحَّةً. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: وَالْقَائِلِينَ أَشِحَّةً. وَيَجُوزُ عِنْدَهُ [" وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا" أَشِحَّةً، أَيْ أَنَّهُمْ يَأْتُونَهُ أَشِحَّةً عَلَى الْفُقَرَاءِ بِالْغَنِيمَةِ «١»]. النَّحَّاسُ: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ" الْمُعَوِّقِينَ" وَلَا" الْقائِلِينَ"، لِئَلَّا يُفَرَّقَ بَيْنَ الصِّلَةِ وَالْمَوْصُولِ. ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:" إِلَّا قَلِيلًا" **غَيْرَ تَامٍّ**، لِأَنَّ" أَشِحَّةً" مُتَعَلِّقٌ بِالْأَوَّلِ، فَهُوَ يَنْتَصِبُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: أَنْ تَنْصِبَهُ عَلَى الْقَطْعِ مِنَ" الْمُعَوِّقِينَ" كَأَنَّهُ قَالَ: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يُعَوِّقُونَ عَنِ الْقِتَالِ وَيَشِحُّونَ عَنِ الْإِنْفَاقِ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الْقَطْعِ مِنَ" الْقائِلِينَ" أَيْ وَهُمْ أَشِحَّةً. وَيَجُوزُ أَنْ تَنْصِبَهُ عَلَى الْقَطْعِ مِمَّا فِي" يَأْتُونَ"، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا جُبَنَاءَ بُخَلَاءَ. وَيَجُوزُ أَنْ تَنْصِبَ" أَشِحَّةً" عَلَى الذَّمِّ. فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ الرَّابِعِ يَحْسُنُ أَنْ تَقِفَ عَلَى قَوْلِهِ:" إِلَّا قَلِيلًا"." أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ" وَقْفٌ حَسَنٌ. وَمِثْلُهُ" أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ" حَالٌ مِنَ الْمُضْمَرِ فِي" سَلَقُوكُمْ" وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهِ. (فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) وَصَفَهُمْ بِالْجُبْنِ، وَكَذَا سَبِيلُ الْجَبَانِ يَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا مُحَدِّدًا بَصَرَهُ، وَرُبَّمَا غُشِيَ عَلَيْهِ. وَفِي" الْخَوْفُ" وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: مِنْ قِتَالِ الْعَدُوِّ إِذَا أَقْبَلَ، قَالَهُ السُّدِّيُّ. الثَّانِي: الْخَوْفُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَلَبَ، قَالَهُ ابْنُ شَجَرَةَ." رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ" خَوْفًا مِنَ الْقِتَالِ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ. وَمِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الثَّانِي." تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ" لِذَهَابِ عُقُولِهِمْ حَتَّى لَا يَصِحَّ مِنْهُمُ النَّظَرُ إِلَى جِهَةٍ. وَقِيلَ: لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ حَذَرًا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْقَتْلُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. (فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ) وَحَكَى الْفَرَّاءُ" صَلَقُوكُمْ" بِالصَّادِ. وَخَطِيبٌ مِسْلَاقٌ وَمِصْلَاقٌ إِذَا كَانَ بَلِيغًا. وَأَصْلُ الصَّلْقِ الصَّوْتُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَعَنَ اللَّهُ الصالقة والحالقة والشاقة). قال الأعشى:

(١). ما بين المربعين من كتاب النحاس وهو واضح. وعبارة الأصول: (وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا يأتونه أشحة أي أشحة على الفقراء بالغنيمة جبناء).." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥٣/١٤>

"قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيّ: فَتْحاً مُبِيناً غَيْرَ تَامٍّ، لِأَنَّ قَوْلَهُ" لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ" مُتَعَلِّقٌ بِالْفَتْحِ. كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِكَيْ يَجْمَعَ اللَّهُ لَكَ مَعَ الْفَتْحِ الْمَغْفِرَةَ، فَيَجْمَعُ اللَّهُ لَكَ بِهِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ: هِيَ لَامُ الْقَسَمِ. وَهَذَا خَطَأٌ، لِأَنَّ لَامَ الْقَسَمِ لَا تُكْسَرُ وَلَا يُنْصَبُ بِهَا، وَلَوْ جَازَ هَذَا لَجَازَ: لِيَقُومَ زَيْدٌ، بِتَأْوِيلِ لَيَقُومَنَّ زَيْدٌ. الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ جُعِلَ فَتْحُ مَكَّةَ عِلَّةً لِلْمَغْفِرَةِ؟ قُلْتُ: لَمْ يُجْعَلْ عِلَّةً لِلْمَغْفِرَةِ، وَلَكِنْ لِاجْتِمَاعِ مَا عُدِّدَ مِنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ، وَهِيَ: الْمَغْفِرَةُ، وَإِتْمَامُ النِّعْمَةِ، وَهِدَايَةُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالنَّصْرُ الْعَزِيزُ. كَأَنَّهُ قَالَ: يَسَّرْنَا لَكَ فَتْحَ مَكَّةَ وَنَصَرْنَاكَ عَلَى عَدُوِّكَ لِيُجْمَعَ لَكَ عِزُّ الدَّارَيْنِ وَأَعْرَاضُ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَتْحُ مَكَّةَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ جِهَادٌ لِلْعَدُوِّ سَبَبًا لِلْغُفْرَانِ وَالثَّوَابِ. وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ" مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:] لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ [. ثُمَّ قَرَأَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: هنيئا مريئا يا وسول اللَّهِ، لَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ مَاذَا يَفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ" لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ- حَتَّى بَلَغَ- فَوْزاً عَظِيماً" قَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح. وفية عن مجمع ابن جَارِيَةَ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى" لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ" فَقِيلَ:" مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ" قَبْلَ الرِّسَالَةِ." وما تَأَخَّرَ" بَعْدَهَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَنَحْوَهُ قَالَ الطَّبَرِيُّ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى" إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ- إلى قوله- تَوَّاباً" «١» [النصر: ٣ - ١]." لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ" قَبْلَ الرِّسَالَةِ" وما تَأَخَّرَ" إِلَى وَقْتِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ:" لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ" مَا عَمِلْتَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحَى إِلَيْكَ." وما تَأَخَّرَ" كُلُّ شَيْءٍ لَمْ تَعْمَلْهُ، وَقَالَهُ الْوَاحِدِيُّ. وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي جَرَيَانِ الصَّغَائِرِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فِي سُورَةِ" الْبَقَرَةِ" «٢»، فَهَذَا قَوْلٌ. وقيل:

(١). راجع ج ٢٠ ص ٢٢٩.

(٢). راجع ج ١ ص ٣٠٨ طبعه ثانية أو ثالثة.." <تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٢/١٦>

"ألا فاسقني خمراً وقلْ لي هي الخمرُ ... ولا تسقني سِرًّا إذا أمكن الجهرُ

وقال ابن الخطيب؛ لعظم قدره عند الله تعالى كقوله: الحسنة بعشر أمثالها إلى مائة وأزيد والسيئة بمثلها، وأتجاوز.

ابن عرفة: وهذا على جهة الأعم الأغلب وإلا فقد يحسن الإنسان لغيره؛ كمن يدعو لميت ويتصدق عنه بشيء.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ... (٧)﴾

قال المعبرون: المراد الوجه [خاصة*]، ويحتمل أن يريد به أشرافهم ويتناول من دونهم من باب أحرى.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)﴾

ابن عطية: الحصير من الحصر يعني السجن، ويقال لجني الإنسان [حصيران*] [لأنهما*] يحصران جانب من هنا وجانب من هنا، وقال: [الحسن البصري*] في الآية [أراد به ما يفترش ويبسط كالحصير المعروف عند الناس.*]

ابن عرفة: لَا يريد أنها ذات حصر؛ كقولك [امرأته طالق ثلاثا*]؛ [لأنها*] ملازمة الحصر لهذه، فهي متصفة به دائما خلاف المرأة [والثلاث*]، والطلاق أيضا ليس من فعل المرأة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... (٩)﴾

الزمخشري: حذف الموصول بما في إيهامه بالجميع من فخامة فقدمت مع ذكره ابن عرفة: أراد أنه حذف قصد للعموم لبقاء اللفظ صالحا لأن يكون المقدر يهدي الطريق التي هي أقوم أو للملة التي هي أقوم ولو ذكر إحداهما لكان خاصا فحذف لقصد صلاحية هدايته للجميع.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)﴾

ابن عرفة: عاداتهم يقولون المناسب وكان الإنسان جهولا؛ لأن من يدعو على نفسه بالشر مثل ما يدعو بها بالخير سواء جاهل أو لَا، [يسوي*] بين [العالم والجاهل*] فأما العجول، فإنما يناسب أن الإنسان يستعجل الدعاء بالخير قبل حضور أوانه. قال: والجواب أن العجلة سبب في الجهالة لأن المستعجل لَا يتأمل ولا ينظر بل يبادر إلى الشيء من **غير تأمل** فهو كالجاهل سواء قائم السبب مقام سببه، قلت: وهذا قال الزمخشري في قوله: (أعجلتم أمر ربكم) [يقال*]: [عجل عن الأمر إذا تركه **غير تام**، ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره*]

.(١)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ... (١٢)﴾

---

(١) العبارة في المطبوع بها اضطراب، والتصويب من (الكشاف. ٢/ ١٦١).." <تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٥٩/٣>

"**غير تام**؛ لأن رتبة الفاعل التقديم وقد قدمته؛ فهذا لَا يجوز؛ بخلاف ما ضرب إلا عمرا زيد، فإن الفاعل مقدم في المعنى فقد استثنيت من كلام تام في المعنى.

قوله تعالى: (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى).

تحتمل عود الضمير على ["سقر"*] وتخصيص البشر بالذكر؛ [لأن النار فيهم أكثرُ تأثيرا*] في عذاب النار، لأن الجن [منها خلقوا*] والملائكة زبانيتها.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤)﴾

[عبر*] في الأول بإذ، وفي الثاني بـ إذا مع أن فعل القسم والشرط الأصل فيهما الاستقبال؛ لأن زمان الماضي متقدم على المستقبل، والإدبار اعتبار ماض أو مستلزم لأن الإسفار هو أول النهار، والإدبار في آخر الليل، وأورد الزمخشري في قوله تعالى: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا) سؤالا [يرد*] مثله هنا، والجواب كالجواب، قال: إن جعلت الواو للقسم خالفت مذهب سيبويه والخليل، وإن جعلتها عاطفة وقعت في العطف على عاملين وهو فعل القسم والعامل في إذا، وأجاب بأن الواو نابت مناب فعل القسم وهو في إذا.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾

هذا خبر في معنى الأمر الوارد للتهديد؛ لأنها إنذار لمن شاء الإيمان إن لم [يؤمن*].

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ ... (٣٨)﴾

إن كان قيدا في المبتدأ، فلا تخصيص، وإن كان قيدا في الخبر، فيكون العموم مخصوصا بالأنبياء والشهداء.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾

يدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة باعتبار تعذيبهم [**بالنار في الدار الآخرة]، كما [ذكر*] أكثر الأصوليون، واشتمل كلامهم على نفي وإثبات، فقوله (فَمَا تَنْفَعُهُمْ) راجع للنفي، وقوله (فَمَا لَهُمْ) راجع للإثبات.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)﴾
يدل على إبطال الكفر عناداً لَا أن المعاند من يحصل له اليقين، ودلت الآية أن ذلك إنما يحصل لهم في الدار الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ ... (٤٨)﴾." <تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤/٣٢١>
"أرض الشام هي المحشر **غير تام**. (ما ظننتم أن يخرجوا) أيها المؤمنون لكثرة عددهم وعددهم. (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) كان الظاهر وظنوا أن لا يخرجوا.
فالعدول إلى المنزل؛ لما في تقديم الخبر ثم إسناد الجملة إلى الضمير من الدلالة على أن ظنهم قارب اليقين، لا كظن المؤمنين. (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي: بأسه. ولم يكن ذلك في حسابهم؛ لاعتمادهم على شدة بأسهم، وحصانة حصونهم. (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف الذي يملأ الصدر. وأكده بلفظ القذف الدال على القوة.
(يخربون بيوتهم بأيديهم) عن قتادة: كانوا يخربونها ليصلحوا به ما انهدم من السور. أو كانوا يفعلون ذلك لئلا يبقى للمسلمين جنة. (وأيدي المؤمنين) لأنهم تسببوا لذلك.
(فاعتبروا يا أولي الأبصار) ولا تخالفوا أمر الله ورسوله؛ أولا تعتمدوا على قواكم، واتكلوا." <غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، الكوراني، أحمد بن إسماعيل ص/١٢٤>
"(ألاّ يسجدون لله) قال ابن الأنباري: الوقف على لا يهتدون **غير تام** عند من شدد (ألا) لأن المعنى وزين لهم الشيطان أن لا يسجدوا.
وقال النحاس: هي (أن) دخلت عليها (لا) قال الأخفش: أي زين لهم أن لا يسجدوا لله بمعنى لئلا يسجدوا، فهو على الوجهين مفعول له. وقيل: فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله، و (لا) على هذا زائدة، كقوله: ما منعك أن لا تسجد، وعلى قراءة الجمهور ليس هذه الآية موضع سجدة، لأن ذلك إخبار عنهم بترك السجود، إما بالتزيين، أو بالصد، أو بمنع الاهتداء. وقد رجح كونه علة للصد الزجاج، ورجح الفراء كونه علة لزين، قال: زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا.

وقرئ ألا بالتخفيف، وعلى هذا فهي حرف تنبيه واستفتاح، وما بعدها حرف نداء، ألا يا اسجدوا، واسجدوا فعل أمر، وتقديره ألا يا هؤلاء اسجدوا، قال الزجاج، وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود، دون قراءة التشديد، ولقراءة التخفيف وجه حسن إلا أن فيها انقطاع الخبر عن أمر سبأ، ثم الرجوع بعد ذلك إلى ذكرهم، والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضاً لا انقطاع في وسطه. وكذا قال النحاس، وعلى هذه تكون جملة ألا يا اسجدوا معترضة من كلام الهدهد أو من كلام سليمان، أو من كلام الله سبحانه.." <فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٥/١٠>

"والقاضي ليصل إلى نتائج محققة. وكان كل واحد في إنجلترا يخشاه ويكرهه.

وكانت أكبر معضلة واجهها هي أن هنري كان مفلساً، على الرغم من سلطانه العظيم. وكان الملك يتوق إلى زيادة حجم البحرية والإكثار من مرافئه وموانيه أو تحسينها، وكانت حاشيته تتجاوز الحدود ونفقاته الشخصية باهظة، ونظام كروميل في الحكم يحتاج إلى نهر عريض من الأموال. فكيف يجمع المال؟ كانت الضرائب مرتفعة إلى الحد الذي تقابل فيه بمقاومة تجعل الجباية تكلف من النفقات أكثر مما تدر من الربح، وكان الأساقفة قد استنزفوا أبرشياتهم لتهدئة سورة الملك، ولم يكن هناك ذهب يتدفق من أمريكا، كما يتدفق يومياً لإغاثة الإمبراطور عدو إنجلترا. ومع ذلك كانت في إنجلترا مؤسسة واحدة ثرية وموضع ريبة وعاجزة لا تجد مَن يدافع عنها وهي الأديار. كانت موضع ريبة لأن ولاءها الأخير كان للبابا، واشتراكها في قانون السيادة يعد من قبيل المداهنة **وغير تام**، وكانت في نظر الحكومة هيئة أجنبية ملزمة بتأييد أي حركة كاثوليكية ضد الملك، وكانت عاجزة لأنها في كثير من الحالات كفت عن القيام بوظائفها التقليدية في مجالات التعليم والضيافة والبر، وكانت لا تجد مَن يدافع عنها لأن الأساقفة استاءوا من إعفائهم من المراقبة الأسقفية، ولأن الأشراف، وقد أفقرتهم الحرب الأهلية، طمعوا في ثروتها، ولأن طبقة رجال الأعمال كانوا يرون في الرهبان والاخوة من الرهبان متلفين كسالى للموارد الطبيعية، ولأن القسم الأكبر من العامة، ومنهم كثير من الكثالكة الصالحين، لم يعودوا يؤمنون بفاعلية المخلفات التي كان الرهبان يعرضونها، أو بالقداسات التي كان يقيمها الرهبان للموتى، إذا دفع لهم الأجر. وكانت هناك سوابق رائعة لإغلاق الأديار، فقد أغلقها زونجلى في زيورخ والأمراء اللوثريون في ألمانيا وولزى في إنجلترا. وكان المجلس النيابي قد صوت (١٥٣٣)." <قصة الحضارة، ول ديورانت ١٢٦/٢٥>

" وأخرج الشافعي في الأم وابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي في السنن عن عبادة بن الصامت

أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب "

وأخرج الدارقطني والحاكم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها "

وأخرج أحمد والبيهقي في سنه عن أبي هريرة قال : أمرني رسول الله قال "كل صلاة لايقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداع "

وأخرج مالك في الموطأ وسفيان بن عيينة في تفسيره وأبو عبيد في فضائله وابن أبي شيبة وأحمد في مسنده والبخاري في جزء القراءة ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف وابن حبان والدارقطني والبيهقي في السنن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج فهي خداج ثلاث مرات

غير تام

قال أبو السائب : فقلت ياأبا هريرة إني أحيانا أكون وراء الإمام

فغمز ذراعي وقال : اقرأ بها يا فارسي في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : قال الله عز و جل " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل "

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اقرؤا

يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله : حمدني عبدي

ويقول العبد الرحمن الرحيم فيقول الله : أثنى علي عبدي

ويقول العبد مالك يوم الدين فيقول الله مجدني عبدي ويقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين فيقول الله : هذا بيني وبين عبدي أولها لي وآخرها لعبدي وله ماسأل

ويقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فيقول الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل "

وأخرج الدارقطني والبيهقي في السنن بسند ضعيف عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " يقول الله تعالى : قسمت هذه الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله : ذكرني عبدي

فإذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله : حمدني عبدي

فإذا قال الرحمن الرحيم يقول الله : أثنى علي عبدي

فإذا قال مالك يوم الدين يقول الله : ." <الدر المنثور، ١/١٨>

" وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود في قوله يصوركم في الأرحام كيف يشاء قال : ذكورا واناثا

وأخرج ابن جرير من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس عن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة

في قوله هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء قال : إذا وقعت النطفة في الأرحام طارت في الجسد أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم تكون مضغة أربعين يوما فإذا بلغ أن يخلق بعث الله ملكا يصورها فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلط فيه المضغة ثم يعجنه بها ثم يصوره كما يؤمر ثم يقول : أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد و ما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه ؟ فيقول الله ويكتب الملك

فإذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء قال : من ذكر وأنثى وأحمر وأبيض وأسود وتام وغير تام الخلق

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله العزيز الحكيم قال : العزيز في نقمته إذا انتقم الحكيم في أمره

آية ٧

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس قال : المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به و المتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال المحكمات الناسخ الذي يدان به ويعمل به و المتشابهات المنسوخات التي لا يدان بهن ." <الدر المنثور، ٢/١٤٤>

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبي العالية قال غير مخلقة السقط

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الشعبي قال : إذا دخل في الخلق الرابع كانت نسمة مخلقة وإذا قدم فيها قبل ذلك فهي غير مخلقة

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد مخلقة وغير مخلقة قال : السقط مخلوق وغير مخلوق ونقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى قال : التمام

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله ونقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى قال : إقامته في الرحم حتى يخرج

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي ونقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى قال : هذا ما كان من ولد يولد تاما ليس بسقط

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله لنبين لكم قال : إنكم كنتم في بطون أمهاتكم كذلك

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج في قوله وترى الأرض هامدة قال : لا نبات فيها

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله وترى الأرض هامدة أي غبراء متهشمة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت يقول : نفرق الغيث في سبختها وربوها وأنبتت من كل زوج بهيج أي حسن

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله زوج بهيج قال : حسن

– قوله تعالى : ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور

أخرج عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن معاذ بن جبل قال : من علم أن الله عز و جل حق وأن

"وأخرج ابن جرير من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس عن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة ، في قوله ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ قال : إذا وقعت النطفة في الأرحام طارت في الجسد أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم تكون مضغة أربعين يوما فإذا بلغ أن يخلق بعث الله ملكا يصورها فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلط فيه المضغة ثم يعجنه بها ثم يصوره كما يؤمر ثم يقول : أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد وما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه فيقول الله ويكتب الملك ، فإذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب.

وأخرج عَبد بن حُمَيد ، وَابن جَرِير عن قتادة ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ قال : من ذكر وأنثى وأحمر وأبيض وأسود وتام **وغير تام** الخلق.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله ﴿العزيز الحكيم﴾ قال : العزيز في نقمته إذا انتقم الحكيم في أمره. آية ٧." <الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣/٤٤٧>

"بالرحمة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة وعليه درج الزجاج وخص المحققون من أهل اللغة الرأفة بمعنى رحمة خاصة، فقال أبو عمرو بن العلاء الرأفة أكثر من الرحمة أي أقوى أي هي رحمة قوية، وهو معنى قول الجوهري الرأفة أشد الرحمة، وقال في "المجمل" الرأفة أخص من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهية والرحمة تقع في الكراهية للمصلحة، فاستخلص القفال من ذلك أن قال: الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضر كقوله تعالى: ﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور:٢] وأما الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام اه. وهذا أحسن ما قيل فيها واختاره الفخر وعبد الحكيم وربما كان مشيرا إلى أن بين الرأفة والرحمة عموما وخصوصا مطلقا وأياما كان معنى الرأفة فالجمع بين رءوف ورحيم في الآية يفيد توكيد مدلول أحدهما بمدلول الآخر بالمساواة أو بالزيادة.وأما على اعتبار تفسير المحققين لمعنى الرأفة والرحمة فالجمع بين الوصفين لإفادة أنه تعالى يرحم الرحمة القوية لمستحقها ويرحم مطلق الرحمة من دون ذلك.

وتقدم معنى الرحمة في سورة الفاتحة.

وتقديم "رءوف" ليقع لفظ رحيم فاصلة فيكون أنسب بفواصل هذه السورة لانبناء فواصلها على حرف صحيح ممدود يعقبه حرف صحيح ساكن ووصف رءوف معتمد ساكنه على الهمز والهمز شبيه بحروف العلة فالنطق به غير تام التمكن على اللسان وحرف الفاء لكونه يخرج من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا أشبه حرف اللين فلا يتمكن عليه سكون الوقف.

وتقديم ﴿بِالنَّاسِ﴾ على متعلقه وهو رءوف رحيم للتنبيه على عنايته بهم إيقاظا لهم ليشكروه مع الرعاية على الفاصلة.

وقرأ الجمهور "لرءوف" بواو ساكنه بعدها همزه وقرأه أبو عمرو وحمزه والكسائي ويعقوب وخلف بدون واو مع ضم الهمزة بوزن عضد وهو لغة على غير قياس.

[١٤٤] ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

[البقرة:١٤٤]

استئناف ابتدائي وإفضاء لشرع استقبال الكعبة ونسخ استقبال بيت المقدس فهذا هو." <التحرير والتنوير، ٢٦/٢>

"اسم جمع مفرده ماعز، وهو نوع من الأنعام شبيه بالضأن من ذوات اظلف له شعر مستطيل، ويقال: معز بسكون العين ومعز بفتح العين وبالأول قرأ نافع، وعاصم، وحمزة والكسائي، وأبو جعفر، وخلف، وقرأ بالثاني الباقون.

وبعد أن تم ذكر المنة والتمهيد للحجة، غير أسلوب الكلام، فابتدئ بخطاب الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يجادل المشركين ويظهر افتراءهم على الله فيما زعموه من تحريم ما ابتدعوا تحريمه من أنواع وأصناف الأنعام على من عينوه من الناس بقوله: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ الآيات. فهذا الكلام رد على المشركين، إبطال ما شرعوه بقرينة قوله: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقوله ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ الآية. فقوله: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ إلى آخرها في الموضعين، اعتراض بعد قوله: ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ وقوله: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾. وضمير: ﴿حَرَّمَ﴾ عائد إلى اسم الله في قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، أو في قوله: ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ الآية. وفي تكرير الاستفهام مرتين تعريض بالتخطئة فالتوبيخ والتقريع الذي يعقبه التصريح به في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ الآية. فلا تردد في أن المقصود من قوله: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ في الموضعين إبطال تحريم ما حرم المشركون أكله، ونفي نسبة ذلك التحريم إلى الله تعالى. وإنما النظر في طريق استفادة هذا المقصود من نظم الكلام. وهو من المعضلات.

فقال الفخر: أطبق المفسرون على أن تفسير هذه الآية أن المشركون كانوا يحرمون بعض الأنعام فاحتج الله على إبطال قولهم بأن ذكر الضأن والمعز والإبل والبقر، وذكر من كل واحد من هذه الأربعة زوجين ذكرا وأنثى، وإن كان حرم الأنثى وجب أن يكون كل إناثها حراما، وأنه إن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وجب تحريم الأولاد كلها. حاصل المعنى نفي أن يكون الله حرم شيئا مما زعموا تحريمه إياه بطريق السبر والتقسيم وهو م طرق الجدل.

قلت: هذا ما عزاه الطبري إلى قتادة، ومجاهد، والسدي، وهذا لا يستقيم لأن السبر **غير تام** إذ لا ينحصر سبب التحريم في النوعية بل الأكثر أن سببه بعض أوصاف الممنوع وأحواله.." <التحرير والتنوير، ٩٧/٧>

"والتعريف في ﴿المَلِكُ﴾ للجنس.

والحق: ما قابل الباطل، ومفهوم الصفة يقتضي أن ملك غيره باطل، أي فيه شائبة الباطل لا من وجهة الجور والظلم لأنه قد يوجد ملك لا جور فيه ولا ظلم كملك الأنبياء والخلفاء الراشدين وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والأمراء، بل من جهة أنه ملك غير مستكمل حقيقة المالكية فإن كل من ينسب إليه الملك عدا الله تعالى هو مالك من جهة ومملوك من جهة لما فيه من نقص واحتياج؛ فهو مملوك لما يتطلبه من تسديد نقصه بقدر الحاجة ومن استعانة بالغير لجبر احتياجه فذلك ملك باطل لأنه ادعاء ملك غير تام.

وجملة تعالى يجوز ان تكون خبرا قصد منه التذكير والاستنتاج مما تقدم من الدلائل المبينة لمعنى تعاليه وأن تكون إنشاء ثناء عليه بالعلو.

والتعالي: مبالغة في العلو. وأتبع ذلك بما هو دليل عليه وهو انفراده بالإلهية وذلك وصف ذاتي، وبأنه مالك أعظم المخلوقات أعني العرش وذلك دليل عظمة القدرة.

و ﴿الكَرِيمِ﴾ بالجر صفة العرش. وكرم الجنس أن يكون مستوفيا فصائل جنسه كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ في سورة النمل.

[١١٧] ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾

لما كان أعظم ما دعا الله إليه توحيده وكان أصل ضلالة المشركين إشراكهم أعقب وصف الله بالعلو العظيم والقدرة الواسعة ببيان أن الحساب الواقع بعد البعث ينال الذين دعوا مع الله آلهة دعوى لا عذر لهم فيها لأنها عرية عن البرهان أي الدليل، لأنهم لم يثبتوا لله الملك الكامل إذ أشركوا معه آلهة ولم يثبتوا ما يقتضي له عظيم التصرف إذ أشركوا معه تصرف آلهة. فقوله: ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ حال من ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ ، وهي حال لازمة لأن دعوى الإله مع الله لا تكون إلا عرية عن البرهان. ونظير هذا الحال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ﴾ .

والقصر في قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ قصر حقيقي. وفيه إثبات الحساب وأنه لله وحده في تخطئتهم وتهديدهم.

ويجوز أن يكون القصر إضافيا تطمينا للنبي صلى الله عليه وسلم بأن الله لا يؤاخذه باستمرارهم على."

<التحرير والتنوير، ١٨/١١٠>

"شَدِيداً وَشُهُباً﴾ [الجن:٨].

والعذاب الواصب:الدائم يقال:وصب يصب وصوبا،إذا دام.والمعنى:أنهم يطردون في الدنيا ويحقرون ولهم عذاب

دائم في الآخرة فإن الشياطين للنار ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾ في سورة مريم[٦٨]،ويجوز أن يكون المراد عذاب القذف وأنه واصب،أي لا ينفعك عنهم كلما حاولوا الاستراق لأنهم مجبولون على محاولتهم.

وجملة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ معترضة بين الجملة المشتملة على المستثنى منه وهي جملة ﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ وبين الاستثناء.

و ﴿مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ مستثنى من ضمير ﴿لا يَسَّمَّعُونَ﴾ فهو في محل رفع إلى البدلية منه.

والخطف:ابتدار تناول شيء بسرعة،والخطفة المرة منه.فهو مفعول مطلق لـ ﴿خَطِفَ﴾ لبيان عدد مرات المصدر،أي خطفة واحدة،وهو هنا مستعار للإسراع بسمع ما يستطيعون سمعه من كلام غير تام كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ في سورةالبقرة[٢٠].

و "أتبعه" بمعنى تبعه فهمزته لا تفيده تعدية،وهي كهمزة أبان بمعنى بان.

والشهاب:القبس والجمر من النار.والمراد به هنا ما يسمى بالنيزك في اصطلاح علم الهيئة،وتقدم في قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ في سورة الحجر[١٨].

والثاقب:الخارق،أي الذي يترك ثقبا في الجسم الذي يصيبه،أي ثاقب له.وعن ابن عباس:"الشهاب لا يقتل الشيطان الذي يصيبه ولكنه يحترق ويخبل"،أي يفسد قوامه فتزول خصائصه،فأن فإن لم يضمحل فإنه يصبح غير قادر على محاولة استراق السمع مرة أخرى،أي إلا من تمكن من الدنو إلى محل يسمع فيه كلمات من كلمات الملأ الأعلى فيردف بشهاب يثقبه فلا يرجع إلى حيث صدر،وهذا من خصائص ما بعد البعثة المحمدية.

وقد تقدم الكلام على استراق السمع عند قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ في سورة الشعراء[٢١١،٢١٠].." <التحرير والتنوير، ٢٣/١٥>

"ولك أن تجعل ﴿إذ﴾ اسما للزمن الماضي مجردا عن الظرفية وتجعله اشتمال من الخصم لما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم:١٦]،فالخصم مشتمل على زمن تسورهم المحراب،وخروج ﴿إذ﴾ عن الظرفية لا يختص بوقوعها مفعولا به بل المراد أنه يتصرف فيكون ظرفا وغير ظرف.

والتسور:تفعل مشتق من السور،وهو الجدار المحيط بمكان أو بلد.يقال:تسور،إذا اعتلى على السور،ونظير قولهم:تسنم جمله،إذا علا سنامه،وتذرأه إذا علا ذروته،وقريب منه في الاشتقاق قولهم: صاهى،إذا ركب صهوة فرسه.

والمعنى:أن البيت عبادة داود عليه السلام كان محوطا بسور لئلا يدخله أحد إلا بأذن من حارس السور.

و ﴿الْمِحْرَابَ﴾ :البيت المتخذ للعبادة،وتقدم عند قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾ في سورة سبأ[١٣].

و ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ بدل من ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا﴾ لأنهم تسوروا المحراب للدخول على داود.

والفزع:الذُّعر،وهو انفعال يظهر منه اضطراب على صاحبه من توقع شدة أو مفاجأة،وتقدم في قوله : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ في سورة الأنبياء[١٠٣].قال ابن العربي في كتاب "أحكام القرآن":"إن قيل:لم فزع داود وقد قويت نفسه بالنبوة؟وأجاب بأن الله لم يضمن له العصمة ولا الأمن من القتل وكان يخاف منهما وقد قال الله موسى ﴿لا تَخَفْ﴾ وقبله قيل للوط.فهم مؤمنون من خوف ما لم يكن قيل لهم أنكم منه معصومون"اهـ.

وحاصل جوابه:أن ذلك قد عرض للأنبياء إذ لم يكونوا معصومين من إصابة الضر حتى يؤمن الله أحدهم فيطمئن والله لم يؤمن داود فلذلك فزع.وهو جواب **غير تام** الإقناع لأن السؤال تضمن قول السائل وقد قويت نفسه بالنبوة فجعل السائل انتفاء تطرق الخوف إلى نفوس الأنبياء أصلا بنى عليه سؤاله،وهو أجاب بانتفاء التأمين فلم يطابق سؤال السائل.وكان الوجه ينفي في الجواب سلامة الأنبياء من تطرق الخوف إليهم.

والأحسن أن نجيب:

أولا:بأن الخوف انفعال جبلي وضعه الله في أحوال النفوس عند رؤية المكروه فلا تخلو من بوادره نفوس البشر فيعرض لها ذلك الانفعال بادئ ذي بدء ثم يطرأ عليه ثبات الشجاعة فتدفعه على النفس ونفوس الناس متفاوتة في دوامه وانقشاعه،فأما إذا أمن الله نبيا فذلك مقام آخر كقوله لموسى: ﴿لا تَخَفْ﴾ وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧].." <التحرير والتنوير، ١٣٢/٢٣>

"بيد غيره.

وهو قصر ادعائي مبني على عدم الاعتداد بملك غيره، ولا بما يتراءى من إعطاء الخلفاء والملوك الاصقاع للأمراء والسلاطين وولاة العهد لأن كل ذلك ملك **غير تام** لأنه لا يعم المملوكات كلها، ولأنه معرض للزوال، وملك الله هو الملك الحقيقي، قال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه:١١٤].

فالناس يتوهمون أمثال ذلك ملكا وليس كما يتوهمون.

واليد: تمثيل بأن شبهت الهيئة المعقولة المركبة من التصرف المطلق في الممكنات الموجودة والمعدومة بالإمداد والتغيير والإعدام والإيجاد؛ بهيئة إمساك اليد بالشيء المملوك تشبيه معقول بمحسوس في المركبات.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ في

[سورة آل عمران: ٢٦].
و ﴿ الْمُلْكِ ﴾ بضم الميم: اسم لأكمل أحوال الملك بكسر الميم، والملك بالكسر جنس للملك بالضم، وفسر الملك المضموم بضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم، وهو تفسير قاصر. وأرى أن يفسر بأنه تصرف في طائفة من الناس ووطنهم تصرفا كاملا بتدبير ورعاية، فكل ملك بالضم ملك بالكسر وليس كل ملك ملكا.
وقد تقدم في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ في [الفاتحة:٤] وعند قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ في [البقرة:٢٤٧]. وجملة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ معطوفة على جملة ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ التي هي صلة الموصول وهي تعميم بعد تخصيص لتكميل المقصود من الصلة، إذ أفادت الصلة عموم تصرفه في الموجودات، وأفادت هذه عموم تصرفه في الموجودات والمعدومات بالإعدام للموجودات والإيجاد للمعدومات، فيكون قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مفيدا معنى آخر غير ما أفاده قوله: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ تفادي من أن يكون معناه تأكيدا لمعنى ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ وتكون هذه الجملة تتميما للصلة. وفي معنى صلة ثانية ثم عطفت ولم يكرر فيها اسم موصول بخلاف قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ [الملك:٢] وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الملك:٣].
و"شيء": ما يصح أن يعلم ويخبر عنه. وهذا هو الإطلاق الأصلي في اللغة. وقد يطلق "الشيء" على خصوص الموجود بحسب دلالة القرائن والمقامات. وأما التزام." <التحرير والتنوير، ٢٩/١٠>
"" " صفحة رقم ٢٨٠ " "
أظهرها : أنه نعت ل " المتقين " .
والثاني : بدل .
والثالث : عطف بيان .
وأما الرفع فمن وجهين :
أحدهما : أنه خبر مبتدأ محذوف على معنى القطع ، وقد تقدم .
والثاني : أنه مبتدأ ، وفي خبره قولان : أحدهما : " أولئك " الأولى .
والثاني : " أولئك " الثانية ، والواو زائدة ، وهذان القولان منكران ؛ لأنه قوله : " والذين يؤمنون " يمنع كونه " أولئك " الأولى خبراً أيضاً .
وقولهم : الواو زائدة لا يلتفت إليه .
والنصب على القطع .
و " يؤمنون " صلة وعائد .

قال الزمخشري : " فإذا كان موصولاً كان الوقف على " المتقين " حسناً غير تام ، وإذا كان منقطعاً كان واقفاً تاماً " .

وهو مضارع علامة رفعه " النون " ؛ لأنه أحد الأمثلة الخَمْسَةِ وهي عبارة عن كل فعل مضارع اتصل به " ألف " اثنين ، أو " واو " جمع ، أو " ياء " مخاطبة ، نحو : " يؤمنان – تؤمنان – يؤمنون – تؤمنون – تؤمنين " .

والمضارع معرب أبداً ، إلاّ أن يباشر نون توكيد أو إناث ، على تفصيل ياتي إن شاء الله – تعالى – في غُضُون هذا الكتاب .

وهو مضارع " أمن " بمعنى : صدق ، و " آمن " مأخوذ من " أمن " الثلاثي ، فالهمزة في " أمن " للصّيرورة نحو : " أعشب المكان " أي : صار ذا عُشْب .

أو لمطاوعة فعل نحو : "كبه فأكب " ، وإنما تعدى بالباء ، لنه ضمن معنى اعترف ، وقد يتعدّى باللام كقوله تعالى : (وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) [يوسف : ١٧] ،) فَمَآ آمَنَ لِمُوسَى (يونس : ٨٣] إلاَّ أن في ضمن التعدية باللام التّعدية بالباء ، فهذا فرق ما بين التعديتين . وأصل " يؤمنون " : " يؤأمنون " بهمزتين :

الأولى : همزة " أفْعَل " .

والثاني فاء الكلمة ، حذفت الولى ؛ لأن همزة " أفْعَل " تحذف بعد حرف المُضَارعة ، واسم فاعله ، ومفعوله نحو : طأكرم " و " يكرم " و " أنت مُكْرِم ، ومُكْرَم " .

وإنما حذفت ؛ لأنه في بعض المواضع تجتمع همزتان ، وذلك إذا كان حرف المُضّارعة همزة نحو : " أنا أكرم " ، الأصل : أأكرم بهمزتين ، الولى : للمضارعة والثانية : همزة أفعل ، فحذفت الثانية ؛ لأن بها حصل الثّقل ؛ ولأن حرف المضارعة أولى بالمحافظة عليه ، ثم حصل باقي الباب على ذلك طَرْداً للباب .." <اللباب في علوم الكتاب، ١/٢٨٠>

"" " صفحة رقم ٣٢٣ " "

قوله : قال بِئْسَمَا هذا جوابُ " لَمَّا " وتقدَّم الكلامُ على " بِئْسَمَا " ، ولكنَّ المَخْصُوصَ بالذَّم محذوفٌ ، والفاعلُ مستتر يُفَسِّرُهُ " ما خَلَفْتُمُونِي " والتقديرُ : بِئْسَ خلافة خَلَفْتُمُونيهَا خلافَتُكُمْ .

فصل

فإن قيل : ما معنى قوله : " من بعدي " بعد قوله " خلفتموني " ؟

فالجواب : معناه : من بعد ما رأيتم مني من تَوْحيد اللَّهِ ، ونفي الشُّركاءِ ، وإخلاص العبادةِ له ، أو من بعد ما كتب : احمل بني إسرائيل على التَّوحيد ، وامنعهم من عبادة البقرِ حين قالوا : (اجْعَلْ لَّنَآ إِلَ اهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ([الأعراف : ١٣٨] ، ومن حقِّ الخفاء أن يسيرُوا سيرة المُستخلفين .

قوله : (أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ (: في " أمْرَ " وجهان ، أحدهما : أنَّهُ منصوبٌ على المفعول بعد إسْقاط الخافض ، وتضمينُ الفعل مَعْنَى ما يتعدَّى بنفسه ، والأصلُ : أعجلْتُمْ عن أمْرِ ربِّكم .

قال الزمخشريُّ : يُقال : عَجِل عن الأمرِ : ذا تركه غير تَامٍّ ، ونقيضه تَمَّ عليه ، وأعجله عنه غيره ، ويُضَمَّن معنى " سَبَقَ " فيتعدَّى تَعْديته .

فيقالُ : عَجِلْتُ الأمْرَ ، والمعنى : " أعجلتم عَنْ أمر ربكم " .

والثاني : أنَّهُ مُتَعَدٍّ بِنفْسِهِ غَيْرَ مضمنٍ معنى آخر ، حكى يَعْقُوب عجلتُ الشَّيء سَبَقْتُهُ ، وأعْجلْتُ الرَّجُلَ : اسْتَعْجَلْتُهُ ، أي : حَمَلْتُهُ على العَجَلَةِ .

فصل

قال الواحدي : " معنى العَجَلَة : التقدم بالشَّيءِ قبل وقْتِهِ ، ولذلك صارت مَذْمُومَةً والسُّرعة غر مذمومة ، لأنَّ معناها : عمل الشَّيء في أول أوقاتِهِ " .

ولقائلٍ أن يقُولَ : لو كانت العجلةُ مَذْمُومَةٌ فلم قال موسى : (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ([طه : ٨٤]
.

قال ابْنُ عبَّاسٍ : معنى) أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ (يعني : ميعاد ربكم فلمْ تَصْبِرُوا لهُ وقال الحسنُ : وعْدُ رَبكم الذي وَعَدكُم من الأربعين ، وذلك أنَّهُمْ قَدروا أنَّه إن لم يأت على رأس الثَّلاثين ، فقد مات .

وقال عطاءٌ : يريدُ أعَجِلْتُم سَخَطَ رَبِّكُم .

وقال الكلبي : أعَجِلْتُم بعبادة العِجْلِ قبل أنْ يأتيكم أمْر ربكُم .." <اللباب في علوم الكتاب، ٩/٣٢٣>
"" " صفحة رقم ٣١٣ " "

زعمتموهم آلهة ، وحذفهما اختصاراً جائزاً ، واقتصاراً فيه خلاف .

فصل في سبب نزول الآية

قال المفسرون : إن المشركين أصابهم قحطٌ شديدٌ ؛ حتَّى أكلوا الكلاب والجيفَ واستغاثوا بالنبيّ (صلى الله عليه وسلم) ليدعو لهم ، قال الله تعالى) قُلِ (للمشركين) ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم (أنها آلهة من دونه .

واعلم أنه ليس المراد الأصنام ؛ لأنَّه تعالى قال في صفتهم :

) أُولَ ائِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ([الإسراء : ٥٧]

وابتغاءُ الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام البتَّة ، وإذا ثبت هذا ، فنقول : إنَّ قوماً عبدوا الملائكة ، فنزلت هذه الآية فيهم .

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنه ومجاهدٌ : إنَّها نزلت في الذين عبدوا المسيح ، وعزيراً ، والملائكة ، و الشمس ، والقمر ، والنجوم .

وقيل : إنَّ قوماً عبدوا نفراً من الجنِّ ، فأسلم النَّفر ، وبقي أولئك الناس متمسِّكين بعبادتهم ، فنزلت فيهم الآية .

قال ابن عباس : كل موضعٍ في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم ، فهو كذبٌ . ثم إنَّه تعالى احتجَّ على فساد مذهب هؤلاء بأنَّ الإله المعبود هو القادر على إزالةِ الضرر ، وإيصال النفع وهذه الأشياء التي يعبدونها ، وهي الملائكة ، والجنُّ ، والمسيحُ ، وعزيرٌ لا يقدرون على كشف الضرِّ ، ولا على تحصيل النَّفع ، فما الدليل على أنَّ الأمر كذلك ؟ فإن قلتم : لأنَّا نرى أولئك الكفَّار يتضرَّعون إليها ، ولا تحصل الإجابة . قلنا : ونرى أيضاً المسلمين يتضرَّعون إلى الله تعالى ، ولا تحصل الإجابة والمسلمون يقولون بأجمعهم : إنَّ القدرة على كشف الضرِّ ، وتحصيل النفع ليست إلاَّ لله تعالى ، وعلى هذا التقدير ، فالدليل **غير تامٍّ** .

فالجواب : أنَّ الدليل تامٌّ كاملٌ ؛ لأنَّ الكفار كانوا مقرِّين بأنَّ الملائكة عباد الله تعالى ، وخالق الملائكة ، وخالق العالم لا بدَّ وأن يكون أقدر من الملائكة ، وأقوى منهم ، وأكمل حالاً منهم .

وإذا ثبت هذا ، فنقول : كمال قدرة الله معلوم متفقٌ عليه ، وكمال قدرة غير الله غير معلوم ، ولا متفقٍ عليه ، بل المتَّفق عليه أنَّ قدرتهم بالنِّسبة إلى قدرة الله تعالى قليلة حقيرةٌ ، وإذا كان كذلك ، وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الله أولى من الاشتغال بعبادة." <اللباب في علوم الكتاب، ١٢/٣١٣>

"وقرأ ابن كثير (المنادي) بالياء في الوصل والوقف على الأصل الذي هو ثبوتها إذ الكلام **غير تام** وإنما الحذف أبدا في الفواصل والكلام التام تشبيها بالفواصل

وقرأ أبو عمرو ونافع بالوقف بغير ياء لأن الوقف موضع تغيير ألا ترى أنها تبدل من التاء فيه الهاء في نحو طلحة وحمزة ويبدل من التنوين الألف ويضعف

فيه الحرف كقولك هذا فرج ويحذف فيه الحرف في القوافي وقرا الباقون وطلحة والأعمش وعيسى بحذف الياء

في الوصل والوقف جميعا وذلك اتباع لخط المصحف وأيضا فإن الياء تحذف مع التنوين فوجب ان تحذف مع معاقب التنوين وهي الألف واللام

وقوله تعالى " من مكان قريب " قيل وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن ملكا ينادي من السماء أيتها الأجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلم إلى الحساب الوقوف بين يدي الله)

وقال كعب الأحبار وقتادة وغيرهما المكان صخرة بيت المقدس

١٧٠

واختلفوا في معنى صفته بالقرب فقال قوم وصفها بذلك لقربها من النبي صلى الله عليه وسلم أي من مكة

وقال كعب الأحبار وصفه بالقرب من السماء وروي انها أقرب الأرض الى السماء بثمانية عشر ميلا وهذا الخبر إن كان بوحي والا سبيل للوقوف على صحته

و " الصيحة " هي صيحة المنادي و " الخروج " هو من القبور و (يومه) هو يوم القيامة و " يوم الخروج " في الدنيا هو يوم العيد قال حسان بن ثابت

(ولأنت أحسن إذ برزت لنا

يوم الخروج بساحة القصر)

(من درة أغلى الملوك بها

مما تربب حائر البحر) " الكامل "

وقوله تعالى " يوم تشقق " العامل في " يوم " " المصير "

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر

(تشقق) بتشديد الشين

وقرا الباقون (تشقق) بتخفيف الشين

و " سراعا " حال قال بعض النحويين وهي من الضمير في قوله " عنهم " والعامل في الحال " تشقق " وقال بعضهم التقدير " يوم تشقق الأرض عنهم " يخرجون " سراعا " فالحال من الضمير في (يخرجون) والعامل (يخرجون)

وقوله تعالى " ذلك حشر علينا يسير " كلام معادل لقول الكفرة " ذلك رجع بعيد " ق٣

وقوله تعالى " نحن أعلم بما يقولون " وعيد محض للكفرة

واختلف الناس في معنى قوله " وما أنت عليهم بجبار "

فقال قتادة نهى الله عن التجبر وتقدم فيه فمعناه وما انت عليهم بمتعظم من الجبروت

وقال الطبري وغيره معناه وما انت عليهم بمسلط تجبرهم على الإيمان ويقال جبرته على كذا أي قسرته ف (جبار) بناء مبالغة من جبر وانشد المفضل

(عصينا عزمة الجبار حتى

صحبنا الخوف إلفا معلمينا) " الوافر "

." <المحرر الوجيز . ، ٥/١٥٢>

"موصولة الاسمانيد" وكتاب "تحفة الأبر(ر في مسحألة النبوة والرسالة وما اشتملت عليه من الأسر(ر" وكتمان "الفعل المبرور والسعي المشكور فيما وصل الله أو تحصل لديه من نوازل القاضي ابن عمر بن منظور" .(٧٢)

وألفت أبو البركات ابن الحاج التلفيقي مفخرة تلاميذ ابن الزبير المتوفى سنة ٧٧٣ هـ: "المؤتمن في أنباء من لقيه من أبناء الزمن " و"الأفصاح عمن عرف بالأندلس بالصلاة " وكتاب "خطر نجار ونظر فخطر على تنبيهات وثائق ابن فتوح "، و"سلوة الخاطر فيمما أشكل من نسيبة الأديب إلى الذاكر". و"حركة الدخولجة في المسألة الخلقية" و"خطرة المجلصر في كلمة وقعت في شعر استنصر به أهل الاندلر" و"تاريخ المرية" **غير تام**. و"المرجع بالدرك على من أنكر وقوع الشك " و"جبهات اصطلاح العلوم " و"ما كثر وروده في مجلس القضاء" و"الغلسيمات " و"الفصول والأبو(ب فيمن أخذ عنى من الحثميوخ والأتباع والأصحاب " سر ٧) وغيرهما تحر

لألفي أبو لمدى محمد بن رضوان بن محمد بن أرقم الوادي آشي كتابا سماه "الاحتفال قي استيفماء ما للخيل من الأحوال ". (٧٤

وألف أبو القاسم محمد الحسني ا!ث!ريف ا!رناطط جملة تصانيف تركا:

"رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"، وصرنا "رياضة الآن في شرح الخزرجي " (٧٥ وغيرها كثير، وفيما ذكرنا أمثلة لما لم نذكر.

(٧٢) (و ٧) (٧٤) أ و ٧)

الإحاطة ٢/ا (١٧- ١٧٢.

الرتب العليا " ١٦٣ رالاحاطة ١٤٨١٢- ١٤٩. الإحاطة ١١٢ " ا

المرأة ا ايبا: ١٦٧

- ١٢٥-." <البرهان في تفسير سور القرآن، ص/١٤٢>

سورة الحج

٢ - تذهل تسلو وتنسى

- ذات حمل هو بالفتح ما تحمل الإناث في بطونها وبالكسر ما حمل على ظهر أو رأس

٣ - مريد ما رد وسبق تفسيره

٥ - من نطفة هي المني والنطف الصب والنطفة المصبوب وقيل الماء القليل وقيل الصافي

- علقة هي الدم الجامد قبل أن ييبس وجمعه علق

- مضغة لحمة صغيرة سميت بذلك لأنها مقدرة بالمضغ

- مخلفة مخلوقة تامة

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٥ ، ص : ٣٨٢

الأول : أن الأسف الشديد : الغضب ، وهو قول أبى الدرداء وعطاء عن ابن عباس ، واحتجوا له بقوله تعالى : فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ أى : أغضبونا :

و الثاني : أن الأسف هو الحزن ، وهو قول الحسن والسدى وغيرهما ، واحتجوا له بحديث عائشة أنها قالت

: « إن أبا بكر رجل أسيف أى حزين ».

قال الواحدي : والقولان متقاربان لأن الغضب من الحزن ، والحزن من الغضب ، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت. وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت ، فتسمى إحدى هاتين الحالتين حزنا والأخرى غضبا » « ١ ».

وقوله غَضْبانَ أَسِفاً منصوبان على الحال من موسى عند من يجيز تعدد الحال. وعند من لا يجيزه يجعل أسفا حالا من الضمير المستكن في غضبان فتكون حالا متداخلة.

وقول موسى لقومه : بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ذم منه لهم ، والمعنى : بئس خلافة خلفتمونيها من بعد ذهابي عنكم إلى مناجاة ربي ، وبئس الفعل فعلكم بعد فراقي إياكم. حيث عبدتم العجل ، وأشربت قلوبكم محبته ، ولم تعيروا التفاتا لما عهدت به إليكم ، من توحيد الله ، وإخلاص العبادة ، والسير على سنتي وشريعتي.

قال الجمل : و« بئس » فعل ماض لإنشاء الذم ، وفعله مستتر تقديره هو ، و« ما » تمييز بمعنى خلافة ، وجملة خلفتموني صفة لما. والرابط محذوف ، والمخصوص بالذم محذوف ، والتقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم « ٢ ».

وقوله مِنْ بَعْدِي معناه : من بعد ما رأيتم منى توحيد الله ، ونفى الشركاء عنه ، وإخلاص العبادة له ، أو من بعد ما كنت احمل بنى إسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ. ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه.

وقوله تعالى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ معناه أسبقتم بعبادة العجل ما أمركم به ربكم وهو انتظاري حافظين لعهدي ، وما أوصيتكم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله حتى آتيكم بكتاب الله ، فغيرتم وعبدتم العجل قيل : كانوا قد استبطئوا نزوله من الجبل ، فخدعهم السامري وصنع لهم العجل فعبدوه ، وجعلوا يغنون ويرقصون حوله ويقولون : هذا هو الإله الحق الذي أنقذنا من الظلم ، قال صاحب الكشاف : يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام. ويضمن معنى

---

(١) تفسير الرازي ج ٤ ص ٣٠٢.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٩٣.." <التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٥/٣٨٢>

الحديث ، وأجاب الحنفية عما قالوه نجأنه عليه الصلاة والسلام جهر بها للتعليم ، ثم خافت أو أنّ ذلك إذا كان فذاً ولأنه دعاء ومن شأنه الإخفاء والجهر به مع القرآن يوهم أنه منه وفيه نظر . قوله : (لما روي عن وائل (٣) إلخ) هذا الحديث أخرجه أبو داود ، والترمذيّ ، والدارقطنيّ ، وصححه ابن حبان ،
ووائل بهمزة بعد الألف يليها لام ، وهو وائل بن حجر بضم الحاء المهملة ، وسكون الجيم ابن ربيعة الحضرمي الصحابي كان أبوه من أقيال اليمن أي ملوكها ، فإنّ الملك يسمى عندهم قيلاً ، ووفد على النبيّ صفى الله عليه وسقم واستقطعه أرضاً فأقطعه إياها وقال : هذا وائل سيد الأقيال ، وله مع معاوية رضي الله عته قصة ولما صار خليفة قدم عليه فاستقبله وأكرمه وتوفي رضي الله عنه في عهده ، وقد سمعت ما أجيب به عن هذا الحديث . وقوله : (وعن أبي حتيفة إلخ) هدّه رواية عنه ضعيفة جداً موافقة لأحد قولي مالك والذي صححوه عنه ما مرّ كما أشار إليه المصتف رحمه الله . وقوله : (ووفع بها صوته) قد مرّ جواب الحنفية عنه أنه تعليم ، ثم خافت وخافتوا وأورد عليه أنّ الصلاة مقام مناجاة فلا يناسب التوجه إلى الغير لقصد العليم ، وجوابه ظاهر . وقوله : (لا يقوله) قيل : لأنه داع بقوله : اهدنا ولا يخفى أنه لا تنافي بين كونه داعياً وطالباً للإجابة فتدبر . قوله : (كما روا ، عبد الله بن مغفل إلخ) العراقي وتبعه من بعده من الحفاظ لم أقف على هذا الحديث من هذه الطريق ، وأخرج الطبرانيّ في الكبير عن أبي وائل قال : كان عليّ وعبد الذ بن مسعود لا يجهران بالتأمين ، وعبد الذ بن مغفل بن غنم من مشاهير الصحابة توفي بالبصرة سنة ستين ومغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة ، وتشديد الفاء المفتوحة وبعدها لام بزنة اسم المفعول . قوله : (إذا قال الإمام (١)) الحديث أخرجه البخارفي ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ووقع في أمالي الجرجاني في آخر هذا الحديث زيادة " وما تأخر " وعليها اعتمد الغزاليّ رحمه الله تعالى في الوسيط ، وأحسن ما فسر به هذا الحديث ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة رضي الله عنه قال : صفوف أهل الأرض تلي صفوف أهل السماء ، فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد قال ابن حجر رحمه الله : مثل هذا لا يقال بالرأي فالمصير إليه أولى وفي بعض النسخ كما في وسيط الواحديّ إذا
قال الإمام ولا الضايين فقولوا إلخ وأورد عليه أن الدليل لا يوافق المدعى وهو تأمين الإمام والمأموم معا لا يراده بعد قوله والمأموم يؤمن معه ، وليس في الحديث غير تامين المؤتم ، وما قيل : إن تأمييئ الإمام قد علم من الأحاديث الأخر لا وجه له وفي أكثر النسخ كما في التيسير والمعالم هكذا ، فإنّ الملائكة تقول آمين والإمام يقول آمين : فمن وافق تأمينه إلخ وعليه فلا إشكال أصلاً .

(أقول) وقد وقع نحو من هذا في البخاري فقال ابن بطال في شرحه بعدما أورد هذا الحديث أنه يعلم مته تأمين الإمام لأنّ المأموم مامور بالاقتداء بالإمام ، وقد ثبت في الحديث سابقاً أنّ الإمام يجهر بالتأمين فلزم جهره بجهره ، وتعقب بأنه يلزمه أن يجهر الماموم باً لقراءة لأنّ الإمام جهر بها .
وأجيب عته بأن الجهر بالقراءة خلف الإمام نهي عنه فبقى التأمين داخلاَ تحت عموم
الأمر باتباع الإمام واستدل بقوله فأمنوا على تأخير تاسين المأموم عن تأمين الإمام لترتبه عليه بالفاء وفيه كلام في كتب الأصول ، فذهب بعضهم إلى أنها تدل على التسبب دون التعقيب ، وقيل المعنى إ ١٦ أراد الإمام ، وقال الجمهور الفاء في جواب الشرط تدل على المقارنة ، والمراد بالملائكة جميعهم وقيل : الحفظة ، وقيل : الذين يتعاقبون إن قيل : إنهم غير الحفظة ، فالمراد بموافقة الملائكة وقوع تأمين المصلي والملائكة في وقت واحد وقيل المراد الموافقة في الإخلاص والخشوع لأنه المناسب للمغفرة ، وقال ابن حجر رحمه الله : المراد الأوّل لما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال صفوف أهل الأرض إلخ وهذا يدل على أنّ المراد بالملائكة غير ما مرّ ، وقال بعض فضلاء العصر في حواشيه : المخاطب بقوله عليه الصلاة والسلام قولوا آمين الإمام والمأموم جميعاً ، والمعنى أيها المصلون ١ قولوا جميعاً إمامكم ومأمومكم آمين ، ويؤيد . أنّ تعليق المغفرة بالموافقة ترغيب ، وحث على ما ينبغي أن يعم الإمام والمأموم جميعا ، فلا يحرم الإمام هذه الفضيلة ومثله لا يتم بسلامة الأمير فتدبر . قوله : (وعن أبي هريرة إلخ) هو صحابيّ مشهور ، - اسمه عبد الرحمن على " الأصح وهريرة تصغير هرّة وهي معروفة ، وهو غير منوّن لأنه جزء العلم وتحقيقه مشهور في." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٤٩/١>

"ج١ص١٧٤

واستعملت الثوب ونحوه أعملته فيما يعد له اهـ . واستعمال الألفاظ في معانيها مأخوذ من الأخير وهو محدث ويقال استعمل لفظ الضرب بمعنى السير ، وفي معنى السير ولمعنى السير والكل شائع في كلامهم فما قيل من أنّ هذه الباء سهو من قلم الناسخ لأنه لم يقل لم يستعمل به بل له سهو من ابن أخث خالته . قوله : (لجواز أنه عليه الصلاة والسلام تبسم تعجباً من جهلهم) قيل جهلهم لتفسيرهم النازل بلسان عربيّ بما ليس من معاني لغة العرب أو لأنهم بعدما سلموا كونه شرع الله لا وجه لعدم دخولهم فيه لقصر مدّته ، ويرد بأنّ كلامهم لا يدل على تسليم كونه دين الله في نفس الأمر لجواز أن يكون قولهم في دين مبنيا على ما يدعيه النبيّ عليه الصلاة والسلام وهو مما لا شبهة فيه ، ثم إنّ أبا العالية رحمه الله لم يستدل بتبسمه المفيد للتقرير بل بما بعد التبسم من تلاوته صثى الله عليه وسغ إياها عليهم بالتريب المخصوص ، وتقريرهم على استنباطهم وكما جاز

كون التبسم لما ذكر جاز أيضا كونه تعجبا من إطلاعهم على المراد ، ولهذا مرجحات عند بعضهم والظاهر أنه صلّى الله عليه وسلّم فعل ذلك مجاراة معهم ليلزمهم بما يعرفونه فتأمّل . قوله : (وجعلها مقسماً بها إلخ) جواب عن قوله أو دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها والمضمر حينئذ فعل القسم وفاعله ، وحرفه وجوابه لخلوّ ذلك الكتاب مما يتلقى به القسم من أنّ واللام ، فلا يصلح لكونه جواباً ، وأورد عليه أنهم ارتضوا كونها مقسما بها إذا كانت أسماء لله أو القرآن أو السور ، ولم يستضعفوه ، لما ذكر وتبعهم في ذلك المصنف رحمه الله فإن قيل إنه لشرف معانيها المناسبة للقسم قيل : هذه أيضا شريفة لأنها منبع أسماء الله وخطابه مع أنّ وجه التضعيف وأورد ثمة بلا فرق ، والجواب عنه أنها إذا كانت من أسماء الله أو من صفاته كالقرآن كانت صالحة لأن يقسم بها في نفسها فارتكاب تلك الإضمارات شائع في الجملة أمّا ما لا يصلح لذلك ، كأسماء الحروف المقطعة ، فيبعد ذلك عنه بمراحل ، وما ذكره من التأويل إن سلم أنه يصححه لا يقربه ، وقول المصنف رحمه الله غير ممتنع إلخ يشير لما ذكرناه وقوله لا دليل عليها أي دليلاً معينا لها فلا يرد أنّ عطفه المجرور في مثل ﴿ قاف والقرآن ﴾ دليل فمطرد لأنّ واو والقرآن تحتمل التسمية فلا دليل فيها أيضاً . قوله : (والتسمية بثلاثة أسماء إلخ) جواب عن أنّ التسمية بثلاثة أسماء مستنكر في لغة العرب بأنّ المستنكر تركيب ثلاثة أسماء تركيبا مزجياً كحضرموت ، وأمّا التسمية بها منثورة غير مركبة كذلك بل مسرودة سرد الاعداد فليس بمنكر ، وإذا سموا بنحو شاب قرناها وجاز جعل الجمل علماً كما ذكره سيبويه كيف يستنكر هذا ، فإن قلت كيف سلموا هنا أنّ تركيب ثلاثة أسماء ممتنع ، وغير ثابت من غير نزاع فيه ، وقد ورد في اسم المدينة دارابجرد فإنها في الأصل من دار ومن آب ومن جرد قلت قال قدس سرّه في شرح الكشاف : لما مثل به الزمخشريّ دارابجرد علم بلدة بفارس معرب دارابكرد ، وهو مركب من كلمتين إحداهما دارا اسم ملك بناها والثانية بكرد ، وقيل هو معرّب دراب كرد فيكون ثلاث كلمات في الأعجمية لأن دراب معناه درآب سمي بذلك لأنه وجد في الماء ، وصار بالغلبة اسما واحدا فضمت إليه كلمة أخرى وصار المجموع كبعلبك وعلى هذا تتأكد المشابهة بينه ، وبين طسم وقد وجد في نسخة المصنف رحمه الله داربجرد بلا ألف بعد الدال ، وهو سهو من طغيان القلم والآفات المقصود وهو إثبات موازن له في كلامهم اهـ . أقول إنما تركه المصنف رحمه الله وغيره ، وان ذكره سيبويه رحمه الله وتابعه الزمخشري لأنه ليس بعربي والمدعى أنه لا يوجد مثله في كلام العرب إلا أنّ ما ذكره الشريف غير تام رواية ودراية . أمّا الأوّل فقد قال ياقوت في معجم البلدان : دارإبجرد
بألفين بعد الألف الثانية ياء موحدة ثم جيم ثم راء ودال مهملة ولاية بفارس وداربجرد بدون ألف كورة بفارس عمرها داراب ، وهي معرّب داراب كردود اراب اسم رجل وكرد بمعنى عمل قال الأيادي :

يقاتل من قصور درابجرد ويحمي للمغيرة والرفاد

وهي أكبر من دارابجرد اهـ . فما وقع في خط العلامة صحيح والموازنة فيه ثابتة بحسب الأصل لأنّ دراب بمنزلة طس ، وهو ظاهر لا غبار عليه نعم التسمية بأسماء منثورة لم توجد في كلامهم ، وما ذكره سيبويه مجزد قياس محتاج للإثبات كما ذكره السيد أيضاً . وقوله : (نثرت (بنون وثاء مثلثة وراء مهملة من النثر ضد النظم."

<حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ١/١٧٤>

"ج١ص٢٠٩

فائدة ، ثم إنّ المتقين إن أريد بهم المشارفون لم يحسن أن يجعل الذين يؤمنون بالغيب صفة ، ولا مخصوصاً بالمدح نصباً أو رفعاً ولا استئنافاً أيضا ، لأن الضالين الصائرين إلى التقوى ليسوا متصفين بشيء مما ذكر ، وحمل الكلام على الاستقبال والمشارفة يأبا . سياق الكلام عند من له ذوق سليم اهـ . وقيل : يمكن دفعه بأنّ في هذا النوع من المجاز زمانين زمان النسبة وزمان إثبات النسبة ، واعتبار المشارفة بالنظر إلى زمان نسبة الهدى واعتبار حقيقة التقوى بالنظر إلى زمان إثبات الهدى فلا إشكال ، ونظيره أن يقال قتلت قتيلاً كفن في ثوب كذا ودفن بموضع كذا ، فإنّ اعتبار المشارفة بالنظر إلى زمان نسبة القتل واعتبار حقيقة القتل ، والتكفين والدفن بالنظر إلى زمان إثبات نسبة القتل ، وقيل : أيضاً يمكن أن يكون المتقين مجازاً بالمشارفة ، والصفة ترشيحاً له بلا مشارفة ، ولا تجوّز أصلاً كما هو المعهود في ترشيح المجاز والاستعارة .

(أقول ا لا يخفى ما في هذا أمّا الآوّل فلأنّ أهل الأصول اختلفوا في أنّ المعتبر زمان الحكم ، أو زمان التكلم ، ورجحوا الأوّل ، وما ذكره هذا المجيب منتحت من القولين ، فهو بناء على غير أساس ، وسقوطه ظاهر بلا التباس . وأمّا الثاني فهو إن لم يبعد عن الصواب إلا أنه مسلم للإشكال وتوجه وروده وليس كذلك لأنا إن حملنا المتقين على حقيقته فظاهر وان حملناه على المشارفة فالمشارفة ثابتة في الحال والتقوى الحقيقية عقبه ، كما هو شأن المشارفة فلتعقبها لها ، كأنها واقعة فيمدح صاحبها بما يتصف به بعد ذلك في المستقبل من غير محذور ، وإذا علم المخاطب ثبوت وصف حميد في المستقبل لموصوف ، فما المانع من المدح به كما يقول المؤمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الشفيع في المحشر ، فالإشكال ليس بوارد أصلاً . قوله : (فيكون الوقف إلخ) قال السخاوندي : الوقف إمّا لازم ، وهو الذي إذا وصل غير المعنى المراد نحو وما هم بمؤمنين يخادعون الله لأنّ القصد نفي الإيمان ولو اتصل لم يفد . ، ومطلق وهو ما يحسن الابتداء به وهو الذي عناه العلامة بقوله مقتطع ، وجائز وهو ما استوى وصله وفصله وهو المراد بقوله حسن غير تامّ لأنّ اعتبار الوصفية يقتضي الوصل ، واعتبار الفاصلة يقتضي الفصل ، وفي الكشف اعتبار الفاصلة في الوقف لا يقول به

السخاوندي والكواشي ،

والظاهر أنّ مثله يجوز في الآيات إذا قصد البيان خاصة لما مرّ من أنّ التامّ عند القرّاء والزمخشريّ هو الوقف على جملة مستقلة لا ترتبط بما بعدها ، وأمّا الحسن فقيل : هو الوقف على جملة لها ارتباطاً بما بعدها ارتباطاً لا يمنع الاستقلال ، وقيل الوقف على كلام مستقل بعده ما لا يستقل كالحمد لله وفي تسميته حسناً نظر ، وعلى القطع هو في المعنى وصف ، فلذا كان الوقف غير تامّ واعترض بأنه على تقدير كونه مبتدأ خبر . أولئك ينبغي أن يكون الوقف غير تامّ أيضاً لأنه استئناف على تقدير سؤال نشأ عما قبله فهو كالجاري عليه معنى ، فلا فرق بينه وبين النعت المقطوع وأجيب بأنه لم يتغير في المقطوع ما قصد من إجرائه عليه في المعنى بخلاف الاسنئناف ، فإنّ المقصود فيه الاخبار عنه بما بعده وان فهم وصفه به ضمنا فليس جاريا عليه معنى ورذ بأنّ ما فهم عن الزمخشريّ في تعريف التامّ ، ونقل عن القرّاء كما مرّ غير صادق على المستأنف فإنه مرتبط بالمستأنف عنه معنى كما صرّح به المجيب ، ولا يخفى أنّ الارتباط من الثاني لا الأوّل ، والمعتبر في التامّ عكسه فتأمل . قوله : (والإيمان في اللغة التصديق) وفي نسخة عبارة عن التصديق ، فالإيمان أفعال من الأمن ، وقد كان متعدياً فتعدى بالهمزة لاثنين كامنته غيري أي جعلت غيري آمناً منه ، وقيل إنّ همزته تحتمل أن تكون للصيرورة كاغد البعير إذا صار ذا غدة وقول المصنف رحمه الله كأنّ المصدق إلخ يشير إلى الأوّل ، وقوله بعده صار ذا أمن يشير إلى الثاني ، واستعماله متعدياً لاثنين يأباه ، وما توهمه وهم فإنه معنى آخر ، وهمزة التعدية فيها معنى الصيرورة بمعنى الجعل كما لا يخفى ، واستعماله في التصديق إمّا مجاز لغوي لاستلزامه إيا . لأنّ من صدقك أمنك تكذيبه كما يشعر به كلام الكشاف أو حقيقة لغوية ، كما في الأساس ووفق بينهما بأنّ كلامه في المعنى الحقيقيّ الذي وضع له اللفظ أوّلاً في اللغة ، ثم وضع فيها لمعنى آخر يناسبه ، وهو دأبه في تحقيق الأوضاع الأصلية وبيان مناسبات المعاني اللغوية بعضها لبعض مع كون اللفظ حقيقة لغوية في كل منهما." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١/٢٠٩>

"ج١ص٢٢٤

الاشتقاق مما ليس بحدث قليل مردود لأنه وان إشتهر ، ومثلوا له باستنوق الجمل وأبك إذا أحسن رعي الإبل وسبقه إليه غيره إلا أنه غير تام لأنهم إن أرادوا به ملاحظة معنى اسم الجنس في الفعل ومتصرّفاته مطلقا ، فهو أكثر من أن يحصى ويحصر كطين الحائط إذا طلاه بالطين ، وأترب الكتاب إذا وضع عليه التراب وزفت الإناء وقيره واثبات القلة النسبية موقوف على الاستقراء التام وهو متعذر وان أرادوا أنّ اسم الجنس وضعه الواضع أوّلاً ، ثم أخذ منه الفعل ومتصرفاته كاستنوق والناقة فهو وان كان الوقوف عليه لغير الواضع عسيراً إلا أنه

يستدذ عليه بشهرة الجامد دون ما أخذ كالإبل وابل ، وهذا ليس كذلك لشهرة صلى والمصلي دون الصلا والصلوين وفيه نظر . وقوله إنّ الصلاة بمعنى الدعاء شائعة مسلم ، وعدم ورود إطلاق الصلاة على ذات الأركان من العرب باطل ، وان تبع غيره هنا وهو ظاهر كلام السيوطي في المزهر في الفصل الذي عقده للألفاظ الإسلامية لأنهم إن أرادوا أنّ الصلاة بمعنى العبادة المخصوصة ولم يكن قبل شرعنا مسمى ، واسم فليس كذلك لورود ما يخالفه في آيات كثيرة كقوله تعائى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم : ٤٠] والاستدلال عليه بظاهر قوله ﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] أي المصلين من ضيق العطق ، والمخصوص خصوص هذه الأقوال والأفعال وان أرادوا أنها لم تسم صخلاة قبل شرعنا وأنه لم ينقل عن العرب قبل الإسلام ، فليس كذلك لنقل أئمة اللغة كالجوهرفي ما يخالفه ، وان اختلف في أنه حقيقة لغوية أم لا ، ولا خلاف في أنه حقيقة شرعية وتحقيقه ما قاله ابن فارس في كتابه فقه اللغة ، وعبارته كانت العوب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ، ونقلت ألفاظ مبن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات ، ومما جاء في الشرع الصلاغ ، وأصله في لغتهم الدعاء ، وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود ، وإن لم يكن على هذه الهيئة فقالوا :
أو درّة صدفية غواصها ﷺ بهج متى يرها يهلى ويسجد
(وقال الأعشى :
يراوح من صلوات الملي ﷺ ك طوراً سجوداً وطوواً جؤارا
وهذا وان كان كذا ، فإن العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الإعداد ،
والمواقيت والتحريم للصلاة والتحليل منها وكذلك الصيام والحج والزكاة اه . فقد عرفت أنّ العرب سمتها بذلك قديما وأنّ قوله لم يرد عنهم إطلاقها على ذات الأركان وأنهم ما كانوا يعرفونها لا أصل له ، وما ذكره من السؤال والجواب قد قيل في توجيهه أيضاً : إنه إنما جعل الصلاة من صلى لعدم استعمال التصلية بمعنى الدعاء ، وفي القاموس يقال : صلى صلاة ولا يقال تصلية اه وما في القاموس تبع فيه الجوهريّ وبعض أهل اللغة ، وليس بصحيح وان اشتهر قال الإمام الزوزني في أفعاله : التصلية غازكرون ، وفي أمالي ثعلب إمام أهل اللغة أنشد لبعض العرب :
تركت القيان وعزف القيان وأدمنت تصلية وابتهالا
وقال في تفسيره يقال صليت صلاة وتصلية هه وكذا في العقد لابن عبد ربه ، وإنما تركه
أهل اللغة لأنه من المصادر القياسية ، وعادتهم تركها وأخذ الصلاة من الصلوين ، واطلاق المصلي على ثاني

خيل الحلبة مما لا يثك فيه أحد من أهل اللغة وقول المصنف رحمه الله حرّك الصلوين وقع في بعض النسخ الصلا مفردا بدله ، وما أورده صاحب الكشف عليه من أنه مخالف لمذهب المعتزلة وأهل السنة إشارة إلى ما تقرّر في أصول الفقه من أنّ الألفاظ المستفادة من الشرع هل لها حقيقة شرعية أم لا فقال القاضحي أبو بكر رحمه الله : إنّ الشرع لم يستعملها إلا في الحقائق اللغوية ، فالمراد بالصلاة المأمور بها الدعاء إلا أنّ الشرع أقام أدلة على أنّ الدعاء لا يقبل إلا بشرائط مضمومة إليها ، وأثبتها المعتزلة وقالوا نقل الشارع هذه الألفاظ عن مسمياتها اللغوية ، وابتدأ وضعها لهذه لا لمناسبة ، فليست حقائق لغوية ، ولا مجازات عنها ، والحق أنها مجازات اشتهرت ، فصارت حقيقة شرعية والزمخشريّ ليس بمقلد للمعتزلة." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١/٢٢٤>

"ج٢ص٥١

تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٣١] وفيه رمز إلى أنهم لو تأمّلوا لم يشكوا فتأمل. قوله : (وتفعلوا جزم بلم الخ) جزم بمعنى مجزوم كدرهم ضرب الأمير بمعنى مضروبه وهذا تعليل وبيان لكون العامل الجازم هنا لم لا إن الشرطية لأنه لما اجتمع عاملان وعملهما معا لا يجوز إذ لا يتوارد عاملان على معمول واحد رجحوا الثاني لأنه واجب الأعمال إلا في ضرورة أو شذوذ أو وجود مانع متصل بالفعل كنون التأكيد والإناث وهي مختصة بالمضارع كاختصاص حرف الجرّ بالاسم فكانت جديرة بأن تعمل فيه العمل الخاص به ولأنها لا تنفصل عنه إلا نادراً بخلاف إن ولأنها تقلبه إلى المضي فلما أثرت في معناه لقوّتها أثرت في لفظه وصارت معه

كفعل واحد ماض فلم يفعل بمعنى ترك وحرف الشرط حينئذ داخل على المجموع فيعمل في محل فعله ولا يلغى وليس هذا من التنازع في شيء وإن تخيل مشابهته له لأنّ ابن هشام في كتبه كنيره صرّح بأنّ التنازع لا يكون بين حرفين لأنّ الحروف لا دلالة لها على الحدث حتى تطلب المعمولات (أقول) كذا في شرح الكشاف وفي شرح أوضح المسالك ما نصه أجاز ابن العلج التنازع بي ن الحرفين مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ الآية فقال تنازع إن ولم في تفعلوا ، ورذ بأن أن تطلب مثبتا ولم تطلب منفياً وشرط التنازع الإتحاد في المعنى إلا أنّ أبا عليّ الافارسي أجازه في التذكرة كما نقله عنه الشاطبيّ فعلى هذا يصح أن يقال الجازم هنا أيضا أن فالحاصل إن لم جازمة للمضارع وإن جازمة للمحل لكثرة عملها فيه في نحو إن جئتني أكرمتك فتوفر حظهما من العمل كما أشار إليه المصمنف بقوله ولأنها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل

على المجموع أي مجموع لم والفعل فعملهما محليّ فإن تلت هل المحل للفعل وحده أو للجملة أو للم مع الفعل كما هو ظاهر كلام المصنف. قلت : هذا مما لم يصرّحوا به وفيه إشكال لأنه إن كان للفعل وحده لزم توارد عاملين في نحو النسوة إن لم يقمن وان كان للجملة يرد عليه أنهم لم يعدوها من الجمل التي لها محل من الإعراب وان كانت للم مع الفعل فلا نظير له وعلى كل حال فالمقام لا يخلو من الإشكال وقد أطال فيه شارح المغني بما لا مآل له فليحرّر. قوله : (وإن كلاً في نفي المستقبل الخ) وقد فرق بينهما برجوه كالاختصاص بالمضارع وعمل الممب ، ونقل عن بعضهم أنها قد تجزم ولا يقتضي نفي لن التأبيد ولا غيره من طول مدة أو قلتها خلافاً لبعض النحاة في ذلك وليس أصلها لا أن لأنه سمع نادرا كما في قوله :

يرجى المرء مالاً أن يلاقي ويعرض دون أيسره الخطوب

ولا حجة فيه لاحتمال زيادة أن فيه وقد أورد عليه أن لن تضرب كلام تامّ وأن مع الفعل

اسم مفرد غير تام وتقدير ما يتمّ به معه تعسف أهون منه القول بأنه أصله فلما غير لفظه غير معناه وصار لمجرّد النفي ، وقيل : أصله لا فأبدلت ألفه نونا ولما كان هذا كله تكلفا بغير طائل لم يرتضه المصنف رحمه الله وقال : إنه مقتضب أي مرتجل وضحع ابتداء هكذا ، وأصل معنى الاقتضاب الاقتطاع. قوله : (والوقود بالفتح ما توقد به النار الخ) المشهور عند النحاة الفرق بين فعول وفعول بالفتح والضم فالثاني مصدر والأوّل اسم لما يفعل به وقال بعض النحاة : قد يكون مصدراً وحكي عن سيبويه في ألفاظ وهي الولوغ والقبول والوضوء والطهور وزاد الكسائيّ الوزوع وغيره اللغوب بمعنى التعب وبه قرئ في سورة ق ، فتصير سبعة والمشهور في المفتوح أنه اسم فيه معنى الوصفية كالقارورة ، وقد قرئ بالضم هنا في الشواذ وهي قراءة عيسى

ابن عمر والهمدانيّ وقال ابن عطية الضم والفتح محكيان في الحطب والمصدر فإن كان اسما لما يوقد به فلا حاجة إلى التأويل وإلا فحمله على النار مبالغة كرجل عدل أو بالتجوّز فيه ، أو في التشبيه أو بتقدير مضاف في الأوّل كذو وقودها أو في الثاني كاحتراق وقيل فيه نظر يعني لأنّ الإيقاد غير الاحتراق ولذا قيل : فيه مسامحة لأنه يقال اتقدت النار ولا يقال احترقت بل الاحتراق أثره وقريب منه ، والأمر فيه سهل ، وحكى المصنف عن سيبويه أنّ من العرب من جعل المفتوح مصدرا والمضموم اسما على عكس المشهور وقوله عالياً بمعنى فصيحاً يقال لغة عالية وعلوية وهذه اللغة أعلى أي أفصح وأصله كما قيل من علياء." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٢/٥١>

"ج٣ص٢٥

السجود بين وجهه بأنها أمرت بكل ركن على حدة مبالغة في المحافظة ، وقدم السجود لأنه كان كذلك في

صلاتهم ، وأمّا كونه للتنبيه على أنّ الواو لا تفيد الترتيب فلا يخفى ضعفه لأن الكلام مع من يعلم لا مع من يتعلمه من هذا النظم ، وكذا كونه قدم لشرفه ، نه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد لأنه إنما يتم على القول بأن القيام ليس أفضل منه كما نقل عن الشافعيّ ، وكذا الوجه الأخير **غير تام** إذ لو قيل واسجدي مع الساجدين أو مع المصلين لم يتأت ما ذكره ، وفي الكشاف أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة وأركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ، ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو انظمي نفسك في جملة المصلين ، وكوني معهم في عدادهم ، ولا تكوني في عداد غيرهم ، ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم وشمجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ، يعني بعد الأمر بالصلاة أمرت بقيد في الصلاة ، وهو الجماعة أو بالمواظبة على ذلك بحيث تعد من جملة المصلين وتنسب إليهم أو بحقيقة الركوع والكون مع الذين يركعون لا مع الذين يصلون بلا ركوع ، وقوله عليها أي على الصلاة أو الأركان. قوله : (وقيل المراد بالقنوت الخ (قال الراغب رحمه الله : القنوت لزوم الطاعة فلا يقال إنّ الآية لا تدلّ على الإدامة لأنها مفهومة من قوله : آناء الليل والتعبير عن الصلاة بالسجود من التعبير بالجزء عن الكل ، والإخبات التواضع. قوله :) أي ما ذكرنا الخ) من القصص بيان لما هو إفا بفتحتين أو جمع قصة وقوله : من الغيوب تفسير لقوله من أنباء الغيب وقوله :) التي لم تعرنها الخ) الحصر مأخوذ من المقام ، والأقداح جمع قدح بكسر فسكون وهو سهم يوضع للميسر والقرعة سميت أقلاما من القلم ، وهو القطع وهو بيان لإفراد اسم الإشارة بأنه باعتبار حاضية الثهأب / ج ٣ / م ٤

تأويله بما ذكر. قوله : (والمراد تقرير كونه وحيا الخ) يعني أنه يخبر بما لا سبيل إلى معرفته بالعقل مع اعترافكم بأنه لم يسمعه ، وتنكرون إنه وحي فلم يبق مع هذا ما يحتاج إلى النفي سوى المشاهدة التي هي أظهر الأمور انتفاء. قوله : (متعلق بمحذوف الخ ا لما لم يصلح تعلق يلقون باسم الاستفهام لفظا ومعنى لزم أن يقدر ما يرتبط به النظام ، وذكر له الزمخشري ثلاثة أوجه أحدها : جملة هي حال مما قبلها أي ينظرون لأنّ النظر يؤدّي إلى الإدراك فيتعلق باسم الاسنفهام كالأفعال القلبية كما صزح به ابن الحاجب وابن مالك في التسهيل فمن ظن أنه مخصوص بها حتى ارتكب تأويل النظر بنظر البصيرة وقال : إنّ المصنف تركه لهذا لم يصب. الثاني : ليعلموا أنّ الإلقاء سبب العلم لكنه سبب بعيد والقريب هو النظر إلى ما ارتفع من الأقلام وقدره السكاكي ينظرون ليعلموا نظراً إلى المعنى واللفظ.

والثالث : يقولون قالوا : وهو ضعيف لأنه ليس فيه فائدة يعتد بها وإنما هو إصلاح لفظي ، وقيل : إنه مفيد إذ المراد بالقول المقدر القول للبيان أي ليبينوا ويعينوا الكافل ووقع في عبارة القاضي رحمه الله أو يقولون فهو

مثل ما قدره الزمخشريّ والجملة حالية وفي بعض النسخ أو يقولوا بالنصب عطفا على يعلموا ، ووجه التعليل فيه خفاء إلا أن يؤوّل بما مرّ فلا يرد عليه ما قيل إنه سهو من الناسخ إلا أن يقالط إنه أراد بيقولوا ليحكموا إلا ليستفهموا فتأمل. قوله : (وما بينهما اعتراض الخ) دفع به الاعتراض! بالفصل كما دفع بما بعده أن الوقتين مختلفان فكيف يصح البدل وبدل الغلط لا يقع في فصيح الكلام ، وعلى تقدير الإبدال من إذ قالت الملائكة جاز اتحاد الوقتين فهو ظاهر أنه بدل كل وتيل : بدل اشتمال وأما وقت الاختصام فظاهر أنه قبل وقت البشارة بمدّة فاحتيج في جواز الإبدال إلى أن يعتبر زمان ممتذ يقع الاختصام في بعضه والبشارة في بعض آخر ليصح بالنظر إلى ذلك أنهما في زمان واحد كما يقال : وقع القتال والصلح في سنة واحدة ، مع أنّ القتال في أوّلها والصلح في آخرها ، وتحقيقه أنّ كلا من الزمان والمكان قد يؤخذ حقيقيا ، وهو القدر الذي ينطبق على الشيء ولا يفضل عنه ، وقد يؤخذ غير حقيقيّ وهو خلافه والأصوليون يسمونه معياراً وغير معيار فيكون بدل كل من كلى لا بدل اشتمال أو جزء من كل باعتبار أنّ أحدهما لجميع الوقت والآخر لمعياره لأنه وإن كان في صحته نظر تحكم لا داعي إليه. قوله : (المسيح لقبه وهو من الآلقاب المشرّفة)
ركسر الراء أي المفيدة للمدح ويصح." <حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ٣/٢٥>
"ج٣ص١٦٠
في الإعجاز وعدمه ، وهو اختلاف في أمرين لم يكن الاختلاف كثيراً بل المختلف فلذا أوّل به ، والمصنف رحمه الله أشار إلى أنّ الاختلاف بالتناقض ، وتفاوت النظم والفصاحة ، وعدمها ، وسهولة المعارضة وصعوبتها ، والمطابقة للخارج وعدمها ، والموافقة للعقل ، وعدمها فعذد أنواعا منه إشارة إلى أنّ الكثرة في الاختلاف نفسه لا في المختلف لأنه لا داعي إليه كما مرّ لكن عدم الاختلاف فيما ذكره لا يدل على كونه من عند الله لجواز صدور كلام غير معجز لي فيه شيء من هذا الاختلاف عن البشر كالأحاديث النبوية فلا يتضح الاستدلال الواقع في النظم ، ولهذا حصره الزمخشرفي فيما مرّ ليكون دليلاً واضحا وقد شعر بهذا ، وحاول دفعه بأنه وان جاز مثله لكن الاستقراء دل على خلافه ، وفيه نظر والاستقراء غير تام. قوله : (للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام الخ) جواب عن توهم أنّ النسخ فيه اختلاف مثل قوله : قبيل هذا كفوا أيديكم
مع كتب علينا القتال ، وكل من عند الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك فلا يرد أنه إن أراد ما سبق من القرآن فغير ظاهر لأنه لم يسبق قريباً أحكام متناقضة وان أراد بما سبق ما كان قبل نزول هذه الآية مطلقا فلا وجه لإلرادها هنا. قوله : (مما بوجب الآمن أو الخوف الخ) وجه التأويل ظاهر لأن الأمن والخوف نفسهما

ما لم يجيا بل ما يقتضيهما ، وقوله : لعدم حزمهم بحاء مهملة وزاي معجمة أي لا لفساد ونفاق وغيره ، والتخويف في إذاعته مفسدة ظاهرة وكذا الظفر لأنّ العدوّ يستعد له فيقوّي شوكته. قوله : (والباء مزيدة) في الكشاف يقال أذاع السرّ وأذاع به ، ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة ، وهو أبلغ يعني أنه إذا جعل لازما يكون بمعنى فعلوا به الإذاعة ، وهو أبلغ لأنه يقتضي تأثيره في المذاع ، وكونه ثبت ، وقرّ فيه سواء كانت الباء للتعدية أوبمعنى في على حد قوله :

تجرح في عراقيبها نصلي

وأمّا أن يكون مضمنا معنى التحدث فإن قيل أنه يكون لازماً ، ومتعدياً فأظهر. قوله :

(ولو رذوا ذلك الخبر الخ) مرجع الضمير الخبر المفهوم من الكلام ولو أرجعه إلى الأمر لكان أظهر ، وضمير رأيه للرسول صلى الله عليه وسلم ، وذكر في تفسير الاية ثلاثة أوجه مبني الأوّل على أنّ مجيء الأمر وصول خبر السرايا إليهم ، ورذه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر إلقاؤه إليهم وإخبارهم به من غير إذاعة ، والعلم معرفة تدبيرة ، والمصلحة فيه ، ومبني الثاني على أن مجيء الأمر اطلاعهم على ما بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وأولي الأمر من الأمن أو الخوف من قبل الأعداء ، وردّه إليهم ترك التعرّض له أو جعله بمنزلة غير المسموع ، والعلم معرفة كيفية التدبير ، ومبني الثالث على أنّ مجيء الأمر سماع خبر السرايا من أفواه المنافقين ، وردّه إليهم تركه موقوفاً إلى السماع منهم ، والذين يستنبطونه هم المذيعون ، والعلم معرفتهم بما ينبغي في ذلك الأمر من الإذاعة ، وعدمها واستنباطهم إياه من الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر تلقيهم ذلك من قبلهم فمن على هذا

ابتدائية والظرف لغو متعلق بيستنبطون ، وعلى الأوّلين تبعيضية أو بيانية تجريدية ، والظرف حال ، وإطلاق أولي الأمر على كبار الصحابة لكونهم المرجع فيه أو المظهر له ، والاستنباط أصله استخراج الشيء من مأخذه كالماء من البئر والجوهر من المعدن ، والمستخرج نيط بالتحريك فتجوّز به عن كل أخذ وتلق. قوله : (بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الخ) خصه لأنه هو المانع عن الضلال ولأجل صحة الاستثناء لأنه اختلف في قوله إلا قليلا فقيل مستثنى من قوله : أذاعوه أو لعلمه واستدلّ به على أنّ الاستثناء لا يتعين صرفه لما تبله لأنه لو كان مستثنى من جملة اتبعتم فسد المعنى لأنه يصير عدم اتباع القليل للشيطان ليس بفضل الله ، وهو لا يستقيم ، ومن صرفه إليه كما هو المتبادر خص الفضل لأنّ عدم الاتباع إذا لم يكن بهذا الفضل المخصوص لا ينافي أن يكون بفضل آخر ، ثم اختلفوا فمنهم من فسره بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ، والمعنى لولا بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن العظيم لاتبعتم الشيطان فكفرتم إلا القليل منكم فإنهم ما اتبعوا

الشيطان ، وما كفروا ولا أنكروا بعثه ، ولا قرآنه كمن اهتدى إلى الحق في زمن الفترة كقس بن ساعدة وأضرابه ، وقيل المراد به النصرة ، والمعونة أي لولا تتابع النصرة." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٦٠/٣>

"ج٣ص٣٠٠

في جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وعلى هذّه القراءة فالأكثر أنّ فيها مضافاً مقدراً ، وقيل لا حاجة إلى تقدير ، والمعنى هل تستطيع أن ينزل ربك بدعائك ، وهذا منقول عن الفارسيّ وفيه نظر وفي قوله هل تسأله ذلك إشارة إلى أنّ استطاعة السؤال هنا عبارة عن السؤال كما مرّ تحقيقه لأنّ قوله من غير صارف يأباه فتأمل. قوله : (والمائد الخوان إذا كان عليه الطعام من ماد الماء الخ) الخوان بضم الخاء ، وكسرها ، وفيه لغبة اخوان بهمزة مكسورة ، وهو معرّب وقيل إنه عربيّ مأخوذ من تخوّنه أي نقص حقه لأنه يؤكل عليه فينقص ، وهو بمعنى المائدة ، وهي فاعلة من ماد يميد إذا تحرك أو من ماده بمعنى أعطاه فهي إما فاعلة بمعنى مفعول كعيشة راضية أو بجعلها للتمكن مما عليها كأنها بنفسها معطية كقولهم للشجرة المثمرة مطعمة ، وتفسير المائدة بالخوان تفسير بالأعمّ لأنه لا يقال للخوان مائدة إلا وعليه طعام ، والا فهو خوان كما لا يقال للقدح كأس إلا وفيه خمر ، وله نظائر كثيرة ذكرها أهل اللغة. قوله : (بكمال قدرته وصحة نبوتي ا لا فرق بينهما في ابتغائهما ، وإنما الفرق في تقدير متعلق الإيمان هل هو القدرة والنبوة

أو عدم تقديره ، والمراد صادقين في الإيمان مطلقاً. قوله : (تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال الخ) هذا!لا ينافي ما سبق من كونهم لم تكن معرفتهم مستحكمة لأنهم ليسوا معاندين ولا جازمين بخلافه فلهم أن يعتذروا عن طلبه بأنّ ، : مرادنا أن نتيقن ، ويزول وهمنا ، وعلى التأويلات السابقة لا اشكال فيه فما قيل إنه رد لما في الكشاف من كونهم شاكين ، ويدل عليه. قوله : (لما رأى أنّ لهم غرضاً صحيحاً الخ ا لا يرد عليه أنه كيف يتمشى مع تصريحه أولاً بما ذكره الكشاف ، وتقديمه على سائر الأقوال ، ولهذا اكترض عليه بأنه غير منايسب لصدر كلامه ، ولذا قال بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال ليكون عين اليقين ، ولا بعد في مثله من بعض الحواريين إذ قد يكون منهم من قرب عهده ثم تمحض بذلك خلوصه ، وًكلامه لا يخلو من اغلاق وادماج ، وقوله عليها من الشاهدين مثل قوله : وكانوا فيه من الزاهدين. وقوله : (إذا استشهدتنا) يشعر بأنّ على صلة الشاهدين لكن فيه تقديم ما في حيز الصلة ، وحرف الجر وكلاهما ممنوع فلا بد من تعلقه بمحذوف يفسره من الشاهديين إن جوّزنا تفسير ما لا يعمل للعامل ، وقد جوّز تقدمه بعض النحاة مطلقاً وبعضهم في الظرف ، وجوّز أن يكون حالاً من اسم كان أي عاكفين عليها على ما مرّ في قوله

تعالى ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة ﴾ ، والوجه الثاني لا اشعار فيه به ، وقوله بكمالها إشارة إلى أنّ عندهم دليلاً لكنه **غير تام** ، وهذ يؤيد ما اخترنا في تفسير كلامه. قوله : (اللهم ربنا الخ) قالوا ربنا نداء ثان لا بدل ولا صفة لأنّ لفظ اللهم لا يتبع ، وفيه خلاف لبعض النحاة ومن السماء إما صفة مائدة أو متعلق بالفعل. قوله : (أي يكون يوم نزولها عيدا الخ ا لما كان العيد اسماً للزمان في المتعارف لم يصح الاخبار عن المائدة به فقدر نزولها يوم عيد ليصح الحمل فإن قلنا إنّ معناه السرور لا يحتاج إلى التأويل ، ولكن يكون جعلها نفسها سرورا مبالغة مجازاً في الاسناد ، والعيد العائد مشتق من العود لعوده في كل عام بالفرح والسرور ، وكل ما عاد عليك في وقت فهو عيد قال الأعشى :

فوا كبدي من لا عج الحب والهوى إذا اعتاد قلبي من أميمة عيدها

وهو واوي لكنهم قالوا في جمعه أعياد ، وكان القياس أعواداً ففعلوا ذلك فرقا بين جمع

عيد وعود ، وقد فصلنا الكلام فيه في شرح درة الغواص ، ومنهم من أعرب لنا خبرا وجعل عيداً حالاً. قوله : (بدل من لنا باعادة العامل الخ) ظاهره أنّ المبدل منه الضمير ، ولكن أعيد

الجار لأنّ البدل في قوة تكرار العامل وهو تحكم لأنّ الظاهر أنّ الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور ثم إنّ ضمير الغائب يبدل منه وأمّا ضمير الحاضر ، وهو المتكلم ، والمخاطب فأجازه بعضهم مطلقاً ، وهو ظاهر كلام المصنف ، ومنعه قوم وفصل بعضهم فقال إن أفاد تأكيد أو إحاطة وشمولاً كما هنا جاز والا امتنع. قوله : (وقيل يثل منها أوّلنا وآخرنا) الآكل مأخوذ من المائدة ، وقوله نريد أن نأكل منها ، وكونها لأوّلهم ، وآخرهم بأن يأكلوا منها جميعا من غير نقص ، ولا تفاوت بين الأوّل ، والآخر فيكون كقوله تعالى : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٦٢]." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٣/٣٠٠>

"ج٤ص٤

ّأرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام " أخرجه الترمذي وأبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه ورد بأنه لا يلزم من كون

المصنف رحمه الله من الأشاعرة القائلين بتركب الأجسام من الجواهر الفردة المتماثلة أن يقول بعدم اختلاف الأجسام بالحقيقة لعدم المحيص لمن قال : بتجانس الجواهر الإفراد عن جعل الإعراض داخلة في حقيقة الجسم فتكون حينئذ جواهر مع جملة من الإعراض منضمة إلى تلك الجواهر والا كانت الأجسام كلها متماثلة في الحقيقة وإنه ضروري البطلان كذا في شرح المواقف ، وقيل عليه أنه لا يخفى أنه يلزمهم القول بعدم الفرق بين

الجواهر والإعراض في التجدد والبقاء ضرورة استلزام تجدد الجزء بتجدد الكل لكن المشهور من مذهبهم القول ببقاء الأجسام ، وعدم بقاء الإعراض! فلزمهم القول بعدم اختلاف الأجسام فلا محيص إلا بأن يقال لعل المصنف رحمه الله لم يقل بتجدد الإعراض ، أو بتماثل الجواهر الإفراد لعدم تمام دليل شيء فيهما ، وهو غير وارد لأنّ عدم الفرق ظاهر المنع لأنه فرق بين تجدد الشيء بتجدد جزء منه وبين تجدده بجميع أجزائه وقولهم ببقاء الأجسام لا ينافيه لاحتمال أن يراد بالجسم ثمة ما يقابل الإعراض! لا ما تركب منهما أو المراد بها أعظم أركانه وأقواها نعم كون لدليل **غير تامّ** مسلم فتأمل. قوله : (متفاوتة الآثار والحركات (قيل هو إشارة إلى ما قيل أنّ السماء جارية مجرى الفاعل والأرض مجرى القابل فلو كانت السماء واحدة لتشابه الأثر وهو يخل بمصالح هذا العالم ، وأمّا الأرض فهي قابلة والقابل الواحد كاف في القبول ، وحاصله أنّ اختلاف الآثار دل على تعدد السماء دلالة عقلية ، والأرض وان كانت متعددة لكن لا دليل عليه من جهة العقل فلذلك جمعها دون الأرض وأمّا دلالة اختلاف الحركات إلى جوانب مختلفة على ذلك فظاهرة وهذا يقتضي أنه استدلال على ظهور تعددها دون تعدد الأرض ، والظاهر أنه ليس مراده بل المراد بعدما أثبت تعددهما بالنص بين أنه جمع أحدهما دون الآخر لهذه النكتة ، وحينئذ فلا يرد أنه مبنيّ على أصول فلسفية لا ينبغي التفسير بها لأنه ليس بتفسير بل نكتة على أصول أهل المعقول بعدما بينها بوجه آخر ، وقد فسر قوله متفاوتة الخ بمعرفة المواقيت ، واضاءة النيران مما نطق به القرآن ودل عليه الأحاديث والآثار مما هو معلوم من الشرع تال تعالى : ﴿) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ إلى قوله : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة يس ، الآية : ٤٠] وقد فسر بكل من الكواكب وهو محسوس أيضا فيهما وفي الخنس ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [سورة التكوير ، الآية : ١٦] لكن كلامه في سورة البقرة لا يناسبه. قوله : (وقدّمها لشرفها وعلو مكانها) أي لتقدمها بالشرف لأنها محل الملائكة المقرّبين ، وقبلة الدعاء ونحو ذلك والأرض وان كانت دار التكليف ومحل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس ذلك إلا للتبليغ لأنها ليست بدار قرار وقال النيسابوري : قال

بعضهم السماء أفضل لأنها متعبد الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، وما وقع فيها معصية ولهذا هبط آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ، وقالت : اللهم لا تسكن في جواري من عصاك ولذا وقع ذكرها مقدّماً في الأكثر والسماوات مؤثرة والأرض متأثرة والمؤثر أشرف ، وقال آخرون بل الأرض! أفضل لأنه تعالى وصف بقاعاً منها بالبركة كقوله : مباركا للعالمين ، وردّ بأنه يدل على شرفها لا أشرفيتها ، وهذا خلاف كاللفظي لا طائل تحته ، وعلو مكانها ظاهر لأنها علوية والأرض! سفلية ، ويحتمل العطف فيه أن يكون تفسيراً للشرف وتعليلاً له والمغايرة بأن يراد أنها بمنزلة العلة الفاعلة لأنّ الأرض! مستفيضة منها كما مرّ ، قيل : من فسر المكان بالمرتبة

ثم علل بكونها من الأرض بمنزلة العلة الفاعلة من القابل لم يصب في المعلل وأخطأ في التعليل ، أما الأوّل فلكونه أعاده ، وأما الثاني فلكون ما ذكره وجهاً للتقديم كما مر لا لعلو المرتبة كما زعم وهو تعصب منه لأنه على هذا يكون عطفاً تفسيرياً ، ولا ضرر فيه وتفسير وجه التقديم وجه للتقديم فما المانع منه. قوله : (وتقدّم وجودها) هذا بناء على مختاره في البقرة لظاهر قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [سورة النازعات ، الآية : ٢٩] وان كان يعارضه ظاهر قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٩] وكذا آية السجدة حتى تحير فيه كثير والمصنف رحمه الله تعالى جمع بينهما بأن ، ثم ليست للتراخي في الوجود بل لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٤/٤>

"ج٤ص١٩١

لغة لحمير ، أو لمراد والفتاحة بالضم عندهم الحكومة ، وبيننا منصوب على الظرفية أو هو مجاز بمعنى أظهر وبين ، ومنه فتح المشكل لبيانه وحله تشبيهاً له بفتح الباب وازالة الأغلاق حتى يوصل إلى ما خلفها ، قيل فبيننا مفعول به بتقدير ما بيننا على هذا الوجه ، وقوله : (على المعنيين) أي خير الحاكمين أو خير المظهرين. قوله : (لاستبدالكم الخ) فهو استعارة وفيما بعده حقيقة ، وقوله سادّ مسدّ جواب الشرط والقسم أي جواب للقسم بدليلى عدم اقترانه بالفاء ومغن عن جواب الشرط ، فكأنه جواب لإفادته معناه وسده مسده لا إنه جواب لهما معا فإنه مع مخالفته القواعد النحوية يلزم فيه أن يكون جملة واحدة لها محل من الإعراب ، ولا محل لها وأن جاز باعتبارين كما تقدم. قوله له : (الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر الخ) هذا توفيق بينهما كما مرّ أو أنّ شعيباً عليه الصلاة والسلام بعث إلى أمتين ، فالقصة غير واحدة إلا أنه سهو قاله المحشي لأنه في سورة هود لا الحجر والذي ذكر فيه الصيحة في الحجر قوم صالح.

فائدة : إذا حرف جواب وجزاء وقد وقع لبعضهم هنا أنها إذا الظرفية الاستقبالية وا! الجملة المضاف إليها حذفت وعوّض عنها التنوين ، كما في إذ ورده أبو حيان رحمه الله بأنه لم يقله أحد من النحاة ولم نره في غير هذه الآية ، وقال المعرب : إنه يجوز في إنا إذا الظالمون ، وقد سبقه إليه القرافي رحمه الله ، وخرّج عليه قوله عشي! في بغ الرطب بالتمر : " فلا إذا ") ١ (أي إذا ج! قال وقد تعجبت منه لما رأيته ثم وقفت على ما هنا. قوله :)كأن لم يننوا فيها) أي استؤصلوا كأن لم يقيموا وغنى بالمكان يغني أقام به دهراً طويلاً وقيده بعضهم بالإقامة في عيش رغد وقال ابن الأنباري كغيره أنه من الغنى ضد الفقر كما في قوله :

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكأسهما الدهر

فالمعنى كان لم يعيشوا فيها مستغنين ورذ الراغب رحمة الله غنى بمعنى أقام إلى هذا المعنى فقال غنى في المكان طال مقامه فيه مستغنياً به عن غيره ، واستؤصلوا بمعنى أهلكوا بيان لحاصل المعنى.

قوله : (لا الذين صدّقوه واتبعوه الخ) رذ عليهم ما زعموه في الآية السابقة من أنّ من تبع شعيبا عليه الصلاة والسلام خاسر ، والحصر مستفاد من تعريف الطرفين مع ضمير الفصل ، وأن القصر للقلب ولما لم يلزم من عدم الخسران الربح زاد قوله : (فإنهم الرابحون (إشارة إلى المراد ، وترك القصر في الجملة الأولى المذكورة في الكشاف لابتنانه على أنّ نحو الله يستهزئ بهم يفيده ، والمصنف رحمه الله تعالى لا يقول به ، أو على أنّ بناء الخبر على الموصول يفيد علية الصلة ، وينتفي الحكم بانتفائها وهو **غير تام** لما يأتي ، وقال النحرير إنّ في هذا الابتداء معنى الاختصاص على رأيه في مثل ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ [سورة الرعد ، الآية : ٢٦] من غير فرق بين المضمر والمظهر المنكر والمعرّف الموصول وغيره وهنا وإن توسط بين المبتدأ والخبر لفظ كان المخففة فالخبر بعد فعل المبتدأ ، وقد يقال مراده بهذا الابتداء كون المبتدأ موصولاً فإنه يشعر بعلية الصلة فينتفي الحكم عند انتفائها وهو معنى الاختصاص ، وقيل عليه إن أراد أن رأيه في مثل هذا التركيب أنه للتخصيص البتة فليس كذلك ، وقد صرح هو أيضا في المطوّل بأن صاحب الكشاف يوافق الشيخ عبد القاهر في كون تقديم المسند إليه إذا لم يل حرف النفي مفيداً للتقوّى تارة وللتخصيص أخرى ، وان أراد أنه يجوز أن يفيد التخصيص فلا بد من بيان قرينة في هذا المقام تدل على إرادة التخصيص والظاهر الثاني ، والقرينة أنه لما ذكر هلاك الكافرين الذين نصحوا المؤمنين بعد سبق ذكرهما جميعاً ولم يذكر هلاك المؤمنين ، ثم ابتدأ وصرح بهلاك المكذبين صار ذلك قرينة على الاختصاص ، واليه أشار بقوله أوّلاً إنّ في هذا الابتداء معنى الاختصاص وثانيا لأنّ الذين اتبعوا شعيباً عليه الصلاة والسلام قد أنجاهم الله ، وأمّا ما أورد على قوله ، وقد يقال الخ من أنّ انتفاء العلة المعينة لا يستلزم انتفاء المعلول لجواز أن يتحقق بعلة أخرى ، إلا أن يقال لما استفيد علية الصلة للحكم ، فينتفي إذا انتفت في المقام الخطابي إلى أن يقام دليل على وجود علة أخرى فغفلة عما حققه قبيله في قوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٨١] من أنّ الظاهر من تعليل الفعل ببعض الأغراض! والدواعي أنه نفي لما سواه لا سيما إذا كان ذلك مما لا يكون الفعل بدونه في الجملة فذكره لا يكون." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٤/١٩١>

"ج٤ص٢٢٠

نكرة موصوفة الخ) فما في محل نصب تمييز مفسر للضمير المستتر في بض وهذا مذهب الفارسيّ ، وخالفه غيره من النحاة فيه كما في فصل في النحو ، فقوله خلافة بالنصب تفسير لما وخلافتكم هو المخصوص بالذم.

قوله : (ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي الخ (تركه الزمخشريّ لأنّ قوله خلفتموني يدل عليه ، والتأسيس خير من التأكيد وكون خلفتموني يدل على بعدية مطلقة ، وهذه خاصة قليل الجدوى. قوله : (أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد) فالبعدية بالنسبة إلى الأحوال التي كانوا عليها. قوله : (والحمل عليه والكف عما ينافيه) هذا ناظراً إلى كون الخطاب لهرون والمؤمنين ، وما عطف عليه ناظر إلى كونه للعبدة فلذا قالوا الظاهر عطفه بأو كما في الكشاف لكن المصنف رحمه الله لما رآه وجها واحداً صالحاً لكل لم يعطفه بأو ، وهو ظاهر فتدبر. قوله : (أتركتموه غير تام الخ ا لما كان المعروف تعدى عجل بعن لا بنفسه لأنه يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تمّ عليه ، وأعجله عنه غيره جعلوه هنا مضمنا معنى سبق معدى تعديته وذهب يعقوب إلى أنه معنى حقيقيّ له من غير تضمين أي عجلتم عمأ أمركم به ، وهو انتظار موسى صلى الله عليه وسلم حال كونهم حافظين لعهده ، والسبق كناية عن الترك كما أشار إليه المصنف رحمه الله ولم يجعل ابتداء بمعناه لخفاء المناسبة بينهما ، وعدم حسنها والأمر على هذا واحد الأوامر وعلى

قوله : ﴿ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٤٤] واحد الأمور ، وهو الفرق بينهما قال الطيبي رحمه الله وهذا الميعاد غير ميعاد الله موسى ستي في قوله : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١٤٢] لضرب ميعاد موسى صلى الله عليه وسلم قبل مضيه إلى الطور ، لقوله : ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١٤٢] وميعاد القوم عند مضيه لقوله : ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ وسيأتي تفصيله عن قريب. قوله : (طرحها من شدّة الغضب الخ) في قوله حمية للدين اعتذار عما يتوهم من سوء الأدب ، وقوله روي الخ كذا في البغوي لكن هذا ينافي ما روي عن الربيع بن أن! رضي الله عنه إنّ التوراة نزلت سبعين وقرأ يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام قال الطيبي رحمه الله : وهو من قلة ضبط الرواة في الإعصار الخالية ، ولذا قيل إنه ينافي قوله بعده أخذ الألواج فإنّ الظاهر منه العهد ، وأجيب بأنه رفع ما فيها من الخط دون ألواحها وقيل كان فيها إخبار عن المغيبات فرفع ذلك وبقي الأحكام والمواعظ والله أعلم بذلك ، ومثل هذا لا يقال بالرأي فلا وجه لما قيل من أن القرآن لا يدل عليه فلعل المراد وضعها على الأرض ليأخذ برأس أخيه. قوله : (بشعر رأسه ا لأنه الذي يمسك ويؤخذ ، وهو لا ينافي أخذه بلحيته كما وقع في سورة طه أو أدخل فيه تغليباً ، وقوله يجرّه حال من موسى أو من رأس بتأويله بالعضو فلا يقال لا رابط فيه ، أو من أخيه لأنّ المضاف جزء منه وهو أحد ما يجوز فيه ذلك ، وقوله حمولاً لينا بيان لتحمله ما صدر منه ، وقوله أحب إلى بني إسرائيل أي من موسى صلى الله عليه وسلم وتركه هنا حسن. قوله

:) ذكر الأمّ ليرققه عليه) أي ليحصل له رحمة ورقة قلب له وإلا فهما أخوان لأب وأمّ على الأصح ، وقيل ذكر أمه لأنها قامت في تربيته وتخليصه بأمور عظيمة فلذا نسبه إليها ، وفي ابن أمّ هنا قرا آت وهي لغات فيه وفي ابن عم ، وقوله زيادة في التخفيف بالحذف والفتح وعلى ما بعده هي حركة بناء. قوله : (إزاحة لتوهم التقصير) بالنصب مفعول له أي قاله لذلك أو بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هذا إزاحة أي

إزالة. قوله : (فلا ثفعل بي ما يشمتون بي لأجله الخ) هذا على القراءة المشهورة بضم التاء وكسر الميم ، وإنما فسره به لأنه لم يقصد إشماتهم ، وإنما فعل ما يترتب عليه ذلك ، وهو مجاز أو كناية عما ذكر وقرئ بفتح التاء وضم الميم ، وهو كناية عن هذا المعنى أيضا على حد لا أرينك هاهنا والشماتة سرور الأعداء بما يصيب المرء. قوله : (معدودا في عدادهم الخ) فعلى الأوّل هو جعل حقيقيّ ، وعلى الثاني من الجعل في الظن والاعتقاد على طريقة وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا. قوله : (إن فرط في كفهم) أي قصر في منعهم وعدل عن قول الزمخشريّ : أن عسى فرّط لما فيه مما ليس هذا محله ، وقوله ترضية له أي طلبا لرضاه بتطييب خاطره ، ودفعا للشماتة بطلب." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٤/٢٢٠>

"ج٤ص٢٣٨

بالنسبة إلى غفلتهم ، وكمال غفلتهم يعلم مما أحلفه من عدم الإدراك. قوله : (فإنها تدرك (يعني جهة المبالغة في الضلال ليست جهة الشبيه حتى يؤذي إلى كذب أحد الخبرين وتنافيهما فافهم.

قوله : (لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني) إشارة إلى أنّ الحسنى تأنيث الأحسن للتفضيل ، وعدل عن تعليل الزمخشريّ لأنه غير تام ، وقوله والمراد بها الألفاظ أي المراد بالأسماء الألفاظ التي تطلق عليه تعالى مطلقا ، أو المراد لله الأوصاف الحسنى فيكون كقولهم طار اسم فلان في البلاد أي اشتهر نعته وصفته كما في الكشف. قوله : (فسموه بتلك الأسماء (أي المراد بالدعوة التسمية كقولهم دعوته زيدا وبزيد أي سميته ، وقيل معناه نادوه بها من الدعاء. قوله : (واتركوا تسمية الزائنين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه) تفسير لمعناه واشارة إلى أنّ فيه مضافا مقدراً وهو تسمية بقرينة المقام والزيغ أي الميل تفسير للإلحاد لأنه يقال لحد وألحد بمعنى مال ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فإنه في وسطه ، وقيل ألحد بمعنى جادل ولحد مال ، وكون أسماء الله تعالى توقيفية مطلقا هو المشهور ، وفيها أقوال أخر فقيل التوقيف في الأسماء دون الصفات ، وقيل يجوز مطلقاً ما لم توهم نقصا ، وقيل يكفي ورود مادته في لسان الشارع والصحيح الأوّل ، قال الطيبي رحمه الله : فإن قلت أليس العجم يسمون الله باسم غير وارد والأمة قد اتفقوا على صحته ، قلت اتفاقهم على صحته يدل على أنه وارد يعني أنّ المراد بالشارع نبي من الأنبياء فتأمل ، وقوله : (أو بما يوهم (إشارة إلى

القول الآخر والإيهام في أبي المكارم للأبوة وفيما بعده للتجسيم ، وهذا مما يقوله أهل البادية وجهلة العرب كما في الكشاف. قوله : (أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمي به نفسه (لأنّ العرب لما سمعوا اسمه الرحمن أنكروه ، وكانوا يسمون مسيلمة رحمن اليمامة تعنتاً في كفرهم ، وفي الانتصاف في هذا الوجه بعد لأنّ ترك الدعاء ببعض الأسماء لا يطلق عليه إلحاد في العرف ، وإنما يطلق على فعل لا ترك ، وأجيب بأنّ إنكار بعض الأسماء الحاد لأنه تصرف فيها بالنقص ، كما أنّ الزيادة إلحاد للتصرف بالزيادة ، ولم يجعل إلحاد باعتبار إطلاقه على غيره تعالى لأنه يرجع للوجه الذي بعده ، وهو لا ينفي البعد. قوله : (أو وذروهم وإلحادهم فيها الخ (قيل هذا هو الصواب ، والواو في والحادهم عاطفة أو للمعية والآية عايه منسوخة بآية القتال قيل لم يقل تسميتهم الأصنام إلهة كما في الكشاف لعدم كون الإلحاد في أسمائه لأنّ لفظ الإله يطلق على المعبود مطلقاً ، لكن أورد على فوله ، واشتقاق أسمائها منها أنّ الإلحاد في المشتق دون المشتق منه ، وفيه نظر. قوله :) أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازّيهم) فالآية وعيد كقوله : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٣] وليست منسوخة وهو

وجه مستقل ، وفي نسخة بالواو فهو من تتمة ما قبله ، وقوله بالفتح أي فتح الياء والحاء لأنّ عينه حرف حلق والقصد الطريق المستقيم أو بمعنى المصدر. قوله : (للدلالة الخ (متعلق بذكر وبيانه أنه خلق للنار ظاهر وكونهم ضالين ملحدين عن الحق من مجموع الكلام إذ لم ينظروا في دليل الحق ، ولم يعتبروا لا من قوله يلحدون في أسمائه فقط حتى يرد عليه إنه مخصوص في النظم ، وقيل إنه يشير إلى تقدير في النظم بقرينة مقابلته أي وممن خلقنا للجنة ، وفي لفظ ممن إشارة إلى قلتهم بالنسبة لمن خلق للنار. قوله : (واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه الخ) أي استدل بهذه الآية على أنه حجة في كل عصر سواء عصر النبيّ صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم وغيره ، واستدل به أيضا على أنه لا يخلو عصر عن مجتهد إلى قيام الساعة لأن المجتهدين هم أرباب الإجماع ، ونظيره الاستدلال على إرادة الاستغراق من اللام بعدم إمكانه على العهد الخارجي أو الذهني والمستدل الجبائي ، قيل : وهو مخالف لما روي من أنه " لا تقوم الساعة إلا على أشرار الخلق ") ١ (" ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض! الله " (٢ (ولا مرضه المصنف رحمه الله فتأمل ، وقوله : (فإنه معلوم) قيل فيه إنه معلوم من جهة الشارع كما في قوله :) خير القرون قرني ( ) ٣ (وفيه نظر. قوله : (لقوله عليه الصلاة والسلام لا نزال من أمتي طائفة الخ)) ٤ (أخرجه الشيخان من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، وقد قاله في تفسير الآية وقوله : (إذ لو اختص! (تعليل له أي قاله مع عدم ما يدل على العموم كذا قيل وفيه نظر. قوله :) سنستدنيهم الخ)

وفي نسخة

سندنيهم." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٢٣٨/٤>

"ج٤ص٣٣٤

لا يخطر بالبال عند إرادته فضلا عما ادعاه فقول المصنف رحمه الله فيموتوا إشارة إلى ترتبه على ما قبله من أشتغالهم بالدنيا حتى يأتيهم الموت من غير رجوع عن كفرهم ، وهذا يعلم من تأخيره وترك الفاء فيه اعتماداً على أنه يعلم من معنى الكلام كما مرّ عن السكاكيّ ، ولما كان الاستدلال بالآية على أنّ كفر الكافر بإرادة الله غير تامّ لما عرفت لم يتبع من استدلّ بها ، وفسرها بما ذكر مما هو متفق عليه عند أهل السنة والمعتزلة والشغل ضد الفراغ فإذا تعدى بعن كان بمعناه ، والتقية ما يظهر لأجل اتقاء الضرر وليس عن اعتقاد وقوله غير إنا جمع غار كثيران ونار تفسير لمغارات جمع مغاوة بمعنى الغار ، ومنهم من فرق بينهما بأنّ الغار في الجبل والمغارة في الأرض ، وقراءة الجمهور بفتح الميم وقرىء بضمها شاذاً.

قوله : (نفقاً ينحجرون فيه الخ (النفق بفتحتين سرب في الأرض! ، وهو الحجر وانحجر

دخل الحجر وهو معروف وهو مفتعل فأدغم بعد قلب تائه دالاً ، وقراءة يعقوب بفتح الميم اسم مكان من الثلاثي ، وقراءة مدخلاَ بضم الميم وفتح الخاء من المزيد لأنهم يدخلون أنفسهم أو يدخلهم الخوف فيه ، ومتدخلا اسم مكان من تدخل تفعل من الدخول ومندخلاً من اندخل وقد ورد في قول الكميت :

ولا يدي في حميت السمن تندخل

وأنكر أبو حاتم رحمه الله هذه القراءة ، وقال إنما هي بالتاء بناء على إنكار هذه اللغة والقراءة تبطله. قوله : (لآقبلوا نحوه وهم يجمحون الخ (أي لو وجدوا شيئاً من هذه الأمكنة

التي هي منفور عنها مستنكره لأتوه لشدة خوفهم ، وقيل لئلا يظن أنّ مساكنتهم لكم عن طيب نفس ، والفرس الجموح النفور الذي لا يردّه لجام ويجمزون قراءة أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، فقيل له : يجمحون فقال : يجمحون ويجمزون ويشتدون بمعنى ، وليس مراده أنه يقرأ بالزاي كما توهم بل التفسير ، وردّ الإنكار وجمازة ناقة شديدة العدو. قوله : (يلمزك يعيبك الخ) ظاهره أنه مطلق العيب كالهمز ومنهم من فرق بينهما بأنّ اللمز في الوجه والهمز في الغيب ، وقد عكس أيضا وأصل معناه الدفع ، وضمم عينه لغة فيه والملامزة بمعنى اللمز. قوله :) في قسمتها (يحتمل أنه بيان للمعنى المراد ، أو تقدير المضاف وفي للظرفية أو التعليل. قوله : (نزلت في أبي الجوّاظ المنافق الخ) قال العراقي : لم أقف عليه في شيء كتب الحديث ، والجوّاظ بصيغة المبالغة والظاء لمعجمة كشداد الضخم المتكبر والكثير الكلام. قوله : (وقيل في ابن ذي

الخويصرة رأس الخوارج) الذين خرجوا على عليّ كرم الله وجهه وقتله ، وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث (١ (نحوه وعند مسلم ذي الخويصرة بدون ابن ، وهو الصحيح واسمه خرقوص وإذا الفجائية معلوم معناها وأحكامها في النحو وهي تسد مسدّ الفاء في الربط فلذا وقعت الاسمية هنا جواباً بدون فاء ، وغاير بين جوابي الجملتين إشارة إلى أن سخطهم ثابت لا يزول ولا ينفي بخلاف رضاهم. قوله : (من النميمة أو الصدقة) عمم الحكم لهما وان كان ما بعده وما قبله في الصدقة لأنه أنسب ولأنّ الموصول من صيغ العموم ، وقوله : (كفانا فضله) إما بيان لحاصل المعنى أو تقدير المضاف لدلالة المعنى عليه والتصريح به بعد. ، وقوله : (صدقة أو غنيمة) مفعول يؤتينا أو خبر كان أي صدقة كان أو غنيمة أو بدل

من محل الجار والمجرور ، وأخرى صفة لكل منهما ، وقوله أكثر مما آتانا جعله أكثر لأنه المتبادر من جعله فضلا ، وأكثر تسلية فلا يقال إنه لا حاجة إليه بل يكفي أن يكون مثله لأنه لما كان سخطهم لقلة العطية ناسب أن يكون المعنى سيعطينا أكثر مما أوجب السخط وهذا بناء على أنّ معنى الآية ، ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ، وان قل فيكون معنى قوله فإن أعطوا منها أعطوا ما أرادوا وان لم يعطوه سخطوا لا إن لم يعطوا شيئاً ، وهذا أحد احتمالين للمفسرين ، ولذا قيل ظاهر هذه الآية أنهم لا يرضون بما أعطوا وهو خلاف ما يدل عليه ما قبله فإن حملت الآية الثانية على الغنيمة فلا إشكال إذ المعنى رضوا به ، وإن لم يعطوا غيره ، وان أريدت الصدقة فتحمل الآية الأولى على أنهم إن أعطوا بقدر طمعهم ، وقوله والجواب محذوف لا قالوا والواو زائدة كما قيل. قوله : (ثم بين مصارف الصدقات تصويباً الخ) يعني لما ذكر المنافقون وطعنهم وسخطهم بين أن فعله لإصلاح ع لدين ، وأهله لا لأغراض نفسانية كأغراضهم فانطبقت هذه الآية وما فيها من الحصر المستدعي لإثباته لم ذكر ونفيه عمن عداه يعني الذي ينبغي أن يقسم مال الله." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٤/٣٣٤>

"ج٤ص٣٦٨

لأنّ المراد بها الجنة ، وقيل إنه بدل من ضمير يقاتلون وحمل التوبة على التوبة عن الكفر لأنه بعد ذكر المنافقين ، وتوبتهم عنه ولأنّ ما ذكر بعده من الصفات لو حمل على التوبة عن المعاصي يكون غير تام الفائدة مع أنّ من اتصف بهذه الصفات الظاهر اجتنابه للمعاصي ، وقوله نصبا على المدح أي بتقدير أمدح أو أعني. قوله : (هم الجامعون لهذه الخصال الخ) قيل عليه إنه تبع فيه الكشاف ، وفي بعض التفاسير أنه دسيسة اعتزالية كأنه يقول

المؤمنون هم الجامعون لهذه الصفات حتى يجعل المذنب غير مؤمن انتهى (قلت) ويدفع بأنه أراد بقوله على

الحقيقة الكاملون إيمانا لا المؤمنون كما سيصرّح به في قوله وبشر المؤمنين ولو تركه كان أولى. قوله : (لنعمانه أو لما نابهم الخ) وفي نسخة يأتيهم والأولى أصح ونابهم بالنون والباء الموحدة بمعنى نزل بهم والسراء بالمد المسرّة والضراء بالمد المضرة يعني الحمد إما في مقابلة النعمة بمعنى الشكر أو بمعنى الوصف بالجميل مطلقا فالحمد لله على كل حال ولا حاجة إلى ما قيل إن المضرة لكونها سببا للثواب يحمد عليها. قوله : (السائحون الصائمون الخ ا لما كان في الأمم السابقة السياحة والرهبانية ، وقد نهى عنها فسرت كما وقع في الحديث بالصوم وهو استعارة له لأنه يعوق عن الشهوات كما أنّ السياحة تمنع عنها في أكثر أو لأنه رياضة روحانية ينكشف بها كثير من أحوال الملكوت ، والملك فشبه الاطلاع عليها بالاطلاع على البلدان والأماكن النائية إذ لا يزال يتوصل من مقام إلى مقام ويدخل من مدائن المعارف إلى مدينة بعد أخرى على مطايا الفكر من ساج الماء إذا سأل ، وعن عائشة رضي الله عنها : " سياحة هذه الأمّة الصيام " (١) ، وروي مرفوعا كما هو ظاهر صنيع المصنف وقوله : (في الصلاة) حمل الركوع والسجود على معناهما الحقيقي وجعلهما بعضهم عبارة عن الصلاة لأنهما أعظم أركانها ، وقوله : (بالإيمان والطاعة ا لو أبقى لفظ النظم على عمومه كان أولى. قوله : (والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه الخ ا لما ترك العطف فيها وذكر في موضعين احتاج إلى بيان وجهه والنكتة فيه سواء كانت وتلك الصفات إخباراً أو لا ، وقد وقع مثله في غير هذه وبحثوا عن وجهه قال في المغني : الظاهر أن العطف في هذا الوصف بخصوصه إنما كان من جهة أنّ الأمر والنهي من حيث هما أمر ونهي متفابلان بخلاف بقية الصفات لأن الأمر بالمعروف ناه عن المنكر ، وهو ترك المعروف والناهي عن المنكر آمر بالمعروف فأشير إلى

الاعتذار بكل من الوصفين وأنه لا يكفي فيه ما يحصل في ضمن الآخر ، وما ذكره المصنف رحمه الله من أنهما في حكم خصلة ، وصفة واحدة أي بينهما تلازم في الذهن والخارج لأن الأوامر تتضمن النواهي ومنافاة بحسب الظاهر لأنّ أحدهما طلب فعل والآخر طلب ترك فكانا بين كمال الاتصال والانقطاع المقتضى للعطف بخلاف ما قبلهما ، فلا يرد عليه أن الراكعون الساجدون في حكم خصلة واحدة أيضاً فكان ينبغي فيهما العطف على ما ذكره إذ معناه الجامعون بين الركوع والسجود ، أو لأنه لما عدد صفاتهم عطف هذين ليدل على أنهما شيء واحد وخصلة واحدة والمعدود مجموعهما ، وما ذكره ابن هشام رحمه الله أمر آخر وهو أنّ العطف إما لما بينهما من التقابل أو لدفع الإيهام ولما ورد أنه لا ينبغي العطف فيما بعده أشار إلى جوابه كما ستراه. قوله :) أي فيما بينه وعيته من الحقائق والشرائع للتنبيه على أنّ الخ (يعني أنه من ذكر أمر عام شامل لما قبله وغيره ومثله يؤتى به معطوفاً نحو زيد وعمرو وسائر قبيلتهما كرماء فلمغايرته لما قبله بالإجمال ، والتفصيل

والعموم والخصوص عطف عليه ، فاندفع ما قيل إنه عطف على ما قبله من الأمر والنهي لأن من لم يصدق فعله قوله لا يجدي أمره نفعاً ، ولا يفيد نهيه منعا ، ومن لم يتنبه لهذا قال إنه للتنبيه على أنّ ما قبله مفصل الخ وليت شعري ما وجه الدلالة في العطف على هذا ، وقد ظهر نكتة أخرى أوضح مما قالوه ، وهو أنّ المراد بحفظ الحدود ظاهره وهي إقامة الحد كالقصاص على من استحقه والصفات الأول إلى قوله الآمرون صفات محمودة للشخص في نفسه ، وهذه له باعتبار غيره فلذا تغاير تعبير الصنفين فترك العاطف في القسم الأؤل عطف في الثاني ، ولما كان لا بذ من اجتماع الأول في شيء واحد ترك فيها العطف لشذة الاتصال."
<حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى،   ٣٦٨/٤>
"ج٥ص٤
النعمة ، والعين على الجاسوس ، والرأس على الرئيس ، وقال صاحب الانتصاف لم يسموا سابقة السوء قدما إمّا لكون المجاز لا يطرد أو لأنه غلب في العرف عليه. قوله : (وإضافتها إلى الصدق) أصل الصدق في الأقوال قال الراغب : ويستعمل في الأفعال فيقال صدق في القتال إذا وافاه حقه ، وكذا في ضدّه يقال كذب فيه فيعبر به عن كل فعل فاضل ظاهراً ، وباطنا ، ويضاف إليه كمقعد صدق ، ومدخل صدق ، ومخرج صدق ، وقدم صدق ، ولسان صدق في قوله ، واجعل لي لسان صدق سأل أن يجعله الله صالحأ بحيث إذا أثنى عليه لم يكن كذبا كما قال :
إذانحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما تثني وفوق الذي نثني
فإضافته من إضافة الموصوف إلى صفته ، وأصله قدم صدق أي محققة مقرّرة لما عرفت
من معناه ، وفيه مبالغة لجعلها عين الصدق ، ثم جعل الصدق كأنه صاحبها ، وهذا من منطوقه ، وقوله والتنبيه الخ أي تنبيه على أنهم إنما نالوا تلك السابقة بصدقهم ظاهراً وباطناً ، واعترض! عليه بأنه إنما يحصل هذا إذا كانت الإضافة من إضافة المسبب إلى السبب إلا أن يكون في التنبيه إشارة إلى احتمالها لها ، ويدفع بأنه لا حاجة إلى ما ذكر لأنّ الصدق إنما تجوّز به عن توفية الأمور الفاضلة حقها للزوم الصدق لها حتى كأنها لا توجد بدونه ويكفي مثله في ذلك التنبيه ، وهذا كما أنّ أبا لهب يشعر بأنه جهنمي. قوله : (يعنون الكتاب الخ) يعني الإشارة إلى
الكتاب السابق ذكره ، وعلى قراءة لساحر الإشارة إلى رجل ، وقوله وفيه اعتراف الخ لأنّ السحر خارق للعادة ، وقال النحرير لأنّ قولهم إنّ هذا لسحر المراد به الحاصل بالمصدر وهم كاذبون في ذلك عند أنفسهم أيضا ، وبهذأ الاعتبار يكون دليل عجزهم لأنّ التعجب أوّلاً ثم التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعا حتى عند

نفس المعارض دأب العاجز المفحم ، وما قيل عليه أنه لا دخل لتعجبهم فيه فالأولى تركه ليس بشيء. قوله :) التي هـ! أصول الممكنات) إنما فسر به بيانا لحكمة تقديمها ، وكونها أصولاً لأنّ السماء جارية مجرى الفاعل ، والأرض مجرى القابل ، وبإيصال الكواكب اختلاف الفصول ، ويكون م! فيها على ما قرره الحكماء وقد تقدم تفصيله وقوله تعالى : ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٥٤] قيل هي مدة مساوية لأيام الدنيا ، وقيل هي بالمعنى اللغوفي ، وهو مطلق الوقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها من أيام الآخرة ١٠ لتي هي كألف سنة مما تعدون قيل ، والأوّل أنسب بالمقام لما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة بخلق هذه الأجرام العظيمة في مثل تلك المدّة اليسيرة ، ولأنه تعريف لنا بما نعرفه ، وقوله استوى إمّا بمعنى استوى أمره ، وتمّ أو استولى فيرجع إلى صفة القدرة ، وقيل إنه صفة غير الثمانية لا يعلم ما هي ، وقيل إنه مما اشتبه فيتوقف فيه كما فصل في محله ، والعرش تقدم أنه الجسم المحيط بجميع الكائنات أو الملك أو شيء غير ذلك. قوله : (يقدّر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته الخ) يعني تعريف الأمر للعهد ، والمراد أمر الكائنات ، وتدبيرها بمعنى تقديرها جارية على مقتضى الحكمة ، وأمّا ما سيذكره فهو معناه اللغوفي ، وقوله وسبقت به كلمته أي قضاؤه كما في قوله : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١١٥] وجملة يدبر استئنافية لبيان حكمة استوائه على العرس وتقرير لعظمته ، وقوله ويهيئ بتحريكه أي بسبب تحريك العرس ، وفلك الأفلاك أسباب ذلك لأنّ بحركته تحريك غيره ولذا اقتصر عليه. قوله : (والتدبير النظر الخ (وجه لاشتقاقه ، وبيان لحقيقته ، وقوله تقرير لعظمته لأنها علمت من خلق المخلوقات العظام فقرّر ذلك بأنه لعز جلاله لا يجسر أحد على الشفاعة عنده بغير إذن فالتقدير لا شفاعة لشفيع ، وهو تعليم للعباد أنهم إذا فعلوا شيئا يتأنون والا فهو سبحانه وتعالى قادر على خلقها دفعة في آن واحد ، وعدل عن قول الزمخشريّ يدبر يقضي ، ويقدّر على حسب مقتضى الحكمة ، ويفعل ما يفعل المتحريّ للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخراً انتهى لأنه كما قيل خطأ لفظا ، ومعنى فإنه لا يجوز إطلاق التحرّي على الله ، ولا يمثل فعل الله به ، ولأنه مبنيّ على رأيه ، وهي قاعدة فاسدة عند أهل السنة. قوله : (وردّ على من زعم أنّ اكهتهم تشفع الخ) قيل هذا الردّ غير تامّ لأنهم لما ادعوا شفاعتها قد يدعون الإذن

لها فكيف يتمّ هذا الرذ ، ولا دلالة فيها على أنهم لا يؤذن لهم." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٥/٤>

"ج٦ص٣٢٩
وان كان التفنن كافيا في مثله لكن اللائق بشأن التنزيل أن يكون له نكتة خاصة. وفي الكشف أنه قيل إنما الإشكال في اختصاص كل بموقعه ولم يحم الزمخشري حوله. والجواب أنه بين الفرق على وجه يتضمن دفعه وأشار إليه بقوله : وشتان ما هما كأنه قال هناك يحق الاستئناف لأنه في حكاية المقاولة بين المرسل والمرسل إليه واستدعاء مقام المخاطبة ذلك بين وما نحن فيه حكاية لتفاوت ما بين المقالتين لأنّ المرسل إليهم قالوه بعضهم لبعض. وظاهرا باؤه على الاستئناف فالجواب من الأسلوب الحكيم اهـ. وما ذكره المصنف من عدم الاتصال يفهم من العدول من الفاء إلى الواو مع ما فيه من نكتة التضاد. وكونه جواب سؤال يقتضي عدم العطف لكن اختياره ثمة يحتاج إلى مخصص فالجواب غير تام إلا بملاحظة ما في الكشف وهو لا يخلو من الإشكال فتدبر وقوله على تقدير سؤال هو ما قاله قومه في جوابه. قوله : (بلقاء ما فيها) يعني أنه مضاف إلى الظرف وترك ما يلقونه كجوار مكة أي جوار الله في مكة أو إلى المفعول على أنّ الآخرة عبارة عما فيها كما إذا أريد بالآخرة المعاد أو المراد بالآخرة الحياة الثانية وجملة أترفنا معطوفة أو حالية بتقدير قد وهو أبلغ معنى لإفادته الإشارة إلى من أحسن وهو أقوى في الذم وقوله : والعائد إلى الثاني منصوب محذوف والفاصلة ترجحه. قوله : (وإذا جزاء للشرط) كذا في الكشاف وردّه أبو حيان بأنه ليس واقعا في الجزاء بل بين أنّ وخبرها وجملتها جواب القسم على القاعدة المشهورة ولو كان جوابه صدر بالفاء عند من أجازه. وغاية ما يعتذر له بأنه تسمح في العبارة لظهور المراد فأراد أنه سادّ مسد جواب الشرط كما تسمع في جعل إذا جوابا وإنما الجواب جملة إنكم الخ. وهذا عناية القاضي وسلامة الأمير لكن يوضحه أنّ القسم غير مذكور وتقديره إنما هو للتأكيد. وقوله

أيعدكم أنكم أي بأنكم ، ويجوز أن لا يقدر فيه حرف كوعدته خيراً وقوله : مجرّدة الخ ما ذكره يفهم من فحوى الكلام. قوله : (وأنكم تكرير للاوّل ا للتذكير والتأكيد ولما بالفتح والتشديد أو الكسر والتخفيف وخبره مخرجون وإذا متعلقة به وإذا كان مبتدأ خبره الظرف فالجملة خبر أنّ الأولى والفعل المقدر وقع. وقوله : جوابا للشرط هو إذا وفي الوجه المتقدم هي ظرفية وهو جار في هذا الوجه أيضا والجملة يعني إذا مع شرطها وجوابها وقوله أي أنكم الخ بيان لما قبله على اللف والنشر المرتب. وقوله : ويجوز الخ وتقديره إنكم تبعثون وإذا متعلقة به وهو اختيار سيبويه وقوله لا أن يكون أي خبر أنكم الظرف لأنّ ظرف الزمان لا يخبر به عن الجثة إلا بتأويل كان يقدّر أنّ بعثكم واخراجكم وهو خلاف الظاهر. قوله : (بعد التصديق أو الصحة) يعني أنّ فاعله ضمير مستتر عائد لما ذكر لفهمه من السياق. ولما توعدون بيان له فهو متعلق بمقدر كسقيا لك أي

البعد المذكور كائن لما توعدون وليس متعلقاً بالمستتر لأنه لا يصخ تعلق الجارّ به على الصحيح وكلامه بعد. مصرّح بخلافه فلا يصح حمله عليه تشبثا بتجويز بعض النحاة له كما في المغني ولما كان المبين مفسراً للضمير المستتر فسره بقوله أي بعدما توعدون لأنه مآل معناه لا أنه فاعل واللام فيه زائدة لأنّ سياقه وسباقه يأباه لكنه ذهب إليه بعض المعربين وردّ بأنّ اللام لم يعهد زيادتها في الفاعل. قوله : (كأنهم لما صوّتوا الخ) إشارة إلى ما قاله الزجاج وغيره من النحاة من أنه في الأصل اسم صوت كاف للتضجر وليست مشتقة. وقوله : فما له هذا الاستبعاد أي أيّ شيء له هذا الاستبعاد كقوله تعالى ﴿ مَا جِئْتُم ﴾ به وهو أمر تقديريي وما قيل إنّ أصله ما الذي فحذف منه الموصول لا وجه له لارتكابه الحذف من غير ضرورة فيه. قوله : (وقيل هيهات بمعنى البعد) هذا وقل الزجاج رحمه الله وهو على القول بأن أسماء الأفعال لها محل من الإعراب. وقيل : إنّ ما ذكره الزجاج بيان لحاصل المعنى- وفيها أكثر من أربعين لغة- منها ما ذكره المصنف من القرآت. وقوله : منوّناً للتنكير كما في غيره من أسماء الأفعال فإنّ ما نوّن منها نكرة وما لم ينوّن معرفة. وقوله : وبالضم منوّناً على أنه جمع هيهة كبيضة وبيضات وقد قيل : إنه مرفوع على الفاعلية أي وقع بعد وليس بشيء كالقول بنصبه على المصدرية وهذا منقول عن سيبويه وما وقع في بعض النسخ هيهية بياء بعد الهاء الثانية من
غلط الناسخ. وقوله : تشبيهاً بقبل أي في مجرّد البناء على الضم. وقوله على الوجهين أي التنوين وعدمه وقوله : بالسكون الخ." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٣٢٩/٦>

"ج٦ص٣٣١

وسال به الوادي إذا هلك استعارة تمثيلية

كطارت به العنقاء والدمار بالمهملة!يهالهلاك لفظا ومعنى. قوله : (يحتمل الإخبار والدعاء) البعد ضد القرب والهلاك وفعلهما ككرم وفرح والمتعارف الأوّل في الأوّل والثاني في الثاني والمصدر يكون بعدا وبعداً كرشد ورشد وهو منصوب بمقدر أي بعدوا بعداً والإخبار ببعدهم من رحمة الله من كل خير أو النجاة والدعاء بذلك والمراد أنهم مستوجبون للعذاب فقوله : بعد بضم العين أو كسرها من في قوله لا يستعمل إظهارها نظر لأنّ وجوب حذف عامله عند سيبويه إنما ذكروه فيما!إذا كان دعائيا كما صرّح به في الدر المصون ففي كلامه إطلاق في محل التقييد وقوله : إظهارها من إضافة الصفة للموصوف أي لا تستعمل مظهرة. قوله : (لبيان من دعى عليه) أو من أخبر ببعده وفي الاقتصار على الدعاء إشارة إلى ترجيحه فهي متعلقة بمحذوف كما في سقيا لك والتعليل بأن إبعادهم لظلمهم كما تقرّر في التعليق بالمشتق وقوله يعني قوم صالح عليه الصلاة والسلام فيه إشارة إلى أنّ الدليل على أنّ القرن السابق قوم صالح غير صالح للتعويل وقوله : ومن مزيدة للاستغراق يعني

أنها زيدت في الفاعل لتأكيد الاستغراق المستفاد من النكرة الواقعة في سياق النفي وضمير يستأخرون لأنه باعتبار معناه. قوله : (متوا!لرين (أي متتابعين فردا فردا واختلف أهل اللغة في معناه بعد الاختلاف في لفظه هل هو مصدر أو جمع أو اسم جمع فقيل إنه التتابع والتوالي مطلقا وقيل تتابع مع فصل ومهلة كما اختاره الحريري في الدرّة وانتصابه على الحال كما أشار إليه بقوله متواترين وقيل إنه صفة مصدر مقدر أي إرسالاً تترى وقيل مصدر لأرسلنا لأنه بمعنى واترنا وقوله والتاء أي الأولى بدل من الواو كما في تجا. وتجيه وهو كثير والدليل عليه الاشتقاق وكثرة فعلى في الأسماء ومفعول كديجور دون تفعل وتفعول كما في تولج المقرّ الوحش وكناسه لأنه يلج فيه. وتيقور بمعنى الوقار وقوله على أنه مصدر ظاهره أنه في القراءة الأولى ليس بمصدر مع أنه قيل به كما مرّ ونظيره دعوى وألف التأنيث في المصادر كثيرة فتعليله **غير تام** فالظاهر أن يقول على أن ألفه للإلحاق كارطي لكن ألف الإلحاق في المصادر نادرة وقيل إنها لا توجد فيه وقيل إنه عليه تتر بوزن فعل ورد بأنه لم يسمع إجراء حركات الإعراب على رائه وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وقوله بمعنى المواترة إن أراد أنه حال من ضمير أرسلنا فهو على ظاهره وان كالف حالاً من المفعول ففيه مسامحة ولذا وقع في بعض النسغ المتواترة أي الوسل المتوإترة وهي أظهه.

قوله : (أضاف الرسول) أي في قوله رسلنا ورسولها لما ذكر ولأنّ الإضافة للملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل إليه وقوله لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها بالبناء للمجهول مخفف من السمر وهو حديث الليل يعني أنهم فنوا ولم يبق إلا خبرهم إن خيرا وان شرّا :

وانما المرءحديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى...

قيل وهو ردّ على الزمخشريّ في دعوى تعين المعنى الثاني أي كونه جمع أحدوثة للإرادة

هنا فإنّ الأوّل صحيح كما لا يخفى ولعله إنما اختاره لأنه أنسب وأقيس كما لا يخفى. قوله : (وهو اسم جمع للحديث) تبع فيه الزمخشريّ وقد مرّ أنّ اصطلاحه أن يطلق اسم الجمع على الجمع الذي ليس بقياسيّ كاسم المصدر للمصدر غير القياسي لا على ما اصطلح عليه النحاة من أنه ما دل على الجمعية ولم يكن على شيء من أوزانها وليس اسم جنس جمعيّ فلا يرد عليه ما قاله أبو حيان من تخطئته بأنّ أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع فالصحواب أنه جمع حديث على غير القياس وأنّ كون الأحدوثة أمراً مستغربا يحدث به للتلهي والإضحاك هو الأكثر وقد ذكر بعض أئمة اللغة أنه ورد بمعنى الحديث كقوله :

فيا حبذا أحدوثة لو تعيدها

فتذكر وقوله بالآيات التسع مرّ تفصيلها والكلام عليها في سورة بني إسرائيل وهرون بدل

أو عطف بيان وتعرّض لإخوّته للإشارة إلى تبعيته له في الرسالة. قوله : (وحجة وا!حة ملزمة للخصم) لأنّ السلطان يطلق عليها فعطفه حينئذ ظاهر وقوله واضحة على أنه من أبان اللازم لأنه يكون لازماً ومتعديا فقوله ملزمة لأنه شأن الواضح ولازمه وفيه إيماء إلى جواز كونه من المتعدي فإن أريد به العصا يكون من ذكر بعض الأفراد." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٦/٣٣١>

"ج٦ص٣٣٨

اعتذر عنه بأنه معلوم بقرينة ذكر المشركين وأنّ استكبارهم وافتخارهم به أشهر من أن يذكر واليه أشار بقوله وشهرة الخ وقوّام بالتشديد جمع قائم على الأمر أي معتنون بخدمته وسدإنته والباء فيه سببية وكون لضمير للنكوص كما في البحر ليس فيه كبير فائدة ومستكبرين حال كذا قيل وفيه أنه لا يلزم من النكوص التكذيب به فالتضمين يدفع اللغوية فتأمّل. قوله : (أو لآياتي الخ) والتضمين على هذا فالباء للتعدية أو سببية أو للتالي المعلوم منه وقوله بمعنى مكذبين أي على التضمين والتجوّز ركيك وقوله بذكر القرآن أي الضمير على هذا للقرآن المفهوم من الآيات أو المؤوّلة هي به ولم يذكر تعلقه بتهجرون لبعده لفظا ومعنى لما فيه من الإيهام وقوله تسمرون عبر به دون سامرين لإفادة استمرارهم عليه ولذا قدّم متعلقه. قوله : (وهو في الأصل مصدر الخ ا لما أريد به الجمع وهو بوزن المفرد هنا وقد ورد كذلك اختلف في توجيهه فذهب بعضم إلى أنه اسم جمع لأنهم يقولون السامر !ماعة الذين يسمرون فهو كالحاج والحاضر والجامل والباقر وهذا أحسن الوجوه والسمر الحديث بالليل وقيل إنه واحد أقيم مقام الجمع وقيل إنه مصدر في الأصل فيشمل القليل والكثير باعتبار أصله لكن مجيء المصدر على وزن فاعل نادر وقرئ سمرا بضم وتشديد وسما بزيادة ألف. قوله : (من الهجرة بالفتح (إقا بمعنى القطيعة أو الهذيان وهو التكلم بما لا يعقل لمرض! ونحوه وفيه أنه قال في الدؤ المصون إنّ الهجر بمعنى القطع والصد بفتح الهاء وسكون الجيم وبمعنى الهذيان بفتح ا ا!اء والجيم وفعله أهجر فليس مصدرهما واحدا كص ذكره المصنف رحمه الله وأمّا قوله في الكشاف والهجر بالفقح الهذيان فمحتمل لفتع الهاء والجيم إلا

أنّ ما ذكره المصنف بعينيه في الصحاح فليحرّر. قوله : (أي تعرضون عن القرآن) هذا على معنى الهجر الأوّل وما بعده على الثاني والفحش التكلم بالقبيح أو نفس الكلام القبيح وقوله ويؤيد الثاني وهو الهذيان تأييده له لما عرفت أنّ فعله مزيد دون الأوّل وسيأتي تحريره وقراءة التشديد تحتمل المعاني الثلاثة وقوله والهجر بالضم لم يعطفه بأو وان كان هو الظاهر كما قيل لقربه من الهذيان وقمد ورد بمعناه في اللغة كما في لسان العرب وبينهما مغايرة على الأوّل هذا على تقدير جرّه عطافا على الهجو بالفتح وأمّا على كونه مرفوعا مبتدأ

خبر. الفحش وذكر إشارة إلى فائدة التقييد بالفتح يعني أنّ الفعل من الهجر المفتوح بمعنييه لا من المضموم الذي هو اسم لقبيح الكلام ولا مصدر فلا يرد عليه شيء لكن هذا إنما يتمشى إذا كان لم يسمع منه هجر بل أهجر كما مرّ وهو الظاهر من كلام المصنف كذا قيل ويرد عليه ما في القاموس حيث قال هجره هجراً بالفتح وهجرانا بالكسر صرمه والشيء تركه كأهجره انتهى وقوله في المصباح هجرته هجرا من باب قتل قطعته وهجر المريض في كلامه هذي والهجر بالضم اسم ومصدر بمعنى الفحش من هجر كقتل وفيه لغة أخرى أهجر بالألف انتهى فلا وجه لما ذكر وفوله وبؤيد الثاني أي كونه بمعنى الهذيان لا كونه بمعنى الفحش كما قيل لأنه ثالث إلا أن يعدا وجهاً واحداً ووجه التأييد **غير تام** إلا أن ينبني على اكثر الأفصح وما ذكره هذا القائل يقتضي أن الفعل المذكور في النظم لا يصح أن يكون من الهجر بالضم مع أنه فسر به أيضا في كتب اللغة وغيرها فتأمّل. قوله : (أفلم يدبزوا القول) الاستفهام إنكاريّ لعدم تدبرهم ويجوز أن يكون تقريرياً انضمّ لمن تدبر وأورد عليه أن دلالة الإعجاز على كونه كلام الله ظاهرة وأمّا دلالة الوضوح فغير واضحة فكم للعرب من كلام واضح ويدفع بأنه على تقدير تسليم دخله في الدلالة فإنه ذكر لتسليم دلالة الإعجاز فإنّ المعجز بما يتوهم لكونه غير معهود لهم صعوبة فهمه لا سيما إذا نصب وضوح على أنه مفعول معه والمراد بالوضوح وضوح خاص وهو كونه على نهج من الفصاحة بحيث يفهمه كل من خوطب به من العوب لعدم تعقيده وكونه على أحسن الوجوه من أوّله إلى آخر. على نسق نير سالكاً طريقا سهلاً محمياً عن سلوك أحد فيه وهو الذي يقول له الأدباء السهل الممتنع فلا حاجة إلى أن يقال المراد وضوح دلالته على كونه ليس من كلام البشر فإنه مصادرة فتأمّل وقوله ليعلموا أي فيصدقوا به وبمن جاء به. قوله : (من الرسول والكتاب) فاستبعدوه فهو كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم لا مخالفة بينهما حتى يقال الآباء هنا الأوّلون." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٦/٣٣٨>

"ج٦ص٣٤٣

جار على الوجهين وقوله : ولذلك أي لقوله لا يمكن الخ وقوله : لأنّ الخ تعليل لقولهم في الجواب وقوله : خالقها إشارة إلى أنّ لام لله للملك بالخلق وهو لا ينافي جهلهم السابق لأنه إلزاميّ فرضيّ كما مرّ وقوله ليس أهون أي الأمر بالعكس لسبق مثله ووجود مادّته. وقوله : أعظم من ذلك أي الأرض ومن فيها فهو ترق. قوله : (بغير لام) أي سيقولون الله وكذا في الآية الآتية وأمّا في الأولى فلم يقرأ بها أحد وقد وهم فيه أبو حيان في عدم الفرق كما قاله الفاضل المحشي والقراءة بترك اللام على الظاهر وباللام على المعنى لأنّ فولك من رب الدار بمعنى لمن هي وقد وردا في كلامهم كما قال الشاعر :

إذا قيل من رلث المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد

وقال الآخر في عكسه :

وقال السائلون لمن حضرتم فقال المخبرون لهم وزير...

قوله : (فلا تشركوا به بعض مخلوقاته) كالأصنام وهو مترتب على الاتقاء وللترقي في عظم المخلوقات ترقي في التذييل لأنّ هذا أبلغ في الوعيد مما قبله وقوله : ولا يمنع منه قيل إنه جار على عادة عظماء العرب حيث كانوا لا يجير أحدهم جار أحدهم ولو أجاره لم يفد. وقوله : معنى النصرة أو الاستعلاء. قوله : (ملكه غاية ما يمكن) يعني أنّ صيغة الملكوت للمبالغة في الملك فهي ملك أقصى ما يمكن ملكه أو الملكوت بمعنى الخزينة وقيل هي المالكية والمدبرية وقوله : إن كنتم تعلمون تكرير لاستهانتهم وتجهيلهم لكمال ظهوره وقوله فمن أين تخدعون كون أني بمعنى من أين تقدّم في آل عمران وأشار بقوله : تخدعون إلى أنّ السحر هنا مستعار للخديعة. قوله : (من التوحيد والوعد بالنشور) هو إضراب عن قولهم أساطير الأوّلين فكان الظاهر اقتصار على الثاني لكنه لا حظ فيه معنى ما بعده من التوحيد بنفي الولد أو ما فهم من سياق ما قبله لكون الكلام مع المشركين وهو أولى وقوله حيث أنكروا ذلك وقالوا إنه أساطير الأوّلين وهو تفسير لحاصل المعنى لا أنّ الكذب مجاز عن الإنكار فإنه لا حاجة إليه وقوله : لتقدسه الخ لأنه لو كان له ولدتا تأله ولزم مشاركته في الإلوهية وهو معنى قوله يساهمه أي يقاسمه وفي نسخة يشابهه. قوله : (جواب محاجتهم وجزاء الخ (هذا على مذهب الفراء من أنّ إذن جواب وجزاء دأئما لشرط ملفوظ أو مقدر وقد مرّ تحقيقه والمقدر هنا لو كما أشار إليه المصنف رحمه الله بقوله أي لو كان معه آلهة الخ قال الفراء حيث وقعت اللام بعد إذن فقبلها لو مقدرة إن لم تكن ظاهرة والمحاجة على زعمهم والا فلا حجة لهم ولا دليل على زعمهم الفاسد. قوله : (واستبدّ به الخ) أي استقل به تصرّفا وملكاً وهو تفسير لقوله ذهب وقوله : وظهر بينهم التحارب وفي نسخة وتع وهو تفسير لقوله لعلا وقوله : كما هو حال ملوك الدنيا يعني أنه أمر عادي لا إلزامي قطعيّ ولذا قيل إنه دليل إقناعي لا قطعيّ وقوله وقيام البرهان صريح فيه لكن صاحب الكشف قدس سرّه خالف في هذا وقال لاج لي أنه برهان غير قطعي كما في قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وأطال فيه هنا وقد مرّ تحقيقه وقوله فلم يكن الني متفرّع على قوله لظهر بينهم التحارب أو على جميع ما قبله لأنه نتيجته فلا وجه لما قيل إن الظاهر عطفه بالواو على ظهر فإنه يترتب على ما يترتب عليه وقوله : وحده قيل الأولى تركه وهو تأكيد لا ضرر فيه. قوله : (واللازم باطل بالإجماع والاستقراء) المراد بالإجماع إجماع المسلمين ومشركي العرب لأنّ المراد إلزامهم فلا يرد إنه إن أراد إجماع المسلمين لم يفد وان أراد إجماع جميع أهل الملل ورد عليه الثنوية والاستقراء

لأنه لم يوجد ملكان في مملكة إلا وبينهما ذلك وإذا ان هذا الكلام خطابيا إقناعيا لا يرد عليه ما قيل إنّ الإجماع والاستقراء لا يناسب المقام لأنهما ليسا حجة عقلية مع أنهما **غير تامين** والبرهان إنما قام على انتهاء سلسلة الموجودات إلى واجب الوجود بالذات ولا يلزم منه عدم تعدده مع تعدد السلاسل وما ذكره إنما يرد على برهان التمانع والبرهان ليس منحصرا فيه وإليه أشار المصنف رحمه الله البرهان لا ما زعمه المعترض! فإنّ برهان الوحدة مقرّر منوّر في الكلام بطرق متعددة فلا وجه لما ذكره أصلا إلا أنّ العرب لا يدعون لآلهتهم الخلق والدليل المذكور لا يدل على نفيها." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٣٤٣/٦> "ج٧ص١٧

إلى هذا لأنهم مشركون فهم يعبدون الله ، والأصنام لقوله : ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء ، الآية : ٩٨] لا يرد عليه لأنه وجه آخر للاتصال ولذا لم يدع فساده بل عدم الحاجة إليه ، وما قيل من أنّ قولهم في

جوابه نعبد أصناما بدون ذكر الله يقتضي قصر عادتهم عليها وما ذكر من الآية ليس محكيا عن قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولو سلم فالمراد بالتسوية مساواة من عبد الله في مطلق العبادة أو تسويتها بالته في استحقاق العبادة ، وهو غير مستلزم للعبادة نفسها ليس بشيء لأنّ تخصيص الأصنام بالذكر للردّ عليه ، ولأنّ المداومة على عبادتها لا تنافي عبادته أحياناً مع أنّ المصنف رحمه الله قد اعترف بما ذكره القائل في تفسير قوله : . ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [سورة الزخرف ، الآية : ٢٧] كما سيأتي في سورة الرحمن وما ذكره من تاوبل الآية المذكورة تكلف لم يسبق إليه. قوله : (هداية مدرجة) منصوب على أنه مصدر ليهدي ، وقوله دم الطصث أي الحيض هو بناء على ما اشتهم ونقل عن جالينوس ، وأنه لذلك يصيبه الجدرى وغيره من الأمراض الدموية لكن الحكيم ابن زهر أنكره وقال إنّ جالينوس أراد بدم الطمث دما في الرحم صالحا لا دم الحيض فإنه دم فاسد لو اغتذى به لاجنين لم تتصوّر حياته ، وإنما لم ينصبّ دم الحيض مدة الحمل للرحم لاشتغال الرحم ، وهو وان كان مما يقبله العقل فالظاهر أنه لا يعلم حقيقته إلا الله فلا يجزم بشيء منهما إلا إذا اعتضد بدليل سمعيّ. قوله : (والفاء للسببية) في خبر الموصول لتضمنه معنى لشرط ، وقوله وللعطف أي على الصلة والصفة إمّا منصوبة أو مرفوعة على القطع ، وقوله لأنه يهدي كل مخلوق الخ إشارة إلى أنّ ما ذكر من الحكم ليس خاصا به ، وان صوّر في نفسه للتعريض كما مرّ فسقط اعتراض! أبي حيان بأن الفاء إنما تزاد في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط إذا كان عامّا وهذا ليس كذلك مع أنّ اشتراط ذلك فيه غير مسلم كما فصله الرضى ، وإنما هو أغلبيّ ، ثم إنّ السببية

بمقتضى الحكمة فإنّ من أوجده يتكفل بما به قوامه وبقاؤه ، وقيل إنها سبب للأخبار لا للهداية فإنها غير مسببة عن الخلق ، وانّ السببية قد تجامع العطف كما في الذي يطير الذباب فيغضب زيد فلا وجه للتخصيص. قوله : (فيكون) أي على العطف فإنّ الأصل فيه تماثلهما ، ويجوز أن يكون على التقديرين وتقدم الخلق يقتضي المضيّ والاسنمرار من الاسمية التي خبرها مضارع دال على الاستمرار أيضا ، وقوله على الأوّل أي كون الذي مبتدأ خبره هو يهدين وقوله على الوجهين أي الابتدائية والوصفية والحكم ما تضمنه الخبر أو الاستئناف من العداوة. قوله : (عطفه على يطعمني (أو على جملة هو يطعمني ، وقوله من روادفهما أي توابعهما ولوازمهما

وهو إشارة إلى وجه التأخير :

فإنّ الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وحكمة تاخير السقي ظاهرة لأنه من توابع الطعام أيضاً ولذا لم يكرر الموصول فيها. قوله : (لم ينسب المرض إليه) أي لم يقل أمرضني مع أنه الممرض حقيقة فأضاف إليه النعم دون النقم تأدّباً ، وقوله ولا ينتقض الخ جواب عن سؤال مقدّر لكن قوله فإنّ الموت الخ **غير تامّ** في دفعه فإنه لا يلزم من عدم إحساس ضرره وألمه أن يكون نعمة ، وكونه مع ما بعده جوابا واحداً خلاف الظاهر إذ كان الظاهر الاقتصار عليه كما في بعض شروح الكشاف ، وقد اعتذر عنه في الانتصاف بأن الموت لما علم أنه قضاء محتوم من الله لا يخص أحداً ، ولا كذلك المرض فكم معافى منه سقط كونه بلاء فساغ في الأدب نسبته إليه تعالى فتأمّل. قوله : (المحالث) هي نعيم الجنة ورضوان الله ، ومنه تخليص العاصي أيضاً من اكتساب المعاصي ، وقوله ولأنّ المرض معطوف على قوله لأنّ مقصوده الخ ، وقوله إنما يحدث الخ فلما كان سببه الظاهر منه ، ومن تركيبه نسب إليه وجعل كأنه فاعل حقيقيّ له بخلاف الصحة ، ولو طارئة وأمّا ما يحصل بالعلاج والاحتماء فليس بمطرد ، والأخلاط أمزجة الإنسان الأربعة ، والأركان العناصر ، وقوله باستحفاظ اجتماعها أي الإخلاط والأركان ، وقوله عليها متعلق بالمخصوص لكنه بمعنى المقصور أو بالاستحفاظ أو بقهراً ، وقوله يميتني لم يقل هو يميتني لأنّ الإماتة لا تسند لغير الله في لسان العرب. قوله : (ثم يحيين) أورد ثم لما بينهما من التراخي بخلاف غيره ، وذكر يوم الدين لظهور المغفرة فيه وهضم نفسه لعدها خاطئة ، وكونهم على حذر لأنّ المعصوم." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٧/٧>

"ج٧ص٣٣

المصنف ما يدل عليه. قوله : (وإضافة الشهاب إليه الخ) يعني أنه ليس من إضافة الشيء إلى نفسه بل

إضافته بيانية لما بينهما من العموم والخصوص كثوب خز فإنّ الشهاب شعلة النار ، والقيس ما يتناول من الشعلة ولذا استعير لطلب العلم والهداية فالقبس قد يكون شهابا كشعلة مأخوذة من أخرى وقد لا يكون كالحراقة وشهب الجوّ ، وقوله لأنه بمعنى المقبوس توجيه للوصفية ، وهو إمّا تاويل أو إشارة إلى أنه صفة مشبهة كحسن. قوله : (ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي الخ) يعني لا تدافع بين ما وقع هنا وقوله في طه : ﴿ لَّعَلِّي آتِيكُم ﴾ [سورة طه ، الآية : ١٠] لأنهما يدلان على الظن والراجي إذا قوي رجاؤه يقول سأفعل كذا ، وسيكون كذا مع احتمال خلافه فالترجي يكون بمعنى الخبر وعلى العكس. قوله : (والترديد) يعني كلا الأمرين مطلوب حسن فكان الظاهر الواو لا أو لأنّ كلاً منهما مهمّ له ، وقيل إنه يجوز أن يكون احتياجه لأحدهما لا لهما لأنه كان في حال الترحال ، وقد ضل عن الطريق فمقصوده أن يجد أحدا يهدي إلى الطريق فيستمرّ في سفره فإن لم يجده توقد النار لدفع ضرر البرد في الإقامة ، وقد قيل إنّ ما مرّ في سورة طه من أنه كان في الطور قد ولد له ابن في ليلة شاتية ، وظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرّقت ماشيته فرأى النار وقال لأهله ما قال يدلّ على احتياجه لهما معاً فلا يتوجه ما ذكره ، ولذا لم يلتفت إليه المصنف رحمه الله لمخالفته المنقول. قوله : (للدلالة على أنه الخ) فهي لمنع الخلوّ تحرّيا للصدق ، وقوله لا يجمع الله بين حرمانين كما في المثل لا يضرب الله بسيفين ، والصلاء بكسر الصاد والمدّ ويفتح بالقصر كما في القاموس هو الدنوّ من النار لتسخين البدن ، وهو الدفء ودفع ألم البرد ويطلق على النار نفسها كما ذكره أهل اللغة ، أو هو بالكسر الدفء وبالفتح النار. قوله : (أي بورك) يعني أنّ أن تفسيرية وشرطها موجود وهو تقدم ما فيه معنى القول دون حروفه كالنداء كما أشار إليه المصنف رحمه الله واذا كانت مصدرية يجوز في بورك أن يكون خبرا وانشاء للدعاء ولا يضرّ فوات معنى الطلب إذا أوّل بالمصدر كما توهم لأنه أمر تقديري ولو سلم ففواته كفوات معنى المضيئ ، والاستقبال وقد

مرّ تفصيله. قوله : (والتخفيف وإن اقتضى التعويض الخ) والتعويض عما حذف منها ، وقيل إنّ هذا التعليل **غير تامّ** لأنه لو كان كذلك اطرد ، وهو غير مطرد وكذا التعليل بأنه للفرق بينها وبين المصدرية فإنه لو كان كذلك لزم عدم الدخول على الجملة الدعائية ، وهي تدخل عليها كالمصدرية كما في الكشف ، والعلل النحوية حالها معروف فالأصوب أن يحال على السصاع أو يقال كما في الحجة لأبي عليّ الفارسيّ إنها لما كان لا يليها إلا الأسماء استقبحوا أن يليها الفعل من غير فاصل ، وكان الظاهر أتي بدل قوله بلا بحرف نفي فإنه لا يختص بها كما في التسهيل والرضى ، ثم إنّ ما ذكره في الجملة غير الاسمية والشرطية وغير الفعلية التي فعلها غير متصرّف كعسى ، وليس مع أنه أغلبيّ كقوله :

علموا أن يؤملون فجادوا

والأحكام التي تخالف فيها كعدم وقوعها شرطا وحالاً وخبرا ، وما ادّعاه الرضى من أن بورك إذا جعل دعائياً فهي مفسرة لا غير لأنّ المخففة لا يقع بعدها فعل إنشائيّ إجماعاً وكذا المصدرية مخالف لما ذكره النحاة ودعوى الإجماع ليست بصحيحة ، ونائب فاعل نودي أمّا ضمير موسى أو ضمير المصدر وهو النداء أو هو إن بورك كما في الدرّ المصون. قوله : (من في مكان النار) يعني أنه فيه مضاف مقدر في موضعين أي من في مكان النار وحول مكانها ، وقوله وكفاتهم أي مقرّهم ، وأصل الكفات بكسر الكاف ما يكفت الشيء أي يضمه ويشمله ، وقوله في تلك الوادي كما في بعض النسخ أنثه لتأويله بالأرض. قوله : (وقيل المراد (أي بمن في النار وحولها ، وهذا يحتمل أن يراد بمن في النار موسى وبمن حولها الملائكة ويؤيده قراءة أبيّ ، ومن حولها من الملائكة وعكسه كما قيل في تفسيره أي جعل البركة ، والخير فيمن في مكان النار وهم الملائكة ومن حولها أي موسى ولا وهم فيه كما توهم ، وتلك القراءة مع شذوذها غير نص فيه. قوله : (وتصدير الخطاب بذلك) أي بقوله أن بورك سواء كان دعاء أو خبرا لأنّ الدعاء من الله بشارة ، والأمر العظيم النبوّة وهو على التفسيرين ، وقيل إنه على الأوّل لقوله في أرض الشام إذ ليس في الثاني ما يفيد عمومه لأرض الشام ، والمراد انتشار بركة جديدة لأنّ أصلها." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٣٣/٧>

"ج٧ص١٣٣

جعل مؤكداً لها كان مؤكداً لنفسه أيضا فاحتمال! تركوه لبعده فلا عبرة بما قيل إنّ الأخبار المؤكدة لا تخرج عن احتمال البطلان فتأمّل ، وقوله وليس كلى وعد حقا أي في نفسه بقطع النظر عن قائله كما حقق في قولهم الخبر ما يحتمل المدق ، والكذب فلا يرد عليه أنّ وعده تعالى حق بلا مرية. قوله : (فيمنعه الخ (إشارة إلى أنلأ تذييل مقرّر لحقية وعده المخصوص بمن ذكر المومي إلى الوعيد لمن عداهم ، وقوله الذي لا يفعل الخ الحصر من فحوى الكلام ، وقوله سبق في الرعد وكذا تفسير رواسي وتحقيقه مرّ فيها أيضا ، وقوله كراهة أن تميد إشارة إلى أنه مفعول له بتقدير مضاف ، وقد مرّت نظائره أيضاً وتميد بمعنى تضطرب. قوله : (استئناف) سقط من بعض النسخ لتقديمه في الرعد يعني جملة ترونها مستأنفة في جواب سؤال تقديره ما الدليل على ذلك فلا محل لها مسوقة لإثبات كونها بلا عمد لأنها لسو كان لها عمد رؤيت ، وقد جوّز في الرعد كونها صفة لعمد أيضا فالضمير على هذا للسموات لا للعمد كما في الوصفية ، وأفرد ولم يقل فيهن لأنه جمع قلة والرؤيه بصرية لا علمية حتى يلزم حذف أحد مفعوليها كما توهم ، وعلى الوصفية يجوز أن يكون المراد أنّ لحا

عمدا غير مرئية كما مرّ. قوله : (شوامخ) أي عالية ، وقد فسر بثوابت أيضا كما مز ، وقوله : فإنّ بساطة أجزائها وفي نسخة تشابه أجزائها ، وهو تعليل لميدانها وترك الدليل الظاهر ، وهو أنها أجرام عظيمة مرتفعة من شأنها أن لا تستقرّ بدون عمد لا سيما إذا كانت بسقف ممتد كما وردت به النصوص الإلهية ، والآثار النبوية لظهوره ولإلزام من يقول ببساطتها وكريتها من الحكماء ، وأهل الهيئة بما يدل عليه الحس وقد قام عليه الدليل في محله من بساطتها فلا وجه لمنعه ، فإن قيل الدليل غير تامّ فأمر آخر ، وضمير أجزائها للسموات وما بعده للأجزاء والامتناع المذكور لأنّ تشابه الأجزاء يقتضي الاشتراك في اللوازم فالاختصاص ترجيح بلا مرجح فاحتيج إلى مخصص خارج وهو الجبال ، وأما كونه لا عليه ولا شرطية بين الممكظ ت عند المحققين لانتفائهما بالذات إلا بأقداره تعالى وجعله فالآيات والآثار مشحونة بخلافط مح أنّ مط ذكص إلش اميّ ، وكون اللازم جواز ما ذكر وامكانه لا وقوعه غير مسلم لأن

مقتض التشابه الواقع الوقوع ، وأنه بإرادته تعالى لا يقال ننقل الكلام إلى الجبال أيضاً لأنها من جنس الأرض فيلزم التبدل لأن مقتضى التشابه ، والبساطة الكرية ومن حقها الميدان كما في الأفلاك والجبال أخرجتها عن الكرية ، وتوجهت لثقلها نحو المركز ومنعها عن الحركة كالأوتاد ، والبساطة لها معان ثلاثة على ما بين في علم الحكمة والمراد هنا ما لا يتركب من أجسام مختلفة الطبائع فيشمل العناصر والأفلاك والأعضاء المتشابهة كالعظم. قوله تعالى : (﴿ وَبَثَّ ﴾) أي أوجد وأظهر ، وأصل البث الإثارة والتفريق وفي تأخيره إشارة إلى توقفه على إزالة الميدان ، وقوله من كل صنف تفسير لزوح ، وكثرة المنفعة تفسير لكرمه. قوله : (وكأنه استدل بذلك) أي ما ذكر من قوله خلق السموات بغير عمد إلى هنا ، يشير إلى أن هذه الجملة ذكرت بعد قوله هو العزيز الحكيم لإثبات عزته وحكمته وفسر عزة الله بكمال قدرته وحكمته بكمال علمه فهي جلة مستأنفة لما ذكر ، وللتمهيد لقاعدة التوحيد أي أصله المذكور بعده ، وهذا إشارة لما ذكر أيضاً كما أشار إليه بقوله هذا الذي ذكر الخ ، وفاء فأروني جواب شرط مقدر وأروني بمعنى أعلموني وأخبروني ، وقوله اكهتكم تفسير لقوله من دونه لأنه بمعنى غيره من الآلهة ، وقوله وماذا الخ لأنه قد يركب ويجعل اسماً واحداً استفهاميا فيكون مفعولاً لخلق مقدما لصدارته ، وقد تكون ما وحدها اسم استفهام ، وذا اسم موصول مبتدأ وخبر وعليها فالجملة معلق عنها سادّة مسداً لمفعول الثاني ، وقد يكون ماذا كله اسماً موصولاً فيكون مفعولاً ثانياً لأروني والعائد محذوف في الوجهين ، وما ذكره مبني على جريان التعليق في المفعولين الأخيرين ، وفيه كلام في الرض انظره إن أردت. قوله : (الذي لا يخفى) هو ونحوه معنى قوله مبن والظاهر الظالمون وضع موضع أنتم ، وقوله بإشراكهم إشارة إلى أنّ المراد بالظلم الشرك لقوله إنّ الشرك لظلم عظيم ، وقوله من أولاد آزر الخ هو

أحد الأقوال فيه ، وقيل كان عبداً أسود ، وقوله باعوراء بعين مهملة ممدودا ووقع في الكشاف باعور بدون ألف وهو اسم عبراني ، وروي أنه خير بين الحكمة والنبوّة فاختار الحكمة على كلام فيه في شرح الكشاف. قوله :." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٣٣/٧>

"ج٧ص١٤٨

رحمة منه لا إيجابا عليه وهو ردّ على من يقول بالإيجاب. قوله : (خلقه موفرا) أي مكملاً تامّا وهذا بيان لحاصل المعنى لأنّ تقديره أحسن خلقه أي جعله حسنا تامّا كاملاً حسبما تقتضيه حكمته ، وكون خلقه بدل اشتمال إذا كان بالمعنى المصدري فالضمير المضاف إليه لكل شيء أمّا إذا كان بمعنى المخلوق فهو بدل كل من كل أو بدل بعض من كل والضمير لله ، والذي ارتضاه أبو عليّ في الحجة وهو ما صرّح به في كتاب سيبويه أنه مفعول مطلق لأحسن من

معناه ، والضمير لله أيضاً وقد جوّز أيضا كونه مفعولاً ثانياً أو أوّل لأحسن لتضمينه معنى أعطى. قوله : (وقيل علم كيف يخلقه) قال الراغب الإحسان يقال على وجهين أحدهما الأنعام على الغير والثاني الإحسان في فعله ، وذلك إذا علم علماً حسناً وعمل عملاً حسنا وعليه قول أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه الناس أبناء ما يحسنون أي ينسبون إلى ما يعلمونه ، ويعملونه من الأفعال الحسنة ا هـ فحينئذ إذا تضمن معنى العلم فلا مانع من أن يحوي معناه ويعمل عمله كما قرّروه في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ، [سورة هود ، الآية : ٧] ولا يضرّ عدم تعدّبه لهما في المثال فقوله يحسن معرفته إشارة إلى وجه تفمنه معنى العلم لا إلى تقدير مضاف ، وقوله قيمة المرء ما يحسنه هو من كلام عليّ أيضاً كرم الله وجهه وهو استشهاد على دلالته على العلم كالبيت المنسوب إليه أيضاً وهو :

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

فلا يتوهم أنّ ما استشهد به غير موافق لمدعاه كما قيل ، ومعنى المثال زيادة رفعة المرء

وعلوّ قدر. بعلمه لا بحسنه وجسمه فالقيمة مجاز فيه. قوله : (بفتح اللام) على أنه فعل ماض ، والجملة واقعة بعد نكرة فهي صفة كل أو شيء والثاني أولى لأنّ المضاف بعد كل هو المقصود بالذات فهي في محل جرّ لا نصب ، وهو الظاهر من قوله فالشيء الخ. قوله : (على الأوّل مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل) قصر العامّ على بعض أفراده إمّا بغير مستقل ، وهو كلام **غير تام** تعلق بصدره كلاصفة أو بمستقبل من كلام أو عقل أو غيره كالحس ويسمى الأوّل متصلاً والثاني منفصلاً ، وكل منهما تخصيص عند الشافعية لأنه قصر العامّ على بعض أفراده مطلقا وأمّا عندنا فالتخصيص هو الثاني فقط كلاما كان أو غيره فما ذكره

المصنف من أنه على الأوّل أي على قراءة خلقه بالمصدرية على وجوه إعرابه مخصوص بمنفصل ، وهو دلالة العقل على أنه لم يحسن خلق كل شيء مطلقاً حتى ذاته وصفاته لأنّ المتبادر من الخلق الحدوث الزمانيّ وذاته وصفاته سبحانه وتعالى منزهة عن الاتصاف بالخلق فاحتيج إلى تخصيص شيء بما ذكر ، وأمّا الحدوث الذاتيّ فاصطلاح للفلاسفة واه كما بين في الكلام ولو جعلت جملة خلقه مستأنفة كان التخصيص بمنفصل أيضاً على هذه القراءة لكن لكونه خلاف الظاهر لم يتعرّض له المصنف وكون شيء بمعنى المفعول ، وهو مشيء كما مرّ في البقرة بحسب الوضع الأصلي ، وقد يلاحظ فيه العموم فيحتاج إلى المخصص مع أنه وجه في المآل آخر للتخصيص فلا اعتراض به على المصنف رحمه الله كما توهم فما ذكره المصنف مبنيّ على أصولهم ، وقد يرجع إلى أصولنا أيضاً فأعرفه. قوله : (يعني آم) عليه الصلاة والسلام قد مرّ تحقيقه وفوله

تنسل كتنصر تخرج ، وتنفصل والسلالة الخلاصة وأصلها ما يسل ويخلص بالتصفية ، وممتهن بمعنى مبذول وأصل التسوية جعل الأجزاء متساوية فلذا فسره بقوله قوّمه الخ وثم للترتيب الرتت أو الذكريّ لأنها قبل النسل* قوله : (إضافة إلى نفسه تشريفاً) إذ لم يقل روحا بل روحه تشريفاً له مع أنّ كل روح له ، ومنه قيل بيت إدلّه وناقة الله تعظيما للمضاف وضمير له للإنسان أو للروح بتأويله بمخلوق ، وقوله له مناسة ما إلى الحضرة الربوبية ظاهر في هذا أي انتساب إليها ولذا عداه بإلى وحضرة مصدر بمعنى حضور ، والمراد المقام والمحضر وأقحم تأدّبا على ما عرف في الاستعمال ووجه المناسبة اتصالها بالعالم العلوفي ، وتجرّدها عن التجسم وتصرّفها ، وتوله من عرف نفسه الخ ليس بحديث بل هو من كلام أبي بكر الرازي كما ذكره الحفاظ ، وبعض الجهلة يظنه حديثا كما وقع في بعض كتب الموضوعات ، وقيل ليس معناه ما ذكر بل معناه من عرف نفسه ، وتأمّل حقيقتها عرف أنّ له صانعاً موجدا له وإليه أشار تعالى بقوله ة ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات ، الآية : ٢١] (قلت) ما ذكره المصنف رحمه الله سبقه إليه غيره وهو مناسب لكلام الحكماء."
<حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٤٨/٧>

"ج٧ص٢٥٨

رحم الله الخ وأصاب إذ لم يجعله حديثاً فانّ الحديث كما في الصحيحين وغيرهما إنه صلى الله عليه وسلم قال : " رحم الله المحلقين قالوا

والمقصرين يا رسول الله قال والمقصربن " وهو عطف تلقين بالواو ولا شاهد فيه فاعتراض الطيبي رحمه الله لا يرد عليه لكنه وارد على المصنف. قوله : (على ما هو المألوف الخ) من تثيد ما يهتم به بتقديم القسم ونحوه ، وهو دفع لما مرّ من أنه كلام مع منكر مكذب فلا فائدة في القسم ، ثم أشار إلى أنّ عدم فائدة القسم إنما

تكون إذا لم يذكر برهانه وما يحققه ، وهو قد ذكر بقوله : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الخ وأما ما قيل من أنّ الصانع ووحدته قد تثبت بالدليل النقلي بعد ثبوت ذلك بالعقل ففائدة القسم ظاهرة هنا **فغير تام** هنا لأنّ الكلام مع من لا يعترف بالتوحيد. قوله : (فإنّ وجودها الخ) قد مرّ من المصنف مثله في سورة البقرة ويرد عليه أنه مبني على وجوب الأصلح كقوله في الإحياء ليس في الإمكان أبدع مما كان ، وقد شنع عليه كثيرون فيه بأنه مخالف للمذهب الحق من أنّ قدرته تعالى لا تتناهى ، وأنه قادر على أن يوجد عالما آخر أحسن وأكمل من هذا العالم وقد صنف فيه عدة رسائل ، والجواب عنه ما قاله الآمدي في كتابه غاية المرام في علم الكلام إنّ ما علم الله سبحانه وتعالى إنه لا يكون منه ما هو ممتنع لذاته كالجمع بين النقيضين ومنه ما هو ممتنع متعلق علم الله بعدم وجود مع إمكانه في ذاته والقدرة من حيث هي قدرة تتعلق به ، ولا معنى لكونه مقدوراً غير هذا فيطلق عليه مقدور وممكن بهذا الاعتبار فإن أطلق عليه أنه غير مقدوراً وممكن لأمر خارج وهو مخالفة علمه تعالى فلا محذور فيه ، ولذا قيل :

وليس في ليس في الإمكان ما فهموا وإنما هو في التحقيق تخييل

وفي كلام المصنف إشارة إليه . قوله : (مع إمكان غيره) قد عرفت أنه لا بدّ من هذا ليوافق المذهب الحق فما قيل إنه لا حاجة إليه إذ يكفي إمكان نفسه إنما الحاجة إليه في إثبات صفة الإرادة غفلة مع أنه ردّ بأنه لا بد منه في إثبات التوحيد فإنّ هذا الوجه ا!مل إذا كان واجباً لا ينتهض ما ذكره المتكلمون في برهان التمانع لإثباته دليلا عليه إذ يقال المانع من تعلق قدرة الآخر ، وارادته بغير هذا الوجه هو عدم إمكانه. قوله : (دليل على وجود الصانع) ذكره توطئة لقوله وحدته إذ التوحد مستلزم للوجود فلا وجه لما قيل من أته لا وجه لذكره إذ ليس الكلام فيه لقوله لواحد. قوله : (ورث بدل من واحد) فهو المقصود إلى أنه هو الرب الذي لا

يشاركه غيره ، واذا كان خبر محذوف فهو مرفوع على المدح. قوله :) فيدل على أنها من خلقه (ردّ على المعتزلة في خلق أفعال العباد قيل ووجها لدلالة خفي إذ لا يلزم من التربية الخلق وهو غير موجه لأنّ الرب كما يكون بمعنى المربي والسيد والمالك يكون بمعنى الخالق ، واضافته للسموات تعينه وهو المراد فتأمّل. قوله : (مشارق الكواكب) هو المناسب لقوله إنا زينا الخ وقوله وهي ثلثمائة وستون هو بتنزيل الأكثر منزلة الكل وعدم اعتبار الكسور إذ السنة الشمسية تزيد على ذلك بنحو ستة ، وقوله ولذلك اكتفى الخ هو جار على تفسيره بالكواكب أيضاً وفي قوله زينا إشارة إليه فلا يتوهم أنّ الاكتفاء يحصل بالعكس ، وهو الاقتصار على المغارب كما أشار إليه بقوله مع أنّ الشروق الخ ، وما قيل عليه إنه حينئذ تتمة لما قبله لأنه لا يتم بدونه لا

وجه مستقل وأسلوب التحرير يأباه وقوله وبحسبها الدال على أصالتها يكفي وجها لعدم العكس فالوجه إنه جواب آخر مستقل كما فعله الإمام لأنّ الشروق لدلالته على أتم قدرة وأبلغ نعمة ينبغي الاكتفاء به غير متجه لأنّ مجرّد هذه الدلالة بدون الاستلزام غير كافية فجعل المجموع ، وجا واحداً أتم والإباء المذكور ممنوع ، قال الإمام : ولهذه الدقيقة استدل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالشروق حيث قال فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فتأمّل. قوله : (وما قيل الخ) فيكون على النصف من الأوّل فإنّ مشارقها من رأس السرطان إلى رأس الجدي متحدة معها من رأس الجدي إلى رأس السرطان بعد الاعتدالين فإن اعتبر ما كانت عليه وما عادت إليه واحداً كانت مائة وثمانين ، وان نظر إلى تغايرهما كانت ثلثمائة وستين فأوقاتها من أوّل الصيف إلى أوّل الشتاء ، ثم من أوّل الشتاء إلى أوّل الصيف فلك أن تنظر إلى الاتحاد والتغاير." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٧/٢٥٨>

"ج٧ص٤٥٠

صفة لا إلى السابقة وقد جعلها صفة على تقدير أن يكون المشار إليه الجنة المذكورة في قوله : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٤٩] كما مرّ في البقرة وهو على تسليمه قد يدفع بأن المذكورة شامل لما ذكر قبله بعده ، وقوله : وعليه أي على كونه جزاء ، وهذا في غاية الظهور غني عن البيان والباء للمقابلة أو السببية كما مرّ.

قوله : (بعضها تثلون (فمن تبعيضية ويجوز كونها ابتدائية ، وأشار بقوله : لكثرتها إلى ترجيح التبعيض بدلالته على كثرة النعم وأنها غير مقطوعة ولا ممنوعة ، وقوله : لما كان أقي في الدنيا فهو تسلية لهم ، وأما كون أكثر المخاطبين عوام نظرهم مقصور على الأكل والشرب كما قيل : **فغير تام** وقصر أكلهم على الفاكهة إشارة إلى أنهم لا يلحقهم الجوع وإنما يأكلون تفكها فتقديم منها إما للحصر الإضافي أو للفاصلة. قوله : الأنه جعل قسيم المؤمنيق (بآياتنا السابق في قوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا ﴾ فلا يدل على خلود العصاة كما ذهب إليه المعتزلة والخوارج ولا يضر خروجهم لأن المراد بالذين آمنوا المتقون لقوله : ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الزخرف ، الآية : ٦٨] فإنه مختص بهم ولا ضير فيه كما توهم ، والقول بأن الذين آمنوا شامل لهم لأنّ العلة إيمانهم وإسلامهم لا يخفى ما فيه ، وقوله : الكاملين لانصراف المطلق له بيان لوجه التخصيصر ، ويجوز أن يكون تعريفه للعهد وما يخص بالكفار ما بعده.

قوله :) خبر أنّ (أي الظرف خبر وخالدون فاعله لاعتماده أو خالدون هو الخبر والجار متعلق به ، وقوله : والتركيب أي مادّته بأقي صيغة كانت تدل على لضعف مطلقا ففترة الحمى ضعف في ألمها وكذا العذاب ،

وفتور القوى وغيره وفترة الرسل الزمان الخالي منهم ، وفيه ضعف الشرائع والإيمان ، وفسر الإبلاس باليأس وأصله السكوت وانقطاع الحجة وهو قريب من هذا وقوله : وهم فصل أي ضمير فصل لا مبتدأ فيفيد التخصيص. قوله : (ولعله (أي الترخيم على لغة الانتظار وغيرها كما نبينه لأنهم قد يضعفون عن إتمامه كما يشاهد في بعضى المكرويين لا لقصد التصرف في الكلام وهو إشارة إلى الجواب عن قول ابن مسعود رضي الله عنه ، وقد حكيت له هذه القراءة فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم ، وقوله : اختصروا أي بطلب الموت واضمار قولهم : سل ربك وقل ليقض الخ كما أشار إليه بقوله : والمعنى الخ وقوله : ربك لحثه لا للإنكار. قوله : (وهو لا ينافي إبلاسهم الخ (قد أورد عليه أنه جواب سؤال مقدر كما في الكشاف لكنه إنما أورده لأنه اعتبر في معنى الإبلاس السكوت لليأس والدهشة فلذا ورد عليه أنّ قولهم لمالك ما ذكر ينافيه فدفعه بقوله : إن أوقات العذاب متطاولة فيأسهم يخرسهم في بعضها ، وذهولهم في بعض أوقات الشدة يحملهم على الاستغاثة :

وكذا الغريق بكل حبل يعلق

وأمّا المصنف كغيره فلم يعتبره فلا يرد عليه السؤال حتى يحتاج للجواب فهو تبرع على

من لا يقبل اللهمّ إلا أن يريد بيأسه من الخلاص من العذاب ، ولو بالموت فإن الحال التي يتمنى فيها الموت شر من الموت لكن مثله لا يسمى خلاصا ، ونجاة إلا مع القرينة والقرينة هنا قوله : بعد هذا بموت ولا بغيره فإنه صريح فيه ، وما قيل غليه من أن قوله ونادوا الخ معطوف بالواو وهي لا تقتضي ترتيبا فلا يرد السؤال رأساً وكذا ما قيل إنه أراد باليأس اليأس مع السكوت لتصريحه به في سورة الروم وإنما تعرّض له ثمة ولم يتعرض له هنا إشارة إلى أنه مجرّد عن قيده هنا ، وما في الكشاف لا يناسب دوام الجملة الاسمية والسؤال إنما يرد في بادئ الرأي فأحب إزالة قذي الشبه عن ناظره ظاهر السقوط مع التدبر إذ جملة ، وهم فيه مبلسون حالية لا تنفك عن الخلود وما ذكر في محل آخر لا يفيد هنا وهكذا يعرف باقيه. قوله :) فإنه

جؤار) بضم الجيم ، وبعده همزة كالصراخ لفظا ومعنى والصياح في الشدة لا ينافي اليأس منها ، وكذا التمني فإنه يجري؟ في المحالات فقوله : من فرط الشدة راجع لهما ، وقول مالك في جوابهم إنكم ماكثون لا ينافيه فإن الملك لا يلزمه العلم بخفي أحوالهم مع أنه قد يقوله صلى الله عليه وسلم لهم وتقنيطاً مع أنه مبني على أنه جواب وشيأتي ما فيه. !قوله : (جمالإزسالى الخ (الظاهر أنه تفسير لقوله : بالحق فيكورن بدلاً منه فلا يلزم تعلق حرفي جرّ بخمعنى بمتعلق واحد حتى يقال الباء الأولى للتعدية والثانية للسببية. قوله :) وهو) أي قوله : لقد جئناكم الخ بناء على احتمال كؤن فاعل قال ضمير الله : المستتر أو ضمير ما لك فعلى الأوّل كله

حمقو!ل الله في جوابهنم ، وكتمته بهذا فإنه الجواب في الحقيقة وعلى الثاني يكون هذا ابتداء كلام من ألله فهو جواب تولاه بنفسه يعد ما صدر." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٤٥٠/٧>
"ج٨ص١٩٦
الأصوليون في الأمر الوارد بعد المنع ، فقيل : للإباحة استدلالاً بما هنا فإنه لم يذهب أحد من أصحاب المذاهب المشهورة إلى أنه للإيجاب ، وهذا عائد بالنقض في دليله ومدلوله ، أمّا في دليله فلأن الأصل بقاء الأمر على أصله من الإيجاب أو الندب ، وهذا مثال جزئيّ لم يحمل عليه ، لأنّ الاتفاق على خلافه قرينة مانعة عن إرادته ، ولأنّ المعاملات حق شرع للعبد رفقا به ، فلو أوجب أو طلب كان مشقة لا رفقا به ، وأشار المصنف رحمه الله إلى دفعه بالحديث أيضا ، فإنه دل على أن المأمور به أمر أخروي لا دنيوي ، فهو باق على الندبية ، ولا دليل فيه لهم على الإباحة وتفصيله في الأصول. قوله : (واذكروه في مجامع أحوالكم) أي في كل مكان لكم جامع لأحوالكم ، وعدم الاختصاص مفهوم من عدم تقييده بحال ، ومكان وزمان ، والأمر للندب ، وقوله : فمرّت عليه عير بكسر العين أي إبل محملة بأنواع المأكولات المجلوبة كالبر ، وقوله : إلا اثني عشر رجلا من الصحابة رضي الله عنهم ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاج وسعيد بن زيد وبلال وعبد القه بن مسعود ، وفي رواية عمار بن ياسر بدل ابن مسعود ، وعد في مسلم منهم جابراً. قوله :) وأفراد التجارة برد الكناية الخ) يعني كان مقتضى الظاهر إليهما لسبق شيئين ، أو إليه بعود الضمير على
ما ذكر ، وعوده على الرؤية المفهومة من رأوا خلاف الظاهر المتبادر ، والكناية هنا بمعنى الضمير اصطلاح النحاة والمشهور هو اصطلاح أهل المعاني ، وقوله : لأنها المقصودة ، يحني فاكتفى بالأهمّ كما قرّرناه ، وفيه نظر لأنه بعد العطف بأو لا يثنى الضمير ، ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لأنها لأحد الشيئين حتى تأوّلوا إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما ، كما مز وتفصيله في إعراب السمين ، فالظاهر أن يقال : وحد الضمير لا! العطف بأو واختير ضمير التجارة دون اللهو ، لأنها الأهم المقصود وقد يقال : إنه المراد فتدبر ، وقوله : فإنّ المراد الخ بيان لأنه الأهمّ. قوله : (والترديد الخ) يعني العطف بأو للدلالة على ما ذكرنا ، إذ لو عطف بالواو اقتضى أن الانفضاض لهما معا ، وحينئذ فعدم ذكره لعدم الاعتداد به ، ولا تغليب فيه كما توهم ، وقوله : أو للدلالة عطف على قوله للدلالة قبله ، لا على قوله لأنها المقصودة ، كما قيل لأنه يتراءى في بادئ النظر إنه علة لتخصيصه بإرجاع الضمير إليه ، وهو ظاهر ، لكن وجه ما قلناه ، وهو المتبادر من السياق أنه سوّى بينهما وذثم الانفضاض إلى التجارة دونه اعتماداً على شذة الظهور فيه ، وأنه يعلم بالطريق الأولى

فتأمّل. قوله :) وقيل تقديره الخ (ووجه تمريضه ما مرّ من أنه بعد العطف بأو لا يحتاج إلى الضمير لكل منهما ، بل يكفي الرجوع لأحدهما ، فهو تقدير من غير حاجة. قوله : (بخلاف ما يتوهمونه من نفعهما (إشارة إلى أن التفضيل عليهما ، واثبات الخبرية لهما بناء على زعمهم وتوهمهم وإلا فخيرية اللهو متوهمة لا حقيقة لها ، وخيرية التجارة غير باقية ، كما في سائر أمور الدنيا وتقديم اللهو ليس من تقديم العدم على الملكة ، كما توهم بل لأنه أقوى مذمة فناسب تقديمه في مقام الذمّ ، وقوله : وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم الخ حديث موضوع ، وخص الأمصار لأنها إنما تلزم فيها على ما عرف في الفقه ، تمت السورة والصلاة والسلام على المنزلة عليه وعلى آله وصحبه الكرام.

سورة المنافقون

مدنيتها وعدد آياتها لم يختلف فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : (الشهادة إخبار عن علم) هو تفسير له اتكالاً على فهم السامع ، لا تعريف حتى

يقال : إنه تعريف غير تامّ ، والتعريف التامّ هو أنها أخبار بحق للغير على آخر عن يقين ، وأمّا هذا فمنقوض بالدعوى والإقرار ، وغيره من الأخبار عما يشاهد ، وكونها بالمعنى اللغوي لا يقابل ما ذكر ، أو التعريف بالأعم جائز عند الفقهاء واللغويين مما لا حاجة إليه ، وقوله : من الشهود أي مشتقة أو ماخوذة منه ، وقوله : ولذلك أي لكون معنى الشهادة ما ذكر. قوله : (صدّق المشهود به الخ) المعلل في الحقيقة تكذيبهم في إخبارهم عن." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٨/١٩٦>

"ج٨ص٣٤٠

إنّ لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لويجدن سائقا

والشاهد فيه ورود مستوسقات بمعنى متسقات أي مجتمعات وقلائص جمع قلوص ،

وهي الناقة الفتية وحقائق جمع حقاق جمع حقة ، وهي الناقة الداخلة في الرابعة ولو للتمني أو بمعناها المعروف. قوله : (أو طرده الخ (معطوف على قوله ة جمعه على أنّ الوسق بمعنى الطرد وهو بمعنى المخلوقات أيضا لأنها تذهب إلى مقرّها في الليل فكأنه يطردها له ، والوسيقة بمعنى المطرودة لأنها الإبل المسروقة وهي تساق وتطرد ، وقوله : وتم بدراً تفسير لقوله : اجتمع فإنه المراد به كما يقال حال متسقة بمعنى تامّة. قوله : (حالاً بعد حال) هو تفسير لحاصل المعنى المراد منه فهو شامل للوجهين في عن فإنه قيل إنها للمجاوزة وقيل : بمعنى بعد والبعدية والمجاوزة متقاربان لكنه ظاهر في الثاني ، وقوله : وهو أي طبق معناه ما طابق غيره مطلقاً في الأصل

، ثم إنه خص في العرف بما ذكره وهو الحال المطابقة أو بمراتب الشدة

المتعاقبة فعلى الأوّل المراد حال توافقكم بحسب أعمالكم ، وعلى الثاني المراتب ما ذكر من الموت وما معه ، وقوله : أو هي أي المراد هنا المذّكورات كلها ودواهي الدنيا السابقة عليها ، وقوله : على أنه أي طبق جمع طبقة كتخم وتخمة أو هو اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمرة ، وأهل اللغة يسمونه جمعا وإن فرق النحاة بينهما كما هو معروف في النحو ، وقوله : أو مراتب معطوف على قوله : حا لاً وقوله : وهي راجع للمراتب ، والموت مرتبة أو جعله مراتب لأنه جامع لأمور كثيرة تعد مراتب ، وقوله : وأهوالها التي في مواطنها فليس تفسيراً للمواطن كما توهم. قوله : (باعتبار اللفظ) فإنه مفرد وإن أريد به الجنس الذي هو جمع معنى فقد روعي في القراءتين جانب اللفظ ، والمعنى أو الخطاب الإفرادي في هذه القراءة للنبيّ صلى الله عليه وسلم وعليه يزاد عليها شريفة بعد أخرى من مراتب القرب أو هو تبشير بالمعراج فهو جمع طبقة ، ويجوز أن يراد مراتب من الشدّة في الدنيا باعتبار ما يقاسيه من الكفرة ويعانيه في تبليغ الرسالة. قوله : (وبالكسر) أي قرئ بكسر الباء الموحدة على تأنيث الإنسان المخاطب باعتبار النفس ، وقوله : على الغيبة يعني في قراءة الياء التفات من خطاب الإنسان إلى الغيبة وقوله : وعن طبق الخ أي هو إمّا صفة أي طبقاً مجاوز الطبق أو كائنا بعد طبق أو حال من الضمير في قوله : لتركبن ، ولذا فسره بقوله : مجاوزاً على قراءة الإفراد ومجاوزين على قراءة الجمع ولو زاد أو مجاوزة على قراءة كسر الباء كان أتمّ لكنه أحاله إلى القياس فلا غبار عليه كما توهم ، وقيل : الأوّل على الوصفية والثاني على الحالية فاقتصر على أحد الوجوه فيها وهو وجيه ، وأمّا نصب طبقاً فعلى التشبيه بالظرف أو الحالية والذي في الكشاف إنه مفعول به على جعل الحال مركوبة مجازاً. قوله تعالى : (﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾) قال الإمام : هو استفهام إنكاريّ ومثله يذكر بعد ظهور الحجة وهو هنا كذلك لأنّ ما أقسم به من التغيرات العلوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة فيبعد ممن له عقلى عدم الإيمان به ، والانقياد له كما فصله وأطال فيه فلينظر. قوله : (لا يخضعون (فالسجود تجوّز به عن الخضوع اللازم له أو المراد به ظاهره فالمراد بما قبله قرئ القرآن المخصوص ، أو وفيه آية سجدة وقوله : لما روي الخ دليل للتفسير الثاني إلا أنّ العراقي وابن حجر قالا إنّ هذا الحديث لم يثبت فقوله : واحتج به إن أراد

بالحديث كان الاحتجاج **غير تام** لأنّ الحديث لم يثبت ولو ثبت لم يدلّ على الوجوب ، وإن أراد بما وقع في هذه الآية أو بالآية وتذكير الضمير لأنها قرآن ففيه أيضا بحث كما قيل إلا أن الإنكار يدل في الجملة عليه ، ولذا قال الشافعي رحمه الله الإنكار لطعنهم في السجود ، وقول أبي هريرة ما سجدت الخ للردّ على ابن عباس

فإنه ذهب إلى أنّ المفصل ليس فيه سجدة تلاوة والمفصل فيه أقوال ثلاثة فقيل : هو من القتال وقيل من الفتح ، وقيل : من الحجرات قال في الكشف وهو الأصح. قوله : (بما يضمرون الخ) على التشبيه بالوعاء فهو استعارة وعلى هذا فهو في حق المنافقين ويبعده كون السورة مكية ، ولذا قيل : المراد بما يضمرونه حقية الدين وإن أخفوه عنادا ولا بعد فيه كما قيل وليس في النظم ما يأباه فتدبر. قوله : (استهزاء بهم (حيث جعل العذاب مبشراً به ، وقد مز تحقيقه في البقرة وقوله : أو متصل الخ على أنّ المراد بمن آمن من أسلم من هؤلاء الكفرة فآمنوا باعتبار ما مضى أو بمعنى." <حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٨/٣٤٠>

"وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا

إذا هي سيقت إلى بلدة ... أطاعت فصبت عليها سجالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الريح تصرف حالا فحالا

... فالمراد بالإسلام في هذه الأبيات: الاستسلام والانقياد، وإذا حمل الإسلام في قوله ((ولكن قولوا أسلمنا)) انقدنا واستسلمنا بالألسنة والجوارح، فلا إشكال في الآية.

وعلى هذا القول فالأعراب المذكورون منافقون، لأنهم مسلمون في الظاهر، وهم كفار في الباطن.

الوجه الثاني: أن المراد بنفي الإيمان في قوله ((لم تؤمنوا)) نفي كمال الإيمان، لا نفيه من أصله. وعليه فلا إشكال أيضا لأنهم مسلمون مع أن إيمانهم غير تام، وهذا لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص.

وإنما استظهرنا الوجه الأول، وهو أن المراد الإسلام معناه اللغوي دون الشرعي، وأن الأعراب المذكورين كفار في الباطن وإن أسلموا في الظاهر؛ لأن قوله جل وعلا: ((ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)) يدل على ذلك دلالة كما ترى، لأن قوله ((يدخل)) فعل في سياق النفي وهو من صيغ العموم، وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود:

ونحو لا شربت أو إن شربا ... ... واتفقوا إن مصدر قد جلبا(١)

فقوله: ((ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)) في معنى لا دخول للإيمان في قلوبكم. والذين قالوا بالثاني قالوا إن المراد بنفي دخوله نفس كماله. والأول أظهر كما ترى.

---

(١) البيت من منظومة (مراقي السعود) في أصول الفقه، لعبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي. انظر: نشر

البنود على مراقي السعود، وهو شرح له للمنظومة (٢١٩/١).." <دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/١٦٤>

" وحيث لم يجب ذلك كما هو معلوم يحصل للناس تيسير وقد سن صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعض الأشياء ونفي الحرج نفي وجوبها في قوله عليه الصلاة و السلام ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شثع نعله وما روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ياموسى سلني حتى ملح قدرك وشراك نعلك ما يدفع عنك توهم عدم رعاية التعظيم في ذكره تعالى عند محقرات الأمور وأي فرق عند المنصف بين ذكره سبحانه عندها وطلبها منه على أن العارف الجليل لا يقع بصره على شيء حقير ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير نعم التسمية على الحرام والمكروه مما لا ينبغي بل هي حرام في الحرام لا كفر على الصحيح مكروهة في المكروه وقيل مكروهة فيهما إن لم يقصد إستخفافا وإن قصده والعياذ بالله تعالى كفر مطلقا وهذا لا يضر فيما قلناه كما لا يخفى وقد أضطرب الحديث هنا فوقع في بعض الروايات لا يبدأ فيه بالحمد لله وفي بعضها بحمد الله وفي البعض أجذم وفي أخرى أقطع وفي خبر كل كلام وفي أثر يبدأ وفي آخر يفتتح وفي موضع وضع الذكر بدل الحمد إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتتبع حتى قيل إنه مضطرب سندا ومتنا ولولا أنه في فضائل الأعمال ما أغتفر فيه ذلك على أنه تقوى بالمتابعة معنى أيضا والشهرة في دفع التعارض بين الروايات تغنى عن التعرض للإستيفاء وأستحسن فيه أن روايتي البسملة والحمد له تعارضتا فسقط قيداهما كما في مسألة التسبيع في الغسلات عند الشافعي ورجع للمعنى الأعم وهو إطلاق الذكر المراد منه إظهار صفة الكمال وقيل أن المراد في كل رواية الإبتداء بأحدهما أو بما يقوم مقامه ولو ذكرا آخر بقرينة تعبيره تارة بالبسملة وأخرى بالحمد له وطورا بغيرهما ولا يرد على كل أنا نرى كثيرا من الأمور يبدأ فيه بما ورد في الحديث مع أنه لا يتم ونرى كثيرا منها بالعكس لأنا نقول المراد من الحديث أن لا يكون معتبرا في الشرع فهو غير تام معنى وإن كان تاما حسا فبإسم الله تتم معاني الأشياء ومن مشكاة بسم الله الرحمن الرحيم تشرق على صفحات الأكوان أنوار البهاء ولو جليت سرا على أكمه غدا بصيرا ومن راووقها تسمع الصم ولو أن ركبا يمموا ترب أرضها وفي الركب ملسوع لما ضره السم ولو رسم الراقي حروف أسمها على جبين مصاب جن أبرأه الرسم وفوق لواء الجيش لو رقم أسمها لا سكر من تحت اللوا ذلك الرقم ولما أفتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة وهي نوع من الحمد ناسب أن يردفها بالحمد الكلي الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال فقال جل شأنه : الحمد لله رب العالمين وهو أول الفاتحة وآخر الدعوات الخاتمة كما قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

كان الحب دائرة بقلبي فأوله وآخره سواء وقد قيل للجنيد قدس سره ما النهاية فقال الرجوع إلى البداية وفيه أسرار شتى والحمد على المشهور هو الثناء باللسان على الجميل سواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل قالوا ولا بد لتحققه من خمسة أمور محمود به ومحمود عليه وحامد ومحمود وما يدل على إتصاف المحمود بصفة فالأول صفة تظهر أتصاف الشيء بها على وجه مخصوص ويجب كونه صفة كمال ولو إعاء إذ المناط التعظيم ولا فرق عند الإمام الرازي قدس سره بين كونه ثبوتيا أو سلبيا متعديا أو غير متعد بل ولا بين كونه صادرا عن المحمود بإختياره أولا كما قرره العلامة الدوراني وصدر الأفاضل في حواشي التجريد ." <روح المعاني، ٦٧/١>

وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى : المؤمنون بالله

إنا أوحيتا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه و سلم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه فى الوحى كشأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين لاريب فى نبوتهم وقيل : هو تعليل لقوله تعالى : الراسخون فى العلم

وأخرج إبن اسحق وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال سكين وعدى بن زيد : يا محمد مانعلم الله تعالى أنزل على بشر من شىء بعد موسى عليه السلام فأنزل الله تعالى هذه الآية والكاف فى محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أى ايحاءا مثل إيحائنا الى نوح عليه السلام أو حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأى سيبويه أى إنا أوحينا الايحاء مشبها بايحائنا الخ و ما فى الوجهين مصدرية

وجوز أبو البقاء أن تكون موصولة فيكون الكاف مفعولا به أى أوحينا اليك مثل الذى أوحيناه إلى نوح من التوحيد وغيره وليس بالمرضى و من بعده متعلق بأوحينا ولم يجوزوا أن يكون حالا من النبيين لأن ظروف الزمان لاتكون أحوالا للجثث وبدأ سبحانه بنوح عليه السلام تهديدا لهم لأنه أول نبى عوقب قومه وقيل : لأنه أول من شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام وتعقب بالمنع وقيل : لمشابهته بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى عموم الدعوة لجميع أهل الأرض ولايخلوا عن نظر لأن عموم دعوته عليه السلام اتفاقى لاقصدى وعموم الفرق على القول به وسيأتى إن شاء الله تعالى تحقيقه ليس قطعى الدلالة على ذلك كما لايخفى

وأوحينا إلى ابراهيم عطف على أوحينا إلى نوح داخل معه فى حكم التشبيه أى كما أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وهم أولاد يعقوب عليه السلام فى المشهور وقال غير واحد : إن الأسباط فى ولد إسحق كالقبائل فى أولاد إسماعيل وقد بعث منهم عدة رسل فيجوز أن يكون أراد سبحانه بالوحى

اليهم إلى الانبياء منهم كما تقول : أرسلت الى بنى تميم وتريد أرسلت الى وجوههم ولم يصلح أن الأسباط الذين هم أخوة يوسف عليه السلام كانوا أنبياء بل الذي صح عندى وألف فيه الجلال السيوطى رسالة خلافه وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ذكروا مع ظهور انتظامهم فى سلك النبيين تشريفا لهم وإظهارا لفضلهم على ماهو المعروف فى ذكر الخاص بعد العام فى مثل هذا المقام وتكرير الفعل لمزيد تقرير الإيحاء والتنبيه على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحى وبدأ بذكر إبراهيم

وأما أبو المهزم وقد تصحف على الكتاب واسمه يزيد بن سفيان فقد ضعفه أيضا غير واحد وتركه شعبة ابن الحجاج وقال النسائي : متروك وقد اتهمه شعبة بالوضع حيث قال : لو أعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثا ومن مارس الأحاديث النبوية لا يشك في أن ذلك اللفظ ليس منها في شيء وما ذكره إمام الحرمين على ما فيه مبني على تجدد الأعراض وعدم بقائها زمانين والمسألة خلافية ودون إثبات ذلك خرط القتاد

وما أجابوا به أولا من أن زيادة الإيمان بحسب زيادة المؤمن به مع كونه خلاف الظاهر ولا داعي إليه عند المنصف لا يكاد يتأتى في قوله تعالى : الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقوله تعالى : هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم إذ ليس هناك زيادة مشروع يحصل الإيمان به ليقال : إن زيادة الإيمان بحسب زيادة المؤمن به وحال الجواب الثاني لا يخفى عليك

وذهب جماعة منهم الإمام الرازي وإمام الحرمين في قول إلى أن الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه وعدمهما لفظي وهو فرع تفسير الإيمان فمن فسره بالتصديق قال : إنه لا يزيد ولا ينقص ومن فسره بالأعمال مع التصديق قال : إنه يزيد وينقص وعلى هذا قول البخاري : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن

" وقال الواحدي : هما متقاربان فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان على قومه بإتخاذهم العجل حزينا لأن الله تعالى فتنهم وقد أخبره سبحانه بذلك قبل رجوعه ونصب الوصفين على أنهما حالان مترادفان أو متداخلان بأن يكون الثاني حالا من الضمير المستتر في الأول وجوز أبو البقاء أن يكون بدلا من الحال الأولى وهو بدل كل لا بعض كما توهم

قال بئسما خلفتموني من بعدي خطاب إما لعبدة العجل وإما لهارون عليه السلام ومن معه من المؤمنين أي بئسما فعلتم بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعدما رأيتم مني من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه سبحانه وإخلاص العبادة له جل جلاله أو بئسما قمتم مقامي حيث لم تراعوا عهدي ولم تكفوا العبدة

عما فعلوا بعدما رأيتم مني من حملهم على التوحيد وكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حيث قالوا أجعل لنا إلها كما لهم آلهة

وجوز أن يكون على الخطاب للفريقين على أن المراد بالخلافة الخلافة فيما يعم الأمرين اللذين أشير إليهما ولا تكرار في ذكر من بعدي بعد خلفتموني لأن المراد من بعد ولايتي وقيامي بما كنت أقوم إذ بعديته على الحقيقة إنما تكون على ما قيل بعد فراقه الدنيا وقيل : إن من بعدي تأكيد من باب رأيته بعيني وفائدته تصوير نيابة المستخلف ومزاولة سيرته كما أن هنالك تصوير الرؤية وما يتصل بها و ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف أي بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم والذم فيما إذا كان الخطاب لهارون عليه السلام ومن معه من المؤمنين ليس للخلافة نفسها بل لعدم الجري على مقتضاها وأما إذا كان للسامري وأشياعه فالأمر ظاهر أعجلتم أمر ربكم أي أعجلتم عما أمركم به ربكم وهو إنتظار موسى عليه السلام حال كونهم حافظين لعهده وما وصاهم به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم روي أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال : إن هذا إلهكم وإله موسى إن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروي أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا والمعروف تعدى عجل بعن لا بنفسه فيقال : عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره وضمنوه هنا معنى السبق وهو كناية عن الترك فتعدى تعديته ولم يضمن إبتداء معنى الترك لخفاء المناسبة بينهما وعدم حسنها وذهب يعقوب إلى أن السبق معنى حقيقي له من غير تضمين والأمر واحد الأوامر وعن الحسن أن المعنى أعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين فالأمر عليه واحد الأمور والمراد بهذه الأربعين على ماذكره الطيبي غير الأربعين التي أشار الله تعالى إليها بقوله سبحانه : فتم ميقات ربه أربعين ليلة وسيأتي تتمة الكلام في ذلك قريبا إن شاء الله تعالى

وألقى الألواح أي وضعها على الأرض كالطارح لها ليأخذ برأس أخيه مما عراه من فرط الغيرة الدينية وكان عليه السلام شديد الغضب لله سبحانه فقد أخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم أنه عليه السلام كان إذا غضب إشتعلت قلنسوته نارا وقال القاضي ناصر الدين : أي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين ثم نقل أنه انكسر بعضها حين ألقاها واعترض عليه أفضل المتأخرين شيخ مشايخنا صبغة الله أفندي الحيدري بأن الحمية للدين إنما تقتضي إحترام كتاب الله تعالى وحمايته أن يلحق به نقص أو هوان بحيث ."

<روح المعاني، ٩/٦٦>

" تعالى مع عدم اعتقادهم الثواب على ذلك وتعذيبهم فيها بالأولاد أنهم قد يقتلون في الغزو فيجزعون لذلك أشد الجزع حيث لا يعتقدون شهادتهم وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وأن الإجتماع بهم قريب ولا كذلك المؤمنون فيما ذكر وقيل : تعذيبهم بالأموال بأن تكون غنيمة للمسلمين وبالأولاد بأن يكونوا سببا لهم إذا أظهروا الكفر وتمكنوا منهم

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة أن في الآية تقديما وتأخيرا أي لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وتزهق أنفسهم أي يموتون وأصل الزهوق الخروج بصعوبة وهم كافرون

٥٥

– في موضع الحال أي حال كونهم كافرين والفعل عطف على ما قبله داخل معه في حيز الإرادة واستدل بتعليق الموت على الكفر بإرادته تعالى على أن كفر الكافر بإرادته سبحانه وفي ذلك رد على المعتزلة

وأجاب الزمخشري بأن المراد إنما هو إمهالهم وإدامة النعم عليهم إلى أن يموتوا على الكفر مشتغلين بما هم فيه عن النظر في العاقبة والإمهال والإدامة المذكورة مما يصح أن يكون مرادا له تعالى واعترضه الطيبي بأن ذلك لا يجديه شيئا لأن سبب السبب سبب في الحقيقة وحاصله أن ما يؤدي إلى القبح ويكون سببا له حكمه حكمه في القبح وهو في حيز المنع وأجاب الجبائي بأن معنى الآية أن الله تعالى أراد زهوق أنفسهم في حال الكفر وهو لا يقتضي كونه سبحانه مريدا للكفر فإن المريض يريد المعالجة في وقت المرض ولا يريد المرض والسلطان يقول لعسكره : اقتلوا البغاة حال هجومهم ولا يريد هجومهم ورده ألإمام بأنه لا معنى لما ذكر من المثال إلا إرادة إزالة المرض وطلب إزالة هجوم البغاة وإذا كان المراد إعدام الشيء إمتنع أن يكون وجوده مرادا بخلاف إرادة زهوق نفس الكافر فإنها ليست عبارة عن إرادة إزالة الكفر فلما أراد الله تعالى زهوق أنفسهم حال كونهم كافرين وجب أن يكون مريدا لكفرهم وكيف لا يكون كذلك والزهوق حال الكفر يمتنع حصوله إلا حال حصول الكفر وإرادة الشيء تقتضي إرادة ما هو من ضرورياته فيلزم كونه تعالى مريدا للكفر

وفيه أن الظاهر أن إرادة المعالجة شيء غير إرادة إزالة المرض وكذا إرادة القتل غير إرادة إزالة الهجوم ولهذا يعلل إحدى الإرادتين بالأخرى فكيف تكون نفسها وأما أن كون إرادة ضروريات الشيء من لوازم إرادته فغير مسلم فكم من ضروري لشيء لا يخطر بالبال عند إرادته فضلا عما إدعاه فالإستدلال بالآية على ما ذكر **غير تام** ويحلفون بالله إنهم لمنكم أي في الدين والمراد أنهم يحلفون أنهم مؤمنون مثلكم وما هم منكم في ذلك لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون

– أي يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية ويؤدونه بالأيمان الفاجرة وأصل الفرق إنزعاج النفس بتوقع الضرر قيل : وهو من مفارقة الأمن إلى حال الخوف لو يجدون ملجأ أي حصنا يلجأون إليه كما قال قتادة أو مغارات أي غير أن يخفون فيها أنفسهم وهو جمع مغارة بمعنى الغار ومنهم من فرق بينهما بأن الغار في الجبل والمغارة في الأرض وقريء مغارات بضم الميم من أغار الرجل إذا دخل الغور وقيل : هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا أي أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن تكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ." <روح المعاني، ١١٨/١٠>

" أثامن بالنفس النفيسة ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن بها أشتري الجنات أن أنا بعتها بشيء سواها إن ذلكم غبن إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها فقد ذهبت مني وقد ذهب الثمن والمشهور عنه رضى الله تعالى عنه أنه قال : ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها وهو ظاهر في أن المبيع هو الأبدان وبذلك صرح بعض الفضلاء في حواشيه على تفسير البيضاوي حيث قال : إن الله تعالى اشترى من المؤمن الذي هو عبارة عن الجوهر الباقي بدنه الذي هو مركبه وآلته والظاهر أنه أراد بالجوهر الباقي الجوهر المجرد المخصوص وهو النفس الناطقة ولا يخفى أن جمهور المتكلمين على نفي المجردات وإنكار النفس الناطقة وأن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس وبذلك أبطل بعض أجلة المتأخرين من أفاضل المعاصرين القول بخلق الأفعال لما يلزم عليه من كون الفاعل والقابل واحدا وقد قالوا : بإمتناع إتحادهما والإنصاف إثبات شيء مغاير للبدن والهيكل المحسوس في الإنسان والمبيع اما ذاك ومعنى بيعه تعريضه للمهالك والخروج عن التعلق الخاص بالبدن وإما البدن ومعنى بيعه ظاهر إلا أنه ربما يدعي أن المتبادر من النفس غير ذلك كما لايخفى على ذوي النفوس الزكية التائبون نعت للمؤمنين وقطع لأجل المدح أي هم التائبون ويدل على ذلك قراءة عبدالله وأبي التائبين بالياء على أنه منصوب علىالمدح أو مجرور على أنه صفة للمؤمنين

وجوز أن يكون التائبون مبتدأ والخبر محذوف أي من أهل الجنة أيضاوإن لم يجاهدوا لقوله تعالى : وكلا وعد الله الحسنى فإن كلا فيه عام والحسنى بمعنى الجنة

وقيل : الخبر قوله تعالى : العابدون ومابعده خبر بعد خبر وقيل : خبره الآمرون بالمعروف وقيل : إنه بدل من ضمير يقاتلون والأول أظهر إلا أنه يكون الموعود بالجنة عليه هو المجاهد المتصف بهذه الصفات لا كل مجاهد وبذلك يشعر ماأخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : الشهيد من كان فيه الخصال التسع وتلا هذه الآية

وأورد عليه أنه ينافي ذلك ماصح من حديث مسلم من أن من قتل في سبيل الله تعالى وهو صابر محتسب مقبل غير مدبر كفرت خطاياه إلا الدين فإنه ظاهر في أن المجاهد قد لايكون متصفا بجميع مافي الآية من الصفات وإلا لا يبقى لتكفير الخطايا وجه وكأنه من هنا إختار الزجاج كونه مبتدأ والخبر محذوف كما سمعت إذ في الآية عليه تبشير مطلق المجاهدين بما ذكر وهوالمفهوم من ظواهر الأخبار نعم دل كثير منها على أن الفضل الوارد في المجاهدين مختص بمن قاتل لتكون كلمة الله تعالى هي العليا وأن من قاتل الدنيا والسمعة إستحق النار وفي صحيح مسلم مايقتضي ذلك فليفهم والمراد من التائبين على ماأخرجه ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن الحسن وقتادة الذين تابوا عن الشرك ولم ينافقوا وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك أنهم الذين تابوا عن الشرك والذنوب وأيد ذلك بأن التائبين في تقدير الذين تابوا وهو من ألفاظ العموم يتناول كل تائب فتخصيصه بالتائب عن بعض المعاصي تحكم وأجيب بأن ذكرهم بعد ذكر المنافقين ظاهر في حمل التوبة على التوبة عن الكفر والنفاق وأيضا لو حملت التوبة على التوبة عن المعاصي يكون ماذكر بعد من الصفات **غير تام** الفائدة مع أن من إتصف بهذه الصفات الظاهر إجتنابه للمعاصي والمراد ." <روح المعاني، <١١/٣٠

" ومأأشرنا إليه هو الذي عليه أكثر سلف الأمة رضي الله تعالى عنهم وقد صرح بعض أن الإستواء صفة غير الثمانية لا يعلم ماهي إلا من هي لهوالعجز عن درك الإدراك إدراك وإختار كثير من الخلف أن المراد بذلك الملك والسلطان وذكره لبيان جلالة ملكه وسلطانه سبحانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بمامر من خلق هاتيك الأجرام العظيمة وقوله تعالى : يدبر الأمر إستئناف لبيان حكمه إستوائه جل وعلا على العرش وتقرير عظمته والتدبير في اللغة النظر في أدبار الإمور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد به هنا التقدير الجاري على وفق الحكمة والوجه الإثم الأكمل وأخرج أبو الشيخ وغيره عن مجاهد أن المعنى يقضي الأمر والمراد بالأمر أمر الكائنات علويها وسفليها حتى العرش فأل فيه للعهد أي يقدر أمر ذلك كله على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه المصلحة وتستدعيه الحكمة ويدخل فيما ذكر ماتعجبوا منه دخولا ظاهرا وزعم بعضهم أن المعنى يدبر ذلك على ماإقتضته حكمته ويهيء أسبابه بسبب تحريك العرش وهو فلك الأفلاك عندهم وبحركته يحرك غيره من الأفلاك الممثلة وغيرها لقوة نفسه وقيل : لأن الكل في جوفه فيلزم من حركته حركته لزوم حركة المظروف لحركة الظرف وهو مبنى على أن الظرف مكان طبيعي للمظروف والأفقيه نظر وأنت تعلم أن مثل هذا الزعم على مافيه مما لا يقبله المحدثون وسلف الأمة إذ لا يشهد له الكتاب ولا السنة وحينئذ فلا يفتى به وإن حكم القاضي وجوز في الجملة أن تكون في محل النصب على أنها حال من

ضمير استوى وأن تكون في محل الرفع على أنها خبر ثان لأن وعلى كل حال فإيثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير وإستمراره منه تعالى وقوله سبحانه : مامن شفيع إلا من بعد اذنه بيان لإستبداده تعالى في التدبير والتقدير ونفي للشفاعة على أبلغ وجه فإن نفي جميع أفراد الشفيع بمن الإستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على أتم الوجوه فلا حاجة إلى أن يقال : التقدير مامن شفاعة لشفيع وفي ذلك أيضا تقرير لعظمته سبحانه إثر تقرير والإستثناء مفرغ من أعم الأوقات أي مامن شفيع يشفع لأحد في وقت من الأوقات إلا بعد إذنه تعالى المبنى على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الأخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة وذهب القاضي إلى أن فيه ردا على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله تعالى

وتعقب بأنه **غير تام** لأنهم لما إدعوا شفاعتها فقد يدعون الإذن لها فكيف يتم هذا الرد ولا دلالة في الآية على أنهم لايؤذن لهم وماقيل : إنها دعوى غير ملسمة وإحتمالها غير مجد لافائدة فيه إلا أن يقال : مراده أن الأصنام لا تدرك ولا تنطق فكونها ليس من شأنها أن يؤذن لها بديهي وقوله عز شأنه : ذلكم الله ربكم إستئناف لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الأمر بالعبادة بقوله سبحانه : فاعبدوه والإشارة إلى الذات الموصوف بتلك الصفات النمقتضية لإستحقاق مأأخبر به عنه وهو الله وربكم فانهما خبر ان لذلكم وحيث كان وجه ثبوت ذلك له ماذكر مما لايوجد في غيره إقتضى إنحصاره فيه وأفاد غيره ولا معبود سواه ويجوز أن يكون الإسم الجليل نعتا لإسم الإشارة و ربكمم خبره وأن يكون هو الخبر و ربكم بيان له أو بدل منه ولا يخلو الكلام من إفادة الإنحصار وإذا فرع الأمر المذكور على ذلك أفاد الأمر بعبادته ." <روح المعاني، ٦٥/١١<

"كونهم فيها وهو زمان موقف الحساب واعترض بأن عصاة المؤمنين الداخلين النار إما سعداء فيلزم أن يخلدوا في الجنة فيما سوى الزمان المستثنى وليس كذلك أو أشقياء فيلزم أن يخلدوا في النار وهو خلاف مذهب أهل السنة وأيضا تأخره عن الحال ولا مدخل لها الإستثناء لا يفصح والإبهام بقوله سبحانه : إلا ما شاء ربك والتفخيم الذي يعطيه لا يبقى له رونق وأجيب بأنه قد يقال : إن القائل بذلك يخص الأشقياء بالكفار والسعداء بالأتقياء ويكون العصاة مسكوتا عنهم هنا فلا يرد عليه شيء إن كان سنيا وإن كان معتزليا فقد وافق سنن طبعه ويجاب عما بعد بالمنع وقيل : أمر الإستثناء ما علمت إلا أن المستثنى مدة لبثهم في الدنيا أو البرزخ ويقطع النظر عن يوم يأتي والمعنى أنهم في النار جميع أزمان وجودهم إلا زمانا شاء الله تعالى لبثهم في الدنيا أو البرزخ والمراد مع زمان الموقف إذ ليسوا في زمانه أيضا في النار إلا أن يراد بالنار العذاب فلا يحتاج للمعية لكن يرد أنهم معذبون في البرزخ أيضا إلا أن يقال : لا يعتد بذلك لأنه عذاب **غير تام** لعدم تمام

حياتهم فيه وأورد عليه ما أورد على ما قبله وأجيب بأنه إنما لو كان المستثنى في الإستثناء الثاني هو ذلك الزمان المستثنى في الإستثناء الأول وهو غير مسلم فليكن المستثنى منه ومان لبثهم في النار مع ذلك الزمان المستثنى في الآية الأولى فإن المستثنى ليس فيه ما يدل على تعيين زمان حتى لا يمكن الزيادة عليه وهو كما ترى

وقيل : هو استثناء من قوله سبحانه : لهم فيها زفير وشهيق ورد بأن المقابل لا يجري فيه هذا ويبقى الإشكال وأجيب بأن المراد ذكر ما تحتمله الآية والأطراد ليس بلازم وتعقب بأنه ليس المراد إلا بيان ضعف هذا الوجه وكفى بعدم الإطراد ضعفا وقيل : إلا بمعنى سوى كقولك : لك علي ألفان إلا الألف التي كانت يعني سواها ونقل ذلك عن الزجاج والفراء والسجاوندي والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض والإستثناء في ذلك منقطع ويحتمل أن يريدوا أن إلا بمعنى غير صفة لما قبلها والمعنى يخلدون فيها مقدار مدة السموات والأرض سوى ما شاء الله تعالى مما لا يتناهى وضعف هذا القيل بأنه يلزم حمل السموات والأرض على هذين الجسمين المعروفين من غير نظر إلى معنى التأييد وهو فاسد وقيل : إلا بمعنى الواو أي وما شاء ربك زائدا على ذلك واستشهد على مجيئها بمعنى الواو بقوله : وكل أخر مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان وفيه أن هذا القول مردود عند النحاة وقال العلامة الطيبي : الحق الذي لا محيد عنه أن يحمل ما على من إرادة الوصفية وهي المرحومية و خالدين حال مقدرة من ضمير الإستقرار أي في النار والمعنى وأما الذين شقوا ففي النار مقدرين الخلود إلا المرحوم الذي شاء الله تعالى أن لا يستقر مخلدا فيفيد أن لا يستقر فيها مطلقا أو يستقر غير مخلد وأحوال العصاة على هذا النهج كما علم من النصوص وفي ذلك إيذان بأن إخراجهم بمحض رحمة الله تعالى فينطبق عليه قوله سبحانه : إن ربك فعال لما يريد

١٠٧

– وتعقب بأنه لا يجزي في المقابل إلا بتأويل الإمام وقد مر ما فيه أو بجعله من أصل الحكم ويقتضي أن لا يدخلوا أصلا وإذا أول بمقدرين فلو جعل إستثناء من مقدرين لم يتجه ومن قوله تعالى : في النار فلا يكون لهم دخولا أصلا ودلالة ما لإبهامها إما على التفخيم أو التحقير ولا يطابق المقام وقيل : وقيل والأوجه أن يقال : إن الإستثناء في الموضعين مبني على الفرض والتقدير فمعنى إلا ما شاء الله إن شاء أي لو فرض أن الله تعالى شاء إخراجهم من النار أو الجنة في زمان لكان مستثنى من مدة خلودهم لكن ذلك لا يقع لدلالة القواطع على عدم وقوعه ." <روح المعاني، ١٢/١٤٤>

" وجوز أن يراد من الثاني النحت والتصوير بناء على أن المراد من الذين يدعونهم الأصنام والتعبير عنهم بما يعبر عنه عن العقلاء لمعاملتهم إياهم معاملتهم والتعبير عن ذلك بالخلق لرعاية المشاكلة وفي ذلك من الإيماء

بمزيد ركاكة عقول المشركين ما فيه حيث أشركوا بخالقهم مخلوقيهم وإرادة هذا المعنى من الأول أيضا ليست بشيء إذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه إستحقاق العباده أصلا وقرأ الجمهور بالتاء المثناة من فوق في تسرون وتعلنون وتدعون وهي قراءة مجاهد والأعرج وشيبة وأبي جعفر وهبيرة عن عاصم وفي المشهور عنه أنه قرأ بالياء آخر الحروف في الأخير وبالتاء في الأولين وقرئت الثلاثة بالياء في رواية عن أبي عمرو وحمزة وقرأ الأعمش والله يعلم اليذ تبدون وما تكتمون والذين تدعون الخ بالتاء من فوق في الأفعال الثلاث وقرأ طلحة ما تخفون وما تعلنون وتدعون بالتاء كذلك وحملت القراءتان على التفسير لمخالفتهما لسواد المصحف وقرأ محمد اليماني يدعون بضم الياء وفتح العين مبنيا للمفعول أي يدعونهم الكفار ويعبدونهم أموات خبر ثان للموصول أو خبر مبتدأ محذوف أي هم أموات وصرح بذلك لما أن إثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما أن بعض المخلوقين أحياء والمراد بالموت على أن يكون المراد من المخبر عنه الأصنام عدم الحياة بلا زيادة عما من شأنه أن يكون حيا

وقوله سبحانه : غير أحياء خبر بعد خبر أيضا أو صفة أموات وفائدة ذكره التأكيد عند بعض وأختير التأسيس وذلك أن بعض ما لا حياة فيه قد تعتريه الحياة كالنطفة فجيء به للإحتراز عن مثل هذا البعض فكأنه قيل : هم أموات حالا وغير قابلين للحياة آلا وجوز أن يكون المراد من المخبر عنه بما ذكر ما يتناول جميع معبوداتهم من ذوي العقول وغيرهم فيرتكب في أموات عموم المجاز ليشمل ما كان له حياة ثم مات كعزير أو سيموت كعيسى والملائكة عليهم الصلاة والسلام وما ليس من شأنه الحياة أصلا كالأصنام

٢١

– الضمير الأول للآلهة والثاني لعبدتها والشعور العلم أو مباديه وقال الراغب : يقال شعرت أي أصبت الشعر ومنه أستعير شعرت كذا أي علمت علما في الدقة كإصابة الشعر قيل : وسمى الشاعر شاعرا لفطنته ودقة معرفته ثم ذكر أن الشاعر الحواس وأن معنى لا تشعرون لا تدركون بالحواس وأن لو قيل في كثير مما جاء فيه لا تشعرون ولا تعقلون لم يجز إذ كثير مما لا يكون محسوسا يكون معقولا و أيان عبارة عن وقت الشيء ويقارب معنى متى وأصله عند بعضهم أي أو إن أي أي وقت فحذف الألف ثم جعل الواو ياء وأدغم هو كما ترى

وقرأ أبو عبد الرحمن إيان بكسر الهمزة وهي لغة قومه سليم والظاهر أنه معمول ليبعثون والجملة في موضع نصب

" وقوله سبحانه ويستبدل قوما غيركم وفيه أنه لا يلائم السياق كما لا يخفى على ذوي الأذواق ثم اعلم أن ظاهر الآية أن الكفرة أنكروا إعادتهم إلى يوم القيامة على معنى جمع أجزائهم المتفرقة وعظامهم المتفتتة وتأليفها وإضافة الحياة عليها كما كانت في الدنيا فهو الذي عنوه بقولهم أئنا لمبعوثون خلقا جديدا بعد قولهم أئذا كنا عظاما ورفاتا فرد عليهم بإثبات ذلك بطريق برهاني وعلى هذا تكون الآية أحد أدلة من يقول : إن الحشر بإعادة أجزاء الأبدان التي تتفرق كأبدان ما عدا الأنبياء عليهم السلام ومن لم يعمل خطيئة قط والمؤذنين احتسابا ونحوهم ممن حرمت أجسادهم على الأرض كما جاء في الأخبار وجمعها بعد تفرقها وعنوا بذلك الأجزاء الأصلية وهي الحاصلة في أول الفطرة حال نفخ الروح وهي عندهم محفوظة من أن تصير جزءا لبدن آخر فضلا عن أن تصير جزءا أصليا له والذاهبون إلى هذا هم الأقل وحكاه الآمدي بصيغة قيل لكن رجحه الفخر الرازي وذكر أن الأكثر على أن الله سبحانه يعدم الذوات بالكلية ثم يعيدها وقال : إنه الصحيح وكذا قال البدر الزركشي وذكر اللقاني أنه قول أهل السنة والمعتزلة القائلين بصحة الفناء والعدم على الأجسام بل بوقوعه وإن اختلفوا في أن ذلك هل هو بحدوث ضد أو بانتفاء شرط أو بلا ولا فذهب إلى الأخير القاضي من أهل السنة وأبو الهذيل من المعتزلة قالا : إن الله يعدم ما يريد إعدامه على نحو إيجاده إياه فيقول له عند أبي الهذيل أفن فيفنى كما يقول له كن فيكون وذهب جمهور المعتزلة إلى الأول فقالوا : إن فناء الجوهر بحدوث ضد له وهو الفناء ثم اختلفوا فذهب ابن الأخشيد إلى أن الله تعالى يخلق الفناء في جهة من جهات الجواهر فتعدم الجواهر بأسرها وقال ابن شبيب : إنه تعالى يحدث في كل جوهر بعينه فناء يقتضي عدم الجوهر في الزمان الثاني وذهب أبو علي وأبو هاشم وأتباعهما إلى أن الله تعالى يعدم الجوهر بخلق فناء لا في محل معين منه ثم اختلفا فقال أبو علي وأتباعه : إن الله سبحانه يخلق فناء واحدا لا في محل فيفني به الجواهر بأسرها وقال أبو هاشم وأتباعه إنه تعالى يخلق لكل جوهر فناء لا في محل

وذهب إمام الحرمين وأكثر أهل السنة وبشر المريسي والكعبي من المعتزلة إلى الثاني ثم اختلفوا في تعيين الشرط فقال بشر : إنه بقاء يخلقه سبحانه لا في محل فإن لم يخلقه عدم الجوهر وقال الأكثر والكعبي : إنه بقاء قائم بالجوهر يخلقه جل وعلا فيه حالا فحالا فإذا لم يخلقه تعالى فيه انتفى الجوهر وقال إمام الحرمين : إنه الإعراض التي يجب اتصاف الجسم بها فإن الله تعالى شأنه يخلقها في الجسم حالا فحالا فمتى لم يخلقها سبحانه فيه انعدم وقال النظام : إنه خلق الله تعالى الجوهر حالا فحالا فإن الجواهر عنده لا بقاء لها بل هي متجددة بتجدد الأعراض فإذا لم يوالي عن مجده على الجوهر خلقه فنى وأنت تعلم أن أكثر هذه الأقاويل من قبيل الأباطيل سيما القول بأن الفناء أمر محقق في الخارج ضد للبقاء قائم بنفسه أو بالجوهر وكون البقاء

موجودا لا في محل ولعل وجه البطلان غني عن البيان واحتجوا لهذا المذهب بقوله سبحانه كل شيء هالك إلا وجهه وقوله تعالى كل من عليها فان وأجابوا عن الآية بأن الكفار اكتفوا بأقل اللازم وأرادوا المبالغة في الإنكار لأنه إذا لم يمكن بزعمهم الحشر بعد كونهم عظاما ورفاتا فعدم إمكانه بعد فنائهم بالمرة أظهر وأظهر وفيه أن هلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه والتفرق كذلك فيقال له هلاك ويسمى أيضا فناء عرفا فالإحتجاج بالآيتين **غير تام** وإن ما قالوه في الجواب عن الآية خلاف الظاهر ولا يرد عليهم أن إعادة المعدوم محال لما ." <روح المعاني، ١٥/١٧٨>

" بينهما حرمة المؤاكلة فلما دعاه قال : إلى أي رب تدعونى قال : إلى الذي ابرا يدى وقد عجزت عنه وكان الظاهر على هذا أن يطرح عليه السلام النار من يده ولا يوصلها إلى فيه ولعله لم يحس بالالم إلا بعد أن اوصلها فاه أو احس لكنه لم يفرق بين القائها في الأرض والقائها في فمه وكل ذلك بتقدير الله تعالى ليقضى الله امرا كان مفعولا وقيل : كانت العقدة في لسانه عليه السلام خلقة وقيل : أنها حدثت بعد المناجاة وفيه بعد

واختلف في زوالها بكمالها فمن قال به كالحسن تمسك بقوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى من لم يقل به كالجبائى احتج بقوله تعالى هو افصح منى وقوله سبحانه ولا يكاد يبين

وبما روى أنه كان في لسان الحسين رضى الله تعالى عنه رتة وحبسة فقال النبى صلى الله عليه وسلام فيه : أنه ورثها من عمه موسى عليه السلام وأجاب عن الأول بأنه عليه السلام لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لسانى ولم يضفها مع أنه اخصر ولا يصلح ذلك للوصفية إلا بتقدير مضاف وجعل من تبعيضية أي عقدة كائنة من عقد لسانى فان العقدة للسان لا منه وجعل قوله تعالى : يفقهوا قولى

٢٨

– جواب الطلب وغرضا من الدعاء فبحلها من الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام واعترض على ذلك بأن قوله تعالى هو افصح منى قال عليه السلام قبل استدعاء الحل على أنه شاهد على عدم بقاء اللكنة لأن فيه دلالة على أن موسى عليه السلام كان فصيحا غايته أن فصاحة اخيه اكثر وبقية اللكنة تنافى الفصاحة اللغوية المرادة هنا بدلالة قوله لساناويشهد لهذه المنافاة ما قاله ابن هلال في كتاب الصناعتين : الفصاحة تمام إلة البيان ولذا لا يقال : لله تعالى فصيح وان قيل لكلامه سبحانه فصيح ولذلك لا يسمى الالثغ والتمتام فصيحين لنقصان إلتهما عن اقامة الحروف وبان قوله تعالى ولا يكاد يبين معناه لا ياتى ببيان وحجة وقد قال

ذلك اللعين تمويها ليصرف الوجوه عنه عليه السلام ولو كان المراد نفى البيان وافهام الكلام لاعتقال اللسان لدل على عدم زوال العقدة اصلا ولم يقل به أحد وبانا لا نسلم صحة الخبر وبان تنكير عقدة يجوز أن يكون لقلتها في نفسها ومن يجوز تعلقها باحلل كما ذهب اليه الحوفي واستظهره أبو حيان فان المحلول إذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء أيضا باعتبار ازالته عنه أو ابتداء حصوله منه وعلى تقدير تعلقها بمحذوف وقع صفة لعقدة لا نسلم وجوب تقدير مضاف وجعل من تبعيضية ولا مانع من أن تكون بمعنى في ولا تقدير أي عقدة في لسانى بل قيل : ولا مانع أيضا من جعلها ابتدائية مع عدم التقدير واى فساد في قولنا : عقدة ناشئة من لسانوالحاصل أن ما استدل به على بقاء عقدة ما في لسانه عليه السلام وعدم زوالها بالكلية **غير تام** لكن قال بعضهم : أن الظواهر تقتضى ذلك وهى وهى تكفى في مثل هذه المطالب وثقل ما في اللسان لا يخفف قدر الانسانوقد ذكر أن في لسان المهدى المنتظر رضى الله تعالى عنه حبسة وربما يتعذر عليه الكلام حتى يضرب بيده اليمنى فخذ رجله اليسرى وقد بلغك ما ورد في فضله وقال بعضهم : لا تقاوم فصاحة الذات اعراب الكلمات وأنشد قول القائل : سر الفصاحة كامن في المعدن لخصائص الأرواح لا للالسن وقول الاخر : لسان فصيه معرب في كلامه فيا ليته في موقف الحشر يسلم وما ينفع الاعراب أن لم يكن تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم ." <روح المعاني، ١٦/١٨٣>

" هذا الفلك التاسع بما فيه من الكرات مركوزا في ثخن كرة أخرى عظيمة ويكون في ثخن تلك الكرة ألف ألف كرة مثل هذه الكرات وليس ذلك مستبعدا فإن تدوير المريخ أعظم من ممثل الشمس فإذا عقل ذلك فأي بأس بأن يفرض مثله مما هو أعظم منه ويجوز أيضا كما قيل أن تكون الأفلاك الكلية ثمانية لا مكان كون جميع الثوابت مركوزة في محدب ممثل زحل أي في متممه الحاوي على أن يتحرك بالحركة البطيئة والفلك الثامن يتحرك بالحركة السريعة بل قيل من الجائز أن تكون سبعة بأن تفرض الثوابت ودوائر البروج على محدب ممثل زحل ونفسان تتصل إحداهما بمجموع السبعة وتحركها إحدى الحركتين السريعة والبطيئة والأخرى بالفلك السابع وتحركه الأخرى فلا قاطع أيضا على نفي أن تكون الأفلاك أقل من تسعة

ثم الظاهر من الآية أن كلا من الشمس والقمر يجري في ثخن فلكه ولا مانع منه عقلا ودليل امتناع الخرق والإلتئام وهو أنه لو كان الفلك قابلا لذلك لكان قابلا للحركة المستقيمة وهي محال عليه **غير تام** وعلى فرض تمامه إنما يتم في المحدد على أنه يجوز أن يحصل الخرق في الفلك من جهة بعض أجزائه على الإستدارة فلا مانع من أن يقال : الكواكب مطلقا متحركة في أفلاكها حركة الحيتان في الماء ولا يبطل به علم الهيئة لأن حركاتها يلزم أن تكون متشابهة حول مراكز أفلاكها أي لا تسرع ولا تبطيء ولا تقف ولا ترجع ولا تنعطف

وقول السهروردي في المطارحات : لو كانت الأفلاك قابلة للخرق وقد برهن على كونها ذات حياة فعند حصول الخرق فيها وتبدد الأجزاء فإن لم تحس فليس جزؤها المنخرق له نسبة إلى الآخر بجامع إدراكي ولا خبر لها عن أجزائها وما سرى لنفسها قوة في بدنها جامعة لتلك الأجزاء فلا علاقة لنفسها مع بدنها وقد قيل أنها ذات حياة وإن كانت تحس فلا بد من التألم بتبديد الأجزاء فإنه شعور بالمنافي وكل شعور بالمنافي أما ألم أو موجب لا لم وإذا كان كذا وكانت الكواكب تخرقها بجريها كانت في عذاب دائم وسنبرهن على أن الأمور الدائمة غير الممكن الإشراف لا يتصور عليها لا يخفى أنه من الخطابيات بل مما هو أدون منها

وزعم بعضهم أنه من البراهين القوية مما لا برهان عليه من البراهين الضعيفة وادعى الإمام أنها كما تدل على جري الكوكب تدل على سكون الفلك والحق أنها مجملة بالنسبة إلى السكون غير ظاهرة فيه وإلى حركته وسكون الفلك بأسره ذهب بعض المسلمين ويحكى عن الشيخ الأكبر قدس سره ويجوز أن يكون الفلك متحركا والكوكب يتحرك فيه إما مخالفا لجهة حركته أو موافقا لها إما بحركة مساوية في السرعة والبطء لحركة الفلك أو مخالفة ويجوز أيضا أن يكون الكوكب مغروزا في الفلك ساكنا فيه كما هو عند أكثر الفلاسفة أو متحركا على نفسه كما هو عند محققيهم والفلك بأسره متحركا وهو الذي أوجبه الفلاسفة لما لا يسلم لهم ولا يتم عليه برهان منهم

ويجوز أيضا أن يكون الكوكب في جسم منفصل عن ثخن الفلك شبيه بحلقة قطره مساو لقطر الكوكب وهو الذي يتحرك به ويكون الفلك ساكنا ويجوز أيضا أن يكون في ثخن الفلك خلاء يدور الكوكب فيه مع سكون الفلك أو حركته وليس في هذا قول بالخرق والإلتئام بل فيه القول بالخلاء وهو عندنا وعند أكثر الفلاسفة جائز خلافا لا رسطاطا ليس وأتباعه ودليل الجواز أقوى من صخرة لمساء والقول بأن الفلك بسيط فبساطته مانعة من أن يكون في ثخنه ذلك ليس بشيء فما ذكروه من الدليل على البساطة على ضعفه لا يتأتى إلا في المحدد دون سائر الأفلاك وأيضا متى جاز أن يكون الفلك مجوفا مع بساطته فليجز ما ذكر معها ولا يكاد يتم لهم ." <روح المعاني، ١٧/٤١>

" ليشتغلليشتغل به عن الحواس ويقوى في الجملة على ذلك الانسلاخ الناقص فيهجس في قلبه من تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الأجنبي ما يقذف على لسانه وبما صدق ووافق الحق وربما كذب لأنه يتمم أمر نقصه بأجنبي عن ذات المدارك ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفزع إلى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه وتمويها على السائلين ولما كان انسلاخ النبي عليه الصلاة و السلام عن البشرية واتصاله بالملأ الأعلى من غير مشيع ولا استعانة بأجنبي كان

صادقا في جميع ما يأتي به وكان الصدق من خواص النبوة ولهذا قال صلى الله عليه و سلم لابن الصياد حين سأله كاشفا عن حاله بقوله عليه الصلاة و السلام كيف يأتيك هذا الأمر فقال : يأتيني صادق وكاذب : خلط عليك الأمريريد عليه الصلاة و السلام نفي النبوة عنه بالاشارة إلى أنها مما لايعتبر فيه الكذب بحال وإنما قيل : أرفع أحوال هذا الصنف السجع لأن معين السجع أخف من سائر المعينات من المرئيات والمسموعات وتدل خفة المعين على قرب ذلك الانسلاخ والاتصال والبعد فيه عن العجز في الجملة ولا انحصار لعلوم الكهان فيما يكون من الشياطين بل كما تكون من الشياطين تكون من أنفسهم بانسلاخها انسلاخا غير تام واتصالها في الجملة بواسطة بعض الأسباب بعالم لاتحجب عنه الحوادث المستقبلة وغيرها فانقطاع خبر السماء بعد البعثة عن الشياطين بالرجم إن سلم لايدل على انقطاع الكهانة

ثم ان هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة ولا يصدهم عن الايمان ويدعوهم إلى العناد إلا وساوس المطامع بحصول النبوة لهم كما وقع لأمية ابن ابي الصلت فانه كان يطمع أن يكون نبيا وكذا وقع لابن الصياد ومسيلمة وغيرهما وربما تنقطع تلك الاماني فيؤمنون أحسن ايمان كما وقع لطليحة الأسدي وقارب بن الاسود وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآثار ما يشهد بحسن الايمان وذكر في بيان استعداد بعض الاشخاص أعم من أن يكونوا كهانا أو غيرهم للاخبار بالامور الغيبية قبل ظهورها كلاما طويلا حاصله أن النفس الانسانية ذات روحانية ولها بذاتها الادراك من غير واسطة لكنها محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وشواغلها لأن الحواس أبدا جاذبة لها إلى الظاهر بما فطرت عليه من الادراك الجسماني وربما تنغمس عن الظاهر إلى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة إما بالخاصة التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم أو بالخاصة الموجودة في بعض الاشخاص كالكهنة أهل السجع وأهل الطرق بالحصى والنوى والناظرين في الاجسام الشفافة من المرايا والمياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وقد يلحق بهم المجانين أو بالرياضة الدينية مثل أهل الكشف من الصوفية أو السحرية مثل أهل الكشف من الجوكية فتلتفت حينئذ إلى الذؤات التي فوقها من الملأ الأعلى لما بين أفقها وأفقهم من الاتصال في الوجود وتلك الذوات ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقائقها كما قرر في محله فيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علما وربما وقعت تلك الصور المدركة إلى الخيال فيصرفها في القوالب المتعادة ثم تراجع الحس بما أدركت اما مجردا أو في قوالبه فتخبر به انتهى ولايخفى أن فيه ذهابا إلى ما يقوله الفلاسفة في الملأ الأعلى وكثيرا ما يسمونه عالم المجردات وقد يسمونه عالم العقول وهي محصورة في المشهور عنهم في عشرة ولا دليل لهم على هذا الحصر ولذا قال بعض متأخريهم بانها لاتكاد

تحصى وللمتكلمين والمحققين من السلف في ذلك كلام لايتسع هذا الموضع لذكره وأنا أقول ولاينكره الا جهول : لله عز و جل ." <روح المعاني، ١٤٤/١٩>

" من جهته عز و جل وعلى ما قال الفراء من قبل الملائكة وعلى ما قال قتادة ومجاهد من قبل المؤمنين وكان الظاهر أن يجابوا بالفاعل لأنه الذي سألوا عنه بأن يقال الرحمن أو الله بعثكم لكن عدل عنه إلى ما ذكر تذكيرا لكفرهم وتقيرعا لهم عليه مع تضمنه الإشارة إلى الفاعل وذكر غير واحد أنه من الأسلوب الحكيم على أن المعنى لا تسألوا عن الباعث فإن هذا البعث ليس كبعث النائم وإن ذلك ليس مما يهمكم الآن وإنما الذي يهمكم أن تسألوا ما هذا البعث ذو الأهوال والأفزاع وفيه من تقريعهم ما فيه

وزعم الطيبي أن ذكر الفاعل ليس بكاف في الجواب لأن قولهم من بعثنا من مرقدنا حكاية عن قولهم ذلك عند البعث بعد ما سبق من قولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فلا بد في الجواب من قول مضمن معنيين فكان مقتضى الظاهر أن يقال بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل لكن عدل إلى ما يشعر بتكذيبهم ليكون أهول وفي التقريع أدخل وهو وارد على الأسلوب الحكيم وفي دعوى عدم كفاية ذكر الفاعل في الجواب نظر وفي إيثارهم اسم الرحمن قيل إشارة إلى زيادة التقريع من حيث أن الوعد بالبعث من آثار الرحمة وهم لم يلقوا له بإلا ولم يلتفتوا إليه وكذبوا به ولم يستعدوا لما يقتضيه وقيل آثره المجيبون من المؤمنين لما أن الرحمة قد غمرتهم فهي نصب أعينهم واختصاص رحمة الرحمن بما يكون في الدنيا ورحمة الرحيم بما يكون في الأخرى ممنوع فقد ورد يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما

٥٣

– لفصل الحساب من غير لبث ما طرفة عين وفيه من توهين أمر البعث والحشر والإيذان باستغنائهما عن الأسباب ما لا يخفى

فاليوم الحاضر أو المعهود وهو يوم القيامة الدال نفخ الصور عليه وانتصب على الظرف والعامل فيه قوله تعالى لا

" النار من مجدت الإبل إذا وقعت في مرعى واسع كثير ومنه رجل ماجد أي مفضال واختار بعضهم حمل الشجر الأخر على الجنس وما يذكر من المرخ والعفار من باب التمثيل وخصا لكونهما أسرع وريا وأكثر نارا كما يرشد إليه المثل ومن إرسال المثل المرخ والعفار لا يلدان غير النار

فإذا أنتم منه توقدون

٨٠

- كالتأكيد لما قبله والتحقيق له أي فإذا أنتم من الشجر الأخضر توقدون النار لا تشكون في أنها نار حقيقة تخرج منه وليست كنار الحباحب وأشار سبحانه بقوله تعالى الذي الخ إلى أن من قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته فإن الماء بارد رطب والنار حارة يابسة كان جل وعلا أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضا فيبس وبلي ثم إن هذه النار يخلقها الله تعالى عند سحق إحدى الشجرتين على الأخرى لا أن هناك نارا كامنة تخرج بالسحق و من الشجر لا يصلح دليلا لذلك وفي كل شجر نار من مسامحات العرب فلا تغفل وإياك واعتقاد الكمون

وقوله تعالى أو ليس الذي خلق السماوات والأرض الخ استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذي أمر صلى الله عليه و سلم أن يخاطبهم به ويلزمهم الحجة والهمزة للإنكار والنفي والواو لعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وليس الذي خلق السماوات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر على أن يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالنسبة إليهما على أن المراد بمثلهم هم وأمثالهم أو على أن المراد به هم أنفسهم بطريق الكناية كما في مثلك يفعل كذا وقال بعضهم : مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل الكلام في هذا المقام وزعم جماعة من المفسرين عود ضمير مثلهم للسماوات والأرض لشمولها لمن فيهما من العقلاء فلذا كان ضمير العقلاء تغليبا والمقصود بالكلام دفع توهم قدم العالم المقتضي لعدم إمكان إعادته وهو تكلف ومخالف للظاهر والمشركون لا يقولون بقدم العالم فيما يظهر وتعقب أيضا بأن العالم لو فرض مع قدم النوع الإنساني وعدم تناهي أفراده في جانب المبدأ لا يأبى الحشر الجسماني إذ هو بالنسبة إلى المكلفين وهم متناهون وزعم أن ما ثبت قدمه استحال عدمه **غير تام** كما قرر في محله فلا تغفل وقرأ الجحدري وابن أبي إسحاق والأعرج وسلام ويعقوب في رواية يقدر بفتح الياء وسكون القاف فعلا مضارعا

بلى جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الإستفهام الإنكاري من تقرير ما بعد النفي من القدرة على الخلق وإيذان بتعيينه للجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الإلتزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم

٨١

- عطف على ما يفيده الإيجاب أي هو سبحانه قادر على ذلك وهو جل وعلا المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما

وقرأ الحسن والجحدري وزيد بن علي ومالك بن دينار الخالق بزنة الفاعل إنما أمره أي شأنه تعالى شأنه في الإيجاد وجوز فيه أن يراد الأمر القولي فيوافق قوله تعالى إنما قولنا لشيء ويراد به القول النافذ

إذا أراد شيئا أي إيجاد شيء من الأشياء أن يقول له كن أي أوجد فيكون

٨٢

– أي فهو يكون ويوجد والظاهر أن هناك قولا لفظيا هو لفظ كن وإليه ذهب السلف وشؤن الله تعالى وراء ما تصل إليه الأفهام فدع عنك الكلام والخصام وقيل ليس هناك قول لفظي لئلا يلزم التسلسل ويجوز أن يكون ." <روح المعاني، ٢٣/٥٦>

" أن تعدد الملائكة التالين للوحي سواء كان صنفا مستقلا أم لا مما يشكل عليه ما ذكره غير واحد أن الأمين على الوحي التالي للذكر على الأنبياء هو جبريل عليه السلام لا غير نعم من الآيات ما ينزل مشيعا بجمع من الملائكة عليهم السلام ونطق الكتاب الكريم بالرصد عند الوحي وهذا أمر والتلاوة على الأنبياء عليهم السلام أمر آخر فتأمل جميع ذلك وفي المراد بالصفات المتناسقة احتمالات غير ما ذكر فلا تغفل

وأما ما كان فالقسم بتلك الجماعات أنفسها ولا حجر على الله عز و جل فليه سبحانه أن يقسم بما شاء فلا حاجة إلى القول بأن الكلام على حذف مضاف أي ورب الصافات مثلا والآية ظاهرة الدلالة على مذهب سيبويه والخليل في مثل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى من أن الواو الثانية وما بعدها للعطف خلافا لمذهب غيرهما من أنها للقسم لوقوع الفاء فيها موقع الواو إلا أنها تفيد الترتيب وأدغم ابن مسعود ومسروق والأعمش وأبو عمرو وحمزة التاآت الثلاث فيما يليها للتقارب فإنها من طرف اللسان وأصول الثنايا

إن إلهكم لواحد

٤

– جواب للقسم وقد جرت عادتهم على تأكيد ما يهتم به بتقديم القسم ولذا قدم ههنا فلا يقال : إنه كلام مع منكر مكذب فلا فائدة في القسم وما قيل من أن وحدة الصانع قد ثبتت بالدليل النقلي بعد ثبوتها بالعقل ففائدته ظاهرة هنا غير تام لأن الكلام مع من لا يعترف بالتوحيد وقد أشير إلى البرهان في قوله سبحانه رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق

٥

– فإن وجودها على هذا النمط البديع أوضح دليل علة وحدته عز و جل بل في كل ذرة من ذرات العالم دليل على ذلك

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

وجوز أبو البقاء وغيره كونه بدلا من واحد فهو المقصود بالنسبة أي خالق السماوات والأرض وما بينهما من الموجودات ويدخل في عموم الموصول أفعال العباد فتدل الآية على أنها مخلوقة له تعالى ولا ينافي ذلك كون قدرة العبد مؤثرة بإذنه عز و جل كما ذهب إليه معظم السلف حتى الأشعري نفسه في آخر الأمر على ما صرح به بعض الأجلة وفسر بعضهم الرب هنا بالملك وبالربى ولعل الأول أظهر وفي دلالة الآية على كون أفعال العباد مخلوقة له على ذلك بحث والمراد بالمشارق عند جمع مشارق الشمس لأنها النعروفة الشائعة فيما بينهم وهي بعدد أيام السنة فإنها في كل يوم تشرق من مشرق وتغرب من مغرب فالمغارب متعددة تعدد المشارق وكأن الإكتفاء بها لاستلزامها ذلك مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة ولهذا استدل به إبراهيم عليه السلام عند محاجة النمروذ وعن ابن عطية أن مشارق الشمس مائة وثمانون ووفق بعضهم بين هذا وما يقتضيه ما تقدم من مضاعفة العدد بأن مشارقها من رأس السرطان وهو أول بروج الصيف إلى رأس الجدي وهو أول بروج الشتاء متحدة معها من رأس الجدي إلى رأس السرطان فإن اعتبر ما كانت عليه وما عادت إليه واحد كانت مائة وثمانين وإن نظر إلى تغايرهما كانت ثلثمائة وستين وفي هذا إسقاط الكسر فإن السنة الشمسية تزيد على ذلك العدد بنحو ستة أيام على ما بين في موضعه وفسرت المشارق أيضا بمشارق الكواكب ورجح بأنه المناسب لقوله تعالى بعد أنا زينا الخ للسيارات منها متفاوتة في العدد وأكثرها مشارق على ما هو المعروف عند المتقدمين زحل ومشارقه إلى أن يتم دورته أكثر من مشارق الشمس إلى أن تتم دورتها بألوف ومشارق الثوابت إلى أن تتم الدورة أكثر وأكثر فلا تغفل وتبصر وتثنية المشرق والمغرب في قوله تعالى رب المشرقين ورب ." <روح المعاني، ٦٧/٢٣>

" به وقيل إن الهاء هاء السكت حركت للضرورة وهو فرار من ضرورة لأخرة إذ تحريكها وإثباتها في الوصل غير جائز وللنحاة في مسئلة إثبات النون مع إضافة الوصف إلى الضمير كلام طويل حاصله أن نحو ضاربك وضارباك وضاربوك ذهب سيبويه إلى أن الضمير فيه في محل جر بالإضافة ولذا حذف التنوين ونون التثنية والجمع وذهب الأخفش وهشام إلى أن الضمير في محل نصب وحذفهما للتخفيف حتى وردتا ثابتين كما في الفاعلونه وأمسلمني فالنون عندهما في الأخير ونحوه تنوين حرك لالتقاء الساكنين وقد سمعت ما فيه حديث الحمل على الفعل على العلات أحسن ما قيل في التوجيه هذا وطلع واطلع بالتشديد وأطلع بالتخفيف بمعنى واحد والكل لازم ويجيء الإطلاع متعديا يقال أطلعه على كذا فأطلع و مطلعون في قراءة أبي عمرو

بمعنى مطلعون بالتشديد ونائب فاعل أطلع ضمير القائل والفاعل هم المخاطبون واطلاعهم إياه باعتبار التسبب كأنه لما أراد الإطلاع وأحب أن لا يستبد به أدبا عرض عليهم أن يطلعوا فرغبوا واطلعوا فكان ذلك وسيلة إلى اطلاعه فكأنهم هم الذين أطلعوه ففاء فاطلع فصيحة والعطف على مقدر والمعنى على القراءة التي بعدها هل أنتم مطلعون حتى أطلع أنا أيضا فاطلعوا وأطلع هو بعد ذلك فرآه في سواء الجحيم ولا بد من تقدير أطلع بعد ذلك ليصح ترتب فرآه على ما قبله و هل أنتم مطلعون عليه بمعنى الأمر تأدبا ومبالغة وعلى القراءة الثانية وهي قراءة التخفيف في الكلمتين والثانية فعل ماض المعنى كما في قراءة الجمهور وكذا على القراءة التي بعدها وعن قراءة أبي البرهسم ومن معه هل أنتم مطلعي فاطلعوه فرآه الخ وإطلاعهم إياه إذا كان الخطاب للجلساء بطريق التسبب كأنه طلب أن يطلعوا ليوافقهم فيطلع وهو إذا كان الخطاب للملائكة عليهم السلام على ما يتبادر إلى الذهن وعن صاحب اللوامح أن طلع واطلع إطلاعا بمعنى أقبل وجاء والقائم مقام الفاعل على قراءة أطلع مبنيا للمفعول ضمير المصدر أو جار ومجرور محذوفان أي أطلع به لأن أطلع لازم كأقبل وقد علمت أن أطلع يجيء متعديا كأطلعت زيدا ورد أبو حيان الإحتمال الثاني بأن نائب الفاعل لا يجوز حذفه كالفاعل فتأمل جميع ما ذكرنا ولا تغفل قال أي القائل لقرينه تالله إن كدت لتردين

٥٦

– أي لتهلكني وفي قراءة عبد الله لتغوين و إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي البحر أن القسم فيه التعجب من سلامته منه إذ كان قرينه قارب أن يرديه ولو لا نعمة ربي علي وهي التوفيق والعصمة لكنت من المحضرين

٥٧

– للعذاب كما أحضرته أنت وأضرابك أفما نحن بميتين

٥٨

– الخ رجوع إلى محاورة حلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما أتاح الله تعالى له من الفضل العظيم والنعيم المقيم وتعريفا للقرين بالتوبيخ وجوز أن يكون من كلام المتسائلين جميعا وأن يكون من تتمة كلام القائل يسمع قرينه على جهة التوبيخ له واختير الأول والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام على ما ذهب إليه الزمخشري ومتبعوه أي أنحن مخلدون فما نحن بميتين أي ممن شأنه الموت كما يؤذن به الصفة المشبهة

" والنحاس كلاهما في الناسخ وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وتعقب أبو حيان رواية النسخ بأنها لا تصح لأن الآية خبر لم تتضمن تكليفاولا نسخ في الأخبار وما يتوهم جوابامن أنه تعالى أخبر في شريعة موسى وإبراهيم عليهم السلام أن لا يجعل الثواب لغير العامل ثم جعله لمن بعدهم من أهل شريعتنا مرجعه إلى تقييد الأخبار لا إلى النسخ إذ حقيقته أن يراد المعنى ثم من بعدذلك ترتفع إرادته وهذا تخصيص الإرادة بالنسبة إلى أهل الشرائع فافهمه وقيلاً : اللام بمعنى على أي ليس على الإنسان غير سعيه وهو بعيد من ظاهرها ومن سياق الآية أيضافانها وعظ للذي تولى وأعطى قليلاوأكدي والذي أميل إليه كلام الحسين ونحوه كلام ابن عطية قال : والتحرير عندي في هذه الآية أن ملاك المعنى هو اللام من قوله سبحانه : للأنسان فإذاحققت الشيء الذي حق الأنسان أن يقول فيهلي كذا لم تجده إلا سعيه وما يكون من رحمة بشفاعة أو رعاية أبصالح أو ابن صالح أو تضعيف حسنات أو نحو ذلكفليس هو للإنسان ولا يسعه أن يقول لي كذا وكذا إلا على تجوز وإلحاقبما هو حقيقة انتهى

ويعلم من مجموع ما تقدم أن استدلال المعتزلة بالآية على أن العبد إذاجعل ثواب عمله أي عمل كان لغيره لا ينجعل ويلغو جعله غير تام وكذا استدلال الإمام الشافعي بها على أن ثواب القراءة لاتلحق الأموات وهو مذهب الإمامالك بل قال الإمام ابن الهمام : إن مالكا والشافعيلا يقولان بوصول العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة غيرها كالصدقة والحج وفي الأذكار للنووي عليه الرحمة المشهور من مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وجماعة أنها لا تصل وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء ومن أصحاب الشافعي إلى أنها تصل فالأختيار أن يقول القاريء بعدفراغه اللهمأوصل ثواب ما قرأنه إلى فلان والظاهر أنه إذاقال ذلك ونحوه كوهبت ثواب ما قرأته لفلانبقلبه كفى وعن بعضهم اشتراط نية أول القراءة وفي القلب منه شيء ثم الظاهر أن ذلك إذا لم تكن القراءة بأجرة أما غداكانت بها كما يفعله أكثر الناس اليوم فإنهم يعطون حفظة القرآن أجرة ليقرءوا لموتاهم لتلك الأجرة فلا يصل ثوابها إذ لا ثواب لها ليصل لحرمة أخذالأجرة على قراءة القرآن وإن لم يحرم على تعليمه كما حققه خاتمة الفقهاء المحققين الشيخ محمد الأمين بن عابدين الدمشقي رحمه الله تعالى وفي الهداية من كتاب الحج عن الغير إطلاق صحة جعل الإنسان عمله لغيره ولو صلاة وصوماعند أهل السنة والجماعة وفيه ما علمت ما مر آنفا

وقالالخفاجي : هو محتاج إلى التحرير وتحريره أن محل الخلاف العبادة البدنية هل تقبل النيابة فتسقط عمن لزمته بفعل غيره سواء كان بإذنه أم لا بعد حياته أم لا فهذا وقع في الحج كما ورد في الأحاديث الصحيحة أما الصوم فلا وماورد في حديث من مات وعليه صيام صام عنه وليه وكذا غيره من العبادات فقالأ

الطحاوي : إنه كان في صدر الإسلام ثم نسخ وليس الكلام في الفدية وإطعام الطعام فإنهبدل وكذا إهداء الثواب سواء كان بعينه أو مثله فإنه دعاء وقبوله بفضلهD كالصدقة عن الغير فاعرفه انتهى فلا تغفل وأن سعيه سوف يرى

٤٠

– أي يعرض عليه ويكشف له يومالقيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء وفي البحر أه حاضر والقيامة ويطلعون عليهتشريفاللمحسن وتوبيخاللمسيء ثميجز به أي يجزى الإنسان سعيه يقالأ : جزاه الله عز و جل بعمله وجزاه على عمله وجزاهعمله بحذف الجار وإيصالأالفعل وقوله تعالى : ." <روح المعاني، ٦٧/٢٧<

" المعروف وشاع في ذلك وتجوز به عن النهار بقرينة المقابلة وقيل الكلام على حذف مضاف أي ضحى شمسها أي ضوء شمسها وكني بذلك عن النهار والأول أقرب وعبر عن النهار بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها وفيه من انتعاش الأرواح ما ليس في سائرها فكان أوفق لمقام تذكير الحجة على منكري البعث وإعادة الأرواح إلى أبدانها وقيل إنه لذلك كان أحق بالذكر في مقام المتنان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لأنهما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي سماوية أو وهما إنما يحصلان بسبب حركتها على القول بحركتها لاتحادها مع الفلك أو هما إنما يحصلان بسبب حركة الشمس في فلكها فيها على القول بأن السماء والفلك متغايران والمتحرك إنما هو الكوكب في الفلك كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى كل في فلك يسبحون وإن الفلك ليس إلا مجرى الكوكب في السماء وقيل أضيفا إليها لأنهما أول ما يظهران منها إذ أول الليل بإقبال الظلام من جهة المشرق وأول النهار بطلوع الفجر وإقبال الضياء منه وفي الكشاف أضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها واعترض بأن الليل ظل الأرض وأجيب بأنه اعتبار بمرأى الناظر كذلك كما أن زينة السماء الدنيا أيضا اعتبار بمرأى الناظر وقيل إضافتهما إليها باعتبار أنهما إنما يحدثان تحتها وشملا بهذا الأعتبار ما لم يكد يخطر في اذهان العرب من ليل ونهار طول كل منهما ستة أشهر وهما ليل ونهار عرض تسعين حيث الدور رحوى وتعقب بأنهم قالوا إن ظل الأرض المخروطي ينتهي إلى فلك الزهرة وهي في السماء الثالثة فالحصر **غير تام** وفيه نظر فتأمل وبالجملة الأضافة لأدنى ملابسة والأرض بعد ذلك الظاهر أنه إشارة إلى ما تقدم من خلق السماء وإغطاش الليل وأخراج النهار دون خلق السماء فقط وانتصاب الأرض بمضمر قيل على شريطة التفسير وقيل تقديره تذكر أو تدبر أو اذكر وستعلم

ما في ذلك إن شاء الله تعالى ومعنى قوله تعالى دحاها بسطها ومدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها من ادحو أو الدحي بمعنى البسط وعليه قول أمية بن أبي الصلت وبث الخلق فيها إذ دحاها

فهم قطانها حتى التنادي وقيل دحاها سواها وأنشدوا قول زيد بن عمرو بن نفيل وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له الأرض تحمل صخرا ثقالا دحاها فلما استوت شدها

بأيد وأرسى عليها الجبالا والأكثرون على الأول وأنشد الإمام بيت زيد فيه والظاهر أن دحوها بعد خلقها وقيل مع خلقها فالمراد خلقها مدحوة وروي الأول عن ابن عباس ودفع به توهم تعارض بين آيتين أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عنه أن رجلا قال له آيتان في كتاب الله تعالى تخالف إحداهما الأخرى فقال إنما أتيت من قبل رأيك اقرأ قال قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين حتى بلغ ثم استوى إلى السماء وقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها قال خلق الله تعالى الأرض قبل أن يخلق السماء ثم خلق ألسماء ثم دحا الأرض بعد ما خلق السماء وإنما قوله سبحانه دحاها بسطها وتعقبه الإمام بأن الجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي ويستحيل أن يكون هذا الجسم العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا وأجيب أنه لعل مراد القائل بخلقها أولا ثم دحوها ثانيا مادتها أولا ثم تركيبها وإظهارها على هذه الصورة والشكل مدحوة مبسوطة وهذا كما قيل في قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سماوات إن السماء خلقت مادتها أولا ثم سويت وأظهرت على صورتها اليوم وعن الحسن ما يدل على أنها كانت يوم خلقت قبل الدحو كهيئة الفهر ويشعر بأنها لم تكن على عظمها اليوم وتعقبه بعضهم بشيء آخر وهو أنه يأبى ذلك قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض ." <روح المعاني، ٣٢/٣٠>

قل يا أيها الكافرون قال أجلة المفسرين المراد بهم كفرة من قريش مخصوصون قد علم الله تعالى انهم لايتاتى منهم الايمان أبدا أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الانباري في المصاحف عن سعيد بن ميناء مولى أبي البختري قال لقى الوليد بن المغيرة والعاصي بن واثل والاسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يامحمد هلم فلتعبد مانعبد ونعبد ماتعبد ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله فان كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظا وان كان الذي أنت عليه أصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظا فانزل الله تعالى قل ياأيها الكافرون حتى انقضت السورة وفي رواية ان رهطا من عتاة قريش قالوا له صلى الله عليه و سلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة وعبد الهك سنة

فقال عليه الصلاة و السلام معاذالله تعالى ان اشرك بالله سبحانه غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فعدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام عليه الصلاة و السلام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا ولعل نداءهم بيا ايها للمبالغة في طلب اقبلهم لئلا يفوتهم شيء مما يلقى اليهم وبالكافرون دون الذين كفروا لأن الكفر كان دينهم القديم ولم يتجدد لهم أولا لان الخطاب مع الذين يعام استمرارهم على الكفر فهو كاللازم لهم أو للمسارعة الى ذكر مايقال لهم لشدة الاعتناء به وبه دون المشركين مع أنهم عبدة أصنام والاكثر التعبير عنهم بذلك لان ماذكر انكى لهم فيكون أبلغ في قطع رجائهم الفارغ وقيل هذا للاشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة ولا يبعد أن ." <روح المعاني، ٣٠/٢٥٠>

"﴿ ولما رجع موسى ﴾ من جبل الطور ﴿ الى قومه ﴾ حال كونه ﴿ غضبان اسفا ﴾ اى شديد الغضب يقال آسفنى فاسفت اى اغضبنى فغضبت ومنه قوله تعالى ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ وهو يدل على انه عليه السلام كان عالما باتخاذهم العجل آلها قبل مجيئه اليهم بسبب انه تعالى اخبره فى حال المكالمة بما كان من قومه من عبادة العجل ﴿ قال بئسما خلفتمونى من بعدى ﴾ اى ساء ما عملتم خلفى ايها العبدة بعد غيبتى وانطلاقى الى الجبل لانه يقال خلفه بما يكره اذا عمل خلفه ذلك . وما نكره موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم ﴿ أعجلتم امر ربكم ﴾ الهمزة للانكار اى اتركتموه **غير تام** كأنه ضمن عجل معنى سبق والا فعجل يتعدى بعن يقال عجل عن الامر اذا تركه **غير تام** ونقيضه تم عليه . والمعنى أعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما اوصاكم به الى ان يجيء . فالامر واحد الاوامر او انه بمعنى المأمور به . والعجلة العمل بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة بخلاف السرعة فانها غير مذمومة كونها عبادة عن العمل بالشيء فى اول وقته

وفى التأويلات النجمية استعجلتم يا صفات الروح بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل اوانه من غير ان يأمر به ربكم وفيه اشارة الى ان ارباب الطلب واصحاب السلوك لا ينبغى ان يلتفتوا الى شيء من الدنيا ولا يتعلقوا بها فى اثناء الطلب والسلوك لئلا ينقطعوا عن الحق اللهم الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال المولى فلهم ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق الى المولى وتسليكهم فى طريق الدنيا والعقبى ﴿ والقى الالواح ﴾ التى كانت فيها التوراة من يده ﴿ واخذ برأس اخيه ﴾ اى بشعر رأس هارون حال كونه اى موسى ﴿ يجز اليه ﴾ [بطرف خود كشيد اورا بطريق معاتبه نه ازروى اهانت] توهما انه قصر فى كفهم وهارون كان

اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل ﴿ قال ﴾ اى هارون مخاطبا لموسى ﴿ ابن ام ﴾ بحذف حرف النداء واصله يا ابن اما حذفت الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة زيادة فى التخفيف لطوله باشتماله على اضافة بعد اضافة وكان هارون اخاه لاب وام ولكنه ذكر الام ليرفقه عليه اى يحمله على الرفق والشفقة وعلى هذا طريق العرب ﴿ ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ﴾ اواحة لتوهم التقصير فى حقه . والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى ﴿ فلا تشمت بى الاعداء ﴾ اى فلا تفعل بى ما يكون سببا لشماتتهم بى وبالفارسى [بس شادمان مكردان بمن دشمنانرا وجنان مكن كه آرزوى ايشان حاصل شود از اهانت من] يقال شمت به يشمت شماتة من باب علم يعلم اذا فرح ببلية اصابت عدوه ثم ينقل الى باب الافعال للتعدية فالشماتة [شادى كردن بمكر وهى كه دشمن رارسد] ويعدى بالباء .." <تفسير حقي، ٢٧٩/٤>

"﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بأنزل أي أنزلهما من قبل تنزيل الكتاب ، وقيل : من قبلك والتصريح به مع ظهور الأمر للمبالغة في البيان كذا قالوا برمتهم ، وأنا أقول التصريح به للرمز إلى أن إنزالهما متضمن للإرهاص لبعثته صلى الله عليه وسلم حيث قيد الإنزال المقيد بمن قبل بقوله سبحانه : ﴿هُدًى لّلنَّاسِ﴾ أي أنزلهما كذلك لأجل هداية الناس الذين أنزلا عليهم إلى الحق الذي من جملته الإيمان به صلى الله عليه وسلم واتباعه حيث يبعث لما اشتملتا عليه من البشارة به والحث على طاعته عليه الصلاة والسلام والهداية بهما بعد نسخ أحكامهما بالقرآن إنما هي من هذا الوجه لا غير ، والقول بأنه يهتدى بهما أيضاً فيما عدا الشرائع المنسوخة من الأمور التي يصدقها القرآن ليس بشيء لأن الهداية إذ ذاك بالقرآن المصدق لا بهما كما لا يخفى على المنصف ، ويجوز أن ينتصب (هدى) على أنه حال منهما والإفراد لما أنه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة أو حذف منه المضاف أي ذوي هدى ، وجعله حالاً من ﴿الكتاب﴾ [آل عمران : ٣] مما لا ينبغي أن يرتكب معه. أ هـ ﴿روح المعانى حـ ٣ صـ ٧٧﴾

فائدة

قال ابن عاشور :

وتقديم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ على ﴿هُدىً لِلنَّاسِ﴾ للاهتمام به. وأما ذكر هذا القيد فلكي لا يتوهم أن هدى التوراة

والإنجيل مستمر بعد نزول القرآن. وفيه إشارة إلى أنها كالمقدمات لنزول القرآن ، الذي هو تمام مراد الله من البشر ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾ [آل عمران : ١٩] فالهدى الذي سبقه **غير تام**." <جامع لطائف التفسير، ١١/٧٦>

"وقال الشوكاني :

﴿هُوَ الذي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأرحام كَيْفَ يَشَاء﴾ قد كان عيسى ممن صوّر في الأرحام لا يدفعون ذلك ، ولا ينكرونه ، كما صوّر غيره من بني آدم ، فكيف يكون إلهاً ، وقد كان بذلك المنزل ؟! وأخرج ابن المنذر ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿يُصَوّرُكُمْ فِي الأرحام كَيْفَ يَشَاء﴾ قال : ذكوراً ، وإناثاً . وأخرج ابن جرير ، عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من الصحابة في قوله : ﴿يُصَوّرُكُمْ فِي الأرحام كَيْفَ يَشَاء﴾ قال : إذا وقعت النطفة في الأرحام طارت في الجسد أربعين يوماً ، ثم تكون علقة أربعين يوماً ، ثم تكون مضغة أربعين يوماً ، فإذا بلغ أن يخلق بعث الله ملكاً يصوّرها ، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه ، فيخلط منه المضغة ، ثم يعجنه بها ، ثم يصوّر ، كما يؤمر فيقول : أذكر أم أنثى ، أشقيّ أم سعيد ، وما رزقه ، وما عمره ؟ وما أثره ، وما مصائبه ؟ فيقول الله ، ويكتب الملك ، فإذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، عن قتادة في قوله : ﴿يُصَوّرُكُمْ فِي الأرحام كَيْفَ يَشَاء﴾ قال : من ذكر ، وأنثى ، وأحمر ، وأسود ، وتامّ الخلق ، **وغير تام** الخلق. أ هـ ﴿فتح القدير حـ ١ صـ ٣١٣﴾

فائدة

قال فى الميزان :

والتعميم بعد التخصيص في الخطاب أعنى قوله : يصوركم بعد قوله نزل عليك للدلالة على أن إيمان المؤمنين أيضا ككفر الكافرين غير خارج عن حكم القدر فتطيب نفوسهم بالرحمة والموهبة الإلهية في حق أنفسهم ويتسلوا بما سمعوه من أمر القدر ومن أمر الانتقام فيما يعظم عليهم من كفر الكافرين. أ هـ ﴿الميزان حـ ٣ صـ ١٤﴾

قوله تعالى : ﴿كَيْفَ يَشَآءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

قال القرطبى :

قوله تعالى : ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ يعني من حُسْن وقُبْح وسواد وبَيَاض وطُول وقِصَر وسَلامة وعاهة ، إلى غير ذلك من الشقاء والسعادة.

وذُكر عن إبراهيم بن أدْهم أنّ القرّاء اجتمعوا إليه ليسمعوا ما عنده من الأحاديث ، فقال لهم : إني مشغول

عنكم بأربعة أشياء ، فلا أتفرّغ لرواية الحديث.

فقيل له : وما ذاك الشغل ؟ قال : أحدها أنِّي أتفكر في يوم المِيثاق حيث قال : "هؤلاء في الجنة ولا أُبَالي وهؤلاء في النار ولا أُبَالي" فلا أدري من أي الفريقين كنتُ في ذلك الوقت.." <جامع لطائف التفسير، ١١/١٠٧>

"وقوله تعالى : ؟ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ؟ قال ابن إسحاق عن محمد بن جعفر : ؟ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ؟ ، أي : الفصل بين الحق والباطل ، فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره .

وقوله تعالى : ؟ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ؟ ، أي : أن الله منتقم ممن كفر بآياته وجحد بها .

وقوله تعالى : ؟ إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ؟ .

قال قتادة : قادرٌ والله ربُنا أن يصور عباده في الأرحام كيف يشاء ، من ذكر ، أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تام خلقه وغير تام .

قوله عز وجل : ؟ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُوْلُواْ الألْبَابِ (٧) رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) ؟ .." <توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ١/٣٣٤>

" صفحة رقم ١١٤

من ذلك وحرسهم المبادرة بالتوبة ، ولما اشتد من تشوف السامع إليه ، قدمه على سببه وهو رجوع موسى

عليه السلام إليهم وإنكاره عليهم ، ولأن السياق في ذكر إسراعهم في وهو رجوع موسى عليه السلام إليهم وإنكاره عليهم ، ولأن السياق في ذكر إسراعهم في الفسق لم يذكر قبول توبتهم كما في البقرة ؛ ولما كان من المعلوم انهم تبين لهم عن قرب سوء موتكبهم لكون نبيهم فيهم ، عبر بما كان من أنهم تبين لهم عن قرب سوء مرتكبهم لكون نبيهم فيهم ، عبر بما أفهم أن التقدير : فسقط في إيدهم ، وعطف عليه قوله سائقاً مساق ما هو معروف : (ولما سقط) أي سقطت أسنانهم) في أيديهم (بعضها ندماً سقوطاً كأنه بغير اختيار لما غلب فيه من الوجد والأسف الذي أزال تأملهم ولذلك بناه للمفعول) ورأوا أنهم قد ضلوا) أي عن الطريق الواضح) قالوا (توبة ورجوعاً إلى الله كما قال أبوهم آدم عليه السلام) لئن لم يرحمنا ربنا) أي الذي لم يقط قط إحسانه عنا فكيف غضبه ويديم إحسانه) ويغفر لنا) أي يمحو ذنوبنا عيناً وأثراً لئلا ينتقم منا في المستقبل) لنكونن من الخاسرين) أي فينتقم من بذنوبنا .

ولما أخبر بالسبب في تأخير الانتقام عنهم مساواتهم لمن اوقعت بهم النقمة في موجب الانتقام ، أخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه إليهم من الغضب لله والتكبيت لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة والتواضع فقال : (ولما رجع موسى) أي من المناجاة) إلى قومه غضبان (اي في حال رجوعه لما أخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل) أسفاً) أي شديد الغضب والحزن) قال بئسما) أي خلافة خلافتكم التي) خلفتموني) أي قمتم مقامي وفعلتم مقامي وفعلتم خلفي. ولما كان هذا ربما أوهم انهم فعلوه من روائه وهو حاضر في طرف العسكر ، قال : ؛) من بعدي) أي حيث عبدتم غير الله أيها العبدة ، وحيث لم تكفوهم أيها الوحدون بعد ذهابي غلى الجبل للمواعدة الإلهية وبعد ما سمعتم مني من التوحيد لله تعالى وإفراده عن خلقه بالعبادة ونفي الشركاء عنه ، وقد ريتم حين كففتم وزجرتكم عن عبادة غير حين قلتم) اجعل لنا إلهاًكما لهم آلهة (ومن حق الخلفاء أن يسروا سيرة المستخلف ولا يخالفوه في شيء ولما كان قد أمرهم ان لا يحدثوا حدثاً حتى يعود إليهم ، أنكر عليهم عدم انتظاره فقال : (اعجلتم (قال الصغاني في المجمع : سبقتم ، وقال غيره : عجل عن الأمر – إذا تركه **غير تام** ، ويضمن معنى سبق ، فالمعنى : سابقين) أمر ربكم) أي ميعاد الذي ما الأيامبرجوعي إليكم إلى حده ، فنظننتم أني مت فغيرتم كما غيرت المم بعد موت أنبيائها ، قال الإمام أبو عبد القزاز أيضاً : عجلتم : سبقتم ، ومنه تقول : عجلت فلاناً سبقته ، وأسنده ابن التياني إلى الصمعي) وألقى الألواح) أي التي فيها التوراة." <نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، <١١٤/٣

"لك منها فلذا أدتك إلى قول لا حقيقة له ، فالتنوين للتعظيم ، فإن قيل : بل للتحقير ، كأنهم توقفوا في وصفة بذلك كما توقفوا في الجزم بالكذب فقالوا : ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ أي المتعمدين للكذب ، وذلك لأنه كان عندهم علم من الرسل وما يأتي مخالفهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيداً وأما قوم نوح فجزموا بالضلال واكدوه بكونه مبيناً ، لأنه لم يكن عندهم شعور بأحوال الرسل وعذاب الأمم قبل ذلك ، ولهذا قالوا ﴿ما سمعنابهذا في آبائنا الأولين﴾ [المؤمنون : ٢٤] قيل : ليس كذلك ، فقد ورد في جواب قوم نوح في سورة هود مثل هذا ، وهو قوله ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ [هود : ٢٧] ؛ فإن قيل : إنما كان هذا في ثاني الحال بعد ان نصب لهم الأدلة وأقام البراهين على صحة مدعاه وثارت حظوظ الأنفس بالجدال ، فإنه يبعد أن يكون قومه أجابوه بذلك أول ما دعاهم ، قيل والأمر كذلك في قصة هود عليه السلام سواء فإنه لم يقل له ذلك إلاالكفار من قومه فيقييدهم بالوصف يدل على أنه كان فيهم من اتبعه ، بل وإن متبعه كان من أشرافهم هم بالظن ، وتعبير في الكذب لإرادتهم أنه يكفي في وصفه بالسفاهة التي زعموها غقدامه على ما يحتمل معه ظنكم لكذبه ، أو يكون قوله غير الحق في زعمهم مردداً بين أن يكون قاله عن تعمد أو حمله عليه ما رموه به من السفه من غير تامل الحلم بضده ما سموه بان ﴿قال﴾ معلماً الأدب في مخاطبة السفهاء ﴿ياقوم﴾ مذكراً بما بينهم من النسب الداعي إلى الود والمناصحة والعطف والملاطفة ﴿ليس بي سفاهة﴾ فنفى أن يكون به شيء من خفة حلم ، فانتقى أن يكون كاذباً لأن الداعي إلى الكذب الخفة والطيش فلم يحتج إلى تخصيصه بنفي.

" <نظم الدرر . ، ٣/٧٨>.

"ولما أخبر بالسبب في تأخير الانتقام عنهم مساواتهم لمن اوقعت بهم النقمة في موجب الانتقام ، أخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه إليهم من الغضب لله والتكبيت لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة والتواضع فقال : ﴿ولما رجع موسى﴾ أي من المناجاة ﴿إلى قومه غضبان﴾ أى في حال رجوعه لما أخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل ﴿أسفاً﴾ أي شديد الغضب والحزن ﴿قال بئسما﴾ أي خلافة خلافتكم التي ﴿خلفتموني﴾ أي قمتم مقامي وفعلتم مقامي وفعلتم خلفي.

ولما كان هذا ربما أوهم انهم فعلوه من روائه وهو حاضر في طرف العسكر ، قال : ؛ ﴿من بعدي﴾ أي حيث عبدتم غير الله أيها العبدة ، وحيث لم تكفوهم أيها الوحدون بعد ذهابي إلى الجبل للمواعدة الإلهية وبعد ما سمعتم مني من التوحيد لله تعالى وإفراده عن خلقه بالعبادة ونفي الشركاء عنه ، وقد ريتم حين كففتم وزجرتكم عن عبادة غير حين قلتم ﴿اجعل لنا إلهاًكما لهم آلهة﴾ ومن حق الخلفاء أن يسروا سيرة المستخلف ولا يخالفوه

في شيء ولما كان قد أمرهم ان لا يحدثوا حدثاً حتى يعود إليهم ، أنكر عليهم عدم انتظاره فقال : ﴿اعجلتم﴾ قال الصغاني في المجمع : سبقتم ، وقال غيره : عجل عن الأمر – إذا تركه غير تام ، ويضمن معنى سبق ، فالمعنى : سابقين ﴿أمر ربكم﴾ أي ميعاد الذي ما الأيامبرجوعي إليكم إلى حده ، فنظننتم أني مت فغيرتم كما غيرت المم بعد موت أنبيائها ، قال الإمام أبو عبد القزاز أيضاً : عجلتم : سبقتم ، ومنه تقول : عجلت فلاناً سبقته ، وأسنده ابن التياني إلى الصمعي ﴿وألقى الألواح﴾ أي التي فيها التوراة

١١٤

." <نظم الدرر . ، ١٨١/٣>

"ومخطوطات الكتاب كثيرة، احتفل المطوي والبكوش في ذكرها (٣٥ نسخة من أجزاء متفرقة). وظهرت أخيرا نسخ عزب ذكرها عنهما، وهي كثيرة؛ فمنها:

- خزانة وزان:
- رقم ٨٩٠ (أول الكتاب – كتاب النكاح)، ت ن ٩٨١ هـ، خط مغربي مليح.
- رقم ٨٩١ (النكاح – بعض البيع).
- رقم ٨٩٢ (بقية البيع – كتاب الشركة).
- رقم ٩٨٠ (مبتور الأول؛ ج ٥) خط مغربي.
- المعهد الإسلامى بتطوان، رقم ٨٩٢. جزآن، غير تام.
- المختصر الشامل في أصول الدين.

عارض به "طوالع" البيضاوي، وأتم تأليفه في سنة ٧٨٩ هـ، وحقق د. سعد غراب فصل الإمامة، ونشره بحوليات الجامعة التونسية، عدد ٩، ١٩٧٢؛ [١٧٧ – ٢٣٤]. منه نسخ بتونس، وبالمغرب، وقفنا منها على ما يلي:

- ن خ م ع ف ٦٠٠.
- ن م خ ع ف ٥٥ ون خ ع ك ١.
- المختصر المنطقي:

وهو تأليف مدرسي تعليمي، قال عنه الوزير السَّرّاج: "فيه من القواعد ما يعجز عنه الفحول"، على صِغرِ جرمه.." <نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ٨٧/١>

" سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى الفاتحة في الأصل أول ما من شأنه أن يفتتح به ثم أطلقت على أول كل شيء كالكلام والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية فسميت هذه السورة فاتحة الكتاب لكونه افتتح بها إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز وإن لم تكن أول ما نزل من القرآن وقد اشتهرت هذه السورة الشريفة بهذا الاسم في أيام النبوة قيل هي مكية وقيل مدنية

وقد أخرج الواحدي في أسباب النزول والثعلبي في تفسيره عن علي رضي الله عنه قال : نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة والثعلبي والواحدي من حديث عمر بن شرحبيل [أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما شكا إلى خديجة ما يجده عند أوائل الوحي فذهبت به إلى ورقة فأخبره فقال له : إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد يا محمد يا محمد فأنطلق هاربا في الأرض فقال : لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم حتى بلغ ولا الضالين] الحديث وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن رجل من بني سلمة قال : لما أسلمت فتيان بني سلمة وأسلم ولد عمرو بن الجموح قالت امرأة عمرو له : هل لك أن تسمع من أبيك ما روي عنه ؟ فسأله فقرأ عليه : الحمد لله رب العالمين وكان ذلك قبل الهجرة وأخرج أبو بكر بن الأنباري في المصاحب عن عبادة قال : فاتحة الكتاب نزلت بمكة فهذا جملة ما استدل به من قال إنها نزلت بمكة

واستدل من قال إنها نزلت بالمدينة بما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو سعيد بن الأعرابي في معجمه والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد بن أبي هريرة [رن إبليس حين أنزلت فاتحة الكتاب] وأنزلت بالمدينة

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو نعيم في الحلية وغيرهم من طرق عن مجاهد قال : نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة وقيل : إنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة جمعا بين هذه الروايات

وتسمى : أم الكتاب قال البخاري في أول التفسير : وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن أيوب عن محمد بن سيرين كان يكره أن يقول أم الكتاب ويقول : قال الله تعالى : ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ ولكن يقول فاتحة الكتاب ويقال لها الفاتحة لأنها يفتتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام قال ابن كثير في تفسيره : وصح تسميتها بالسبع المثاني قالوا : لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وأخرج أحمد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال لأم القرآن : [هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم] وأخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : [هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني] وأخرج نحوه ابن مردويه في تفسيره والدارقطني من حديثه وقال : كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي هريرة أنهم فسروا قوله تعالى : ﴿ سبعا من المثاني ﴾ بالفاتحة

ومن جملة أسمائها كما حكاه في الكشاف سورة الكنز والوافية وسورة الحمد وسورة الصلاة وقد أخرج الثعلبي أن سفيان بن عيينة كان يسمى فاتحة الكتاب الواقية وأخرج الثعلبي أيضا عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير أنه سأله سائل عن قراءة الفاتحة خلف الإمام فقال عن الكافية تسال ؟ قال السائل : وما الكافية ! ؟ قال : الفاتحة أما علمت أنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها وأخرج أيضا عن الشعبي أن رجلا اشتكى إليه وجع الخاصرة فقال : عليك بأساس القرآن قال : وما أساس القرآن ؟ قال : فاتحة الكتاب وأخرج البيهقي في الشعب عن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [إن الله أعطاني فيما من به علي فاتحة الكتاب وقال : هي من كنوز عرشي] وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن علي نحوه مرفوعا وقد ذكر الدارقطني في تفسيره للفاتحة اثني عشر اسما وهي سبع آيات بلا خلاف كما حكاه ابن كثير في تفسيره وقال القرطبي : أجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات إلا ما روي عن حسين الجعفي أنها ست وهو شاذ وإلا ما روي عن عمرو بن عبيد أنه جعل إياك نعبد آية فهي عنده ثمان وهو شاذ انتهى وإنما اختلفوا في البسملة كما سيأتي إن شاء الله وقد أخرج عبد بن حميد ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة وابن الأنباري في المصاحف عن محمد بن سيرين أن أبي بن كعب وعثمان بن عفان كانا يكتبان فاتحة الكتاب والمعوذتين ولم يكتب ابن مسعود شيئا منهن وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم قال : كان عبد الله بن مسعود لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف وقال : لو كتبتها لكتبت في أول كل شيء

١ - ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اختلف أهل العلم هل هي آية مستقلة في أول كل سورة كتبت في أولها أو هي بعض آية من أول كل سورة أو هي كذلك في الفاتحة فقط دون غيرها أو أنها ليست بآية في الجميع وإنما كتبت للفصل ؟ والأقوال وأدلتها مبسوطة في موضع الكلام على ذلك وقد اتفقوا على أنها بعض آية في سورة النمل وقد جزم قراء مكة والكوفة بأنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام فلم يجعلوها آية لا من الفاتحة ولا من غيرها من السور قالوا : وإنما كتبت للفصل والتبرك وقد أخرج أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه الحاكم في المستدرك وأخرج ابن خزيمة في صحيحه عن أم سلمة [أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وغيرها آية] وفي إسناده عمرو بن هارون البلخي وفيه ضعف وروى نحوه الدارقطني مرفوعا عن أبي هريرة

وكما وقع الخلاف في إثباتها وقع الخلاف في الجهر بها في الصلاة وقد أخرج النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة [أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ : إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه و سلم] وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس : [أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم] قال الترمذي : وليس إسناده بذاك وقد أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس بلفظ : [كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم] ثم قال صحيح وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وأخرج أحمد في المسند وأبو داود في السنن وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أم سلمة أنها قالت : [كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ﴾] وقال الدارقطني : إسناده صحيح

في كتاب البسملة والبيهقي عن ابن عباس قال : استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن : بسم الله الرحمن الرحيم وأخرج الدارقطني بسند ضعيف عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : [كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول ما يلقي علي بسم الله الرحمن الرحيم] وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره والحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس [أن عثمان بن عفان سأل النبي صلى الله عليه و سلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال : هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الأكبر

إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب] وأخرج ابن جرير وابن عدي في الكامل وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخ دمشق والثعلبي بسند ضعيف جدا عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب لتعلمه فقال له المعلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال له عيسى وما بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال المعلم : لا أدري فقال له عيسى : الباء بهاء الله والسين سناه والميم مملكته والله إله الآلهة والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة] وفي إسناده إسماعيل بن يحيى وهو كذاب وقد أورد هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات وأخرج ابن مردويه والثعلبي عن جابر قال : لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الريح وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله بعزته وجلاله أن لا تسمى على شيء إلا بارك فيه وأخرج أبو نعيم والديلمي عن عائشة قالت : لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم ضجت الجبال حتى سمع أهل مكة دويها فقالوا : سحر محمد الجبال فبعث الله دخانا حتى أظل على أهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم موقنا سبحت معه الجبال إلا أنه لا يسمع ذلك منها] وأخرج الديلمي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحا عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة] وأخرج الخطيب في الجامع عن أبي جعفر محمد بن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب] وهذه الأحاديث ينبغي البحث عن أسانيدها والكلام عليها بما يتبين بعد البحث إن شاء الله وقد شرعت التسمية

وقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن جعفر بن محمد بن الزبير قال : [قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم فكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب وعبد المسيح والسيد وهو الأيهم ثم ذكروا القصة في الكلام الذي دار بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه و سلم وأن الله أنزل في ذلك صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الربيع فذكر وفد نجران ومخاصمتهم للنبي صلى الله عليه و سلم في عيسى عليه السلام وأن الله أنزل ﴿ الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد في قوله : ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ قال : لما قبله من كتاب أو رسول وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن نحوه وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة نحوه وقال في قوله : ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ هو القرآن فرق بين الحق والباطل فأحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه وحد فيه حدوده وفرض فيه

فرائضه : وبين فيه بيانه وأمر بطاعته ونهي عن معصيته وأخرج ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير في قوله : ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ أي : الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره وفي قوله : ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ﴾ أي : إن الله ينتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها وفي قوله : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ أي : قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى إذ جعلوه ربا وآلها وعندهم من علمه غير ذلك غرة بالله وكفرا به ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ قد كان عيسى ممن صور في الأرحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من بني آدم فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود في قوله : ﴿ يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ قال : ذكورا وإناثا وأخرج ابن جرير عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة في قوله : ﴿ يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ قال : إذا وقعت النطفة في الأرحام طارت في الجسد أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم تكون مضغة أربعين يوما فإذا بلغ أن يخلق بعث الله ملكا يصورها فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلط منه المضغة ثم يعجنه بها يصور كما يؤمر فيقول : أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد وما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه ؟ فيقول الله ويكتب الملك فإذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله : ﴿ يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ قال : من ذكر أو أنثى وأحمر وأسود وتام الخلق وغير تام الخلق ." <فتح القدير، ١/٤٧٢>

" ٢٥ - ﴿ أن لا يسجدوا ﴾ قرأ الجمهور بتشديد ﴿ ألا ﴾ قال ابن الأنباري : الوقف على فهم لا يهتدون غير تام عند من شدد ألا لأن المعنى : وزين لهم الشيطان الا يسجدوا قال النحاس : هي أن دخلت عليها لا وهي في موضع نصب قال الأخفش : أي زين لهم أن لا يسجدوا لله بمعنى لئلا يسجدوا لله وقال الكسائي : هي في موضع نصب بصدهم : أي فصدهم ألا يسجدوا بمعنى لئلا يسجدوا فهو على الوجهين مفعول له وقال اليزيدي : إنه بدل من أعمالهم في موضع نصب وقال أبو عمرو : في موضع خفض على البدل من السبيل وقيل العامل فيها لا يهتدون : أي فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله وتكون لا على هذا زائدة كقوله : ﴿ ما منعك أن لا تسجد ﴾ وعلى قراءة الجمهور ليس هذه الآية موضع سجدة لأن ذلك إخبار عنهم بترك السجود : إما بالتزيين أو بالصد أو بمنع الاهتداء وقد رجح كونه علة للصد الزجاج ورجح الفراء كونه علة لزين قال : زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا ثم حذفت اللام وقرأ الزهري والكسائي بتخفيف ﴿ ألا ﴾ قال الكسائي : ما كنت أسمع الأشياخ يقرأونها إلا بالتخفيف على نية الأمر فتكون ﴿ ألا ﴾ على هذه

القراءة حرف تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء واسجدوا فعل أمر وكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون هكذا ألا يا اسجدوا ولكن الصحابة رضي الله عنهم أسقطوا الألف من يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطأ ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت صورة الخط ألا يسجدوا والمنادى محذوف وتقديره : ألا يا هؤلاء اسجدوا وقد حذفت العرب المنادى كثيرا في كلامها ومنه قول الشاعر :

(ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر)

وقول الآخر :

(ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ... ثلاث تحيات وإن لم تكلم)

وقول الآخر أيضا :

(ألا يا اسلمي يا هند هند بني بكر)

وهو كثير في أشعارهم قال الزجاج : وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون قراءة التشديد واختار أبو حاتم وأبو عبيد قراءة التشديد قال الزجاج : ولقراءة التخفيف وجه حسن إلا أن فيها انقطاع الخبر عن أمر سبأ ثم الرجوع بعد ذلك إلى ذكرهم والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضا لا انقطاع في وسطه وكذا قال النحاس : وعلى هذه القراءة تكون جملة ألا يسجدوا معترضة من كلام الهدهد أو من كلام سليمان أو من كلام الله سبحانه وفي هذه قراءة عبد الله بن مسعود هل لا تسجدوا بالفوقية وفي قراءة أبي ﴿ لا تسجدوا ﴾ بالفوقية أيضا ﴿ الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ﴾ أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما يقال : خبأت الشيء أخبؤه خبأ والخبء ما خبأته قال الزجاج : جاء في التفسي أن الخبء ها هنا بمعنى القطر من السماء والنبات من الأرض وقيل خبء الأرض كنوزها ونباتها وقال قتادة : الخبء السر قال النحاس أي ما غاب في السموات والأرض وقرأ أبي وعيسى بن عمر الخب بفتح الباء من غير همز تخفيفا وقرأ عبد الله وعكرمة ومالك بن دينار الخبا بالألف قال أبو حاتم : وهذا لا يجوز في العربية ورد عليه بأن سيبويه حكى عن العرب أن الألف تبدل من الهمزة إذا كان قبلها ساكن وفي قراءة عبد الله يخرج الخب من السموات والأرض قال الفراء : ومن وفي يتعاقبان والموصول يجوز أن يكون في محل جر نعتا لله سبحانه أو بدلا منه أو بيانا له ويجوز أن تكون في محل نصب على المدح ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وجملة ﴿ ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴾ معطوفة على يخرج قرأ الجمهور بالتحتية في الفعلين وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر وحفص والكسائي بالفوقية للخطاب أما القراءة الأولى فلكون الضمائر المتقدمة ضمائر غيبة وأما القراءة الثانية فلكون قراءة الزهري والكسائي فيها الأمر بالسجود والخطاب لهم بذلك فهذا عندهم من تمام ذلك الخطاب

والمعنى : أن الله سبحانه يخرج ما في هذا العالم الإنساني من الخفاء بعلمه له كما يخرج ما خفي في السموات والأرض ثم بعد ما وصف الرب سبحانه بما تقدم مما يدل على عظيم قدرته وجليل سلطانه ووجوب توحيده وتخصيصه بالعبادة ." <فتح القدير، ٤/١٩٠>

قال أبو عبيدالعلق من الدم ما اشتدت حمرته

٩ - ثم من مضغة

وهي لحمة صغيرة بقدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة

قال الشعبي النطفة والعلقة والمضغة فإذا نكست في الخلق الرابع كانت مخلقة وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة

قال أبو العالية غير مخلقة السقط

قال أبو جعفر مخلقة مصورة ويبين ذلك هذا الحديث المرفوع عن النبي صلى الله عليه و سلم وهو مروي من طرق شتى

"" صفحة رقم ٣٩٣ "

والحسن والسدي أو الجزع قاله مجاهد أو المتلهف أو الشديد الغضب قاله الزمخشري وابن عطية قال : وأكثر ما يكون بمعنى الحزين أو المغضب قاله ابن قتيبة أو النادم قاله القتبي أيضاً ، أو متقاربان قاله الواحدي قال : فإذا أتاك ما تكره ممن دونك غضبت أو ممن فوقك حزنت فأغضبه عبادتهم العجل وأحزنه فتنة الله إياهم وكان قد أخبره بذلك بقوله إنا قد فتنا قومك من بعدك وتقدّم الكلام على بئسما في أوائل البقرة والخطاب إما للسامري وعباد العجل أي بئسما قمتم مقامي حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله تعالى وأما لوجوه بني إسرائيل هارون والمؤمنين حيث لم يكفوا من عبد غير الله وخلفتموني يدلّ على البعدية في الزمان والمعنى هنا من بعد ما رأيتم مني توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعدما كنت أحمل بني

إسرائيل على التوحيد وأكفهم عن ما طمحت إليه أبصارهم من عبادة البقر ومن حق الخلف أن يسير سيرة المستخلف ولا يخالفه ويقال خلفه بخير أو شرّ إذا فعله عن ترك من بعده . أعجلتم استفهام إنكار قال الزمخشري يقال : عجل عن الأمر إذا تركه **غير تام** ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدّى تعديته ، فيقال : عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ، ولم أرجع إليكم فحدّثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم ، وروي أن السامري قال لهم أحين أخرج إليهم العجل هذا إلهكم وإله موسى أن موسى لن يرجع وأنه قد مات انتهى . وقال ابن عطية : معناه أسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم إتياني من قبل الوقت الذي قدّرته انتهى ، وقال يعقوب : يقال عجلت الشيء سبقته وأعجلت الرجل استعجلته أي حملته على العجلة انتهى ، وقيل : معناه أعجلتم ميعاد ربكم أربعين ليلة ، وقيل : أعجلتم سخط ربكم ، وقيل : أعجلتم بعبادة العجل ، وقيل : العجلة التقدّم بالشيء في غير وقته ، قيل : وهي مذمومة ويضعفه قوله وعجلت إليك ربّ لترضى والسرعة المبادرة بالشيء في غير وقته وهي محمودة .
(وَأَلْقَى الالْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ (أي الألواح التوراة وكان حاملاً لها فوضعها بالأرض غضباً على ما فعله قومه من عبادة العجل وحمية لدين الله وكان كما تقدم شديد الغضب وقالوا كان هارون ألين منه خلقاً ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل منه . وقيل : ألقاها دهشاً لما دهمه من أمرهم ، وعن ابن عباس : أن موسى عليه السلام لما ألقاها تكسرت فرفع أكثرها الذي فيه تفصيل كل شيء وبقي الذي في نسخته الهدى والرحمة وهو الذي أخذ بعد ذلك ، وروى أنه رفع ستة أسباعها وبقي سبع قاله جماعة من المفسرين ، وقال أبو الفرج بن الجوزيّ لا يصحّ أنه رماها رمي كاسر انتهى ، والظاهر أنه ألقاها من يديه لأنهما كانتا مشغولتين بها وأراد إمساك أخيه وجرّه ولا يتأتى ذلك إلا بفراغ يديه لجرّه وفي قوله ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح دليل على أنها لم تتكسر ودليل على أنه لم يرفع منها شيء والظاهر أنه أخذ برأسه أي أمسك رأسه جاره إليه ، وقيل : بشعر رأسه ، وقيل : بذوائبه ولحيته ، وقيل : بلحيته ، وقيل : بأذنه ، وقيل : لم يأخذ حقيقة وإنما كان ذلك إشارة فخشي هارون أن يتوّهم الناظر إليهما أنه لغضب فلذلك نهاه ورغب إليه والظاهر أن سبب هذا الأخذ هو غضبه على أخيه وكيف عبدوا العجل وهو قد استخلفه فيهم وأمره بالإصلاح وأن لا يتبع سبيل من أفسد وكيف لم يزجرهم ويكفهم عن ذلك ويدلّ على هذا الظاهر قوله : ولما سكت عن موسى الغضب وقوله : لا." <تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ٤/٣٩٣>

بينهما بأداة الاستدراك ، فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراده لا يشتركان فيه ، فتقدير الحذف أحرى على صناعة الإعراب . وقد ضعفوا مذهب أبي الحسن في ادعائه أن قوله :) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (وقوله :) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ (جواب لأما ، ولأنّ هذا وهما أدانا شرط ، إحداهما تلي الأخرى ، وعلى كون مَن في موضع رفع على الابتداء ، يجوز أن تكون شرطية كما ذكرنا ، ويجوز أن تكون موصولة وما بعدها صلتها ، والخبر محذوف لدلالة ما بعده عليه ، كما ذكرنا في حذف جواب الشرط . إلا أنْ من الثانية لا يجوز أنْ تكون شرطاً حتى يقدر قبلها مبتدأ لأنّ من وليت لكنْ فيتعين إذ ذاك أن تكون مَن موصولة ، فإن قدر مبتدأ بعد لكن جاز أن تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدأ المقدر كقوله :

ولكن متى يسترقد القوم أرقد

أي : ولكن أنا متى يسترقد القوم أرقد . وكذلك تقدر هنا ، ولكن هم من شرح بالكفر صدراً أي : منهم . وأجاز الحوفي والزمخشري : أن تكون بدلاً من الذين لا يؤمنون ، ومن الكاذبون . ولم يجز الزجاج إلا أن يكون بدلاً من الكاذبون ، لأنه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء غير تام ، فعلقه بما قبله . وأجاز الزمخشري أن يكون بدلاً من أولئك ، فإذا كان بدلاً من الذين لا يؤمنون فيكون قوله : وأولئك هم الكاذبون ، جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه ، والمعنى : إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء . وإذا كان بدلاً من الكاذبون فالتقدير : وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه ، وإذا كان بدلاً من أولئك فالتقدير : ومَن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون .

وهذه الأوجه الثلاثة عندي ضعيفة . لأنّ الأول يقتضي أنه لا يفتري الكذب إلا من كفر بالله من بعد إيمانه ، والوجود يقتضي أنّ من يفتري الكذب هو الذي لا يؤمن ، وسواء كان ممن كفر بعد الإيمان أنه كان ممن لم يؤمن قط ، بل من لم يؤمن قط هم الأكثرون المفترون الكذب . وأما الثاني فيؤول المعنى إلى ذلك ، إذ التقدير : وأولئك أي الذين لا يؤمنون هم من كفر بالله من بعد إيمانه ، والذين لا يؤمنون هم المفترون . وأما الثالث فكذلك . إذ التقدير : أن المشار إليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه ، مخبر عنهم بأنهم الكاذبون . وقال الزمخشري : ويجوز أن ينتصب على الذم انتهى . وهذا أيضاً بعيد ، والذي تقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لا ترتبط بما قبلها من حيث الإعراب ، بل من حيث المعنى . والمناسبة وفي قوله : إلا من أكره دليل على أنّ من فعل المكره لا يترتب عليه شيء ، وإذا كان قد سومح لكلمة الكفر أو فعل ما يؤدي إليه ، فالمسامحة بغيره من المعاصي أولى . وقد تكلموا في كيفية الإكراه المبيح لذلك ، وفي تفصيل الأشياء التي

يقع الإكراه فيها ، وذلك كله مذكور في كتب الفقه . والمكرهون على الكفر المعذبون على الإسلام : خباب ، وصهيب ، وبلال ، وعمار ، وأبواه ياسر وسمية ، وسالم ، وحبر ، عذبوا فأجابهم عمار وحبر باللفظ فخلى سبيلهما ، وتمادى الباقون على الإسلام فقتل ياسر وسمية ، وهما أول قتيل في الإسلام ، وعذب بلال وهو يقول : (أحد أحد) وعذب خباب بالنار فما أطفأها إلا ودك ظهره . وجمع الضمير في فعليهم على معنى من ، وأفرد في شرح على لفظها . والظاهر أنّ ذلك إشارة إلى ما استحقوه من الغضب والعذاب أي : كائن لهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة . وقال الزمخشري : واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم انتهى . وهي نزغة اعتزالية . والضمير في بأنهم عائد على من في من شرح : ولما فعلوا فعل من استحب ، ألزموا ذلك وإن كانوا غيره مصدقين بآخره ، لكن من حيث أعرضوا." <تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ٥/٥٢١>

"﴿أَن يَكْفُرُوا ﴾ : تقدم أن موضعه رفع ، إما ، على أن يكون مخصوصاً بالذم عند من جعل ما قبله من قوله : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ﴾ **غير تام** ، وفيه الأعاريب التي في المخصوص بالذم ، إذا تأخر ، أهو مبتدأ ، والجملة التي قبله خبر مبتدأ محذوف على ما تقرر قبل ؟ وأجاز الفراء على هذا التقدير أن يكون بدلاً من الضمير في به ، فيكون في موضع خبر. ﴿بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ : هو الكتاب الذي تقدّم ذكره ، وهو القرآن. وفي ذلك من التفخيم إن لم يحصل مضمر ، بل أظهر موصولاً بالفعل الذي هو أنزل المشعر بأنه من العالم العلوي ، ونسب إسناده إلى الله ، ليحصل التوافق من حيث المعنى بين قوله : ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ وبين قوله : ﴿بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ . ويحتمل أن يراد به التوراة والإنجيل ، إذ كفروا بعيسى وبمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، والكفر بهما كفر بالتوراة. ويحتمل أن يراد الجميع من قرآن وإنجيل وتوراة ، لأن الكفر ببعضها كفر بكلها. ﴿بَغْيًا﴾ : أي حسداً ، إذ لم يكن من بني إسرائيل ، قاله قتادة وأبو العالية والسدّي. وقيل : معناه ظلماً ، وانتصابه على أنه مفعول من أجله وظاهره أن العامل فيه يكفروا ، أي كفرهم لأجل البغي. وقال الزمخشري : هو علة اشتروا ، فعلى قوله يكون العامل فيه اشتروا. وقيل : هو نصب على المصدر لا مفعول من أجله ، والتقدير : بغوا بغياً ، وحذف

٣٠٥

الفعل لدلالة الكلام عليه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦

﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ﴾ : أن : مع الفعل بتأويل المصدر ، وذلك المصدر المقدر منصوب على أنه مفعول من أجله

، أي بغو التنزيل الله. وقيل : التقدير بغياً على أن ينزّل الله لأن معناه حسداً على أن ينزّل الله ، أي على ما خص الله به نبيه من الوحي ، فحذفت على ، ويجيء الخلاف الذي في أنّ وأن ، إذا حذف حرف الجر منهما ، أهما في موضع نصب أم في موضع خفض ؟ وقيل : أن ينزّل في موضع جر على أنه بدل اشتمال من ما في قوله : بما أنزل الله ، أي بتنزيل الله ، فيكون مثل قول الشاعر :

أمن ذكر سلمى أن نأتك تنوص

وقرأ أبو عمرو وابن كثير : جميع المضارع مخففاً من أنزل ، إلا ما وقع الإجماع على تشديده ، وهو في الحجر ، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ ، إلا أن أبا عمرو شدد على أن ننزل آية في الأنعام ، وابن كثير شدد ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ ، ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ ، وشدد الباقون المضارع حيث وقع إلا حمزة والكسائي فخففا ، ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ ، في آخر لقمان ، ﴿وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ ، في الشورى. والهمزة والتشديد كل منهما للتعدية. وقد ذكروا مناسبات لقرآت القراء واختياراتهم ولا تصح. ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ : من لابتداء الغاية ، والفضل هنا الوحي والنبوة. وقد جوّز بعضهم أن تكون من زائدة على مذهب الأخفش ، فيكون في موضع المفعول ، أي أن ينزل الله فضله. ﴿عَلَى﴾ من يشاء. على متعلقة بينزل ، والمراد بمن يشاء : محمد صلى الله عليه وسلّم ، لأنهم حسدوه لما لم يكن منهم ، وكان من العرب ، وعز النبوة من يعقوب إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام كان في إسحاق ، فختم في عيسى ، ولم يكن من ولد إسماعيل نبي غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم ، فختمت النبوة على غيرهم ، وعدموا العز والفضل. و﴿مَّنْ﴾ هنا موصولة ، وقيل نكرة موصوفة. و﴿يَشَآءُ﴾ على القول الأول : صلة ، فلا موضع لها من الإعراب ، وصفة على القول الثاني ، فهي في موضع خفض ، والضمير العائد على الموصول أو الموصوف محذوف تقديره يشاؤه. ﴿مِنْ عِبَادِهِا﴾ : جار ومجرور في موضع الحال ، تقديره كائناً من عباده ، وأضاف العباد إليه تشريفاً لهم ، كقوله تعالى : ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ .

:

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦

." <تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٦٢/١>

"البقرة والخطاب إما للسامري وعباد العجل أي بئسما قمتم مقامي حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله تعالى وأما لوجوه بني إسرائيل هارون والمؤمنين حيث لم يكفوا من عبد غير الله وخلفتموني يدلّ على البعدية في الزمان والمعنى هنا من بعد ما رأيتم مني توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعدما

كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عن ما طمحت إليه أبصارهم من عبادة البقر ومن حق الخلف أن يسير سيرة المستخلف ولا يخالفه ويقال خلفه بخير أو شرّ إذا فعله عن ترك من بعده. أعجلتم استفهام إنكار قال الزمخشري يقال : عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدّى تعديته ، فيقال : عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ، ولم أرجع إليكم فحدّثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم ، وروي أن السامري قال لهم أحين أخرج إليهم العجل هذا إلهكم وإله موسى أن موسى لن يرجع وأنه قد مات انتهى. وقال ابن عطية : معناه أسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم إتياني من قبل الوقت الذي قدّرته انتهى ، وقال يعقوب : يقال عجلت الشيء سبقته وأعجلت الرجل استعجلته أي حملته على العجلة انتهى ، وقيل : معناه أعجلتم ميعاد ربكم أربعين ليلة ، وقيل : أعجلتم سخط ربكم ، وقيل : أعجلتم بعبادة العجل ، وقيل : العجلة التقدّم بالشيء في غير وقته ، قيل : وهي مذمومة ويضعفه قوله وعجلت إليك ربّ لترضى والسرعة المبادرة بالشيء في غير وقته وهي محمودة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٨٣

﴿وَأَلْقَى الالْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُا إِلَيْهِ﴾ أي الألواح التوراة وكان حاملاً لها فوضعها بالأرض غضباً على ما فعله قومه من عبادة العجل وحمية لدين الله وكان كما تقدم شديد الغضب وقالوا كان هارون ألين منه خلقاً ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل منه. وقيل : ألقاها دهشاً لما دهمه من أمرهم ، وعن ابن عباس : أن موسى عليه السلام لما ألقاها تكسرت فرفع أكثرها الذي فيه تفصيل كل شيء وبقي الذي في نسخته الهدى والرحمة وهو الذي أخذ بعد ذلك ، وروى أنه رفع ستة أسباعها وبقي سبع قاله جماعة من المفسرين ، وقال أبو الفرج بن الجوزيّ لا يصحّ أنه رماها رمي كاسر انتهى ، والظاهر أنه ألقاها من يديه لأنهما كانتا مشغولتين بها وأراد إمساك أخيه وجرّه ولا يتأتى ذلك إلا بفراغ يديه لجرّه وفي قوله ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح دليل على أنها لم تتكسر ودليل على أنه لم يرفع منها شيء والظاهر أنه أخذ برأسه أي أمسك رأسه جاره إليه ، وقيل : بشعر رأسه ، وقيل : بذوائبه ولحيته ، وقيل : بلحيته ، وقيل : بأذنه ، وقيل : لم يأخذ حقيقة وإنما كان ذلك إشارة فخشي هارون أن يتوّهم الناظر إليهما أنه لغضب فلذلك نهاه ورغب إليه والظاهر أن سبب هذا الأخذ هو غضبه على أخيه وكيف عبدوا العجل وهو قد استخلفه فيهم وأمره بالإصلاح وأن لا يتبع سبيل من أفسد وكيف لم يزجرهم ويكفهم عن ذلك ويدلّ على هذا الظاهر قوله : ولما سكت عن موسى الغضب وقوله : لا تأخذ بلحيتي

٢٦٩

ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي ، قال الزمخشري : أي بشعر رأسه يجره إليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورده عليه من الأمر الذي استفزّه وذهب بفطنته وظنًّا بأخيه أن فرط في الكفّ ، وقيل : ذلك الأخذ والجر كان ليسر إليه أنه نزل عليه الألواح في مناجاته وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل فنهاه هارون لئلا يشتبه سراره على بني إسرائيل بإذلاله وقيل : ضمه ليعلم ما لديه فكره ذلك هارون لئلا يظنوا أهانته وبيّن له أخوه أنهم استضعفوه ، وقيل : كان ذلك على سبيل الإكرام لا على سبيل الإهانة كما تفعل العرب من قبض الرجل على لحية أخيه.

٣٩٥

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلا تُشْمِتْ بِىَ الاعْدَآءَ وَلا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّـالِمِينَ﴾

ناداه نداء استضعاف وترفق وكان شقيقه وهي عادة العرب تتلطف وتتحنن بذكر الأمّ كما قال :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٨٣

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي

وقال آخر : يا ابن أمي فدتك نفسي ومالي

." <تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٣٢٠>

"قبل الاستثناء في قول مَن جعل مَن شرطاً. وقال ابن عطية : وقالت فرقة مَن في قوله مَن كفر ابتداء ، وقوله : من شرح تخصيص منه ، ودخل الاستثناء لإخراج عمار وشبهه. ودنا من الاستثناء الأول الاستدراك بلكن وقوله : فعليهم ، خبر عن مَن الأولى والثانية ، إذ هو واحد بالمعنى لأن الإخبار في قوله : من كفر ، إنما قصد به الصنف الشارح بالكفر انتهى. وهذا وإن كان كما ذكر فهاتان جملتان شرطيتان ، وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك ، فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراده لا يشتركان فيه ، فتقدير الحذف أحرى على صناعة الإعراب. وقد ضعفوا مذهب أبي الحسن في ادعائه أن قوله : ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ وقوله : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جواب لأما ، ولأنّ هذا وهما أدانا شرط ، إحداهما تلي الأخرى ، وعلى كون مَن في موضع رفع على الابتداء ، يجوز أن تكون شرطية كما ذكرنا ، ويجوز أن تكون موصولة وما بعدها صلتها ، والخبر محذوف لدلالة ما بعده عليه ، كما ذكرنا في حذف جواب الشرط. إلا أنْ من الثانية لا يجوز أنْ تكون شرطاً حتى يقدر قبلها مبتدأ لأنّ من وليت لكنْ فيتعين إذ ذاك أن تكون مَن موصولة ، فإن قدر مبتدأ بعد لكن جاز أن تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدأ المقدر كقوله :

ولكن متى يسترقد القوم أرقد

أي : ولكن أنا متى يسترقد القوم أرقد. وكذلك تقدر هنا ، ولكن هم من شرح بالكفر صدراً أي : منهم. وأجاز الحوفي والزمخشري : أن تكون بدلاً من الذين لا يؤمنون ، ومن الكاذبون. ولم يجز الزجاج إلا أن يكون بدلاً من الكاذبون ، لأنه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء **غير تام** ، فعلقه بما قبله. وأجاز الزمخشري أن يكون بدلاً من أولئك ، فإذا كان بدلاً من الذين لا يؤمنون فيكون قوله : وأولئك هم الكاذبون ، جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه ، والمعنى : إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء. وإذا

٥٣٩

كان بدلاً من الكاذبون فالتقدير : وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه ، وإذا كان بدلاً من أولئك فالتقدير : ومَن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٢٨

." <تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٤٤٠>

" والضمير في أنبئهم عائد على الملائكة بإجماع والضمير في أسمائهم مختلف فيه حسب الاختلاف في الاسماء التي علمها آدم قال بعض العلماء إن في قوله تعالى فلما أنبأهم نبوءة لآدم عليه السلام إذ أمره الله سبحانه أن ينبيء الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عز و جل وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه ما غاب عنكم لان الله تعالى لا يغيب عنه شيء الكل معلوم له واختلف في قوله تعالى ما تبدون وما كنتم تكتمون فقالت طائفة ذلك على معنى العموم في معرفة أسرارهم وظواهرهم وبواطنهم أجمع واذ من قوله وإذ قلنا للملائكة معطوفه على إذ المتقدمة وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم وهذا هو الباب كله في أوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته ت ما ذكره رحمه الله هو عقيدة أهل السنة وها أنا انقل من كلام الأئمة إن شاء الله ما يتبين به كلامه ويزيده وضوحا قال ابن رشد قوله صلى الله عليه و سلم اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لا يفهم منه إن لله عز و جل كلمات **غير تامات** لأن كلماته هي قوله وكلامه هو صفة من صفات ذاته يستحيل عليها النقص وفي الحديث بيان واضح على

أن كلماته عز و جل غير مخلوقة إذ لا يستعاذ بمخلوق وهذا هو قول أهل السنة والحق أن كلام الله عز و جل صفة من صفات ذاته قديم غير مخلوق لأن الكلام هو المعنى القائم في النفس والنطق به عبارة عنه قال الله عز و جل ويقولون في أنفسهم فأخبر أن القول معنى يقوم في النفس وتقول في نفسي كلام أريد أن أعلمك به فحقيقة كلام الرجل هو المفهوم من كلامه وأما الذي تسمعه منه فهو عبارة عنه وكذلك كلام الله عز و جل القديم الذي هو صفة من صفات ذاته هو المفهوم من قراءة القارىء لا نفس قراءته التي تسمعها لأن نفس قراءته التي تسمعها محدثة لم تكن حتى قرأ بها فكانت وهذا كله بين إلا لمن ." <تفسير الثعالبي، ١/٤٧>

والمجرور من معنى الفعل المنفي كأنه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على أنه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب إما للمبالغة كأنه نفس الهدى أو لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل أن تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على أنها خبر لمبتدأ مضمر أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على أن المتحدي به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه إذ لا فضل أعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين مع ما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله أو يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فإنه لما نبه أولا على إعجاز المتحدي به من حيث أنه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر أنه الكتاب البالغ أقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب إذ لا أنقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة مالا يخفى جلالة شأنه حسبما تحققته

الذين يؤمنون بالغيب إما موصول بالمتقين ومحله الجر على أنه صفة مقيدة له إن فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة إن فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لأنها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف إجمالا وذلك

لأنها مشتملة على ماهو عماد الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية إلى التجنب عن المعاصي غالبا ألا يرى إلى قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام أو مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ماذكر من الخصال الثلاث بالذكر لإظهار شرفها وإنافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات أو النصب على المدح بتقدير أعني أو الرفع عليه بتقدير هم وإما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الإشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لأنه وقف على مستقبل مابعده أيضا مستقبل وأما على الوجوه الأول فحسن لاستقلال الموقوف عليه **غير تام** لتعلق مابعده به وتبعيته له أما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر وأما على تقدير النصب أو الرفع على المدح فلما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وإن خرجا عن التبعية لما قبلها صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ماقبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال أبو على إذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان أي للتفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجد في الإصغاء فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى ." <تفسير أبي السعود، ١/٢٩>

" من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب إن قيل لا ريب في أن حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره أولئك على هدى في أنه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة أن كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وإن كلا من اتصافهم بالإيمان وفروعه وإحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلية فما السر في أنه جعل ذلك في الصورة الأولى من توابع المتقين وعد الوقف **غير تام** وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك أن المبتدأ في الصورتين وإن كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الأولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ إجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وإن سمي قطعا مراعاة لجانب كيف لا وقد اشتهر في الفن أن الخبر إذا كان معلوم الانتساب إلى المخبر عنه حقه أن يكون وصفا له كما أن الوصف إذا لم يكن معلوم الانتساب إلى الموصوف حقه أن يكون خبرا له حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وأما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل

كان مشتملا على مالا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والإيمان إفعال من الأمن المتعدى إلى واحد يقال آمنته وبالنقل تعدى إلى أثنين يقال آمننيه غيرى ثم استعمل في التصديق لأن المصدق يؤمن المصدق أي يجعله أمينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فإن الواثق يصير ذا أمن وطمأنينة ومنه ما حكى عن العرب ما آمنت أن أجد صحابه أي ما صرت ذا أمن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه الصلاة و السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لابد من انضمام الإقرار إليه للمتمكن منه والأول رأي الشيخ الأشعري ومن شايعه فإن الإقرار عنده منشأ لاجراء الأحكام والثاني مذهب أبي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فإنه جعلهما جزأين له خلا أن الإقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الإكراه وهو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب إما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة أو فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره وأيا ما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها ألا هو وقسم نصب عليه دليل كالمصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للإيمان أما بتضمينه معنى الاعتراف أو ." <تفسير أبي السعود، ١/٣٠>

" الأعراف آية ١٥٠

ما رجع موسى عليه الصلاة و السلام إليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى إلى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات إثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى غضبان أسفا حالان من موسى عليه السلام أو الثاني من المستكن في غضبان والأسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي أي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رايتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم

حيث قلتم أجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الهلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري وأشياعه أو بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبيء عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك إذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن أفعصيت أمري ويجوز أن يكون الخطاب للكل على أن المراد بالخليفة ما يعم الأمرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونبها من بعدي خلافتكم أعجلتم أمر ربكم أي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدجنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم والقى الألواح طرحا من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفعت ستة أسباعها التي كان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكان وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه عليهما السلام يجره إليه حال من ضمير أخذ فعله عليه السلام توهما أنه قصر في كفهم وهرون كان أكبر منه عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال أي هرون لما أن حق الأم أعظم وأحق بالمراعاة مع أنها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرىء بكسر الميم بإسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف إلى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف أو لتشبيهه بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعجاء أي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين أي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو النسبة إلى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل أولا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم ." <تفسير أبي السعود، ٣/٢٧٤>

"وأثره يظهر فى اليد ، كقوله تعالى : ﴿ فأصبح يقلب كفيه على مآ أنفق فيها ﴾ ولأن اليد هى الجارحة العظمى ، فربما يسند إليه ما لم تباشره كقوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾ اه .

وقوله تعالى : ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ﴾ بيان للحالة التى كان عليها موسى - عليه السلام - عند رجوعه من الطور ، ومشاهدته للعجل الذى عبده قومه ، فهو كان غاضبا عليهم لعبادتهم غير الله - تعالى - وحزينا لفتنتهم بعبادتهم عجلا جسدا له خوار .

قال الإمام الرازى : فى الأسف قولان :

الأول : أن الأسف الشديد : الغضب ، وهو قول أبى الدرداء وعطاء عن ابن عباس ، واحتجوا له بقوله تعالى

: ﴿ فلمآ آسفونا انتقمنا ﴾ أى : أغضبونا .
والثانى : أن الاسف هو الحزن ، وهو قول الحسن والسدى وغيرهما ، واحتجوا له بحديث عائشة أنها قالت : " إن أبا بكر رجل أسيف أى حزين " .
قال الواحدى : والقولان متقاربان لأن الغضب من الحزن ، والحزن من الغضب ، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت . وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت ، فتسمى إحدى هاتين الحالتين حزنا والأخرى غضبا " .
وقوله ﴿ غضبان أسفا ﴾ منصوبان على الحال من موسى عند من يجيز تعدد الحال . وعند من لا يجيزه يجعل أسفا حالا من الضمير المستكن فى غضبان فتكون حالا متداخلة .
وقول موسى لقومه : ﴿ بئسما خلفتموني من بعدي ﴾ ذم منه لهم ، والمعنى : بئس خلافة خلفتمونيها من بعد ذهابى عنكم إلى مناجاة ربى ، وبئس الفعل فعلكم بعد فراقى إياكم . حيث عبدتم العجل ، وأشربت قلوبكم محبته ، ولم تعيروا التفاتا لما عهدت به إليكم ، من توحيد الله ، وإخلاص العبادة ، والسير على سنتى وشريعتى .
قال الجمل : و " بئس " فعل ماض لإنشاء الذم ، وفعله مستتر تقديره هو ، و " ما " تمييز بمعنى خلافة ، وجملة خلفتمونى صفة لما . والرابط محذوف ، والمخصوص بالذم محذوف ، والتقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم .
وقوله ﴿ من بعدي ﴾ معناه : من بعد ما رأيتم منى توحيد الله ، ونفى الشركاء عنه ، وإخلاص العبادة له ، أو من بعد ما كنت احمل بنى إسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا ﴿ اجعل لنآ إلها كما لهم آلهة ﴾ ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه .
وقوله تعالى ﴿ أعجلتم أمر ربكم ﴾ معناه أسبقتم بعبادة العجل ما أمركم به ربكم وهو انتظارى حافظين لعهدى ، وما أوصيتكم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله حتى آتيكم بكتاب الله ، فغيرتم وعبدتم العجل قيل : كانوا قد استبطأوا نزوله من الجبل ، فخدعهم السامرى وصنع لهم العجل فعبدوه ، وجعلوا يغنون ويرقصون حوله ويقولون : هذا هو الإله الحق الذى انقذنا من الظلم ، قال صاحب الكشاف : يقال عجل عن الأمر إذا تركه **غير تام** .." <الوسيط لسيد طنطاوي، ص/١٦٩٥>
"قوله تعالى: من كفر بالله من بعد إيمنه إلا من أكره وقلبه مطمن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (١٠٦) لا لاولى – قوله تعالى: (من كفر باله) هذا متصل بقوله تعالى: " ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها " فكان مبالغة في الوصف بالكذب، لان معناه لا ترتدوا عن بيعة

الرسول صلى الله عليه وسلم.

أي من كفر من بعد إيمانه وارتد فعليه غضب الله.

قال الكلبي: نزلت في عبد الله بن أبي سرح ومقيس بن ضبابة وعبد الله بن خطل (١)، وقيس بن الوليد بن المغيرة، كفروا بعد إيمانهم.

ثم قال: (إلا من أكره).

وقال الزجاج: " من كفر بالله من بعد إيمانه " بدل ممن يفترى الكذب، أي إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، ' لانه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله.

وقال الاخفش: " من " ابتداء وخبره محذوف، اكتفي منه بخبر " من " الثانية، كقولك: من يأتنا من يحسن نكرمه.

الثانية - قوله تعالى: (إلا من أكره) هذه الاية نزلت في عمار بن ياسر، في قول أهل التفسير، لانه قارب بعض ما ندبوه إليه.

قال ابن عباس: أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم، وربطت سمية بين بعيرين ووجئ

قبلها بحربة، وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال، فقتلت وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين في الاسلام.

وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف تجد قلبك " ؟ قال: مطمئن بالايمان.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فإن عادوا فعد ".

وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد قال: أول شهيدة في الاسلام أم عمار، قتلتها أبو جهل، وأول

---

(١) في الاصول: " عبد الله بن أمس بن خطل " وهو تحريف.

(*)." <تفسير القرطبي، ١٠/١٨٠>

"الاولى أو البدل منها.

و " سحاب " ابتداء و " من فوقه " الخبر.

ومن قرأ " سحاب ظلمات " فظلمات خبر ابتداء محذوف، التقدير: هي ظلمات أو هذه ظلمات.

قال ابن الانباري: " من فوقه موج " غير تام، لان قوله " من فوقه سحاب " صلة للموج، والوقف: على قوله

" من فوقه سحاب " حسن، ثم تبتدئ " ظلمات بعضها فوق بعض " على معنى هي ظلمات بعضها فوق بعض.

وروي عن أهل مكة أنهم قرءوا " ظلمات " على معنى أو كظلمات ظلمات بعضها فوق بعض، فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على السحاب.

ثم قيل: المراد بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر، فلا يبصر من كان في هذه الظلمات شيئا ولا كوكبا.

وقيل: المراد بالظلمات الشدائد، أي شدائد بعضها فوق بعض.

وقيل: أراد بالظلمات أعمال الكافر، وبالبحر اللجى قلبه، وبالموج فوق الموج، ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه.

روي معناه عن ابن عباس وغيره، أي لا يبصر بقلبه نور الايمان، كما أن صاحب الظلمات في البحر إذا أخرج يده لم يكد يراها.

وقال أبي بن كعب: الكافر يتقلب في خمس من الظلمات: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات في النار وبئس المصير.

(إذا أخرج يده) يعنى الناظر.

(لم يكد يراها) أي من شدة الظلمات.

قال الزجاج وأبو عبيدة: المعنى لم يرها ولم يكد، وهو معنى قول الحسن.

ومعنى " لم يكد " لم يطمع أن يراها.

وقال الفراء: كاد صلة، أي لم يرها، كما تقول: ما كدت أعرفه.

وقال المبرد: يعنى لم يرها إلا من بعد الجهد، كما تقول: ما كدت أراك من الظلمة، وقد رآه بعد يأس وشدة.

وقيل: معناه قرب من الرؤية ولم ير كما يقال: كاد العروس يكون أميرا، وكاد النعام يطير، وكاد المنتعل يكون راكبا.

النحاس:

وأصح الاقوال في هذا أن المعنى لم يقارب رؤيتها، فإذا لم يقارب رؤيتها فلم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة.

(ومن لم يجعل الله نورا) يهتدي به أظلمت عليه الامور.

وقال ابن عباس: أي من لم يجعل الله له دينا فما له من دين، ومن لم يجعل الله له نورا يمشى به يوم القيامة لم يهتد." <تفسير القرطبي، ١٢/٢٨٥>

"فعظيم على هذا متعلق بما بعده، وكان ينبغى على هذا أن يكون عظيم أن وجدتها، أي وجودي إياها كافرة.

وقال ابن الانباري: " ولها عرش عظيم " وقف حسن، ولا يجوز أن يقف على " عرش " ويبتدئ " عظيم وجدتها " إلا على من فتح، لان عظيما نعت لعرش فلو كان متعلقا بوجدتها لقلت عظيمة وجدتها، وهذا محال من كل وجه.

وقد حدثنى أبو بكر محمد بن الحسين بن شهريار، قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن الاسود العجلى، عن بعض أهل العلم أنه قال: الوقف على " عرش " والابتداء " عظيم " على معنى عظيم عبادتهم الشمس والقمر.

قال: وقد سمعت من يؤيد هذا المذهب، ويحتج بأن عرشها أحقر وأدق شأنا من أن يصفه الله بالعظيم.

قال ابن الانباري: والاختيار عندي ما ذكرته أولا، لانه ليس على إضمار عبادة الشمس والقمر دليل.

وغير منكر أن يصف الهدهد عرشها بالعظيم إذا رآه متناهى الطول والعرض، وجريه على إعراب " عرش " دليل على أنه نعته.

(وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي ما هم فيه من الكفر.

(فصدهم عن السبيل) أي عن طريق التوحيد.

وبين بهذا أن ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق.

(فهم لا يهتدون) إلى الله وتوحيده.

الثالثة عشرة - قوله تعالى: (ألا يسجدوا لله) قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم وحمزة " ألا يسجدوا لله " بتشديد " ألا " قال ابن الانباري: " فهم لا يهتدون " غير تام لمن شدد " ألا " لان المعنى: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا.

قال النحاس: هي " أن " دخلت عليها " لا " و " أن " في موضع نصب، قال الاخفش: ب " زين " أي وزين لهم لئلا يسجدوا لله.

وقال الكسائي: ب " فصدهم " أي فصدهم ألا يسجدوا.

وهو في الوجهين مفعول له.

وقال اليزيدى وعلى بن سليمان: " أن " بدل من " أعمالهم " في موضع نصب.

وقال أبو عمرو: و " أن " في موضع حفض على البدل من السبيل وقيل: العامل فيها " لا يهتدون " أي فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله، أي لا يعلمون أن ذلك واجب عليهم.

وعلى هذا القول " لا " زائدة، كقوله: " ما منعك ألا تسجد " أي ما منعك أن تسجد.

وعلى هذه القراءة." <تفسير القرطبي، ١٣/١٨٥>

"وقيل: أشحة بالغنائم إذا أصابوها، قاله السدي.

وانتصب على الحال.

قال الزجاج: ونصبه عند الفراء من أربع جهات: إحداها: أن يكون على الذم، ويجوز أن يكون عنده نصبا بمعنى يعوقون أشحة.

ويجوز أن يكون التقدير: والقائلين أشحة.

ويجوز عنده [" ولا يأتون البأس إلا قليلا " أشحة، أي أنهم يأتونه أشحة على الفقراء بالغنيمة] (١).

النحاس: ولا يجوز أن يكون العامل فيه " المعوقين " ولا " القائلين "، لئلا يفرق بين الصلة والموصول.

ابن الانباري: " إلا قليلا " غير تام، لان " أشحة " متعلق بالاول، فهو ينتصب من أربعة أوجه: أحدها: أن تنصبه على القطع من " المعوقين " كأنه قال: قد يعلم الله الذين يعوقون عن القتال ويشحون عن الانفاق على فقراء المسلمين.

ويجوز أن

يكون منصوبا على القطع من " القائلين " أي وهم أشحة.

ويجوز أن تنصبه على القطع مما في " يأتون "، كأنه قال: ولا يأتون البأس إلا جبناء بخلاء.

ويجوز أن تنصب " أشحة " على الذم.

فمن هذا الوجه الرابع يحسن أن تقف على قوله: " إلا قليلا ".

" أشحة عليكم " وقف حسن.

ومثله " أشحة على الخير " حال من المضمر في " سلقوكم " وهو العامل فيه.

(فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) وصفهم بالجبن، وكذا سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محددا بصره، وربما غشي عليه.

وفي " الخوف " وجهان: أحدهما: من قتال العدو إذا أقبل، قاله السدي.

الثاني: الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم إذا غلب، قاله ابن شجرة.

" رأيتهم ينظرون إليك " خوفا من القتال على القول الاول.

ومن النبي صلى الله عليه وسلم على الثاني.

" تدور أعينهم " لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة.

وقيل: لشدة خوفهم حذرا أن يأتيهم القتل من كل جهة.

(فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) وحكى الفراء " صلقوكم " بالصاد.

وخطيب مسلاق ومصلاق إذا كان بليغا.

وأصل الصلق الصوت، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة).

قال الاعشى:

---

(١) ما بين المربعين من كتاب النحاس وهو واضح.

وعبارة الاصول: (ولا يأتون البأس إلا قليلا يأتونه أشحة أي أشحة على الفقراء بالغنيمة جبناء).

(*)." <تفسير القرطبي، ١٤/١٥٣>

"قال ابن الانباري: " فتحا مبينا " **غير تام**، لان قوله " ليغفر لك الله ما تقدم " متعلق بالفتح.

كأنه قال: إنا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع الله لك مع الفتح المغفرة، فيجمع الله لك به ما تقر به عينك في الدنيا والآخرة.

وقال أبو حاتم السجستاني: هي لام القسم.

وهذا خطأ، لان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها، ولو جاز هذا لجاز: ليقوم زيد، بتأويل ليقومن زيد.

الزمخشري: فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة ؟ قلت: لم يجعل علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة، وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز.

كأنه قال: يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك عز الدارين وأعراض العاجل والآجل.

ويجوز أن يكون فتح مكة من

حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب.

وفي الترمذي عن أنس قال: أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " مرجعه من الحديبية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [لقد أنزلت علي آية أحب إلي مما على وجه الارض].

ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، فقالوا: هنيئا مريئا يا وسول الله، لقد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه " ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار - حتى بلغ - فوزا عظيما " قال حديث حسن صحيح.

وفيه عن مجمع ابن جارية.

واختلف أهل التأويل في معنى " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " فقيل: " ما تقدم من ذنبك " قبل الرسالة.

" وما تأخر " بعدها، قاله مجاهد.

ونحوه قال الطبري وسفيان الثوري، قال الطبري: هو راجع إلى قوله تعالى " إذا جاء نصر الله والفتح - إلى قوله - توابا " [النصر: ١ - ٣].

" ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك " قبل الرسالة " وما تأخر " إلى وقت نزول هذه الآية وقال سفيان الثوري: " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك " ما عملته في الجاهلية من قبل أن يوحى إليك.

" وما تأخر " كل شئ لم تعمله، وقاله الواحدي.

وقد مضى الكلام في جريان الصغائر على الانبياء في سورة " البقرة " (١)، فهذا قول.

وقيل:

---

(١) راجع ج ١ ص ٣٠٨ طبعة ثانية أو ثالثة.

(*)." <تفسير القرطبي، ١٦/٢٦٢>

"" صفحة رقم ٧٩ "

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلواة ومما رزقناهم ينفقون ٣

)

البقرة : (٣) الذين يؤمنون بالغيب . . . . .

الذين يؤمنون (

إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون

وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه ب (أولئك على هدى)

فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا **غير تام**

وإذا كان مقتطعا كان وقفا تاما

فإن قلت ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لإشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات

أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لأن هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما

ألم تر كيف سمى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

١٤ (الصلاة عماد الدين)

وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر

١٥ ترك الصلاة

٣٧٠

١٦ وسمى الزكاة قنطرة الاسلام

وقال الله تعالى

) وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (فصلت ٦ - ٧ فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر." <تفسير الكشاف . ، ١/٧٩>

"" صفحة رقم ١٥٢ "

وهذا كلام التائبين ، كما قال آدم وحواء عليهما السلام : وإن لم تغفر لنا وترحمنا .

) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَآءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (

الأعراف : (١٥٠) ولما رجع موسى . . . . .

الأسِف : الشديد الغضب) فَلَمَّا ءاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ((الزخرف : ٥٥) وقيل : هو الحزين) خَلَفْتُمُونِى (قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي . وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون منه . ويدلّ عليه قوله :) اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى ((الأعراف : ١٤٢) والمعنى : بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله ، أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله . فإن قلت : أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم ؟ قلت : الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني . والمخصوص بالذم محذوف تقديره : بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم . فإن قلت : أي معنى لقوله :) مِن بَعْدِى (بعد قوله :) خلقتموني (؟ قلت : معناه من بعد ما رأيتم مني ، من توحيد الله ، ونفي الشركاء عنه ، وإخلاص العبادة له . أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد . وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر ، حين قالوا :) يامُوسَى اجْعَلْ لَّنَا إِلَاهًا كَمَا لَهُمْ ءالِهَةٌ ((الأعراف : ١٢٨) ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه . ونحوه :) فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ((الأعراف : ١٦٩) أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال : عجل عن الأمر إذا تركه **غير تام** ، ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ، ويضمن معنى سبق فيتعدّى تعديته ، فيقال عجلت الأمر ، والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم ، وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به ، فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولن أرجع إليكم فحدَّثتم أنفسكم بموتي ، فغيّرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم . وروي : أنّ السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلاهكم وإلاه موسى : إنَّ موسى لن يرجع ، وإنه قد مات وروي : أنهم عدّوا عشرين يوماً بلياليها فجعلوها أربعين ، ثم أحدثوا ما أحدثوا) وَأَلْقَى الألْوَاحَ (وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدّة الضجر عند استماعه حديث العجل ، غضباً لله وحمية لدينه ، وكان في نفسه حديداً شديد الغضب ، وكان هارون ألين منه جانباً ولذلك كان أحبّ إلى بني إسرائيل من موسى . وروى : أنّ التوراة كانت سبعة أسباع ، فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد ، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء ، والرحمة) وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ (أي بشعر رأسه) يَجُرُّهُ إِلَيْهِ (بذؤابته وذلك لشدّة ما ورد عليه من الأمر." <تفسير الكشاف . ، ١٥٢/٢>

"٤٩٤٩- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

* * *

وأصل"الحول" من قول القائل:"حال هذا الشيء"، إذا انتقل. ومنه قيل:"تحول فلان من مكان كذا"، إذا

انتقل عنه.

* * *

فإن قال لنا قائل: وما معنى ذكر"كاملين" في قوله:"والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين"، بعد قوله:"يرضعن حولين"، وفي ذكر"الحولين" مستغنى عن ذكر"الكاملين"، (١) إذ كان غير مشكل على سامع سمع قوله:"والوالدات يرضعن أولادهن حولين" ما يراد به؟ فما الوجه الذي من أجله زيد ذكر كاملين؟.

قيل: إن العرب قد تقول:"أقام فلان بمكان كذا حولين، أو يومين، أو شهرين"، وإنما أقام به يوما وبعض آخر، أو شهرا وبعض آخر، أو حولا وبعض آخر، فقيل:"حولين كاملين" ليعرف سامعو ذلك أن الذي أريد به حولان تامان، (٢) لا حول وبعض آخر. (٣) وذلك كما قال الله تعالى ذكره:(وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) [سورة البقرة: ٢٠٣]. ومعلوم أن المتعجل إنما يتعجل في يوم ونصف، وكذلك ذلك في اليوم الثالث من أيام التشريق، (٤) وأنه ليس منه شيء تام، ولكن العرب تفعل ذلك في الأوقات خاصة فتقول:"اليوم يومان منذ لم أره"،

---

(١) في المطبوعة : "وفي ذكر الحولين" بإسقاط"الهاء" الضمير .

(٢) في المطبوعة : "ليعرف سامع ذلك" ، بالإفراد ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) انظر ما سلف في تفسير قوله تعالى : "ولتكملوا العدة" ٣ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ / ثم تفسير قوله تعالى : "تلك عشرة كاملة" في الجزء ٤ : ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٤) في المخطوطة والمطبوعة : "فكذلك ذلك" بالفاء وهو خطأ مخل ، والصواب ما أثبت . وفي معاني القرآن للفراء ١ : ١١٩ : "وكذلك هو في اليوم . . . " . نص كلامه . ويعني أن اليوم الثالث من أيام التشريق هو أيضًا يوم غير تام . وانظر التعليق التالي ص : ٣٣ رقم : ٢ والمراجع فيه .." <تفسير الطبري، ٣٢/٥>

"وما مصائبه؟ فيقول الله، ويكتب الملك. فإذا مات ذلك الجسدُ، دُفن حيث أخذ ذلك التراب. (١)

٦٥٧٠ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله:"هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء"، قادرٌ والله ربُّنا أن يصوّر عبادَه في الأرحام كيف يشاء، من ذكر أو أنثى، أو أسود أو أحمر، تامّ خلقُه وغير تامّ.

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) ﴾

قال أبو جعفر: وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسَه أن يكون له في ربوبيته ندّ أو مِثل، أو أن تَجوز الألوهة لغيره = وتكذيبٌ منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا، من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى، ولجميع من ادّعى مع الله معبودًا، أو أقرّ بربوبية غيره. (٢) ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته، وعيدًا منه لمن عبد غيره، أو أشرك في عبادته أحدًا سواه، فقال:"هو العزيز" الذي لا ينصر من أرادَ الانتقام منه أحدٌ، ولا ينجيه منه وَأْلٌ ولا لَجَأٌ، (٣) وذلك لعزته التي يذلُّ لها كل مخلوق، ويخضع لها كل موجود. (٤) ثم أعلمهم أنه"الحكيم"

---

(١) الأثر: ٦٥٦٩- قد مضى الكلام في هذا الإسناد في رقم: ١٦٨. وحديث خلق الآدمي في بطن أمه بغير هذا اللفظ ، وبغير هذا الإسناد في مسلم ١٦: ١٨٩-١٩٥ ، وفي البخاري في كتاب"بدء الخلق" في باب ذكر الملائكة. وفي كتاب"الحيض" باب: مخلقة وغير مخلقة.

(٢) قوله: "ولجميع من ادعى..." معطوف على قوله: "وتكذيب للذين قالوا..".

(٣) "وأل" (بفتح الواو وسكون الهمزة ، على وزن سمع): هو الموئل ، وهو الملجأ الذي يفر إليه الخائف. و"لجأ" (بفتح اللام والجيم): هو الملجأ ، وهو المعقل الذي يحتمى به.

(٤) انظر فهارس اللغة (عزز) فيما سلف.." <تفسير الطبري، ٦/١٦٨>

"فجرت عليه. وذلك إذا جعلته في معنى"مستوى". والرفع وجه الكلام كما فسَّرتُ لك.

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة:"سواء" مصدرٌ وضع موضع الفعل، (١) يعني موضع"متساوية": و"متساو"، فمرة يأتي على الفعل، ومرّةً على المصدر. وقد يقال في"سواء"، بمعنى عدل:"سِوًى وسُوًى"، كما قال جل ثناؤه:(مَكَانًا سُوًى) و(سِوًى) [سورة طه: ٥٨]، يراد به: عدل ونصَفٌ بيننا وبينك. وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ ذلك(" إِلَى كَلَمَةٍ عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم "). (٢)

* * *

وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله:"إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"، بأن"السواء" هو العدلِ، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

٧١٩٧ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله:"يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"، عدل بيننا وبينكم ="ألا نعبد إلا الله"، الآية.

٧١٩٨ - حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله:"قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا"، بمثله. (٣)

* * *

---

(١) "الفعل" يعني به الصفة المشتقة مثل فاعل ومفعول ، كما هو ظاهر هنا ، وراجع فهرس المصطلحات.

(٢) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١: ٢٢٠.

(٣) الأثر: ٧١٩٨- في المخطوطة: "و.. ولا نشرك به شيئًا" الآية ، وليس فيها"بمثله" ، زادها الناشر أو ناسخ قبله ، لما رأى الأثر **غير تام** ، وهو صنيع حسن ، وإن كنت لا أرتضيه ، وظني أنه قد سقط من الناسخ الأول بقية التفسير.." <تفسير الطبري، ٦/٤٨٧>

"٨٥١٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبدالله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا"، يقول: إذا كان غيرَ إضرار ولا خديعة، فهو هنيء مريء، كما قال الله جل ثناؤه.

٨٥١٨ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا"، قال: الصداق،"فكلوه هنيئًا مريئًا".

٨٥١٩ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد يقول في قوله:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا" بعد أن توجبوه لهنّ وتُحِلّوه، ="فكلوه هنيئًا مريئًا". (١) .

٨٥٢٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر، عن أبيه قال: زعم حضرميٌّ أن أناسًا كانوا يتأثمون أن يُراجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته، (٢) فقال الله تبارك وتعالى:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا".

٨٥٢١ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا"، يقول: ما طابت به نفسًا في غير كَرْه أو هوان، (٣) فقد أحلّ الله لك ذلك أن تأكله هنيئًا مريئًا.

* * *

وقال آخرون: بل عنى بهذا القول أولياء النساء، فقيل لهم: إن طابت أنفس النساء اللواتي إليكم عصمة نكاحهن، بصدقاتهن نفسًا، فكلوه هنيئًا مريئًا.

* ذكر من قال ذلك:

٨٥٢٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا سيار، عن أبي صالح في قوله:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا"، قال: كان الرجل

---

(١) في المطبوعة: "سمعت ابن زيد يقول في قوله: فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا" ، وهو كلام غير تام ، لم يذكر إلا نص الآية ، وأثبت ما في المخطوطة ، وإن كان سقط من الناسخ"فكلوه" ، فأثبتها.

(٢) في المطبوعة: "أن يرجع أحدهم" ، وأثبت ما في المخطوطة.

(٣) في المخطوطة: "في غير ذكره أو هوان" ، والصواب ما في المطبوعة.." <تفسير الطبري، ٧/٥٥٦>

"غير تام ولا مستغنٍ عن قوله:"لأكفرن عنكم سيئاتكم". وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز أن يكون قوله:"لأكفرنّ عنكم سيئاتكم" قسما مبتدأ، بل الواجب أن يكون جوابًا لليمين إذْ كانت غير مستغنية عنه.

* * *

وقوله:(تجري من تحتها الأنهار) يقول: تجري من تحت أشجار هذه البساتين التي أدخلكموها الأنهار.

* * *

القول في تأويل قوله عز ذكره : ﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) ﴾

قال أبو جعفر: يقول عز ذكره: فمن جحد منكم، يا معشر بني إسرائيل، شيئا مما أمرته به فتركه، أو ركب ما نهيته عنه فعمله بعد أخذي الميثاق عليه بالوفاء لي بطاعتي واجتناب معصيتي="فقد ضلَّ سواء السبيل" يقول: فقد أخطأ قصدَ الطريق الواضح، وزلَّ عن منهج السبيل القاصد.

* * *

"والضلال"، الركوب على غير هدى، وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع. (١)

* * *

وقوله"سواء" يعني به: وسط=: و"السبيل"، الطريق.

* * *

وقد بيَّنا تأويل ذلك كله في غير هذا الموضع، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع. (٢)

* * *

(١) انظر تفسير"الضلال" فيما سلف ٢: ٤٩٥ ، ٦/٤٩٦: ٦٦ ، ٥٨٤ ، ومواضع غيرها ، التمسها في فهارس اللغة.

(٢) انظر تفسير"سواء السبيل" فيما سلف ٢: ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، وفهارس اللغة في (سوى) و (سبل).."

<تفسير الطبري، ١٠/١٢٤>

" ثلث أهل الجنة قلنا نعم فقال والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن قلة المسلمين في الكفار كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود

عبد الرزاق قال أنا عمر بن زيد الصنعاني قال نا أبو الزبيرأنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله يقول إني لأرجو أن تكون أمتي ربع أهل الجنة قال فكبرنا فقال إني لأرجو أن تكون ثلث أهل الجنة قال فكبرنا قال إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة

عبد الرزاق قال أنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت عبيد ابن عمير يقول ما جموع المسلمين يوم القيامة في جموع الكفار إلا كالرقمة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة السوداء في جلد الثور الأبيض

عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة في قوله تعالى كتب عليه أنه من تولاه قال كتب على الشيطان

"المسألة العاشرة : قال أكثر النحوين : الكلمة غير الكلام ، فالكلمة هي اللفظة المفردة ، والكلام هو الجملة المفيدة ، وقال أكثر الأصوليين إنه لا فرق بينهما ، فكل واحد منهما يتناول المفرد والمركب ، وابن جني وافق النحويين واستبعد قول المتكلمين ، وما رأيت في كلامه حجة قوية في الفرق سوى أنه نقل عن سيبويه كلاما مشعرا بأن لفظ الكلام مختص بالجملة المفيدة ، وذكر كلمات أخرى إلا أنها في غاية الضعف ، أما الأصوليون فقد احتجوا على صحة قولهم بوجوه ، الأول : أن العقلاء قد اتفقوا على أن الكلام ما يضاد الخرس والسكوت ، والتكلم بالكلمة الواحدة يضاد الخرس والسكوت ، فكان كلاما ، الثاني : أن اشتقاق الكلمة من الكلم ، وهو الجرح والتأثير ، ومعلوم أن من سمع كلمة واحدة فإنه يفهم معناها ، فههنا قد حصل

معنى التأثير ، فوجب أن يكون كلاما ، والثالث : يصح أن يقال : إن فلانا تكلم بهذه الكلمة الواحدة ، ويصح أن يقال أيضا : أنه ما تكلم إلا بهذه الكلمة الواحدة ، وكل ذلك يدل على أن الكلمة الواحدة كلام ، وإلا لم يصح أن يقال تكلم بالكلمة الواحدة ، الرابع : أنه يصح أن يقال تكلم فلان بكلام غير تام ، وذلك يدل على أن حصول الإفادة التامة غير معتبر في اسم الكلام.

مسألة فقهية في الطلاق :

المسألة الحادية عشرة : تفرع على الاختلاف المذكور مسألة فقهية ، وهي أولى مسائل أيمان "الجامع الكبير" لمحمد بن الحسن رحمه الله تعالى ، وهي أن الرجل إذا قال لامرأته التي لم يدخل بها : إن كلمتك فأنت طالق ثلاث مرات ، قالوا : إن ذكر هذا الكلام في المرة الثانية طلقت طلقة واحدة ، وهل تنعقد هذه الثانية طلقة ؟

قال أبو حنيفة وصاحباه : تنعقد ، وقال زفر : لا تنعقد ، وحجة زفر أنه لما قال في المرة الثانية إن كلمتك فعند هذا القدر من الكلام حصل الشرط ، لأن اسم الكلام اسم لكل ما أفاد شيئا ، سواء أفاد فائدة تامة أو لم يكن كذلك وإذا حصل الشرط حصل الجزاء ، وطلقت عند قوله إن كلمتك ، فوقع تمام قوله : "أنت طالق" خارج تمام ملك النكاح ، وغير مضاف إليه ، فوجب أن لا تنعقد ، وحجة أبي حنيفة أن الشرط . وهو قوله إن كلمتك . غير تام ، والكلام اسم للجملة التامة ، فلم يقع الطلاق / إلا عند تمام قوله إن كلمتك فأنت طالق ، وحاصل الكلام أنا إن قلنا إن اسم الكلام يتناول الكلمة الواحدة كان القول قول زفر ، وإن قلنا إنه لا يتناول إلا الجملة فالقول قول أبي حنيفة ومما يقوي قول زفر أنه لو قال في المرة الثانية "إن كلمتك" وسكت عليه ولم يذكر بعده قوله : "فأنت طالق" طلقت ، لولا أن هذا القدر كلام وإلا لما طلقت ، ومما يقوي قول أبي حنيفة أنه لو قال : "كلما كلمتك فأنت طالق" ثم ذكر هذه الكلمة في المرة الثانية فكلمة "كلما" توجب التكرار فلو كان التكلم بالكلمة الواحدة كلاما لوجب أن يقع عليه الطلقات الثلاث عند قوله في المرة الثانية : "كلما كلمتك" وسكت عليه ولم يذكر بعده قوله : "فأنت طالق" لأن هذا المجموع مشتمل على ذكر الكلمات الكثيرة ، وكل واحد منها يوجب وقوع الطلاق وأقول : لعل زفر يلتزم ذلك.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

المسألة الثانية عشرة : محل الخلاف المذكور بين أبي حنيفة وزفر ينبغي أن يكون مخصوصا بما إذا قال : "إن كلمتك فأنت طالق" أما لو قال : "إن تكلمت بكلمة فأنت طالق" أو قال : "إن نطقت" أو قال : "إن تلفظت بلفظة" أو قال : "إن قلت قولا فأنت طالق" وجب أن يكون الحق في جميع هذه المسائل قول زفر

قولا واحدا ، والله أعلم.

هل يطلق الكلام على المهمل :

المسألة الثالثة عشرة : لفظ الكلمة والكلام هل يتناول المهمل أم لا ؟

منهم من قال يتناوله لأنه يصح أن يقال الكلام منه مهمل ومنه مستعمل ، ولأنه يصح أن يقال تكلم بكلام غير مفهوم ، ولأن ا لمهمل يؤثر في السمع فيكون معنى التأثير والكلام حاصلا فيه ، ومنهم من قال الكلمة والكلام مختصان بالمفيد ، إذ لو لم يعتبر هذا القيد لزم تجويز تسمية أصوات الطيور بالكلمة والكلام.

هل الأصوات الطبيعية تسمى كلاما :

المسألة الرابعة عشرة : إذا حصلت أصوات متركبة تركيبا يدل على المعاني إلا أن ذلك التركيب كان تركيبا طبيعيا لا وضعيا فهل يسمى مثل تلك الأصوات كلمة وكلاما ؟

مثل أن الإنسان عند الراحة أو الوجع قد يقول أخ ، وعند السعال قد يقول أح أح ، فهذه أصوات مركبة ، وحروف مؤلفة ، وهي دالة على معان مخصوصة ، لكن دلالتها على مدلولاتها بالطبع لا بالوضع ، فهل تسمى أمثالها كلمات ؟

وكذلك صوت القطا يشبه كأنه يقول قطا ، وصوت اللقلق يشبه كأنه يقول لق لق ، فأمثال هذه الأصوات هل تسمى كلمات ؟

اختلفوا فيه ، وما رأيت في الجانبين حجة معتبرة ، وفائدة هذا البحث تظهر فيما إذا قال : إن سمعت كلمة فعبدي حر ، فهل يترتب الحنث والبر على سماع هذه الألفاظ أم لا ؟

.

." <تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٩>

"السؤال الرابع : الهدى هو الذي بلغ في البيان والوضوح إلى حيث بين غيره ، والقرآن ليس كذلك ، فإن المفسرين ما يذكرون آية إلا وذكروا فيها أقوالا كثيرة متعارضة ، وما يكون كذلك لا يكون مبينا في نفسه فضلا عن أن يكون مبينا لغيره ، فكيف يكون هدى ؟

قلنا : من تكلم في التفسير بحيث يورد الأقوال المتعارضة ، ولا يرجح واحدا منها على الباقي يتوجه عليه هو هذا السؤال ، وأما نحن فقد رجحنا واحدا على البواقي بالدليل فلا يتوجه علينا هذا السؤال.

المسألة الرابعة : قال صاحب "الكشاف" : محل ﴿هدى للمتقين﴾ الرفع ؛ لأنه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع ﴿لا ريبا فيه ﴾ ، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المتقدم خبرا عنه ، ويجوز أن ينصب على الحال ، والعامل فيه

الإشارة ، أو الظرف ، والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذا المجال صفحا ، وأن يقال : إن قوله : ﴿الضآلين * الر ﴾ جملة برأسها ، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها ، و﴿ذالك الكتاب﴾ جملة ثانية ، و﴿لا ريبا فيه ﴾ ثالثة و﴿هدى للمتقين﴾ رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم ، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض ، والثانية متحدة بالأولى وهلم جرا إلى الثالثة ، والرابعة.

بيانه : أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدي به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال / فكان تقرير الجهة التحدي/ ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب ، فكان شهادة بكماله ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين ، فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله ، ثم لم يخل كل واحدة من هذه الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق من نكتة ، ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه ، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة ، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف ، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر ـ الذي هو هدى ـ موضع الوصف الذي هو هاد ، وإيراده منكرا.

اعلم أن فيه مسائل :

المسألة الأولى : قال صاحب الكشاف : ﴿الذين يؤمنون﴾ أما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة ، أو منصوب أو مدح مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون ، أو هم الذين ، وإما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه ﴿ أولئك على هدى﴾ فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا **غير تام** ، وإذا كان منقطعا كان وقفا تاما.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٥٨

المسألة الثانية : قال بعضهم : ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلواة ومما رزقناهم ينفقون﴾ يحتمل أن يكون كالتفسير لكونهم متقين ، وذلك لأن المتقي هو الذي يكون فاعلا للحسنات وتاركا للسيآت ، أما الفعل فأما أن يكون فعل القلب ـ وهو قوله : ﴿الذين يؤمنون﴾ ـ وأما أن يكون فعل الجوارح ، وأساسه الصلاة والزكاة والصدقة ؛ لأن العبادة أما أن تكون بدنية وأجلها الصلاة ، أو مالية ، وأجلها الزكاة ؛ ولهذا سمي الرسول عليه السلام : "الصلاة عماد الدين ، والزكاة قنطرة الإسلام" وأما الترك فهو داخل في الصلاة لقوله تعالى : ﴿اتل مآ أوحى إليك من الكتاب﴾ (العنكبوت : ٤٥) والأقرب أن لا تكون هذه الأشياء تفسيرا لكونهم متقين ؛ وذلك لأن كمال السعادة لا يحصل إلا بترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي ، فالترك هو التقوى ، والفعل إما فعل القلب ، وهو الإيمان ، أو فعل الجوارح ، وهو الصلاة والزكاة ، وإنما قدم التقوى الذي هو

الترك على الفعل الذي هو الإيمان والصلاة والزكاة ، لأن القلب كاللوح القابل لنقوش العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة ، واللروح يجب تطهيره أولا عن النقوش الفاسدة ، حتى يمكن إثبات النقوش الجيدة فيه ، وكذا القول في الأخلاق ، فلهذا السبب قدم التقوى وهو ترك ما لا ينبغي ، ثم ذكر بعده فعل ما ينبغي.

المسألة الثالثة : قال صاحب الكشاف : الإيمان إفعال من الأمن ، ثم يقال آمنه إذا صدقه ، وحقيقته آمنه من التكذيب والمخالفة ، وأما تعديته بالباء فلتضمنه معنى "أقر وأعترف" وأما ما حكى أبو زيد : ما آمنت أن أجد صحابة أي ماوثقت ، فحقيقته صرت ذا أمن ، أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في ﴿يؤمنون بالغيب﴾ أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق. وأقول : اختلف أهل القبلة في مسمى الإيمان في عرف الشرع ويجمعهم فرق أربع.

/

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٥٨

." <تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/١٩٤>

"الحجة الرابعة : أن للصوم فيه مدخلا ، ودم النسك لا يبدل بالصوم ، وإذا عرفت صحة ما ذكرنا فنقول : أن الله تعالى ألزم المكلف إتمام الحج في قوله : ﴿وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ وقد دللنا على أن حج التمتع غير تام ، فلهذا قال تعالى : ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ﴾ وذلك لأن تمتعكم يوقع نقصا في حجتكم فأجبروه بالهدي لتكمل به حجتكم فهذا معنى حسن مفهوم من سياق الآية وهو لا يتقرر إلا على مذهب الشافعي رضي الله عنه.

المسألة الثالثة : الدم الواجب بالتمتع : دم شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ، ولو تشارك ستة في بقرة أو بدنة جاز ، ووقت وجوبه بعدما أحرم بالحج ، لأن الفاء في قوله : ﴿فما استيسر من الهدى ﴾ يدل على أنه وجب عقيب التمتع ، ويستحب أن يذبح يوم النحر ، فلو ذبح بعد ما أحرم بالحج جاز لأن التمتع قد تحقق ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يجوز ، وأصل هذا أن دم التمتع عندنا دم جبران كسائر دماء الجبرانات ، وعنده دم نسك كدم الأضحية فيختص / بيوم النحر.

أما قوله تعالى : ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ فالمعنى أن المتمتع إن وجد الهدي فلا كلام وإن لم يجد فقد بين الله تعالى بدله من الصيام ، فلهذا الهدي أفضل أم الصيام ؟

الظاهر أن يكون المبدل الذي هو الأصل أفضل ، لكنه تعالى بين في هذا البدل أنه في الكمال والثواب كالهدي وهو كقوله : ﴿تلك عشرة كاملة ﴾ وفي الآية مسائل :

المسألة الأولى : الآية نص فيما إذا لم يجد الهدي ، والفقهاء قاسوا عليه ما إذا وجد الهدي ولم يجد ثمنه ، أو كان ماله غائبا ، أو يباع بثمن غال فهنا أيضا يعدل إلى الصوم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٦

المسألة الثانية : قوله : ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ أي فعليه ثلاثة أيام وقت اشتغاله بالحج ويتفرع عليه مسألة فقهية ، وهي أن المتمتع إذا لم يجد الهدي لا يصح صومه بعد إحرام العمرة قبل إحرام الحج ، وقال أبو حنيفة رحمه الله : يصح حجة الشافعي رضي الله عنه من وجوه الأول : أنه صام قبل وقته فلا يجوز كمن صام رمضان قبله ، وكما إذا صام السبعة أيام قبل الرجوع وإنما قلنا : إنه صام قبل وقته ، لأن الله تعالى قال : ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ وأراد به إحرام الحج ، لأن سائر أفعال الحج لا تصلح ظرفا للصوم ، والإحرام يصلح فوجب حمله عليه الثاني : أن ما قبل الإحرام بالحج ليس بوقت للهدي الذي هو أفضل ، فكذا لا يكون وقتا للصوم الذي هو بدله اعتبار بسائر الأصول والإبدال ، وتحقيقه أن البدل حال عدم الأصل يقوم مقامه فيصير في الحكم كأنه الأصل ، فلا يجوز أن يحصل في وقت لو وجد الأصل لم يجز إذا عرفت هذا فنقول : اتفقوا على أنه يجوز بعد الشروع في الحج إلى يوم النحر والأصح أنه لا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق لقوله عليه الصلاة والسلام : "ولا تصوموا في هذه الأيام" والمستحب أن يصوم في أيام الحج حيث يكون يوم عرفة مفطرا.

المسألة الثالثة : اختلفوا في المراد من الرجوع في قوله : ﴿إذا رجعتم ﴾ فقال الشافعي رضي الله عنه في "الجديد" : هو الرجوع إلى الأهل والوطن ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : المراد من الرجوع الفراغ من أعمال الحج والأخذ في الرجوع ، ويتفرع عليه أنه إذا صام الأيام السبعة بعد الرجوع عن الحج ، وقبل الوصية إلى بيته ، لا يجزيه عند الشافعي رضي الله عنه ، ويجزيه عند أبي حنيفة رحمه الله ، حجة الشافعي وجوه الأول : قوله : ﴿إذا رجعتم ﴾ معناه إلى الوطن ، فإن الله تعالى جعل الرجوع إلى الوطن شرطا وما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط والرجوع إلى الوطن لا يحصل إلا عند الانتهاء إلى الوطن فقبله لم يوجد الشرط فوجب أن لا يوجد المشروط ويتأكد ما قلنا بأنه لو مات قبل الوصول إلى الوطن لم يكن عليه شيء الثاني : ما روي عن ابن عباس قال : لما قدمنا مكة قال النبي صلى الله عليه وسلم : "اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدي" فطفنا / بالبيت وبالصفا والمروة ، وأتينا النساء ، ولبسنا الثياب ، ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج ، فلما فرغنا قال : "عليكم الهدي فإن لم تجدوا فصيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم إلى إمصاركم" الثالث : أن الله تعالى أسقط الصوم عن المسافر في رمضان. فصوم التمتع أخف شأنا منه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٦

المسألة الرابعة : قرأ ابن أبي عبلة ﴿سبعة﴾ بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل : فصيام ثلاثة أيام ، كقوله : ﴿أو إطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما﴾ (البلد : ١٤).

." <تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٨١٥>

"والجواب من وجهين الأول : أن علة الذلة والغضب والمسكنة هي الكفر وقتل الأنبياء ، وعلة الكفر وقتل الأنبياء هي المعصية ، وذلك لأنهم لما توغلوا في المعاصي والذنوب فكانت ظلمات المعاصي تتزايد حالا فحالا ، ونور الإيمان يضعف حالا فحالا ، ولم يزل كذلك إلى أن بطل نور الإيمان وحصلت ظلمة الكفر ، وإليه الإشارة بقوله ﴿كلا بلا ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (المطففين : ١٤) فقوله ﴿ذالك بما عصوا ﴾ إشارة إلى علة العلة ولهذا المعنى قال أرباب المعاملات ، من ابتلي بترك الآداب وقع في ترك السنن ، ومن ابتلي بترك السنن وقع في ترك الفريضة ، ومن ابتلي بترك الفريضة وقع في استحقار الشريعة ، ومن ابتلي بذلك وقع في الكفر الثاني : يحتمل أن يريد بقوله ﴿ذالك بأنهم كانوا يكفرون﴾ من تقدم منهم ، ويريد بقوله ﴿ذالك بما عصوا ﴾ من حضر منهم في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا لا يلزم التكرار ، فكأنه تعالى بين علة عقوبة من تقدم ، ثم بين أن من تأخر لما تبع من تقدم كان لأجل معصيته وعداوته مستوجبا لمثل عقوبتهم حتى يظهر للخلق أن ما أنزله الله بالفريقين من البلاء والمحنة ليس إلا من باب العدل والحكمة.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٠٨

.

في الآية مسائل :

المسألة الأولى : اعلم أن في قوله ﴿ليسوا سوآء ﴾ قولين أحدهما : أن قوله ﴿ليسوا سوآء ﴾ كلام تام ، وقوله ﴿من أهل الكتاب أمة قآئمة﴾ كلام مستأنف لبيان قوله ﴿ليسوا سوآء ﴾ كما وقع قوله ﴿تأمرون بالمعروف﴾ (آل عمران : ١١٠) بيانا لقوله ﴿كنتم خير أمة﴾ (آل عمران : ١١٠) والمعنى أن أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم /ليسوا سواء ، وهو تقرير لما تقدم من قوله ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ ، ثم ابتدأ فقال : ﴿من أهل الكتاب أمة قآئمة﴾ وعلى هذا القول احتمالان أحدهما : أنه لما قال : ﴿من أهل الكتاب أمة قآئمة﴾ كان تمام الكلام أن يقال : ومنهم أمة مذمومة ، إلا أنه أضمر ذكر الأمة المذمومة على مذهب العرب من أن ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الضد الآخر وتحقيقه أن الضدين يعلمان معا ، فذكر أحدهما يستقل بإفادة العلم بهما ، فلا جرم يحسن إهمال الضد الآخر.

قال أبو ذؤيب :

دعاني إليها القلب إني لامرؤ

مطيع فلا أدري أرشد طلابها

أراد (أم غي) فاكتفى بذكر الرشد عن ذكر الغي ، وهذا قول الفراء وابن الأنباري ، وقال الزجاج : لا حاجة إلى إضمار الأمة المذمومة ، لأن ذكر الأمة المذمومة قد جرى فيما قبل هذه الآيات فلا حاجة إلى إضمارها مرة أخرى ، لأنا قد ذكرنا أنه لما كان العلم بالضدين معا كان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر ، وهذا كما يقال زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل دين زكي ، فيغني هذا عن أن يقال : وعبد الله ليس كذلك ، فكذا ههنا لما تقدم قوله ﴿ليسوا سوآء ﴾ أغنى ذلك عن الإضمار.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٠٨

والقول الثاني : أن قوله ﴿ليسوا سوآء ﴾ كلام **غير تام** ولا يجوز الوقف عنده ، بل هو متعلق بما بعده ، والتقدير : ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأمة مذمومة ، فأمة رفع بليس وإنما قيل ﴿ليسوا ﴾ على مذهب من يقول : أكلوني البراغيث ، وعلى هذا التقدير لا بد من إضمار الأمة المذمومة وهو اختيار أبي عبيدة إلا أن أكثر النحويين أنكروا هذا القول لاتفاق الأكثرين على أن قوله أكلوني البراغيث وأمثالها لغة ركيكة والله أعلم.

المسألة الثانية : يقال فلان وفلان سواء ، أي متساويان وقوم سواء ، لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع ومضى الكلام في ﴿سوآء ﴾ في أول سورة البقرة.

المسألة الثالثة : في المراد بأهل الكتاب قولان الأول : وعليه الجمهور : أن المراد منه الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام ، روي أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قال لهم بعض كبار اليهود : لقد كفرتم وخسرتم ، فأنزل الله تعالى لبيان فضلهم هذه الآية ، وقيل : إنه تعالى لما وصف أهل الكتاب في الآية المتقدمة بالصفات المذمومة ذكر هذه الآية لبيان أن كل أهل الكتاب ليسوا كذلك ، بل فيهم من يكون موصوفا بالصفات الحميدة والخصال المرضية ، قال الثوري : بلغني أنها نزلت في قوم كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء/ وعن عطاء : أنها نزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد عليه الصلاة والسلام.

." <تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/١٢٣٠>

"والوجه الثالث : أن السبب فيه أن كفار قريش ما كانوا أهل نظر وجدل بل كانوا يرجعون إلى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا يقولون : إنه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة بنقض الله تعالى عليهم كلامهم بإنزال الزبور على داود ، وقرأ حمزة : ﴿زبورا﴾ بضم الزاي ، وذكرنا وجه ذلك في آخر سورة (النساء : ١٦٣).

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٣٥٦

٣٥٨

اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة ، ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل والله تعالى احتج على بطلان قولهم في هذه الآية فقال : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ﴾ وليس المراد الأصنام لأنه تعالى قال في صفتهم : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ وابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام ألبتة.

إذا ثبت هذا فنقول : إن قوما عبدوا الملائكة فنزلت هذه الآية فيهم ، وقيل : إنها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيرا ، وقيل : إن قوما عبدوا نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن ، وبقي أولئك الناس متمسكين بعبادتهم فنزلت هذه الآية ، قال ابن عباس : كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه لفظ زعم فهو كذب ، ثم إنه تعالى احتج على فساد مذهب هؤلاء أن الإله المعبود هو الذي يقدر على إزالة الضرر ، وإيصال المنفعة ، وهذه الأشياء التي يعبدونها وهي الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع ، فوجب القطع بأنها ليست آلهة.

ولقائل أن يقول : هذا الدليل إنما يتم إذا دللتم على أن الملائكة لا قدرة لها على كشف الضر ولا على تحصيل النفع فما الدليل على أن الأمر كذلك حتى يتم دليلكم ؟

فإن قلتم : لأنا نرى أن أولئك الكفار كانوا يتضرعون إليها فلا تحصل الإجابة.

قلنا : معارضة لذلك قد نرى أيضا أن المسلمين يتضرعون إلى الله تعالى فلا تحصل الإجابة ، والمسلمون يقولون : إن القدر الحاصل من كشف الضر وتحصيل النفع إنما يحصل من الله تعالى لا من الملائكة ، وأولئك الكفار يقولون إنه يحصل من الملائكة لا من الله تعالى ، وعلى هذا التقدير فالدليل غير تام.

والجواب : أن الدليل تام كامل ، وذلك لأن الكفار كانوا مقرين بأن الملائكة/ عباد الله وخالق الملائكة ، وخالق العالم لا بد وأن يكون أقدر من الملائكة ، وأقوى منهم ، وأكمل حالا منهم.

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٣٥٨

وإذا ثبت هذا فنقول : كمال قدرة الله تعالى معلوم متفق عليه ، وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه ، بل المتفق عليه أن قدرتهم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى قليلة حقيرة ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الله تعالى أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة ، لأن كون الله مستحقا للعبادة معلوم ، وكون الملائكة كذلك مجهول والأخذ بالمعلوم أولى ، وأما أصحابنا المتكلمون من أهل السنة والجماعة فلهم في هذا الباب طريقة أخرى وهو أنهم يقيمون بالحجة العقلية على أنه لا موجد إلا الله تعالى ولا مخرج لشيء من العدم إلى الوجود إلا الله تعالى.

وإذا ثبت هذا ثبت أنه لا ضار ولا نافع إلا الله تعالى ، فوجب القطع بأنه لا معبود إلا الله تعالى ، وهذه الطريقة لا تتم للمعتزلة لأنهم لما ججوزوا كون العبد موجدا لأفعاله امتنع عليهم الاستدلال على أن الملائكة لا قدرة لها على الإحياء والإماتة وخلق الجسم. وإذا عجزوا عن ذلك لم يتم لهم هذا الدليل فهذا هو ذكر الدليل القاطع على صحة قوله : ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ والتحويل عبارة عن النقل من حال إلى حال ومكان إلى مكان يقال : حوله فتحول.

ثم قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ وفيه قولان : الأول : قال الفراء قوله : ﴿يدعون﴾ فعل الآدميين العابدين. وقوله : ﴿يبتغون﴾ فعل المعبودين ومعناه أولئك المعبودين يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، فإنه لا نزاع أن الملائكة يرجعون إلى الله في طلب المنافع ودفع المضار ويرجون رحمته ويخافون عذابه وإذا كان كذلك كانوا موصوفين بالعجز والحاجة ، والله تعالى أغنى الأغنياء فكان الاشتغال بعبادته أولى.

فإن قالوا : لا نسلم أن الملائكة محتاجون إلى رحمة الله وخائفون من عذابه ، فنقول : هؤلاء الملائكة إما أن يقال : إنها واجبة الوجود لذواتها ، أو يقال : ممكنة الوجود لذواتها ، والأول باطل لأن جميع الكفار كانوا معترفين بأن الملائكة عباد الله ومحتاجون إليه ، وأما الثاني فهو يوجب القول بكون الملائكة محتاجين في ذواتها وفي كمالاتها إلى الله تعالى ، فكان الاشتغال بعبادة الله أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة.

." <تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٢٨٢٢>

"واعلم أن هذا الكلام غير تام لأن الأشجار أطور من قامة الإنسان بل ينبغي أن يشترط فيه شرط/ وهو طول القامة مع استكمال القوة العقلية ، والقوى الحسية والحركية. ورابعها : قال بيان بحسن الصورة ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿وصوركم فأحسن صوركم ﴾ (غافر : ٦٤) لما ذكر الله تعالى خلقة الإنسان قال : ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وقال : ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ (البقرة : ١٣٨) وإن

شئت فتأمل عضوا واحدا من أعضاء الإنسان وهو العين فخلق الحدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم أحاط بذلك البياض سواد الأشفار ثم أحاط بذلك السواد بياض الأجفان ثم خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق بياض الجبهة سواد الشعر ، وليكن هذا المثال الواحد أنموذجا لك في هذا الباب. وخامسها : قال بعضهم من كرامات الآدمي أن آتاه الله الخط. وتحقيق الكلام في هذا الباب أن العلم الذي يقدر الإنسان على استنباطه يكون قليلا. أما إذا استنبط الإنسان علما وأودعه في الكتاب ، وجاء الإنسان الثاني واستعان بذلك الكتاب ، وضم إليه من عند نفسه أشياء أخرى ثم لا يزالون يتعاقبون ، ويضم كل متأخر مباحث كثيرة إلى علم المتقدمين كثرت العلوم وقويت الفضائل والمعارف وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية إلى أقصى الغايات وأكمل النهايات ، ومعلوم أن هذا الباب لا يتأتى إلا بواسطة الخط والكتبة ، ولهذه الفضيلة الكاملة قال تعالى : ﴿اقرأ وربك الاكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم﴾ . وسادسها : أن أجسام هذا العالم إما بسائط وإما مركبات ، أما البسائط فهي الأرض والماء / والهواء والنار. والإنسان ينتفع بكل هذه الأربع ، أما الأرض فهي لنا كالأم الحاضنة. قال تعالى : ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ (طه : ٥٥) وقد سماها الله تعالى بأسماء بالنسبة إلينا ، وهي الفراش والمهد ، والمهاد ، وأما الماء فانتفاعنا به في الشرب والزراعة والحراثة ظاهر ، وأيضا سخر البحر لنأكل منه لحما طريا ، ونستخرج منه حلية نلبسها ونرى الفلك مواخر فيه ، وأما الهواء فهو مادة حياتنا ، ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على هذه المعمورة ، وأما النار فيها طبخ الأغذية والأشربة ونضجها ، وهي قائمة مقام الشمس والقمر في الليالي المظلمة ، وهي الدافعة لضرر البرد كما قال الشاعر :

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٣٧٥

ومن يرد في الشتاء فاكهة

فإن نار الشتاء فاكهته

." <تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٢٨٣٣>

"والعامل فيه الإشارة أو الظرف والذي هو أرسخ عرقاً في البلاغة أن يضرب عن هذا المجال صفحاً وأن يقال إن قوله الضَّالّينَ الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و ذالِكَ الْكِتَابُ جملة ثانية و لاَ رَيْبَ فِيهِ ثالثة و هُدًى لّلْمُتَّقِينَ رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث

جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض والثانية متحدة بالأولى وهلم جراً إلى الثالثة والرابعة

بيانه أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدي به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقرير الجهة التحدي ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة بكماله ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله ثم لم يخل كل واحدة من هذه الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق من نكتة ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هادٍ وإيراده منكراً

اعلم أن فيه مسائل

المسألة الأولى قال صاحب الكشاف الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ أما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو منصوب أو مدح مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون أو هم الذين وإما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه أُوْلَائِكَ عَلَى هُدًى فإذا كان موصولاً كان الوقف على المتقين حسناً **غير تام** وإذا كان منقطعاً كان وقفاً تاماً

المسألة الثانية قال بعضهم الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلواةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ يحتمل أن يكون كالتفسير لكونهم متقين وذلك لأن المتقي هو الذي يكون فاعلاً للحسنات وتاركاً للسيآت أما الفعل فأما أن يكون فعل القلب وهو قوله الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وأما أن يكون فعل الجوارح وأساسه الصلاة والزكاة والصدقة لأن العبادة أما أن تكون بدنية وأجلها الصلاة أو مالية وأجلها الزكاة ولهذا سمي الرسول عليه السلام (الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام) وأما الترك فهو داخل في الصلاة لقوله تعالى اتْلُ مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ (العنكبوت ٤٥) والأقرب أن لا تكون هذه الأشياء تفسيراً لكونهم متقين وذلك لأن كمال السعادة لا يحصل إلا بترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي فالترك هو التقوى والفعل إما فعل القلب وهو الإيمان أو فعل الجوارح وهو الصلاة والزكاة وإنما قدم التقوى الذي هو الترك على الفعل الذي هو الإيمان والصلاة والزكاة لأن القلب كاللوح القابل لنقوش العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة واللوح يجب تطهيره أولاً عن النقوش الفاسدة حتى يمكن إثبات النقوش الجيدة فيه وكذا القول في الأخلاق فلهذا السبب قدم التقوى وهو ترك ما لا ينبغي ثم ذكر بعده فعل ما ينبغي

المسألة الثالثة قال صاحب الكشاف الإيمان إفعال من الأمن ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته." <تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٢٢/٢>

"جبران لأن المناسك كلها مؤقتة

الحجة الرابعة أن للصوم فيه مدخلاً ودم النسك لا يبدل بالصوم وإذا عرفت صحة ما ذكرنا فنقول أن الله تعالى ألزم المكلف إتمام الحج في قوله وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ وقد دللنا على أن حج التمتع **غير تام** فلهذا قال تعالى فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وذلك لأن تمتعكم يوقع نقصاً في حجتكم فأجبروه بالهدي لتكمل به حجتكم فهذا معنى حسن مفهوم من سياق الآية وهو لا يتقرر إلا على مذهب الشافعي رضي الله عنه

المسألة الثالثة الدم الواجب بالتمتع دم شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ولو تشارك ستة في بقرة أو بدنة جاز ووقت وجوبه بعدما أحرم بالحج لأن الفاء في قوله فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ يدل على أنه وجب عقيب التمتع ويستحب أن يذبح يوم النحر فلو ذبح بعد ما أحرم بالحج جاز لأن التمتع قد تحقق وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يجوز وأصل هذا أن دم التمتع عندنا دم جبران كسائر دماء الجبرانات وعنده دم نسك كدم الأضحية فيختص بيوم النحر

أما قوله تعالى فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فالمعنى أن المتمتع إن وجد الهدي فلا كلام وإن لم يجد فقد بين الله تعالى بدله من الصيام فلهذا الهدي أفضل أم الصيام الظاهر أن يكون المبدل الذي هو الأصل أفضل لكنه تعالى بين في هذا البدل أنه في الكمال والثواب كالهدي وهو كقوله تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ وفي الآية مسائل

المسألة الأولى الآية نص فيما إذا لم يجد الهدي والفقهاء قاسوا عليه ما إذا وجد الهدي ولم يجد ثمنه أو كان ماله غائباً أو يباع بثمن غال فهنا أيضاً يعدل إلى الصوم

المسألة الثانية قوله فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أي فعليه ثلاثة أيام وقت اشتغاله بالحج ويتفرع عليه مسألة فقهية وهي أن المتمتع إذا لم يجد الهدي لا يصح صومه بعد إحرام العمرة قبل إحرام الحج وقال أبو حنيفة رحمه الله يصح حجة الشافعي رضي الله عنه من وجوه الأول أنه صام قبل وقته فلا يجوز كمن صام رمضان قبله وكما إذا صام السبعة أيام قبل الرجوع وإنما قلنا إنه صام قبل وقته لأن الله تعالى قال فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وأراد به إحرام الحج لأن سائر أفعال الحج لا تصلح طرفاً للصوم والإحرام يصلح فوجب حمله عليه الثاني أن ما قبل الإحرام بالحج ليس بوقت للهدي الذي هو أفضل فكذا لا يكون وقتاً للصوم الذي هو بدله اعتبار بسائر الأصول والإبدال وتحقيقه أن البدل حال عدم الأصل يقوم مقامه فيصير في الحكم كأنه الأصل فلا يجوز أن يحصل في وقت لو وجد الأصل لم يجز إذا عرفت هذا فنقول اتفقوا على أنه يجوز بعد الشروع في الحج إلى يوم النحر والأصح أنه لا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق لقوله عليه الصلاة والسلام (ولا تصوموا في

هذه الأيام) والمستحب أن يصوم في أيام الحج حيث يكون يوم عرفة مفطراً

المسألة الثالثة اختلفوا في المراد من الرجوع في قوله إِذَا رَجَعْتُمْ فقال الشافعي رضي الله عنه في (الجديد) هو الرجوع إلى الأهل والوطن وقال أبو حنيفة رضي الله عنه المراد من الرجوع الفراغ من." <تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٥/١٣٢>

"لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاٌّ خِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَائِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ

في الآية مسائل

المسألة الأولى اعلم أن في قوله لَيْسُواْ سَوَاء قولين أحدهما أن قوله لَيْسُواْ سَوَاء كلام تام وقوله مّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ كلام مستأنف لبيان قوله لَيْسُواْ سَوَاء كما وقع قوله تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ (آل عمران ١١٠) بياناً لقوله كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ (آل عمران ١١٠) والمعنى أن أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم ليسوا سواء وهو تقرير لما تقدم من قوله مّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ثم ابتدأ فقال مّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ وعلى هذا القول احتمالان أحدهما أنه لما قال مّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ كان تمام الكلام أن يقال ومنهم أمة مذمومة إلا أنه أضمر ذكر الأمة المذمومة على مذهب العرب من أن ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الضد الآخر وتحقيقه أن الضدين يعلمان معاً فذكر أحدهما يستقل بإفادة العلم بهما فلا جرم يحسن إهمال الضد الآخر

قال أبو ذؤيب دعاني إليها القلب إني لامرؤ

مطيع فلا أدري أرشد طلابها

أراد (أم غي) فاكتفى بذكر الرشد عن ذكر الغي وهذا قول الفراء وابن الأنباري وقال الزجاج لا حاجة إلى إضمار الأمة المذمومة لأن ذكر الأمة المذمومة قد جرى فيما قبل هذه الآيات فلا حاجة إلى إضمارها مرة أخرى لأنا قد ذكرنا أنه لما كان العلم بالضدين معاً كان ذكر أحدهما مغنياً عن ذكر الآخر وهذا كما يقال زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل دين زكي فيغني هذا عن أن يقال وعبد الله ليس كذلك فكذا ههنا لما تقدم قوله لَيْسُواْ سَوَاء أغنى ذلك عن الإضمار

والقول الثاني أن قوله لَيْسُواْ سَوَاء كلام **غير تام** ولا يجوز الوقف عنده بل هو متعلق بما بعده والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأمة مذمومة فأمة رفع بليس وإنما قيل لَّيْسُواْ على مذهب من يقول أكلوني البراغيث وعلى هذا التقدير لا بد من إضمار الأمة المذمومة وهو اختيار أبي عبيدة إلا أن أكثر النحويين

أنكروا هذا القول لاتفاق الأكثرين على أن قوله أكلوني البراغيث وأمثالها لغة ركيكة والله أعلم
المسألة الثانية يقال فلان وفلان سواء أي متساويان وقوم سواء لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع ومضى الكلام في سَوَآء في أول سورة البقرة." <تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٨/١٦٣>

"بعبادتهم فنزلت هذه الآية قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه لفظ زعم فهو كذب
ثم إنه تعالى احتج على فساد مذهب هؤلاء أن الإله المعبود هو الذي يقدر على إزالة الضرر وإيصال المنفعة وهذه الأشياء التي يعبدونها وهي الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بأنها ليست آلهة
ولقائل أن يقول هذا الدليل إنما يتم إذا دللتم على أن الملائكة لا قدرة لها على كشف الضر ولا على تحصيل النفع فما الدليل على أن الأمر كذلك حتى يتم دليلكم فإن قلتم لأنا نرى أن أولئك الكفار كانوا يتضرعون إليها فلا تحصل الإجابة
قلنا معارضة لذلك قد نرى أيضاً أن المسلمين يتضرعون إلى الله تعالى فلا تحصل الإجابة والمسلمون يقولون إن القدر الحاصل من كشف الضر وتحصيل النفع إنما يحصل من الله تعالى لا من الملائكة وأولئك الكفار يقولون إنه يحصل من الملائكة لا من الله تعالى وعلى هذا التقدير فالدليل غير تام
والجواب أن الدليل تام كامل وذلك لأن الكفار كانوا مقرين بأن الملائكة عباد الله وخالق الملائكة وخالق العالم لا بد وأن يكون أقدر من الملائكة وأقوى منهم وأكمل حالاً منهم
وإذا ثبت هذا فنقول كمال قدرة الله تعالى معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه أن قدرتهم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى قليلة حقيرة وإذا كان كذلك وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الله تعالى أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة لأن كون الله مستحقاً للعبادة معلوم وكون الملائكة كذلك مجهول والأخذ بالمعلوم أولى وأما أصحابنا المتكلمون من أهل السنة والجماعة فلهم في هذا الباب طريقة أخرى وهو أنهم يقيمون بالحجة العقلية على أنه لا موجد إلا الله تعالى ولا مخرج لشيء من العدم إلى الوجود إلا الله تعالى
وإذا ثبت هذا ثبت أنه لا ضار ولا نافع إلا الله تعالى فوجب القطع بأنه لا معبود إلا الله تعالى وهذه الطريقة لا تتم للمعتزلة لأنهم لما جوزوا كون العبد موجداً لأفعاله امتنع عليهم الاستدلال على أن الملائكة لا قدرة لها على الإحياء والإماتة وخلق الجسم وإذا عجزوا عن ذلك لم يتم لهم هذا الدليل فهذا هو ذكر الدليل القاطع على صحة قوله لاَّ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً والتحويل عبارة عن النقل من حال إلى حال ومكان

إلى مكان يقال حوله فتحول

ثم قال تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ وفيه قولان الأول قال الفراء قوله يَدَّعُونَ فعل الآدميين العابدين وقوله يَبْتَغُونَ فعل المعبودين ومعناه أولئك المعبودين يبتغون إلى ربهم الوسيلة فإنه لا نزاع أن الملائكة يرجعون إلى الله في طلب المنافع ودفع المضار ويرجون رحمته ويخافون عذابه وإذا كان كذلك كانوا موصوفين بالعجز والحاجة والله تعالى أغنى الأغنياء فكان الاشتغال بعبادته أولى

فإن قالوا لا نسلم أن الملائكة محتاجون إلى رحمة الله وخائفون من عذابه فنقول هؤلاء الملائكة إما أن يقال إنها واجبة الوجود لذواتها أو يقال ممكنة الوجود لذواتها والأول باطل لأن جميع الكفار كانوا." <تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١٨٥/٢٠>

"الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي وتقرير هذه الفضيلة في النفس الإنسانية هي أن النفس الإنسانية قواها الأصلية ثلاث وهي الأغتذاء والنمو والتوليد والنفس الحيوانية لها قوتان الحساسة سواء كانت ظاهرة أو باطنة والحركة بالاختيار فهذه القوى الخمسة أعني الاغتذاء والنمو والتوليد والحس والحركة حاصلة للنفس الإنسانية ثم إن النفس الإنسانية مختصة بقوة أخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله تعالى ويشرق فيها ضوء كبريائه وهو الذي يطلع على أسرار عالمي الخلق والأمر ويحيط بأقسام مخلوقات الله من الأرواح والأجسام كما هي وهذه القوة من تلقيح الجواهر القدسية والأرواح المجردة الإلهية فهذه القوة لا نسبة لها في الشرف والفضل إلى تلك القوى النباتية والحيوانية وإذا كان الأمر كذلك ظهر أن النفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في هذا العالم وإن أردت أن تعرف فضائل القوة العقلية ونقصانات القوى الجسمية فتأمل ما كتبناه في هذا الكتاب في تفسير قوله تعالى اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ (النور ٣٥) فإنا ذكرنا هناك عشرين وجهاً في بيان أن القوة العقلية أجل وأعلى من القوة الجسمية فلا فائدة في الإعادة وأما بيان أن البدن الإنساني أشرف أجسام هذا العالم فالمفسرون إنما ذكروا في تفسير قوله تعالى وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ هذا النوع من الفضائل وذكروا أشياء أحدها روى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ قال كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم فإنه يأكل بيديه وقيل إن الرشيد أحضرت عنده أطعمة فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في التفسير عن جدك في قوله تعالى وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فرد الملاعق وأكل بأصابعه وثانيها قال الضحاك بالنطق والتمييز وتحقيق الكلام أن من عرف شيئاً فأما أن يعجز عن تعريف غيره كونه عارفاً بذلك الشيء أو يقدر على هذا التعريف

أما القسم الأول فهو حال جملة الحيوانات سوى الإنسان فإنه إذا حصل في باطنها ألم أو لذة فإنها تعجز عن تعريف غيرها تلك الأحوال تعريفاً تاماً وافيا

وأما القسم الثاني فهو الإنسان فإنه يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه ووقف عليه وأحاط به فكونه قادراً على هذا النوع من التعريف هو المراد بكونه ناطقاً وبهذا البيان ظهر أن الإنسان الأخرس داخل في هذا الوصف لأنه وإن عجز عن تعريف غيره ما في قلبه بطريق اللسان فإنه يمكنه ذلك بطريق الإشارة وبطريقة الكتابة وغيرهما ولا يدخل فيه الببغاء لأنه وإن قدر على تعريفات قليلة فلا قدرة له على تعريف جميع الأحوال على سبيل الكمال والتمام وثالثها قال عطاء بامتداد القامة

واعلم أن هذا الكلام **غير تام** لأن الأشجار أطور من قامة الإنسان بل ينبغي أن يشترط فيه شرط وهو طول القامة مع استكمال القوة العقلية والقوى الحسية والحركية ورابعها قال بيان بحسن الصورة والدليل عليه قوله تعالى وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ (غافر ٦٤) لما ذكر الله تعالى خلقة الإنسان قال فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ وقال صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً (البقرة ١٣٨) وإن شئت فتأمل عضواً واحداً من أعضاء الإنسان وهو العين فخلق الحدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم أحاط بذلك البياض سواد الأشفار ثم أحاط بذلك السواد بياض الأجفان ثم خلق فوق بياض." <تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١١/٢١>

"

فاتحة الكتاب هي أم الكتاب، لا تصلح الصلاة بدونها، فأنت في كل ركعة تستطيع أن تقرأ آية من القرآن الكريم، تختلف عن الآية التي قرأتها في الركعة السابقة، وتختلف عن الآيات التي قرأتها في صلواتك.. ولكن إذا لم تقرأ الفاتحة فسدت الصلاة، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم القرآن فهي خداج ثلاثا **غير تام** " أي غير صالحة.

فالفاتحة أم الكتاب التي لا تصلح الصلاة بدونها، والله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسي: " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل.. فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين. قال الله عز وجل حمدني عبدي. فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل: أثنى علي عبدي، فإذا قال مالك يوم الدين،

قال الله عز وجل مجدني عبدي.. فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله عز وجل هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.. وإذا قال: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ".

وعلينا أن نتنبه ونحن نقرأ هذا الحديث القدسي ان الله تعالى يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، ولم يقل قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي، ففاتحة الكتاب هي أساس الصلاة، وهي أم الكتاب.

نلاحظ ان هناك ثلاثة أسماء لله قد تكررت في بسم الله الرحمن الرحيم، وفي فاتحة الكتاب، وهذه الاسماء هي: الله. والرحمن والرحيم. نقول أن ليس هناك تكرار في القرآن الكريم، وإذا تكرر اللفظ يكون معناه في كل مرة مختلفا عن معناه في المرة السابقة، لأن المتكلم هو الله سبحانه وتعالى.. ولذلك فهو يضع اللفظ في مكانه الصحيح، وفي معناه الصحيح..

قولنا: ﴿ بسم الله الرحمان الرحيم ﴾ هو استعانة بقدرة الله حين نبدأ فعل الأشياء.. إذن فلفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ في بسم الله، معناه الاستعانة بقدرات الله سبحانه وتعالى وصفاته. لتكون عونا لنا على ما نفعل. ولكن إذا قلنا: الحمد لله.. فهي شكر لله على ما فعل لنا. ذلك اننا لا نستطيع أن نقدم الشكر لله إلا إذا استخدمنا لفظ الجلالة. الجامع لكل صفات الله تعالى. لأننا نحمده على كل صفاته ورحمته بنا حتى لا نقول باسم القهار وباسم الوهاب وباسم الكريم، وباسم الرحمن.. نقول الحمد لله على كمال صفاته، فيشمل الحمد كمال الصفات كلها.

وهناك فرق بين ﴿ بسم الله ﴾ الذي نستعين به على ما لا قدرة لنا عليه.. لأن الله هو الذي سخر كل ما في الكون، وجعله يخدمنا، وبين ﴿ الحمد لله ﴾ فإن لفظ الجلالة إنما جاء هنا لنحمد الله على ما فعل لنا.

فكأن " بسم الله في البسملة " طلب العون من الله بكل كمال صفاته.. وكأن الحمد لله في الفاتحة تقديم الشكر لله بكل كمال صفاته.

و ﴾ الرحمان الرحيم ﴿ في البسملة لها معنى غير ﴾ الرحمان الرحيم ﴿ في الفاتحة، ففي البسملة هي تذكرنا برحمة الله سبحانه وتعالى وغفرانه حتى لا نستحي ولا نهاب أن نستعين باسم الله ان كنا قد فعلنا معصية.. فالله سبحانه وتعالى يريدنا أن نستعين باسمه دائما في كل اعمالنا. فإذا سقط واحد منا في معصية، قال كيف استعين باسم الله، وقد عصيته؟ نقول له ادخل عليه سبحانك وتعالى من باب الرحمة.. فيغفر لك وتستعين به فيجيبك.

وانت حين تسقط في معصية تستعيذ برحمة الله من عدله، لأن عدل الله لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها.

وأقرأ قول الله تعالى:﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هاذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾[الكهف: ٤٩] ولولا رحمة الله التي سبقت عدله. ما بقي للناس نعمة وما عاش أحد على ظهر الأرض.. فالله جل جلاله يقول:﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دآبة ولاكن يؤخرهم إلىا أجل مسمىا فإذا جآء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾[النحل: ٦١] فالانسان خلق ضعيفا، وخلق هلوعا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يدخل أحدكم الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته، قالوا: حتى أنت يا رسول الله قال: حتى أنا ".

فذنوب الانسان في الدنيا كثيرة.. إذا حكم فقد يظلم. وإذا ظن فقد يسئ.. وإذا تحدث فقد يكذب.. وإذا شهد فقد يبتعد عن الحق.. وإذا تكلم فقد يغتاب.

هذه ذنوب نرتكبها بدرجات متفاوتة. ولا يمكن لأحد منا ان ينسب الكمال لنفسه حتى الذين يبذلون اقصى جهدهم في الطاعة لا يصلون الى الكمال، فالكمال لله وحده. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ".

ويصف الله سبحانه وتعالى الانسان في القرآن الكريم:﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾[إبراهيم: ٣٤] ولذلك أراد الحق سبحانه وتعالى ألا تمنعنا المعصية عن ان ندخل الى كل عمل باسم الله.. فعلمنا أن نقول: ﴿ بسم الله الرحمان الرحيم ﴾ لكي نعرف أن الباب مفتوح للاستعانة بالله. وأن المعصية لا تمنعنا من الاستعانة في كل عمل باسم الله.. لأنه رحمن رحيم، فيكون الله قد أزال وحشتك من المعصية في الاستعانة به سبحانه وتعالى.

ولكن الرحمن الرحيم في الفاتحة مقترنة برب العالمين، الذي أوجدك من عدم.. وأمدك بنعم لا تعد ولا تحصى. انت تحمده على هذه النعم التي أخذتها برحمة الله سبحانه وتعالى في ربوبيته، ذلك أن الربوبية ليس فيها من القسوة بقدر ما فيها من رحمة.

والله سبحانه وتعالى رب للمؤمن والكافر، فهو الذي استدعاهم جميعا الى الوجود. ولذلك فإنه يعطيهم من النعم برحمته.. وليس بما يستحقون.. فالشمس تشرق على المؤمن والكافر.. ولا تحجب أشعتها عن الكافر

وتعطيها للمؤمن فقط، والمطر ينزل على من يعبدون الله. ومن يعبدون أوثانا من دون الله. والهواء يتنفسه من قال لا إله إلا الله ومن لم يقلها.

وكل النعم التي هي من عطاء الربوبية لله هي في الدنيا لخلقه جميعا، وهذه رحمة.. فالله رب الجميع من أطاعه ومن عصاه. وهذه رحمة، والله قابل للتوبة، وهذه رحمة..

إذن ففي الفاتحة تأتي ﴿ الرحمان الرحيم ﴾ بمعنى رحمة الله في ربوبيته لخلقه، فهو يمهل العاصي ويفتح ابواب التوبة لكل من يلجأ اليه.

وقد جعل الله رحمته تسبق غضبه. وهذه رحمة تستوجب الشكر. فمعنى ﴿ الرحمان الرحيم ﴾ في البسملة يختلف عنها في الفاتحة. فإذا انتقلنا بعد ذلك الي قوله تعالى:

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فالله محمود لذاته ومحمود لصفاته، ومحمود لنعمه، ومحمود لرحمته، ومحمود لمنهجه، ومحمود لقضائه، الله محمود قبل ان يخلق من يحمده. ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل الشكر له في كلمتين اثنتين هما الحمد لله.

والعجيب أنك حين تشكر بشرا على جميل فعله تظل ساعات وساعات.. تعد كلمات الشكر والثناء، وتحذف وتضيف وتأخذ رأي الناس. حتى تصل الى قصيدة أو خطاب ملئ بالثناء والشكر. ولكن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته وعظمته نعمه لا تعد ولا تحصى، علمنا أن نشكره في كلمتين اثنتين هما: الحمد لله..

ولعلنا نفهم ان المبالغة في الشكر للبشر مكروهة لأنها تصيب الانسان بالغرور والنفاق وتزيد العاصي في معاصيه.. فلنقلل من الشكر والثناء للبشر.. لأننا نشكر الله لعظيم نعمه علينا بكلمتين هما: الحمد لله، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه علمنا صيغة الحمد. فلو أنه تركها دون أن يحددها بكلمتين.. لكان من الصعب على البشر أن يجدوا الصيغة المناسبة ليحمدوا الله على هذا الكمال الالهي.. فمهما أوتي الناس من بلاغة وقدرة على التعبير. فهم عاجزون على أن يصلوا الى صيغة الحمد التي تليق بجلال المنعم.. فكيف نحمد الله والعقل عاجز أن يدرك قدرته أو يحصي نعمه أو يحيط برحمته؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانا صورة العجز البشري عن حمد كمال الالوهية لله، فقال: " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ".

وكلمتا الحمد لله، ساوى الله بهما بين البشر جميعا، فلو أنه ترك الحمد بلا تحديد، لتفاوتت درجات الحمد بين الناس بتفاوت قدراتهم على التعبير. فهذا أمي لا يقرأ ولا يكتب لا يستطيع أن يجد الكلمات التي

يحمد بها الله. وهذا عالم له قدرة على التعبير يستطيع ان يأتي بصيغة الحمد بما أوتي من علم وبلاغة. وهكذا تتفاوت درجات البشر في الحمد.. طبقا لقدرتهم في منازل الدنيا.

ولكن الحق تبارك وتعالى شاء عدله أن يسوي بين عباده جميعا في صيغة الحمد له.. فيعلمنا في أول كلماته في القرآن الكريم.. أن نقول ﴿ الحمد لله ﴾ ليعطي الفرصة المتساوية لكل عبيده بحيث يستوي المتعلم وغير المتعلم في عطاء الحمد ومن أوتي البلاغة ومن لا يحسن الكلام.

ولذلك فإننا نحمد الله سبحانه وتعالى على أنه علمنا كيف نحمده وليظل العبد دائما حامدا. ويظل الله دائما محمودا.. فالله سبحانه وتعالى قبل أن يخلقنا خلق لنا موجبات الحمد من النعم، فخلق لنا السماوات والارض وأوجد لنا الماء والهواء. ووضع في الأرض أقواتها الى يوم القيامة.. وهذه نعمة يستحق الحمد عليها لأنه جل جلاله جعل النعمة تسبق الوجود الانساني، فعندما خلق الانسان كانت النعمة موجودة تستقبله. بل ان الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم أبا البشر جميعا سبقته الجنة التي عاش فيها لا يتعب ولا يشقى. فقد خلق فوجد ما يأكله وما يشربه وما يقيم حياته وما يتمتع به موجودا وجاهزا ومعدا قبل الخلق.. وحينما نزل آدم وحواء الى الأرض كانت النعمة قد سبقتهما. فوجدا ما يأكلانه وما يشربانه، وما يقيم حياتهما.. ولو أن النعمة لم تسبق الوجود الانساني وخلقت بعده لهلك الانسان وهو ينتظر مجيء النعمة.

بل ان العطاء الالهي للانسان يعطيه النعمة بمجرد أن يخلق في رحم أمه فيجد رحما مستعدا لاستقباله وغذاء يكفيه طول مدة الحمل. فاذا خرج الى الدنيا يضع الله في صدر أمه لبنا ينزل وقت أن يجوع ويمتنع وقت أن يشبع. وينتهي تماما عندما تتوقف فترة الرضاعة. ويجد أبا وأما يوفران له مقومات حياته حتى يستطيع أن يعول نفسه.. وكل هذا يحدث قبل ان يصل الانسان إلى مرحلة التكليف وقبل أن يستطيع ان ينطق: ﴿ الحمد لله ﴾.

وهكذا نرى أن النعمة تسبق المنعم عليه دائما.. فالانسان حيث يقول " الحمد لله " فلأن موجبات الحمد ـ وهي النعمة ـ موجودة في الكون قبل الوجود الانساني.

والله سبحانه وتعالى خلق لنا في هذا الكون أشياء تعطي الانسان بغير قدرة منه ودون خضوع له، والانسان عاجز عن أن يقدم لنفسه هذه النعم التي يقدمها الحق تبارك وتعالى له بلا جهد.

فالشمس تعطي الدفء والحياة للارض بلا مقابل وبلا فعل من البشر، والمطر ينزل من السماء دون ان يكون لك جهد فيه أو قدرة على إنزاله. والهواء موجود حولك في كل مكان تتنفس منه دون جهد منك ولا قدرة. والأرض تعطيك الثمر بمجرد أن تبذر فيها الحب وتسقيه.. فالزرع ينبت بقدرة الله.. والليل والنهار

يتعاقبان حتى تستطيع أن تنام لترتاح، وأن تسعى لحياتك.. لا أنت أتيت بضوء النهار، ولا أنت الذي صنعت ظلمة الليل، ولكنك تأخذ الراحة في الليل والعمل في النهار بقدرة الله دون أن تفعل شيئا.

كل هذه الاشياء لم يخلقها الانسان، ولكنه خلق ليجدها في الكون تعطيه بلا مقابل ولا جهد منه. ألا تستحق أن نقول الحمد لله على نعمة تسخير الكون لخدمة الانسان؟ إنها تقتضي وجوب الحمد.

وآيات الله سبحانه وتعالى في كونه تستوجب الحمد.. فالحياة التي وهبها الله لنا، والآيات التي أودعها في كونه لتدلنا على أن لهذا الكون خالقا عظيما. فالكون بشمسه وقمره ونجومه وأرضه وكل ما فيه مما يفوق قدرة الانسان.. ولا يستطيع أحد أن يدعيه لنفسه. فلا أحد مهما بلغ علمه يستطيع أن يدعي أنه خلق الشمس أو أوجد النجوم أو وضع الأرض أو وضع قوانين الكون أو أعطى غلافها الجوي.. أو خلق نفسه أو خلق غيره.

هذه الآيات كلها أعطتنا الدليل على وجود قوة عظمى، وهي التي أوجدت وهي التي خلقت.. وهذه الآيات ليست ساكنة، لتجعلنا في سكونها ننساها، بل هي متحركة لتلفتنا الي خالق هذا الكون العظيم.

فالشمس تشرق في الصباح فتذكرنا باعجاز الخلق، وتغيب في المساء لتذكرنا بعظمة الخالق.. وتعاقب الليل والنهار يحدث أمامنا كل يوم علمنا نلتفت ونفيق.. والمطر ينزل من السماء ليذكرنا بألوهية من أنزله.. والزرع يخرج من الأرض يسقي بماء واحد. ومع ذلك فإن كل نوع له لون وله شكل وله مذاق وله رائحة، وله تكوين يختلف عن الآخر، ويأتي الحصاد فيختفي الثمر والزرع.. ويأتي موسم الزراعة فيعود من جديد.

كل شيء في هذا الكون متحرك ليذكرنا اذا نسينا، ويعلمنا أن هناك خالقا عظيما.

ونستطيع أن نمضي في ذلك بلا نهاية فنعم الله لا تعد ولا تحصى.. وكل واحدة منها تدلنا على وجود الحق سبحانه وتعالى، وتعطينا الدليل الايماني على ان لهذا الكون خالقا مبدعا.. وانه لا أحد يستطيع أن يدعي أنه خلق الكون أو خلق ما فيه.. فالقضية محسومة لله.. و ﴿ الحمد لله ﴾ لأنه وضع في نفوسنا الإيمان الفطري ثم أيده بإيمان عقلي بآياته في كونه.

بل إن كل شيء في هذا الكون يقتضي الحمد، ومع ذلك فإن الانسان يمتدح الوجود وينسى الموجود!! فأنت حين ترى زهرة جميلة مثلا أو زهرة غاية في الإبداع.

. أو أي خلق من خلق الله يشيع في نفسك الجمال تمتدح هذا الخلق.. فتقول: ما أجمل هذه الزهرة أو هذه الجوهرة أو هذا المخلوق.. ولكن المخلوق الذي امتدحته، لم يعط صفة الجمال لنفسه.. فالزهرة لا دخل لها أن تكون جميلة أو غير جميلة، والجوهرة لا دخل لها في عظمة خلقها.. وكل شيء في هذا الكون لم يضع

الجمال لنفسه وانما الذي وضع الجمال فيه هو الله سبحانه وتعالى، فلا نخلط ونمدح المخلوق وننسى الخالق.. بل قل: الحمد لله الذي أوجد في الكون ما يذكرنا بعظمة الخالق ودقة الخلق.

ومنهج الله سبحانه وتعالى يقتضي منا الحمد، لان الله أنزل منهجه ليرينا طريق الخير ويبعدنا عن طريق الشر.

فمنهج الله الذي أنزله على رسله قد عرفنا ان الله تبارك وتعالى هو الذي خلق لنا هذا الكون وخلقنا.. فدقة الخلق وعظمته تدلنا على أن هناك خالقا عظيما.. ولكنها لا تستطيع أن تقول لنا من هو، ولا ماذا يريد منا. ولذلك أرسل الله رسله، ليقولوا لنا إن الذي خلق هذا الكون وخلقنا هو الله تبارك وتعالى وهذا يستوجب الحمد.

ومنهج الله بين لنا ماذا يريد الحق منا، وكيف نعبده.. وهذا يستوجب الحمد. ومنهج الله جل جلاله أعطانا الطريق وشرع لنا اسلوب حياتنا تشريعا حقا.. فالله تبارك وتعالى لا يفرق بين أحد منا.. ولا يفضل أحدا على احد إلا بالتقوى، فكلنا خلق متساوون أمام الله جل جلاله..

إذن: فشريعة الحق، وقول الحق، وقضاء الحق، هو من الله، أما تشريعات الناس فلها هوى، تميز بعضا عن بعض.. وتأخذ حقوق بعض لتعطيها للآخرين، لذلك نجد في كل منهج بشرى ظلما بشريا.

فالدول الشيوعية أعضاء اللجنة المركزية فيها هم أصحاب النعمة والترف. بينما الشعب كله في شقاء.. لأن هؤلاء الذي شرعوا اتبعوا هواهم. ووضعوا مصالحهم فوق كل مصلحة.. وكذلك في الدول الرأسمالية. أصحاب رأس المال يأخذون كل الخير. ولكن الله سبحانه وتعالى حين نزل لنا المنهج قضى بالعدل بين الناس.. وأعطى كل ذي حق حقه. وعلمنا كيف تستقيم الحياة على الأرض عندما تكون بعيدة عن الهوى البشري خاضعة لعدل الله، وهذا يوجب الحمد.

والحق سبحانه وتعالى، يستحق منا الحمد لأنه لا يأخذ منا ولكنه يعطينا. فالبشر في كل عصر يحاولون استغلال البشر.. لأنهم يطمعون لما في ايديهم من ثروات وأموال، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج الى ما في أيدينا، إنه يعطينا ولا يأخذ منا، عنده خزائن كل شيء مصداقا لقوله جل جلاله:﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾[الحجر: ٢١] فالله سبحانه وتعالى دائم العطاء لخلقه، والخلق يأخذون دائما من نعم الله، فكأن العبودية لله تعطيك ولا تأخذ منك وهذا يستوجب الحمد.

.

والله سبحانه وتعالى في عطائه يجب أن يطلب منه الانسان، وأن يدعوه وان يستعين به، وهذا يتوجب الحمد لأنه يقينا الذل في الدنيا. فأنت إن طلبت شيئا من صاحب نفوذ، فلابد ان يحدد لك موعدا أو وقت الحديث ومدة المقابلة، وقد يضيق بك فيقف لينهي اللقاء.. ولكن الله سبحانه وتعالى بابه مفتوح دائما.. فأنت بين يديه عندما تريد، وترفع يديك الى السماء وتدعو وقتما تحب، وتسأل الله ما تشاء، فيعطيك ما تريده إن كان خيرا لك.. ويمنع عنك ما تريده ان كان شرا لك.

والله سبحانه وتعالى يطلب منك ان تدعوه وان تسأله فيقول:﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾[غافر: ٦٠] ويقول سبحانه وتعالى:﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾[البقرة: ١٨٦] والله سبحانه وتعالى يعرف ما في نفسك، ولذلك فإنه يعطيك دون أن تسأل. واقرأ الحديث القدسي: يقول رب العزة:

" من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ".

والله سبحانه وتعالى عطاؤه لا ينفد، وخزائنه لا تفرغ، فكلما سألته جل جلاله كان لديه المزيد، ومهما سألته فإنه لا شيء عزيز على الله سبحانه وتعالى، إذا أراد أن يحققه لك..

واقرأ قول الشاعر:حسب نفسي عزا بأنني عبد يحتفي بي بلا مواعيد ربهو في قدسه الاعز ولكن أنا ألقى متى وأين أحبإذن: عطاء الله سبحانه وتعالى يستوجب الحمد.. ومنعه العطاء يستوجب الحمد.

ووجود الله سبحانه وتعالى الواجب الوجود يستوجب الحمد.. فالله يستحق الحمد لذاته، ولولا عدل الله لبغى الناس في الارض وظلموا، ولكن يد الله تبارك وتعالى حين تبطش بالظالم تجعله عبرة.. فيخاف الناس الظلم.. وكل من أفلت من عقاب الدنيا على معاصيه وظلمه واستبداده سيلقى الله في الاخرة ليوفيه حسابه.. وهذا يوجب الحمد.. أن يعرف المظلوم أنه سينال جزاءه فتهدأ نفسه ويطمئن قلبه ان هناك يوما سيرى فيه ظالمه وهو يعذب في النار.. فلا تصيبه الحسرة، ويخف احساسه بمرارة الظلم حين يعرف ان الله قائم على كونه لن يفلت من عدله أحد.

وعندما نقول: ﴿ الحمد لله ﴾ فنحن نعبر عن انفعالات متعددة.. وهي في مجموعها تحمل العبودية والحب والثناء والشكر والعرفان.. وكثير من الانفعالات التي تملأ النفس عندما تقول: " الحمد لله "كلها تحمل الثناء العاجز عن الشكر لكمال الله وعطائه.. هذه الانفعالات تأتي من النفس وتستقر في القلب.. ثم تفيض من الجوارح على الكون كله.

.

فالحمد ليس ألفاظا تردد باللسان، ولكنها تمر أولا على العقل ليعي معنى النعم.. ثم بعد ذلك تستقر في القلب فينفعل بها.. وتنتقل الي الجوارح فأقوم واصلي لله شاكرا ويهتز جسدي كله، وتفيض الدمعة من عيني.. وينتقل هذا الانفعال كله الي من حولي.

ونفسر ذلك قليلا.. هب انني في أزمة أو كرب أو شيء سيؤدي الي فضيحة.. وجاءني من يفرج كربي فيعطيني مالا أو يفتح لي طريقا.. أول شيء انني سأعقل هذا الجميل فأقول انه يستحق الشكر.. ثم ينزل هذا المعنى الي قلبي فيهتز القلب الي صانع هذا الجميل.. ثم تنفعل جوارحي لأترجم هذه العاطفة إلي عمل يرضيه على جميل صنعه. ثم أحدث الناس عن جميله وكرمه فيسارعون إلي الالتجاء اليه.. فتتسع دائرة الحمد وتنزل النعم على الناس.. فيمرون بنفس ما حدث لي فتتسع دائرة الشكر والحمد..

والحمد لله تعطينا المزيد من نعم الله مصداقا لقوله تبارك وتعالى:﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾[إبراهيم: ٧] وهكذا نعرف ان الشكر على النعمة يعطينا مزيدا من النعمة.. فنشكر عليها فتعطينا المزيد وهكذا يظل الحمد دائما والنعمة دائمة.. اننا لو استعرضنا حياتنا كلها فكل حركة فيها تقتضي الحمد، عندما ننام ويأخذ الله سبحانه وتعالى أرواحنا، ثم يردها الينا عندما نستيقظ، فإن هذا يوجب الحمد، فالله سبحانه وتعالى يقول:﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضا عليها الموت ويرسل الأخرىا إلىا أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[الزمر: ٤٢] وهكذا فإن مجرد استيقاظنا من النوم، وان الله سبحانه وتعالى رد علينا أرواحنا، وهذا الرد يستوجب الحمد، فإذا قمنا من السرير فالله سبحانه وتعالى هو الذي يعطينا القدرة على الحركة، ولولا عطاؤه ما استطعنا ان نقوم.. وهذا يستوجب الحمد.. فإذا تناولنا افطارنا فالله هيأ لنا طعاما من فضله، فهو الذي خلقه، وهو الذي انبته، وهو الذي زرقنا به، وهذا يستوجب الحمد..

فإذا نزلنا الى الطريق يسر الله لنا ما ينقلنا الى مقر اعمالنا وسخره لنا، سواء كنا نملك سيارة او نستخدم وسائل المواصلات، فله الحمد، واذا تحدثنا مع الناس فالله سبحانه وتعالى هو الذي اعطى السنتنا القدرة على النطق ولو شاء لجعلها خرساء لا تنطق.. وهذا يستوجب الحمد، فإذا ذهبنا الى أعمالنا، فالله يسر لنا عملا نرتزق منه لنأكل حلالا.. وهذا يستوجب الحمد..

واذا عدنا الى بيوتنا فالله سخر لنا زوجاتنا ورزقنا بأولادنا وهذا يستوجب الحمد.

اذن فكل حركة حياة في الدنيا من الانسان تستوجب الحمد.. ولهذا لابد ان يكون الانسان حامدا دائما.. بل ان الانسان يجب ان يحمد الله على اي مكروه أصابه؛ لأنه قد يكون الشيء الذي يعتبره شرا هو عينه الخير.

فالله تعالى يقول:﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النسآء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض مآ آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسا أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾[النساء: ١٩] اذن فأنت تحمد الله لأن قضاءه خير.. سواء أحببت القضاء أو كرهته فإنه خير لك.. لأنك لا تعلم والله سبحانه وتعالى يعلم.

وهكذا من موجبات الحمد أن تقول الحمد لله على كل ما يحدث لك في دنياك. فأنت بذلك ترد الامر الى الله الذي خلقك.. فهو أعلم بما هو خير لك.

فاتحة الكتاب تبدأ بالحمد لله رب العالمين.. لماذا قال الله سبحانه وتعالى رب العالمين؟ نقول إن ﴿ الحمد لله ﴾ تعني حمد الألوهية. فكلمة الله تعني المعبود بحق.. فالعبادة تكليف والتكليف يأتي من الله لعبيده.. فكأن الحمد اولا لله.. ثم يقتضي بعد ذلك أن يكون الحمد لربوبية الله على ايجادنا من عدم وامدادنا من عدم.. لأن المتفضل بالنعم قد يكون محمودا عند كل الناس.. لكن التكليف يكون شاقا على بعض الناس.. ولو علم الناس قيمة التكليف في الحياة.. لحمدوا الله أن كلفهم بافعل ولا تفعل.. لأنه ضمن عدم تصادم حركة حياتهم.. فتمضي حركة الحياة متساندة منسجمة. اذن فالنعمة الاولى هي أن المعبود ابلغنا منهج عبادته، والنعمة الثانية أنه رب العالمين.

في الحياة الدنيا هناك المطيع والعاصي، والمؤمن وغير المؤمن.. والذين يدخلون في عطاء الالوهية هم المؤمنون.. أما عطاء الربوبية فيشمل الجميع.. ونحن نحمد الله على عطاء ألوهيته، ونحمد الله على عطاء ربوبيته، لأنه الذي خلق، ولأنه رب العالمين.. الكون كله لا يخرج عن حكمه.. فليطمئن الناس في الدنيا ان النعم مستمرة لهم بعطاء ربوبيه.. فلا الشمس تستطيع أن تغيب وتقول لن أشرق ولا النجوم تستطيع أن تصطدم بعضها ببعض في الكون، ولا الأرض تستطيع أن تمنع إنبات الزرع.. ولا الغلاف الجوي يستطيع أن يبتعد عن الأرض فيختنق الناس جميعا..

اذن فالله سبحانه وتعالى يريد ان يطمئن عباده انه رب لكل ما في الكون فلا تستطيع اى قوى تخدم الانسان ان تمتنع عن خدمته.. لأن الله سبحانه وتعالى مسيطر على كونه وعلى كل ما خلق.. انه رب العالمين وهذه توجب الحمد.. ان يهيئ الله سبحانه وتعالى للانسان ما يخدمه، بل جعله سيدا في كونه.. ولذلك فإن

الانسان المؤمن لا يخاف الغد.. وكيف يخافه والله رب العالمين. اذا لم يكن عنده طعام فهو واثق ان الله سيرزقه لأنه رب العالمين.

. واذا صادفته ازمة فقلبه مطمئن الي ان الله سيفرج الازمة ويزيل الكرب لأنه رب العالمين.. واذا اصابته نعمة ذكر الله فشكره عليها لانه رب العالمين الذي انعم عليه.

فالحق سبحانه وتعالى يحمد على انه رب العالمين.. لا شيء في كونه يخرج عن مراده الفعلي.. اما عطاء الالوهية فجزاؤه في الاخرة.. فالدنيا دار اختبار للايمان، والاخرة دار الجزاء.. ومن الناس من لا يعبد الله.. هؤلاء متساوون في عطاء الربوبية مع المؤمنين في الدنيا.. ولكن في الآخرة يكون عطاء الالوهية للمؤمنين وحدهم.. فنعم الله لأصحاب الجنة، وعطاءات الله لمن آمن.. واقرأ قوله تبارك وتعالى.﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾[الأعراف: ٣٢] على ان الحمد لله ليس في الدنيا فقط.. بل هو في الدنيا والاخرة.. الله محمود دائما.. في الدنيا بعطاء ربوبيته لكل خلقه.. وعطاء الوهيته لمن آمن به وفي الاخرة بعطائه للمؤمنين من عباده.. واقرأ قوله جل جلاله:﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشآء فنعم أجر العاملين ﴾[الزمر: ٧٤] وقوله تعالى:﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾[يونس: ١٠] فاذا انتقلنا الى قوله تعالى: ﴿ الرحمان الرحيم ﴾ فمن موجبات الحمد أن الله سبحانه وتعالى رحمن رحيم.. يعطي نعمه في الدنيا لكل عباده عطاء ربوبية، وعطاء الربوبية للمؤمن والكافر.. وعطاء الربوبية لا ينقطع الا عندما يموت الانسان..

والله لا يحجب نعمه عن عبيده في الدنيا.. ونعم الله لا تعد ولا تحصى ومع كل التقدم في الآلات الحاسبة والعقول الالكترونية وغير ذلك فإننا لم نجد أحدا يتقدم ويقول انا سأحصي نعم الله.. لأن موجبات الاحصاء ان تكون قادرا عليه.. فانت لا تقبل على عد شيء الا اذا كان في قدرتك ان تحصيه.. ولكن مادام ذلك خارج قدرتك وطاقاتك فانك لا تقبل عليه.. ولذلك لن يقبل احد حتى يوم القيامة على احصاء نعم الله تبارك وتعالى لان احدا لا يمكن ان يحصيها.

ولابد ان نلتفت الى ان الكون كله يضيق بالانسان، وان العالم المقهور الذي يخدمنا بحكم القهر والتسخير يضيق حين يرى العاصين.. لان المقهور مستقيم على منهج الله قهرا.. فحين يرى كل مقهور الانسان الذي هو خدمته عاصيا يضيق.

واقرأ الحديث القدسي لتعرف شيئا عن رحمة الله بعباده.. يقول الله عز وجل: " ما من يوم تطلع شمسه إلا وتنادي السماء تقول يا رب إئذن لي أن أسقط كسفا على ابن آدم؛ فقد طعم خيرك ومنع شكرك وتقول البحار يا رب إئذن لي أن أغرق ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك. وتقول الجبال يا رب إئذن لي أن أطبق على ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك. فيقول الله تعالى: دعوهم دعوهم لو خلقتموهم لرحمتوهم إنهم عبادي فإن تابوا إلي فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم "

رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ".

تلك تجليات صفة الرحمن وصفة الرحيم.. وكيف ضمنت لنا بقاء كل ما يخدمنا في هذا الكون مع معصية الانسان.. انها كلها تخدمنا بعطاء الربوبية وتبقى في خدمتنا بتسخير الله لها لانه رحمن رحيم..

بعض الناس قد يتساءل هل تتكلم الارض والسماء وغيرها من المخلوقات في عالم الجماد والنبات والحيوان؟ نقول نعم ان لها لغة لا نعرفها نحن وانما يعرفها خالقها.. بدليل انه منذ الخلق الاول ابلغنا الحق تبارك وتعالى ان هناك لغة لكل هذه المخلوقات.. واقرأ قوله جل جلاله:﴿ ثم استوىا إلى السمآء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتآ أتينا طآئعين ﴾[فصلت: ١١] إذن فالأرض والسماء فهمت كلتاهما عن الله.. وقالت له سبحانه وتعالى ﴾ أتينا طآئعين ﴿ ألم يعلم الله سليمان منطق الطير ولغة النمل؟ ألم تسبح الجبال مع داود؟ إذن كل خلق الله له ادراكات مناسبة له.. بل له عواطف.. فعندما تكلم الله سبحانه وتعالى عن قوم فرعون.. قال:﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين * فما بكت عليهم السمآء والأرض وما كانوا منظرين ﴾[الدخان: ٢٥-٢٩] اذن فالسماوات والارض لهما انفعال.. انفعال يصل الى مرحلة البكاء.. فهما لم تبكيا على فرعون وقومه.. ولكنهما تبكيان حزنا عندما يفارقهما الانسان المؤمن المصلي المطبق لمنهج الله.. ولقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: (إذا مات المؤمن بكى عليه موضعان موضع في الارض وموضع في السماء.. اما الموضع في الارض فهو مكان مصلاه الذي اسعده وهو يصلي فيه. واما الموضع في السماء فهو مصعد عمله الطيب).

." <تفسير الشعراوي، ص/٢>

"قال ابن عباس : يعني أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له . وقال الحسن : أعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين وذلك أنهم قدّروا أنه لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة فقد مات . وروي أن السامري قال لهم : إن موسى لن يرجع وإنه قد مات . وروي أنهم عدوا عشرين يوماً بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا

ما أحدثوا . وقال الكلبي ، أعجلتم عبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم . وقال عطاء : أعجلتم سخط ربكم . وفي الكشاف : يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال : عجلت الأمر ومعنى : أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به ﴿ وألقى الألواح ﴾ التي فيها التوراة لما لحقه من الدهش والضجر غضباً لله . عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « يرحم الله أخي موسى ما الخبر كالمعاينة » لقد أخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف أن ما أخبره به حق وأنه مع ذلك متمسك بما في يده . وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي سبع واحد ، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة . قال في التفسير الكبير : إلقاء الألواح ثابت بالقرآن ، فأما إلقاؤها بحيث تكسرت فلا وإنه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالأنبياء . وأقول : الجراءة تحصل بنفس الإلقاء لا بالتكسر الذي لا يتعلق باختياره فكل ما يجعل عذراً عن نفس الإلقاء يصح أن يجعل عذراً عن التكسر ﴿ وأخذ برأس أخيه ﴾ أي بشعر رأسه يجره إليه بذؤابته . واعلم أن موسى عليه السلام كان في نفسه حديداً شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانباً ولذلك كان أحبّ إلى بني إسرائيل من موسى . وقد استتبع غضبه أمرين : أحدهما إلقاء الألواح والآخر أخذ رأس أخيه جار إليه ، فزعم مثبتو عصمة الأنبياء أنه جر برأس أخيه إلى نفسه ليسارّه ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لأجل الإهانة والاستخفاف ، ثم إن هارون خاف أن يتوهم جهال بني إسرائيل أن موسى فعل ما فعل به إهانة ﴿ فقال يا ابن أم ﴾ من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم ، ومن فتحها فتشبيهاً بخمسة عشر لكثرة الاستعمال أو على الألف المبدلة من ياء الإضافة . وإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أن أمهما واحدة على ما روي أنه كان أخاه لأمه ليكون أدعى إلى العطف والرقة لأنها كانت مؤمنة فافتخر . بنسبها ولأنها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ﴿ إن القوم استضعفوني ﴾ استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة أنصاري ﴿ وكادوا يقتلونني ﴾ حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها ﴿ فلا تشمت بي الأعداء ﴾ العابدي العجل فإنهم يحملون هذا لذي تفعل بي على الإهانة لا على الإكرام ﴿ ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ في اشتراك العقوبة والإذلال ، ولا تعتقد أني واحد منهم .." <تفسير النيسابوري، ٤/٦>

"العموم ، فإن الله – تعالى – وصفة بكونه هدى من غير تقييد في اللفظ ، مع أنه يستحيل أن يكون هدى في إثبات الصانع ، وصفاته ، وإثبات النبوة ، فثبت أن المطلق لا يفيد العموم.

السؤال الرابع : الهدى هو الذي بلغ في البيان والوضوح إلى حيث بين غيره ، والقرآن ليس كذلك ، فإن المفسرين ما ذكروا آية إلا وذكروا فيها أقوالا كثيرة متعارضة ، ويؤيد هذا قوله : ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾

[النحل : ٤٤].

وما يكون كذلك لا يكون مبينا في نفسه ، فضلا عن أن يكون مبينا لغيره ، فكيف يكون هدى ؟ قلنا : من تكلم في التفسير بحيث يورد الأقوال المتعارضة ، ولا يرجح واحدا منها على الباقي يتوجه عليه السؤال ، وأما من رجح واحدا على البواقي فلا يتوجه عليه السؤال.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٥١

" الذين " يحتمل الرفع والنصب والجر ، والظاهر الجر ، وهو من ثلاثة أوجه :

٢٧٩

أظهرها : أنه نعت لـ " المتقين ".

والثاني : بدل.

والثالث : عطف بيان.

وأما الرفع فمن وجهين : أحدهما : أنه خبر مبتدأ محذوف على معنى القطع ، وقد تقدم.

والثاني : أنه مبتدأ ، وفي خبره قولان : أحدهما : " أولئك " الأولى.

والثاني : " أولئك " الثانية ، والواو زائدة ، وهذان القولان منكران ؛ لأنه قوله : " والذين يؤمنون " يمنع كونه " أولئك " الأولى خبرا أيضا.

وقولهم : الواو زائدة لا يلتفت إليه.

والنصب على القطع.

و " يؤمنون " صلة وعائد.

قال الزمخشري : " فإذا كان موصولا كان الوقف على " المتقين " حسنا غير تام ، وإذا كان منقطعا كان واقفا تاما ".

وهو مضارع علامة رفعه " النون " ؛ لأنه أحد الأمثلة الخمسة وهي عبارة عن كل فعل مضارع اتصل به " ألف " اثنين ، أو " واو " جمع ، أو " ياء " مخاطبة ، نحو : " يؤمنان – تؤمنان – يؤمنون – تؤمنون – تؤمنين ".

والمضارع معرب أبدا ، إلا أن يباشر نون توكيد أو إناث ، على تفصيل ياتي إن شاء الله – تعالى – في غضون هذا الكتاب.

وهو مضارع " أمن " بمعنى : صدق ، و " آمن " مأخوذ من " أمن " الثلاثي ، فالهمزة في " أمن " للصيرورة

نحو : " أعشب المكان " أي : صار ذا عشب.

أو لمطاوعة فعل نحو : "كبه فأكب " ، وإنما تعدى بالباء ، لنه ضمن معنى اعترف ، وقد يتعدى باللام كقوله تعالى : ﴿ومآ أنت بمؤمن لنا﴾ [يوسف : ١٧] ، ﴿فمآ آمن لموسى ﴾ يونس : ٨٣] إلا أن في ضمن التعدية باللام التعدية بالباء ، فهذا فرق ما بين التعديتين.

وأصل " يؤمنون " : " يؤأمنون " بهمزتين : الأولى : همزة " أفعل ".

والثاني فاء الكلمة ، حذفت الولى ؛ لأن همزة " أفعل " تحذف بعد حرف المضارعة ، واسم فاعله ، ومفعوله نحو : طأكرم " و " يكرم " و " أنت مكرم ، ومكرم ".

وإنما حذفت ؛ لأنه في بعض المواضع تجتمع همزتان ، وذلك إذا كان حرف المضارعة همزة نحو : " أنا أكرم " ، الأصل : أأكرم بهمزتين ، الولى : للمضارعة والثانية : همزة أفعل ، فحذفت الثانية ؛ لأن بها حصل الثقل ؛ ولأن حرف المضارعة أولى بالمحافظة عليه ، ثم حصل باقي الباب على ذلك طردا للباب.

٢٨٠

ولا يجوز ثبوت همزة " أفعل " في شيء من ذلك إلا في ضرورة ؛ كقوله : [الرجز]

١١٩ - فإنه أهل لأن يؤكرما

وهمزة " يؤمنون " - وكذلك كل همزة ساكنة - يجوز أن تبدل بحركة ما قبلها ، فتبدل حرفا متجانسا نحو : " راس " و " بير " و " يومن " ، فإن اتفق أن يكون قبلها همزة أخرى وجب البدل نحو : " إيمان " و " آمن ".

فصل قال بعضهم : ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ يحتمل أن يكون كالتفسير لكونهم متقين ، وذلك لأن المتقي هو الذي يكون فاعلا للحسنات وتاركا للسيئات ، أما الفعل فإما أن يكون فعل القلب وهو قوله : " الذين يؤمنون ".

وإما أن يكون فعل الجوارح ، أساسه الصلاة والصدقة ؛ لأن العبادة إما أن تكون بدنية ، وأصلها الصلاة ، أو مالية وأصلها الزكاة ، ولهذا سمى الرسول عليه الصلاة والسلام : " الصلاة عماد الدين ، والزكاة قنطرة الإسلام " أما الترك فهو داخل في الصلاة ، لقوله تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشآء والمنكر﴾ [العنكبوت : ٤٥] واختلف الناسي في مسمى الإيمان في عرف الشرع على أربع فرق : الفرقة الاولى : قالوا : الإيمان اسم لأفعال القلوب ، والجوارح ، والإقرار باللسان ، وهم المعتزلة والخوارج والزيدية ، وأهل الحديث.

أما الخوارج فقد اتفقوا على أن الإيمان بالله يتناول المعرفة بالله ، وبكل ما وضع عليه دليلا عقليا ، أو نقليا

من الكتاب والسنة ، ويتناول طاعة الله في جميع ما أمر الله به من الأفعال والتروك صغيرا كان أو كبيرا.
فقالوا : مجموع هذه الأشياء هو الإيمان ، وترك كل خصلة من هذه الخصال كفر ،
٢٨١
." <تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٩>

"وابن وثاب وابن مصرف والجحدري والأعمش ، وأيوب ، وباقي السبعة بياء الغيبة فيهما ، " ربنا " رفعا ، وهي قراءة الحسن ، ومجاهد ، والأعرج وشيبة وأبي جعفر.
فالنصب على أنه منادى ، وناسبه الخطاب ، والرفع على أنه فاعل ، فيجوز أن يكون هذا الكلام صدر من جمسعهم على التعاقب ، أو هذا من طائفة ، وهذا من طائفة ، فمن غلب عليه الخوف ، وقوي على المواجهة ؛ خاطب مستقيلا من ذنبه ، ومن غلب عليه الحياء أخرج كلامه مخرج المستحي من الخطاب ؛ فأسند الفعل إلى الغائب.
قال المفسرون : وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم.
قوله تعالى : ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ : هذان حالان من " موسى " عند من يجيز تعدد الحال ، وعند من لا يجيزه يجعل " أسفا " حالا من الضمير المستتر في " غضبان " ، فتكون حالا متداخلة ، أو يجعلها بدلا من الأولى ، وفيه نظر لعسر إدخاله في أقسام البدل.
وأقرب ما يقال : إنه بدل بعض من كل إن فسرنا الأسف بالشديد الغضب ، وهو قول أبي الدرداء وعطاء عن ابن عباس ، واختيار الزجاج ، واحتجوا بقوله : ﴿فلمآ آسفونا انتقمنا منهم﴾ [الزخرف : ٥٥] أي : اغضبونا ، أو بدل اشتمال إن فسرناه بالحزين.
وهو قول ابن عباس والحسن ، والسدي ، ومنه قوله : [المديد] ٢٥٧٨ - غير مأسوف على زمن
ينقضي بالهم والحزن
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٨
٣٢١
وقالت عائشة - رضي الله عنها - : إن أبا بكر رجل أسيف أي : حزين.
قال الواحدي : " والقولان متقاربان ؛ لأن الغضب من الحزن ، والحزن من الغضب " ؛ قال : [البسيط]
٢٥٧٩ - ....

فحزن كل أي حزن أخو الغضب

وقال الأعشى : [الطويل] ٢٥٨٠ - أرى رجلا منهم أسيفا كأنما

يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

فهذا بمعنى : غضبان ، وحديث عائشة يدل على أنه : الحزين ، فلما كانا متقاربين في المعنى صحت البدلية.

ويقال : رجل أسف : إذا قصد ثبوت الوصف واستقراره ، فإن قصد به الزمان جآء على فاعل.

فصل اختلفوا في هذه الحال.

فقيل : إنه عند هجومه عليهم ، عرف ذلك.

وقال أبو مسلم : بل كان عارفا بذلك من قبل ؛ لقوله تعالى : ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ وإنما كان راجعاص قبل وصوله إليهم.

وقال تعالى - لموسى عليه الصلاة والسلام - في حال المكالمة ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ [طه : ٥٨].

٣٢٢

قوله : قال بئسما هذا جواب " لما " وتقدم الكلام على " بئسما " ، ولكن المخصوص بالذم محذوف ، والفاعل مستتر يفسره " ما خلفتموني " والتقدير : بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم.

فصل فإن قيل : ما معنى قوله : " من بعدي " بعد قوله " خلفتموني " ؟ فالجواب : معناه : من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ، ونفي الشركاء ، وإخلاص العبادة له ، أو من بعد ما كتب : احمل بني إسرائيل على التوحيد ، وامنعهم من عبادة البقر حين قالوا : ﴿اجعل لنآ إلاها كما لهم آلهة﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، ومن حق الخفاء أن يسيروا سيرة المستخلفين.

قوله : ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ : في " أمر " وجهان ، أحدهما : أنه منصوب على المفعول بعد إسقاط الخافض ، وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بنفسه ، والأصل : أعجلتم عن أمر ربكم.

قال الزمخشري : يقال : عجل عن الأمر : ذا تركه غير تام ، ونقيضه تم عليه ، وأعجله عنه غيره ، ويضمن معنى " سبق " فيتعدى تعديته.

فيقال : عجلت الأمر ، والمعنى : " أعجلتم عن أمر ربكم ".

والثاني : أنه متعد بنفسه غير مضمن معنى آخر ، حكى يعقوب عجلت الشيء سبقته ، وأعجلت الرجل : استعجلته ، أي : حملته على العجلة.

فصل قال الواحدي : " معنى العجلة : التقدم بالشيء قبل وقته ، ولذلك صارت مذمومة والسرعة غر

مذمومة ، لأن معناها : عمل الشيء في أول أوقاته ".
ولقائل أن يقول : لو كانت العجلة مذمومة فلم قال موسى : ﴿وعجلت إليك رب لترضى ﴾ [طه : ٨٤].
قال ابن عباس : معنى ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ يعني : ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن : وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين ، وذلك أنهم قدروا أنه إن لم يأت على رأس الثلاثين ، فقد مات.
وقال عطاء : يريد أعجلتم سخط ربكم.
وقال الكلبي : أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم.
٣٢٣
." <تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٤٤٢>
"زعمتموهم بلهة ، وحذفهما اختصارا جائزا ، واقتصارا فيه خلاف.
فصل في سبب نزول الآية قال المفسرون : إن المشركين أصابهم قحط شديد ؛ حتى أكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم ، قال الله تعالى ﴿قل﴾ للمشركين ﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ أنها آلهة من دونه.
واعلم أنه ليس المراد الأصنام ؛ لأنه تعالى قال في صفتهم : ﴿أولائك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [الإسراء : ٥٧] وابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام البتة ، وإذا ثبت هذا ، فنقول : إن قوما عبدوا الملائكة ، فنزلت هذه الآية فيهم.
وقال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد : إنها نزلت في الذين عبدوا المسيح ، وعزيرا ، والملائكة ، و الشمس ، والقمر ، والنجوم.
وقيل : إن قوما عبدوا نفرا من الجن ، فأسلم النفر ، وبقي أولئك الناس متمسكين بعبادتهم ، فنزلت فيهم الآية.
قال ابن عباس : كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم ، فهو كذب.
ثم إنه تعالى احتج على فساد مذهب هؤلاء بأن الإله المعبود هو القادر على إزالة الضرر ، وإيصال النفع وهذه الأشياء التي يعبدونها ، وهي الملائكة ، والجن ، والمسيح ، وعزير لا يقدرون على كشف الضر ، ولا على تحصيل النفع ، فما الدليل على أن الأمر كذلك ؟ فإن قلتم : لأنا نرى أولئك الكفار يتضرعون إليها ، ولا تحصل الإجابة.
قلنا : ونرى أيضا المسلمين يتضرعون إلى الله تعالى ، ولا تحصل الإجابة والمسلمون يقولون بأجمعهم : إن

القدرة على كشف الضر ، وتحصيل النفع ليست إلا لله تعالى ، وعلى هذا التقدير ، فالدليل غير تام.

فالجواب : أن الدليل تام كامل ؛ لأن الكفار كانوا مقرين بأن الملائكة عباد الله تعالى ، وخالق الملائكة ، وخالق العالم لا بد وأن يكون أقدر من الملائكة ، وأقوى منهم ، وأكمل حالا منهم.

وإذا ثبت هذا ، فنقول : كمال قدرة الله معلوم متفق عليه ، وكمال قدرة غير الله غير معلوم ، ولا متفق عليه ، بل المتفق عليه أن قدرتهم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى قليلة حقيرة ، وإذا كان كذلك ، وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الله أولى من الاشتغال بعبادة

٣١٣

الملائكة ؛ لأن استحقاق الله العبادة معلوم ، وكون الملك كذلك مجهول ؛ والأخذ بالمعلوم أولى ، وسلك المتكلمون من أهل السنة طريقة أخرى ، وهو أنهم أقاموا الحجة العقلية على أنه لا موجد إلا الله تعالى ، ولا يخرج الشيء من العدم إلى الوجود إلا الله ، وإذا ثبت ذلك ثبت أنه لا ضار ولا نافع إلا الله تعالى ، فوجب القطع بأنه لا معبود إلا الله تعالى ، وهذه الطريقة لا تتم للمعتزلة ، لأنهم لما جوزوا كون العبد موجدا لأفعاله امتنع عليهم الاستدلال على أن الملائكة – عليهم السلام – لا قدرة لها على الإحياء والإماتة ، وخلق الجسم ، وإذا عجزوا عن ذلك ، لا يتم لهم هذا الدليل ، فهذا هو الدليل القاطع على صحة قوله : ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ ، والتحويل عبارة عن النقل من حال إلى حال ، ومن مكان إلى مكان ، يقال : حوله ، فتحول.

قوله تعالى : ﴿أولائك الذين يدعون﴾ : " أولئك " مبتدأ ، وفي خبره وجهان : أظهرهما : أنه الجملة من " يبتغون " ويكون الموصول نعتا ، أو بيانا أو بدلا ، والمراد باسم الإشارة الأنبياء أو الملائكة الذين عبدوا من دون الله ، والمراد بالواو العباد لهم ، ويكون العائد على " الذين " محذوفا ، والمعنى : أولئك الأنبياء الذين يدعونهم المشركون ، لكشف ضرهم – أو يدعونهم آلهة ، فمفعولها أو مفعولاها محذوفان – يبتغون.

ويجوز أن يكون المراد بالواو ما أريد بأولئك ، أي : أولئك الأنبياء الذين يدعون ربهم أو الناس إلى الهدى يبتغون ، فمفعول " يدعون " محذوف.

والثاني : أن الخبر نفس الموصول ، و " يبتغون " على هذا حال من فاعل " يدعون " أو بدل منه.

وقرأ العامة " يدعون " بالغيب ، وقد تقدم الخلاف في الواو ؛ هل تعود على الأنبياء أو على عابديهم ، وزيد بن علي بالغيبة أيضا ، إلا أنه بناه للمفعول ، وقتادة ، وابن مسعود بتاء الخطاب ، وهاتان القراءتان تقويان أن الواو للمشركين ، لا للأنبياء في قراءة العامة.

فسل إذا أعدنا " يدعون " للعابدين ، و " يبتغون " للمعبودين ، فالمعنى : أولئك المعبودون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ؛ لأن الملائكة يرجعون غلى الله في طلب المنافع ، ودفع المضار ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، وإذا كانوا كذلك ، كانوا عاجزين محتاجين ، والله – تعالى أغنى الأغنياء ، فكان الاشتغال [بعبادته] أولى.

فإن قيل : لا نسلم أن الملائكة محتاجون إلى رحمة الله تعالى ، وخائفون من عذابه.

٣١٤

." <تفسير اللباب لابن عادل .   ،   ص/٣٣٣٨>

"و لكن ايتوا عيسى فيقول انى عبدت من دون الله ولكن ايتوا محمدا فيأتون فانطلق معهم فاخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لى ويقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد والمجد فيقال ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل تسمع فذلك هو المقام المحمود – قال القرطبي رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم فيفزع الناس ثلاث فزعات انما ذلك والله اعلم حين يؤتى بالنار تجربا زمتها فإذا رات الخلائق تمحلت وسبقت – واخرج ابن خزيمة والطبراني بسند صحيح عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس – قال فذكر الحديث قال فيلقون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون اشفع لنا فيقول انا صاحبكم فيخرج حتى ينتهى إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة فى الباب فيقرع الباب فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح له حتى يقوم بين يدى الله فيسجد فنادى ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فذلك المقام المحمود – أورده **غير تام** وأخرجه ابن أبي حاتم فى السنة وابن أبي شيبة بتمامه فذكر الحديث بطوله وفى آخره فيشفع فى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من حنطة من ايمان أو مثقال شعيرة من ايمان أو مثقال حبة من خردلة من ايمان فذاك المقام المحمود – واخرج الطبراني عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيامة فاكون وأمتي على تل يوم القيامة فيكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فاثنى عليه بما هو اهله فذلك المقام المحمود –

فائدة." <تفسير المظهرى،   ص/٣٨٠٨>

"مخلقة: " فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ " (٥/الحج) "مكرر" أى تامة الخلق **وغير تامته**.

(٦) اختلف القول اختلافا: افتراه وهو افتعال من خلق بمعنى كذب.

اختلاف: " مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ " (٧/ ص)

(٧) الخلق: السجية والطبع وما يجرى عليه المرء من عادة لازمة.

خلق: (إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ) (١٣٧ / الشعراء) وفى قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٤/القلم)

(٨) الخلاف: الحظ والنصيب من الخير.

خلاف: (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ) (١٠٢/البقرة)

بخلاقكم: " فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ (٦٩/التوبة)

خ ل ل (١٣)

(١) الخلة: الصداقة الخالصة التى تخللت القلب، وجمعها خلال.." <معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل ٦٣/٢>

"الموطن وثقبت من قولهم: نقصر الخشب: ثقبه بالمنقار، ويضرب النقير مثلا في القلة، وفي الشئ التافه لا يؤبه له.

تقول: ويقال للبخيل: لا يبذل نقيرا، وهؤلاء القوم ليسوا من الناس في نقير أو ليسوا منهم في شئ.

نقيرا: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً) " ٥٣/النساء".

ن ق ص (١٠)

نقص ينقصه نقصا فهو منقوص يجئ لما يأتي:

١ - فيقال: نقصه: أذهب منه شيئا واقتطع منه جزءا. تقول: نقصت الصحيفة: إذا أخذت منها جزءا.

٢ - ويقال: نقيصة أتي به **غير تام**: تقول نقص الجدار إذا بناه غير واف كأمثاله.

٣ - ويقال: نقصه حقه: لم يوفه إياه بل أعطاه أقل مما يجب له.

تنقص: (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) " ٤/ق" أي تبليهم وتقتطع من أبدائهم.." <معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل ١٠٤/٥>

"والفعل -أعني"التولية"- في قوله:"هو موليها" لل"كل". و"هو" التي مع"موليها"، هو"الكل"، وحُذَّت للفظ"الكل".

* * *

فمعنى الكلام إذًا: ولكل أهل مِلة وجهة، الكلُّ. منهم مولُّوها وجُوهَهم. (١)

* * *

وقد روي عن ابن عباس وغيره أنهم قرأوها:"هو مُولاها"، بمعنى أنه مُوجَّهٌ نحوها. ويكون"الكل" حينئذ غير مسمًّى فاعله، (٢) ولو سُمي فاعله، لكان الكلام: ولكلّ ذي ملة وجهةٌ، اللهُ مولِّيه إياها، بمعنى: موجِّهه إليها.

* * *

وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك:"ولكُلِّ وِجهةٍ" بترك التنوين والإضافة. وذلك لحنٌ، ولا تجوز القراءةُ به. لأن ذلك -إذا قرئ كذلك- كان الخبرُ **غير تامٍّ**، وكان كلامًا لا معنى لَه. وذلك غير جائز أن يكون من الله جل ثناؤه.

* * *

والصواب عندنا من القراءة في ذلك:"ولكلٍّ وِجهةٌ هُوَ مُولِّيها"، بمعنى: ولكلٍّ وجهةٌ وقبلةٌ، ذلك الكُلّ مُولّ وجهه نحوها. لإجماع الحجة من القرّاء على قراءة ذلك كذلك، وتصويبها إياها، وشذوذ من خالف ذلك إلى غيره. وما جاءَ به النقلُ مستفيضًا فحُجة، وما انفرد به من كان جائزًا عليه السهو والغلط، (٣) فغيرُ جائز الاعتراضُ به على الحجة.

* * *

---

(١) في المطبوعة: "لكل منهم مولوها"، وهو كلام مختل، والصواب من المخطوطة.

(٢) في المطبوعة: "ويكون الكلام حينئذ"، والصواب من المخطوطة.

(٣) في المطبوعة: "السهو والخطأ"، وأثبت ما في المخطوطة.." <تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٣/١٩٥>

"٤٩٤٩- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

* * *

وأصل"الحول" من قول القائل:"حال هذا الشيء"، إذا انتقل. ومنه قيل:"تحول فلان من مكان كذا"، إذا

انتقل عنه.

* * *

فإن قال لنا قائل: وما معنى ذكر"كاملين" في قوله:"والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين"، بعد قوله:"يرضعن حولين"، وفي ذكر"الحولين" مستغنى عن ذكر"الكاملين"، (١) إذ كان غير مشكل على سامع سمع قوله:"والوالدات يرضعن أولادهن حولين" ما يراد به؟ فما الوجه الذي من أجله زيد ذكر كاملين؟.

قيل: إن العرب قد تقول:"أقام فلان بمكان كذا حولين، أو يومين، أو شهرين"، وإنما أقام به يوما وبعض آخر، أو شهرا وبعض آخر، أو حولا وبعض آخر، فقيل:"حولين كاملين" ليعرف سامعو ذلك أن الذي أريد به حولان تامان، (٢) لا حول وبعض آخر. (٣) وذلك كما قال الله تعالى ذكره: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) [سورة البقرة: ٢٠٣] . ومعلوم أن المتعجل إنما يتعجل في يوم ونصف، وكذلك ذلك في اليوم الثالث من أيام التشريق، (٤) وأنه ليس منه شيء تام، ولكن العرب تفعل ذلك في الأوقات خاصة فتقول:"اليوم يومان منذ لم أره"،

---

(١) في المطبوعة: "وفي ذكر الحولين" بإسقاط"الهاء" الضمير.

(٢) في المطبوعة: "ليعرف سامع ذلك"، بالإفراد، وأثبت ما في المخطوطة.

(٣) انظر ما سلف في تفسير قوله تعالى: "ولتكملوا العدة" ٣: ٤٧٦، ٤٧٧ / ثم تفسير قوله تعالى: "تلك عشرة كاملة" في الجزء ٤: ١٠٨، ١٠٩.

(٤) في المخطوطة والمطبوعة: "فكذلك ذلك" بالفاء وهو خطأ مخل، والصواب ما أثبت. وفي معاني القرآن للفراء ١: ١١٩: "وكذلك هو في اليوم. . . ". نص كلامه. ويعني أن اليوم الثالث من أيام التشريق هو أيضًا يوم غير تام. وانظر التعليق التالي ص: ٣٣ رقم: ٢ والمراجع فيه.." <تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٥/٣٢>

"وما مصائبه؟ فيقول الله، ويكتب الملك. فإذا مات ذلك الجسدُ، دُفن حيث أخذ ذلك التراب. (١)

٦٥٧٠ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله:"هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء"، قادرٌ والله ربُّنا أن يصوّر عبادَه في الأرحام كيف يشاء، من ذكر أو أنثى، أو أسود أو أحمر، تامّ خلقُه وغير تامّ.

* * *

القول في تأويل قوله: ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) ﴾

قال أبو جعفر: وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسَه أن يكون له في ربوبيته ندّ أو مِثل، أو أن تَجوز الألوهة لغيره = وتكذيبٌ منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا، من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى، ولجميع من ادّعى مع الله معبودًا، أو أقرّ بربوبية غيره. (٢) ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته، وعيدًا منه لمن عبد غيره، أو أشرك في عبادته أحدًا سواه، فقال:"هو العزيز" الذي لا ينصر من أرادَ الانتقام منه أحدٌ، ولا ينجيه منه وَأْلٌ ولا لَجَأٌ، (٣) وذلك لعزته التي يذلُّ لها كل مخلوق، ويخضع لها كل موجود. (٤) ثم أعلمهم أنه"الحكيم"

---

(١) الأثر: ٦٥٦٩- قد مضى الكلام في هذا الإسناد في رقم: ١٦٨. وحديث خلق الآدمي في بطن أمه بغير هذا اللفظ، وبغير هذا الإسناد في مسلم ١٦: ١٨٩-١٩٥، وفي البخاري في كتاب"بدء الخلق" في باب ذكر الملائكة. وفي كتاب"الحيض" باب: مخلقة وغير مخلقة.

(٢) قوله: "ولجميع من ادعى ... " معطوف على قوله: "وتكذيب للذين قالوا..".

(٣) "وأل" (بفتح الواو وسكون الهمزة، على وزن سمع) : هو الموئل، وهو الملجأ الذي يفر إليه الخائف. و"لجأ" (بفتح اللام والجيم) : هو الملجأ، وهو المعقل الذي يحتمى به.

(٤) انظر فهارس اللغة (عزز) فيما سلف.." <تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ١٦٨/٦>

"فجرت عليه. وذلك إذا جعلته في معنى"مستوى". والرفع وجه الكلام كما فسَّرتُ لك.

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة:"سواء" مصدرٌ وضع موضع الفعل، (١) يعني موضع"متساوية": و"متساو"، فمرة يأتي على الفعل، ومرّةً على المصدر. وقد يقال في"سواء"، بمعنى عدل:"سِوًى وسُوًى"، كما قال جل ثناؤه: (مَكَانًا سُوًى) و (سِوًى) [سورة طه: ٥٨] ، يراد به: عدل ونصَفٌ بيننا وبينك. وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ ذلك (" إِلَى كَلَمَةٍ عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ") . (٢)

* * *

وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله:"إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"، بأن"السواء" هو العدلِ، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

٧١٩٧ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله:"يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"، عدل بيننا وبينكم ="ألا نعبد إلا الله"، الآية.

٧١٩٨ - حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله:"قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا"، بمثله. (٣)

* * *

---

(١) "الفعل" يعني به الصفة المشتقة مثل فاعل ومفعول، كما هو ظاهر هنا، وراجع فهرس المصطلحات.

(٢) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١: ٢٢٠.

(٣) الأثر: ٧١٩٨- في المخطوطة: "و.. ولا نشرك به شيئًا" الآية، وليس فيها"بمثله"، زادها الناشر أو ناسخ قبله، لما رأى الأثر غير تام، وهو صنيع حسن، وإن كنت لا أرتضيه، وظني أنه قد سقط من الناسخ الأول بقية التفسير.." <تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٦/٤٨٧>

"٨٥١٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا"، يقول: إذا كان غيرَ إضرار ولا خديعة، فهو هنيء مريء، كما قال الله جل ثناؤه.

٨٥١٨ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا"، قال: الصداق،"فكلوه هنيئًا مريئًا".

٨٥١٩ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد يقول في قوله:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا" بعد أن توجبوه لهنّ وتُحُلّوه، ="فكلوه هنيئًا مريئًا". (١) .

٨٥٢٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر، عن أبيه قال: زعم حضرميٌّ أن أناسًا كانوا يتأثمون أن يُراجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته، (٢) فقال الله تبارك وتعالى:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا".

٨٥٢١ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا"، يقول: ما طابت به نفسًا في غير كَرْه أو هوان، (٣) فقد أحلّ الله لك ذلك أن تأكله هنيئًا مريئًا.

* * *

وقال آخرون: بل عنى بهذا القول أولياء النساء، فقيل لهم: إن طابت أنفس النساء اللواتي إليكم عصمة نكاحهن، بصدقاتهن نفسًا، فكلوه هنيئًا مريئًا.

* ذكر من قال ذلك:

٨٥٢٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا سيار، عن أبي صالح في قوله:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا"، قال: كان الرجل

---

(١) في المطبوعة: "سمعت ابن زيد يقول في قوله: فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا"، وهو كلام غير تام، لم يذكر إلا نص الآية، وأثبت ما في المخطوطة، وإن كان سقط من الناسخ"فكلوه"، فأثبتها.

(٢) في المطبوعة: "أن يرجع أحدهم"، وأثبت ما في المخطوطة.

(٣) في المخطوطة: "في غير ذكره أو هوان"، والصواب ما في المطبوعة.." <تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٧/٥٥٦>

"غير تام ولا مستغنٍ عن قوله:"لأكفرن عنكم سيئاتكم". وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز أن يكون قوله:"لأكفرنّ عنكم سيئاتكم" قسما مبتدأ، بل الواجب أن يكون جوابًا لليمين إذْ كانت غير مستغنية عنه.

* * *

وقوله: (تجري من تحتها الأنهار) يقول: تجري من تحت أشجار هذه البساتين التي أدخلكموها الأنهار.

* * *

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) ﴾

قال أبو جعفر: يقول عز ذكره: فمن جحد منكم، يا معشر بني إسرائيل، شيئا مما أمرته به فتركه، أو ركب ما نهيته عنه فعمله بعد أخذي الميثاق عليه بالوفاء لي بطاعتي واجتناب معصيتي="فقد ضلَّ سواء السبيل" يقول: فقد أخطأ قصدَ الطريق الواضح، وزلَّ عن منهج السبيل القاصد.

* * *

"والضلال"، الركوب على غير هدى، وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع. (١)

* * *

وقوله"سواء" يعني به: وسط=: و"السبيل"، الطريق.

* * *

وقد بيّنا تأويل ذلك كله في غير هذا الموضع، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع. (٢)

* * *

---

(١) انظر تفسير"الضلال" فيما سلف ٢: ٤٩٥، ٤٩٦/٦: ٦٦، ٥٨٤، ومواضع غيرها، التمسها في فهارس اللغة.

(٢) انظر تفسير"سواء السبيل" فيما سلف ٢: ٤٩٦، ٤٩٧، وفهارس اللغة في (سوى) و (سبل) .."

<تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ١٠/١٢٤>

"أَدْبَرْتَ عَنْهُ، ثُمَّ يُقَالَ: وَلَّيْتُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ مُوَلِّيًا عَنْ غَيْرِهِ. وَالْفِعْلُ، أَعِنِّي التَّوْلِيَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] لِلْكُلِّ «وَ» هُوَ «الَّتِي مَعَ» مُوَلِّيهَا «هُوَ» الْكَلُّ «وَحُدَّتْ لِلَفْظِ» الْكُلِّ ". فَمَعْنَى الْكَلَامِ إِذًا: وَلِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ وِجْهَةٌ، الْكُلُّ مِنْهُمْ مُوَلُّوهَا وُجُوهَهُمْ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُمْ قَرَءُوا: «هُوَ مُوَلَّاهَا» بِمَعْنَى أَنَّهُ مُوَجَّهٌ نَحْوَهَا وَيَكُونُ الْكَلَامُ حِينَئِذٍ غَيْرُ مُسَمًّى فَاعِلُهُ، وَلَوْ سُمِّيَ فَاعِلُهُ لَكَانَ الْكَلَامُ: وَلِكُلِّ ذِي مِلَّةٍ وِجْهَةٌ اللَّهُ مُوَلِّيهِ إِيَّاهَا، بِمَعْنَى مُوَجِّهُهُ إِلَيْهَا. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ: «وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ» بِتَرْكِ التَّنْوِينِ وَالْإِضَافَةِ. وَذَلِكَ لَحْنٌ، وَلَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا قُرِئَ كَذَلِكَ كَانَ الْخَبَرُ **غَيْرَ تَامٍّ**، وَكَانَ كَلَامًا لَا مَعْنَى لَهُ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.." <تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٢/٦٧٨>

"حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿ﷺهُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] «قَادِرٌ وَاللَّهِ رَبُّنَا أَنْ يُصَوِّرَ عِبَادَهُ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، أَوْ أَسْوَدَ أَوْ أَحْمَرَ، تَامٍّ خَلْقُهُ **وَغَيْرِ تَامٍّ**»." <تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥/١٨٧>

"وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ: بَلِ اللَّامُ الْأُولَى وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْيَمِينِ ، فَاكْتَفَى بِهَا عَنِ الْيَمِينِ ، يَعْنِي بِاللَّامِ الْأُولَى: لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ. قَالَ: وَاللَّامُ الثَّانِيَةُ ، يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [المائدة: ١٢] جَوَابٌ لَهَا ، يَعْنِي لِلَّامِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ١٢] وَاعْتَلَّ لِقِيلِهِ ذَلِكَ بِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ

الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ١٢] **غَيْرُ تَامٍّ** وَلَا مُسْتَغْنٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [المائدة: ١٢] وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [المائدة: ١٢] قَسَمًا مُبْتَدَأً ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِلْيَمِينِ إِذْ كَانَتْ غَيْرَ مُسْتَغْنِيَةٍ عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] يَقُولُ: «يَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِ هَذِهِ الْبَسَاتِينَ الَّتِي أَدْخَلَكُمُوهَا الْأَنْهَارُ»." <تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٢٤٧/٨>

"لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ " قادر، والله، ربنا عَلَى أن يصور عباده فِي الأرحام كيف يشاء من ذكر وأنثى، وأسود، وأحمر، تام خلقه أَوْ **غير تام** "

قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾

٢١٧ - حَدَّثَنَا عَلانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قوله: " ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ، الْمُحْكَمَاتُ نَاسِخَةٌ، وَحَلالُهُ، وَحَرَامُهُ، وَحُدُودُهُ، وَفَرَائِضُهُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَيُعْمَلُ بِهِ "

٢١٨ - حَدَّثَنَا علي بْن المبارك، قَالَ: حَدَّثَنَا زيد بْن المبارك، قَالَ: حَدَّثَنَا محمد بْن ثور، عَنْ ابْن جريج، عَنْ مجاهد فِي قوله: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ قَالَ " مَا فِيهِ من الحلال والحرام

٢١٩ - حَدَّثَنَا موسى، قَالَ: حَدَّثَنا يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا وكيع، عَنْ سلمة، عَنْ الضحاك، قَالَ " المحكمات: مَا لم ينسخ

٢٢٠ - حَدَّثَنَا محمد بْن علي، قَالَ: حَدَّثَنا أحمد بْن شبيب، قَالَ: حَدَّثَنَا يزيد بْن زريع، قَالَ: حَدَّثَنَا سعيد، عَنْ قتادة قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ." <تفسير ابن المنذر؟ ابن المنذر ١١٧/١>

"٣١٥٩ - أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ الطُّوسِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ -[٥٩١]- الْمَرُّوذِيُّ، ثنا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ ﴿ﷺكَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] قَالَ: مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَأَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَتَامٍّ وَغَيْرِ تَامِّ الْخَلْقِ." <تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ٢/٥٩٠>

"الْمَرُّوذِيُّ، ثنا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: كَيْفَ يَشَاءُ قَالَ: مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَأَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَتَامٍّ وَغَيْرِ تَامِّ الْخَلْقِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: لَا إِلَهَ إِلا هُوَ

٣١٦٠ - حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ثنا مِنْجَابٌ، أَنْبَأَ، بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: لَا إِلَهَ إِلا هُوَ قَالَ: تَوْحِيدٌ.

قوله: الْعَزِيزُ

٣١٦١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن يحيى، أَنْبَأَ أَبُو غَسَّانَ، ثنا سَلَمَةُ، قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ

قَوْلَهُ: العزيز في نصرته مم كَفَرَ بِهِ إِذَا شَاءَ.

٣١٦٢ - حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ رَوَّادٍ، ثنا آدَمُ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: الْعَزِيزُ يقول: عزيز في نعمته إِذَا انْتَقَمَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: الْحَكِيمُ فِي عُذْرِهِ وَحُجَّتِهِ إِلَى عِبَادِهِ

٣١٦٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن يحيى، أَنْبَأَ أَبُو غَسَّانَ، ثنا سَلَمَةُ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَوْلُهُ: الْحَكِيمُ فِي عُذْرِهِ وَحُجَّتِهِ إِلَى عِبَادِهِ.

٣١٦٤ - حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ رَوَّادٍ، ثنا آدَمُ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ: حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عليك الكتاب

٣١٦٥ - حدثنا أبو زرعة، ثنا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

٣١٦٦ - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِصِفَةِ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ وَعَدْلِهِ وَافْتِرَادِهِ بِالْخَلْقِ دُونَ سواه منهم، عصمة للعباد ودمغ لِلْخُصُومِ وَالْبَاطِلِ، وَحَجَّةَ الرَّبِّ.." <تفسير ابن أبي حاتم - محققا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ٥٩١/٢>

"(﴿أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ من الشحم فإني لم أحرمه) (١)، و (الحوايا) عطف على الظهور في موضع رفع (٢)، قال الفراء: (يجوز أن يكون في موضع نصب بتقدير حذف المضاف على أن تريد أو شحوم الحوايا، فتحذف الشحوم ويُكتفى بالحوايا، كما قال ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يريد: أهلها) (٣).

وحكى ابن الأنباري (٤) عن أبي عبيد أنه قال: (قلت للفراء: هو بمنزلة قول الشاعر:

لا يَسْمَعُ المَرْءُ فِيهَا ما يُؤَنّسُهُ ... باللَّيْلِ إلاَّ نَئِيمَ البُومِ وَالضُّوعَا (٥)

= المباعر)، وقال ابن الأنباري في "شرح القصائد" ص ٢١٢: (قال المفسرون: الحوايا: المباعر، واحدها: حاوياء وحاوية) ا. هـ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) هذا قول الطبري ٨/ ٧٥، وعليه يكون التقدير: وإلا الذي حملته الحوايا فإنه غير محرم، وقال أبو حيان

٤/ ٢٤٤، والسمين في "الدر" ٥/ ٢٠٣: (هذا هو الظاهر) اهـ.

(٣) "معاني الفراء" ١/ ٣٦٣.

(٤) قال ابن الأنباري في "إيضاح الوقف والابتداء" ٢/ ٦٤٥: (﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ وقف **غير تام**؛ لأن (الحوايا) منسوقة على الظهور، كأنه قال: إلا ما حملت ظهورهما أو حملت الحوايا) ا. هـ، وانظر: "القطع والائتناف" ١/ ٢٤٢.

(٥) الشاهد للأعشي في "ديوانه" ص ١٠٦، و"اللسان" ٥/ ٢٦٢١ (ضوع)، وذكره السمين في "الدر" ٥/ ٢٠٥، عن ابن الأنباري، والشاعر يصف قلاة. والنئيم: صوت فيه ضعف كالأنين، وهو صوت البوم. انظر: "اللسان" ٧/ ٤٣١٤ (نأم) والضُّوَع: طائر من طير الليل إذا أحصر بالصباح صدح، وقيل: هو ذكر اليوم، والضُّوَع صوته.

انظر: "اللسان" ٥/ ٢٦٢٠، ٢٦٢١ مادة (ضوع).." <التفسير البسيط؟ الواحدي ٨/٥٠٧>

"وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض. فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جراً إلى الثالثة والرابعة. بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدّى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال. فكان تقريراً لجهة التحدي، وشدّاً من أعضاده. ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلا بكماله، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة. وقيل لبعض العلماء:

فيم لذتك؟ فقال: في حجة تتبختر اتضاحا، وفي شبهة تتضاءل افتضاحا. ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرّر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله، وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ثم لم تخل كل واحدة من الأربع، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السرى، من نكتة ذات جزالة. ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه. وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة. وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف. وفي الرابعة الحذف. ووضع المصدر الذي هو «هدى» موضع الوصف الذي

هو «هاد» وإيراده منكراً. والإيجاز في ذكر المتقين.

زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه، وتبيينا لنكت تنزيله، وتوفيقاً للعمل بما فيه.

[سورة البقرة (٢) : آية ٣]

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة، أو مدح منصوب، أو مرفوع بتقدير: أعنى الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون. وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه ب (أُولئِكَ عَلى هُدىً) . فإذا كان موصولا، كان الوقف على المتقين حسناً **غير تامّ**. وإذا كان مقتطعاً، كان وقفاً تاما. فإن قلت: ما هذه الصفة، أواردة بيانا وكشفا للمتقين؟

أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها؟ أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيداً؟ قلت: يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات. أمّا الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها، وذكر الصلاة والصدقة لأنّ هاتين أُمّا العبادات البدنية والمالية، وهما العيار على غيرهما. ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين، وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة؟ وسمى الزكاة قنطرة." <تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؟ الزمخشري ١/٣٧>

"غير الله. فان قلت: أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم؟ قلت: الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني. والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم. فإن قلت: أى معنى لقوله مِنْ بَعْدِي بعد قوله خَلَفْتُمُونِي؟ قلت: معناه من بعد ما رأيتم منى، من توحيد الله، ونفى الشركاء عنه، وإخلاص العبادة له. أو من بعد ما كنت أحمل بنى إسرائيل على التوحيد، وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر، حين قالوا اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه. ونحوه فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أى من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال: عجل عن الأمر إذا تركه **غير تام**، ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره، ويضمن معنى سبق فيعدّى تعديته، فيقال عجلت الأمر، والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به، فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم، فحدَّثتم أنفسكم بموتى، فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم. وروى أنّ السامري قال لهم- حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى-: إن موسى لن يرجع، وإنه

قد مات وروى أنهم عدّوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين، ثم أحدثوا ما أحدثوا وَأَلْقَى الْأَلْواحَ وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدّة الضجر عند استماعه حديث العجل، غضبا لله وحمية لدينه، وكان في نفسه حديداً شديد الغضب، وكان هارون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل من موسى. وروى أن التوراة كانت سبعة أسباع، فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ أى بشعر رأسه يَجُرُّهُ إِلَيْهِ بذؤابته، وذلك لشدّة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته، وظنا بأخيه أنه فرط في الكف ابْنَ أُمَّ قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر، وبالكسر على طرح ياء الإضافة. وابن أمى، بالياء. وابن إمّ، بكسر الهمزة والميم. وقيل: كان أخاه لأبيه وأمّه، فإن صح فإنما أضافه إلى الأم، إشارة إلى أنهما من بطن واحد. وذلك أدعى إلى العطف والرقة، وأعظم للحق الواجب، ولأنها كانت مؤمنة فاعتدّ بنسبها، ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي يعنى أنه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار. وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادّتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ فلا تفعل بى ما هو أمنيتهم من الاستهانة بى والإساءة إلىّ، وقرئ. فلا يشمت بى الأعداء، على نهى الأعداء عن الشماتة. والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ولا تجعلني في موجدتك علىّ وعقوبتك لي قرينا لهم." <تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؟ الزمخشري ٢/١٦١>

"أعلم محمدا، وارتد ولحق بمكة، ونزلت الآية فيه.

قال القاضي أبو محمد: هذا نصراني أسلم وكتب، ثم ارتد ولحق بمكة ومات، ثم لفظته الأرض، وإلا فهذا القول يضعف لأن الكاتب المشهور الذي ارتد لهذا السبب ولغيره من نحوه هو عبد الله بن أبي سرح العامري، ولسانه ليس بأعجمي فتأمله.

قوله عز وجل:

[سورة النحل (١٦) : الآيات ١٠٤ الى ١٠٦]

إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ (١٠٥) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)

المفهوم من الوجود أن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخر، تهمما بتقبيح فعلهم والتشنيع لخطابهم، وذلك كقوله تعالى فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [الصف: ٥] والمراد ما ذكرناه فكأنه

قال إن الذين لم يؤمنوا لم يهدهم الله، وقوله: إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ بمعنى يكذب، وهذه مقاومة للذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: إنما أنت مفتر، وإِنَّما أبدا حاصرة، لكن حصرها يختلف باختلاف المعاني التي تقع فيها، فقد يربط المعنى أن يكون حصرها حقيقيا كقوله تعالى:

إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ [النساء: ١٧١] وقد يقتضي المعنى أن يكون حصرها تجوزا ومبالغة، كقولك: إنما الشجاع عنترة، وهكذا هي في هذه الآية، قال الزجاج: يفتري هذا الصنف لأنهم إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله، كذبوا بها، فهذا أفحش الكذب، وكرر المعنى في قوله: وَأُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ لفائدة إيقاع الصفة بالكذب عليهم إذ الصفة بالشيء أبلغ من الخبر به، لأن الصفة تقتضي الدوام أكثر مما يقتضه الخبر فبدأ في هذه الآية بالخبر، ثم أكد بالصفة، وقد اعترض هذا النظر مكي، وليس اعتراضه بالقوي، ومَنْ في قوله مَنْ كَفَرَ بدل من قوله هُمُ الْكاذِبُونَ ولم يجز الزجاج غير هذا الوجه لأنه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله، والذي أبي الزجاج سائغ على ما أورده الآن إن شاء الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يتأكد بما روي من أن قوله وَأُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ يراد به عبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صبابة وأشباههما ممن كان آمن برسول الله ثم ارتد، فلما بين في هذه الآية أمر الكاذبين بأنهم الذين كفروا بعد الإيمان أخرج من هذه الصفة القوم المؤمنون المعذبون بمكة، وهم بلال وعمار وسمية أمه وخباب وصهيب وأشباههم، وذلك أن كفار مكة كانوا في صدر الإسلام يؤذون من أسلم من هؤلاء الضعفة، يعذبونهم ليرتدوا، فربما سامعهم بعضهم بما أرادوا من القول، يروى أن عمار بن ياسر فعل ذلك فاستثناه الله في هذه الآية، وبقيت الرخصة عامة في الأمر بعده، ثم ابتدأ الإخبار: «أن من شرح." <تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؟ ابن عطية ٣/٤٢٢>

"وأسنده الطبري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه روعي إدبار صلاة النهار كما روعي إدبار النجوم في صلاة الليل، فقيل هي الركعتان مع الفجر. وروي عن ابن عباس أن أَدْبارَ السُّجُودِ: الوتر، حكاه الثعلبي وقال ابن زيد وابن عباس أيضا ومجاهد: هي النوافل إثر الصلوات وهذا جار مع لفظ الآية، وقال بعض العلماء العارفين: هي صلاة الليل، قال الثعلبي: وقال بعض العلماء في قوله: قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ هي ركعتا الفجر وَقَبْلَ الْغُرُوبِ الركعتان قبل المغرب وقال بعض التابعين: رأيت أصحاب محمد يهبون إليها كما يهبون إلى المكتوبة، وقال قتادة: ما أدركت أحدا يصلي الركعتين قبل المغرب إلا أنسا وأبا برزة.

وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة وابن عباس وأبو جعفر وشيبة وعيسى وشبل وطلحة والأعمش «وإدبار» بكسر الألف وهي مصدر أضيف إليه وقت، ثم حذف الوقت، كما قالوا: جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم ونحوه،

وقرأ الباقون والحسن والأعرج، «وأدبار» بفتح الهمزة وهو جمع دبر كطنب وأطناب، أي وفي «أدبار السجود» أي في أعقابه وقال أوس بن حجر: [الطويل]

على دبر الشهر الحرام بأرضنا ... وما حولها جدب سنون تلمع

قوله عز وجل:

[سورة ق (٥٠) : الآيات ٤١ الى ٤٥]

وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ (٤٥)

قوله تعالى: وَاسْتَمِعْ بمنزلة، وانتظر، وذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بأن يستمع في يوم النداء، لأن كل من فيه يستمع وإنما الآية في معنى الوعيد للكفار، وقيل لمحمد تحسس وتسمع هذا اليوم وارتقبه، وهذا كما تقول لمن تعده بورود فتح استمع كذا وكذا، أي كن منتظرا له مستمعا، وعلى هذا فنصب يَوْمَ إنما هو على المفعول الصريح.

وقرأ ابن كثير: «المنادي» بالياء في الوصل والوقف على الأصل الذي هو ثبوتها، إذا الكلام غير تام وإنما الحذف أبدا في الفواصل، والكلام التام تشبيها بالفواصل. وقرأ أبو عمرو ونافع، بالوقف بغير ياء لأن الوقف موضع تغيير، ألا ترى أنها تبدل من التاء فيه الهاء في نحو طلحة وحمزة، ويبدل من التنوين الألف ويضعف فيه الحرف كقولك هذا فرج، ويحذف فيه الحرف في القوافي، وقرأ الباقون وطلحة والأعمش وعيسى بحذف الياء في الوصل والوقف جميعا وذلك اتباع لخط المصحف، وأيضا فإن الياء تحذف مع التنوين فوجب أن تحذف مع معاقب التنوين وهي الألف واللام.

وقوله تعالى: مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ قيل وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن ملكا ينادي من السماء: أيتها الأجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة، هلم إلى الحساب الوقوف بين يدي الله» . وقال كعب الأحبار وقتادة وغيرهما: المكان صخرة بيت المقدس." <تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؟ ابن عطية ١٦٩/٥<

"بالخبر تنازع العمران الملك فسفر بينهما قيصر الى إن أصلح بينهما وأنقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدي وتركه والملك فملك عمرو بن عدي ملك خاله جذيمة الابرش وقال في طاعة عمرو بن عبد الجن له:

دعوت أبن عبد الجن للسلم بعدما ... تتابع في غرب السفاه وكسما

فلما أرعوى عن صدنا باعترامه ... مرت هواه مري أم أو أبن ما

فقال عمرو بن عبد الجن مجيبا له:

اما ودماء مائراتٌ كأنها ... على قلة العزى أو النسر عندما

وما قدس الرهبان في كل بيعةٍ ... أبيل الأبيلين المسيح بن مريما

٣٢ – لقد ذاق منا عامر يوم لعلعٍ ... حسام أذا ما هز بالكف صما

قال الطبري: هكذا وجد الشعر غير تام. وكان تقديره بعد القسم إن يكون لقد كان كذا أو لولا كذا الا إنه لم يظفر له بتمام على ما ذكر. فاستقام لعمرو بن عدي أمره وملك ملك خله جذيمة الأبرش وقتل زباء الملكة قاتلة وسيأتي حديث مقتلها.

وهو أول من أتخذ الحيرة منزلاً وسكنها بعد إن كانت خراباً لم." <المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية؟ أبو البقاء الحلي ص/١٠٢>

"وَالْحُرُوفِ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَرْمِي ذَلِكَ النَّفَسَ مِنْ دَاخِلِ الصَّدْرِ إِلَى خَارِجِهِ وَيَلْفِظُهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْإِخْرَاجُ، وَاللَّفْظُ سَبَبٌ لِحُدُوثِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَأُطْلِقَ اسْمُ اللَّفْظِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لِهَذَا السَّبَبِ، وَالثَّانِي: أَنَّ تَوَلُّدَ الْحُرُوفِ لَمَّا كَانَ بِسَبَبِ لَفْظِ ذَلِكَ الْهَوَاءِ مِنَ الدَّاخِلِ إِلَى الْخَارِجِ صَارَ ذَلِكَ شَبِيهًا بِمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَلْفِظُ تِلْكَ الْحُرُوفَ وَيَرْمِيهَا مِنَ الدَّاخِلِ إِلَى الْخَارِجِ، وَالْمُشَابَهَةُ إِحْدَى أَسْبَابِ الْمَجَازِ.

الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ، الْعِبَارَةُ: وَتَرْكِيبُهَا مِنْ «ع ب ر» وَهِيَ فِي تَقَالِيبِهَا السِّتَّةِ تُفِيدُ الْعُبُورَ وَالِانْتِقَالَ، فَالْأَوَّلُ: «ع ب ر» وَمِنْهُ الْعِبَارَةُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا إِلَّا إِذَا انْتَقَلَ مِنْ حَرْفٍ إِلَى حَرْفٍ آخَرَ، وَأَيْضًا كَأَنَّهُ بِسَبَبِ تِلْكَ الْعِبَارَةِ يَنْتَقِلُ الْمَعْنَى مِنْ ذِهْنِ نَفْسِهِ إِلَى ذِهْنِ السَّامِعِ، وَمِنْهُ الْعَبْرَةُ لِأَنَّ تِلْكَ الدَّمْعَةَ تَنْتَقِلُ مِنْ دَاخِلِ الْعَيْنِ إِلَى الْخَارِجِ، وَمِنْهُ الْعِبَرُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْتَقِلُ فِيهَا مِنَ الشَّاهِدِ إِلَى الْغَائِبِ. وَمِنْهُ الْمَعْبَرُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْتَقِلُ بِوَاسِطَتِهِ مِنْ أَحَدِ طَرَفَيِ الْبَحْرِ إِلَى الثَّانِي، وَمِنْهُ التَّعْبِيرُ لِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ مِمَّا يَرَاهُ فِي النَّوْمِ إِلَى الْمَعَانِي الْغَائِبَةِ، وَالثَّانِي:

«ع ر ب» وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الْعَرَبِ بِالْعَرَبِ لِكَثْرَةِ انْتِقَالَاتِهِمْ بِسَبَبِ رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ/ وَمِنْهُ «فُلَانٌ أَعْرَبَ فِي كَلَامِهِ» لِأَنَّ اللَّفْظَ قَبْلَ الْإِعْرَابِ يَكُونُ مَجْهُولًا فَإِذَا دَخَلَهُ الْإِعْرَابُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَالْبَيَانِ، وَالثَّالِثُ: «ب ر ع» وَمِنْهُ «فُلَانٌ بَرَعَ فِي كَذَا» إِذَا تَكَامَلَ وَتَزَايَدَ، الرَّابِعُ: «ب ع ر» وَمِنْهُ الْبَعْرُ لِكَوْنِهِ مُنْتَقِلًا مِنَ الدَّاخِلِ إِلَى الْخَارِجِ، الْخَامِسُ: «ر ع ب» وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْخَوْفِ رُعْبٌ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْتَقِلُ عِنْدَ حُدُوثِهِ مِنْ حَالٍ إِلَى

حَالٍ أُخْرَى، وَالسَّادِسُ: «ر ب ع» وَمِنْهُ الرَّبْعُ لِأَنَّ النَّاسَ ينتقلون منها وإليها.

الفرق بين الكلمة والكلام:

المسألة العاشرة: [الفرق بين الكلمة والكلام] قال أكثر النحويون: الْكَلِمَةُ غَيْرُ الْكَلَامِ، فَالْكَلِمَةُ هِيَ اللَّفْظَةُ الْمُفْرَدَةُ، وَالْكَلَامُ هُوَ الْجُمْلَةُ الْمُفِيدَةُ، وَقَالَ أَكْثَرُ الْأُصُولِيِّينَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَتَنَاوَلُ الْمُفْرَدَ وَالْمُرَكَّبَ، وَابْنُ جِنِّي وَافَقَ النَّحْوِيِّينَ وَاسْتَبْعَدَ قَوْلَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمَا رَأَيْتُ فِي كَلَامِهِ حُجَّةً قَوِيَّةً فِي الْفَرْقِ سِوَى أَنَّهُ نَقَلَ عَنْ سِيبَوَيْهِ كَلَامًا مُشْعِرًا بِأَنَّ لَفَظَ الْكَلَامِ مُخْتَصٌّ بِالْجُمْلَةِ الْمُفِيدَةِ، وَذَكَرَ كَلِمَاتٍ أُخْرَى إِلَّا أَنَّهَا فِي غَايَةِ الضَّعْفِ، أَمَّا الْأُصُولِيُّونَ فَقَدِ احْتَجُّوا عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ بِوُجُوهٍ، الْأَوَّلُ: أَنَّ الْعُقَلَاءَ قَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ مَا يُضَادُّ الْخَرَسَ وَالسُّكُوتَ، وَالتَّكَلُّمُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ يُضَادُّ الْخَرَسَ وَالسُّكُوتَ، فَكَانَ كَلَامًا، الثَّانِي: أَنَّ اشْتِقَاقَ الْكَلِمَةِ مِنَ الْكَلْمِ، وَهُوَ الْجَرْحُ وَالتَّأْثِيرُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَإِنَّهُ يَفْهَمُ مَعْنَاهَا، فَهَهُنَا قَدْ حَصَلَ مَعْنَى التَّأْثِيرِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا، وَالثَّالِثُ: يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنْ فُلَانًا تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ أَيْضًا: إِنَّهُ مَا تَكَلَّمَ إِلَّا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ كَلَامٌ، وَإِلَّا لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ تَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، الرَّابِعُ: إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ تَكَلَّمَ فُلَانٌ بِكَلَامٍ **غَيْرِ تَامٍّ**، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُصُولَ الْإِفَادَةِ التامة غير معتبر في اسم الكلام.

مسألة فقهية في الطلاق:

المسألة الحادية عشرة [مسألة فقهية في الطلاق] : تَفَرَّعَ عَلَى الِاخْتِلَافِ الْمَذْكُورِ مَسْأَلَةٌ فِقْهِيَّةٌ، وَهِيَ أُولَى مَسَائِلِ أَيْمَانِ «الْجَامِعِ الْكَبِيرِ» لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهِيَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ لِامْرَأَتِهِ الَّتِي لَمْ يَدْخُلْ بِهَا: إِنْ كَلَّمْتُكِ فَأَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: إن ذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ طُلِّقَتْ طَلْقَةً وَاحِدَةً، وَهَلْ تَنْعَقِدُ هَذِهِ الثَّانِيَةُ طَلْقَةً؟." <تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٣٢/١>

"قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَصَاحِبَاهُ: تَنْعَقِدُ، وَقَالَ زُفَرُ: لَا تَنْعَقِدُ، وَحُجَّةُ زُفَرَ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِنْ كَلَّمْتُكِ فَعِنْدَ هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْكَلَامِ حَصَلَ الشَّرْطُ، لِأَنَّ اسْمَ الْكَلَامِ اسْمٌ لِكُلِّ مَا أَفَادَ شَيْئًا، سَوَاءٌ أَفَادَ فَائِدَةً تَامَّةً أَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَإِذَا حَصَلَ الشَّرْطُ حَصَلَ الْجَزَاءُ، وَطُلِّقَتْ عِنْدَ قَوْلِهِ إِنَّ كَلَّمْتُكِ، فَوَقَعَ تَمَامُ قَوْلِهِ: «أَنْتِ طَالِقٌ» خَارِجَ تَمَامِ مِلْكِ النِّكَاحِ، وَغَيْرَ مُضَافٍ إِلَيْهِ، فَوَجَبَ أَنْ لَا تَنْعَقِدَ، وَحُجَّةُ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ الشَّرْطَ- وَهُوَ قَوْلُهُ إِنْ كَلَّمْتُكِ- **غَيْرُ تَامٍّ**، وَالْكَلَامُ اسْمٌ لِلْجُمْلَةِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَقَعِ الطَّلَاقُ/ إِلَّا عِنْدَ تَمَامِ قَوْلِهِ إِنْ كَلَّمْتُكِ فَأَنْتِ طَالِقٌ، وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّا إِنْ قُلْنَا إِنَّ اسْمَ الْكَلَامِ يَتَنَاوَلُ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ كان القول قول زفر، وإن قلنا إنه

لَا يَتَنَاوَلُ إِلَّا الْجُمْلَةَ فَالْقَوْلُ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَمِمَّا يُقَوِّي قَوْلَ زُفَرَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ «إِنْ كَلَّمْتُكِ» وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَذْكُرْ بَعْدَهُ قَوْلَهُ:

«فَأَنْتِ طَالِقٌ» طلقت، لولا أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ كَلَامٌ وَإِلَّا لَمَا طُلِّقَتْ، وَمِمَّا يُقَوِّي قَوْلَ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ: «كُلَّمَا كَلَّمْتُكِ فَأَنْتِ طَالِقٌ» ثُمَّ ذَكَرَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ فَكَلِمَةُ «كُلَّمَا» تُوجِبُ التَّكْرَارَ فَلَوْ كَانَ التَّكَلُّمُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ كَلَامًا لَوَجَبَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ الطَّلَقَاتُ الثَّلَاثُ عِنْدَ قَوْلِهِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ: «كُلَّمَا كَلَّمْتُكِ» وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَذْكُرْ بَعْدَهُ قَوْلَهُ: «فَأَنْتِ طَالِقٌ» لِأَنَّ هَذَا الْمَجْمُوعَ مُشْتَمِلٌ عَلَى ذِكْرِ الْكَلِمَاتِ الْكَثِيرَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُوجِبُ وُقُوعَ الطَّلَاقِ وَأَقُولُ: لَعَلَّ زُفَرَ يَلْتَزِمُ ذَلِكَ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَحَلُّ الْخِلَافِ الْمَذْكُورِ بَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَزُفَرَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَخْصُوصًا بِمَا إِذَا قَالَ: «إِنْ كَلَّمْتُكِ فَأَنْتِ طَالِقٌ» أَمَّا لَوْ قَالَ: «إِنْ تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ فَأَنْتِ طَالِقٌ» أَوْ قَالَ: «إِنْ نَطَقْتُ» أَوْ قَالَ: «إِنْ تَلَفَّظْتُ بِلَفْظَةٍ» أَوْ قَالَ: «إِنْ قُلْتُ قَوْلًا فَأَنْتِ طَالِقٌ» وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ قَوْلَ زُفَرَ قَوْلًا وَاحِدًا، والله أعلم.

هل يطلق الكلام على المهمل:

المسألة الثالثة عشرة [هل يطلق الكلام على المهمل] : لَفْظُ الْكَلِمَةِ وَالْكَلَامِ هَلْ يَتَنَاوَلُ الْمُهْمَلَ أَمْ لَا؟ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ يَتَنَاوَلُهُ لِأَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ الْكَلَامُ مِنْهُ مُهْمَلٌ وَمِنْهُ مُسْتَعْمَلٌ، وَلِأَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ، وَلِأَنَّ الْمُهْمَلَ يُؤَثِّرُ فِي السَّمْعِ فَيَكُونُ مَعْنَى التَّأْثِيرِ وَالْكَلَامِ حَاصِلًا فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلَامُ مُخْتَصَّانِ بِالْمُفِيدِ، إِذْ لَوْ لَمْ يُعْتَبَرْ هَذَا الْقَيْدُ لَزِمَ تَجْوِيزُ تَسْمِيَةِ أصوات الطيور بالكلمة والكلام.

هل الأصوات الطبيعية تسمى كلاما:

المسألة الرابعة عشرة [هل الأصوات الطبيعية تسمى كلاما] : إِذَا حَصَلَتْ أَصْوَاتٌ مُتَرَكِّبَةٌ تَرْكِيبًا يَدُلُّ عَلَى الْمَعَانِي إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ التَّرْكِيبَ كَانَ تَرْكِيبًا طَبِيعِيًّا لَا وَضْعِيًّا فَهَلْ يُسَمَّى مِثْلُ تِلْكَ الْأَصْوَاتِ كَلِمَةً وَكَلَامًا؟ مِثْلُ أَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَ الرَّاحَةِ أَوِ الْوَجَعِ قَدْ يَقُولُ أَخْ، وَعِنْدَ السُّعَالِ قَدْ يَقُولُ أَحْ أَحْ، فَهَذِهِ أَصْوَاتٌ مُرَكَّبَةٌ، وَحُرُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى مَعَانٍ مَخْصُوصَةٍ، لَكِنَّ دَلَالَتَهَا عَلَى مَدْلُولَاتِهَا بِالطَّبْعِ لَا بِالْوَضْعِ، فَهَلْ تُسَمَّى أَمْثَالُهَا كَلِمَاتٍ؟ وَكَذَلِكَ صَوْتُ الْقَطَا يُشْبِهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ قَطَا، وَصَوْتُ اللَّقْلَقِ يُشْبِهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَقْ لَقْ، فَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ هَلْ تُسَمَّى كَلِمَاتٍ؟ اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا رَأَيْتُ فِي الْجَانِبَيْنِ حُجَّةً مُعْتَبَرَةً، وَفَائِدَةُ هَذَا الْبَحْثِ تَظْهَرُ فِيمَا إِذَا قَالَ: إِنْ سَمِعْتُ كَلِمَةً فَعَبْدِي حُرٌّ، فَهَلْ يَتَرَتَّبُ الْحِنْثُ وَالْبِرُّ عَلَى سَماعِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَمْ لَا؟.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: قَالَ ابْنُ جِنِّي: لَفْظُ الْقَوْلِ يَقَعُ عَلَى الْكَلَامِ التَّامِّ، وَعَلَى الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، على."
<تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ١/٣٣>
"أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ هُدًى فِي إِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَصِفَاتِهِ وَإِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ، فَثَبَتَ أَنَّ الْمُطْلَقَ لَا يُفِيدُ الْعُمُومَ.

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: الْهُدَى هُوَ الَّذِي بَلَغَ فِي الْبَيَانِ وَالْوُضُوحِ إِلَى حَيْثُ بَيَّنَ غَيْرَهُ، وَالْقُرْآنُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُفَسِّرِينَ مَا يَذْكُرُونَ آيَةً إِلَّا وَذَكَرُوا فِيهَا أَقْوَالًا كَثِيرَةً مُتَعَارِضَةً، وَمَا يَكُونُ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ مُبَيِّنًا فِي نَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُبَيِّنًا لِغَيْرِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ هُدًى؟ قُلْنَا: مَنْ تَكَلَّمَ فِي التَّفْسِيرِ بِحَيْثُ يُورِدُ الْأَقْوَالَ الْمُتَعَارِضَةَ، وَلَا يُرَجِّحُ وَاحِدًا مِنْهَا عَلَى الْبَاقِي يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ هُوَ هَذَا السُّؤَالُ، وَأَمَّا نَحْنُ فَقَدَ رَجَّحْنَا وَاحِدًا عَلَى الْبَوَاقِي بِالدَّلِيلِ فَلَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْنَا هَذَا السُّؤَالُ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : مَحَلُّ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الرَّفْعُ، لِأَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ أَوْ خَبَرٌ مَعَ لَا رَيْبَ فِيهِ لِ ذلِكَ، أَوْ مُبْتَدَأٌ إِذَا جُعِلَ الظَّرْفُ الْمُتَقَدِّمُ خَبَرًا عَنْهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُنْصَبَ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ الْإِشَارَةُ، أَوِ الظَّرْفُ، وَالَّذِي هُوَ أَرْسَخُ عِرْقًا فِي الْبَلَاغَةِ أَنْ يَضْرِبَ عَنْ هَذَا الْمَجَالِ صَفْحًا، وَأَنْ يُقَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: الم جُمْلَةٌ بِرَأْسِهَا، أَوْ طَائِفَةٌ من حروف المعجم مستقلة بنفسها، وذلِكَ الْكِتابُ جملة ثانية، ولا رَيْبَ فِيهِ ثالثة وهُدىً لِلْمُتَّقِينَ رَابِعَةٌ وَقَدْ أُصِيبَ بِتَرْتِيبِهَا مَفْصِلُ الْبَلَاغَةِ وَمُوجِبُ حُسْنِ النَّظْمِ، حَيْثُ جِيءَ بِهَا مُتَنَاسِقَةً هَكَذَا مِنْ غَيْرِ حَرْفِ نَسَقٍ، وَذَلِكَ لِمَجِيئِهَا مُتَآخِيَةً آخِذًا بَعْضُهَا بِعُنُقِ بَعْضٍ، وَالثَّانِيَةُ مُتَّحِدَةٌ بِالْأُولَى وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى الثَّالِثَةِ، وَالرَّابِعَةِ.

بَيَانُهُ: أَنَّهُ نُبِّهَ أَوَّلًا عَلَى أَنَّهُ الْكَلَامُ الْمُتَحَدَّى بِهِ، ثُمَّ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ الْكِتَابُ الْمَنْعُوتُ بِغَايَةِ الْكَمَالِ/ فَكَانَ تَقْرِيرُ الْجِهَةِ التَّحَدِّي، ثُمَّ نَفَى عَنْهُ أَنْ يَتَشَبَّثَ بِهِ طَرَفٌ مِنَ الرَّيْبِ، فَكَانَ شَهَادَةً بِكَمَالِهِ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُ بِأَنَّهُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، فَقَرَّرَ بِذَلِكَ كَوْنَهُ يَقِينًا لَا يَحُومُ الشَّكُّ حَوْلَهُ، ثُمَّ لَمْ يَخْلُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ بَعْدَ أَنْ رُتِّبَتْ هَذَا التَّرْتِيبَ الْأَنِيقَ مِنْ نُكْتَةٍ، فَفِي الْأُولَى الْحَذْفُ وَالرَّمْزُ إِلَى الْغَرَضِ بِأَلْطَفِ وَجْهٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ مَا فِي التَّعْرِيفِ مِنَ الْفَخَامَةِ، وَفِي الثَّالِثَةِ مَا فِي تَقْدِيمِ الرَّيْبِ عَلَى الظَّرْفِ، وَفِي الرَّابِعَةِ الْحَذْفُ وَوَضْعُ الْمَصْدَرِ- الَّذِي هُوَ هُدًى- مَوْضِعَ الْوَصْفِ الَّذِي هُوَ هادٍ، وإيراده منكراً.

[سورة البقرة (٢) : آية ٣]
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)
اعْلَمْ أَنَّ فِيهِ مَسَائِلَ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِمَّا مَوْصُولٌ بِالْمُتَّقِينَ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ مَجْرُورَةٌ، أَوْ مَنْصُوبٌ أَوْ مَدْحٌ مَرْفُوعٌ بِتَقْدِيرِ أَعْنِي الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ، أَوْ هُمُ الَّذِينَ، وَإِمَّا مُنْقَطِعٌ عَنِ الْمُتَّقِينَ مرفوع على الابتداء مخبر عنه ب أُولئِكَ عَلى هُدىً فَإِذَا كَانَ مَوْصُولًا كَانَ الْوَقْفُ عَلَى الْمُتَّقِينَ حَسَنًا **غَيْرَ تَامٍّ**، وَإِذَا كَانَ مُنْقَطِعًا كَانَ وَقْفًا تَامًّا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَالتَّفْسِيرِ لِكَوْنِهِمْ مُتَّقِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُتَّقِيَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ فَاعِلًا لِلْحَسَنَاتِ وَتَارِكًا لِلسَّيِّئَاتِ، أَمَّا الْفِعْلُ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِعْلَ الْقَلْبِ- وَهُوَ قَوْلُهُ: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ- وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِعْلَ الْجَوَارِحِ، وَأَسَاسُهُ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّدَقَةُ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ بَدَنِيَّةً وَأَجَلُّهَا الصَّلَاةُ، أَوْ مَالِيَّةً، وَأَجَلُّهَا الزَّكَاةُ، وَلِهَذَا

سَمَّى الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ، وَالزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ»

وَأَمَّا التَّرْكُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الصَّلَاةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ." <تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٢/٢٦٩>

"أَنْ نَشْتَغِلَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَنَحْنُ نَعْبُدُ بَعْضَ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا لِذَلِكَ الْمَلَكِ الَّذِي عَبَدُوهُ تِمْثَالًا وَصُورَةً وَاشْتَغَلُوا بِعِبَادَتِهِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَاللَّهُ تَعَالَى احْتَجَّ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْأَصْنَامَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي صِفَتِهِمْ: أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ وَابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يَلِيقُ بِالْأَصْنَامِ الْبَتَّةَ.

إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا الْمَلَائِكَةَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ عَبَدُوا الْمَسِيحَ وَعُزَيْرًا، وَقِيلَ: إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ، وَبَقِيَ أُولَئِكَ النَّاسُ مُتَمَسِّكِينَ بِعِبَادَتِهِمْ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلُّ مَوْضِعٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَدَ فِيهِ لَفْظُ زَعَمَ فَهُوَ كَذِبٌ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى احْتَجَّ عَلَى فَسَادِ مَذْهَبِ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْإِلَهَ الْمَعْبُودَ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى إِزَالَةِ الضَّرَرِ، وَإِيصَالِ الْمَنْفَعَةِ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ والجن والمسيح وعزيز لَا يَقْدِرُونَ عَلَى كَشْفِ الضُّرِّ وَلَا عَلَى تَحْصِيلِ النَّفْعِ، فَوَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ آلِهَةً.

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: هَذَا الدَّلِيلُ إِنَّمَا يَتِمُّ إِذَا دَلَّلْتُمْ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى كَشْفِ الضُّرِّ وَلَا عَلَى تَحْصِيلِ النَّفْعِ فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ حَتَّى يَتِمَّ دَلِيلُكُمْ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: لِأَنَّا نَرَى أَنَّ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ كَانُوا يَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهَا فَلَا تَحْصُلُ الْإِجَابَةُ.

قُلْنَا: مُعَارَضَةً لِذَلِكَ قَدْ نَرَى أَيْضًا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَا تَحْصُلُ الْإِجَابَةُ، وَالْمُسْلِمُونَ

يَقُولُونَ: إِنَّ الْقَدْرَ الْحَاصِلَ مِنْ كَشْفِ الضُّرِّ وَتَحْصِيلِ النَّفْعِ إِنَّمَا يَحْصُلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَأُولَئِكَ الْكُفَّارُ يَقُولُونَ إِنَّهُ يَحْصُلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَالدَّلِيلُ **غَيْرُ تَامٍّ.**
وَالْجَوَابُ: أَنَّ الدَّلِيلَ تَامٌّ كَامِلٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ/ عِبَادُ اللَّهِ وَخَالِقُ الْمَلَائِكَةِ، وَخَالِقُ الْعَالَمِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ أَقْدَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَقْوَى مِنْهُمْ، وَأَكْمَلَ حَالًا مِنْهُمْ.
وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: كَمَالُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْلُومٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَكَمَالُ قُدْرَةِ الْمَلَائِكَةِ غَيْرُ مَعْلُومٍ وَلَا مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ، بَلِ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّ قُدْرَتَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الِاشْتِغَالُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْلَى مِنَ الِاشْتِغَالِ بِعِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ كَوْنَ اللَّهِ مُسْتَحِقًّا لِلْعِبَادَةِ مَعْلُومٌ، وَكَوْنَ الْمَلَائِكَةِ كَذَلِكَ مَجْهُولٌ وَالْأَخْذُ بِالْمَعْلُومِ أَوْلَى، وَأَمَّا أَصْحَابُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَلَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ طَرِيقَةٌ أُخْرَى وهو أنهم يقيمون الحجة الْعَقْلِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا مُوجِدَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا مُخْرِجَ لِشَيْءٍ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.
وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ثَبَتَ أَنَّهُ لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَوَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ لَا تَتِمُّ لِلْمُعْتَزِلَةِ لِأَنَّهُمْ لَمَّا جَوَّزُوا كَوْنَ الْعَبْدِ مُوجِدًا لِأَفْعَالِهِ امْتَنَعَ عَلَيْهِمُ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ وَخَلْقِ الْجِسْمِ. وَإِذَا عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ لَمْ يَتِمَّ لَهُمْ هَذَا الدَّلِيلُ فَهَذَا هُوَ ذِكْرُ الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ: فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلًا وَالتَّحْوِيلُ عِبَارَةٌ عَنِ النَّقْلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَمَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ: حَوَّلَهُ فَتَحَوَّلَ.
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ وَفِيهِ قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: قَالَ الْفَرَّاءُ قَوْلُهُ:." <تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٢٠/٣٥٧>
"لَهُمْ أَصَابِعَ يَأْكُلُونَ بِهَا فَرَدَّ الْمَلَاعِقَ وَأَكَلَ بِأَصَابِعِهِ. وَثَانِيهَا: قَالَ الضَّحَّاكُ: بِالنُّطْقِ وَالتَّمْيِيزِ وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ أَنَّ مَنْ عَرَفَ شَيْئًا، فَإِمَّا أَنْ يَعْجزَ عَنْ تَعْرِيفِ غَيْرِهِ كَوْنُهُ عَارِفًا بِذَلِكَ الشَّيْءِ أَوْ يَقْدِرَ عَلَى هَذَا التَّعْرِيفِ.
أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فَهُوَ حَالُ جُمْلَةِ الْحَيَوَانَاتِ سِوَى الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَصَلَ فِي بَاطِنِهَا أَلَمٌ أَوْ لَذَّةٌ فَإِنَّهَا تَعْجَزُ عَنْ تَعْرِيفِ غَيْرِهَا تِلْكَ الْأَحْوَالِ تَعْرِيفًا تَامًّا وَافِيًا.
وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: فَهُوَ الْإِنْسَانُ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُهُ تَعْرِيفُ غَيْرِهِ كُلَّ مَا عَرَفَهُ وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَأَحَاطَ بِهِ فَكَوْنُهُ قَادِرًا عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّعْرِيفِ هُوَ الْمُرَادُ بِكَوْنِهِ نَاطِقًا، وَبِهَذَا الْبَيَانِ ظَهَرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْأَخْرَسَ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْوَصْفِ، لِأَنَّهُ وَإِنْ عَجَزَ عَنْ تَعْرِيفِ غَيْرِهِ مَا فِي قَلْبِهِ بِطَرِيقِ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُهُ ذَلِكَ بطريق الإشارة وبطريقة الْكِتَابَةِ

وَغَيْرِهِمَا وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ الْبَبْغَاءُ، لِأَنَّهُ وَإِنْ قَدَرَ عَلَى تَعْرِيفَاتٍ قَلِيلَةٍ، فَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى تَعْرِيفِ جَمِيعِ الْأَحْوَالِ عَلَى سَبِيلِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ. وَثَالِثُهَا: قَالَ عَطَاءٌ: بِامْتِدَادِ الْقَامَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ **غَيْرُ تَامٍّ** لِأَنَّ الأشجار أطور مِنْ قَامَةِ الْإِنْسَانِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُشْتَرَطَ فِيهِ شَرْطٌ، وَهُوَ طُولُ الْقَامَةِ مَعَ اسْتِكْمَالِ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْقُوَى الْحِسِّيَّةِ وَالْحَرَكِيَّةِ. وَرَابِعُهَا: قَالَ يَمَانٌ بِحُسْنِ الصُّورَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ [غَافِرٍ: ٦٤] لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى خِلْقَةَ الْإِنْسَانِ قَالَ: فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٤] وَقَالَ: صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً [الْبَقَرَةِ: ١٣٨] وَإِنْ شِئْتَ فَتَأَمَّلْ عُضْوًا وَاحِدًا مِنْ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْعَيْنُ فَخَلَقَ الْحَدَقَةَ سَوْدَاءَ ثُمَّ أَحَاطَ بِذَلِكَ السَّوَادِ بَيَاضَ الْعَيْنِ ثُمَّ أَحَاطَ بِذَلِكَ الْبَيَاضِ سَوَادَ الْأَشْفَارِ ثُمَّ أَحَاطَ بِذَلِكَ السَّوَادِ بَيَاضَ الْأَجْفَانِ ثُمَّ خَلَقَ فَوْقَ بَيَاضِ الْجَفْنِ سَوَادَ الْحَاجِبَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ فَوْقَ ذَلِكَ السَّوَادِ بَيَاضَ الْجَبْهَةِ ثُمَّ خَلَقَ فَوْقَ بَيَاضِ الْجَبْهَةِ سَوَادَ الشَّعْرِ، وَلْيَكُنْ هَذَا الْمِثَالُ الْوَاحِدُ أُنْمُوذَجًا لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ. وَخَامِسُهَا: قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ كَرَامَاتِ الْآدَمِيِّ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْخَطَّ. وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى اسْتِنْبَاطِهِ يَكُونُ قَلِيلًا. أَمَّا إِذَا اسْتَنْبَطَ الْإِنْسَانُ عِلْمًا وَأَوْدَعَهُ فِي الْكِتَابِ، وَجَاءَ الْإِنْسَانُ الثَّانِي وَاسْتَعَانَ بِذَلِكَ الْكِتَابِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ أَشْيَاءَ أُخْرَى ثُمَّ لَا يَزَالُونَ يَتَعَاقَبُونَ، وَيَضُمُّ كُلُّ مُتَأَخِّرٍ مَبَاحِثَ كَثِيرَةً إِلَى عِلْمِ الْمُتَقَدِّمِينَ كَثُرَتِ الْعُلُومُ وَقَوِيَتِ الْفَضَائِلُ وَالْمَعَارِفُ وَانْتَهَتِ الْمَبَاحِثُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْمَطَالِبُ الشَّرْعِيَّةُ إِلَى أَقْصَى الْغَايَاتِ وَأَكْمَلِ النِّهَايَاتِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الْبَابَ لَا يَتَأَتَّى إِلَّا بِوَاسِطَةِ الْخَطِّ وَالْكِتَبَةِ، وَلِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ الْكَامِلَةِ قَالَ تَعَالَى: اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. [الْعَلَقِ: ٣- ٥] وَسَادِسُهَا: أَنَّ أَجْسَامَ هَذَا الْعَالَمِ إِمَّا بَسَائِطُ وَإِمَّا مُرَكَّبَاتٌ، أَمَّا الْبَسَائِطُ فَهِيَ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ/ وَالْهَوَاءُ وَالنَّارُ. وَالْإِنْسَانُ يَنْتَفِعُ بِكُلِّ هَذِهِ الْأَرْبَعِ، أَمَّا الْأَرْضُ فَهِيَ لَنَا كَالْأُمِّ الْحَاضِنَةِ. قَالَ تَعَالَى: مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى [طه: ٥٥] وَقَدْ سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَسْمَاءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا، وَهِيَ الْفِرَاشُ وَالْمَهْدُ، وَالْمِهَادُ، وَأَمَّا الْمَاءُ فَانْتِفَاعُنَا بِهِ فِي الشُّرْبِ وَالزِّرَاعَةِ وَالْحِرَاثَةِ ظَاهِرٌ، وَأَيْضًا سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَأْكُلَ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا، وَنَسْتَخْرِجَ مِنْهُ حِلْيَةً نَلْبَسُهَا وَنَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ، وَأَمَّا الْهَوَاءُ فَهُوَ مَادَّةُ حَيَاتِنَا، وَلَوْلَا هُبُوبُ الرِّيَاحِ لَاسْتَوْلَى النَّتَنُ عَلَى هَذِهِ الْمَعْمُورَةِ، وَأَمَّا النَّارُ فَبِهَا طَبْخُ الْأَغْذِيَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَنُضْجُهَا، وَهِيَ قَائِمَةٌ مَقَامَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ، وَهِيَ الدَّافِعَةُ لِضَرَرِ الْبَرْدِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَنْ يُرِدْ فِي الشِّتَاءِ فَاكِهَةً ... فَإِنَّ نَارَ الشِّتَاءِ فَاكِهَتُهُ

وَأَمَّا الْمُرَكَّبَاتُ فَهِيَ إِمَّا الْآثَارُ الْعُلْوِيَّةُ، وَإِمَّا الْمَعَادِنُ وَالنَّبَاتُ، وَأَمَّا الْحَيَوَانُ وَالْإِنْسَانُ كَالْمُسْتَوْلِي على هذه."

<تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٣٧٣/٢١>

"أَعْظَمُ، فَلَمَّا جَعَلَ الْمِيقَاتَ لِلْعُمْرَةِ كَانَ ذَلِكَ نَوْعَ خَلَلٍ، وَإِذَا ثَبَتَ كَوْنُ الْخَلَلِ فِي هَذَا الْحَجِّ وَجَبَ جَعْلُ الدَّمِ دَمَ جُبْرَانٍ لَا دَمَ نُسُكٍ.

الْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ الدَّمَ لَيْسَ بِنُسُكٍ أَصْلِيٍّ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ كَمَا لَوْ أَفْرَدَ بِهِمَا، وَكَمَا فِي حَقِّ الْمَكِّيِّ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعِبَادَتَيْنِ لَا يُوجِبُ الدَّمَ أَيْضًا بِدَلِيلِ أَنَّ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالِاعْتِكَافِ لَا يَلْزَمُهُ الدَّمُ، فَثَبَتَ بِهَذَا أَنَّ هَذَا الدَّمَ لَيْسَ دَمَ نُسُكٍ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ دَمَ جُبْرَانٍ.

الْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ الْهَدْيَ عَلَى التَّمَتُّعِ بِلَا تَوْقِيتٍ، وَكَوْنُهُ غَيْرَ مُؤَقَّتٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ دَمُ جُبْرَانٍ لِأَنَّ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا مُؤَقَّتَةٌ.

الْحُجَّةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ لِلصَّوْمِ فِيهِ مَدْخَلًا، وَدَمُ النُّسُكِ لَا يُبْدَلُ بِالصَّوْمِ، وَإِذَا عَرَفْتَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْنَا فَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْزَمَ الْمُكَلَّفَ إِتْمَامَ الْحَجِّ فِي قَوْلِهِ: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّ حَجَّ التَّمَتُّعِ **غَيْرُ تَامٍّ**، فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَذَلِكَ لِأَنَّ تَمَتُّعَكُمْ يُوقِعُ نَقْصًا فِي حَجَّتِكُمْ فَاجْبُرُوهُ بِالْهَدْيِ لِتَكْمُلَ بِهِ حَجَّتُكُمْ فَهَذَا مَعْنًى حَسَنٌ مَفْهُومٌ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ وَهُوَ لَا يَتَقَرَّرُ إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الدَّمُ الْوَاجِبُ بِالتَّمَتُّعِ: دَمُ شَاةٍ جَذَعَةٍ مِنَ الضَّأْنِ أَوْ ثَنِيَّةٍ مِنَ الْمَعْزِ، وَلَوْ تَشَارَكَ سِتَّةٌ فِي بقرة أو بدنة جاز، ووقت وجوبه بعد ما أَحْرَمَ بِالْحَجِّ، لِأَنَّ الْفَاءَ فِي قَوْلِهِ: فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَجَبَ عَقِيبَ التَّمَتُّعِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَذْبَحَ يَوْمَ النَّحْرِ، فلو ذبح بعد ما أَحْرَمَ بِالْحَجِّ جَازَ لِأَنَّ التَّمَتُّعَ قَدْ تَحَقَّقَ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَجُوزُ، وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ دَمَ التَّمَتُّعِ عِنْدَنَا دَمُ جُبْرَانٍ كَسَائِرِ دِمَاءِ الْجُبْرَانَاتِ، وَعِنْدَهُ دَمُ نُسُكٍ كَدَمِ الْأُضْحِيَّةِ فَيَخْتَصُّ/ بِيَوْمِ النَّحْرِ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فالمعنى أن التمتع إِنْ وَجَدَ الْهَدْيَ فَلَا كَلَامَ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى بَدَلَهُ مِنَ الصِّيَامِ، فَهَذَا الْهَدْيُ أَفْضَلُ أَمِ الصِّيَامُ؟ الظَّاهِرُ أَنْ يَكُونَ الْمُبْدَلُ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ أَفْضَلَ، لَكِنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ فِي هَذَا الْبَدَلِ أَنَّهُ فِي الْكَمَالِ وَالثَّوَابِ كَالْهَدْيِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْآيَةُ نَصٌّ فِيمَا إِذَا لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ، وَالْفُقَهَاءُ قَاسُوا عَلَيْهِ مَا إِذَا وَجَدَ الْهَدْيَ وَلَمْ يَجِدْ ثَمَنَهُ، أَوْ كَانَ مَالُهُ غَائِبًا، أَوْ يُبَاعُ بِثَمَنٍ غَالٍ فَهُنَا أَيْضًا يَعْدِلُ إِلَى الصَّوْمِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أَيْ فَعَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَقْتَ اشْتِغَالِهِ بِالْحَجِّ وَيَتَفَرَّعُ عَلَيْهِ مَسْأَلَةٌ فِقْهِيَّةٌ، وَهِيَ أَنَّ الْمُتَمَتِّعَ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ لَا يَصِحُّ صَوْمُهُ بَعْدَ إِحْرَامِ الْعُمْرَةِ قَبْلَ إِحْرَامِ الْحَجِّ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَصِحُّ حُجَّةُ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ صَامَ قَبْلَ وَقْتِهِ فَلَا يَجُوزُ كَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ

قَبْلَهُ، وَكَمَا إِذَا صَامَ السَّبْعَةَ أَيَّامٍ قَبْلَ الرُّجُوعِ وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّهُ صَامَ قَبْلَ وَقْتِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَأَرَادَ بِهِ إِحْرَامَ الْحَجِّ، لِأَنَّ سَائِرَ أَفْعَالِ الْحَجِّ لَا تَصْلُحُ ظَرْفًا لِلصَّوْمِ، وَالْإِحْرَامُ يَصْلُحُ فَوَجَبَ حَمْلُهُ عَلَيْهِ الثَّانِي: أَنَّ مَا قَبْلَ الْإِحْرَامِ بِالْحَجِّ لَيْسَ بِوَقْتٍ لِلْهَدْيِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ، فَكَذَا لَا يَكُونُ وَقْتًا لِلصَّوْمِ الَّذِي هُوَ بدله اعتبار بِسَائِرِ الْأُصُولِ وَالْإِبْدَالِ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ الْبَدَلَ حَالَ عَدَمِ الْأَصْلِ يَقُومُ مَقَامَهُ فَيَصِيرُ فِي." <تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٥/٣٠٩>

"فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: اعْلَمْ أَنَّ فِي قَوْلِهِ لَيْسُوا سَواءً قَوْلَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ قَوْلَهُ لَيْسُوا سَواءً كَلَامٌ تَامٌّ، وَقَوْلُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ لِبَيَانِ قَوْلِهِ لَيْسُوا سَواءً كَمَا وَقَعَ قَوْلُهُ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ [آل عمران: ١١٠] بياناً لقوله كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ [آل عمران: ١١٠] وَالْمَعْنَى أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ/ لَيْسُوا سَوَاءً، وَهُوَ تَقْرِيرٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ احْتِمَالَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ وكان تَمَامُ الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: وَمِنْهُمْ أُمَّةٌ مَذْمُومَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ أَضْمَرَ ذِكْرَ الْأُمَّةِ الْمَذْمُومَةِ عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِ مِنْ أَنَّ ذِكْرَ أَحَدِ الضِّدَّيْنِ يُغْنِي عَنْ ذِكْرِ الضِّدِّ الْآخَرِ وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ الضِّدَّيْنِ يُعْلَمَانِ مَعًا، فَذِكْرُ أَحَدِهِمَا يَسْتَقِلُّ بِإِفَادَةِ الْعِلْمِ بِهِمَا، فَلَا جَرَمَ يَحْسُنُ إِهْمَالُ الضِّدِّ الْآخَرِ.

قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّيَ لَامْرُؤٌ ... مُطِيعٌ فَلَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا

أَرَادَ (أَمْ غَيٌّ) فَاكْتَفَى بِذِكْرِ الرُّشْدِ عَنْ ذِكْرِ الْغَيِّ، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَّاءِ وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَا حَاجَةَ إِلَى إِضْمَارِ الْأُمَّةِ الْمَذْمُومَةِ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْأُمَّةِ الْمَذْمُومَةِ قَدْ جَرَى فِيمَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى إِضْمَارِهَا مَرَّةً أُخْرَى، لِأَنَّا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعِلْمُ بِالضِّدَّيْنِ مَعًا كَانَ ذِكْرُ أَحَدِهِمَا مُغْنِيًا عَنْ ذِكْرِ الْآخَرِ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ زَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ لَا يَسْتَوِيَانِ زَيْدٌ عاقل دين زكي، فيغني هذا عن أَنْ يُقَالَ: وَعَبْدُ اللَّهِ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَكَذَا هاهنا لَمَّا تَقَدَّمَ قَوْلُهُ لَيْسُوا سَواءً أَغْنَى ذَلِكَ عَنِ الْإِضْمَارِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ قَوْلَهُ لَيْسُوا سَواءً كلام غير تام ولا يجوز الوقت عِنْدَهُ، بَلْ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا بَعْدَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ وَأُمَّةٌ مَذْمُومَةٌ، فَأُمَّةٌ رُفِعَ بِلَيْسَ وَإِنَّمَا قِيلَ لَيْسُوا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ: أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَا بُدَّ مِنْ إِضْمَارِ الْأُمَّةِ الْمَذْمُومَةِ وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ النَّحْوِيِّينَ أَنْكَرُوا هَذَا الْقَوْلَ لِاتِّفَاقِ الْأَكْثَرِينَ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ وَأَمْثَالَهَا لُغَةٌ رَكِيكَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: يُقَالُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ سَوَاءٌ، أَيْ مُتَسَاوِيَانِ وَقَوْمٌ سَوَاءٌ، لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ وَمَضَى الْكَلَامُ فِي سَواءً فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: فِي الْمُرَادِ بِأَهْلِ الْكِتَابِ قَوْلَانِ الْأَوَّلُ: وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ قَالَ لَهُمْ بَعْضُ كِبَارِ الْيَهُودِ: لَقَدْ كَفَرْتُمْ وَخَسِرْتُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَيَانِ فَضْلِهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ،

وَقِيلَ: إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِالصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ لِبَيَانِ أَنَّ كُلَّ أَهْلِ الْكِتَابِ لَيْسُوا كَذَلِكَ، بَلْ فِيهِمْ مَنْ يَكُونُ مَوْصُوفًا بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَالْخِصَالِ الْمَرْضِيَّةِ، قَالَ الثَّوْرِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا يُصَلُّونَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَعَنْ عَطَاءٍ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَرْبَعِينَ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَثَلَاثَةٍ مِنَ الرُّومِ كَانُوا عَلَى دِينِ عِيسَى وَصَدَّقُوا بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ كُلُّ مَنْ أُوتِيَ الْكِتَابَ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ."

<تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٨/٣٣١>

"جَعَلَ مَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ **غَيْرَ تَامٍّ**، وَفِيهِ الْأَعَارِيبُ الَّتِي فِي الْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ، إِذَا تَأَخَّرَ، أَهُوَ مُبْتَدَأٌ، وَالْجُمْلَةُ الَّتِي قَبْلَهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ عَلَى مَا تَقَرَّرَ قَبْلُ؟ وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي بِهِ، فَيَكُونَ فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ. بِما أَنْزَلَ اللَّهُ: هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ. وَفِي ذَلِكَ مِنَ التَّفْخِيمِ إِنْ لَمْ يَحْصُلْ مُضْمَرٌ، بَلْ أَظْهَرَ مَوْصُولًا بِالْفِعْلِ الَّذِي هُوَ أَنْزَلَ الْمُشْعِرُ بِأَنَّهُ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَنُسِبَ إِسْنَادُهُ إِلَى اللَّهِ، لِيَحْصُلَ التَّوَافُقُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى بَيْنَ قَوْلِهِ: كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: بِما أَنْزَلَ اللَّهُ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ، إِذْ كَفَرُوا بِعِيسَى وَبِمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَالْكُفْرُ بِهِمَا كُفْرٌ بِالتَّوْرَاةِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ الْجَمِيعُ مِنْ قُرْآنٍ وَإِنْجِيلٍ وَتَوْرَاةٍ، لِأَنَّ الْكُفْرَ بِبَعْضِهَا كُفْرٌ بِكُلِّهَا. بَغْياً: أَيْ حَسَدًا، إِذْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَهُ قَتَادَةُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالسُّدِّيُّ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ظُلْمًا، وَانْتِصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ وَظَاهِرُهُ أَنَّ الْعَامِلَ فِيهِ يَكْفُرُوا، أَيْ كُفْرُهُمْ لِأَجْلِ الْبَغْيِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هُوَ عِلَّةُ اشْتَرَوْا، فَعَلَى قَوْلِهِ يَكُونُ الْعَامِلُ فِيهِ اشْتَرَوْا. وَقِيلَ: هُوَ نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ لَا مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، وَالتَّقْدِيرُ: بَغَوْا بَغْيًا،

وَحُذِفَ الْفِعْلُ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.

أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ: أَنْ: مَعَ الْفِعْلِ بِتَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ، وَذَلِكَ الْمَصْدَرُ الْمُقَدَّرُ مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، أَيْ بَغَوْا لِتَنْزِيلِ اللَّهِ. وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ بَغْيًا عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ لِأَنَّ مَعْنَاهُ حَسَدًا عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ، أَيْ عَلَى مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ مِنَ الْوَحْيِ، فَحُذِفَتْ عَلَى، وَيَجِيءُ الْخِلَافُ الَّذِي فِي أَنَّ وَأَنْ، إِذَا حُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ مِنْهُمَا، أَهُمَا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ أَمْ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ؟ وَقِيلَ: أَنْ يُنَزِّلَ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ عَلَى أَنَّهُ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ مَا فِي قَوْلِهِ: بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، أَيْ بِتَنْزِيلِ اللَّهِ، فَيَكُونُ مِثْلَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى أَنْ نَأَتْكَ تَنُوصُ وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ: جَمِيعَ الْمُضَارِعِ مُخَفَّفًا مِنْ أَنْزَلَ، إِلَّا مَا وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى تَشْدِيدِهِ، وَهُوَ فِي الْحِجْرِ، وَما نُنَزِّلُهُ «١» ، إِلَّا أَنَّ أَبَا عَمْرٍو شَدَّدَ عَلَى أَنْ نُنَزِّلَ آيَةً فِي الْأَنْعَامِ، وَابْنُ كَثِيرٍ شَدَّدَ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفاءٌ «٢» ، وحَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً «٣» ، وَشَدَّدَ الْبَاقُونَ الْمُضَارِعَ حَيْثُ وَقَعَ إِلَّا حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيَّ فَخَفَّفَا، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ «٤» ، فِي آخِرِ لُقْمَانَ، وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ «٥» ، فِي الشُّورَى. وَالْهَمْزَةُ

---

(١) سورة الحجر: ١٥/ ٢١.

(٢) سورة الإسراء: ١٧/ ٨٢.

(٣) سورة الإسراء: ١٧/ ٩٣.

(٤) سورة لقمان: ٣١/ ٣٤.

(٥) سورة الشورى: ٤٢/ ٢٨.." <البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ١/٤٩٠>

"أَعَجِلْتُمْ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ يُقَالُ: عَجِلَ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا تَرَكَهُ غَيْرَ تَامٍّ وَنَقِيضُهُ تَمَّ عَلَيْهِ وَأَعْجَلَهُ عَنْهُ غَيْرُهُ وَيَضْمَنُ مَعْنًى سَبَقَ فَيُعَدَّى تَعْدِيَتَهُ، فَيُقَالُ: عَجِلْتُ الْأَمْرَ وَالْمَعْنَى أَعَجِلْتُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ وَهُوَ انْتِظَارُ مُوسَى حَافِظِينَ لِعَهْدِهِ وَمَا وَصَّاكُمْ بِهِ فَبَنَيْتُمُ الْأَمْرَ عَلَى أَنَّ الميعاد قد بلع آخِرَهُ، وَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ فَحَدَّثْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِمَوْتِي فَغَيَّرْتُمْ كَمَا غَيَّرَتِ الْأُمَمُ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَرُوِيَ أَنَّ السَّامِرِيَّ قال لهم أحين أَخْرَجَ إِلَيْهِمُ الْعِجْلَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى إِنَّ مُوسَى لَنْ يَرْجِعَ وَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ انْتَهَى. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: مَعْنَاهُ أَسَابَقْتُمْ قَضَاءَ رَبِّكُمْ وَاسْتَعْجَلْتُمْ إِتْيَانِيَ مِنْ قَبْلِ الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرْتُهُ انْتَهَى، وَقَالَ يَعْقُوبُ: يُقَالُ عَجِلْتُ الشَّيْءَ سَبَقْتُهُ وَأَعْجَلْتُ الرَّجُلَ اسْتَعْجَلْتُهُ أَيْ حَمَلْتُهُ عَلَى الْعَجَلَةِ انْتَهَى، وَقِيلَ:

مَعْنَاهُ أَعَجِلْتُمْ مِيعَادَ رَبِّكُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقِيلَ: أَعَجِلْتُمْ سَخَطَ رَبِّكُمْ، وَقِيلَ:

أَعَجِلْتُمْ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَقِيلَ: الْعَجَلَةُ التَّقَدُّمُ بِالشَّيْءِ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، قِيلَ: وَهِيَ مَذْمُومَةٌ وَيُضَعِّفُهُ قَوْلُهُ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى وَالسُّرْعَةُ الْمُبَادَرَةُ بِالشَّيْءِ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ وَهِيَ مَحْمُودَةٌ.

وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ أَيِ الْأَلْوَاحَ التَّوْرَاةَ وَكَانَ حَامِلًا لَهَا فَوَضَعَهَا بِالْأَرْضِ غَضَبًا عَلَى مَا فَعَلَهُ قَوْمُهُ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ وَحَمِيَّةً لِدِينِ اللَّهِ وَكَانَ كَمَا تَقَدَّمَ شَدِيدَ الْغَضَبِ

وَقَالُوا كَانَ هَارُونُ أَلْيَنَ مِنْهُ خُلُقًا وَلِذَلِكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهُ.

وَقِيلَ: أَلْقَاهَا دَهَشًا لِمَا دَهَمَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ

،

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَلْقَاهَا تَكَسَّرَتْ فَرُفِعَ أَكْثَرُهَا الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَبَقِيَ الَّذِي فِي نُسْخَتِهِ الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ وَهُوَ الَّذِي أَخَذَ بعد ذلك

،

وروي أنها رُفِعَ سِتَّةُ أَسْبَاعِهَا وَبَقِيَ سُبُعٌ قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ

، وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ لَا يَصِحُّ أَنَّهُ رَمَاهَا رَمْيَ كَاسِرٍ انْتَهَى، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَلْقَاهَا مِنْ يَدَيْهِ لِأَنَّهُمَا كَانَتَا مَشْغُولَتَيْنِ بِهَا وَأَرَادَ إِمْسَاكَ أَخِيهِ وَجَرَّهُ وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ إِلَّا بِفَرَاغِ يَدَيْهِ لِجَرِّهِ وَفِي قَوْلِهِ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَتَكَسَّرْ وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرْفَعْ مِنْهَا شَيْءٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَخَذَ بِرَأْسِهِ أَيْ أَمْسَكَ رَأْسَهُ جَارَّهُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: بِشَعْرِ رَأْسِهِ، وَقِيلَ: بِذَوَائِبِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَقِيلَ: بِلِحْيَتِهِ، وَقِيلَ: بِأُذُنِهِ، وَقِيلَ: لَمْ يَأْخُذْ حَقِيقَةً وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ إِشَارَةً فَخَشِيَ هَارُونُ أَنْ يَتَوَهَّمَ النَّاظِرُ إِلَيْهِمَا أَنَّهُ لِغَضَبٍ فَلِذَلِكَ نَهَاهُ وَرَغِبَ إليه والظهر أَنَّ سَبَبَ هَذَا الْأَخْذِ هُوَ غَضَبُهُ عَلَى أَخِيهِ وَكَيْفَ عَبَدُوا الْعِجْلَ وَهُوَ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ فِيهِمْ وَأَمَرَهُ بِالْإِصْلَاحِ وَأَنْ لَا يَتَّبِعَ سَبِيلَ مَنْ أَفْسَدَ وَكَيْفَ لَمْ يَزْجُرْهُمْ وَيَكُفَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الظَّاهِرِ قَوْلُهُ: وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ وَقَوْلُهُ:." <البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ٥/١٨١>

"وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدُ الْقَوْمُ أَرْفِدِ أَيْ: وَلَكِنْ أَنَا مَتَى يَسْتَرْفِدُ الْقَوْمُ أَرْفِدُ. وَكَذَلِكَ تُقَدَّرُ هُنَا، وَلَكِنْ هُمْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا أَيْ: مِنْهُمْ. وَأَجَازَ الْحَوْفِيُّ وَالزَّمَخْشَرِيُّ: أَنْ تَكُونَ بَدَلًا مِنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، وَمِنَ الْكَاذِبُونَ. وَلَمْ يُجِزِ الزَّجَّاجُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْكَاذِبُونَ، لِأَنَّهُ رَأَى الْكَلَامَ إِلَى آخِرِ الِاسْتِثْنَاءِ غَيْرَ تَامٍّ، فَعَلَّقَهُ بِمَا قَبْلَهُ. وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ أُولَئِكَ، فَإِذَا كَانَ بَدَلًا مِنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فَيَكُونُ قَوْلُهُ: وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ، جُمْلَةَ اعْتِرَاضٍ بَيْنَ الْبَدَلِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهُ، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، وَاسْتَثْنَى مِنْهُمُ الْمُكْرَهَ فَلَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ حُكْمِ الِافْتِرَاءِ. وَإِذَا كَانَ بَدَلًا مِنِ الْكَاذِبُونَ فَالتَّقْدِيرُ: وَأُولَئِكَ هُمْ مَنْ

كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، وَإِذَا كَانَ بَدَلًا مِنِ أُولَئِكَ فَالتَّقْدِيرُ: وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ. وَهَذِهِ الْأَوْجُهُ الثَّلَاثَةُ عِنْدِي ضَعِيفَةٌ. لِأَنَّ الْأَوَّلَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، وَالْوُجُودُ يَقْتَضِي أَنَّ مَنْ يَفْتَرِي الْكَذِبَ هُوَ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ، وَسَوَاءٌ كَانَ مِمَّنْ كَفَرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ قَطُّ، بَلْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ قَطُّ هُمُ الْأَكْثَرُونَ الْمُفْتَرُونَ الْكَذِبَ. وأما الثاني فيؤول الْمَعْنَى إِلَى ذَلِكَ، إِذِ التَّقْدِيرُ: وَأُولَئِكَ أَيِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ هُمْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ هُمُ الْمُفْتَرُونَ. وَأَمَّا الثَّالِثُ فَكَذَلِكَ. إِذِ التَّقْدِيرُ: أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِمْ هُمْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، مُخْبِرٌ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمُ الْكَاذِبُونَ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الذَّمِّ انْتَهَى. وَهَذَا أَيْضًا بَعِيدٌ، وَالَّذِي تَقْتَضِيهِ فَصَاحَةُ الْكَلَامِ جَعْلُ الْجُمَلِ كُلِّهَا مُسْتَقِلَّةً لَا تَرْتَبِطُ بِمَا قَبْلَهَا مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابِ، بَلْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى. وَالْمُنَاسَبَةُ وَفِي قَوْلِهِ: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ الْمُكْرَهَ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِذَا كَانَ قَدْ سُومِحَ لِكَلِمَةِ الْكُفْرِ أَوْ فِعْلِ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ، فَالْمُسَامَحَةُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَعَاصِي أَوْلَى. وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِي كَيْفِيَّةِ الْإِكْرَاهِ الْمُبِيحِ لِذَلِكَ، وَفِي تَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَقَعُ الْإِكْرَاهُ فِيهَا، وَذَلِكَ كُلُّهُ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ. وَالْمُكْرَهُونَ عَلَى الْكُفْرِ الْمُعَذَّبُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ: خَبَّابٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَعَمَّارٌ، وَأَبَوَاهُ يَاسِرٌ وَسُمَيَّةُ، وَسَالِمٌ، وَجَبْرٌ، عُذِّبُوا فَأَجَابَهُمْ عَمَّارٌ وَجَبْرٌ بِاللَّفْظِ فَخُلِّيَ سَبِيلُهُمَا، وَتَمَادَى الْبَاقُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقُتِلَ يَاسِرٌ وَسُمَيَّةُ، وَهُمَا أَوَّلُ قَتِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَعُذِّبَ بِلَالٌ وَهُوَ يَقُولُ: (أَحَدٌ أَحَدٌ) وَعُذِّبَ خَبَّابٌ بِالنَّارِ فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدَكُ ظَهْرِهِ. وَجَمَعَ الضَّمِيرَ فِي فَعَلَيْهِمْ عَلَى مَعْنَى مَنْ، وَأَفْرَدَ فِي شَرْحِ." <البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ٥٩٩/٦>

"أظهرها: أنه نعت ل «المتقين» .

والثاني: بدل.

والثالث: عطف بيان.

وأما الرفع فمن وجهين:

أحدهما: أنه خبر مبتدأ محذوف على معنى القطع، وقد تقدم.

والثاني: أنه مبتدأ، وفي خبره قولان: أحدهما: «أولئك» الأولى.

والثاني: «أولئك» الثانية، والواو زائدة، وهذان القولان منكران؛ لأنه قوله: «والذين يؤمنون» يمنع كونه «أولئك» الأولى خبراً أيضاً.

وقولهم: الواو زائدة لا يلتفت إليه.

والنصب على القطع.

و «يؤمنون» صلة وعائد.

قال الزمخشري: «فإذا كان موصولاً كان الوقف على» المتقين «حسناً **غير تام**، وإذا كان منقطعاً كان واقفاً تاماً» .

وهو مضارع علامة رفعه «النون» ؛ لأنه أحد الأمثلة الخَمْسَةِ وهي عبارة عن كل فعل مضارع اتصل به «ألف» اثنين، أو «واو» جمع، أو «ياء» مخاطبة، نحو: «يؤمنان – تؤمنان – يؤمنون – تؤمنون – تؤمنين» .

والمضارع معرب أبداً، إلاّ أن يباشر نون توكيد أو إناث، على تفصيل ياتي إن شاء الله – تعالى – في غُضُون هذا الكتاب.

وهو مضارع «أمن» بمعنى: صدق، و «آمن» مأخوذ من «أمن» الثلاثي، فالهمزة في «أمن» للصّيرورة نحو: «أعشب المكان» أي: صار ذا عُشْب.

أو لمطاوعة فعل نحو: «كبه فأكب» ، وإنما تعدى بالباء، لنه ضمن معنى اعترف، وقد يتعدّى باللام كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] ، ﴿فَمَآ آمَنَ لموسى﴾ يونس: ٨٣] إلاَّ أن في ضمن التعدية باللام التّعدية بالباء، فهذا فرق ما بين التعديتين. وأصل «يؤمنون» : «يؤأمنون» بهمزتين:

الأولى: همزة «أفْعَل» .

والثاني فاء الكلمة، حذفت الولى؛ لأن همزة «أفْعَل» تحذف بعد حرف المُضَارعة، واسم فاعله، ومفعوله نحو: طأكرم «و» يكرم «و» أنت مُكْرِم، ومُكْرَم «.

وإنما حذفت؛ لأنه في بعض المواضع تجتمع همزتان، وذلك إذا كان حرف المُضّارعة همزة نحو:» أنا أكرم «، الأصل: أأكرم بهمزتين، الولى: للمضارعة والثانية: همزة أفعل، فحذفت الثانية؛ لأن بها حصل الثّقل؛ ولأن حرف المضارعة أولى بالمحافظة عليه، ثم حصل باقي الباب على ذلك طَرْداً للباب.." <اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ١/٢٨٠>

"زعمتموهم آلهة، وحذفهما اختصاراً جائزاٌ، واقتصاراً فيه خلاف.

فصل في سبب نزول الآية

قال المفسرون: إن المشركين أصابهم قحطٌ شديدٌ؛ حتَّى أكلوا الكلاب والجيفَ واستغاثوا بالنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعو لهم، قال الله تعالى ﴿قُلِ﴾ للمشركين ﴿ادعوا الذين زَعَمْتُم﴾ أنها آلهة من دونه.

واعلم أنه ليس المراد الأصنام؛ لأنَّه تعالى قال في صفتهم:

﴿أولئك الذين يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوسيلة أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء: ٥٧]

وابتغاءُ الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام البتَّة، وإذا ثبت هذا، فنقول: إنَّ قوماً عبدوا الملائكة، فنزلت هذه الآية فيهم.

وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ومجاهدٌ: إنَّها نزلت في الذين عبدوا المسيح، وعزيراً، والملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم.

وقيل: إنَّ قوماً عبدوا نفراً من الجنِّ، فأسلم النَّفر، وبقي أولئك الناس متمسِّكين بعبادتهم، فنزلت فيهم الآية.

قال ابن عباس: كل موضعٍ في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم، فهو كذبٌ. ثم إنَّه تعالى احتجَّ على فساد مذهب هؤلاء بأنَّ الإله المعبود هو القادر على إزالةِ الضرر، وإيصال النفع وهذه الأشياء التي يعبدونها، وهي الملائكة، والجنُّ، والمسيحُ، وعزيزٌ لا يقدرون على كشف الضرِّ، ولا على تحصيل النَّفع، فما الدليل على أنَّ الأمر كذلك؟ فإن قلتم: لأنَّا نرى أولئك الكفَّار يتضرَّعون إليها، ولا تحصل الإجابة. قلنا: ونرى أيضاً المسلمين يتضرَّعون إلى الله تعالى، ولا تحصل الإجابة والمسلمون يقولون بأجمعهم: إنَّ القدرة على كشف الضرِّ، وتحصيل النفع ليست إلاَّ لله تعالى، وعلى هذا التقدير، فالدليل **غير تامٍّ**.

فالجواب: أنَّ الدليل تامٌّ كاملٌ؛ لأنَّ الكفار كانوا مقرِّين بأنَّ الملائكة عباد الله تعالى، وخالق الملائكة، وخالق العالم لا بدَّ وأن يكون أقدر من الملائكة، وأقوى منهم، وأكمل حالاً منهم.

وإذا ثبت هذا، فنقول: كمال قدرة الله معلوم متفقٌ عليه، وكمال قدرة غير الله غير معلوم، ولا متفقٍ عليه، بل المتَّفق عليه أنَّ قدرتهم بالنِّسبة إلى قدرة الله تعالى قليلة حقيرةٌ، وإذا كان كذلك، وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الله أولى من الاشتغال بعبادة." <اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ٣١٣/١٢>

"قبل رجوعه بدليل قوله غَضْبانَ أَسِفاً فإنه يدل على أن هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه إليهم ولما جاء في سورة طه قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ [الآية: ٨٥] وفيه دليل ظاهر على أنه تعالى أخبره بوقوع الواقعة في الميقات. والأسف الشديد الغضب وهو قول أبي الدرداء والزجاج. وعن ابن عباس والحسن إنه

الحزين. وقال الواحدي: هما متقاربان فإذا جاءك ممن هو دونك غضبت وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت، فكأن موسى غضبان على قومه أسفا من فتنة ربه بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي خاطب عبدة العجل أو وجوه القوم- هارون والمؤمنين- حيث لم يكفوا العبدة. وفاعل بِئْسَما مضمر يفسره خَلَفْتُمُونِي والمخصوص محذوف التقدير: بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم. ومعنى مِنْ بَعْدِي مع قوله خَلَفْتُمُونِي من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الأنداد أو من بعد ما كنت أحمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ إله غير الله حيث قالوا جعل لنا إلها ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخلفيهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ [مريم: ٥٨] أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ قال الواحدي: العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الأغلب بخلاف السرعة فإنها عمل الشيء في أوّل وقته. قال ابن عباس: يعني أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له. وقال الحسن: أعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين وذلك أنهم قدّروا أنه لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة فقد مات.

وروي أن السامري قال لهم: إن موسى لن يرجع وإنه قد مات.

وروي أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا.

وقال الكلبي: أعجلتم عبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم. وقال عطاء: أعجلتم سخط ربكم. وفي الكشاف: يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال:

عجلت الأمر ومعنى: أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به وَأَلْقَى الْأَلْواحَ التي فيها التوراة لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله.

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يرحم الله أخي موسى ما الخبر كالمعاينة» «١»

لقد أخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف أن ما أخبره الله تعالى به حق وأنه مع ذلك متمسك بما في يده.

وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة.

قال في التفسير الكبير: إلقاء الألواح ثابت بالقرآن، فأما إلقاؤها بحيث تكسرت فلا وإنه جراءة

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢١٥، ٢٧١) .." <تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٣/٣٢١>

"بهم النقمة في موجب الانتقام، أخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه إليهم من الغضب لله والتبكيت لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة والتواضع فقال: ﴿ولما رجع موسى﴾ أي من المناجاة ﴿إلى قومه غضبان﴾ أي في حال رجوعه لما أخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل ﴿أسفاً﴾ أي شديد الغضب والحزن ﴿قال بئسما﴾ أي خلافة خلافتكم التي ﴿خلفتموني﴾ أي قمتم مقامي وفعلتم مقامي وفعلتم خلفي.

ولما كان هذا ربما أوهم أنهم فعلوه من روائه وهو حاضر في طرف العسكر، قال: ﴿من بعدي﴾ أي حيث عبدتم غير الله أيها العبدة، وحيث لم تكفوهم أيها الموحدون بعد ذهابي إلى الجبل للمواعدة الإلهية وبعد ما سمعتم مني من التوحيد لله تعالى وإفراده عن خلقه بالعبادة ونفي الشركاء عنه، وقد رأيتم حين كففتكم وزجرتكم عن عبادة غيره حين قلتم ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ ومن حق الخلفاء أن يسيروا سيرة المستخلف ولا يخالفوه في شيء.

ولما كان قد أمرهم ان لا يحدثوا حدثاً حتى يعود إليهم، أنكر عليهم عدم انتظاره فقال: ﴿أعجلتم﴾ قال الصغاني في المجمع: سبقتم، وقال غيره: عجل عن الأمر - إذا تركه **غير تام**، ويضمن معنى سبق، فالمعنى:."

<نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؟ برهان الدين البقاعي ٨/٨٨>

"قوله: (أو النهي عن الضرار بهما) راجع إلى بناء المفعول، والمنهي حينئذ المخاطبون، أو المتبايعان.

قوله: (أن يعجلا) يقال: أعجله عن المهم الجاه إلى تركه وعجل عنه تركه **غير تام**.

قوله: (لأنه عليه الصلاة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير أخذه لأهله)، أخرجه الأئمة الستة، من حديث عائشة، والبخاري، من حديث أنس.

قوله: (على اعتبار المقبض فيه) أي في لزومه، لا في صحته.

قوله: (وهو خطأ، لأن المنقلبة) إلى آخره، ذكره بعضهم أن ذلك لغة رديئة.

قوله: (وفيه مبالغات)، أي من حيث الإتيان بصيغة الأمر الظاهر في الوجوب والجمع بين ذكر الله والرب وذكره عقب الأمر بأداء الدين. وتسميته أمانة، وقد تقدم أولا ووسطا فى قوله: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.

قوله: (أي: يأثم قلبه، أو قلبه يأثم)، يشير إلى جواز إعراب قلبه فاعلا بآثم، ومبتدأ خبره آثم قدم عليه، والجملة خبر إن على الثاني دون الأول.

قوله: (العين زانية والأذن زانية)..." <نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي؟ السيوطي ٢/٤٧٦>

"وَأخرج الشَّافِعِي فِي الْأُم وَابْن أبي شيبَة فِي الْمُصَنّف وَأحمد فِي مُسْنده وَالْبُخَارِيّ وَمُسلم وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن ماجة وَالْبَيْهَقِيّ فِي السّنَن عَن عبَادَة بن الصَّامِت

أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ لَا صَلَاة لمن لم يقْرَأ بِفَاتِحَة الْكتاب

وَأخرج الدَّارَقُطْنِيّ وَالْحَاكِم عَن عبَادَة بن الصَّامِت قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أم الْقُرْآن عوض عَن غَيرهَا وَلَيْسَ غَيرهَا عوضا عَنْهَا

وَأخرج أَحْمد وَالْبَيْهَقِيّ فِي سنه عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: أَمرنِي رَسُول الله قَالَ كل صَلَاة لايقرأ فِيهَا بِفَاتِحَة الْكتاب فَهِيَ خداع

وَأخرج مَالك فِي الْمُوَطَّأ وسُفْيَان بن عُيَيْنَة فِي تَفْسِيره وَأَبُو عبيد فِي فضائله وَابْن أبي شيبَة وَأحمد فِي مُسْنده وَالْبُخَارِيّ فِي جُزْء الْقِرَاءَة وَمُسلم فِي صَحِيحه وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن ماجة وَابْن جرير وَابْن الْأَنْبَارِي فِي الْمَصَاحِف وَابْن حبَان وَالدَّارَقُطْنِيّ وَالْبَيْهَقِيّ فِي السّنَن عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من صلى صَلَاة لم يقْرَأ فِيهَا بِأم الْكتاب فَهِيَ خداج فَهِيَ خداج ثَلَاث مَرَّات

غير تَامّ

قَالَ أَبُو السَّائِب: فَقلت ياأبا هُرَيْرَة إِنِّي أَحْيَانًا أكون وَرَاء الإِمَام

فغمز ذراعي وَقَالَ: اقْرَأ بهَا يَا فَارسي فِي نَفسك فَإِنِّي سَمِعت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَقُول: قَالَ الله عز وَجل قسمت الصَّلَاة بيني وَبَين عَبدِي نِصْفَيْنِ فنصفها لي وَنِصْفهَا لعبدي ولعبدي مَا سَأَلَ قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: اقرؤا

يَقُول العَبْد ﴿الْحَمد لله رب الْعَالمين﴾ فَيَقُول الله: حمدني عَبدِي

وَيَقُول العَبْد ﴿الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ فَيَقُول الله: أثنى عَليّ عَبدِي

وَيَقُول العَبْد ﴿مَالك يَوْم الدّين﴾ فَيَقُول الله مجدني عَبدِي وَيَقُول العَبْد ﴿إياك نعْبد وَإِيَّاك نستعين﴾ فَيَقُول الله: هَذَا بيني وَبَين عَبدِي أَولهَا لي وَآخِرهَا لعبدي وَله ماسأل

وَيَقُول العَبْد ﴿اهدنا الصِّرَاط الْمُسْتَقيم صِرَاط الَّذين أَنْعَمت عَلَيْهِم غير المغضوب عَلَيْهِم وَلَا الضَّالِّين﴾ فَيَقُول الله: هَذَا لعبدي ولعبدي مَا سَأَلَ

وَأخرج الدَّارَقُطْنِيّ وَالْبَيْهَقِيّ فِي السّنَن بِسَنَد ضَعِيف عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَقُول الله تَعَالَى: قسمت هَذِه الصَّلَاة بيني وَبَين عَبدِي نِصْفَيْنِ فَإِذا قَالَ العَبْد ﴿بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ يَقُول الله: ذكرني عَبدِي

فَإِذا قَالَ ﴿الْحَمد لله رب الْعَالمين﴾ يَقُول الله: حمدني عَبدِي

فَإِذا قَالَ ﴿الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ يَقُول الله: أثنى عَليّ عَبدِي

فَإِذا قَالَ ﴿مَالك يَوْم الدّين﴾ يَقُول الله:." <الدر المنثور في التفسير بالمأثور؟ السيوطي ١/١٨>

"وَأخرج ابْن الْمُنْذر عَن ابْن مَسْعُود فِي قَوْله ﴿يصوركم فِي الْأَرْحَام كَيفَ يَشَاء﴾ قَالَ: ذُكُورا وإناثاً

وَأخرج ابْن جرير من طَرِيق السّديّ عَن أبي مَالك وَعَن أبي صَالح عَن ابْن عَبَّاس عَن مرّة عَن ابْن مَسْعُود وناس من الصَّحَابَة

فِي قَوْله ﴿هُوَ الَّذِي يصوركم فِي الْأَرْحَام كَيفَ يَشَاء﴾ قَالَ: إِذا وَقعت النُّطْفَة فِي الْأَرْحَام طارت فِي الْجَسَد أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثمَّ تكون علقَة أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثمَّ تكون مُضْغَة أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَإِذا بلغ أَن يخلق بعث الله ملكا يصوّرها فَيَأْتِي الْملك بتُرَاب بَين اصبعيه فيخلط فِيهِ المضغة ثمَّ يعجنه بهَا ثمَّ يصوّره كَمَا يُؤمر ثمَّ يَقُول: أذكر أم أُنْثَى أشقي أم سعيد ومَا رزقه وَمَا عمره وَمَا أَثَره وَمَا مصائبه فَيَقُول الله وَيكْتب الْملك

فَإِذا مَاتَ ذَلِك الْجَسَد دفن حَيْثُ أَخذ ذَلِك التُّرَاب

وَأخرج عبد بن حميد وَابْن جرير عَن قَتَادَة ﴿هُوَ الَّذِي يصوركم فِي الْأَرْحَام كَيفَ يَشَاء﴾ قَالَ: من ذكر وَأُنْثَى وأحمر وأبيض وأسود وتام **وَغير تَامّ** الْخلق

وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن أبي الْعَالِيَة فِي قَوْله ﴿الْعَزِيز الْحَكِيم﴾ قَالَ: الْعَزِيز فِي نقمته إِذا انتقم الْحَكِيم فِي أمره

آيَة ٧." <الدر المنثور في التفسير بالمأثور؟ السيوطي ٢/١٤٤>

"﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالغيب﴾ إما موصولٌ بالمتقين ومحلُّه الجرُّ على أنه صفةٌ مقيّدةٌ له إن فُسّر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبةٌ عليه ترتّبَ التحلية على التَّخْلية وموضِّحةٌ إن فُسّر بما هو المتعارَفُ شرعاً والمتبادَرُ عُرفاً من فعل الطاعات وتركِ السيئات معاً لأنها حينئذٍ تكون تفصيلاً لما انطوى عليه اسمُ الموصوف إجمالاً وذلك

لأنها مشتملة على ماهو عمادُ الأعمال وأساسُ الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة فإنها أمهاتُ الأعمال النفسانية والعباداتِ البدنية والمالية المستتبِعة لسائر القُرَب الداعيةِ إلى التجنب عن المعاصي غالباً ألا يُرى إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفحشاء والمنكر﴾ وقوله عليه السلام الصلاةُ عمادُ الدين والزكاةُ قنطرةُ الإسلام أو مادحةً للموصوفين بالتقوى المفسَّرِ بما مر من فعل الطاعات وتركِ السيئات وتخصيص ماذكر من الخِصال الثلاثِ بالذكر لإظهار شرفِها وإنافتها على سائر ما انطوى تحت اسمِ التقوى من الحسنات أو النصب على المدح بتقدير أعني أو الرفعُ عليه بتقدير هم وإما مفصولٌ عنه مرفوعٌ بالابتداء خبرُه الجملةُ المصدّرةُ باسمِ الإشارةِ كما سيأتي بيانُه فالوقفُ على المتقين حينئذ وقفٌ تام لأنه وقف على مستقبل مابعده أيضا مستقبل وأما على الوجوه الأول فحسنٌ لاستقلال الموقوف عليه غيرُ تامَ لتعلق مابعده به وتبعيّته له أما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر وأما على تقدير النصبِ أو الرفع على المدح فلما تقرَّر من أنَّ المنصوبَ والمرفوعَ مَدحاً وإنْ خرجَا عن التبعية لما قبلها صورةً حيثُ لم يتبعاهُ في الإعرابِ وبذلك سُمِّيا قطعاً لكنَّهما تابعانِ له حقيقةً أَلاَ يُرى كيفَ التزمُوا حذفَ الفعلِ والمبتدأ في النَّصبِ والرَّفعِ رَوماً لتصوير كلَ منهما بصورةِ متعلِّقٍ من متعلقات ماقبله وتنبيهاً على شدَّةِ الاتِّصالِ بينهما قال أبو علي إذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الإعرابُ فقد خولف للافتنان أي للتفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجِدّ في الإصغاء فإن تغييرَ الكلامِ المَسوقِ لمعنى." <تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؟ أبو السعود <٢٩/١

"من المعاني وصَرْفَه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمامٍ جديدٍ بشأنه من المتكلِّم ويستجلبُ مزيدَ رغبةٍ فيه من المخاطب إن قيل لا ريبَ في أن حال الموصول عند كونِه خبراً لمبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبرُه أولئك على هدى في أنه ينسبك به جملةً اسميةً مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورةَ أن كلاً من الضمير المحذوف والموصولِ عبارةٌ عن المتقين وأن كلاً من اتصافهم بالإيمان وفروعِه وإحرازهم للهدى والفلاحِ من النعوت الجليلية فما السرُّ في أنه جُعل ذلك في الصورة الأولى من توابع المتقين وعُدَّ الوقفُ غيرَ تام وفي الثانية مقتطعاً عنه وعُدَّ الوقفُ تامًّا قلنا السرُّ في ذلك أن المبتدأ في الصورتين وإن كان عبارة عن المتقين لكن الخبرَ في الأولى لما كان تفصيلاً لما تضمنه المبتدأ إجمالاً حسبما تحققته معلومُ الثبوت له بلا اشتباه غيرُ مفيد للسامع سوى فائدةِ التفصيلِ والتوضيح نُظم ذلك في سلك الصفاتِ مراعاةً لجانب المعنى وإن سمي قطعاً مراعاة لجانب كيف لا وقد اشتهر في الفن أن الخبر إذا كان معلومَ الانتساب إلى المخبر عنه حقه أن يكون وصفاً له كما أن الوصف إذا لم يكن معلومَ الانتساب إلى الموصوف حقُّه أن يكون خبراً له حتَّى قالُوا

إن الصفاتِ قبلَ العلمِ بها أخبارٌ والأخبارُ بعدَ العلمِ بها صفات وأما الخبرُ في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملاً على مالا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما ستحيطُ به خبرا مفيداً للمخاطب فوائدَ رائقة جُعل ذلك مقتطعاً عما قبله محافظةً على الصورة والمعنى جميعاً والإيمانُ إفعالٌ من الأمن المتعدّي إلى واحد يقال آمنتُه وبالنقل تعدى إلى اثنين يقال آمنَنيه غيري ثم استُعمل في التصديق لأن المصَدِّقَ يؤمِنُ المُصَدَّق أي يجعله أميناً من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فإن الواثقَ يصير ذا أمنٍ وطُمأنينة ومنه ما حُكي عن العرب ما آمِنْتُ أن أجد صحابة أي ما صِرْتُ ذا أمنٍ وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما عُلم ضرورةَ أنَّه من دين نبينا عليه الصلاة والسلام كالتوحيد والنبوةِ والبعثِ والجزاءِ ونظائرِها وهل هو كافٍ في ذلك او لابد من انضمام الإقرار إليه للمتمكن منه والأول رأيُ الشيخ الأشعري ومن شايعه فإن الإقرارَ عنده منشأٌ لإجراء الأحكام والثاني مذهبُ أبي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فإنه جعلهما جزأين له خلا أن الإقرارَ ركنٌ محتمِلٌ للسقوط بعذر كما عند الإكراه وهو مجموعُ ثلاثةِ أمور اعتقادُ الحق والإقرارُ به والعملُ بموجبه عند جمهورِ المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرارِ فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقاً وكافرٌ عند الخوارج وخارجٌ عن الإيمان غيرُ داخلٍ في الكفر عند المعتزلة وقرئ يُومنون بغير همزة والغيبُ إما مصدرٌ وُصف به الغائبُ مبالغةً كالشهادة في قوله تعالى ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أو فيعل خفف كقيل في قيل وهيْنٍ في هيّن وميْتٍ في ميّت لكن لم يُستعمل فيه الأصلُ كما استعمل في نظائره وأيا ما كان فهو ما غابَ عن الحسِّ والعقلِ غَيْبة كاملةً بحيث لا يُدرَك بواحد منهما ابتداءً بطريق البَداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله سبحانه ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغيب لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ وقسم نُصب عليه دليل كالمصانع وصفاتِه والنبواتِ وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع واليومِ الآخر وأحوالِه من البعث والنشورِ والحسابِ والجزاء وهو المراد ههنا فالباءُ صلةٌ للإيمان إما بتضمينه معنى الاعتراف أو." <تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؟ أبو السعود ١/٣٠>

"﴿وَلَمَّا رَجَعَ موسى إلى قَوْمِهِ﴾ شروعٌ في بيان ما جرى مِن موسى عليه السَّلام بعد رجوعِه من الميقات إثرَ بيانِ ما وقع من قومه بعده وقولُه تعالى ﴿غضبان أَسِفًا﴾ حالان مِن مُوسى عليه السَّلام أو الثاني من المستكنّ في غضبانَ والآسِفُ الشديدُ الغضبِ وقيل الحزين ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِى﴾ أي بئسما فعلتم من بعد غَيْبتي حيث عبدتم العجلَ بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاءِ عنه وإخلاصِ العبادةِ له أو من حملكم على ذلك وكفِّكم عما طمَحت نحوه أبصارُكم حيث قلتم اجعلْ لنا إلها كما لهم آلهةٌ

ومن حق الهلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلِفِ فالخطابُ للعبَدَة من السامريّ وأشياعِه أو بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبَدَةَ عما فعلوا فالخطابُ لهرون وَمَنْ مَعَهُ من المؤمنينَ كما ينبيء عنه قوله تعالى قال يا هرون مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ أَن لا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ويجوزُ أن يكونَ الخطابُ للكل على أن المرادَ بالخليفة ما يعم الأمرين المذكورين وما نكرةٌ موصوفةٌ مفسِّرةٌ لفاعل بئس المستكنِّ فيه والمخصوصُ بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونبها من بعدي خلافتُكم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبّكُمْ﴾ أي تركتموه غيرَ تام على تضمين عجِلَ معنى سبَق يقال عجِل عن الأمر إذا تركه غيرَ تام أو أعجِلتم وعدَ ربّكم الذي وعدجنيه من الأربعين وقدّرتم موتي وغيّرتم بعدي كما غيرت الأممُ بعد أنبيائِهم ﴿وَأَلْقَى الألواح﴾ طرحا من شدة الغضبِ وفرطِ الضجر حميةً للدين روي أن التوراةَ كانت سبعةَ أسباعٍ في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفعت ستةُ أسباعِها التي كان فيها تفصيلُ كلِّ شيءٍ وبقي سُبعٌ كان فيه المواعظ والأحكان ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بشعر رأسِه عليهما السلام ﴿يَجُرُّهُ إليه﴾ حال من ضمير أخذ فعلَه عليه السلام توهما أنه قصّر في كفهم وهرون كان أكبرَ منه عليهما السلام بثلاث سنينَ وكان حَمولاً ولذلك كان أحبَّ إلى بني إسرائيل ﴿قَالَ﴾ أي هرون لما أن حقّ الأمِّ أعظمُ وأحقُّ بالمراعاة مع أنها كانت مؤمنةً وقد قاست فيه المخاوفَ والشدائد وقرىء بكسر الميم بإسقاط الياءِ تخفيفا كالمنادى المضاف إلى الياء وقراءةُ الفتح لزيادة التخفيف أو لتشبيهه بخمسة عشرَ ﴿إِنَّ القوم استضعفونى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ إزاحةً لتوهم التقصيرِ في حقه والمعنى بذلتُ جُهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي ﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الاعداء﴾ أي فلا تفعلْ بي ما يكون سبباً لشماتتهم بي ﴿وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ القوم الظالمين﴾ أي معدوداً في عدادهم بالمؤاخذة أو النسبة إلى التقصير وهَذا يؤيدُ كونَ الخطابِ للكل أولا تعتقد أني واحدٌ من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم." <تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؟ أبو السعود ٣/٢٧٤>

"الحديث، وأجاب الحنفية عما قالوه نجأنه عليه الصلاة والسلام جهر بها للتعليم، ثم خافت أو أنّ ذلك إذا كان فذاً ولأنه دعاء ومن شأنه الإخفاء والجهر به مع القرآن يوهم أنه منه وفيه نظر. قوله: (لما روي عن وائل (٣) إلخ) هذا الحديث أخرجه أبو داود، والترمذيّ، والدارقطنيّ، وصححه ابن حبان،

ووائل بهمزة بعد الألف يليها لام، وهو وائل بن حجر بضم الحاء المهملة، وسكون الجيم ابن ربيعة الحضرمي الصحابي كان أبوه من أقيال اليمن أي ملوكها، فإنّ الملك يسمى عندهم قيلاً، ووفد على النبيّ صفى الله عليه وسقم واستقطعه أرضاً فأقطعه إياها وقال: هذا وائل سيد الأقيال، وله مع معاوية رضي الله عته قصة ولما صار خليفة قدم عليه فاستقبله وأكرمه وتوفي رضي الله عنه في عهده، وقد سمعت ما أجيب به عن هذا الحديث.

وقوله: (وعن أبي حتيفة إلخ) هدّه رواية عنه ضعيفة جداً موافقة لأحد قولي مالك والذي صححوه عنه ما مرّ كما أشار إليه المصتف رحمه الله. وقوله: (ووفع بها صوته) قد مرّ جواب الحنفية عنه أنه تعليم، ثم خافت وخافتوا وأوود عليه أنّ الصلاة مقام مناجاة فلا يناسب التوجه إلى الغير لقصد العليم، وجوابه ظاهر. وقوله: (لا يقوله) قيل: لأنه داع بقوله: اهدنا ولا يخفى أنه لا تنافي بين كونه داعياً وطالباً للإجابة فتدبر. قوله: (كما روا ٠ عبد الله بن مغفل إلخ) العراقي وتبعه من بعده من الحفاظ لم أقف على هذا الحديث من هذه الطريق، وأخرج الطبرانيّ في الكبير عن أبي وائل قال: كان عليّ وعبد الذ بن مسعود لا يجهران بالتأمين، وعبد الذ بن مغفل بن غنم من مشاهير الصحابة توفي بالبصرة سنة ستين ومغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة، وتشديد الفاء المفتوحة وبعدها لام بزنة اسم المفعول. قوله: (إذا قال الإمام (١)) الحديث أخرجه البخارفي ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ووقع في أمالي الجرجاني في آخر هذا الحديث زيادة " وما تأخر " وعليها اعتمد الغزاليّ رحمه الله تعالى في الوسيط، وأحسن ما فسر به هذا الحديث ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة رضي الله عنه قال: صفوف أهل الأرض تلي صفوف أهل السماء، فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد قال ابن حجر رحمه الله: مثل هذا لا يقال بالرأي فالمصير إليه أولى وفي بعض النسخ كما في وسيط الواحديّ إذا

قال الإمام ولا الضاين فقولوا إلخ وأورد عليه أن الدليل لا يوافق المدعى وهو تأمين الإمام والمأموم معا لا يراده بعد قوله والمأموم يؤمن معه، وليس في الحديث غير تامين المؤتم، وما قيل: إن تأميبئ الإمام قد علم من الأحاديث الأخر لا وجه له وفي أكثر النسخ كما في التيسير والمعالم هكذا، فإنّ الملائكة تقول آمين والإمام يقول آمين: فمن وافق تأمينه إلخ وعليه فلا إشكال أصلاَ.

(أقول) وقد وقع نحو من هذا في البخاري فقال ابن بطال في شرحه بعدما أورد هذا الحديث أنه يعلم مته تأمين الإمام لأنّ المأموم مامور بالاقتداء بالإمام، وقد ثبت في الحديث سابقاً أنّ الإمام يجهر بالتأمين فلزم جهره بجهره، وتعقب بأنه يلزمه أن يجهر الماموم باً لقراءة لأنّ الإمام جهر بها.

وأجيب عته بأن الجهر بالقراءة خلف الإمام نهي عنه فبقى التأمين داخلاَ تحت عموم

الأمر باتباع الإمام واستدل بقوله فأمنوا على تأخير تاسين المأموم عن تأمين الإمام لترتبه عليه بالفاء وفيه كلام في كتب الأصول، فذهب بعضهم إلى أنها تدل على التسبب دون التعقيب، وقيل المعنى إ ١٦ أراد الإمام، وقال الجمهور الفاء في جواب الشرط تدل على المقارنة، والمراد بالملائكة جميعهم وقيل: الحفظة، وقيل: الذين يتعاقبون إن قيل: إنهم غير الحفظة، فالمراد بموافقة الملائكة وقوع تأمين المصلي والملائكة في وقت واحد وقيل

المراد الموافقة في الإخلاص والخشوع لأنه المناسب للمغفرة، وقال ابن حجر رحمه الله: المراد الأوّل لما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال صفوف أهل الأرض إلخ وهذا يدل على أنّ المراد بالملائكة غير ما مرّ، وقال بعض فضلاء العصر في حواشيه: المخاطب بقوله عليه الصلاة والسلام قولوا آمين الإمام والمأموم جميعاً، والمعنى أيها المصلون ١ قولوا جميعاً إمامكم ومأمومكم آمين، ويؤيد. أنّ تعليق المغفرة بالموافقة ترغيب، وحث على ما ينبغي أن يعم الإمام والمأموم جميعا، فلا يحرم الإمام هذه الفضيلة ومثله لا يتم بسلامة الأمير فتدبر. قوله: (وعن أبي هريرة إلخ) هو صحابيّ مشهور، – اسمه عبد الرحمن على " الأصح وهريرة تصغير هرّة وهي معروفة، وهو غير منوّن لأنه جزء العلم وتحقيقه مشهور في." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١/١٤٩>

"واستعملت الثوب ونحوه أعملته فيما يعد له اهـ. واستعمال الألفاظ في معانيها مأخوذ من الأخير وهو محدث ويقال استعمل لفظ الضرب بمعنى السير، وفي معنى السير ولمعنى السير والكل شائع في كلامهم فما قيل من أنّ هذه الباء سهو من قلم الناسخ لأنه لم يقل لم يستعمل به بل له سهو من ابن أخت خالته. قوله: (لجواز أنه عليه الصلاة والسلام تبسم تعجباً من جهلهم) قيل جهلهم لتفسيرهم النازل بلسان عربيّ بما ليس من معاني لغة العرب أو لأنهم بعدما سلموا كونه شرع الله لا وجه لعدم دخولهم فيه لقصر مدّته، ويرد بأنّ كلامهم لا يدل على تسليم كونه دين الله في نفس الأمر لجواز أن يكون قولهم في دين مبنيا على ما يدعيه النبيّ عليه

الصلاة والسلام وهو مما لا شبهة فيه، ثم إنّ أبا العالية رحمه الله لم يستدل بتبسمه المفيد للتقرير بل بما بعد التبسم من تلاوته صلى الله عليه وسغ إياها عليهم بالتريب المخصوص، وتقريرهم على استنباطهم وكما جاز كون التبسم لما ذكر جاز أيضا كونه تعجبا من إطلاعهم على المراد، ولهذا مرجحات عند بعضهم والظاهر أنه صلّى الله عليه وسلّم فعل ذلك مجاراة معهم ليلزمهم بما يعرفونه فتأمّل. قوله: (وجعلها مقسماً بها إلخ) جواب عن قوله أو دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها والمضمر حينئذ فعل القسم وفاعله، وحرفه وجوابه لخلوّ ذلك الكتاب مما يتلقى به القسم من أنّ واللام، فلا يصلح لكونه جواباً، وأورد عليه أنهم ارتضوا كونها مقسما بها إذا كانت أسماء لله أو القرآن أو السور، ولم يستضعفوه، لما ذكر وتبعهم في ذلك المصنف رحمه الله فإن قيل إنه لشرف معانيها المناسبة للقسم قيل: هذه أيضا شريفة لأنها منبع أسماء الله وخطابه مع أنّ وجه التضعيف وأورد ثمة بلا فرق، والجواب عنه أنها إذا كانت من أسماء الله أو من صفاته كالقرآن كانت صالحة لأن يقسم بها في نفسها فارتكاب تلك الإضمارات شائع في الجملة أمّا ما لا يصلح لذلك، كأسماء الحروف المقطعة،

فيبعد ذلك عنه بمراحل، وما ذكره من التأويل إن سلم أنه يصححه لا يقربه، وقول المصنف رحمه الله غير ممتنع إلخ يشير لما ذكرناه وقوله لا دليل عليها أي دليلاً معينا لها فلا يرد أنّ عطفه المجرور في مثل ﴿قاف والقرآن﴾ دليل فمطرد لأنّ واو والقرآن تحتمل التسمية فلا دليل فيها أيضاً. قوله: (والتسمية بثلانة أسماء إلخ) جواب عن أنّ التسمية بثلاثة أسماء مستنكر في لغة العرب بأنّ المستنكر تركيب ثلاثة أسماء تركيبا مزجياً كحضرموت، وأمّا التسمية بها منثورة غير مركبة كذلك بل مسرودة سرد الاعداد فليس بمنكر، وإذا سموا بنحو شاب قرناها وجاز جعل الجمل علماً كما ذكره سيبويه كيف يستنكر هذا، فإن قلت كيف سلموا هنا أنّ تركيب ثلاثة أسماء ممتنع، وغير ثابت من غير نزاع فيه، وقد ورد في اسم المدينة دارابجرد فإنها في الأصل من دار ومن آب ومن جرد قلت قال قدس سرّه في شرح الكشاف: لما مثل به الزمخشريّ دارابجرد علم بلدة بفارس معرب دارابكرد، وهو مركب من كلمتين إحداهما دارا اسم ملك بناها والثانية بكرد، وقيل هو معرّب دراب كرد فيكون ثلاث كلمات في الأعجمية لأن دراب معناه درآب سمي بذلك لأنه وجد في الماء، وصار بالغلبة اسما واحدا فضمت إليه كلمة أخرى وصار المجموع كبعلبك وعلى هذا تتأكد المشابهة بينه، وبين طسم وقد وجد في نسخة المصنف رحمه الله داربجرد بلا ألف بعد الدال، وهو سهو من طغيان القلم والآفات المقصود وهو إثبات موازن له في كلامهم اهـ. أقول إنما تركه المصنف رحمه الله وغيره، وان ذكره سيبويه رحمه الله وتابعه الزمخشرفي لأنه ليس بعربي والمدعى أنه لا يوجد مثله في كلام العرب إلا أنّ ما ذكره الشريف **غير تام** رواية ودراية. أقا الأؤل فقد قال ياقوت في معجم البلدان: دارإبجرد

بألفين بعد الألف الثانية ياء موحدة ثم جيم ثم راء ودال مهملة ولاية بفارس وداربجرد بدون ألف كورة بفارس عمرها داراب، وهي معرّب داراب كردود اراب اسم رجل وكرد بمعنى عمل قال الأيادي:

يقاتل من قصور درابجرد ويحمي للمغيرة والرفاد

وهي أكبر من دارابجرد اهـ. فما وقع في خط العلامة صحيح والموازنة فيه ثابتة بحسب الأصل لأنّ دراب بمنزلة طس، وهو ظاهر لا غبار عليه نعم التسمية بأسماء منثورة لم توجد في كلامهم، وما ذكره سيبويه مجزد قياس محتاج للإثبات كما ذكره السيد أيضاً. وقوله: (نثرت (بنون وثاء مثلثة وراء مهملة من النثر ضد النظم."

<حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١/١٧٤>

"فائدة، ثم إنّ المتقين إن أريد بهم المشارفون لم يحسن أن يجعل الذين يؤمنون بالغيب صفة، ولا مخصوصاً بالمدح نصباً أو رفعاً ولا استئنافاً أيضا، لأن الضالين الصائرين إلى التقوى ليسوا متصفين بشيء مما ذكر، وحمل الكلام على الاستقبال والمشارفة يأبا. سياق الكلام عند من له ذوق سليم اهـ. وقيل: يمكن دفعه بأنّ في هذا

النوع من المجاز زمانين زمان النسبة وزمان إثبات النسبة، واعتبار المشارفة بالنظر إلى زمان نسبة الهدى واعتبار حقيقة التقوى بالنظر إلى زمان إثبات الهدى فلا إشكال، ونظيره أن يقال قتلت قتيلاً كفن في ثوب كذا ودفن بموضع كذا، فإنّ اعتبار المشارفة بالنظر إلى زمان نسبة القتل واعتبار حقيقة القتل، والتكفين والدفن بالنظر إلى زمان إثبات نسبة القتل، وقيل: أيضاً يمكن أن يكون المتقين مجازاً بالمشارفة، والصفة ترشيحاً له بلا مشارفة، ولا تجوّز أصلاً كما هو المعهود في ترشيح المجاز والاستعارة.

(أقول الا يخفى ما في هذا أمّا الآوّل فلأنّ أهل الأصول اختلفوا في أنّ المعتبر زمان الحكم، أو زمان التكلم، ورجحوا الأوّل، وما ذكره هذا المجيب منتحت من القولين، فهو بناء على غير أساس، وسقوطه ظاهر بلا التباس. وأمّا الثاني فهو إن لم يبعد عن الصواب إلا أنه مسلم للإشكال وتوجه وروده وليس كذلك لأنا إن حملنا المتقين على حقيقته فظاهر وان حملناه على المشارفة فالمشارفة ثابتة في الحال والتقوى الحقيقية عقبه، كما هو شأن المشارفة فلتعقبها لها، كأنها واقعة فيمدح صاحبها بما يتصف به بعد ذلك في المستقبل من غير محذور، وإذا علم المخاطب ثبوت وصف حميد في المستقبل لموصوف، فما المانع من المدح به كما يقول المؤمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الشفيع في المحشر، فالإشكال ليس بوارد أصلاً. قوله: (فيكون الوقف إلخ) قال السخاوندي: الوقف إمّا لازم، وهو الذي إذا وصل غير المعنى المراد نحو وما هم بمؤمنين يخادعون الله لأنّ القصد نفي الإيمان ولو اتصل لم يفد.، ومطلق وهو ما يحسن الابتداء به وهو الذي عناه العلامة بقوله مقتطع، وجائز وهو ما استوى وصله وفصله وهو المراد بقوله حسن غير تامّ لأنّ اعتبار الوصفية يقتضي الوصل، واعتبار الفاصلة يقتضي الفصل، وفي الكشف اعتبار الفاصلة في الوقف لا يقول به السخاوندي والكواشي، والظاهر أنّ مثله يجوز في الآيات إذا قصد البيان خاصة لما مرّ من أنّ التامّ عند القرّاء والزمخشريّ هو الوقف على جملة مستقلة لا ترتبط بما بعدها، وأمّا الحسن فقيل: هو الوقف على جملة لها ارتباطاً بما بعدها ارتباطاً لا يمنع الاستقلال، وقيل الوقف على كلام مستقل بعده ما لا يستقل كالحمد لله وفي تسميته حسناً نظر، وعلى القطع هو في المعنى وصف، فلذا كان الوقف غير تامّ واعترض بأنه على تقدير كونه مبتدأ خبر. أولئك ينبغي أن يكون الوقف غير تامّ أيضاً لأنه استئناف على تقدير سؤال نشأ عما قبله فهو كالجاري عليه معنى، فلا فرق بينه وبين النعت المقطوع وأجيب بأنه لم يتغير في المقطوع ما قصد من إجرائه عليه في المعنى بخلاف الاسنئناف، فإنّ المقصود فيه الاخبار عنه بما بعده وان فهم وصفه به ضمنا فليس جاريا عليه معنى ورذ بأنّ ما فهم عن الزمخشريّ في تعريف التامّ، ونقل عن القرّاء كما مرّ غير صادق على المستأنف فإنه مرتبط بالمستأنف عنه معنى كما صرّح به المجيب، ولا يخفى أنّ الارتباط من الثاني لا الأوّل، والمعتبر في التامّ عكسه فتأمل. قوله:

(والإيمان في اللغة التصديق) وفي نسخة عبارة عن التصديق، فالإيمان أفعال من الأمن، وقد كان متعدياً فتعدى بالهمزة لاثنين كامنته غيري أي جعلت غيري آمناً منه، وقيل إنّ همزته تحتمل أن تكون للصيرورة كاغد البعير إذا صار ذا غدة وقول المصنف رحمه الله كأنّ المصدق إلخ يشير إلى الأوّل، وقوله بعده صار ذا أمن يشير إلى الثاني، واستعماله متعدياً لاثنين يأباه، وما توهمه وهم فإنه معنى آخر، وهمزة التعدية فيها معنى الصيرورة بمعنى الجعل كما لا يخفى، واستعماله في التصديق إمّا مجاز لغوي لاستلزامه إيا. لأنّ من صدقك أمنك تكذيبه كما يشعر به كلام الكشاف أو حقيقة لغوية، كما في الأساس ووفق بينهما بأنّ كلامه في المعنى الحقيقيّ الذي وضع له اللفظ أوّلاً في اللغة، ثم وضع فيها لمعنى آخر يناسبه، وهو دأبه في تحقيق الأوضاع الأصلية وبيان مناسبات المعاني اللغوية بعضها لبعض مع كون اللفظ حقيقة لغوية في كل منهما." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٢٠٩/١>

"الاشتقاق مما ليس بحدث قليل مردود لأنه وان إشتهر، ومثلوا له باستنوق الجمل وأبك إذا أحسن رعي الإبل وسبقه إليه غيره إلا أنه **غير تام** لأنهم إن أرادوا به ملاحظة معنى اسم الجنس في الفعل ومتصرّفاته مطلقا، فهو أكثر من أن يحصى ويحصر كطين الحائط إذا طلاه بالطين، وأترب الكتاب إذا وضع عليه التراب وزفت الإناء وقيره واثبات القلة النسبية موقوف على الاستقراء التام وهو متعذر وان أرادوا أنّ اسم الجنس وضعه الواضع أوّلاً، ثم أخذ منه الفعل ومتصرفاته كاستنوق والناقة فهو وان كان الوقوف عليه لغير الواضع عسيراً إلا أنه يستدذ عليه بشهرة الجامد دون ما أخذ كالإبل وابل، وهذا ليس كذلك لشهرة صلى والمصلي دون الصلا والصلوين وفيه نظر. وقوله إنّ الصلاة بمعنى الدعاء شائعة مسلم، وعدم ورود إطلاق الصلاة على ذات الأركان من العرب باطل، وان تبع غيره هنا وهو ظاهر كلام السيوطي في المزهر في الفصل الذي عقده للألفاظ الإسلامية لأنهم إن أرادوا أنّ الصلاة بمعنى العبادة المخصوصة ولم يكن قبل شرعنا مسمى، واسم فليس كذلك لورود ما يخالفه في آيات كثيرة كقوله تعائى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] والاستدلال عليه بظاهر قوله ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] أي المصلين من ضيق العطق، والمخصوص خصوص هذه الأقوال والأفعال وان أرادوا أنها لم تسم صخلاة قبل شرعنا وأنه لم ينقل عن العرب قبل الإسلام، فليس كذلك لنقل أئمة اللغة كالجوهرفي ما يخالفه، وان اختلف في أنه حقيقة لغوية أم لا، ولا خلاف في أنه حقيقة شرعية وتحقيقه ما قاله ابن فارس في كتابه فقه اللغة، وعبارته كانت العوب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونقلت ألفاظ مبن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات، ومما جاء في الشرع الصلاغ، وأصله في لغتهم

الدعاء، وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة فقالوا:

أو درّة صدفية غواصها ﷺ بهج متى يرها يهلى ويسجد

(وقال الأعشى:

يراوح من صلوات الملي ﷺ ك طوراً سجوداً وطوواً جؤارا

وهذا وان كان كذا، فإن العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الإعداد،

والمواقيت والتحريم للصلاة والتحليل منها وكذلك الصيام والحج والزكاة اهـ. فقد عرفت أنّ العرب سمتها بذلك قديما وأنّ قوله لم يرد عنهم إطلاقها على ذات الأركان وأنهم ما كانوا يعرفونها لا أصل له، وما ذكره من السؤال والجواب قد قيل في توجيهه أيضاً: إنه إنما جعل الصلاة من صلى لعدم استعمال التصلية بمعنى الدعاء، وفي القاموس يقال: صلى صلاة ولا يقال تصلية اهـ وما في القاموس تبع فيه الجوهريّ وبعض أهل اللغة، وليس بصحيح وان اشتهر قال الإمام الزوزني في أفعاله: التصلية غازكرون، وفي أمالي ثعلب إمام أهل اللغة أنشد لبعض العرب:

تركت القيان وعزف القيان وأدمنت تصلية وابتهالا

وقال في تفسيره يقال صليت صلاة وتصلية هـ وكذا في العقد لابن عبد ربه، وإنما تركه

أهل اللغة لأنه من المصادر القياسية، وعادتهم تركها وأخذ الصلاة من الصلوين، واطلاق المصلي على ثاني خيل الحلبة مما لا يثك فيه أحد من أهل اللغة وقول المصنف رحمه الله حرّك الصلوين وقع في بعض النسخ الصلا مفردا بدله، وما أورده صاحب الكشف عليه من أنه مخالف لمذهب المعتزلة وأهل السنة إشارة إلى ما تقرّر في أصول الفقه من أنّ الألفاظ المستفادة من الشرع هل لها حقيقة شرعية أم لا فقال القاضحي أبو بكر رحمه الله: إنّ الشرع لم يستعملها إلا في الحقائق اللغوية، فالمراد بالصلاة المأمور بها الدعاء إلا أنّ الشرع أقام أدلة على أنّ الدعاء لا يقبل إلا بشرائط مضمومة إليها، وأثبتها المعتزلة وقالوا نقل الشارع هذه الألفاظ عن مسمياتها اللغوية، وابتدأ وضعها لهذه لا لمناسبة، فليست حقائق لغوية، ولا مجازات عنها، والحق أنها مجازات اشتهرت، فصارت حقيقة شرعية والزمخشريّ ليس بمقلد للمعتزلة." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١/٢٢٤>

"تعالى: ﴿لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣١] وفيه رمز إلى أنهم لو تأمّلوا لم يشكوا فتأمل. قوله: (وتفعلوا جزم بلم الخ) جزم بمعنى مجزوم كدرهم ضرب الأمير بمعنى مضروبه وهذا تعليل وبيان

لكون العامل الجازم هنا لم لا إن الشرطية لأنه لما اجتمع عاملان وعملهما معا لا يجوز إذ لا يتوارد عاملان على معمول واحد رجحوا الثاني لأنه واجب الأعمال إلا في ضرورة أو شذوذ أو وجود مانع متصل بالفعل كنون التأكيد والإناث وهي مختصة بالمضارع كاختصاص حرف الجرّ بالاسم فكانت جديرة بأن تعمل فيه العمل الخاص به ولأنها لا تنفصل عنه إلا نادراً بخلاف إن ولأنها تقلبه إلى المضي فلما أثرت في معناه لقوّتها أثرت في لفظه وصارت معه

كفعل واحد ماض فلم يفعل بمعنى ترك وحرف الشرط حينئذ داخل على المجموع فيعمل في محل فعله ولا يلغى وليس هذا من التنازع في شيء وإن تخيل مشابهته له لأنّ ابن هشام في كتبه كنيره صرّح بأنّ التنازع لا يكون بين حرفين لأنّ الحروف لا دلالة لها على الحدث حتى تطلب المعمولات (أقول) كذا في شرح الكشاف وفي شرح أوضح المسالك ما نصه أجاز ابن العلج التنازع بي ن الحرفين مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ الآية فقال تنازع إن ولم في تفعلوا، ورذ بأن أن تطلب مثبتا ولم تطلب منفياً وشرط التنازع الإتحاد في المعنى إلا أنّ أبا عليّ الافارسي أجازه في التذكرة كما نقله عنه الشاطبيّ فعلى هذا يصح أن يقال الجازم هنا أيضا أن فالحاصل إن لم جازمة للمضارع وإن جازمة للمحل لكثرة عملها فيه في نحو إن جئتني أكرمتك فتوفر حظهما من العمل كما أشار إليه المصمنف بقوله ولأنها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع أي مجموع لم والفعل فعملهما محليّ فإن تلت هل المحل للفعل وحده أو للجملة أو للم مع الفعل كما هو ظاهر كلام المصنف. قلت: هذا مما لم يصرّحوا به وفيه إشكال لأنه إن كان للفعل وحده لزم توارد عاملين في نحو النسوة إن لم يقمن وان كان للجملة يرد عليه أنهم لم يعدوها من الجمل التي لها محل من الإعراب وان كانت للم مع الفعل فلا نظير له وعلى كل حال فالمقام لا يخلو من الإشكال وقد أطال فيه شارح المغني بما لا مآل له فليحرّر. قوله: (وإن كلاً في نفي المستقبل الخ) وقد فرق بينهما برجوه كالاختصاص بالمضارع وعمل الممب، ونقل عن بعضهم أنها قد تجزم ولا يقتضي نفي لن التأبيد ولا غيره من طول مدة أو قلتها خلافاً لبعض النحاة في ذلك وليس أصلها لا أن لأنه سمع نادرا كما في قوله:

يرجى المرء مالاً أن يلاقي ويعرض دون أيسره الخطوب

ولا حجة فيه لاحتمال زيادة أن فيه وقد أورد عليه أن لن تضرب كلام تامّ وأن مع الفعل

اسم مفرد غير تام وتقدير ما يتمّ به معه تعسف أهون منه القول بأنه أصله فلما غير لفظه غير معناه وصار لمجرّد النفي، وقيل: أصله لا فأبدلت ألفه نونا ولما كان هذا كله تكلفا بغير طائل لم يرتضه المصنف رحمه الله وقال: إنه مقتضب أي مرتجل وضحع ابتداء هكذا، وأصل معنى الاقتضاب الاقتطاع. قوله: (والوقود بالفتح

ما توقد به النار الخ) المشهور عند النحاة الفرق بين فعول وفعول بالفتح والضم فالثاني مصدر والأوّل اسم لما يفعل به وقال بعض النحاة: قد يكون مصدراً وحكي عن سيبويه في ألفاظ وهي الولوغ والقبول والوضوء والطهور وزاد الكسائيّ الوزوع وغيره اللغوب بمعنى التعب وبه قرئ في سورة ق، فتصير سبعة والمشهور في المفتوح أنه اسم فيه معنى الوصفية كالقارورة، وقد قرئ بالضم هنا في الشواذ وهي قراءة عيسى

ابن عمر والهمدانيّ وقال ابن عطية الضم والفتح محكيان في الحطب والمصدر فإن كان اسما لما يوقد به فلا حاجة إلى التأويل وإلا فحمله على النار مبالغة كرجل عدل أو بالتجوّز فيه، أو في التشبيه أو بتقدير مضاف في الأوّل كذو وقودها أو في الثاني كاحتراق وقيل فيه نظر يعني لأنّ الإيقاد غير الاحتراق ولذا قيل: فيه مسامحة لأنه يقال اتقدت النار ولا يقال احترقت بل الاحتراق أثره وقريب منه، والأمر فيه سهل، وحكى المصنف عن سيبويه أنّ من العرب من جعل المفتوح مصدرا والمضموم اسما على عكس المشهور وقوله عالياً بمعنى فصيحاً يقال لغة عالية وعلوية وهذه اللغة أعلى أي أفصح وأصله كما قيل من علياء." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٢/٥١>

"السجود بين وجهه بأنها أمرت بكل ركن على حدة مبالغة في المحافظة، وقدم السجود لأنه كان كذلك في صلاتهم، وأمّا كونه للتنبيه على أنّ الواو لا تفيد الترتيب فلا يخفى ضعفه لأن الكلام مع من يعلم لا مع من يتعلمه من هذا النظم، وكذا كونه قدم لشرفه، نه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد لأنه إنما يتم على القول بأن القيام ليس أفضل منه كما نقل عن الشافعيّ، وكذا الوجه الأخير غير تام إذ لو قيل واسجدي مع الساجدين أو مع المصلين لم يتأت ما ذكره، وفي الكشاف أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة وأركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى، ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو انظمي نفسك في جملة المصلين، وكوني معهم في عدادهم، ولا تكوني في عداد غيرهم، ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم وشمجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين، يعني بعد الأمر بالصلاة أمرت بقيد في الصلاة، وهو الجماعة أو بالمواظبة على ذلك بحيث تعد من جملة المصلين وتنسب إليهم أو بحقيقة الركوع والكون مع الذين يركعون لا مع الذين يصلون بلا ركوع، وقوله عليها أي على الصلاة أو الأركان. قوله: (وقيل المراد بالقنوت الخ (قال الراغب رحمه الله: القنوت لزوم الطاعة فلا بقال إنّ الآية لا تدلّ على الإدامة لأنها مفهومة من قوله: آناء الليل والتعبير عن الصلاة بالسجود من التعبير بالجزء عن الكل، والإخبات التواضع. قوله:) أي ما ذكرنا الخ) من القصص بيان لما هو إفا بفتحتين أو جمع قصة وقوله: من الغيوب تفسير لقوله من أنباء الغيب وقوله:) التي لم تعرنها الخ) الحصر مأخوذ من المقام، والأقداح جمع قدح

بكسر فسكون وهو سهم يوضع للميسر والقرعة سميت أقلاما من القلم، وهو القطع وهو بيان لإفراد اسم الإشارة بأنه باعتبار حاضية الثهأب / ج ٣ / م ٤

تأويله بما ذكر. قوله: (والمراد تقرير كونه وحيا الخ) يعني أنه يخبر بما لا سبيل إلى معرفته بالعقل مع اعترافكم بأنه لم يسمعه، وتنكرون إنه وحي فلم يبق مع هذا ما يحتاج إلى النفي سوى المشاهدة التي هي أظهر الأمور انتفاء. قوله: (متعلق بمحذوف الخ الما لم يصلح تعلق يلقون باسم الاستفهام لفظا ومعنى لزم أن يقدر ما يرتبط به النظام، وذكر له الزمخشري ثلاثة أوجه أحدها: جملة هي حال مما قبلها أي ينظرون لأنّ النظر يؤدّي إلى الإدراك فيتعلق باسم الاسنفهام كالأفعال القلبية كما صزح به ابن الحاجب وابن مالك في التسهيل فمن ظن أنه مخصوص بها حتى ارتكب تأويل النظر بنظر البصيرة وقال: إنّ المصنف تركه لهذا لم يصب. الثاني: ليعلموا أنّ الإلقاء سبب العلم لكنه سبب بعيد والقريب هو النظر إلى ما ارتفع من الأقلام وقدره السكاكي ينظرون ليعلموا نظراً إلى المعنى واللفظ.

والثالث: يقولون قالوا: وهو ضعيف لأنه ليس فيه فائدة يعتد بها وإنما هو إصلاج لفظي، وقيل: إنه مفيد إذ المراد بالقول المقدر القول للبيان أي ليبينوا ويعينوا الكافل ووقع في عبارة القاضي رحمه الله أو يقولون فهو مثل ما قدره الزمخشريّ والجملة حالية وفي بعض النسخ أو يقولوا بالنصب عطفا على يعلموا، ووجه التعليل فيه خفاء إلا أن يؤوّل بما مرّ فلا يرد عليه ما قيل إنه سهو من الناسخ إلا أن يقالط إنه أراد بيقولوا ليحكموا إلا ليستفهموا فتأمل. قوله: (وما بينهما اعتراض الخ) دفع به الاعتراض! بالفصل كما دفع بما بعده أن الوقتين مختلفان فكيف يصح البدل وبدل الغلط لا يقع في فصيح الكلام، وعلى تقدير الإبدال من إذ قالت الملائكة جاز اتحاد الوقتين فهو ظاهر أنه بدل كل وتيل: بدل اشتمال وأما وقت الاختصام فظاهر أنه قبل وقت البشارة بمدّة فاحتيج في جواز الإبدال إلى أن يعتبر زمان ممتذ يقع الاختصام في بعضه والبشارة في بعض آخر ليصح بالنظر إلى ذلك أنهما في زمان واحد كما يقال: وقع القتال والصلح في سنة واحدة، مع أنّ القتال في أوّلها والصلح في آخرها، وتحقيقه أنّ كلا من الزمان والمكان قد يؤخذ حقيقيا، وهو القدر الذي ينطبق على الشيء ولا يفضل عنه، وقد يؤخذ غير حقيقيّ وهو خلافه والأصوليون يسمونه معياراً وغير معيار فيكون بدل كل من كلى لا بدل اشتمال أو جزء من كل باعتبار أنّ أحدهما لجميع الوقت والآخر لمعياره لأنه وإن كان في صحته نظر تحكم لا داعي إليه. قوله: (المسيح لقبه وهو من الآلقاب المشرّفة)

ركسر الراء أي المفيدة للمدح ويصح." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٣/٢٥>

"في الإعجاز وعدمه، وهو اختلاف في أمرين لم يكن الاختلاف كثيراً بل المختلف فلذا أوّل به، والمصنف رحمه الله أشار إلى أنّ الاختلاف بالتناقض، وتفاوت النظم والفصاحة، وعدمها، وسهولة المعارضة وصعوبتها، والمطابقة للخارج وعدمها، والموافقة للعقل، وعدمها فعذد أنواعا منه إشارة إلى أنّ الكثرة في الاختلاف نفسه لا في المختلف لأنه لا داعي إليه كما مرّ لكن عدم الاختلاف فيما ذكره لا يدل على كونه من عند الله لجواز صدور كلام غير معجز ليى فيه شيء من هذا الاختلاف عن البشر كالأحاديث النبوية فلا يتضح الاستدلال الواقع في النظم، ولهذا حصره الزمخشري فيما مرّ ليكون دليلاً واضحا وقد شعر بهذا، وحاول دفعه بأنه وان جاز مثله لكن الاستقراء دل على خلافه، وفيه نظر والاستقراء غير تام. قوله: (للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام الخ) جواب عن توهم أنّ النسخ فيه اختلاف مثل قوله: قبيل هذا كفوا أيديكم
مع كتب علينا القتال، وكل من عند الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك فلا يرد أنه إن أراد ما سبق من القرآن فغير ظاهر لأنه لم يسبق قريباً أحكام متناقضة وان أراد بما سبق ما كان قبل نزول هذه الآية مطلقا فلا وجه لإلرادها هنا. قوله: (مما بوجب الآمن أو الخوف الخ) وجه التأويل ظاهر لأن الأمن والخوف نفسهما ما لم يجيا بل ما يقتضيهما، وقوله: لعدم حزمهم بحاء مهملة وزاي معجمة أي لا لفساد ونفاق وغيره، والتخويف في إذاعته مفسدة ظاهرة وكذا الظفر لأنّ العدوّ يستعد له فيقوّي شوكته. قوله: (والباء مزيدة) في الكشاف يقال أذاع السرّ وأذاع به، ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ يعني أنه إذا جعل لازما يكون بمعنى فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ لأنه يقتضي تأثيره في المذاع، وكونه ثبت، وقرّ فيه سواء كانت الباء للتعدية أوبمعنى في على حد قوله:
تجرج في عراقيبها نصلي
وأمّا أن يكون مضمنا معنى التحدث فإن قيل أنه يكون لازماً، ومتعدياً فأظهر. قوله:
(ولو ردوا ذلك الخبر الخ) مرجع الضمير الخبر المفهوم من الكلام ولو أرجعه إلى الأمر لكان أظهر، وضمير رأيه للرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في تفسير الاية ثلاثة أوجه مبني الأوّل على أنّ مجيء الأمر وصول خبر السرايا إليهم، ورده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر إلقاؤه إليهم وإخبارهم به من غير إذاعة، والعلم معرفة تدبيرة، والمصلحة فيه، ومبني الثاني على أن مجيء الأمر اطلاعهم على ما بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأولي الأمر من الأمن أو الخوف من قبل الأعداء، وردّه إليهم ترك التعرّض له أو جعله بمنزلة غير المسموع، والعلم معرفة كيفية التدبير، ومبني الثالث على أنّ مجيء الأمر سماع خبر السرايا من أفواه المنافقين، وردّه إليهم تركه موقوفاً إلى السماع منهم، والذين يستنبطونه هم المذيعون، والعلم معرفتهم بما ينبغي في ذلك

الأمر من الإذاعة، وعدمها واستنباطهم إياه من الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر تلقيهم ذلك من قبلهم فمن على هذا

ابتدائية والظرف لغو متعلق بيستنبطون، وعلى الأوّلين تبعيضية أو بيانية تجريدية، والظرف حال، وإطلاق أولي الأمر على كبار الصحابة لكونهم المرجع فيه أو المظهر له، والاستنباط أصله استخراج الشيء من مأخذه كالماء من البئر والجوهر من المعدن، والمستخرج نيط بالتحريك فتجوّز به عن كل أخذ وتلق. قوله: (بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الخ) خصه لأنه هو المانع عن الضلال ولأجل صحة الاستثناء لأنه اختلف في قوله إلا قليلا فقيل مستثنى من قوله: أذاعوه أو لعلمه واستدلّ به على أنّ الاستثناء لا يتعين صرفه لما تبله لأنه لو كان مستثنى من جملة اتبعتم فسد المعنى لأنه يصير عدم اتباع القليل للشيطان ليس بفضل الله، وهو لا يستقيم، ومن صرفه إليه كما هو المتبادر خص الفضل لأنّ عدم الاتباع إذا لم يكن بهذا الفضل المخصوص لا ينافي أن يكون بفضل آخر، ثم اختلفوا فمنهم من فسره بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى، والمعنى لولا بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن العظيم لاتبعتم الشيطان فكفرتم إلا القليل منكم فإنهم ما اتبعوا الشيطان، وما كفروا ولا أنكروا بعثه، ولا قرآنه كمن اهتدى إلى الحق في زمن الفترة كقس بن ساعدة وأضرابه، وقيل المراد به النصرة، والمعونة أي لولا تتابع النصرة." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٣/١٦٠>

"في جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وعلى هدّه القراءة فالأكثر أنّ فيها مضافاً مقدراً، وقيل لا حاجة إلى تقدير، والمعنى هل تستطيع أن ينزل ربك بدعائك، وهذا منقول عن الفارسيّ وفيه نظر وفي قوله هل تسأله ذلك إشارة إلى أنّ استطاعة السؤال هنا عبارة عن السؤال كما مرّ تحقيقه لأنّ قوله من غير صارف يأباه فتأمل. قوله: (والمائد الخوان إذا كان عليه الطعام من ماد الماء الخ) الخوان بضم الخاء، وكسرها، وفيه لغبة اخوان بهمزة مكسورة، وهو معرّب وقيل إنه عربيّ مأخوذ من تخوّنه أي نقص حقه لأنه يؤكل عليه فينقص، وهو بمعنى المائدة، وهي فاعلة من ماد يميد إذا تحرك أو من ماده بمعنى أعطاه فهي إما فاعلة بمعنى مفعول كعيشة راضية أو بجعلها للتمكن مما عليها كأنها بنفسها معطية كقولهم للشجرة المثمرة مطعمة، وتفسير المائدة بالخوان تفسير بالأعمّ لأنه لا يقال للخوان مائدة إلا وعليه طعام، والا فهو خوان كما لا يقال للقدح كأس إلا وفيه خمر، وله نظائر كثيرة ذكرها أهل اللغة. قوله: (بكمال قدرته وصحة نبوتي الا فرق بينهما في ابتغائهما، وإنما الفرق في تقدير متعلق الإيمان هل هو القدرة والنبوة

أو عدم تقديره، والمراد صادقين في الإيمان مطلقاً. قوله: (تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال الخ) هذا! لا

ينافي ما سبق من كونهم لم تكن معرفتهم مستحكمة لأنهم ليسوا معاندين ولا جازمين بخلافه فلهم أن يعتذروا عن طلبه بأنّ،: مرادنا أن نتيقن، ويزول وهمنا، وعلى التأويلات السابقة لا اشكال فيه فما قيل إنه رد لما في الكشاف من كونهم شاكين، ويدل عليه. قوله: (لما رأى أنّ لهم غرضاً صحيحاً الخ الا يرد عليه أنه كيف يتمشى مع تصريحه أولاً بما ذكره الكشاف، وتقديمه على سائر الأقوال، ولهذا اكترض عليه بأنه غير منايسب لصدر كلامه، ولذا قال بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال ليكون عين اليقين، ولا بعد في مثله من بعض الحواريين إذ قد يكون منهم من قرب عهده ثم تمحض بذلك خلوصه، وكلامه لا يخلو من اغلاق وادماج، وقوله عليها من الشاهدين مثل قوله: وكانوا فيه من الزاهدين. وقوله: (إذا استشهدتنا) يشعر بأنّ على صلة الشاهدين لكن فيه تقديم ما في حيز الصلة، وحرف الجر وكلاهما ممنوع فلا بد من تعلقه بمحذوف يفسره من الشاهديين إن جوّزنا تفسير ما لا يعمل للعامل، وقد جوّز تقدمه بعض النحاة مطلقاً وبعضهم في الظرف، وجوّز أن يكون حالاً من اسم كان أي عاكفين عليها على ما مرّ في قوله تعالى ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة﴾ ، والوجه الثاني لا اشعار فيه به، وقوله بكمالها إشارة إلى أنّ عندهم دليلاً لكنه **غير تام**، وهذ يؤيد ما اخترنا في تفسير كلامه. قوله: (اللهم ربنا الخ) قالوا ربنا نداء ثان لا بدل ولا صفة لأنّ لفظ اللهم لا يتبع، وفيه خلاف لبعض النحاة ومن السماء إما صفة مائدة أو متعلق بالفعل. قوله: (أي يكون يوم نزولها عيدا الخ الما كان العيد اسماً للزمان في المتعارف لم يصح الاخبار عن المائدة به فقدر نزولها يوم عيد ليصح الحمل فإن قلنا إنّ معناه السرور لا يحتاج إلى التأويل، ولكن يكون جعلها نفسها سرورا مبالغة مجازاً في الاسناد، والعيد العائد مشتق من العود لعوده في كل عام بالفرح والسرور، وكل ما عاد عليك في وقت فهو عيد قال الأعشى:

فواكبدي من لا عج الحب والهوى إذا اعتاد قلبي من أميمة عيدها

وهو واوي لكنهم قالوا في جمعه أعياد، وكان القياس أعواداً ففعلوا ذلك فرقا بين جمع

عيد وعود، وقد فصلنا الكلام فيه في شرح درة الغواص، ومنهم من أعرب لنا خبرا وجعل عيداً حالاً. قوله: (بدل من لنا باعادة العامل الخ) ظاهره أنّ المبدل منه الضمير، ولكن أعيد

الجار لأنّ البدل في قوة تكرار العامل وهو تحكم لأنّ الظاهر أنّ الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور ثم إنّ ضمير الغائب يبدل منه وأمّا ضمير الحاضر، وهو المتكلم، والمخاطب فأجازه بعضهم مطلقاً، وهو ظاهر كلام المصنف، ومنعه قوم وفصل بعضهم فقال إن أفاد تأكيد أو إحاطة وشمولاً كما هنا جاز والا امتنع. قوله: (وقيل يثل منها أوّلنا وآخرنا) الآكل مأخوذ من المائدة، وقوله نريد أن نأكل منها، وكونها لأوّلهم، وآخرهم بأن يأكلوا

منها جميعا من غير نقص، ولا تفاوت بين الأوّل، والآخر فيكون كقوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ [سورة مريم، الآية: ٦٢]." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٣/٣٠٠>

"ّأرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام " أخرجه الترمذفي وأبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه ورذ بأنه لا يلزم من كون

المصنف رحمه الله من الأشاعرة القائلين بتركب الأجسام من الجواهر الفردة المتماثلة أن يقول بعدم اختلاف الأجسام بالحقيقة لعدم المحيص لمن قال: بتجانس الجواهر الإفراد عن جعل الإعراض داخلة في حقيقة الجسم فتكون حينئذ جواهر مع جملة من الإعراض منضمة إلى تلك الجواهر والا كانت الأجسام كلها متماثلة في الحقيقة وإنه ضرورفي البطلان كذا في شرح المواقف، وقيل عليه أنه لا يخفى أنه يلزمهم القول بعدم الفرق بين الجواهر والإعراض في التجدد والبقاء ضرورة استلزام تجدد الجزء بتجدد الكل لكن المشهور من مذهبهم القول ببقاء الأجسام، وعدم بقاء الإعراض! فلزمهم القول بعدم اختلاف الأجسام فلا محيص إلا بأن يقال لعل المصنف رحمه الله لم يقل بتجدد الإعراض، أو بتماثل الجواهر الإفراد لعدم تمام دليل شيء فيهما، وهو غير وارد لأنّ عدم الفرق ظاهر المنع لأنه فرق بين تجدد الشيء بتجدد جزء منه وبين تجدده بجميع أجزائه وقولهم ببقاء الأجسام لا ينافيه لاحتمال أن يراد بالجسم ثمة ما يقابل الإعراض! لا ما تركب منهما أو المراد بها أعظم أركانه وأقواها نعم كون لدليل غير تامّ مسلم فتأمل. قوله: (متفاوتة الآثار والحركات (قيل هو إشارة إلى ما قيل أنّ السماء جارية مجرى الفاعل والأرض مجرى القابل فلو كانت السماء واحدة لتشابه الأثر وهو يخل بمصالح هذا العالم، وأمّا الأرض فهي قابلة والقابل الواحد كاف في القبول، وحاصله أنّ اختلاف الآثار دل على تعدد السماء دلالة عقلية، والأرض وان كانت متعددة لكن لا دليل عليه من جهة العقل فلذلك جمعها دون الأرض وأمّا دلالة اختلاف الحركات إلى جوانب مختلفة على ذلك فظاهرة وهذا يقتضي أنه استدلال على ظهور تعددها دون تعدد الأرض، والظاهر أنه ليس مراده بل المراد بعدما أثبت تعددهما بالنص بين أنه جمع أحدهما دون الآخر لهذه النكتة، وحينئذ فلا يرد أنه مبنيّ على أصول فلسفية لا ينبغي التفسير بها لأنه ليس بتفسير بل نكتة على أصول أهل المعقول بعدما بينها بوجه آخر، وقد فسر قوله متفاوتة الخ بمعرفة المواقيت، واضاءة النيران مما نطق به القرآن ودل عليه الأحاديث والآثار مما هو معلوم من الشرع تال تعالى: ﴿) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ إلى قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس، الآية: ٤٠] وقد فسر بكل من الكواكب وهو محسوس أيضا فيهما وفي الخنس ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [سورة التكوير، الآية: ١٦] لكن كلامه في سورة البقرة لا

يناسبه. قوله: (وقدّمها لشرفها وعلو مكانها) أي لتقدمها بالشرف لأنها محل الملائكة المقرّبين، وقبلة الدعاء ونحو ذلك والأرض وان كانت دار التكليف ومحل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس ذلك إلا للتبليغ لأنها ليست بدار قرار وقال النيسابوري: قال

بعضهم السماء أفضل لأنها متعبد الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وما وقع فيها معصية ولهذا هبط آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة، وقالت: اللهم لا تسكن في جواري من عصاك ولذا وقع ذكرها مقدّماً في الأكثر والسماوات مؤثرة والأرض متأثرة والمؤثر أشرف، وقال آخرون بل الأرض! أفضل لأنه تعالى وصف بقاعاً منها بالبركة كقوله: مباركا للعالمين، وردّ بأنه يدل على شرفها لا أشرفيتها، وهذا خلاف كاللفظي لا طائل تحته، وعلو مكانها ظاهر لأنها علوية والأرض! سفلية، ويحتمل العطف فيه أن يكون تفسيراً للشرف وتعليلاً له والمغايرة بأن يراد أنها بمنزلة العلة الفاعلة لأنّ الأرض! مستفيضة منها كما مرّ، قيل: من فسر المكان بالمرتبة ثم علل بكونها من الأرض بمنزلة العلة الفاعلة من القابل لم يصب في المعلل وأخطأ في التعليل، أما الأوّل فلكونه أعاده، وأما الثاني فلكون ما ذكره وجهاً للتقديم كما مر لا لعلو المرتبة كما زعم وهو تعصب منه لأنه على هذا يكون عطفاً تفسيرياً، ولا ضرر فيه وتفسير وجه التقديم وجه للتقديم فما المانع منه. قوله: (وتقدّم وجودها) هذا بناء على مختاره في البقرة لظاهر قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [سورة النازعات، الآية: ٢٩] وان كان يعارضه ظاهر قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٩] وكذا آية السجدة حتى تحير فيه كثير والمصنف رحمه الله تعالى جمع بينهما بأن، ثم ليست للتراخي في الوجود بل لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٤/٤>

"لغة لحمير، أو لمراد والفتاحة بالضم عندهم الحكومة، وبيننا منصوب على الظرفية أو هو مجاز بمعنى أظهر وبين، ومنه فتح المشكل لبيانه وحله تشبيهاً له بفتح الباب وازالة الأغلاق حتى يوصل إلى ما خلفها، قيل فبيننا مفعول به بتقدير ما بيننا على هذا الوجه، وقوله: (على المعنيين) أي خير الحاكمين أو خير المظهرين. قوله: (لاستبدالكم الخ) فهو استعارة وفيما بعده حقيقة، وقوله سادّ مسدّ جواب الشرط والقسم أي جواب للقسم بدليلى عدم اقترانه بالفاء ومغن عن جواب الشرط، فكأنه جواب لإفادته معناه وسده مسده لا إنه جواب لهما معا فإنه مع مخالفته القواعد النحوية يلزم فيه أن يكون جملة واحدة لها محل من الإعراب، ولا محل لها وأن جاز باعتبارين كما تقدم. قوله له: (الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر الخ) هذا توفيق بينهما كما مرّ أو أنّ شعيباً عليه الصلاة والسلام بعث إلى أمتين، فالقصة غير واحدة إلا أنه سهو قاله المحشي لأنه في سورة

هود لا الحجر والذي ذكر فيه الصيحة في الحجر قوم صالح.

فائدة: إذا حرف جواب وجزاء وقد وقع لبعضهم هنا أنها إذا الظرفية الاستقبالية وا! الجملة المضاف إليها حذفت وعوّض عنها التنوين، كما في إذ ورده أبو حيان رحمه الله بأنه لم يقله أحد من النحاة ولم نره في غير هذه الآية، وقال المعرب: إنه يجوز في إنا إذا الظالمون، وقد سبقه إليه القرافي رحمه الله، وخرّج عليه قوله عشي! في بغ الرطب بالتمر: " فلا إذا ") ١ (أي إذا ج! قال وقد تعجبت منه لما رأيته ثم وقفت على ما هنا. قوله:) كأن لم ينونا فيها) أي استؤصلوا كأن لم يقيموا وغنى بالمكان يغني أقام به دهراً طويلاً وقيده بعضهم بالإقامة في عيش رغد وقال ابن الأنباري كغيره أنه من الغنى ضد الفقر كما في قوله:

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكأسهما الدهر

فالمعنى كان لم يعيشوا فيها مستغنين ورذ الراغب رحمة الله غنى بمعنى أقام إلى هذا

المعنى فقال غنى في المكان طال مقامه فيه مستغنياً به عن غيره، واستؤصلوا بمعنى أهلكوا بيان لحاصل المعنى.

قوله: (لا الذين صدّقوه واتبعوه الخ) رذ عليهم ما زعموه في الآية السابقة من أنّ من تبع شعيبا عليه الصلاة والسلام خاسر، والحصر مستفاد من تعريف الطرفين مع ضمير الفصل، وأن القصر للقلب ولما لم يلزم من عدم الخسران الربح زاد قوله: (فإنهم الرابحون (إشارة إلى المراد، وترك القصر في الجملة الأولى المذكورة في الكشاف لابتنانه على أنّ نحو الله يستهزئ بهم يفيده، والمصنف رحمه الله تعالى لا يقول به، أو على أنّ بناء الخبر على الموصول يفيد علية الصلة، وينتفي الحكم بانتفائها وهو غير تام لما يأتي، وقال النحرير إنّ في هذا الابتداء معنى الاختصاص على رأيه في مثل ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢٦] من غير فرق بين المضمر والمظهر المنكر والمعرّف الموصول وغيره وهنا وإن توسط بين المبتدأ والخبر لفظ كان المخففة فالخبر بعد فعل المبتدأ، وقد يقال مراده بهذا الابتداء كون المبتدأ موصولاً فإنه يشعر بعلية الصلة فينتفي الحكم عند انتفائها وهو معنى الاختصاص، وقيل عليه إن أراد أن رأيه في مثل هذا التركيب أنه للتخصيص البتة فليس كذلك، وقد صرح هو أيضا في المطوّل بأن صاحب الكشاف يوافق الشيخ عبد القاهر في كون تقديم المسند إليه إذا لم يل حرف النفي مفيداً للتقوّى تارة وللتخصيص أخرى، وان أراد أنه يجوز أن يفيد التخصيص فلا بد من بيان قرينة في هذا المقام تدل على إرادة التخصيص والظاهر الثاني، والقرينة أنه لما ذكر هلاك الكافرين الذين نصحوا المؤمنين بعد سبق ذكرهما جميعاً ولم يذكر هلاك المؤمنين، ثم ابتدأ وصرج بهلاك المكذبين صار ذلك قرينة على الاختصاص، واليه أشار بقوله أوّلاً إنّ في هذا الابتداء معنى الاختصاص وثانيا لأنّ الذين اتبعوا شعيباً عليه الصلاة والسلام قد أنجاهم الله، وأمّا ما أورد على قوله، وقد يقال الخ من أنّ انتفاء العلة المعينة لا

يستلزم انتفاء المعلول لجواز أن يتحقق بعلة أخرى، إلا أن يقال لما استفيد علية الصلة للحكم، فينتفي إذا انتفت في المقام الخطابي إلى أن يقام دليل على وجود علة أخرى فغفلة عما حققه قبيله في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٨١] من أنّ الظاهر من تعليل الفعل ببعض الأغراض! والدواعي أنه نفي لما سواه لا سيما إذاكان ذلك مما لا يكون الفعل بدونه في الجملة فذكره لا يكون." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١٩١/٤>

"نكرة موصوفة الخ) فما في محل نصب تمييز مفسر للضمير المستتر في بض وهذا مذهب الفارسيّ، وخالفه غيره من النحاة فيه كما في فصل في النحو، فقوله خلافة بالنصب تفسير لما وخلافتكم هو المخصوص بالذم. قوله: (ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي الخ (تركه الزمخشريّ لأنّ قوله خلفتموني يدل عليه، والتأسيس خير من التأكيد وكون خلفتموني يدل على بعدية مطلقة، وهذه خاصة قليل الجدوى. قوله: (أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد) فالبعدية بالنسبة إلى الأحوال التي كانوا عليها. قوله: (والحمل عليه والكف عما ينافيه) هذا ناظراً إلى كون الخطاب لهرون والمؤمنين، وما عطف عليه ناظر إلى كونه للعبدة فلذا قالوا الظاهر عطفه بأو كما في الكشاف لكن المصنف رحمه الله لما رآه وجها واحداً صالحاً لكل لم يعطفه بأو، وهو ظاهر فتدبر. قوله: (أتركتموه **غير تام** الخ الما كان المعروف تعدى عجل بعن لا بنفسه لأنه يقال عجل عن الأمر إذا تركه **غير تام** ونقيضه تمّ عليه، وأعجله عنه غيره جعلوه هنا مضمنا معنى سبق معدى تعديته وذهب يعقوب إلى أنه معنى حقيقيّ له من غير تضمين أي عجلتم عمأ أمركم به، وهو انتظار موسى صلى الله عليه وسلم حال كونهم حافظين لعهده، والسبق كناية عن الترك كما أشار إليه المصنف رحمه الله ولم يجعل ابتداء بمعناه لخفاء المناسبة بينهما، وعدم حسنها والأمر على هذا واحد الأوامر وعلى

قوله: ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٤] واحد الأمور، وهو الفرق بينهما قال الطيبي رحمه الله وهذا الميعاد غير ميعاد الله موسى ستي في قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٤٢] لضرب ميعاد موسى صلى الله عليه وسلم قبل مضيه إلى الطور، لقوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٤٢] وميعاد القوم عند مضيه لقوله: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وسيأتي تفصيله عن قريب. قوله: (طرحها من شدّة الغضب الخ) في قوله حمية للدين اعتذار عما يتوهم من سوء الأدب، وقوله روي الخ كذا في البغوي لكن هذا ينافي ما روي عن الربيع بن أن! رضي الله عنه إنّ التوراة نزلت سبعين وقرأ يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام قال الطيبي رحمه الله: وهو من قلة ضبط الرواة في الإعصار

الخالية، ولذا قيل إنه ينافي قوله بعده أخذ الألواح فإنّ الظاهر منه العهد، وأجيب بأنه رفع ما فيها من الخط دون ألواحها وقيل كان فيها إخبار عن المغيبات فرفع ذلك وبقي الأحكام والمواعظ والله أعلم بذلك، ومثل هذا لا يقال بالرأي فلا وجه لما قيل من أن القرآن لا يدل عليه فلعل المراد وضعها على الأرض ليأخذ برأس أخيه. قوله: (بشعر رأسه الأنه الذي يمسك ويؤخذ، وهو لا ينافي أخذه بلحيته كما وقع في سورة طه أو أدخل فيه تغليباً، وقوله يجرّه حال من موسى أو من رأس بتأويله بالعضو فلا يقال لا رابط فيه، أو من أخيه لأنّ المضاف جزء منه وهو أحد ما يجوز فيه ذلك، وقوله حمولاً لينا بيان لتحمله ما صدر منه، وقوله أحب إلى بني إسرائيل أي من موسى صلى الله عليه وسلم وتركه هنا حسن. قوله:) ذكر الأمّ ليرققه عليه) أي ليحصل له رحمة ورقة قلب له وإلا فهما أخوان لأب وأمّ على الأصح، وقيل ذكر أمه لأنها قامت في تربيته وتخليصه بأمور عظيمة فلذا نسبه إليها، وفي ابن أمّ هنا قرا آت وهي لغات فيه وفي ابن عم، وقوله زيادة في التخفيف بالحذف والفتح وعلى ما بعده هي حركة بناء. قوله: (إزاحة لتوهم التقصير) بالنصب مفعول له أي قاله لذلك أو بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هذا إزاحة أي

إزالة. قوله: (فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله الخ) هذا على القراءة المشهورة بضم التاء وكسر الميم، وإنما فسره به لأنه لم يقصد إشماتهم، وإنما فعل ما يترتب عليه ذلك، وهو مجاز أو كناية عما ذكر وقرئ بفتح التاء وضم الميم، وهو كناية عن هذا المعنى أيضا على حد لا أرينك هاهنا والشماتة سرور الأعداء بما يصيب المرء. قوله: (معدودا في عدادهم الخ) فعلى الأوّل هو جعل حقيقيّ، وعلى الثاني من الجعل في الظن والاعتقاد على طريقة وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا. قوله: (إن فرط في كفهم) أي قصر في منعهم وعدل عن قول الزمخشريّ: أن عسى فرّط لما فيه مما ليس هذا محله، وقوله ترضية له أي طلبا لرضاه بتطييب خاطره، ودفعا للشماتة بطلب." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٢٢٠/٤>

"بالنسبة إلى غفلتهم، وكمال غفلتهم يعلم مما أحلفه من عدم الإدراك. قوله: (فإنها تدرك (يعني جهة المبالغة في الضلال ليست جهة الشبيه حتى يؤذي إلى كذب أحد الخبرين وتنافيهما فافهم.

قوله: (لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني) إشارة إلى أنّ الحسنى تأنيث الأحسن للتفضيل، وعدل عن تعليل الزمخشريّ لأنه غير تام، وقوله والمراد بها الألفاظ أي المراد بالأسماء الألفاظ التي تطلق عليه تعالى مطلقا، أو المراد لله الأوصاف الحسنى فيكون كقولهم طار اسم فلان في البلاد أي اشتهر نعته وصفته كما في الكشف. قوله: (فسموه بتلك الأسماء (أي المراد بالدعوة التسمية كقولهم دعوته زيدا وبزيد أي سميته، وقيل معناه نادوه

بها من الدعاء. قوله: (واتركوا تسمية الزائنين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه) تفسير لمعناه واشارة إلى أنّ فيه مضافا مقدراً وهو تسمية بقرينة المقام والزيغ أي الميل تفسير للإلحاد لأنه يقال لحد وألحد بمعنى مال ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فإنه في وسطه، وقيل ألحد بمعنى جادل ولحد مال، وكون أسماء الله تعالى توقيفية مطلقا هو المشهور، وفيها أقوال أخر فقيل التوقيف في الأسماء دون الصفات، وقيل يجوز مطلقاً ما لم توهم نقصا، وقيل يكفي ورود ماذته في لسان الشارع والصحيح الأوّل، قال الطيبي رحمه الله: فإن قلت أليس العجم يسمون الله باسم غير وارد والأمة قد اتفقوا على صحته، قلت اتفاقهم على صحته يدل على أنه وارد يعني أنّ المراد بالشارع نبي من الأنبياء فتأمل، وقوله: (أو بما يوهم (إشارة إلى القول الآخر والإيهام في أبي المكارم للأبوة وفيما بعده للتجسيم، وهذا مما يقوله أهل البادية وجهلة العرب كما في الكشاف. قوله: (أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمي به نفسه (لأنّ العرب لما سمعوا اسمه الرحمن أنكروه، وكانوا يسمون مسيلمة رحمن اليمامة تعنتاً في كفرهم، وفي الانتصاف في هذا الوجه بعد لأنّ ترك الدعاء ببعض الأسماء لا يطلق عليه إلحاد في العرف، وإنما يطلق على فعل لا ترك، وأجيب بأنّ إنكار بعض الأسماء الحاد لأنه تصرف فيها بالنقص، كما أنّ الزيادة إلحاد للتصرف بالزيادة، ولم يجعل إلحاد باعتبار إطلاقه على غيره تعالى لأنه يرجع للوجه الذي بعده، وهو لا ينفي البعد. قوله: (أو وذروهم وإلحادهم فيها الخ (قيل هذا هو الصواب، والواو في والحادهم عاطفة أو للمعية والآية عايه منسوخة بآية القتال قيل لم يقل تسميتهم الأصنام إلهة كما في الكشاف لعدم كون الإلحاد في أسمائه لأنّ لفظ الإله يطلق على المعبود مطلقاً، لكن أورد على فوله، واشتقاق أسمائها منها أنّ الإلحاد في المشتق دون المشتق منه، وفيه نظر. قوله:) أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازّيهم) فالآية وعيد كقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ [سورة الحجر، الآية: ٣] وليست منسوخة وهو

وجه مستقل، وفي نسخة بالواو فهو من تتمة ما قبله، وقوله بالفتح أي فتح الياء والحاء لأنّ عينه حرف حلق والقصد الطريق المستقيم أو بحعنى المصدر. قوله: (للدلالة الخ (متعلق بذكر وبيانه أنه خلق للنار ظاهر وكونهم ضالين ملحدين عن الحق من مجموع الكلام إذ لم ينظروا في دليل الحق، ولم يعتبروا لا من قوله يلحدون في أسمائه فقط حتى يرد عليه إنه مخصوص في النظم، وقيل إنه يشير إلى تقدير في النظم بقرينة مقابلته أي وممن خلقنا للجنة، وفي لفظ ممن إشارة إلى قلتهم بالنسبة لمن خلق للنار. قوله: (واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه الخ) أي استدل بهذه الآية على أنه حجة في كل عصر سواء عصر النبيّ صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم وغيره، واستدل به أيضا على أنه لا يخلو عصر عن مجتهد إلى قيام الساعة لأن المجتهدين هم أرباب الإجماع، ونظيره الاستدلال على إرادة الاستغراق من اللام بعدم إمكانه على العهد

الخارجي أو الذهني والمستدل الجبائي، قيل: وهو مخالف لما روي من أنه " لا تقوم الساعة إلا على أشرار الخلق ") ١ (" ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض! الله " (٢ (ولا مرضه المصنف رحمه الله فتأمل، وقوله: (فإنه معلوم) قيل فيه إنه معلوم من جهة الشارع كما في قوله:) خير القرون قرني () ٣ (وفيه نظر. قوله: (لقوله عليه الصلاة والسلام لا نزال من أمتي طائفة الخ)) ٤ (أخرجه الشيخان من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وقد قاله في تفسير الآية وقوله: (إذ لو اختص! (تعليل له أي قاله مع عدم ما يدل على العموم كذا قيل وفيه نظر. قوله:) سنستدنيهم الخ) وفي نسخة سندنيهم." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٢٣٨/٤>

"لا يخطر بالبال عند إرادته فضلا عما ادعاه فقول المصنف رحمه الله فيموتوا إشارة إلى ترتبه على ما قبله من أشتغالهم بالدنيا حتى يأتيهم الموت من غير رجوع عن كفرهم، وهذا يعلم من تأخيره وترك الفاء فيه اعتماداً على أنه يعلم من معنى الكلام كما مرّ عن السكاكيّ، ولما كان الاستدلال بالآية على أنّ كفر الكافر بإرادة الله **غير تامّ** لما عرفت لم يتبع من استدلّ بها، وفسرها بما ذكر مما هو متفق عليه عند أهل السنة والمعتزلة والشغل ضد الفراغ فإذا تعذى بعن كان بمعناه، والتقية ما يظهر لأجل اتقاء الضرر وليس عن اعتقاد وقوله غير إنا جمع غار كثيران ونار تفسير لمغارات جمع مغاوة بمعنى الغار، ومنهم من فرق بينهما بأنّ الغار في الجبل والمغارة في الأرض، وقراءة الجمهور بفتح الميم وقرىء بضمها شاذاً.

قوله: (نفقاً ينحجرون فيه الخ (النفق بفتحتين سرب في الأرض! ، وهو الحجر وانحجر
دخل الحجر وهو معروف وهو مفتعل فأدغم بعد قلب تائه دالاً، وقراءة يعقوب بفتح الميم اسم مكان من الثلاثي، وقراءة مدخلاً بضم الميم وفتح الخاء من المزيد لأنهم يدخلون أنفسهم أو يدخلهم الخوف فيه، ومتدخلا اسم مكان من تدخل تفعل من الدخول ومندخلاً من اندخل وقد ورد في قول الكميت:

ولا يدي في حميت السمن تندخل

وأنكر أبو حاتم رحمه الله هذه القراءة، وقال إنما هي بالتاء بناء على إنكار هذه اللغة والقراءة تبطله. قوله: (لآقبلوا نحوه وهم يجمحون الخ (أي لو وجدوا شيئاً من هذه الأمكنة
التي هي منفور عنها مستنكره لأتوه لشدة خوفهم، وقيل لئلا يظن أنّ مساكنتهم لكم عن طيب نفس، والفرس الجموح النفور الذي لا يردّه لجام ويجمزون قراءة أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، فقيل له: يجمحون فقال: يجمحون ويجمزون ويشتدون بمعنى، وليس مراده أنه يقرأ بالزاي كما توهم بل التفسير، وردّ الإنكار وجمازة ناقة

شديدة العدو. قوله: (يلمزك يعيبك الخ) ظاهره أنه مطلق العيب كالهمز ومنهم من فرق بينهما بأنّ اللمز في الوجه والهمز في الغيب، وقد عكس أيضا وأصل معناه الدفع، وضمم عينه لغة فيه والملامزة بمعنى اللمز. قوله:) في قسمتها (يحتمل أنه بيان للمعنى المراد، أو تقدير المضاف وفي للظرفية أو التعليل. قوله: (نزلت في أبي الجوّاظ المنافق الخ) قال العراقي: لم أقف عليه في شيء كتب الحديث، والجوّاظ بصيغة المبالغة والظاء لمعجمة كشداد الضخم المتكبر والكثير الكلام. قوله: (وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج) الذين خرجوا على عليّ كرم الله وجهه وقتله، وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث (١ (نحوه وعند مسلم ذي الخويصرة بدون ابن، وهو الصحيح واسمه خرقوص وإذا الفجائية معلوم معناها وأحكامها في النحو وهي تسد مسدّ الفاء في الربط فلذا وقعت الاسمية هنا جواباً بدون فاء، وغاير بين جوابي الجملتين إشارة إلى أن سخطهم ثابت لا يزول ولا ينفي بخلاف رضاهم. قوله: (من النيمة أو الصدقة) عمم الحكم لهما وان كان ما بعده وما قبله في الصدقة لأنه أنسب ولأنّ الموصول من صيغ العموم، وقوله: (كفانا فضله) إما بيان لحاصل المعنى أو تقدير المضاف لدلالة المعنى عليه والتصريح به بعد.، وقوله: (صدقة أو غنيمة) مفعول يؤتينا أو خبر كان أي صدقة كان أو غنيمة أو بدل

من محل الجار والمجرور، وأخرى صفة لكل منهما، وقوله أكثر مما آتانا جعله أكثر لأنه المتبادر من جعله فضلا، وأكثر تسلية فلا يقال إنه لا حاجة إليه بل يكفي أن يكون مثله لأنه لما كان سخطهم لقلة العطية ناسب أن يكون المعنى سيعطينا أكثر مما أوجب السخط وهذا بناء على أنّ معنى الآية، ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله، وان قل فيكون معنى قوله فإن أعطوا منها أعطوا ما أرادوا وان لم يعطوه سخطوا لا إن لم يعطوا شيئاً، وهذا أحد احتمالين للمفسرين، ولذا قيل ظاهر هذه الآية أنهم لا يرضون بما أعطوا وهو خلاف ما يدل عليه ما قبله فإن حملت الآية الثانية على الغنيمة فلا إشكال إذ المعنى رضوا به، وإن لم يعطوا غيره، وان أريدت الصدقة فتحمل الآية الأولى على أنهم إن أعطوا بقدر طمعهم، وقوله والجواب محذوف لا قالوا والواو زائدة كما قيل. قوله: (ثم بين مصارف الصدقات تصويباً الخ) يعني لما ذكر المنافقون وطعنهم وسخطهم بين أن فعله لإصلاح ع لدين، وأهله لا لأغراض نفسانية كأغراضهم فانطبقت هذه الآية وما فيها من الحصر المستدعي لإثباته لم ذكر ونفيه عمن عداه يعني الذي ينبغي أن يقسم مال الله." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٤/٣٣٤>

"لأنّ المراد بها الجنة، وقيل إنه بدل من ضمير يقاتلون وحمل التوبة على التوبة عن الكفر لأنه بعد ذكر المنافقين، وتوبتهم عنه ولأنّ ما ذكر بعده من الصفات لو حمل على التوبة عن المعاصي يكون **غير تام** الفائدة

مع أنّ من اتصف بهذه الصفات الظاهر اجتنابه للمعاصي، وقوله نصبا على المدح أي بتقدير أمدح أو أعني. قوله: (هم الجامعون لهذه الخصال الخ) قيل عليه إنه تبع فيه الكشاف، وفي بعض التفاسير أنه دسيسة اعتزالية كأنه يقول

المؤمنون هم الجامعون لهذه الصفات حتى يجعل المذنب غير مؤمن انتهى (قلت) ويدفع بأنه أراد بقوله على الحقيقة الكاملون إيمانا لا المؤمنون كما سيصرّح به في قوله وبشر المؤمنين ولو تركه كان أولى. قوله: (لنعمانه أو لما نابهم الخ) وفي نسخة يأتيهم والأولى أصح ونابهم بالنون والباء الموحدة بمعنى نزل بهم والسراء بالمد المسرّة والضراء بالمد المضرة يعني الحمد إما في مقابلة النعمة بمعنى الشكر أو بمعنى الوصف بالجميل مطلقا فالحمد لله على كل حال ولا حاجة إلى ما قيل إن المضرة لكونها سببا للثواب يحمد عليها. قوله: (السائحون الصائمون الخ الما كان في الأمم السابقة السياحة والرهبانية، وقد نهى عنها فسرت كما وقع في الحديث بالصوم وهو استعارة له لأنه يعوق عن الشهوات كما أنّ السياحة تمنع عنها في أكثر أو لأنه رياضة روحانية ينكشف بها كثير من أحوال الملكوت، والملك فشبه الاطلاع عليها بالاطلاع على البلدان والأماكن النائية إذ لا يزال يتوصل من مقام إلى مقام ويدخل من مدائن المعارف إلى مدينة بعد أخرى على مطايا الفكر من ساج الماء إذا سأل، وعن عائشة رضي الله عنها: " سياحة هذه الأمّة الصيام " (١) ، وروي مرفوعا كما هو ظاهر صنيع المصنف وقوله: (في الصلاة) حمل الركوع والسجود على معناهما الحقيقي وجعلهما بعضهم عبارة عن الصلاة لأنهما أعظم أركانها، وقوله: (بالإيمان والطاعة الو أبقى لفظ النظم على عمومه كان أولى. قوله: (والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه الخ الما ترك العطف فيها وذكر في موضعين احتاج إلى بيان وجهه والنكتة فيه سواء كانت وتلك الصفات إخباراً أو لا، وقد وقع مثله في غير هذه وبحثوا عن وجهه قال في المغني: الظاهر أن العطف في هذا الوصف بخصوصه إنما كان من جهة أنّ الأمر والنهي من حيث هما أمر ونهي متقابلان بخلاف بقية الصفات لأن الأمر بالمعروف ناه عن المنكر، وهو ترك المعروف والناهي عن المنكر آمر بالمعروف فأشير إلى

الاعتذار بكل من الوصفين وأنه لا يكفي فيه ما يحصل في ضمن الآخر، وما ذكره المصنف رحمه الله من أنهما في حكم خصلة، وصفة واحدة أي بينهما تلازم في الذهن والخارج لأن الأوامر تتضمن النواهي ومنافاة بحسب الظاهر لأنّ أحدهما طلب فعل والآخر طلب ترك فكانا بين كمال الاتصال والانقطاع المقتضى للعطف بخلاف ما قبلهما، فلا يرد عليه أَن الراكعون الساجدون في حكم خصلة واحدة أيضاً فكان ينبغي فيهما العطف على ما ذكره إذ معناه الجامعون بين الركوع والسجود، أو لأنه لما عدد صفاتهم عطف هذين ليدل على أنهما شيء

واحد وخصلة واحدة والمعدود مجموعهما، وما ذكره ابن هشام رحمه الله أمر آخر وهو أنّ العطف إما لما بينهما من التقابل أو لدفع الإيهام ولما ورد أنه لا ينبغي العطف فيما بعده أشار إلى جوابه كما ستراه. قوله:) أي فيما بينه وعيته من الحقائق والشرائع للتنبيه على أنّ الخ (يعني أنه من ذكر أمر عام شامل لما قبله وغيره ومثله يؤتى به معطوفاً نحو زيد وعمرو وسائر قبيلتهما كرماء فلمغايرته لما قبله بالإجمال، والتفصيل والعموم والخصوص عطف عليه، فاندفع ما قيل إنه عطف على ما قبله من الأمر والنهي لأن من لم يصدق فعله قوله لا يجدي أمره نفعاً، ولا يفيد نهيه منعا، ومن لم يتنبه لهذا قال إنه للتنبيه على أنّ ما قبله مفصل الخ وليت شعري ما وجه الدلالة في العطف على هذا، وقد ظهر نكتة أخرى أوضح مما قالوه، وهو أنّ المراد بحفظ الحدود ظاهره وهي إقامة الحد كالقصاص على من استحقه والصفات الأول إلى قوله الآمرون صفات محمودة للشخص في نفسه، وهذه له باعتبار غيره فلذا تغاير تعبير الصنفين فترك العاطف في القسم الأؤل عطف في الثاني، ولما كان لا بذ من اجتماع الأول في شيء واحد ترك فيها العطف لشذة الاتصال." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٣٦٨/٤>

"النعمة، والعين على الجاسوس، والرأس على الرئيس، وقال صاحب الانتصاف لم يسموا سابقة السوء قدما إمّا لكون المجاز لا يطرد أو لأنه غلب في العرف عليه. قوله: (وإضافتها إلى الصدق) أصل الصدق في الأقوال قال الراغب: ويستعمل في الأفعال فيقال صدق في القتال إذا وافاه حقه، وكذا في ضدّه يقال كذب فيه فيعبر به عن كل فعل فاضل ظاهراً، وباطنا، ويضاف إليه كمقعد صدق، ومدخل صدق، ومخرج صدق، وقدم صدق، ولسان صدق في قوله، واجعل لي لسان صدق سأل أن يجعله الله صالحاً بحيث إذا أثنى عليه لم يكن كذبا كما قال:

إذانحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما تثني وفوق الذي نثني

فإضافته من إضافة الموصوف إلى صفته، وأصله قدم صدق أي محققة مقرّرة لما عرفت

من معناه، وفيه مبالغة لجعلها عين الصدق، ثم جعل الصدق كأنه صاحبها، وهذا من منطوقه، وقوله والتنبيه الخ أي تنبيه على أنهم إنما نالوا تلك السابقة بصدقهم ظاهراً وباطناً، واعترض! عليه بأنه إنما يحصل هذا إذا كانت الإضافة من إضافة المسبب إلى السبب إلا أن يكون في التنبيه إشارة إلى احتمالها لها، ويدفع بأنه لا حاجة إلى ما ذكر لأنّ الصدق إنما تجوّز به عن توفية الأمور الفاضلة حقها للزوم الصدق لها حتى كأنها لا توجد بدونه ويكفي مثله في ذلك التنبيه، وهذا كما أنّ أبا لهب يشعر بأنه جهنمي. قوله: (يعنون الكتاب الخ) يعني الإشارة إلى

الكتاب السابق ذكره، وعلى قراءة لساحر الإشارة إلى رجل، وقوله وفيه اعتراف الخ لأنّ السحر خارق للعادة، وقال النحرير لأنّ قولهم إنّ هذا لسحر المراد به الحاصل بالمصدر وهم كاذبون في ذلك عند أنفسهم أيضا، وبهذأ الاعتبار يكون دليل عجزهم لأنّ التعجب أوّلاً ثم التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعا حتى عند نفس المعارض دأب العاجز المفحم، وما قيل عليه أنه لا دخل لتعجبهم فيه فالأولى تركه ليس بشيء. قوله:) التي ه! أصول الممكنات) إنما فسر به بيانا لحكمة تقديمها، وكونها أصولاً لأنّ السماء جارية مجرى الفاعل، والأرض مجرى القابل، وبإيصال الكواكب اختلاف الفصول، ويكون م! فيها على ما قرزه الحكماء وقد تقدم تفصيله وقوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤] قيل هي مدة مساوية لأيام الدنيا، وقيل هي بالمعنى اللغوفي، وهو مطلق الوقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها من أيام الآخرة ١٠ لتي هي كألف سنة مما تعدون قيل، والأوّل أنسب بالمقام لما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة بخلق هذه الأجرام العظيمة في مثل تلك المدّة اليسيرة، ولأنه تعريف لنا بما نعرفه، وقوله استوى إمّا بمعنى استوى أمرد، وتمّ أو استولى فيرجع إلى صفة القدرة، وقيل إنه صفة غير الثمانية لا يعلم ما هي، وقيل إنه مما اشتبه فيتوقف فيه كما فصل في محله، والعرش تقدم أنه الجسم المحيط بجميع الكائنات أو الملك أو شيء غير ذلك. قوله: (يقدّر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته الخ) يعني تعريف الأمر للعهد، والمراد أمر الكائنات، وتدبيرها بمعنى تقديرها جارية على مقتضى الحكمة، وأمّا ما سيذكره فهو معناه اللغوفي، وقوله وسبقت به كلمته أي قضاؤه كما في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٥] وجملة يدبر استئنافية لبيان حكمة استوائه على العرس وتقرير لعظمته، وقوله ويهيئ بتحريكه أي بسبب تحريك العرس، وفلك الأفلاك أسباب ذلك لأنّ بحركته تحريك غيره ولذا اقتصر عليه. قوله: (والتدبير النظر الخ (وجه لاشتقاقه، وبيان لحقيقته، وقوله تقرير لعظمته لأنها علمت من خلق المخلوقات العظام فقرّر ذلك بأنه لعز جلاله لا يجسر أحد على الشفاعة عنده بغير إذن فالتقدير لا شفاعة لشفيع، وهو تعليم للعباد أنهم إذا فعلوا شيئا يتأنون والا فهو سبحانه وتعالى قادر على خلقها دفعة في آن واحد، وعدل عن قول الزمخشريّ يدبر يقضي، ويقدّر على حسب مقتضى الحكمة، ويفعل ما يفعل المتحريّ للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخراً انتهى لأنه كما قيل خطأ لفظا، ومعنى فإنه لا يجوز إطلاق التحرّي على الله، ولا يمثل فعل الله به، ولأنه مبنيّ على رأيه، وهي قاعدة فاسدة عند أهل السنة. قوله: (وردّ على من زعم أنّ اكهتهم تشفع الخ) قيل هذا الردّ غير تامّ لأنهم لما ادعوا شفاعتها قد يدعون الإذن

لها فكيف يتمّ هذا الرد، ولا دلالة فيها على أنهم لا يؤذن لهم." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٥/٤>

"وان كان التفنن كافيا في مثله لكن اللائق بشأن التنزيل أن يكون له نكتة خاصة. وفي الكشف أنه قيل إنما الإشكال في اختصاص كل بموقعه ولم يحم الزمخشري حوله. والجواب أنه بين الفرق على وجه يتضمن دفعه وأشار إليه بقوله: وشتان ما هما كأنه قال هناك يحق الاستئناف لأنه في حكاية المقاولة بين المرسل والمرسل إليه واستدعاء مقام المخاطبة ذلك بين وما نحن فيه حكاية لتفاوت ما بين المقالتين لأنّ المرسل إليهم قالوه بعضهم لبعض. وظاهرا باؤه على الاستئناف فالجواب من الأسلوب الحكيم اهـ. وما ذكره المصنف من عدم الاتصال يفهم من العدول من الفاء إلى الواو مع ما فيه من نكتة التضاد. وكونه جواب سؤال يقتضي عدم العطف لكن اختياره ثمة يحتاج إلى مخصص فالجواب غير تام إلا بملاحظة ما في الكشف وهو لا يخلو من الإشكال فتدبر وقوله على تقدير سؤال هو ما قاله قومه في جوابه. قوله: (بلقاء ما فيها) يعني أنه مضاف إلى الظرف وترك ما يلقونه كجوار مكة أي جوار الله في مكة أو إلى المفعول على أنّ الآخرة عبارة عما فيها كما إذا أريد بالآخرة المعاد أو المراد بالآخرة الحياة الثانية وجملة أترفنا معطوفة أو حالية بتقدير قد وهو أبلغ معنى لإفادته الإشارة إلى من أحسن وهو أقوى في الذم وقوله: والعائد إلى الثاني منصوب محذوف والفاصلة ترجحه. قوله: (وإذا جزاء للشرط) كذا في الكشاف وردّه أبو حيان بأنه ليس واقعا في الجزاء بل بين أنّ وخبرها وجملتها جواب القسم على القاعدة المشهورة ولو كان جوابه صدر بالفاء عند من أجازه. وغاية ما يعتذر له بأنه تسمح في العبارة لظهور المراد فأراد أنه سادّ مسد جواب الشرط كما تسمع في جعل إذا جوابا وإنما الجواب جملة إنكم الخ. وهذا عناية القاضي وسلامة الأمير لكن يوضحه أنّ القسم غير مذكور وتقديره إنما هو للتأكيد. وقوله

أيعدكم أنكم أي بأنكم، ويجوز أن لا يقدر فيه حرف كوعدته خيراً وقوله: مجرّدة الخ ما ذكره يفهم من فحوى الكلام. قوله: (وأنكم تكرير للاوّل للتذكير والتأكيد ولما بالفتح والتشديد أو الكسر والتخفيف وخبره مخرجون وإذا متعلقة به وإذا كان مبتدأ خبره الظرف فالجملة خبر أنّ الأولى والفعل المقدر وقع. وقوله: جوابا للشرط هو إذا وفي الوجه المتقدم هي ظرفية وهو جار في هذا الوجه أيضا والجملة يعني إذا مع شرطها وجوابها وقوله أي أنكم الخ بيان لما قبله على اللف والنشر المرتب. وقوله: ويجوز الخ وتقديره إنكم تبعثون وإذا متعلقة به وهو اختيار سيبويه وقوله لا أن يكون أي خبر أنكم الظرف لأنّ ظرف الزمان لا يخبر به عن الجثة إلا بتأويل كان

يقدّر أنّ بعثكم واخراجكم وهو خلاف الظاهر. قوله: (بعد التصديق أو الصحة) يعني أنّ فاعله ضمير مستتر عائد لما ذكر لفهمه من السياق. ولما توعدون بيان له فهو متعلق بمقدر كسقيا لك أي البعد المذكور كائن لما توعدون وليس متعلقاً بالمستتر لأنه لا يصخ تعلق الجارّ به على الصحيح وكلامه بعد. مصرّح بخلافه فلا يصح حمله عليه تشبثا بتجويز بعض النحاة له كما في المغني ولما كان المبين مفسراً للضمير المستتر فسره بقوله أي بعدما توعدون لأنه مآل معناه لا أنه فاعل واللام فيه زائدة لأنّ سياقه وسباقه يأباه لكنه ذهب إليه بعض المعربين وردّ بأنّ اللام لم يعهد زيادتها في الفاعل. قوله: (كأنهم لما صوّتوا الخ) إشارة إلى ما قاله الزجاج وغيره من النحاة من أنه في الأصل اسم صوت كاف للتضجر وليست مشتقة. وقوله: فما له هذا الاستبعاد أي أيّ شيء له هذا الاستبعاد كقوله تعالى ﴿مَا جِئْتُم﴾ به وهو أمر تقديري وما قيل إنّ أصله ما الذي فحذف منه الموصول لا وجه له لارتكابه الحذف من غير ضرورة فيه. قوله: (وقيل هيهات بمعنى البعد) هذا وقل الزجاج رحمه الله وهو على القول بأن أسماء الأفعال لها محل من الإعراب. وقيل: إنّ ما ذكره الزجاج بيان لحاصل المعنى- وفيها أكثر من أربعين لغة- منها ما ذكره المصنف من القرآت. وقوله: منوّناً للتنكير كما في غيره من أسماء الأفعال فإنّ ما نوّن منها نكرة وما لم ينوّن معرفة. وقوله: وبالضم منوّناً على أنه جمع هيهة كبيضة وبيضات وقد قيل: إنه مرفوع على الفاعلية أي وقع بعد وليس بشيء كالقول بنصبه على المصدرية وهذا منقول عن سيبويه وما وقع في بعض النسخ هيهية بياء بعد الهاء الثانية من
غلط الناسخ. وقوله: تشبيهاً بقبل أي في مجرّد البناء على الضم. وقوله على الوجهين أي التنوين وعدمه وقوله: بالسكون الخ." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي <٣٢٩/٦

"وسال به الوادي إذا هلك استعارة تمثيلية

كطارت به العنقاء والدمار بالمهملة! يهالهلاك لفظا ومعنى. قوله: (يحتمل الإخبار والدعاء) البعد ضد القرب والهلاك وفعلهما ككرم وفرح والمتعارف الأوّل في الأوّل والثاني في الثاني والمصدر يكون بعدا وبعداً كرشد ورشد وهو منصوب بمقدر أي بعدوا بعداً والإخبار ببعدهم من رحمة الله من كل خير أو النجاة والدعاء بذلك والمراد أنهم مستوجبون للعذاب فقوله: بعد بضم العين أو كسرها من في قوله لا يستعمل إظهارها نظر لأنّ وجوب حذف عامله عند سيبويه إنما ذكروه فيما! إذا كان دعائيا كما صرّح به في الدر المصون ففي كلامه إطلاق في محل التقييد وقوله: إظهارها من إضافة الصفة للموصوف أي لا تستعمل مظهرة. قوله: (لبيان من دعى عليه) أو من أخبر ببعده وفي الاقتصار على الدعاء إشارة إلى ترجيحه فهي متعلقة بمحذوف كما في سقيا لك

والتعليل بأن إبعادهم لظلمهم كما تقرّر في التعليق بالمشتق وقوله يعني قوم صالح عليه الصلاة والسلام فيه إشارة إلى أنّ الدليل على أنّ القرن السابق قوم صالح غير صالح للتعويل وقوله: ومن مزيدة للاستغراق يعني أنها زيدت في الفاعل لتأكيد الاستغراق المستفاد من النكرة الواقعة في سياق النفي وضمير يستأخرون لأنه باعتبار معناه. قوله: (متوا! لرين (أي متتابعين فردا فردا واختلف أهل اللغة في معناه بعد الاختلاف في لفظه هل هو مصدر أو جمع أو اسم جمع فقيل إنه التتابع والتوالي مطلقا وقيل تتابع مع فصل ومهلة كما اختاره الحريري في الدرّة وانتصابه على الحال كما أشار إليه بقوله متواترين وقيل إنه صفة مصدر مقدر أي إرسالاً تترى وقيل مصدر لأرسلنا لأنه بمعنى واترنا وقوله والتاء أي الأولى بدل من الواو كما في تجا. وتجيه وهو كثير والدليل عليه الاشتقاق وكثرة فعلى في الأسماء ومفعول كديجور دون تفعل وتفعول كما في تولج المقرّ الوحش وكناسه لأنه يلج فيه. وتيقور بمعنى الوقار وقوله على أنه مصدر ظاهره أنه في القراءة الأولى ليس بمصدر مع أنه قيل به كما مرّ ونظيره دعوى وألف التأنيث في المصادر كثيرة فتعليله **غير تام** فالظاهر أن يقول على أن ألفه للإلحاق كارطي لكن ألف الإلحاق في المصادر نادرة وقيل إنها لا توجد فيه وقيل إنه عليه تتر بوزن فعل ورد بأنه لم يسمع إجراء حركات الإعراب على رائه وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وقوله بمعنى المواترة إن أراد أنه حال من ضمير أرسلنا فهو على ظاهره وان كالف حالاً من المفعول ففيه مسامحة ولذا وقع في بعض النسخ المتواترة أي الوسل المتوإترة وهي أظهه.

قوله: (أضاف الرسول) أي في قوله رسلنا ورسولها لما ذكر ولأنّ الإضافة للملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل إليه وقوله لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها بالبناء للمجهول مخفف من السمر وهو حديث الليل يعني أنهم فنوا ولم يبق إلا خبرهم إن خيرا وان شرّا:

وانما المرءحديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى ...

قيل وهو ردّ على الزمخشريّ في دعوى تعين المعنى الثاني أي كونه جمع أحدوثة للإرادة

هنا فإنّ الأوّل صحيح كما لا يخفى ولعله إنما اختاره لأنه أنسب وأقيس كما لا يخفى. قوله: (وهو اسم جمع للحديث) تبع فيه الزمخشريّ وقد مرّ أنّ اصطلاحه أن يطلق اسم الجمع على الجمع الذي ليس بقياسيّ كاسم المصدر للمصدر غير القياسي لا على ما اصطلح عليه النحاة من أنه ما دل على الجمعية ولم يكن على شيء من أوزانها وليس اسم جنس جمعيّ فلا يرد عليه ما قاله أبو حيان من تخطئته بأنّ أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع فالصحواب أنه جمع حديث على غير القياس وأنّ كون الأحدوثة أمراً مستغربا يحدث به للتلهي والإضحاك هو الأكثر وقد ذكر بعض أئمة اللغة أنه ورد بمعنى الحديث كقوله:

فيا حبذا أحدوثة لو تعيدها

فتذكر وقوله بالآيات التسع مرّ تفصيلها والكلام عليها في سورة بني إسرائيل وهرون بدل

أو عطف بيان وتعرّض لإخوّته للإشارة إلى تبعيته له في الرسالة. قوله: (وحجة وا! حة ملزمة للخصم) لأنّ السلطان يطلق عليها فعطفه حينئذ ظاهر وقوله واضحة على أنه من أبان اللازم لأنه يكون لازماً ومتعديا فقوله ملزمة لأنه شأن الواضح ولازمه وفيه إيماء إلى جواز كونه من المتعدي فإن أريد به العصا يكون من ذكر بعض الأفراد." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٣٣١/٦>

"اعتذر عنه بأنه معلوم بقرينة ذكر المشركين وأنّ استكبارهم وافتخارهم به أشهر من أن يذكر واليه أشار بقوله وشهرة الخ وقوّام بالتشديد جمع قائم على الأمر أي معتنون بخدمته وسدإنته والباء فيه سببية وكون لضمير للنكوص كما في البحر ليس فيه كبير فائدة ومستكبرين حال كذا قيل وفيه أنه لا يلزم من النكوص التكذيب به فالتضمين يدفع اللغوية فتأمّل. قوله: (أو لآياتي الخ) والتضمين على هذا فالباء للتعدية أو سببية أو للتالي المعلوم منه وقوله بمعنى مكذبين أي على التضمين والتجوّز ركيك وقوله بذكر القرآن أي الضمير على هذا للقرآن المفهوم من الآيات أو المؤوّلة هي به ولم يذكر تعلقه بتهجرون لبعده لفظا ومعنى لما فيه من الإيهام وقوله تسمرون عبر به دون سامرين لإفادة استمرارهم عليه ولذا قدّم متعلقه. قوله: (وهو في الأصل مصدر الخ الما أريد به الجمع وهو بوزن المفرد هنا وقد ورد كذلك اختلف في توجيهه فذهب بعضم إلى أنه اسم جمع لأنهم يقولون السامر! ماعة الذين يسمرون فهو كالحاج والحاضر والجامل والباقر وهذا أحسن الوجوه والسمر الحديث بالليل وقيل إنه واحد أقيم مقام الجمع وقيل إنه مصدر في الأصل فيشمل القليل والكثير باعتبار أصله لكن مجيء المصدر على وزن فاعل نادر وقرئ سمرا بضم وتشديد وسما بزيادة ألف. قوله: (من الهجرة بالفتح (إقا بمعنى القطيعة أو الهذيان وهو التكلم بما لا يعقل لمرض! ونحوه وفيه أنه قال في الدؤ المصون إنّ الهجر بمعنى القطع والصد بفتح الهاء وسكون الجيم وبمعنى الهذيان بفتح اا! اء والجيم وفعله أهجر فليس مصدرهما واحدا كص ذكره المصنف رحمه الله وأمّا قوله في الكشاف والهجر بالفقح الهذيان فمحتمل لفتع الهاء والجيم إلا أنّ ما ذكره المصنف بعينيه في الصحاح فليحرّر. قوله: (أي تعرضون عن القرآن) هذا على معنى الهجر الأوّل وما بعده على الثاني والفحش التكلم بالقبيح أو نفس الكلام القبيح وقوله ويؤيد الثاني وهو الهذيان تأييده له لما عرفت أنّ فعله مزيد دون الأوّل وسيأتي تحريره وقراءة التشديد تحتمل المعاني الثلاثة وقوله والهجر بالضم لم يعطفه بأو وان كان هو الظاهر كما قيل لقربه من الهذيان وقمد ورد بمعناه في اللغة كما في لسان العرب

وبينهما مغايرة على الأوّل هذا على تقدير جرّه عطافا على الهجو بالفتح وأمّا على كونه مرفوعا مبتدأ خبر. الفحش وذكر إشارة إلى فائدة التقييد بالفتح يعني أنّ الفعل من الهجر المفتوح بمعنييه لا من المضموم الذي هو اسم لقبيح الكلام ولا مصدر فلا يرد عليه شيء لكن هذا إنما يتمشى إذا كان لم يسمع منه هجر بل أهجر كما مرّ وهو الظاهر من كلام المصنف كذا قيل ويرد عليه ما في القاموس حيث قال هجره هجراً بالفتح وهجرانا بالكسر صرمه والشيء تركه كأهجره انتهى وقوله في المصباح هجرته هجرا من باب قتل قطعته وهجر المريض في كلامه هذي والهجر بالضم اسم ومصدر بمعنى الفحش من هجر كقتل وفيه لغة أخرى أهجر بالألف انتهى فلا وجه لما ذكر وفوله وبؤيد الثاني أي كونه بمعنى الهذيان لا كونه بمعنى الفحش كما قيل لأنه ثالث إلا أن يعدا وجهاً واحداً ووجه التأييد **غير تام** إلا أن ينبني على اكثر الأفصح وما ذكره هذا القائل يقتضي أن الفعل المذكور في النظم لا يصح أن يكون من الهجر بالضم مع أنه فسر به أيضا في كتب اللغة وغيرها فتأمّل. قوله: (أفلم يدبزوا القول) الاستفهام إنكاريّ لعدم تدبرهم ويجوز أن يكون تقريرياً انضمّ لمن تدبر وأورد عليه أن دلالة الإعجاز على كونه كلام الله ظاهرة وأمّا دلالة الوضوح فغير واضحة فكم للعرب من كلام واضح ويدفع بأنه على تقدير تسليم دخله في الدلالة فإنه ذكر لتسليم دلالة الإعجاز فإنّ المعجز بما يتوهم لكونه غير معهود لهم صعوبة فهمه لا سيما إذا نصب وضوح على أنه مفعول معه والمراد بالوضوح وضوح خاص وهو كونه على نهج من الفصاحة بحيث يفهمه كل من خوطب به من العوب لعدم تعقيده وكونه على أحسن الوجوه من أوّله إلى آخر. على نسق نير سالكاً طريقا سهلاً محمياً عن سلوك أحد فيه وهو الذي يقول له الأدباء السهل الممتنع فلا حاجة إلى أن يقال المراد وضوح دلالته على كونه ليس من كلام البشر فإنه مصادرة فتأمّل وقوله ليعلموا أي فيصدقوا به وبمن جاء به. قوله: (من الرسول والكتاب) فاستبعدوه فهو كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم لا مخالفة بينهما حتى يقال الآباء هنا الأوّلون." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٦/٣٣٨>

"جار على الوجهين وقوله: ولذلك أي لقوله لا يمكن الخ وقوله: لأنّ الخ تعليل لقولهم في الجواب وقوله: خالقها إشارة إلى أنّ لام لله للملك بالخلق وهو لا ينافي جهلهم السابق لأنه إلزاميّ فرضيّ كما مرّ وقوله ليس أهون أي الأمر بالعكس لسبق مثله ووجود مادّته. وقوله: أعظم من ذلك أي الأرض ومن فيها فهو ترق. قوله: (بغير لام) أي سيقولون الله وكذا في الآية الآتية وأمّا في الأولى فلم يقرأ بها أحد وقد وهم فيه أبو حيان في عدم الفرق كما قاله الفاضل المحشي والقراءة بترك اللام على الظاهر وباللام على المعنى لأنّ فولك من رب الدار بمعنى لمن هي وقد وردا في كلامهم كما قال الشاعر:

إذا قيل من رلث المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد
وقال الآخر في عكسه:
وقال السائلون لمن حضرتم فقال المخبرون لهم وزير ...
قوله: (فلا تشركوا به بعض مخلوقاته) كالأصنام وهو مترتب على الاتقاء وللترقي في
عظم المخلوقات ترقي في التذييل لأنّ هذا أبلغ في الوعيد مما قبله وقوله: ولا يمنع منه قيل إنه جار على عادة عظماء العرب حيث كانوا لا يجير أحدهم جار أحدهم ولو أجاره لم يفد. وقوله: معنى النصرة أو الاستعلاء. قوله: (ملكه غاية ما يمكن) يعني أنّ صيغة الملكوت للمبالغة في الملك فهي ملك أقصى ما يمكن ملكه أو الملكوت بمعنى الخزينة وقيل هي المالكية والمدبرية وقوله: إن كنتم تعلمون تكرير لاستهانتهم وتجهيلهم لكمال ظهوره وقوله فمن أين تخدعون كون أني بمعنى من أين تقدّم في آل عمران وأشار بقوله: تخدعون إلى أنّ السحر هنا مستعار للخديعة. قوله: (من التوحيد والوعد بالنشور) هو إضراب عن قولهم أساطير الأوّلين فكان الظاهر اقتصار على الثاني لكنه لا حظ فيه معنى ما بعده من التوحيد بنفي الولد أو ما فهم من سياق ما قبله لكون الكلام مع المشركين وهو أولى وقوله حيث أنكروا ذلك وقالوا إنه أساطير الأوّلين وهو تفسير لحاصل المعنى لا أنّ الكذب مجاز عن الإنكار فإنه لا حاجة إليه وقوله: لتقدسه الخ لأنه لو كان له ولدتا تأله ولزم مشاركته في الإلوهية وهو معنى قوله يساهمه أي يقاسمه وفي نسخة يشابهه. قوله: (جواب محاجتهم وجزاء الخ (هذا على مذهب الفراء من أنّ إذن جواب وجزاء دائما لشرط ملفوظ أو مقدر وقد مرّ تحقيقه والمقدر هنا لو كما أشار إليه المصنف رحمه الله بقوله أي لو كان معه آلهة الخ قال الفراء حيث وقعت اللام بعد إذن فقبلها لو مقدرة إن لم تكن ظاهرة والمحاجة على زعمهم والا فلا حجة لهم ولا دليل على زعمهم الفاسد. قوله: (واستبدّ به الخ) أي استقل به تصرّفا وملكاً وهو تفسير لقوله ذهب وقوله: وظهر بينهم التحارب وفي نسخة وتع وهو تفسير لقوله لعلا وقوله: كما هو حال ملوك الدنيا يعني أنه أمر عادي لا إلزامي قطعيّ ولذا قيل إنه دليل إقناعي لا قطعيّ وقوله وقيام البرهان صريح فيه لكن صاحب الكشف قدس سرّه خالف في هذا وقال لاج لي أنه برهان غير قطعي كما في قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وأطال فيه هنا وقد مرّ تحقيقه وقوله فلم يكن الني متفرّع على قوله لظهر بينهم التحارب أو على جميع ما قبله لأنه نتيجته فلا وجه لما قيل إن الظاهر عطفه بالواو على ظهر فإنه يترتب على ما يترتب عليه وقوله: وحده قيل الأولى تركه وهو تأكيد لا ضرر فيه. قوله: (واللازم باطل بالإجماع والاستقراء) المراد بالإجماع إجماع المسلمين ومشركي العرب لأنّ المراد إلزامهم فلا يرد إنه إن أراد إجماع المسلمين لم يفد وان أراد إجماع جميع أهل الملل ورد عليه الثنوية والاستقراء

لأنه لم يوجد ملكان في مملكة إلا وبينهما ذلك وإذا ان هذا الكلام خطابيا إقناعيا لا يرد عليه ما قيل إنّ الإجماع والاستقراء لا يناسب المقام لأنهما ليسا حجة عقلية مع أنهما **غير تامين** والبرهان إنما قام على انتهاء سلسلة الموجودات إلى واجب الوجود بالذات ولا يلزم منه عدم تعدده مع تعدد السلاسل وما ذكره إنما يرد على برهان التمانع والبرهان ليس منحصرا فيه وإليه أشار المصنف رحمه الله البرهان لا ما زعمه المعترض! فإنّ برهان الوحدة مقرّر منوّر في الكلام بطرق متعددة فلا وجه لما ذكره أصلا إلا أنّ العرب لا يدعون لآلهتهم الخلق والدليل المذكور لا يدل على نفيها." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٦/٣٤٣>

"إلى هذا لأنهم مشركون فهم يعبدون الله، والأصنام لقوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٩٨] لا يرد عليه لأنه وجه آخر للاتصال ولذا لم يدع فساده بل عدم الحاجة إليه، وما قيل من أنّ قولهم في

جوابه نعبد أصناما بدون ذكر الله يقتضي قصر عادتهم عليها وما ذكر من الآية ليس محكيا عن قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولو سلم فالمراد بالتسوية مساواة من عبد الله في مطلق العبادة أو تسويتها بالته في استحقاق العبادة، وهو غير مستلزم للعبادة نفسها ليس بشيء لأنّ تخصيص الأصنام بالذكر للردّ عليه، ولأنّ المداومة على عبادتها لا تنافي عبادته أحياناً مع أنّ المصنف رحمه الله قد اعترف بما ذكره القائل في تفسير قوله:. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٢٧] كما سيأتي في سورة الرحمن وما ذكره من تاوبل الآية المذكورة تكلف لم يسبق إليه. قوله: (هداية مدرجة) منصوب على أنه مصدر ليهدي، وقوله دم الطصث أي الحيض هو بناء على ما اشتهم ونقل عن جالينوس، وأنه لذلك يصيبه الجدرى وغيره من الأمراض الدموية لكن الحكيم ابن زهر أنكره وقال إنّ جالينوس أراد بدم الطمث دما في الرحم صالحا لا دم الحيض فإنه دم فاسد لو اغتذى به لاجنين لم تتصوّر حياته، وإنما لم ينصبّ دم الحيض مدة الحمل للرحم لاشتغال الرحم، وهو وان كان مما يقبله العقل فالظاهر أنه لا يعلم حقيقته إلا الله فلا يجزم بشيء منهما إلا إذا اعتضد بدليل سمعيّ. قوله: (والفاء للسببية) في خبر الموصول لتضمنه معنى لشرط، وقوله وللعطف أي على الصلة والصفة إمّا منصوبة أو مرفوعة على القطع، وقوله لأنه يهدي كل مخلوق الخ إشارة إلى أنّ ما ذكر من الحكم ليس خاصا به، وان صوّر في نفسه للتعريض كما مرّ فسقط اعتراض! أبي حيان بأن الفاء إنما تزاد في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط إذا كان عامّا وهذا ليس كذلك مع أنّ اشتراط ذلك فيه غير مسلم كما فصله الرضى، وإنما هو أغلبيّ، ثم إنّ السببية بمقتضى الحكمة فإنّ من أوجده يتكفل بما به

قوامه وبقاؤه، وقيل إنها سبب للأخبار لا للهداية فإنها غير مسببة عن الخلق، وانّ السببية قد تجامع العطف كما في الذي يطير الذباب فيغضب زيد فلا وجه للتخصيص. قوله: (فيكون) أي على العطف فإنّ الأصل فيه تماثلهما، ويجوز أن يكون على التقديرين وتقدم الخلق يقتضي المضيّ والاسنمرار من الاسمية التي خبرها مضارع دال على الاستمرار أيضا، وقوله على الأوّل أي كون الذي مبتدأ خبره هو يهدين وقوله على الوجهين أي الابتدائية والوصفية والحكم ما تضمنه الخبر أو الاستئناف من العداوة. قوله: (عطفه على يطعمني (أو على جملة هو يطعمني، وقوله من روادفهما أي توابعهما ولوازمهما

وهو إشارة إلى وجه التأخير:

فإنّ الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وحكمة تاخير السقي ظاهرة لأنه من توابع الطعام أيضاً ولذا لم يكرر الموصول فيها. قوله: (لم ينسب المرض إليه) أي لم يقل أمرضني مع أنه الممرض حقيقة فأضاف إليه النعم دون النقم تأدّباً، وقوله ولا ينتقض الخ جواب عن سؤال مقدّر لكن قوله فإنّ الموت الخ غير تامّ في دفعه فإنه لا يلزم من عدم إحساس ضرره وألمه أن يكون نعمة، وكونه مع ما بعده جوابا واحداً خلاف الظاهر إذ كان الظاهر الاقتصار عليه كما في بعض شروح الكشاف، وقد اعتذر عنه في الانتصاف بأن الموت لما علم أنه قضاء محتوم من الله لا يخص أحداً، ولا كذلك المرض فكم معافى منه سقط كونه بلاء فساغ في الأدب نسبته إليه تعالى فتأمّل. قوله: (المحالث) هي نعيم الجنة ورضوان الله، ومنه تخليص العاصي أيضاً من اكتساب المعاصي، وقوله ولأنّ المرض معطوف على قوله لأنّ مقصوده الخ، وقوله إنما يحدث الخ فلما كان سببه الظاهر منه، ومن تركيبه نسب إليه وجعل كأنه فاعل حقيقيّ له بخلاف الصحة، ولو طارئة وأمّا ما يحصل بالعلاج والاحتماء فليس بمطرد، والأخلاط أمزجة الإنسان الأربعة، والأركان العناصر، وقوله باستحفاظ اجتماعها أي الإخلاط والأركان، وقوله عليها متعلق بالمخصوص لكنه بمعنى المقصور أو بالاستحفاظ أو بقهراً، وقوله يميتني لم يقل هو يميتني لأنّ الإماتة لا تسند لغير الله في لسان العرب. قوله: (ثم يحيين) أورد ثم لما بينهما من التراخي بخلاف غيره، وذكر يوم الدين لظهور المغفرة فيه وهضم نفسه لعدها خاطئة، وكونهم على حذر لأنّ المعصوم." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١٧/٧>

"المصنف ما يدل عليه. قوله: (وإضافة الشهاب إليه الخ) يعني أنه ليس من إضافة الشيء إلى نفسه بل إضافته بيانية لما بينهما من العموم والخصوص كثوب خز فإنّ الشهاب شعلة النار، والقيس ما يتناول من الشعلة ولذا استعير لطلب العلم والهداية فالقبس قد يكون شهابا كشعلة مأخوذة من أخرى وقد لا يكون

كالحراقة وشهب الجوّ، وقوله لأنه بمعنى المقبوس توجيه للوصفية، وهو إمّا تاويل أو إشارة إلى أنه صفة مشبهة كحسن. قوله: (ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي الخ) يعني لا تدافع بين ما وقع هنا وقوله في طه: ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم﴾ [سورة طه، الآية: ١٠] لأنهما يدلان على الظن والراجي إذا قوي رجاؤه يقول سأفعل كذا، وسيكون كذا مع احتمال خلافه فالترجي يكون بمعنى الخبر وعلى العكس. قوله: (والترديد) يعني كلا الأمرين مطلوب حسن فكان الظاهر الواو لا أو لأنّ كلاً منهما مهمّ له، وقيل إنه يجوز أن يكون احتياجه لأحدهما لا لهما لأنه كان في حال الترحال، وقد ضل عن الطريق فمقصوده أن يجد أحدا يهدي إلى الطريق فيستمرّ في سفره فإن لم يجده توقد النار لدفع ضرر البرد في الإقامة، وقد قيل إنّ ما مرّ في سورة طه من أنه كان في الطور قد ولد له ابن في ليلة شاتية، وظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرّقت ماشيته فرأى النار وقال لأهله ما قال يدلّ على احتياجه لهما معاً فلا يتوجه ما ذكره، ولذا لم يلتفت إليه المصنف رحمه الله لمخالفته المنقول. قوله: (للدلالة على أنه الخ) فهي لمنع الخلوّ تحرّيا للصدق، وقوله لا يجمع الله بين حرمانين كما في المثل لا يضرب الله بسيفين، والصلاء بكسر الصاد والمدّ ويفتح بالقصر كما في القاموس هو الدنوّ من النار لتسخين البدن، وهو الدفء ودفع ألم البرد ويطلق على النار نفسها كما ذكره أهل اللغة، أو هو بالكسر الدفء وبالفتح النار. قوله: (أي بورك) يعني أنّ أن تفسيرية وشرطها موجود وهو تقدم ما فيه معنى القول دون حروفه كالنداء كما أشار إليه المصنف رحمه الله واذا كانت مصدرية يجوز في بورك أن يكون خبرا وانشاء للدعاء ولا يضرّ فوات معنى الطلب إذا أوّل بالمصدر كما توهم لأنه أمر تقديري ولو سلم ففواته كفوات معنى المضيء، والاستقبال وقد مرّ تفصيله. قوله: (والتخفيف وإن اقتضى التعويض الخ) والتعويض عما حذف منها، وقيل إنّ هذا التعليل غير تامّ لأنه لو كان كذلك اطرد، وهو غير مطرد وكذا التعليل بأنه للفرق بينها وبين المصدرية فإنه لو كان كذلك لزم عدم الدخول على الجملة الدعائية، وهي تدخل عليها كالمصدرية كما في الكشف، والعلل النحوية حالها معروف فالأصوب أن يحال على السصاع أو يقال كما في الحجة لأبي عليّ الفارسيّ إنها لما كان لا يليها إلا الأسماء استقبحوا أن يليها الفعل من غير فاصل، وكان الظاهر أتي بدل قوله بلا بحرف نفي فإنه لا يختص بها كما في التسهيل والرضى، ثم إنّ ما ذكره في الجملة غير الاسمية والشرطية وغير الفعلية التي فعلها غير متصرّف كعسى، وليس مع أنه أغلبيّ كقوله:

علموا أن يؤملون فجادوا

والأحكام التي تخالف فيها كعدم وقوعها شرطا وحالاً وخبرا، وما ادّعاه الرضى من أن بورك إذا جعل دعائياً فهي مفسرة لا غير لأنّ المخففة لا يقع بعدها فعل إنشائيّ إجماعاً وكذا المصدرية مخالف

لما ذكره النحاة ودعوى الإجماع ليست بصحيحة، ونائب فاعل نودي أمّا ضمير موسى أو ضمير المصدر وهو النداء أو هو إن بورك كما في الدرّ المصون. قوله: (من في مكان النار) يعني أنه فيه مضاف مقدر في موضعين أي من في مكان النار وحول مكانها، وقوله وكفاتهم أي مقرّهم، وأصل الكفات بكسر الكاف ما يكفت الشيء أي يضمه ويشمله، وقوله في تلك الوادي كما في بعض النسخ أنثه لتأويله بالأرض. قوله: (وقيل المراد (أي بمن في النار وحولها، وهذا يحتمل أن يراد بمن في النار موسى وبمن حولها الملائكة ويؤيده قراءة أبيّ، ومن حولها من الملائكة وعكسه كما قيل في تفسيره أي جعل البركة، والخير فيمن في مكان النار وهم الملائكة ومن حولها أي موسى ولا وهم فيه كما توهم، وتلك القراءة مع شذوذها غير نص فيه. قوله: (وتصدير الخطاب بذلك) أي بقوله أن بورك سواء كان دعاء أو خبرا لأنّ الدعاء من الله بشارة، والأمر العظيم النبوّة وهو على التفسيرين، وقيل إنه على الأوّل لقوله في أرض الشام إذ ليس في الثاني ما يفيد عمومه لأرض الشام، والمراد انتشار بركة جديدة لأنّ أصلها." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٣٣/٧>

"جعل مؤكداً لها كان مؤكداً لنفسه أيضا فاحتمال! تركوه لبعده فلا عبرة بما قيل إنّ الأخبار المؤكدة لا تخرج عن احتمال البطلان فتأمّل، وقوله وليس كلى وعد حقا أي في نفسه بقطع النظر عن قائله كما حقق في قولهم الخبر ما يحتمل المدق، والكذب فلا يرد عليه أنّ وعده تعالى حق بلا مرية. قوله: (فيمنعه الخ (إشارة إلى أنلأ تذييل مقرّر لحقية وعده المخصوص بمن ذكر المومي إلى الوعيد لمن عداهم، وقوله الذي لا يفعل الخ الحصر من فحوى الكلام، وقوله سبق في الرعد وكذا تفسير رواسي وتحقيقه مرّ فيها أيضا، وقوله كراهة أن تميد إشارة إلى أنه مفعول له بتقدير مضاف، وقد مرّت نظائره أيضاً وتميد بمعنى تضطرب. قوله: (استئناف) سقط من بعض النسخ لتقديمه في الرعد يعني جملة ترونها مستأنفة في جواب سؤال تقديره ما الدليل على ذلك فلا محل لها مسوقة لإثبات كونها بلا عمد لأنها لسو كان لها عمد رؤيت، وقد جوّز في الرعد كونها صفة لعمد أيضا فالضمير على هذا للسموات لا للعمد كما في الوصفية، وأفرد ولم يقل فيهن لأنه جمع قلة والرؤيه بصرية لا علمية حتى يلزم حذف أحد مفعوليها كما توهم، وعلى الوصفية يجوز أن يكون المراد أنّ لحا عمدا غير مرئية كما مرّ. قوله: (شوامخ) أي عالية، وقد فسر بثوابت أيضا كما مز، وقوله: فإنّ بساطة أجزائها وفي نسخة تشابه أجزائها، وهو تعليل لميدانها وترك الدليل الظاهر، وهو أنها أجرام عظيمة مرتفعة من شأنها أن لا تستقرّ بدون عمد لا سيما إذا كانت بسقف ممتد كما وردت به النصوص الإلهية، والآثار النبوية لظهوره ولإلزام من يقول ببساطتها وكريتها من الحكماء، وأهل الهيئة بما يدل عليه الحس وقد قام عليه الدليل في محله من

بساطتها فلا وجه لمنعه، فإن قيل الدليل غير تامّ فأمر آخر، وضمير أجزائها للسموات وما بعده للأجزاء والامتناع المذكور لأنّ تشابه الأجزاء يقتضي الاشتراك في اللوازم فالاختصاص ترجيح بلا مرجح فاحتيج إلى مخصص خارج وهو الجبال، وأما كونه لا عليه ولا شرطية بين الممكظ ت عند المحققين لانتفائهما بالذات إلا بأقداره تعالى وجعله فالآيات والآثار مشحونة بخلافط مح أنّ مط ذكص إلش اميّ، وكون اللازم جواز ما ذكر وامكانه لا وقوعه غير مسلم لأن

مقتض التشابه الواقع الوقوع، وأنه بإرادته تعالى لا يقال ننقل الكلام إلى الجبال أيضاً لأنها من جنس الأرض فيلزم التبدل لأن مقتضى التشابه، والبساطة الكرية ومن حقها الميدان كما في الأفلاك والجبال أخرجتها عن الكرية، وتوجهت لثقلها نحو المركز ومنعها عن الحركة كالأوتاد، والبساطة لها معان ثلاثة على ما بين في علم الحكمة والمراد هنا ما لا يتركب من أجسام مختلفة الطبائع فيشمل العناصر والأفلاك والأعضاء المتشابهة كالعظم. قوله تعالى: (﴿وَبَثَّ﴾) أي أوجد وأظهر، وأصل البث الإثارة والتفريق وفي تأخيره إشارة إلى توقفه على إزالة الميدان، وقوله من كل صنف تفسير لزوج، وكثرة المنفعة تفسير لكرمه. قوله: (وكأنه استدل بذلك) أي ما ذكر من قوله خلق السموات بغير عمد إلى هنا، يشير إلى أن هذه الجملة ذكرت بعد قوله هو العزيز الحكيم لإثبات عزته وحكمته وفسر عزة الله بكمال قدرته وحكمته بكمال علمه فهي جلة مستأنفة لما ذكر، وللتمهيد لقاعدة التوحيد أي أصله المذكور بعده، وهذا إشارة لما ذكر أيضاً كما أشار إليه بقوله هذا الذي ذكر الخ، وفاء فأروني جواب شرط مقدر وأروني بمعنى أعلموني وأخبروني، وقوله اكهتكم تفسير لقوله من دونه لأنه بمعنى غيره من الآلهة، وقوله وماذا الخ لأنه قد يركب ويجعل اسماً واحداً استفهاميا فيكون مفعولاً لخلق مقدما لصدارته، وقد تكون ما وحدها اسم استفهام، وذا اسم موصول مبتدأ وخبر وعليها فالجملة معلق عنها سادّة مسداً لمفعول الثاني، وقد يكون ماذا كله اسماً موصولاً فيكون مفعولاً ثانياً لأروني والعائد محذوف في الوجهين، وما ذكره مبني على جريان التعليق في المفعولين الأخيرين، وفيه كلام في الرض انظره إن أردت. قوله: (الذي لا يخفى) هو ونحوه معنى قوله مبن والظاهر الظالمون وضع موضع أنتم، وقوله بإشراكهم إشارة إلى أنّ المراد بالظلم الشرك لقوله إنّ الشرك لظلم عظيم، وقوله من أولاد آزر الخ هو أحد الأقوال فيه، وقيل كان عبداً أسود، وقوله باعوراء بعين مهملة ممدودا ووقع في الكشاف باعور بدون ألف وهو اسم عبراني، وروي أنه خير بين الحكمة والنبوّة فاختار الحكمة على كلام فيه في شرح الكشاف. قوله:." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٧/١٣٣>

"رحمة منه لا إيجابا عليه وهو ردّ على من يقول بالإيجاب. قوله: (خلقه موفرا) أي مكملاً تامّا وهذا بيان لحاصل المعنى لأنّ تقديره أحسن خلقه أي جعله حسنا تامّا كاملاً حسبما تقتضيه حكمته، وكون خلقه بدل اشتمال إذا كان بالمعنى المصدري فالضمير المضاف إليه لكل شيء أمّا إذا كان بمعنى المخلوق فهو بدل كل من كل أو بدل بعض من كل والضمير لله، والذي ارتضاه أبو عليّ في الحجة وهو ما صرّح به في كتاب سيبويه أنه مفعول مطلق لأحسن من

معناه، والضمير لله أيضاً وقد جوّز أيضا كونه مفعولاً ثانياً أو أوّل لأحسن لتضمينه معنى أعطى. قوله: (وقيل علم كيف يخلقه) قال الراغب الإحسان يقال على وجهين أحدهما الأنعام على الغير والثاني الإحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً وعمل عملاً حسنا وعليه قول أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه الناس أبناء ما يحسنون أي ينسبون إلى ما يعلمونه، ويعملونه من الأفعال الحسنة اهـ فحينئذ إذا تضمن معنى العلم فلا مانع من أن يحوي معناه ويعمل عمله كما قرّروه في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ، [سورة هود، الآية: ٧] ولا يضرّ عدم تعدّبه لهما في المثال فقوله يحسن معرفته إشارة إلى وجه تفمنه معنى العلم لا إلى تقدير مضاف، وقوله قيمة المرء ما يحسنه هو من كلام عليّ أيضاً كرم الله وجهه وهو استشهاد على دلالته على العلم كالبيت المنسوب إليه أيضاً وهو:

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

فلا يتوهم أنّ ما استشهد به غير موافق لمدعاه كما قيل، ومعنى المثال زيادة رفعة المرء

وعلوّ قدر. بعلمه لا بحسنه وجسمه فالقيمة مجاز فيه. قوله: (بفتح اللام) على أنه فعل ماض، والجملة واقعة بعد نكرة فهي صفة كل أو شيء والثاني أولى لأنّ المضاف بعد كل هو المقصود بالذات فهي في محل جرّ لا نصب، وهو الظاهر من قوله فالشيء الخ. قوله: (على الأوّل مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل) قصر العامّ على بعض أفراده إمّا بغير مستقل، وهو كلام غير تام تعلق بصدره كلاصفة أو بمستقبل من كلام أو عقل أو غيره كالحس ويسمى الأوّل متصلاً والثاني منفصلاً، وكل منهما تخصيص عند الشافعية لأنه قصر العامّ على بعض أفراده مطلقا وأمّا عندنا فالتخصيص هو الثاني فقط كلاما كان أو غيره فما ذكره المصنف من أنه على الأوّل أي على قراءة خلقه بالمصدرية على وجوه إعرابه مخصوص بمنفصل، وهو دلالة العقل على أنه لم يحسن خلق كل شيء مطلقاً حتى ذاته وصفاته لأنّ المتبادر من الخلق الحدوث الزمانيّ وذاته وصفاته سبحانه وتعالى منزهة عن الاتصاف بالخلق فاحتيج إلى تخصيص شيء بما ذكر، وأمّا الحدوث الذاتيّ فاصطلاح للفلاسفة واه كما بين في الكلام ولو جعلت جملة خلقه مستأنفة كان التخصيص بمنفصل أيضاً على هذه

القراءة لكن لكونه خلاف الظاهر لم يتعرّض له المصنف وكون شيء بمعنى المفعول، وهو مشيء كما مرّ في البقرة بحسب الوضع الأصلي، وقد يلاحظ فيه العموم فيحتاج إلى المخصص مع أنه وجه في المآل آخر للتخصيص فلا اعتراض به على المصنف رحمه الله كما توهم فما ذكره المصنف مبنيّ على أصولهم، وقد يرجع إلى أصولنا أيضاً فأعرفه. قوله: (يعني آم) عليه الصلاة والسلام قد مرّ تحقيقه وفوله
تنسل كتنصر تخرج، وتنفصل والسلالة الخلاصة وأصلها ما يسل ويخلص بالتصفية، وممتهن بمعنى مبذول وأصل التسوية جعل الأجزاء متساوية فلذا فسره بقوله قوّمه الخ وثم للترتيب الرتت أو الذكريّ لأنها قبل النسل* قوله: (إضافة إلى نفسه تشريفاً) إذ لم يقل روحا بل روحه تشريفاً له مع أنّ كل روح له، ومنه قيل بيت إدلّه وناقة الله تعظيما للمضاف وضمير له للإنسان أو للروح بتأويله بمخلوق، وقوله له مناسة ما إلى الحضرة الربوبية ظاهر في هذا أي انتساب إليها ولذا عداه بإلى وحضرة مصدر بمعنى حضور، والمراد المقام والمحضر وأقحم تأدّبا على ما عرف في الاستعمال ووجه المناسبة اتصالها بالعالم العلوفي، وتجرّدها عن التجسم وتصرّفها، وتوله من عرف نفسه الخ ليس بحديث بل هو من كلام أبي بكر الرازي كما ذكره الحفاظ، وبعض الجهلة يظنه حديثا كما وقع في بعض كتب الموضوعات، وقيل ليس معناه ما ذكر بل معناه من عرف نفسه، وتأمّل حقيقتها عرف أنّ له صانعاً موجدا له وإليه أشار تعالى بقوله ة ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٢١] (قلت) ما ذكره المصنف رحمه الله سبقه إليه غيره وهو مناسب لكلام الحكماء." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١٤٨/٧>

"رحم الله الخ وأصاب إذ لم يجعله حديثاً فانّ الحديث كما في الصحيحين وغيرهما إنه صلى الله عليه وسلم قال: " رحم الله المحلقين قالوا
والمقصرين يا رسول الله قال والمقصربن " وهو عطف تلقين بالواو ولا شاهد فيه فاعتراض الطيبي رحمه الله لا يرد عليه لكنه وارد على المصنف. قوله: (على ما هو المألوف الخ) من تثيد ما يهتم به بتقديم القسم ونحوه، وهو دفع لما مرّ من أنه كلام مع منكر مكذب فلا فائدة في القسم، ثم أشار إلى أنّ عدم فائدة القسم إنما تكون إذا لم يذكر برهانه وما يحققه، وهو قد ذكر بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الخ وأما ما قيل من أنّ الصانع ووحدته قد تثبت بالدليل النقلي بعد ثبوت ذلك بالعقل ففائدة القسم ظاهرة هنا **فغير تام** هنا لأنّ الكلام مع من لا يعترف بالتوحيد. قوله: (فإنّ وجودها الخ) قد مرّ من المصنف مثله في سورة البقرة ويرد عليه أنه مبني على وجوب الأصلح كقوله في الإحياء ليس في الإمكان أبدع مما كان، وقد شنع عليه كثيرون فيه بأنه مخالف للمذهب الحق من أنّ قدرته تعالى لا تتناهى، وأنه قادر على أن يوجد عالما آخر أحسن وأكمل

من هذا العالم وقد صنف فيه عدة رسائل، والجواب عنه ما قاله الآمدي في كتابه غاية المرام في علم الكلام إنّ ما علم الله سبحانه وتعالى إنه لا يكون منه ما هو ممتنع لذاته كالجمع بين النقيضين ومنه ما هو ممتنع متعلق علم الله بعدم وجود مع إمكانه في ذاته والقدرة من حيث هي قدرة تتعلق به، ولا معنى لكونه مقدوراً غير هذا فيطلق عليه مقدور وممكن بهذا الاعتبار فإن أطلق عليه أنه غير مقدوراً وممكن لأمر خارج وهو مخالفة علمه تعالى فلا محذور فيه، ولذا قيل:

وليس في ليس في الإمكان ما فهموا وإنما هو في التحقيق تخييل

وفي كلام المصنف إشارة إليه . قوله: (مع إمكان غيره) قد عرفت أنه لا بدّ من هذا ليوافق المذهب الحق فما قيل إنه لا حاجة إليه إذ يكفي إمكان نفسه إنما الحاجة إليه في إثبات صفة الإرادة غفلة مع أنه ردّ بأنه لا بد منه في إثبات التوحيد فإنّ هذا الوجه ا! مل إذا كان واجباً لا ينتهض ما ذكره المتكلمون في برهان التمانع لإثباته دليلا عليه إذ يقال المانع من تعلق قدرة الآخر، وارادته بغير هذا الوجه هو عدم إمكانه. قوله: (دليل على وجود الصانع) ذكره توطئة لقوله وحدته إذ التوحد مستلزم للوجود فلا وجه لما قيل من أته لا وجه لذكره إذ ليس الكلام فيه لقوله لواحد. قوله: (ورث بدل من واحد) فهو المقصود إلى أنه هو الرب الذي لا يشاركه غيره، واذا كان خبر محذوف فهو مرفوع على المدح. قوله:) فيدل على أنها من خلقه (ردّ على المعتزلة في خلق أفعال العباد قيل ووجها لدلالة خفي إذ لا يلزم من التربية الخلق وهو غير موجه لأنّ الرب كما يكون بمعنى المربي والسيد والمالك يكون بمعنى الخالق، واضافته للسموات تعينه وهو المراد فتأمّل. قوله: (مشارق الكواكب) هو المناسب لقوله إنا زينا الخ وقوله وهي ثلثمائة وستون هو بتنزيل الأكثر منزلة الكل وعدم اعتبار الكسور إذ السنة الشمسية تزيد على ذلك بنحو ستة، وقوله ولذلك اكتفى الخ هو جار على تفسيره بالكواكب أيضاً وفي قوله زينا إشارة إليه فلا يتوهم أنّ الاكتفاء يحصل بالعكس، وهو الاقتصار على المغارب كما أشار إليه بقوله مع أنّ الشروق الخ، وما قيل عليه إنه حينئذ تتمة لما قبله لأنه لا يتم بدونه لا وجه مستقل وأسلوب التحرير يأباه وقوله وبحسبها الدال على أصالتها يكفي وجها لعدم العكس فالوجه إنه جواب آخر مستقل كما فعله الإمام لأنّ الشروق لدلالته على أتم قدرة وأبلغ نعمة ينبغي الاكتفاء به غير متجه لأنّ مجرّد هذه الدلالة بدون الاستلزام غير كافية فجعل المجموع، وجا واحداً أتم والإباء المذكور ممنوع، قال الإمام: ولهذه الدقيقة استدل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالشروق حيث قال فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فتأمّل. قوله: (وما قيل الخ) فيكون على النصف من الأوّل فإنّ مشارقها من رأس السرطان إلى رأس الجدي متحدة معها من رأس الجدي إلى رأس السرطان بعد الاعتدالين فإن اعتبر ما كانت عليه وما عادت إليه واحداً كانت

مائة وثمانين، وان نظر إلى تغايرهما كانت ثلثمائة وستين فأوقاتها من أوّل الصيف إلى أوّل الشتاء، ثم من أوّل الشتاء إلى أوّل الصيف فلك أن تنظر إلى الاتحاد والتغاير." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٢٥٨/٧>

"صفة لا إلى السابقة وقد جعلها صفة على تقدير أن يكون المشار إليه الجنة المذكورة في قوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٩] كما مرّ في البقرة وهو على تسليمه قد يدفع بأن المذكورة شامل لما ذكر قبله بعده، وقوله: وعليه أي على كونه جزاء، وهذا في غاية الظهور غني عن البيان والباء للمقابلة أو السببية كما مرّ.

قوله: (بعضها تثلون (فمن تبعيضية ويجوز كونها ابتدائية، وأشار بقوله: لكثرتها إلى ترجيح التبعيض بدلالته على كثرة النعم وأنها غير مقطوعة ولا ممنوعة، وقوله: لما كان أقي في الدنيا فهو تسلية لهم، وأما كون أكثر المخاطبين عوام نظرهم مقصور على الأكل والشرب كما قيل: فغير تام وقصر أكلهم على الفاكهة إشارة إلى أنهم لا يلحقهم الجوع وإنما يأكلون تفكها فتقديم منها إما للحصر الإضافي أو للفاصلة. قوله: الأنه جعل قسيم المؤمنيق (بآياتنا السابق في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ فلا يدل على خلود العصاة كما ذهب إليه المعتزلة والخوارج ولا يضر خروجهم لأن المراد بالذين آمنوا المتقون لقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٦٨] فإنه مختص بهم ولا ضير فيه كما توهم، والقول بأن الذين آمنوا شامل لهم لأنّ العلة إيمانهم وإسلامهم لا يخفى ما فيه، وقوله: الكاملين لانصراف المطلق له بيان لوجه التخصيصر، ويجوز أن يكون تعريفه للعهد وما يخص بالكفار ما بعده.

قوله:) خبر أنّ (أي الظرف خبر وخالدون فاعله لاعتماده أو خالدون هو الخبر والجار متعلق به، وقوله: والتركيب أي مادّته بأقي صيغة كانت تدل على لضعف مطلقا ففترة الحمى ضعف في ألمها وكذا العذاب، وفتور القوى وغيره وفترة الرسل الزمان الخالي منهم، وفيه ضعف الشرائع والإيمان، وفسر الإبلاس باليأس وأصله السكوت وانقطاع الحجة وهو قريب من هذا وقوله: وهم فصل أي ضمير فصل لا مبتدأ فيفيد التخصيص.

قوله: (ولعله (أي الترخيم على لغة الانتظار وغيرها كما نبينه لأنهم قد يضعفون عن إتمامه كما يشاهد في بعضى المكروبين لا لقصد التصرف في الكلام وهو إشارة إلى الجواب عن قول ابن مسعود رضي الله عنه، وقد حكيت له هذه القراءة فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم، وقوله: اختصروا أي بطلب الموت واضمار قولهم: سل ربك وقل ليقض الخ كما أشار إليه بقوله: والمعنى الخ وقوله: ربك لحثه لا للإنكار. قوله: (وهو لا ينافي إبلاسهم الخ (قد أورد عليه أنه جواب سؤال مقدر كما في الكشاف لكنه إنما أورده لأنه اعتبر في معنى الإبلاس

السكوت لليأس والدهشة فلذا ورد عليه أنّ قولهم لمالك ما ذكر ينافيه فدفعه بقوله: إن أوقات العذاب متطاولة فيأسهم يخرسهم في بعضها، وذهولهم في بعض أوقات الشدة يحملهم على الاستغاثة:

وكذا الغريق بكل حبل يعلق

وأمّا المصنف كغيره فلم يعتبره فلا يرد عليه السؤال حتى يحتاج للجواب فهو تبرع على

من لا يقبل اللهمّ إلا أن يريد بيأسه من الخلاص من العذاب، ولو بالموت فإن الحال التي يتمنى فيها الموت شر من الموت لكن مثله لا يسمى خلاصا، ونجاة إلا مع القرينة والقرينة هنا قوله: بعد هذا بموت ولا بغيره فإنه صريح فيه، وما قيل غليه من أن قوله ونادوا الخ معطوف بالواو وهي لا تقتضي ترتيبا فلا يرد السؤال رأساً وكذا ما قيل إنه أراد باليأس اليأس مع السكوت لتصريحه به في سورة الروم وإنما تعرّض له ثمة ولم يتعرض له هنا إشارة إلى أنه مجرّد عن قيده هنا، وما في الكشاف لا يناسب دوام الجملة الاسمية والسؤال إنما يرد في بادئ الرأي فأحب إزالة قذي الشبه عن ناظره ظاهر السقوط مع التدبر إذ جملة، وهم فيه مبلسون حالية لا تنفك عن الخلود وما ذكر في محل آخر لا يفيد هنا وهكذا يعرف باقيه. قوله:) فإنه

جؤار) بضم الجيم، وبعده همزة كالصراخ لفظا ومعنى والصياح في الشدة لا ينافي اليأس منها، وكذا التمني فإنه يجري؟ في المحالات فقوله: من فرط الشدة راجع لهما، وقول مالك في جوابهم إنكم ماكثون لا ينافيه فإن الملك لا يلزمه العلم بخفي أحوالهم مع أنه قد يقوله صلى الله عليه وسلم لهم وتقنيطاً مع أنه مبني على أنه جواب وشيأتي ما فيه.! قوله: (جماالإزسالى الخ (الظاهر أنه تفسير لقوله: بالحق فيكورن بدلاً منه فلا يلزم تعلق حرفي جرّ بخمعنى بمتعلق واحد حتى يقال الباء الأولى للتعدية والثانية للسببية. قوله:) وهو) أي قوله: لقد جئناكم الخ بناء على احتمال كؤن فاعل قال ضمير الله: المستتر أو ضمير ما لك فعلى الأوّل كله حمقو! ل الله في جوابهنم، وكتمته بهذا فإنه الجواب في الحقيقة وعلى الثاني يكون هذا ابتداء كلام من ألله فهو جواب تولاه بنفسه يعد ما صدر." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٧/٤٥٠>

"الأصوليون في الأمر الوارد بعد المنع، فقيل: للإباحة استدلالاً بما هنا فإنه لم يذهب أحد من أصحاب المذاهب المشهورة إلى أنه للإيجاب، وهذا عائد بالنقض في دليله ومدلوله، أمّا في دليله فلأن الأصل بقاء الأمر على أصله من الإيجاب أو الندب، وهذا مثال جزئيّ لم يحمل عليه، لأنّ الاتفاق على خلافه قرينة مانعة عن إرادته، ولأنّ المعاملات حق شرع للعبد رفقا به، فلو أوجب أو طلب كان مشقة لا رفقا به، وأشار المصنف رحمه الله إلى دفعه بالحديث أيضا، فإنه دل على أن المأمور به أمر أخروي لا دنيوي، فهو باق على الندبية،

ولا دليل فيه لهم على الإباحة وتفصيله في الأصول. قوله: (واذكروه في مجامع أحوالكم) أي في كل مكان لكم جامع لأحوالكم، وعدم الاختصاص مفهوم من عدم تقييده بحال، ومكان وزمان، والأمر للندب، وقوله: فمرّت عليه عير بكسر العين أي إبل محملة بأنواع المأكولات المجلوبة كالبر، وقوله: إلا اثني عشر رجلا من الصحابة رضي الله عنهم، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاج وسعيد بن زيد وبلال وعبد القه بن مسعود، وفي رواية عمار بن ياسر بدل ابن مسعود، وعد في مسلم منهم جابراً. قوله:) وأفراد التجارة برد الكناية الخ) يعني كان مقتضى الظاهر إليهما لسبق شيئين، أو إليه بعود الضمير على

ما ذكر، وعوده على الرؤية المفهومة من رأوا خلاف الظاهر المتبادر، والكناية هنا بمعنى الضمير اصطلاح النحاة والمشهور هو اصطلاح أهل المعاني، وقوله: لأنها المقصودة، يحني فاكتفى بالأهمّ كما قرّرناه، وفيه نظر لأنه بعد العطف بأو لا يثنى الضمير، ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لأنها لأحد الشيئين حتى تأوّلوا إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما، كما مز وتفصيله في إعراب السمين، فالظاهر أن يقال: وحد الضمير لا! العطف بأو واختير ضمير التجارة دون اللهو، لأنها الأهم المقصود وقد يقال: إنه المراد فتدبر، وقوله: فإنّ المراد الخ بيان لأنه الأهمّ. قوله: (والترديد الخ) يعني العطف بأو للدلالة على ما ذكرنا، إذ لو عطف بالواو اقتضى أن الانفضاض لهما معا، وحينئذ فعدم ذكره لعدم الاعتداد به، ولا تغليب فيه كما توهم، وقوله: أو للدلالة عطف على قوله للدلالة قبله، لا على قوله لأنها المقصودة، كما قيل لأنه يتراءى في بادئ النظر إنه علة لتخصيصه بإرجاع الضمير إليه، وهو ظاهر، لكن وجه ما قلناه، وهو المتبادر من السياق أنه سوّى بينهما وذثم الانفضاض إلى التجارة دونه اعتماداً على شذة الظهور فيه، وأنه يعلم بالطريق الأولى فتأمّل. قوله:) وقيل تقديره الخ (ووجه تمريضه ما مرّ من أنه بعد العطف بأو لا يحتاج إلى الضمير لكل منهما، بل يكفي الرجوع لأحدهما، فهو تقدير من غير حاجة. قوله: (بخلاف ما يتوهمونه من نفعهما (إشارة إلى أن التفضيل عليهما، واثبات الخبرية لهما بناء على زعمهم وتوهمهم وإلا فخيرية اللهو متوهمة لا حقيقة لها، وخيرية التجارة غير باقية، كما في سائر أمور الدنيا وتقديم اللهو ليس من تقديم العدم على الملكة، كما توهم بل لأنه أقوى مذمة فناسب تقديمه في مقام الذمّ، وقوله: وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم الخ حديث موضوع، وخص الأمصار لأنها إنما تلزم فيها على ما عرف في الفقه، تمت السورة والصلاة والسلام على المنزلة عليه وعلى آله وصحبه الكرام.

سورة المنافقون

مدنيتها وعدد آياتها لم يختلف فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (الشهادة إخبار عن علم) هو تفسير له اتكالاً على فهم السامع، لا تعريف حتى يقال: إنه تعريف غير تامّ، والتعريف التامّ هو أنها أخبار بحق للغير على آخر عن يقين، وأمّا هذا فمنقوض بالدعوى والإقرار، وغيره من الأخبار عما يشاهد، وكونها بالمعنى اللغوي لا يقابل ما ذكر، أو التعريف بالأعم جائز عند الفقهاء واللغويين مما لا حاجة إليه، وقوله: من الشهود أي مشتقة أو ماخوذة منه، وقوله: ولذلك أي لكون معنى الشهادة ما ذكر. قوله: (صدّق المشهود به الخ) المعلل في الحقيقة تكذيبهم في إخبارهم عن."

<حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ١٩٦/٨>

"إنّ لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لويجدن سائقا

والشاهد فيه ورود مستوسقات بمعنى متسقات أي مجتمعات وقلائص جمع قلوص،

وهي الناقة الفتية وحقائق جمع حقاق جمع حقة، وهي الناقة الداخلة في الرابعة ولو للتمني أو بمعناها المعروف. قوله: (أو طرده الخ (معطوف على قوله ة جمعه على أنّ الوسق بمعنى الطرد وهو بمعنى المخلوقات أيضا لأنها تذهب إلى مقرّها في الليل فكأنه يطردها له، والوسيقة بمعنى المطرودة لأنها الإبل المسروقة وهي تساق وتطرد، وقوله: وتم بدراً تفسير لقوله: اجتمع فإنه المراد به كما يقال حال متسقة بمعنى تامّة. قوله: (حالاً بعد حال) هو تفسير لحاصل المعنى المراد منه فهو شامل للوجهين في عن فإنه قيل إنها للمجاوزة وقيل: بمعنى بعد والبعدية والمجاوزة متقاربان لكنه ظاهر في الثاني، وقوله: وهو أي طبق معناه ما طابق غيره مطلقاً في الأصل، ثم إنه خص في العرف بما ذكره وهو الحال المطابقة أو بمراتب الشدة

المتعاقبة فعلى الأوّل المراد حال توافقكم بحسب أعمالكم، وعلى الثاني المراتب ما ذكر من الموت وما معه، وقوله: أو هي أي المراد هنا المذّكورات كلها ودواهي الدنيا السابقة عليها، وقوله: على أنه أي طبق جمع طبقة كتخم وتخمة أو هو اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمرة، وأهل اللغة يسمونه جمعا وإن فرق النحاة بينهما كما هو معروف في النحو، وقوله: أو مراتب معطوف على قوله: حا لاً وقوله: وهي راجع للمراتب، والموت مرتبة أو جعله مراتب لأنه جامع لأمور كثيرة تعد مراتب، وقوله: وأهوالها التي في مواطنها فليس تفسيراً للمواطن كما توهم. قوله: (باعتبار اللفظ) فإنه مفرد وإن أريد به الجنس الذي هو جمع معنى فقد روعي في القراءتين جانب اللفظ، والمعنى أو الخطاب الإفرادي في هذه القراءة للنبيّ صلى الله عليه وسلم وعليه يزاد عليها شريفة بعد أخرى من مراتب القرب أو هو تبشير بالمعراج فهو جمع طبقة، ويجوز أن يراد مراتب من الشدّة في الدنيا باعتبار ما يقاسيه من الكفرة ويعانيه في تبليغ الرسالة. قوله: (وبالكسر) أي قرئ

بكسر الباء الموحدة على تأنيث الإنسان المخاطب باعتبار النفس، وقوله: على الغيبة يعني في قراءة الياء التفات من خطاب الإنسان إلى الغيبة وقوله: وعن طبق الخ أي هو إمّا صفة أي طبقاً مجاوز الطبق أو كائنا بعد طبق أو حال من الضمير في قوله: لتركبن، ولذا فسره بقوله: مجاوزاً على قراءة الإفراد ومجاوزين على قراءة الجمع ولو زاد أو مجاوزة على قراءة كسر الباء كان أتمّ لكنه أحاله إلى القياس فلا غبار عليه كما توهم، وقيل: الأوّل على الوصفية والثاني على الحالية فاقتصر على أحد الوجوه فيها وهو وجيه، وأمّا نصب طبقاً فعلى التشبيه بالظرف أو الحالية والذي في الكشاف إنه مفعول به على جعل الحال مركوبة مجازاً. قوله تعالى: (﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) قال الإمام: هو استفهام إنكاريّ ومثله يذكر بعد ظهور الحجة وهو هنا كذلك لأنّ ما أقسم به من التغيرات العلوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة فيبعد ممن له عقلى عدم الإيمان به، والانقياد له كما فصله وأطال فيه فلينظر. قوله: (لا يخضعون (فالسجود تجوّز به عن الخضوع اللازم له أو المراد به ظاهره فالمراد بما قبله قرئ القرآن المخصوص، أو وفيه آية سجدة وقوله: لما روي الخ دليل للتفسير الثاني إلا أنّ العراقي وابن حجر قالا إنّ هذا الحديث لم يثبت فقوله: واحتج به إن أراد
بالحديث كان الاحتجاج غير تام لأنّ الحديث لم يثبت ولو ثبت لم يدلّ على الوجوب، وإن أراد بما وقغ في هذه الآية أو بالآية وتذكير الضمير لأنها قرآن ففيه أيضا بحث كما قيل إلا أن الإنكار يدل في الجملة عليه، ولذا قال الشافعي رحمه الله الإنكار لطعنهم في السجود، وقول أبي هريرة ما سجدت الخ للردّ على ابن عباس فإنه ذهب إلى أنّ المفصل ليس فيه سجدة تلاوة والمفصل فيه أقوال ثلاثة فقيل: هو من القتال وقيل من الفتح، وقيل: من الحجرات قال في الكشف وهو الأصح. قوله: (بما يضمرون الخ) على التشبيه بالوعاء فهو استعارة وعلى هذا فهو في حق المنافقين ويبعده كون السورة مكية، ولذا قيل: المراد بما يضمرونه حقية الدين وإن أخفوه عنادا ولا بعد فيه كما قيل وليس في النظم ما يأباه فتدبر. قوله: (استهزاء بهم (حيث جعل العذاب مبشراً به، وقد مز تحقيقه في البقرة وقوله: أو متصل الخ على أنّ المراد بمن آمن من أسلم من هؤلاء الكفرة فآمنوا باعتبار ما مضى أو بمعنى." <حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي؟ الشهاب الخفاجي ٨/٣٤٠>

"عليه السلام والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسير للمستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف اى بئس خلافة خلفتمونى خلافتكم مِنْ بَعْدِي اى بعد ذهابى لميقات ربى او بعد ما رأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بإسكانها أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ

يعنى تركتموه غير تام ولما تضمن عجل معنى سبق عدى تعديته او المعنى أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد الأنبياء واصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وَأَلْقَى الْأَلْواحَ التي جاء بها فيها التورية القاها على الأرض من شدة الغضب لربه اخرج ابن ابى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اعطى موسى التوراة فى سبعة الواح من زبرجد فيها تبيان كل شيء وموعظة فلما جاء بها ورأى بنى إسرائيل عكوفا على عبادة العجل رمى بالتورية من يده فتخطت يعنى تكسرت فرفع الله تعالى منها ستة اسباع وبقي سبع قال البغوي فرفع ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه الموعظة والاحكام والحلال والحرام عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى اخبر موسى بما صنع قومه فى العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا القى الألواح فانكسرت رواه احمد والطبراني فى الأوسط والحاكم بسند صحيح وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ هارون اى بشعر راسه قال البغوي بذوائبه ولحيته يَجُرُّهُ إِلَيْهِ توهما بانه قصر فى كفهم وهارون كان اكبر من موسى عليهما السلام بثلث سنين وأحب الى بنى إسرائيل من موسى لانه كان لين الغضب قالَ هارون ابْنَ أُمَّ ذكر الام لرفقه وكان من اب وأم قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بكسر الميم وأصله يا ابن أمي حذف حرف النداء ثم حذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى ياء المتكلم والباقون بفتحها زيادة فى التخفيف لطوله وتشبيها بخمسة عشر إِنَّ الْقَوْمَ يعنى عبدة العجل اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا وهموا وقاربوا ان يَقْتُلُونَنِي يعنى بذلت سعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفوني وقاربوا ان يقتلوننى فلا تتوهم التقصير فى كفهم منى فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ اى لا تفعل بي ما يفرحوا به والشماتة الفرح ببلية العدو كذا فى القاموس وَلا تَجْعَلْنِي فى موجدتك عليّ والانتقام مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يعنى عبدة العجل.

قالَ موسى رَبِّ اغْفِرْ لِي ما صنعت بأخي وَلِأَخِي ان فرط فى كفهم والظاهر ان المقصود الاستغفار لاخيه ضم اليه نفسه ترضية له ودفعا للشماتة." <التفسير المظهري؟ المظهري، محمد ثناء الله ٤١٢/٣>

"ولكن ايتوا عيسى فيقول انى عبدت من دون الله ولكن ايتوا محمّدا فيأتون فانطلق معهم فاخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فأقول محمّد فيفتح لى ويقولون مرحبا فاخرّ ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد والمجد فيقال ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل تسمع فذلك هو المقام المحمود- قال القرطبي رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم فيفزع الناس ثلاث فزعات انما ذلك والله اعلم حين يؤتى بالنار تجربا زمّتها فاذا رات الخلائق تمحلت وسبقت- واخرج ابن خزيمة والطبراني بسند صحيح عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس- قال فذكر الحديث قال فيلقون النبي صلى الله عليه

وسلم فيقولون اشفع لنا فيقول انا صاحبكم فيخرج حتّى ينتهى الى باب الجنة فيأخذ بحلقة فى الباب فيقرع الباب فيقال من هذا فيقول محمّد فيفتح له حتّى يقوم بين يدى الله فيسجد فنادى ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فذلك المقام المحمود- أورده **غير تام** وأخرجه ابن ابى حاتم فى السنّة وابن ابى شيبة بتمامه فذكر الحديث بطوله وفى آخره فيشفع فى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من حنطة من ايمان او مثقال شعيرة من ايمان او مثقال حبة من خردلة من ايمان فذاك المقام المحمود- واخرج الطبراني عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيامة فاكون وأمتي على تل يوم القيامة فيكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فاثنى عليه بما هو اهله فذلك المقام المحمود-

فائدة

ورد فى الشفاعة العظمى فى فصل القضاء والاراحة فى طول الموقف مطولا من حديث ابى بكر الصديق رواه البزار وابو يعلى وابو عوانة وابن حبان فى صحيحهما وحديث ابى هريرة رواه الشيخان وغيرهما وحديث ابن عباس رواه احمد وأبو يعلى وحديث حذيفة وابى هريرة رواه مسلم والحاكم وحديث عقبة ابن عامر رواه الطبراني وابن المبارك وابن جرير وغيرهم وقد مر ذلك فى سورة ابراهيم فى تفسير قوله تعالى وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ قال القرطبي هذه الشفاعة." <التفسير المظهري؟ المظهري، محمد ثناء الله ٥/٤٧٤>

"عَرْشٌ عَظِيمٌ أَيْ: سَرِيرٌ عَظِيمٌ، وَوَصَفَهُ بِالْعِظَمِ لِأَنَّهُ كَمَا قِيلَ كَانَ مِنْ ذَهَبٍ، طُولُهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَارْتِفَاعُهُ فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ، وَالزَّبَرْجَدِ الْأَخْضَرِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْعَرْشِ هُنَا الْمُلْكُ، وَالْأَوَّلُ: أَوْلَى لِقَوْلِهِ: أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَاللَّازِمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهَا امْرَأَةٌ مَلِكَةٌ عَلَى مَدَائِنِ الْيَمَنِ، ذَاتُ مُلْكٍ عَظِيمٍ وَسَرِيرٍ عَظِيمٍ، وَكَانَتْ كَافِرَةً مِنْ قَوْمٍ كُفَّارٍ وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: يَعْبُدُونَهَا مُتَجَاوِزِينَ عِبَادَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، قِيلَ: كَانُوا مَجُوسًا، وَقِيلَ:
زَنَادِقَةً وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا، وَهِيَ عِبَادَةُ الشَّمْسِ وَسَائِرُ أَعْمَالِ الْكُفْرِ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ أَيْ: صَدَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِسَبَبِ ذَلِكَ التَّزْيِينِ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدُهُ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى ذَلِكَ أَلَّا يَسْجُدُوا قَرَأَ الْجُمْهُورُ بِتَشْدِيدِ «أَلَّا» . قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:

الْوَقْفُ عَلَى فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ **غَيْرُ تَامٍّ** عِنْدَ مَنْ شَدَّدَ أَلَّا، لأنَّ الْمَعْنَى: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَلَّا يَسْجُدُوا. قَالَ النَّحَّاسُ: هِيَ أَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا لَا، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ. قَالَ الْأَخْفَشُ: أَيْ زَيَّنَ لَهُمْ أَنْ لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ بِمَعْنَى لِئَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: هِيَ فِي موضع نصب يصدّهم، أَيْ: فَصَدَّهُمْ أَلَا يَسْجُدُوا بِمَعْنَى لِئَلَّا يَسْجُدُوا، فَهُوَ عَلَى الْوَجْهَيْنِ مَفْعُولٌ لَهُ. وَقَالَ الْيَزِيدِيُّ: إِنَّهُ بَدَلٌ مِنْ أَعْمَالَهُمْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ السَّبِيلِ. وَقِيلَ: الْعَامِلُ فِيهَا: لَا يَهْتَدُونَ، أَيْ: فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَنْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ، وَتَكُونُ (لَا) عَلَى هَذَا زَائِدَةً كَقَوْلِهِ: ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ وعلى قراءة الجمهور ليس هَذِهِ الْآيَةُ مَوْضِعَ سَجْدَةٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِخْبَارٌ عَنْهُمْ بِتَرْكِ السُّجُودِ: إِمَّا بِالتَّزْيِينِ أَوْ بِالصَّدِّ أَوْ بِمَنْعِ الِاهْتِدَاءِ، وَقَدْ رَجَّحَ كَوْنَهُ عِلَّةً لِلصَّدِّ الزَّجَّاجُ، وَرَجَّحَ الْفَرَّاءُ كَوْنَهُ عِلَّةً لِزَيَّنَ، قَالَ: زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا، ثُمَّ حُذِفَتِ اللَّامُ. وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ وَالْكِسَائِيُّ بِتَخْفِيفِ «أَلَّا» . قَالَ الْكِسَائِيُّ: مَا كُنْتُ أَسْمَعُ الْأَشْيَاخَ يَقْرَءُونَهَا إِلَّا بِالتَّخْفِيفِ عَلَى نِيَّةِ الْأَمْرِ، فَتَكُونُ «أَلَا» عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ حَرْفَ تَنْبِيهٍ وَاسْتِفْتَاحٍ وَمَا بعدها حرف نداء، واسجدوا فِعْلَ أَمْرٍ، وَكَانَ حَقُّ الْخَطِّ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا «أَلَا يَا اسْجُدُوا» ، وَلَكِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْقَطُوا الْأَلِفَ من يا وهمزة الوصل من اسجدوا وَوَصَلُوا الْيَاءَ بِسِينِ اسْجُدُوا، فَصَارَتْ صُورَةُ الْخَطِّ أَلَا يَسْجُدُوا، وَالْمُنَادَى مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُهُ: أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا، وَقَدْ حَذَفَتِ الْعَرَبُ الْمُنَادَى كَثِيرًا فِي كَلَامِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَلَا يَا اسلمي يا داريّ عَلَى الْبِلَى ... وَلَا زَالَ مُنْهَلًّا بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

أَلَا يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلِمِي ثُمَّتَ اسْلِمِي ... ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلَّمِ

وقول الآخر أيضا:

أر يَا اسْلِمِي يَا هِنْدُ هِنْدُ بَنِي بَكْرٍ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَقِرَاءَةُ التَّخْفِيفِ تَقْتَضِي وُجُوبَ السُّجُودِ دُونَ قِرَاءَةِ التَّشْدِيدِ." <فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٤/١٥٤>

"الدستور العثماني

النهضة الوطنية والاصلاحات فِي الدولة الْعلية

توفّي السُّلْطَان سُلَيْمَان القانوني سنة ١٥٦٦ م والدولة الْعلية فِي ابان مجدها واوج عظمتها وَكَانَت ممالكها تحد شرقا بالحدود الْهِنْدِيَّة وغربا بالمحيط الاطلانطي وَكَانَت اوروبا ترهب سطوته وتخشى قوته

فخلفه من بعده مُلُوك لم يتعقبوا خطواته وَلم ينهجوا منهجه لَا سِيمَا وَقد تألبت عَلَيْهَا الدول الاوروبية وَاخْتلفت عَلَيْهَا الْفِتَن الداخلية فَبَدَأت فِي الانحطاط وانسلخت مِنْهَا اجزاء كَثِيرَة وَكَانَت احيانا تنحط إِلَى ان تولى الْخلَافَة السُّلْطَان سليم الثَّالِث سنة ١٧٨٩ والبلاد فِي اختلال والاحكام فِي ضعف والانكشارية قابضون على زِمَام الامور يولون من شاؤوا من السلاطين ويخلعون من شاؤوا وَيقْتلُونَ من لم يسر وفَاق اهوائهم واغراضهم والبلاد فِي فوضى كَادَت تمزق شملها فهاجه حب الاصلاح وَصرح بميله إِلَى تنظيم الْجند على النمط الحَدِيث وتسليحهم بالاسلحة الحديثة الاختراع فَلم يُوَافق ذَلِك الانكشارية فبطشوا بِهِ فَمَاتَ والاصلاح فِي مهده على ان الفكرة رسخت فِي اذهان العثمانيين فتلقاها السُّلْطَان مَحْمُود وَعمد إِلَى الاصلاح من الوجهة الادارية والعسكرية فبدد جند الانكشارية واحل محلهم جَيْشًا منظما واخذ يبْعَث بمنشورات الاصلاح إِلَى الْوُلَاة والحكام وَلكنه توفّي وَلم يتمم من فروع الاصلاح الا تنظيم الْجند تنظيما **غير تَامّ**

وَكَانَت فكرة الاصلاح قد سرت بَين فِئَة من رجال الدولة فاقاموا يبثونها على عهد السُّلْطَان عبد الْمجِيد وَالسُّلْطَان عبد الْعَزِيز واعظمهم شَأْنًا واعلاهم يدا مصطفى." <تاريخ الدولة العلية العثمانية؟ محمد فريد بك ص/٧٠١>

"وَهُوَ إِعْطَاءُ الشَّيْءِ تَامًّا كَامِلًا، يُقَالُ وَفَّاهُ حَقَّهُ فَتَوَفَّاهُ مِنْهُ وَاسْتَوْفَاهُ، وَمِنْهُ (وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ٢٤: ٣٩) وَيُقَالُ تَوَفَّاهُ وَاسْتَوْفَاهُ بِمَعْنَى أَحْصَى عَدَدَهُ، نَطَقَتِ الْعَرَبُ بِالْمَعْنَيَيْنِ، وَأُطْلِقَ التَّوَفِّي عَلَى الْمَوْتِ؛ لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ تُقْبَضُ وَتُؤْخَذُ أَخْذًا تَامًّا حَتَّى لَا يَبْقَى لَهَا تَصَرُّفٌ فِي الْأَبْدَانِ، وَأُطْلِقَ عَلَى النَّوْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي آيَةِ الزُّمَرِ الَّتِي نَذْكُرُهَا قَرِيبًا، فَقَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّهُ إِطْلَاقٌ مَجَازِيٌّ مَبْنِيٌّ عَلَى تَشْبِيهِ النَّوْمِ بِالْمَوْتِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُشَارَكَةِ فِي زَوَالِ إِحْسَاسِ الْحَوَاسِّ وَالتَّمْيِيزِ، وَإِنَّمَا جَعَلُوهُ اسْتِعَارَةً عَنِ النَّوْمِ بِنَاءً عَلَى جَعْلِهِ حَقِيقَةً فِي الْمَوْتِ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْعُرْفِ الْعَامِّ لَا فِي أَصْلِ اللُّغَةِ؛ يَقُولُونَ تُوُفِّيَ فُلَانٌ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ - بِمَعْنَى مَاتَ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ بِمَعْنَى أَمَاتَهُ، وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلَتِ التَّوَفِّي فِي الْمَوْتِ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْتِعْمَالٌ إِسْلَامِيٌّ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَوْتِ، يَحْصُلُ

بِقَبْضِ الْأَنْفُسِ الَّتِي تَحْيَا بِهَا النَّاسُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: (اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

٣٩: ٤٢) فَهَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي كَوْنِ التَّوَفِّي أَعَمَّ مِنَ الْمَوْتِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مُرَادِفًا لَهُ، فَقَدْ صَرَّحَتْ بِأَنَّ الْأَنْفُسَ الَّتِي تُتَوَفَّى فِي مَنَامِهَا غَيْرُ مَيِّتَةٍ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ) مَعْنَاهُ يَتَوَفَّى أَنْفُسَكُمْ فِي حَالَةِ نَوْمِكُمْ بِاللَّيْلِ، وَمِثْلُهُ النَّوْمُ فِي النَّهَارِ، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ اللَّيْلِ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ فِي الْفِطْرَةِ وَالْغَالِبَ فِي الْعَادَةِ أَنْ يَكُونَ النَّوْمُ فِيهِ، فَلَا يُعْتَدُّ بِمَا يَقَعُ مِنْهُ فِي النَّهَارِ. أُطْلِقَ التَّوَفِّي فِي الْمَنَامِ عَلَى إِزَالَةِ الْإِحْسَاسِ وَالْمَنْعِ مِنْ تَصَرُّفِ الْأَنْفُسِ فِي الْأَبْدَانِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنَّ بَعْضَ فَلَاسِفَةِ الْغَرْبِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَرَى أَنَّ لِلْإِنْسَانِ نَفْسَيْنِ، تُفَارِقُهُ إِحْدَاهُمَا عِنْدَ النَّوْمِ، وَتُفَارِقُهُ كِلْتَاهُمَا بِالْمَوْتِ، فَإِذَا صَحَّ هَذَا يَكُونُ التَّوَفِّي حَقِيقَةً فِي الْمَنَامِ وَفِي الْمَوْتِ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ يَحْصُلُ بِقَبْضٍ غَيْرِ تَامٍّ لِأَحَدِ النَّفْسَيْنِ، وَالثَّانِي بِقَبْضٍ تَامٍّ لِكِلْتَيْهِمَا، وَهُوَ يُوَافِقُ ظَاهِرَ آيَةِ الزُّمَرِ.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ) الْجَرْحُ: يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ بِالْجَوَارِحِ وَهِيَ الْأَعْضَاءُ الْعَامِلَةُ، وَبِمَعْنَى التَّأْثِيرِ الدَّامِي مِنَ السِّلَاحِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ كَالْبَرَاثِنِ وَالْأَظْفَارِ وَالْأَنْيَابِ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ. قِيلَ: إِنَّ هَذَا الْأَخِيرَ هُوَ الْحَقِيقَةُ وَالْأَوَّلُ مَجَازٌ، وَإِنَّ عَوَامِلَ الْإِنْسَانِ مَا سُمِّيَتْ جَوَارِحَ إِلَّا تَشْبِيهًا لَهَا بِجَوَارِحِ السِّبَاعِ، وَإِنَّ هَذِهِ مَا سُمِّيَتْ جَوَارِحَ إِلَّا لِأَنَّهَا تَجْرَحُ مَا تَصِيدُهُ وَمَا تَفْتَرِسُهُ، وَظَاهِرُ عِبَارَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ أَنَّ الْجَرْحَ حَقِيقَةٌ فِي الْكَسْبِ، وَأَنَّ جَوَارِحَ الصَّيْدِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَسْبِهَا لِنَفْسِهَا أَوْ لِمُعَلِّمِهَا الَّذِي يَصِيدُ بِهَا، وَأَنَّ الْخَيْلَ وَالْأَنْعَامَ الْمُنْتِجَةَ تُسَمَّى جَوَارِحُ أَيْضًا؛ لِأَنَّ نِتَاجَهَا كَسْبُهَا، فَالْجَرْحُ كَالْكَسْبِ، يُطْلَقُ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْهُ. نَقَلَ ذَلِكَ اللِّسَانُ عَنِ الْأَزْهَرِيِّ. وَظَاهِرُ كَلَامِ الزَّمَخْشَرِيِّ أَنَّهُ فِعْلُ الشَّرِّ، وَبِذَلِكَ فَسَّرَ الْآيَةَ فِي الْكَشَّافِ كَمَا سَيَأْتِي، وَقَدِ اسْتُعْمِلَ الِاجْتِرَاحُ بِمَعْنَى فِعْلِ الشَّرِّ خَاصَّةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ." >تفسير المنار؟ محمد رشيد رضا ٧/٣٩٩<

"الْقَوْمِ أَوْ كَأَحَدِ أَصْنَامِ الْمِصْرِيِّينَ فَعَبَدَهُ بَعْضُكُمْ، وَلَمْ يَرْدَعْكُمْ عَنْ ذَلِكَ سَائِرُكُمْ - فَالتَّوْبِيخُ عَامٌّ، وَفِيهِ تَعَرُّضٌ خَاصٌّ بِهَارُونَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِيهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ.

أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ؟ قَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: وَعَجِلَهُ سَبَقَهُ، وَأَعْجَلَهُ اسْتَعْجَلَهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ أَيِ: اسْتَبَقْتُمْ، قَالَ الْفَرَّاءُ: تَقُولُ عَجِلْتُ الشَّيْءَ أَيْ: سَبَقْتُهُ وَأَعْجَلْتُهُ اسْتَحْثَثْتُهُ اهـ. وَقَالَ فِي الْكَشَّافِ: يُقَالُ عَجِلَ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا تَرَكَهُ غَيْرَ تَامٍّ، وَنَقِيضُهُ تَمَّ عَلَيْهِ، وَأَعْجَلَهُ عَنْهُ غَيْرُهُ، وَيُضَمَّنُ مَعْنَى سَبَقَ فَيُعَدَّى تَعْدِيَتَهُ، فَيُقَالُ: عَجِلْتُ الْأَمْرَ، وَالْمَعْنَى أَعَجِلْتُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ؛ وَهُوَ انْتِظَارُ مُوسَى حَافِظِينَ لِعَهْدِهِ، وَمَا وَصَّاكُمْ بِهِ، فَبَنَيْتُمُ الْأَمْرَ عَلَى أَنَّ الْمِيعَادَ قَدْ بَلَغَ آخِرَهُ، وَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ فَحَدَّثْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِمَوْتِي فَغَيَّرْتُمْ كَمَا غَيَّرَتِ الْأُمَمُ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ. وَرُوِيَ أَنَّ السَّامِرِيَّ قَالَ لَهُمْ حِينَ أَخْرَجَ لَهُمُ الْعِجْلَ وَقَالَ: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى

(٢٠: ٨٨) : إِنَّ مُوسَى لَنْ يَرْجِعَ، وَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ اهـ، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَوْلُهُ: أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ أَيِ: اسْتَعْجَلْتُمْ مَجِيئِي إِلَيْكُمْ، وَهُوَ مُقَدَّرٌ مِنَ اللهِ - تَعَالَى - اهـ، وَقَدْ نَقَلَ الْآلُوسِيُّ كَلَامَ الْكَشَّافِ مِنْ غَيْرِ عَزْوٍ كَعَادَةِ أَكْثَرِ الْمُؤَلِّفِينَ بَعْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ قَالَ: وَذَهَبَ يَعْقُوبُ إِلَى أَنَّ السَّبْقَ مَعْنًى حَقِيقِيٌّ لَهُ مِنْ غَيْرِ تَضْمِينٍ، وَالْأَمْرُ وَاحِدُ الْأَوَامِرِ، وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّ الْمَعْنَى: أَعَجِلْتُمْ وَعْدَ رَبِّكُمُ الَّذِي وَعَدَكُمْ مِنَ الْأَرْبَعِينَ؟ فَالْأَمْرُ عَلَيْهِ: وَاحِدُ الْأُمُورِ اهـ، وَالْمُرَادُ بِالْأَرْبَعِينَ: مَا بَيَّنَهُ مِنْ أَنَّهَا اللَّيَالِي الَّتِي وَعَدَ مُوسَى رَبَّهُ كَمَا تَقَدَّمَ.
ثُمَّ قَالَ: وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ أَيْ: وَطَرَحَ الْأَلْوَاحَ مِنْ يَدَيْهِ؛ لِيَأْخُذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ مِمَّا كَانَ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَسَفِهِ لِمَا فَعَلَ قَوْمُهُ
مِنَ الشِّرْكِ بِهِ، وَلِمَا ظَنَّ مِنْ تَقْصِيرِ أَخِيهِ، وَأَخَذَ بِشَعْرِ رَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ بِذُؤَابَتِهِ، إِذْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ فِي اجْتِهَادِ مُوسَى أَنْ يَرْدَعَهُمْ وَيَكُفَّهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ إِنْ قَدَرَ كَمَا فَعَلَ هُوَ بِتَحْرِيقِهِ، وَإِلْقَائِهِ فِي الْيَمِّ - وَأَنْ يَتَّبِعَهُ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ كَمَا حَكَى اللهُ - تَعَالَى - عَنْهُ فِي سُورَةِ طه قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٢٠: ٩٢ و٩٣) وَالِاجْتِهَادُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْمُجْتَهِدِينَ، فَالْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الْغَضَبِ لِلْحَقِّ بِالْحَقِّ كَمُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَشْعُرُ بِمَا لَا يَشْعُرُ بِهِ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحِلْمُ وَلِينُ الْعَرِيكَةِ كَهَارُونَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ بَحَثَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي إِلْقَاءِ الْأَلْوَاحِ، وَمَا رُوِيَ عَنْ تَكَسُّرِ بَعْضِهَا هَلْ يَتَضَمَّنُ تَقْصِيرًا فِي تَعْظِيمِ كَلَامِ اللهِ؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الرَّسُولِ الْمَعْصُومِ وَلَوْ فِي حَالِ الْغَضَبِ الشَّدِيدِ؟ بَلْ تَوَهَّمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ فِي نَفْسِهِ إِهَانَةً لِلْأَلْوَاحِ فَوَجَبَ بَيَانُ الْمَخْرَجِ مِنْهُ، وَالْمُخْتَارُ عِنْدَنَا فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذِهِ الْأَوْهَامِ: أَنَّ إِلْقَاءَ الْأَلْوَاحِ لَا يَقْتَضِي إِهَانَةً لَهَا، كَمَا أَنَّ إِلْقَاءَ الْعَصَا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى السَّحَرَةِ لَا يَتَضَمَّنُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَالْإِلْقَاءُ فِي نَفْسِهِ." <تفسير المنار؟ محمد رشيد رضا ١٧٩/٩>

"﴿٣٦-٣٩﴾ ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ .
هذا تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة، وذكر الأعمال الموصلة إليها فقال: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من ملك

ورياسة، وأموال وبنين، وصحة وعافية بدنية. ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لذة منغصة منقطعة. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب الجزيل، والأجر الجليل، والنعيم المقيم ﴿خَيْرٌ﴾ من لذات الدنيا، خيرية لا نسبة بينهما ﴿وَأَبْقَى﴾ -[٧٦٠]- لأنه نعيم لا منغص فيه ولا كدر، ولا انتقال.

ثم ذكر لمن هذا الثواب فقال: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان الصحيح، المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة والباطنة، وبين التوكل الذي هو الآلة لكل عمل، فكل عمل لا يصحبه التوكل **فغير تام**، وهو الاعتماد بالقلب على الله في جلب ما يحبه العبد، ودفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ والفرق بين الكبائر والفواحش -مع أن جميعهما كبائر- أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع إفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه.

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح.

فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: انقادوا لطاعته، ولبَّوْا دعوته، وصار قصدهم رضوانه، وغايتهم الفوز بقربه. ومن الاستجابة لله، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص، الدال على شرفه وفضله فقال: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ أي: ظاهرها وباطنها، فرضها ونفلها. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ من النفقات الواجبة، كالزكاة والنفقة على الأقارب ونحوهم، والمستحبة، كالصدقات على عموم الخلق.

﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الديني والدنيوي ﴿شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعا عن اجتماعهم وتوالفهم وتواددهم وتحاببهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمرا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموما، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه

الآية.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ أي: وصل إليهم من أعدائهم ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ لقوتهم وعزتهم، ولم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار.

فوصفهم بالإيمان، وعلى الله، واجتناب الكبائر والفواحش الذي تكفر به الصغائر، والانقياد التام، والاستجابة لربهم، وإقامة الصلاة، والإنفاق في وجوه الإحسان، والمشاورة في أمورهم، والقوة والانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، ويلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، وانتفاء ضدها.." <تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن؟ عبد الرحمن السعدي ص/٧٥٩>

"ذَلِكَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ، وَهُوَ دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

فُرُوعٌ تَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ: اعْلَمْ أَنَّ الظَّاهِرَ اشْتِرَاطُ التَّصْرِيحِ بِمُوجِبِ الْحَدِّ الَّذِي هُوَ الزِّنَى تَصْرِيحًا يَنْفِي كُلَّ احْتِمَالٍ ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يُطْلِقُ اسْمَ الزِّنَى عَلَى مَا لَيْسَ مُوجِبًا لِلْحَدِّ.

وَيَدُلُّ لِهَذَا قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمَاعِزٍ لَمَّا قَالَ: إِنَّهُ زَنَى، «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ» ؟ قَالَ: لَا، قَالَ «: أَفَنِكْتَهَا» ؟ - لَا يُكَنِّي -، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ، وَهَذَا ثَابِتٌ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَيُؤْخَذُ مِنْهُ التَّعْرِيضُ لِلزَّانِي بِأَنْ يَسْتُرَ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَسْتَغْفِرَ اللَّهَ فَإِنَّهُ غَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا.

الْفَرْعُ الثَّانِي: اعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا تَمَّتْ شَهَادَةُ الشُّهُودِ الْأَرْبَعَةِ بِالزِّنَى فَصَدَّقَهُمُ الزَّانِي الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ، بِأَنْ أَقَرَّ أَنَّهُ زَنَى مَرَّةً وَاحِدَةً فَصَارَتِ الشَّهَادَةُ تَامَّةً، وَالْإِقْرَارُ غَيْرَ تَامٍّ عِنْدَ مَنْ يَشْتَرِطُ أَرْبَعًا.

فَأَظْهَرُ قَوْلَيْ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدِي: أَنَّ الْحَدَّ يُقَامُ عَلَيْهِ لِكَمَالِ الْبَيِّنَةِ خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ ؛ لِأَنَّ شَرْطَ صِحَّةِ الْبَيِّنَةِ الْإِنْكَارُ، وَهَذَا غَيْرُ مُنْكِرٍ.

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي «الْمُغْنِي» : إِنَّ سُقُوطَ الْحَدِّ بِإِقْرَارِهِ مَرَّةً قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ اهـ، وَكَذَلِكَ لَوْ تَمَّتْ عَلَيْهِ شَهَادَةُ الْبَيِّنَةِ وَأَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ إِقْرَارِهِ، فَلَا يَنْفَعُهُ الرُّجُوعُ لِوُجُوبِ الْحَدِّ عَلَيْهِ بِشَهَادَةِ الْبَيِّنَةِ، فَلَا حَاجَةَ لِإِقْرَارِهِ وَلَا فَائِدَةَ فِي رُجُوعِهِ عَنْهُ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: اعْلَمْ أَنْ أَظْهَرَ قَوْلَيْ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدِي: أَنَّهُ إِذَا أَقَرَّ بِزِنًى قَدِيمٍ قَبْلَ إِقْرَارِهِ، وَلَا يَبْطُلُ الْإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لَمْ يُقِرَّ إِلَّا بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ اعْتِبَارُ الْإِقْرَارِ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ تَقَادَمَ عَهْدُهُ، أَوْ لَمْ يَتَقَادَمْ، وَكَذَلِكَ شَهَادَةُ الْبَيِّنَةِ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ، وَلَوْ لَمْ تُشْهَدْ إِلَّا بَعْدَ طُولِ الزَّمَنِ ؛ لِأَنَّ عُمُومَ النُّصُوصِ يَقْتَضِي ذَلِكَ، لِأَنَّهَا لَيْسَ فِيهَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ تَعْجِيلِ الشَّهَادَةِ وَتَأْخِيرِهَا، خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ وَمَنْ وَافَقَهُ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْإِقْرَارَ يُقْبَلُ بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ وَالشَّهَادَةُ لَا تُقْبَلُ مَعَ التَّأْخِيرِ.

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي «الْمُغْنِي» : وَإِنْ شَهِدُوا بِزِنًى قَدِيمٍ أَوْ أَقَرَّ بِهِ وَجَبَ الْحَدُّ، وَبِهَذَا." <أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٣٨٧>

"وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الرِّيحُ تُصْرَفُ حَالًا فَحَالَا

فَالْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ: الِاسْتِسْلَامُ وَالِانْقِيَادُ، وَإِذَا حُمِلَ الْإِسْلَامُ فِي قَوْلِهِ: وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا انْقَدْنَا وَاسْتَسْلَمْنَا بِالْأَلْسِنَةِ وَالْجَوَارِحِ. فَلَا إِشْكَالَ فِي الْآيَةِ.

وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَالْأَعْرَابُ الْمَذْكُورُونَ مُنَافِقُونَ، لِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ فِي الظَّاهِرِ، وَهُمْ كُفَّارٌ فِي الْبَاطِنِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِنَفْيِ الْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ: لَمْ تُؤْمِنُوا نَفْيُ كَمَالِ الْإِيمَانِ، لَا نَفْيُهُ مِنْ أَصْلِهِ.

وَعَلَيْهِ فَلَا إِشْكَالَ أَيْضًا، لِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ مَعَ أَنَّ إِيمَانَهُمْ غَيْرُ تَامٍّ، وَهَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

وَإِنَّمَا اسْتَظْهَرْنَا الْوَجْهَ الْأَوَّلَ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِسْلَامِ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيُّ دُونَ الشَّرْعِيِّ، وَأَنَّ الْأَعْرَابَ الْمَذْكُورِينَ كُفَّارٌ فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ أَسْلَمُوا فِي الظَّاهِرِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ – جَلَّ وَعَلَا: وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ [٤٩ \ ١٤] ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةً كَمَا تَرَى، لِأَنَّ قَوْلَهُ: يَدْخُلِ فِعْلٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ وَهُوَ مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ كَمَا أَوْضَحْنَاهُ مِرَارًا، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِ صَاحِبِ مَرَاقِي السُّعُودِ:

وَنَحْوُ لَا شَرِبْتُ أَوْ إِنْ شَرِبَا ... وَاتَّفَقُوا إِنْ مَصْدَرٌ قَدْ جَلَبَا

فَقَوْلُهُ: وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ: فِي مَعْنَى لَا دُخُولَ لِلْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ.

وَالَّذِينَ قَالُوا بِالثَّانِي. قَالُوا: إِنَّ الْمُرَادَ بِنَفْيِ دُخُولِهِ نَفْيُ كَمَالِهِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ كَمَا تَرَى.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: قَالَتِ الْأَعْرَابُ: الْمُرَادُ بِهِ بَعْضُ الْأَعْرَابِ، وَقَدِ اسْتَظْهَرْنَا أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ لِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَى ذَلِكَ، وَهُمْ مِنْ جِنْسِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ [٩ \ ٩٨] ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ الْمُرَادَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ بَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ

آخَرَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:." <أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ٧/٤٢٠>

"وَلِهَذَا قَدَّمَ الظَّرْفَ وَهُوَ فِي قُلُوبِهِمْ لِلِاهْتِمَامِ لِأَنَّ الْقُلُوبَ هِيَ مَحَلُّ الْفِكْرَةِ فِي الْخِدَاعِ فَلَمَّا كَانَ الْمَسْئُولُ عَنْهُ هُوَ مُتَعَلِّقُهَا وَأَثَرُهَا كَانَ هُوَ الْمُهْتَمَّ بِهِ فِي الْجَوَابِ. وَتَنْوِينُ مَرَضٌ لِلتَّعْظِيمِ. وَأَطْلَقَ الْقُلُوبَ هُنَا عَلَى مَحَلِّ التَّفْكِيرِ كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ [الْبَقَرَة: ٧] .

وَالْمَرَضُ حَقِيقَةٌ فِي عَارِضٍ لِلْمِزَاجِ يُخْرِجُهُ عَنِ الِاعْتِدَالِ الْخَاصِّ بِنَوْعِ ذَلِكَ الْجِسْمِ خُرُوجًا غَيْرَ تَامٍّ وَبِمِقْدَارِ الْخُرُوجِ يَشْتَدُّ الْأَلَمُ فَإِنْ تَمَّ الْخُرُوجُ فَهُوَ الْمَوْتُ، وَهُوَ مَجَازٌ فِي الْأَعْرَاضِ النَّفْسَانِيَّةِ الْعَارِضَةِ لِلْأَخْلَاقِ الْبَشَرِيَّةِ عُرُوضًا يُخْرِجُهَا عَنْ كَمَالِهَا، وَإِطْلَاقُ

الْمَرَضِ عَلَى هَذَا شَائِعٌ مَشْهُورٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَتَدْبِيرُ الْمِزَاجِ لِإِزَالَةِ هَذَا الْعَارِضِ وَالرُّجُوعِ بِهِ إِلَى اعْتِدَالِهِ هُوَ الطِّبُّ الْحَقِيقِيُّ وَمَجَازِيٌّ كَذَلِكَ قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ الْمُلَقَّبُ بِالْفَحْلِ:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

فَذَكَرَ الْأَدْوَاءَ وَالطِّبَّ لِفَسَادِ الْأَخْلَاقِ وَإِصْلَاحِهَا.

وَالْمُرَادُ بِالْمَرَضِ فِي هَاتِهِ الْآيَةِ هُوَ مَعْنَاهُ الْمَجَازِيُّ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي اتَّصَفَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ مَذَمَّتِهِمْ وَبَيَانِ مَنْشَأِ مُسَاوِي أَعْمَالِهِمْ.

وَمَعْنَى فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً أَنَّ تِلْكَ الْأَخْلَاقَ الذميمة النَّاشِئَةَ عَنِ النِّفَاقِ وَالْمُلَازِمَةِ لَهُ كَانَتْ تَتَزَايَدُ فِيهِمْ بِتَزَايُدِ الْأَيَّامِ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْأَخْلَاقِ إِذَا تَمَكَّنَتْ أَنْ تَتَزَايَدَ بِتَزَايُدِ الْأَيَّامِ حَتَّى تَصِيرَ مَلَكَاتٍ كَمَا قَالَ الْمَعْلُوطُ الْقُرَيْعِيُّ:

وَرَجِّ الْفَتَى لِلْخَيْرِ مَا إِنْ رَأَيْتَهُ ... عَلَى السِّنِّ خَيْرًا لَا يَزَالُ يَزِيدُ

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الشَّرِّ وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ لَمْ يَتَحَلَّمْ فِي الصِّغَرِ لَا يَتَحَلَّمْ فِي الْكِبَرِ، وَقَالَ النَّابِغَةُ يَهْجُو عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ:

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَاهَى ... إِذَا مَا شِبْتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ

وَإِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ مُوجِبًا لِازْدِيَادِ مَا يُقَارِنُهُ مِنْ سَيِّءِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّ النِّفَاقَ يَسْتُرُ الْأَخْلَاقَ الذَّمِيمَةَ فَتَكُونُ مَحْجُوبَةً عَنِ النَّاصِحِينَ وَالْمُرَبِّينَ وَالْمُرْشِدِينَ وَبِذَلِكَ تَتَأَصَّلُ وَتَتَوَالَدُ إِلَى غَيْرِ حَدٍّ فَالنِّفَاقُ فِي كَتْمِهِ مَسَاوِئَ الْأَخْلَاقِ بِمَنْزِلَةِ كَتْمِ الْمَرِيضِ دَاءَهُ عَنِ الطَّبِيبِ، وَإِلَيْكَ بَيَانُ مَا يَنْشَأُ عَنِ النِّفَاقِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْأَخْلَاقِيَّةِ فِي الْجَدْوَلِ الْمَذْكُورِ هُنَا وَأَشَرْنَا إِلَى مَا يُشِيرُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ مِنْهَا فِي الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ هُنَا أَوْ فِي آيَاتٍ أُخْرَى فِي هَذَا الْجَدْوَلِ:." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ١/٢٧٩>

"[سُورَة إِبْرَاهِيم (١٤) : الْآيَات ١١ إِلَى ١٢]
قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَما لَنا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)
قَوْلُ الرُّسُلِ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ جَوَابٌ بِطَرِيقِ الْقَوْلِ بِالْمُوجَبِ فِي عِلْمِ آدَابِ الْبَحْثِ، وَهُوَ تَسْلِيمُ الدَّلِيلِ مَعَ بَقَاء النزاع بِبَيَانِ مَحَلِّ الِاسْتِدْلَالِ غَيْرُ تَامٍّ الْإِنْتَاجِ، وَفِيهِ إِطْمَاعٌ فِي الْمُوَافَقَةِ. ثُمَّ كَرَّ عَلَى اسْتِدْلَالِهِمُ الْمَقْصُودُ بِالْإِبْطَالِ بِتَبْيِينِ خَطَئِهِمْ.
وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ [سُورَة الْمُنَافِقُونَ: ٨] .
وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْقَوَادِحِ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ شَدِيدُ الْوَقْعِ عَلَى الْمُنَاظِرِ، فَلَيْسَ قَوْلُ الرُّسُلِ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ تَقْرِيرًا لِلدَّلِيلِ وَلَكِنَّهُ تَمْهِيدٌ لِبَيَانِ غَلَطِ الْمُسْتَدِلِّ فِي الِاسْتِنْتَاجِ مِنْ دَلِيلِهِ. وَمَحَلُّ الْبَيَانِ هُوَ الِاسْتِدْرَاكُ فِي قَوْلِهِ: وَلكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ [سُورَة إِبْرَاهِيم: ١١] . وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُمَاثَلَةَ فِي الْبَشَرِيَّةِ لَا تَقْتَضِي الْمُمَاثَلَةَ فِي زَائِدٍ عَلَيْهَا فَالْبَشَرُ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِنِعَمٍ لَمْ يُعْطِهَا غَيْرَهُمْ.
فَالِاسْتِدْرَاكُ رَفْعٌ لِمَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ كَوْنِ الْمُمَاثَلَةِ فِي الْبَشَرِيَّةِ مُقْتَضَى الِاسْتِوَاءِ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ.
وَأَوْرَدَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَرَفَةَ فِي «التَّفْسِيرِ» وَجْهًا لِلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ إِذْ زِيدَ فِيهَا كَلِمَةُ لَهُمْ فِي قَوْلِهِ: قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ [سُورَة إِبْرَاهِيم: ١٠] وَبَيْنَ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا إِذْ قَالَ فِيهَا قالَتْ رُسُلُهُمْ بِوَجْهَيْنِ:." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ١٣/٢٠١>

"وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لَا تُرْجَعُونَ فَهُمْ قَدْ حَسِبُوا ذَلِكَ حَقِيقَةً بِلَا تَنْزِيلٍ وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْإِنْكَارِ.
وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: تُرْجَعُونَ بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الْجِيمِ، أَيْ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِعُهُمْ قَهْرًا. وَقَرَأَهُ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِ الْجِيمِ، أَيْ يَرْجِعُونَ طَوْعًا أَو كرها.
[١١٦]

[سُورَة الْمُؤْمِنُونَ (٢٣) : آيَة ١١٦]
فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)
تَفَرَّعَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ مِنْ دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ ظُهُورُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي لَيْسَ فِي اتِّصَافِهِ

بِالْمُلْكِ شَائِبَةٌ مِنْ مَعْنَى الْمُلْكِ. فَمُلْكُهُ الْمُلْكُ الْكَامِلُ فِي حَقِيقَتِهِ. الشَّامِلُ فِي نَفَاذِهِ.
وَالتَّعْرِيفُ فِي الْمَلِكُ لِلْجِنْسِ.
وَالْحَقُّ: مَا قَابَلَ الْبَاطِلَ، وَمَفْهُومُ الصِّفَةِ يَقْتَضِي أَنَّ مُلْكَ غَيْرِهِ بَاطِلٌ، أَيْ فِيهِ شَائِبَةُ الْبَاطِلِ لَا مِنْ جِهَةِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ لِأَنَّهُ قَدْ يُوجَدُ مُلْكٌ لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا ظُلْمٌ كَمُلْكِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ، بَلْ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ مُلْكٌ غَيْرُ مُسْتَكْمِلٍ حَقِيقَةَ الْمَالِكِيَّةِ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْمُلْكُ عَدَا اللَّهِ تَعَالَى هُوَ مَالِكٌ مِنْ جِهَةٍ وَمَمْلُوكٌ مِنْ جِهَةٍ لِمَا فِيهِ مِنْ نَقْصٍ وَاحْتِيَاجٍ فَهُوَ مَمْلُوكٌ لِمَا يَتَطَلَّبُهُ مِنْ تَسْدِيدِ نَقْصِهِ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ وَمِنَ اسْتِعَانَةٍ بِالْغَيْرِ لِجَبْرِ احْتِيَاجِهِ فَذَلِكَ مُلْكٌ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ ادِّعَاءُ مُلْكٍ غَيْرِ تَامٍّ.
وَجُمْلَة: فَتعالَى يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ خَبَرًا قُصِدَ مِنْهُ التَّذْكِيرُ وَالِاسْتِنْتَاجُ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الدَّلَائِلِ الْمُبَيِّنَةِ لِمَعْنَى تَعَالِيهِ وَأَنْ تَكُونَ إِنْشَاءُ ثَنَاءٍ عَلَيْهِ بِالْعُلُوِّ.
وَالتَّعَالِي: مُبَالَغَةٌ فِي الْعُلُوِّ. وَأُتْبِعَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهِ وَهُوَ انْفِرَادُهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَذَلِكَ وَصْفٌ ذَاتِيٌّ، وَبِأَنَّهُ مَالِكُ أَعْظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ أَعْنِي الْعَرْشَ وَذَلِكَ دَلِيلُ عَظَمَةِ الْقُدْرَةِ.." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ١٨/١٣٥>
"وَتَقَدَّمَ مَعْنَى الرَّحْمَةِ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ.
وَتَقْدِيمُ (رَءُوفٍ) لِيَقَعَ لَفْظُ رَحِيمٍ فَاصِلَةً فَيَكُونُ أَنْسَبَ بِفَوَاصِلِ هَذِهِ السُّورَةِ لِانْبِنَاءِ فَوَاصِلِهَا عَلَى حَرْفٍ صَحِيحٍ مَمْدُودٍ يَعْقُبُهُ حَرْفٌ صَحِيحٌ سَاكِنٌ وَوَصْفُ رَءُوفٍ مُعْتَمِدٌ سَاكِنُهُ عَلَى الْهَمْزِ وَالْهَمْزُ شَبِيهٌ بِحُرُوفِ الْعِلَّةِ فَالنُّطْقُ بِهِ غَيْرُ تَامِّ التَّمَكُّنِ عَلَى اللِّسَانِ وَحَرْفُ الْفَاءِ لِكَوْنِهِ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ الشَّفَةِ السُّفْلَى وَأَطْرَافِ الثَّنَايَا أَشْبَهَ حَرْفَ اللِّينِ فَلَا يَتَمَكَّنُ عَلَيْهِ سُكُونُ الْوَقْفِ.
وَتَقْدِيمُ بِالنَّاسِ عَلَى متعلّقه وَهُوَ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى عِنَايَتِهِ بِهِمْ إِيقَاظًا لَهُمْ لِيَشْكُرُوهُ مَعَ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ.
وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ (لَرَءُوفٌ) بواو سَاكِنة بعد الْهمزَة وَقَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ وَخَلَفٌ بِدُونِ وَاوٍ مَعَ ضَمِّ الْهَمْزَةِ بِوَزْنِ عَضُدٍ وَهُوَ لُغَةٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ.
[١٤٤]

[سُورَة الْبَقَرَة (٢) : آيَة ١٤٤]
قَدْ نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ

فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ وَإِفْضَاءٌ لِشَرْعِ اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ وَنَسْخِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَهَذَا هُوَ
الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُفْتَتَحُ بِقَوْلِهِ: سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها [الْبَقَرَة: ١٤٢] بَعْدَ أَنْ مَهَّدَ اللَّهُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَفَانِينِ التَّهْيِئَةِ وَإِعْدَادِ النَّاسِ إِلَى تَرَقُّبِهِ ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ: وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ثُمَّ قَوْلِهِ: وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ [الْبَقَرَة:
١٢٠] ثُمَّ قَوْلِهِ: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ [الْبَقَرَة: ١٢٥] ثُمَّ قَوْلِهِ: سَيَقُولُ السُّفَهاءُ.

وَ (قَدْ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِلتَّحْقِيقِ أَلَا تَرَى أَهْلَ الْمَعَانِي نَظَّرُوا هَلْ فِي الِاسْتِفْهَامِ بِقَدْ فِي الْخَبَرِ فَقَالُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِنَّ هَلْ لِطَلَبِ التَّصْدِيقِ فَحَرْفُ قَدْ يُفِيدُ تَحْقِيقَ الْفِعْلِ فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ بِمَنْزِلَةِ إِنَّ مَعَ الْأَسْمَاءِ وَلِذَلِكَ قَالَ الْخَلِيلُ إِنَّهَا جَوَابٌ لِقَوْمٍ يَنْتَظِرُونَ الْخَبَرَ وَلَوْ أَخْبَرُوهُمْ لَا يَنْتَظِرُونَهُ لَمْ يَقُلْ قَدْ فَعَلَ كَذَا اهـ.

وَلَمَّا كَانَ عِلْمُ اللَّهِ بِذَلِكَ مِمَّا لَا يَشُكُّ فِيهِ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَحْتَاجَ لِتَحْقِيقِ الْخَبَرِ بِهِ كَانَ الْخَبَرُ بِهِ مَعَ تَأْكِيدِهِ مُسْتَعْمَلًا فِي لَازِمِهِ عَلَى وَجْهِ الْكِنَايَةِ لِدَفْعِ الِاسْتِبْطَاءِ عَنْهُ." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ٢٦/٢>

"وَالتَّسَوُّرُ: تَفَعُّلٌ مُشْتَقٌّ مِنَ السُّورِ، وَهُوَ الْجِدَارُ الْمُحِيطُ بِمَكَانٍ أَوْ بَلَدٍ يُقَالُ: تَسَوَّرَ، إِذَا اعْتَلَى عَلَى السُّورِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُمْ: تَسَنَّمَ جَمَلَهُ، إِذَا عَلَا سَنَامَهُ، وَتَذَرَّأَهُ إِذَا عَلَا ذُرْوَتَهُ، وَقَرِيبٌ مِنْهُ فِي الِاشْتِقَاقِ قَوْلُهُمْ: صَاهَى، إِذَا رَكِبَ صَهْوَةَ فَرَسِهِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ بَيْتَ عِبَادَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَحُوطًا بِسُورٍ لِئَلَّا يَدْخُلَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْ حَارِسِ السُّورِ.

والْمِحْرابَ: الْبَيْتُ الْمُتَّخَذُ لِلْعِبَادَةِ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ [١٣] .

وإِذْ دَخَلُوا بَدَلٌ مِنْ إِذْ تَسَوَّرُوا لِأَنَّهُمْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ لِلدُّخُولِ عَلَى دَاوُدَ.

وَالْفَزَعُ: الذُّعْرُ، وَهُوَ انْفِعَالٌ يَظْهَرُ مِنْهُ اضْطِرَابٌ عَلَى صَاحِبِهِ مِنْ تَوَقُّعِ شِدَّةٍ أَوْ مُفَاجَأَةٍ، وَتَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ [١٠٣] . قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي كِتَابِ «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» : إِنْ قِيلَ: لِمَ فَزِعَ دَاوُدُ وَقَدْ قَوِيَتْ نَفْسُهُ بِالنُّبُوءَةِ؟ وَأَجَابَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَضْمَنْ لَهُ الْعِصْمَةَ وَلَا الْأَمْنَ مِنَ الْقَتْلِ وَكَانَ يَخَافُ مِنْهُمَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى لَا تَخَفْ وَقَبْلَهُ قِيلَ لِلُوطٍ. فَهُمْ مُؤَمَّنُونَ مِنْ خَوْفِ مَا لَمْ يَكُنْ قِيلَ لَهُمْ إِنَّكُمْ مِنْهُ مَعْصُومُونَ اهـ.

وَحَاصِلُ جَوَابِهِ: أَنَّ ذَلِكَ قَدْ عَرَضَ لِلْأَنْبِيَاءِ إِذْ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ مِنْ إِصَابَةِ الضُّرِّ حَتَّى يُؤَمِّنَ اللَّهُ أَحَدَهُمْ فَيَطْمَئِنَّ وَاللَّهُ لَمْ يُؤَمِّنْ دَاوُدَ فَلِذَلِكَ فَزِعَ. وَهُوَ جَوَابٌ **غَيْرُ تَامٍّ** الْإِقْنَاعِ لِأَنَّ السُّؤَالَ تَضَمَّنَ قَوْلَ السَّائِلِ وَقَدْ قَوِيَتْ نَفْسُهُ بِالنُّبُوءَةِ فَجَعَلَ السَّائِلُ انْتِفَاءَ تَطَرُّقِ الْخَوْفِ إِلَى نُفُوسِ الْأَنْبِيَاءِ أَصْلًا بَنَى عَلَيْهِ سُؤَالَهُ، وَهُوَ أَجَابَ بِانْتِفَاءِ التَّأْمِينِ فَلَمْ يُطَابِقْ سُؤَالَ السَّائِلِ. وَكَانَ الْوَجْهُ أَنْ يَنْفِيَ فِي الْجَوَابِ سَلَامَةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ تَطَرُّقِ الْخَوْفِ إِلَيْهِمْ.

وَالْأَحْسَنُ أَنْ نُجِيبَ:

أَوَّلًا: بِأَنَّ الْخَوْفَ انْفِعَالٌ جِبِلِّيٌّ وَضَعَهُ اللَّهُ فِي أَحْوَالِ النُّفُوسِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمَكْرُوهِ فَلَا تَخْلُو مِنْ بَوَادِرِهِ نُفُوسُ الْبَشَرِ فَيَعْرِضُ لَهَا ذَلِكَ الانفعال بادىء ذِي بَدْءٍ ثُمَّ يَطْرَأُ." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ٢٣/٢٣٢>

"وَذِكْرُ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ هُنَا نَظِيرُ ذِكْرِ مِثْلِهِ عَقِبَ نَظِيرِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ إِلَى قَوْلِهِ: الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ [الْفرْقَان: ١- ٢] .

وَالْبَاءُ فِي بِيَدِهِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (فِي) مِثْلُ الْبَاءِ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى أَسْمَاءِ الْأَمْكِنَةِ نَحْوُ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ [آل عمرَان: ١٢٣] وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

بِسِقْطِ اللِّوَى فَالظَّرْفِيَّةُ هُنَا مَجَازِيَّةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي مَعْنَى إِحَاطَةِ قُدْرَتِهِ بِحَقِيقَةِ الْمُلْكِ، وَالْملك عَلَى هَذَا اسْمٌ لِلْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ صَاحِبُهَا مَلِكًا.

وَالتَّعْرِيفُ فِي الْمُلْكُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ الَّذِي يَشْمَلُ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْجِنْسِ، وَهُوَ الِاسْتِغْرَاقُ فَمَا يُوجَدُ مِنْ أَفْرَادِهِ فَرْدٌ إِلَّا وَهُوَ مِمَّا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ فَهُوَ يُعْطِيهِ وَهُوَ يَمْنَعُهُ.

وَالْيَدُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ اسْتِعَارَةٌ لِلْقُدْرَةِ وَالتَّصَرُّفِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ [الذاريات: ٤٧] وَقَوْلِ الْعَرَبِ: مَا لِي بِهَذَا الْأَمْرِ يَدَانِ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ، وَيَكُونُ الْمُلْكُ اسْمًا فَيَأْتِي فِي مَعْنَاهُ مَا قُرِّرَ فِي الْوَجْهِ الْمُتَقَدِّمِ.

وَتَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ وَهُوَ بِيَدِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ لِإِفَادَةِ الِاخْتِصَاصِ، أَيِ الْمُلْكُ بِيَدِهِ لَا بِيَدِ غَيْرِهِ.

وَهُوَ قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ مَبْنِيٌّ عَلَى عَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِمُلْكِ غَيْرِهِ، وَلَا بِمَا يَتَرَاءَى مِنْ إِعْطَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ الْأَصْقَاعَ لِلْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ وَوُلَاةِ الْعَهْدِ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُلْكٌ **غَيْرُ تَامٍّ** لِأَنَّهُ لَا يَعُمُّ الْمَمْلُوكَاتِ كُلَّهَا، وَلِأَنَّهُ مُعَرَّضٌ لِلزَّوَالِ، وَمُلْكُ اللَّهِ هُوَ الْمُلْكُ الْحَقِيقِيُّ، قَالَ:

فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ [طه: ١١٤] .

فَالنَّاسُ يَتَوَهَّمُونَ أَمْثَالَ ذَلِكَ مُلْكًا وَلَيْسَ كَمَا يَتَوَهَّمُونَ.

وَالْيَدُ: تَمْثِيلٌ بِأَنْ شُبِّهَتِ الْهَيْئَةُ الْمَعْقُولَةُ الْمُرَكَّبَةُ مِنَ التَّصَرُّفِ الْمُطْلَقِ فِي الْمُمْكِنَاتِ الْمَوْجُودَةِ وَالْمَعْدُومَةِ بِالْإِمْدَادِ وَالتَّغْيِيرِ وَالْإِعْدَامِ وَالْإِيجَادِ بِهَيْئَةِ إِمْسَاكِ الْيَدِ بِالشَّيْءِ الْمَمْلُوكِ تَشْبِيهُ مَعْقُولٍ بِمَحْسُوسٍ فِي الْمُرَكَّبَاتِ.." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ٢٩/١٠>

"الثَّانِي أَنَّهَا كُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ بِالْيَاءِ، وَهَذَا لَمْ يَذْكُرُوهُ فِي تَوْجِيهِ كَوْنِهِ عَرَبِيًّا، وَسَبَبُ كِتَابَتِهِ كَذَلِكَ الْإِشَارَةُ إِلَى لُغَةِ إِمَالَتِهِ.

وَأَمَّا الْإِنْجِيلُ فَاسْمٌ لِلْوَحْيِ الَّذِي أُوحِيَ بِهِ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَمَعَهُ أَصْحَابُهُ.

وَهُوَ اسْمٌ مُعَرَّبٌ قِيلَ مِنَ الرُّومِيَّةِ وَأَصْلُهُ (إِثَانْجَيْلِيُومْ) أَيِ الْخَبَرُ الطَّيِّبُ، فَمَدْلُولُهُ مَدْلُولُ اسْمِ الْجِنْسِ، وَلِذَلِكَ أَدْخَلُوا عَلَيْهِ كَلِمَةَ التَّعْرِيفِ فِي اللُّغَةِ الرُّومِيَّةِ، فَلَمَّا عَرَّبَهُ الْعَرَبُ أَدْخَلُوا عَلَيْهِ حَرْفَ التَّعْرِيفِ، وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الثَّعْلَبِيِّ أَنَّ الْإِنْجِيلَ فِي السُّرْيَانِيَّةِ- وَهِيَ الْآرَامِيَّةُ- (أَنْكَلِيُونُ) وَلَعَلَّ الثَّعْلَبِيَّ اشْتَبَهُ عَلَيْهِ الرُّومِيَّةُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَيْسَتْ سُرْيَانِيَّةً وَإِنَّمَا لَمَّا نَطَقَ بِهَا نَصَارَى الْعِرَاقِ ظَنَّهَا سُرْيَانِيَّةً، أَوْ لَعَلَّ فِي الْعِبَارَةِ تَحْرِيفًا وَصَوَابُهَا الْيُونَانِيَّةُ وَهُوَ فِي الْيُونَانِيَّةِ (أُووَانَيْلِيُونُ) أَيِ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ. وَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ جَعْلَهُ مُشْتَقًّا مِنَ النُّجْلِ وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ تَعَسُّفٌ أَيْضًا. وَهَمْزَةُ الْإِنْجِيلِ مَكْسُورَةٌ فِي الْأَشْهَرِ لِيَجْرِيَ عَلَى وَزْنِ الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَنَّ إِفْعِيلًا مَوْجُودٌ بِقِلَّةٍ مِثْلَ إِبْزِيمٍ، وَرُبَّمَا نُطِقَ بِهِ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَذَلِكَ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ.

وِمِنْ قَبْلُ يَتَعَلَّقُ بِ أَنْزَلَ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ حَالًا أُولَى مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَ «هُدًى» حَالٌ ثَانِيَةٌ. وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ قَبْلُ مَحْذُوفٌ مَنوِيٌّ مَعْنًى، كَمَا اقْتَضَاهُ بِنَاءُ قَبْلُ عَلَى الضَّمِّ، وَالتَّقْدِيرُ مِنْ قَبْلِ هَذَا الزَّمَانِ، وَهُوَ زَمَانُ نُزُولِ الْقُرْآنِ.

وَتَقْدِيمُ مِنْ قَبْلُ عَلَى هُدىً لِلنَّاسِ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ. وَأَمَّا ذِكْرُ هَذَا الْقَيْدِ فَلِكَيْ لَا يُتَوَهَّمَ أَنَّ هُدَى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مُسْتَمِرٌّ بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ. وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا كَالْمُقَدَّمَاتِ لِنُزُولِ الْقُرْآنِ، الَّذِي هُوَ تَمَامُ مُرَادِ اللَّهِ مِنَ الْبَشَرِ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ [آل عمران: ١٩] فَالْهُدَى الَّذِي سَبَقَهُ **غَيْرُ تَامٍّ**.

ولِلنَّاسِ تَعْرِيفُهُ إِمَّا لِلْعَهْدِ: وهم النَّاس الَّذِي خُوطِبُوا بِالْكِتَابَيْنِ، وَإِمَّا لِلِاسْتِغْرَاقِ الْعُرْفِيِّ: فَإِنَّهُمَا وَإِنْ خُوطِبَ بِهِمَا نَاسٌ مَعْرُوفُونَ، فَإِنَّ مَا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ يَهْتَدِي بِهِ كُلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْتَدِيَ، وَقَدْ تَهَوَّدَ وَتَنَصَّرَ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَمْ تَشْمَلْهُمْ دَعْوَةُ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْعُمُومِ النَّاسُ الَّذِينَ دعاهم مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِأَنَّ الْقُرْآنَ." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ١٤٩/٣>

"فَقَوْلُهُ: قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ إِلَى آخِرِهَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ، اعْتِرَاضٌ بَعْدَ قَوْلِهِ: وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ وَقَوْلِهِ: وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ. وَضَمِيرُ: حَرَّمَ عَائِدٌ إِلَى اسْمِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [الْأَنْعَام: ١٤٢] ، أَوْ فِي قَوْلِهِ: وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ [الْأَنْعَام: ١٤٠] الْآيَةَ. وَفِي تَكْرِيرِ الِاسْتِفْهَامِ مَرَّتَيْنِ تَعْرِيضٌ بِالتَّخْطِئَةِ، فَالتَّوْبِيخُ وَالتَّقْرِيعُ الَّذِي يَعْقُبُهُ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ وَقَوْلِهِ: أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً الْآيَةَ. فَلَا تَرَدُّدَ فِي أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ: قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ إِبْطَالُ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ الْمُشْرِكُونَ أَكْلَهُ، وَنَفْيُ نِسْبَةِ ذَلِكَ التَّحْرِيمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنَّمَا النَّظَرُ فِي طَرِيقِ اسْتِفَادَةِ هَذَا الْمَقْصُودِ مِنْ نَظْمِ الْكَلَامِ. وَهُوَ مِنَ الْمُعْضِلَاتِ.

فَقَالَ الْفَخْرُ: «أَطْبَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُحَرِّمُونَ بَعْضَ الْأَنْعَامِ فَاحْتَجَّ اللَّهُ عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِهِمْ بِأَنْ ذَكَرَ الضَّأْنَ وَالْمَعْزَ وَالْإِبِلَ وَالْبَقَرَ. وَذَكَرَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، ثمّ قَالَ: إن كَانَ حرّم مِنْهَا الذّكر وَجب أَن يكون كلّ ذكورها حَرَامًا، وَإِنْ كَانَ حَرَّمَ الْأُنْثَى وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ إِنَاثِهَا حَرَامًا، وَأَنَّهُ إِنْ كَانَ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ وَجَبَ تَحْرِيمُ الْأَوْلَادِ كُلِّهَا» . حَاصِلُ الْمَعْنَى نَفْيُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ حَرَّمَ شَيْئًا مِمَّا زَعَمُوا تَحْرِيمَهُ إِيَّاهُ بِطَرِيقِ السَّبْرِ وَالتَّقْسِيمِ وَهُوَ من طَرِيق الْجَدَلِ.

قُلْتُ: هَذَا مَا عَزَاهُ الطَّبَرِيُّ إِلَى قَتَادَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَالسُّدِّيِّ، وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ لِأَنَّ السَّبْرَ **غَيْرُ تَامٍّ** إِذْ لَا يَنْحَصِرُ سَبَبُ التَّحْرِيمِ فِي النَّوْعِيَّةِ بَلِ الْأَكْثَرُ أَنَّ سَبَبَهُ بَعْضُ أَوْصَافِ الْمَمْنُوعِ وَأَحْوَالِهِ.

وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: قَالُوا: هذِهِ أَنْعامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ [الْأَنْعَام: ١٣٨] وَقَالُوا:." <التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ٨-أ/١٣٠>

"﴿يأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّنَ الْبَعْثِ﴾ يوم القيامة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي خلقنا أصلكم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ أي إن كنتم شاكين في البعث، وكيف أننا نعيدكم بعد فنائكم؛ فانظروا في بدء خلقكم: إذ خلقناكم من تراب، ولم تكونوا شيئاً؛ فكيف لا نستطيع إعادتكم كما أنتم الآن؟ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾

ذهب المفسرون إلى أن المراد بها: قطعة دم جامدة والذي أراه أن المراد بالعلقة: واحد الحيوانات المنوية، التي يتخلق منها الجنين بأمر الله تعالى؛ وتجمع على «علق» قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ قطعة لحم صغيرة؛ قدر ما يمضغ في الفم ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي تامة الخلقة، **وغير تامتها** ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ أي نثبت في الأرحام ما نشاء ثبوته؛ وما لم نشأ إبقاءه: أسقطته الأرحام. فليس كل من حملت أنتجت

-[٤٠١]- ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت استيفاء الجنين مدته في الرحم ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم؛ وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) ﴿وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أردئه؛ وهو الكبر المؤدي إلى الهرم والخرف ﴿لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ أي لينسى ما عرفه، ويجهل ما علمه؛ لذهاب عقله، ومزيد كبره ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن: لم يصر إلى هذه الحالة نفعنا الله تعالى بكتابه، وكتبنا من أحبابه، وشفعه فينا، وجعله حجة لنا لا علينا ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ساكنة يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ﴾ بالمطر، أو بالسقيا من ماء المطر نفسه - المنساب في الأنهار والآبار - وذلك بعد وضع البذر ﴿اهْتَزَّتْ﴾ تحركت لطلوع النبات ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وارتفعت ﴿وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ من كل صنف حسن، سار للناظرين." <أوضح التفاسير؟ محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٤٠٠>

"بأن مضمرة جوازا بعد لام التعليل والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله، والواو اسمها (شُهَداءَ) خبرها (عَلَى النَّاسِ) الجار والمجرور متعلقان بشهداء (وَيَكُونَ) عطف على تكونوا (الرَّسُولُ) اسم يكون (عَلَيْكُمْ) الجار والمجرور متعلقان بشهيدا (شَهِيداً) خبر يكون (وَما) الواو عاطفة، وما نافية (جَعَلْنَا) فعل وفاعل (الْقِبْلَةَ) مفعول جعلنا الاول (الَّتِي) اسم موصول في محل نصب مفعول جعلنا الثاني (كُنْتَ) كان واسمها (عَلَيْها) الجار والمجرور خبر كنت، والجملة لا محل لها لأنها صلة التي، وسيأتي مزيد من اعراب هذه الآية في باب الفوائد. (إِلَّا) أداة حصر (لِنَعْلَمَ) اللام لام التعليل، ونعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، وموضع لنعلم مفعول لأجله فهو استثناء مفرّغ من أعمّ العلل (مَنْ) اسم موصول في موضع نصب مفعول نعلم (يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول، والرسول مفعول به (مِمَّنْ) الجار والمجرور متعلقان بنعلم المضمّنة معنى نميّز (يَنْقَلِبُ) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (عَلى عَقِبَيْهِ) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي مرتدا على عقبيه (وَإِنْ) الواو حالية، وإن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي والحال أنها (كانَتْ) فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره التولية إليها، والجملة الفعلية خبر إن، وجملة إن وما في حيزها في موضع نصب على الحال (لَكَبِيرَةً) اللام هي الفارقة، وكبيرة: خبر كانت (إِلَّا) أداة استثناء (عَلَى الَّذِينَ) الجار والمجرور في موضع نصب على الاستثناء، والمستثنى منه محذوف تقديره: وإن كانت لكبيرة على الناس إلا على الناس الذين هداهم الله، ولك أن تجعل «إلا» أداة حصر لأن الكلام **غير تام** أو لتضمنه معنى النفي فيتعلق الجار والمجرور بكبيرة (هَدَى اللَّهُ) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة." <إعراب القرآن وبيانه؟ محيي الدين درويش ١/٢٠٢>

"قدمها قدم الموصوف بها. ولما علم سبحانه أن تمدّحه بمجرد فلق الحب والنوى في بطن الأرض غير تام، لأنه لا ينتفع به حتى يخرج نباته إلى ظاهر الأرض، ويشاهد الناس قدرة مخرجه ومخترعه، وصار قوله: «ومخرج الميت من الحي» مكملا، وأتى في هذه الجملة باسم الفاعل، وهذا من المعاجز التي تتقطّع دونها الأعناق.

٣- فن الاستعارة التمثيلية:

وذلك بقوله: «فالق الإصباح» ، وخلاصتها أنه تعالى شبّه انشقاق عمود الفجر وانصداع الفجر بفلق الإصباح. وقد رمق الشعراء سماء هذه البلاغة، فقال أبو تمام وتلاعب بهذا المعنى:

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه ... وأول الغيث قطر ثم ينسكب

يقول: إن أوائل الأمور تبدو قليلة، ثم تكثر، فينبغي الحرص من أول الأمر قبل بلوغ غايته. وأتبعه ببيت آية في الحسن فقال:

ومثل ذلك وجد العاشقين هوى ... بالمزح يبدو وبالإدمان ينتهب

ومن النقاد من ينسب هذين البيتين إلى ابن الرومي، يريد أن الوجد في أوله هوى وفي آخره نار.

٤- تشبيه الليل بالسكن:

وفي تشبيه الليل بالسكن إعجاز يتجسد فيه عجز الإنسان، فالكلمة القرآنية في تعبيرها عن المعنى المراد تمتاز عن سائر مرادفاتها." <إعراب القرآن وبيانه؟ محيي الدين درويش ١٧٨/٣>

"السُّفَهاءُ

، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً.

ومفعول المحذوف نحو: وَعَدَ اللَّهُ، سُنَّةَ اللَّهِ.

والشرط، نحو: مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ.

مقدار، نحو: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا، وتُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا.

والنفى نحو: ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ، وإِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق.

والجائز: ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبين من الطرفين، نحو: وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ، فإن واو العطف تقتضى الوصل، وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم، فإن التقدير: ويوقنون بالآخرة.

والمجوز لوجه: نحو: أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ لأن الفاء فى قوله: فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ تقتضى التسبب والجزاء، وذلك يوجب الوصل، وكون لفظ الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجها.

والمرخص ضرورة: ما لا يستغنى ما بعده عما قبله، ولكنه يرخص لانقطاع النفس وطول الكلام، ولا يلزمه الوصل بالعود، لأن ما بعده جملة مفهومة.

كقوله: وَالسَّماءَ بِناءً لأن قوله: وَأَنْزَلَ لا يستغنى عن سياق الكلام، فإن فاعله ضمير يعود إلى ما قبله، غير أن الجملة مفهومة.

وأما ما لا يجوز، الوقف عليه: فكالشرط دون جزائه، والمبتدأ دون خبره ونحو ذلك.

وقيل: الوقف فى التنزيل على ثمانية أضرب: تام، وشبيه به، وناقص، وشبيه به، وحسن، وقبيح، وشبيه به.

وقيل: الوقف ينقسم إلى اختيارى واضطرارى، لأن الكلام إما أن يتم، أو لا، فإن تم كان اختياريا وكونه تاما لا يخلو إما ألا يكون له تعلق بما بعده، البتة، أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فالوقف المسمى بالتام لتمامه المطلق يوقف عليه، ويبدأ بما بعده، ثم مثله بما تقدم فى التام.

وقد يكون الوقف تاما فى تفسير وإعراب وقراءة، **غير تام** على آخر، نحو: وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ تام، إن كان ما بعده مستأنفا، **غير تام** إن كان معطوفا، ونحو فواتح السور، الوقف عليها تام، إن أعربت مبتدأ والخبر محذوف، أو عكسه.." <الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٢/٩٨>

"٧- (صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) الذين أنعمت:

قرىء:

من أنعمت، وهى قراءة ابن مسعود، وعمر، وابن الزبير، وزيد بن على.

عليهم:

قرىء:

١- عليهم، بضم الهاء وإسكان الميم، وهى قراءة حمزة.

٢- عليهم، بكسر الهاء وإسكان الميم، وهى قراءة الجمهور.

٣- عليهم، بكسر الهاء والميم، وهى قراءة عمرو بن فائد.

٤- عليهمى، بكسر الهاء والميم، وياء بعدها، وهى قراءة الحسن.

وقيل: هى قراءة عمرو بن فائد.

٥- عليهم، بكسر الهاء وضم الميم، وهى قراءة الأعرج، والخفاف، عن أبى عمرو.

٦- عليهم و، بكسر الهاء، وضم الميم واو بعدها، وهى قراءة ابن كثير، وقالون بخلاف عنه ٧- عليهم، بضم الهاء والميم، وهى قراءة الأعرج، والخفاف عن أبى عمرو.

٨- عليهم و، بضم الهاء والميم وواو بعدهما، وهى قراءة الأعرج، والخفاف، عن أبى عمرو ٩- عليهم بضم الهاء وكسر الميم، وهى قراءة الأعرج، والخفاف، عن أبى عمرو.

١٠- عليهمى، بضم الهاء وكسر الميم بعدها ياء، وهى قراءة الأعرج، والخفاف عن أبى عمرو.

- ٢- سورة البقرة

٢- (ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) فيه:

قرىء:

فيهى، موصولا بياء، وهى قراءة ابن كثير.

للمتقين:

١- إذا كان موصولا بما بعده، على أن ما بعده (الذين يؤمنون) صفة، كان الوقف على «المتقين» حسنا **غير تام**." <الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٥/٤٦>

"فاتحة الكتاب هي أم الكتاب، لا تصلح الصلاة بدونها، فأنت في كل ركعة تستطيع أن تقرأ آية من القرآن الكريم، تختلف عن الآية التي قرأتها في الركعة السابقة، وتختلف عن الآيات التي قرأتها في صلواتك. . ولكن إذا لم تقرأ الفاتحة فسدت الصلاة، ولذلك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم القرآن فهي خداج ثلاثا **غير تام**» أي غير صالحة.

فالفاتحة أم الكتاب التي لا تصلح الصلاة بدونها، والله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. . فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين. قال الله عَزَّ وَجَلَّ حمدني عبدي. فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: أثنى علي عبدي، فإذا قال مالك يوم الدين، قال الله عَزَّ وَجَلَّ مجدني عبدي. . فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله عَزَّ وَجَلَّ هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. . وإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِم وَلاَ الضآلين﴾ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» .

وعلينا أن نتنبه ونحن نقرأ هذا الحديث القدسي ان الله تعالى يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، ولم يقل قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي، ففاتحة الكتاب هي أساس الصلاة، وهي أم الكتاب.

نلاحظ ان هناك ثلاثة أسماء لله قد تكررت في بسم الله الرحمن الرحيم، وفي فاتحة الكتاب، وهذه الاسماء هي: الله. والرحمن والرحيم. نقول أن ليس هناك تكرار." <تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ١/٥١>

"قوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

أخرج الطبري بسنده الصحيح عن قتادة قوله (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) ، قادر والله ربنا أن يصور عباده في الأرحام كيف يشاء، ذكر أو أنثى، أو أسود أو أحمر، تام خلقه أو غير تام.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قوله: (العزيز) عزيز في نقمته إذا انتقم. (الحكيم) حكيم في أمره.

قوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) إلى قوله (أُولُو الْأَلْبَابِ)

أخرج الطبري وابن أبي حاتم بسنديهما الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المحكمات: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده وفرائضه وما يؤمن له ويعمل به (وأخر متشابهات) والمتشابهات: منسوخه، ومقدمه ومؤخره، وأمثاله وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به.

قال ومسلم: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا يزيد بن إبراهيم التُستري، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: تلا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " (هو الذيَ أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وأُخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله. والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولوا الألباب) ". قالت: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله، فاحذروهم".

(صحيح مسلم ٤/٢٠٥٣ ح ٢٦٦٥- ك العلم، ب النهي عن اتباع متشابه القرآن) واللفظ له، (وصحيح البخاري ٨/٢٠٩ ح ٤٥٤٧- ك التفسير- سورة آل عمران) .

قال البخاري: حدثنا أبو معمر قال: حدثنا عبد الوارث قال. حدثنا خالد عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

ضمني رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال: "اللهم علِّمه الكتاب".
(الصحيح ١/١٦٩ ح ٧٥)." <الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور؟ حكمت بشير ياسين ١/٣٩٨>